

نسيم الرياض

في شرح شفاء القاضي عياض

تأليف

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر

الخفاجي المصري

المتوفى سنة ١٠٦٩هـ

ضبطه وقدم له وعلق عليه

محمد عبد القادر عطا

الجزء الثالث

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



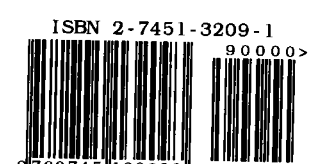
الطبعة الأولى
١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م

دار الكتب العلميـة
بيروت ـ لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس: ٣٧٨٥٤٢ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٦٤٣٩٨ (٩٦١ ١)
صندوق بريد: ١١ ـ ٩٤٢٤ بيروت ـ لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ére Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3209-1



http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(الباب الثالث فيما ورد من صحيح الأخبار)

المراد ما رواه الثقات بسند متصل، وسلم من العلة القادحة، وقد يطلق على ما يشمل الحسن كما فصل فى مصطلح الحديث، والخبر تقدم أنه يراد به الحديث، وقد يراد به معناه الأعم الشامل له ولغيره، وعلى هذا فالصحيح بمعناه اللغوى وما ثبت صدقه، فقوله: **(ومشهورها)** ليس من عطف الخاص على العام، ومن قاله كأنه أراد به قسمًا منه، وهو ما اشتهر بين المحدثين، أو أرجع الضمير لصحيح الأخبار، وأنثه رعاية لمعناه، أو لاكتسابه التأنيث من المضاف إليه، فلا وجه لتخطئته فيه **(بعظيم قدره عند ربه)** متعلق بورد والباء للتعدية أو الإلصاق، **(ومنزلته)** عطف تفسير، والقدر والمنزلة والمرتبة بمعنى الشرف، **(وما خصه به فى الدارين)** الدنيا والآخرة غلب إطلاقه عليهما **(من كرامته صلى الله تعالى عليه وسلم)**، بيان لما، وكرامته: جلالته وعزته، وضمير خصه له، أو لما، وكذا به، والباء داخلة على المقصور، أو المقصور عليه، وكل منهما جائز بلا خلاف إنما اختلافهم فى أصله وحقيقته.

(لا خلاف): أى لأحد من المسلمين، بل العقلاء لانعقاد الإجماع عليه، ولا يعتد بما زعمه بعض أهل الكتاب **(أنه أكرم البشر)**، والنوع الإنسانى، وتقديره فى أنه، وحذف الجار فى مثله مقيس مطرد، **(وسيد ولد آدم)** السيد من ساد غيره أى فاقه فى الشرف والكمال، وفى إطلاق السيد عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وعلى الله، وعلى غيره أقوال.

قال البيهقى فى كتاب الأسماء والصفات: السيد اسم لله تعالى لم يرد فى القرآن،

وورد فى الحديث، فعن مطرف: انطلقت فى وفد بنى عامر إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقلت: أنت سيدنا، فقال: السيد هو الله، قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: «قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرنكم الشيطان»[1].

قال الحليمى: ومعناه المحتاج إليه بالإطلاق الله، فإن سيد الناس إنما هو رأسهم الذى يرجعون إليه، وبأمره يعملون، وعن رأيه يصدرون ومن قوته يستمدون إلى آخره، فهذا دليل على إطلاقه على الله، ودليل إطلاقه على غيره سواء كان نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما فى هذا الحديث، أو غيره كقوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف: ٢٥]، فهذا يدل على إطلاقه على الله، وعلى غيره مطلقًا، وهو القول الأصح.

وحكى عن مالك امتناع إطلاقه على الله تعالى، ويطلق على غيره، وهو القول الثانى.

والثالث: أنه لا يطلق إلا على الله؛ لحديث «السيد الله»، بالحصر.

والرابع: أنه إذا عرف بالألف واللام اختص بالله كما ذكره الدمامينى فى أول شرح التسهيل، وهو أنه إذا أطلق على الله، فمعناه المحتاج إليه فى جميع الأمور، وإذا أطلق على غيره فمعناه الرئيس الذى يتبعه قومه كما فصلناه فى شرح أسماء الله الحسنى، وقد ورد فى الحديث النهى عن تسميته سيدا، وهو إما تواضع منه صلى الله تعالى عليه وسلم، أو المراد نهيه عن سيادة دنيوية، فلا منافاة بينه وبين هذا، وأما فى الصلاة فاختلف فى الأفضل فيها: هل هو: صلى الله على سيدنا محمد أو على محمد؟ ولابن حجر كلام فيه فى الفتاوى سيأتى فى محله، والولد يطلق على الواحد الذكر وغيره، والمراد سيد آدم وولده، ولذا عقبه بقوله: **(وأفضل الناس منزلة عند الله)**، وإذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم، أفضل الناس علم أنه أفضل الثقلين، ولا حاجة إلى أن يقال: إن الناس يطلق على ما يشمل الجن، وإن ذهب إليه بعض اللغويين فى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١]، وقالوا قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٦]، بيان له، والعرب تقول: ناس من الجن، وذهب السبكى فى فتاويه إلى أنه يطلق على ما يقابل الجن وعلى ما يشملهما، وأنه على الأول أصله أناس من الإنس، وعلى الثانى من نوس، فالناس الأول غير الثانى، وهو كلام حسن.

(وأعلاهم درجة) الدرجة واحدة الدرج، وهى مواطئ السلم لما يعلو، وذكره بعد

---

(١) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (٢٢/٧)، والبيهقى فى دلائل النبوة (٣١٨/٥)، وأحمد فى المسند (٢٤٩/٣).

المنزلة فيه لطف؛ لأن علو المراقى يقتضى زيادة علو المنازل.

(وأقربهم زلفى) أى قربى، وهو كجد جده، وقيل: هو اسم أقيم مقام المصدر المؤكد، فهو فى معنى أقربهم تقريبًا، وليس تمييزًا كمنزلة ودرجة.

(واعلم أن الأحاديث) جمع حديث على خلاف القياس، قيل: ولا يناسب أن يكون جمع أحدوثة؛ لأنها تختص بالمضحكات والشر، ورد بأنها تستعمل فى الخير أيضًا كقوله(1):

من الخفرات البيض ودَّ جليسها إذا ما انقضت أحدوثة أو تعيدها

وقول القاضى فى سورة المؤمنين فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ [المؤمنون: ٤٤]: إن أحاديث اسم جمع للحديث، وقد شرطوا فيه أن لا يكون على وزن مختص بالجمع، أو يغلب فيه، وصيغة منتهى الجموع لا توجد فى المفردات يدفع بما فى الكشف من أن اسم الجمع يطلق بمعنى آخر، وهو ما كان على خلاف القياس، كما يقال فى ليال: إنه اسم جمع، وقد علمت أن الحديث ما يضاف للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، من أقواله وأفعاله وتقريراته وصفاته وسائر أحواله، فى منامه ويقظته **(الواردة فى ذلك)** أى فى عظيم قدره صلى الله تعالى عليه وسلم، **(كثيرة جدًا)** بكسر الجيم وتشديد الدال المهملة، وهو مفعول مطلق محذوف عامله وجوبا لجريه مجرى الأمثال، وهو مؤكد لما قبله أى متناه فى الكثرة، وأصله من الجد بمعنى الاجتهاد؛ لأن المراد أنه اجتهد فى كثرته وبولغ فيها.

(وقد اقتصرنا منها) أى من تلك الأحاديث الكثيرة **(على صحيحها)** الصالح للاعتماد عليه، والاحتجاج به، **(ومنتشرها)** أى مشهورها، **(وحصرنا)** من حصر الكل فى أجزائه لا الكلى فى جزئياته **(معانى ما ورد منها فى اثنى عشر فصلا)**، فيه مسامحة لأن الفصول اسم للألفاظ، وهى مغايرة للمعانى، فتحتاج لتقدير مضاف فى الأول أو الثانى.

* * *

(الفصل الأول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه)

[والاصطفاء والتفضيل وسيادة ولد آدم]

المكانة كالمنزلة علو قدره، ويجوز أن يكون من التمكن وهو الثبوت، كما يقال له:

---

(١) البيت من الطويل، وهو لكثير عزة فى ديوانه (ص٢٠٠)، وله أو لذى الرمة فى تزيين الأسواق (١٢٥/١)، ولذى الرمة فى ملحق ديوانه (ص١٨٦٥)، تزيين الأسواق (٢١٠/١)، وبلا نسبة فى تاج العروس (٢١١/٥) (حدث).

مكنه وتمكن من السلطان أى قرب، **(والاصطفاء)** أى اختياره، صلى الله تعالى عليه وسلم، على غيره وتقديمه، **(والتفضيل، وسيادة ولد آدم)** كما مر، **(وما خصه به فى الدنيا من مزايا الرتب)** جمع مزية بزنة عطية، وهى الفضيلة التى تقدمه على غيره، وفى شرح المفتاح أنه لا فعل له، ويخالفه ما فى الأساس من أنه يقال: تميزت عليه كما مر، وفسرها الشريشى بالتمام والكمال، **(وبركة اسمه الطيب)** أى كونه يتبرك باسمه المشهور، وهو أحمد ومحمد، والطيب صفة لا بدل؛ لأن الطيب ليس من أسمائه المشهورة، وهذا إشارة لما ورد فى الحديث: **(كل أمر لا يبدأ فيه بحمد الله والصلاة علىّ فهو أبتر)**(١)، أى ممحوق البركة ذكره السخاوى فى شرح ألفية الحديث، وقال: هو وإن كان ضعيفًا لكنه يذكر فى الفضائل.

(أخبرنا الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد العدل) لقب به، وهو إمام حافظ تميمى، توفى سنة إحدى وخمسمائة **(إذنًا بلفظه)** أراد بالإذن الإجازة بروايته عنه، وقال: بلفظه؛ لأنه لم يكن من كتابه وهو يقرؤ كما مر، وهذا جائز قال: **(حدثنا أبو الحسين الفرغانى)** بالفاء والراء المهملة والغين المعجمة نسبة لفرغانة بلدة بما وراء النهر، وهو الإمام على بن عبد الله المقرئ، ووقع فى بعض النسخ الحسن، والأصح الأول، قال: **(حدثتنا أم القاسم بنت أبى بكر بن يعقوب عن أبيها)** قال: **(حدثنا حاتم، وهو ابن عقيل)** بفتح العين وكسر القاف، وهو ابن المهتدى ابن المرارى اللؤلؤى المشهور، **(عن يحيى هو ابن إسماعيل عن يحيى الحمانى)** بكسر الحاء المهملة وتشديد الميم وألف ونون وياء نسبة، وهو يحيى بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن ميمون أبو زكريا الكوفى، وهو ثقة، وضعفه بعضهم، وقال: إنه كذاب، وله ترجمة فى الميزان قال: **(حدثنا قيس)** بن الربيع أبو محمد الكوفى اختلفوا فيه أيضا، فقيل: ثقة، وقيل: ضعيف، وأخرج له أصحاب السنن، توفى سنة خمس أو سبع أو ثمان وستين ومائة، وترجمته فى الميزان، **(عن الأعمش)** سليمان بن مهران تقدمت ترجمته **(عن عباية بن الربعى)** بفتح العين وآخره ياء، ويقال: عباءة بالهمزة علم منقول من اسم الكساء، والربعى بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وعين مهملة وياء نسبة، هو من غلاة الشيعة وله ترجمة فى الميزان، **(عن ابن عباس)**، رضى الله تعالى عنهما، وهذا الحديث رواه الطبرانى والبيهقى فى الدلائل **(قال: قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: إن الله قسم الخلق قسمين)** قيل: هذه قسمة تقديرية فى علم الله تعالى. وقيل: حقيقية كما بينه فى قوله: **(فجعلنى من خيرهم قسما)**(٢) منصوب على التمييز أى

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٩٤)، والطبرانى فى الكبير (٧٢/١٩)، والدارقطنى فى سننه (٢٢٩/٢).
(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٥١/٣)، والبيهقى فى دلائل النبوة (١٣٣/١).

من القسم الذى هو خير يعنى أصحاب اليمين المشار إليهم فى قوله: **(فذلك)** التقسيم ما تضمنه **(قوله: أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال)** لا العرب كما توهم؛ لقوله: **(فأنا من أصحاب اليمين)** من تبعيضية أو ابتدائية، **(وأنا خير أصحاب اليمين)** أى أكرمهم وأفضلهم، **(ثم جعل القسمين أثلاثا)** أى جعل مجموع القسمين ثلاثة أقسام، لا كل قسم منهما كما يتبادر إلى الذهن، **(فجعلنى فى خيرها ثلثا)**، وقيل: أصحاب اليمين هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأصحاب الشمال هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، أو هم الذين كانوا عن يمين آدم، والذين كانوا عن شماله فى عالم الذر، أو الذين أخذوا من شقه الأيمن والأيسر، أو من أعطى كتابه بيمينه وشماله، أو الذين رآهم فى الإسراء عن يمين آدم، عليه الصلاة والسلام، وشماله.

(وذلك) أى التقسيم الثلاثى ما بينه **(قوله: ﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾** [الواقعة: ٨]) أى اليمين، أو اليمين على أنه مصدر ميمى، وهم بعض السعداء غير السابقين؛ لئلا يتداخل الأقسام، (﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ [الواقعة: ٨]) هى كالميسرة بمعنى الشمال؛ لأن العرب تقول للعبد الشمال: شومى، ومنه الشام؛ لأنها عن شمال الكعبة فى قول، أو الشامة، **(والسابقون)**، وفى بعض النسخ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ٤] بالتكرير كما فى الآية، ولابد من تغايرهما ليفيد الحمل، فهو إما كقوله:

أنا أبو النجم وشعرى شعرى

أى الذين عرفوا بكمال السبق، أو الأول بمعنى السابقين للإيمان والطاعة، والثانى بمعنى السابقين إلى الجنة ونعيمها، وهو أحد التفاسير، وقيل: هم الذين إذا أعطوا الحق قبلوه، وإذا سئلوه بذلوه، ويحكمون لغيرهم بما يحكمون به لأنفسهم، وقيل: السابقون للصلوات أو التوبة، وقيل: هم الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام.

(فأنا من السابقين، وأنا خير السابقين)، فهو من أعلى الأقسام لا قسم مستقل حتى تكون القسمة رباعية كما توهم، ومن هذا القسم الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، فهو أفضل من كل واحد منهم، ومن مجموعهم كما تقدم.

(ثم جعل الأثلاث قبائل) أى جعل كل ثلث أو مجموعها، وهذا أظهر، والقبائل جمع قبيلة، وهم بنو أب واحد، والقبيل بدون هاء الجماعة مطلقا ثلاثة فصاعدا.

(فجعلنى من خيرها قبيلة، وذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ﴾ [الحجرات: ١٣] **الآية)**، والشعوب جمع شعب بالكسر، وقيل: إنما هو بالفتح، والذى بالكسر طريق بين جبلين، واختلف فى تقسيم الناس، فقيل: الشعب أكثر من القبيلة،

وبعدها الفصيل، ثم العشيرة، ثم الذرية، ثم العترة، ثم الأسرة، وهذا مخصوص بالعرب، وقيل: هم ست طبقات: شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة، فالشعب الطبقة الأولى، وبعدها القبيلة، ثم العمارة بكسر العين المهملة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الفصيلة بالصاد المهملة، فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاذ، والفخذ يجمع الفصائل، فمضر شعب وكنانة قبيلة، وقريش وهو النضر بن كنانة عمارة، وقصى بطن، وهاشم فخذ، وعبد المطلب والعباس فصيلة، وقد تطلق القبيلة على ما دونها تجوزا، ولما لم يكن فى الآية ما يؤذن بشرف الفصيلة فى نفسها، فإن الشرف إنما هو بالفضيلة لا بالفصيلة، ولكن شرف الأصل يستلزمه غالبا.

قال: (**فأنا أنقى ولد آدم، وأكرمهم على الله، ولا فخر**) جملة حالية أى لا أقول هذا تفاخرا ومباهاة وتعظما، وإنما هو تحدث بنعم الله، وبيانا للأمة ما يجب عليهم اعتقاده توقيرا واحتراما له، وإنما نلته بتكريم ربى وفضله، وكل مؤمن تقى كريم على الله، وكل فاجر شقى هين على الله، وقال عيسى، عليه الصلاة والسلام: «من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله»[(١)]، ويقال: هو أكرم عند الله، وعلى الله لكونه بمعنى أعز المتعدى بعلى حملا له على نظيره، (**ثم جعل القبائل بيوتا، فجعلنى من خيرها بيتا**) بيوت بضم الباء الموحدة وكسرها جمع بيت، وهو المنزل والمسكن، والظاهر أن المراد بالبيوت هنا الفخذ، أو الفصيلة لا البطن كما قيل، والبيت يطلق مجازا على المجد والشرف كما فى قوله[(٢)]:

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

وعلى الأصول والأقارب كما يقال: هو بيت علم أى من قوم علم، وفى إضافته للمكان إثبات لمن فيه بطريق الكناية التى هى أبلغ من التصريح كما قرر فى كتب المعانى.

(**وذلك**) أى كونه، صلى الله تعالى عليه وسلم، من خير بيت وأشرفه ما دل عليه (**قوله تعالى:** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣])، وهذا يدل على ما فسرنا به البيت، والرجس النجس المستقذر استعير للمعاصى، والتطهير ترشيح للمعاصى، وما استعير لها لأنها تلوث الأعراض، وأهل البيت والآل الأقرباء، وقول الشيعة: إنهم على وفاطمة والسبطان، وهم أهل الكساء، رضى الله تعالى عنهم، وادعاؤهم عصمتهم، وأن إجماعهم حجة استدلالا بهذه الآية ينافيه

(١) أخرجه ابن عدى فى الكامل (٢٥٦٥/٧)، وانظر كشف الخفا (٣٧٣/١).

(٢) تقدم الاستشهاد به.

السياق، وفى الآية مبالغة فى شرفهم بليغة لذكر تطهير أعراضهم من دنس المعاصى، وهو أجل النعم، وتعريف الرجس بلام الاستغراق الدال عليه إطلاقه فى مقام المدح، والتعبير بالإذهاب والإزالة بالكلية، وحذف مفعول يريد للتعميم لتذهب النفس كل مذهب، ونصب أهل البيت على المدح، والنداء وتعريف البيت العهدى والتعبير بالتطهير الدال على التكثير، وتأكيده بالمصدر، وسيأتى تتمة لهذا.

(وعن أبى سلمة) هو ابن عبد الرحمن بن عوف أحد الفقهاء السبعة كما تقدم، **(عن أبى هريرة)**، رضى الله تعالى عنه، عبد الرحمن بن صخر على الأصح من نحو ثلاثين قولا كما تقدم، وهذا الحديث رواه الترمذى وصححه، وقال: إنه حسن غريب.

(قال: قالوا) أى بعض الصحابة، رضى الله عنهم: **(يا رسول الله! متى وجبت لك النبوة؟)** أى فى أى زمان ثبتت لك إذ لا يجب على الله شىء. **(قال: وآدم بين الروح والجسد)** الجسد والبدن والجسم بمعنى، وهذه الجملة حالية من الجواب المقدر لمتى الزمانية أى ثبتت لى فى هذه الحال، وفى هذا الحديث روايات متعددة صحيحة منها: «إنى عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل فى طينته»[1]، ومنها: متى استنبأت؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد».

وفى رواية: «بين الماء والطين»، وقال ابن تيمية، والزركشى وغيرهما: حديث «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين»، و«كنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين»، لا أصل لهما يعنى بهذا اللفظ.

قلت: ليس معناه أنه موضوع كما توهم، فإنه رواية بالمعنى، وهى جائزة؛ لأنه بمعنى الحديث السابق، ومعنى منجدل، ساقط على الجدالة وهى الأرض، وليس المعنى أنه كان نبيا فى علم الله كما قيل؛ لأنه لا يختص به، بل إن الله خلق روحه قبل سائر الأرواح، وخلع عليها خلعة التشريف بالنبوة إعلاما للملأ الأعلى به، وإذا كانت النبوة صفة لروحه علم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، بعد موته نبىء رسول، ولا يضر انقطاع الأحكام والوحى، وقد أكمل دينه وإنكار ذلك جهل فاحفظه، فإنه نفيس جدا، وهذا هو المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: إن الله تعالى خلق نوره قبل أن يخلق آدم، عليه الصلاة والسلام، بأربعة عشر ألف عام، كما رواه ابن القطان.

وفى رواية: «يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه»، وهذا يؤيد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، مرسل للملائكة كغيرهم، فهذا صريح أن نبوته، صلى الله تعالى عليه

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٩/١)، والطبرى فى تفسيره (٤٣٥/١).

وسلم، ظهرت فى الوجود العينى قبل نبوة آدم وغيره، وأن الملائكة لم تعرف نبيًا قبله، وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم، النبى المطلق، وسائر الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، خلفاؤه، والشرائع شريعته ظهرت على لسان كل نبى بقدر استعداد أهل زمانه، فهو صلى الله تعالى عليه وسلم، أول الأنبياء وآخرهم، ولا يمكن أن يجرى على شريعته قلم نسخ، ولا يكتب على نسخه رسالة حواشى زيادة كما قيل: ابدأ حديثى ليس بالمنسوخ إلا فى الدفاتر.

وقيل: إنه صلى الله تعالى عليه وسلم، سابق على سائر الأنبياء روحًا لما مر، وجسدًا لأن مادة جسده صلى الله تعالى عليه وسلم، خلقت قبل سائر المواد؛ لما روى ابن الجوزى فى الوفاء عن كعب الأحبار أنه تعالى لما أراد أن يخلق محمدًا صلى الله تعالى عليه وسلم، أمر جبريل، عليه الصلاة والسلام، أن يأتيه بالطينة البيضاء، فهبط فى ملائكة الفردوس، وقبض قبضة من موضع قبره بيضاء نيرة، فعجنت بماء التسليم فى معين الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء، لها شعاع عظيم، ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسى والسموات والأرض، حتى عرفته الملائكة قبل أن تعرف آدم، عليه الصلاة والسلام، أى عرفت روحه وعنصره، والبينية فى هذا الحديث الظاهر أن المراد بها عدم الطرفين الروح والجسد، أى لا روح ولا جسد، كما صرح به فى الرواية السابقة: «لا آدم ولا ماء ولا طين»؛ لأنك إذا قلت: مسكنى بين البصرة والكوفة علم أنه ليس بهما، فأريد به لازم معناه بطريق الكناية، وليس المراد أنه قريب منهما كما يقال: لون بين البياض والحمرة، ومزاج بين الصحة والمرض كما قيل، وليس معنى بين الماء والطين أنه لم يكن ماء صرفًا ولا طينًا صرفًا؛ لنبو المقام عنه وعدم ملاقاته لما قررناه، وقد حققنا هذا المقام بما لم نسبق إليه ولله الحمد.

(وعن واثلة بن الأسقع) بمثلثة ولام والأسقع بسين مهملة وقاف وعين مهملة الصحابى الجليل القدر من أهل الصفة، وأسلم رضى الله تعالى عنه، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، متوجه لتبوك، فخدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وشهد مشاهد الشام، وتوفى بدمشق سنة خمس أو ست وثمانين، وله ثمانون سنة، ويكنى أبا محمد، وفضائله لا تحصى نفعنا الله ببركاته ورزقنا زيارته، وهذا الحديث رواه مسلم، وقد تقدم.

(قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل) أى اصطفى إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، واختاره من الأنبياء لشرفه، واصطفى من ولده أى من أولاده إسماعيل، عليه الصلاة والسلام، فهو أفضل من

إسحاق، **(واصطفى)** أى اختار **(من ولد إسماعيل بنى كنانة)**، وهم أربعة النضر وعبد مناف ومالك وملكان، وكنانة علم منقول من كنانة السهام وجعبتها، قال الشاعر:

صاح فى العاشقين بالكنانة   رشا فى الجفون منه كنانة

(واصطفى من بنى كنانة قريشًا)، وهو النضر بن كنانة، وقيل: قريش بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وتقدم سبب تسميته قريشًا.

(واصطفى من قريش بنى هاشم) بن عبد مناف بن قصى بن كلاب، فبنوه مصطفون من قريش.

(واصطفانى من بنى هاشم) بن عبد المطلب.

(ومن حديث أنس، رضى الله تعالى عنه)، ابن مالك بن النضر خادم النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، ودعا له، وأحاديثه والرواية عنه كثيرة مشهورة جدًا، وتوفى سنة ثلاث وتسعين، وقد جاوز عمره المائة، وهذا الحديث والذى بعده أخرجهما الترمذى **(أنا أكرم ولد آدم)** أى أعزهم وأشرفهم، وتقدم أن لفظ ولد يطلق على الواحد المذكور وغيره **(على ربى، ولا فخر)**(١) تقدم معناه.

(وفى حديث ابن عباس، رضى الله عنهما: أنا أكرم الأولين والآخرين، ولا فخر)(٢) قيل: قال فيما مر: فى حديث أنس، ومن حديث أنس، وهنا: وفى حديث ابن عباس إشارة إلى أن الأول بعض حديث طويل، وهذا حديث مستقل، وفيه نظر.

(وعن عائشة، رضى الله عنها)، كما رواه الطبرانى وأبو نعيم والبيهقى فى الدلائل مسندًا **(عنه عليه الصلاة والسلام)** أنه قال: **(أتانى جبريل)** لم يذكر ما أتاه لأجله؛ لأن قوله: **(فقال: قلبت)** بتشديد اللام بمعنى فتشت، وليس المراد به قلبها ظهرًا لبطن، لم يذكر فيه أنه أوحى إليه بهذا **(مشارق الأرض ومغاربها)** جمع مشرق، وهو الجهة التى تطلع منها الشمس، وجمع مغرب وهو مقابله، وجمعهما لأن للشمس فى كل زمان مشرق، أو تشرق بعده من درجة غيره، وكذلك المغرب، وإذا أفردا فباعتبار الجهة وإذا ثنيا فباعتبار المشرق الجنوبى والشمالى، ولذا ورد فى القرآن بالوجوه الثلاثة؛ كما بيناه فى حواشى البيضاوى، واختار الجمع هنا؛ لأنه أنسب للعموم، والمراد أنه فحص عن جميع أهل الأرض مشرقا ومغربا،ونظر أحوالهم كمالا ونقصا، **(فلم أر رجلا أفضل من**

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (١/١٣)، والبغوى فى تفسيره (٤/١٧٨)، وانظر: مناهل الصفا للسيوطى (٢٩)، والدر المنثور (٦/١١٩).

(٢) أورده السيوطى فى الدر المنثور (٢/٥٣٠)، والزبيدى فى الإتحاف (١٠/٤٩٧).

محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم)، الظاهر أن رأى علمية، ونفى الأفضلية يدل على نفى المساواة أيضا، كما بيناه سابقا.

(ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم) الذين هم عشيرته وبيته، فهو خيار من خيار.

(وعن أنس، رضى الله تعالى عنه)، فى حديث الحسن الذى رواه الترمذى، وقد تقدم **(أن النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، أتى بالبراق)** مبنى للمجهول، أى أتاه جبريل، عليه الصلاة والسلام، به ليركبه للإسراء، وقد مر أن البراق بالضم على شكل دابة فوق الحمار دون البغل، سمى به للمعانه وبريقه، أو لسرعته كالبرق الخاطف **(ليلة أسرى به)** ظرف أتى، وهى ليلة سبع عشر رمضان، أو سبع عشر رجب قبل الهجرة وبعد مبعثه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بخمس سنين، أو بخمسة عشر شهرا كما سيأتى فيه، **(فاستصعب عليه)** أى لم ينقد له، وامتنع منه لبعد عهده بركوب الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، لطول زمن الفترة، أو لسبب آخر لقول جبريل له، صلى الله تعالى عليه وسلم: لعلك مسست الصفراء أى الذهب أو صنم أصفر، فقال: إنما مررت عليه، فقلت: تبا لمن يعبدك من دون الله.

(فقال له) أى للبراق **(جبريل عليه الصلاة والسلام: أبمحمد تفعل هذا؟)** الاستصعاب وقدم متعلق الفعل أى أتفعله به دون غيره؟ والاستفهام إنكارى بينه بقوله: **(فما ركبك أحد أكرم على الله منه، فارفض عرقا)** أى سال عرقه كما مر بيانه.

(وعن ابن عباس، رضى الله عنهما)، رواه ابن الجوزى فى الوفاء، وأبو نعيم فى الدلائل، وقال السيوطى: رواه ابن عمر، والعدنى فى مسنده، **(عنه، صلى الله تعالى عليه وسلم: لما خلق الله آدم أهبطنى فى صلبه إلى الأرض)** يعنى أن الله خلق نوره، صلى الله تعالى عليه وسلم، وعنصره الذى عجن بالتسنيم وهو ألطف شىء، فأودعه فى صلب آدم، وأهبطه فيه كما مر، ثم نقله منه بوسائط.

(وجعلنى فى صلب نوح فى السفينة)، فكان ذلك ببركته، صلى الله تعالى عليه وسلم، ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١].

(وقذف بى فى النار فى صلب إبراهيم)، فكانت بردا وسلاما ببركته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وفى المكررة هنا إما لأن الأول بدل منه، أو لأنه مطلق ومقيد كما قرر فى قوله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥]، فينزل ذلك منزلة التغاير، فلا يرد عليه أنه لا يتعدى عامل بحرفى جر بمعنى.

(ولم يزل ينقلنى فى الأصلاب الكريمة) الشريفة **(إلى الأرحام الطاهرة)** من دنس الزنا

ونكاح الجاهلية، وفيه كلام تقدم **(حتى أخرجنى)** إلى الدنيا إذ خلقنى **(بين أبوى)** يعنى أباه عبد الله الذبيح، وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف، واختلف فى زمن موتهما، فقيل: مات أبوه وأمه حاملة به، وقيل: فى المهد، وقيل: وهو ابن شهرين، وقيل: ابن سنتين، ومات عند أخواله بنى النجار، وماتت أمه وقد بلغ سنه خمسا، أو ستا، أو سبعا أو اثنى عشر على اختلاف فيه، **(لم يلتقيا على سفاح قط)** جملة حالية، والمراد بالسفاح نكاح بغير عقد، أو عقد جاهلى، وهذا علمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالوحى، أو لعلمه بأخبار الجاهلية لا بالإلهام كما توهم.

(وإلى هذا) المذكور فى الحديث بجملته **(أشار)** عمه **(العباس، رضى الله عنه، ابن عبد المطلب بقوله)** فيه يمدحه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذا الشعر رواه الطبرانى، وصاحب الغيلانيات، وفى الزاهر لابن قتيبة أن العباس أتى إليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال: أريد أن أمدحك: فأنشده هذه الأبيات، فقال له، صلى الله تعالى عليه وسلم، لا يفضض الله فاك، أو لا يفضى الله فاك، وكان ذلك لما رجع، صلى الله تعالى عليه وسلم: من غزوة تبوك.

(من قبلها طبت فى الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق)

أى من قبل هذه النشأة، أو الدنيا، وقيل: قبل النبوة، أو قبل الولادة، أو قبل كل ذلك، فأعاد الضمير على غير مذكور؛ لعلمه من السياق، والجار متعلق بطبت، وقدم لإفادة أن طيبه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثابت له قبل ظهوره لا بعده فقط، وطبت أى تطهرت من الأدناس البشرية، لطيب عنصره، صلى الله تعالى عليه وسلم، والظلال جمع ظل بمعنى فى ظلال الجنة فى صلب آدم، عليه الصلاة والسلام، قبل أن هبط، وليس المراد به المتعارف الذى تنسخه الشمس إذ لا شمس فى الجنة، ولا قمر، وقد ورد فى الحديث «ظل الجنة سجسج» أى لا حر فيه، ولا برد، بل المراد: الكن والمقر، أو هو كما فى قولهم: أنا فى ظل فلان أى فى حمايته، ومستودع بضم الميم وفتح الدال المهملة يعنى به مكان آدم وحواء من الجنة، كما قال ابن قتيبة هو المحل الذى كان فيه آدم، عليه الصلاة والسلام، من الجنة كأنه وداعة فيه، وفيه إيماء إلى إخراجه منه للأرض، أو أراد به الرحم، وكان أبو عبيدة يقول فى قوله تعالى: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: ٩٨]: المستقر الصلب، والمستودع الرحم، وخصف الورق إلصاق بعضه ببعض، ومنه الخصاف، ويروى حيث يستر الورق يعنى به الجنة، والورق ورق الجنة الذى كان يستتر به آدم، عليه الصلاة والسلام، قبل أن يعلم الحياكة، فلما أهبط إلى الهند تفتت الورق الذى عليه، قيل: ومنه حصل العود والعنبر وغيره من الطيبات، فأوحى الله إليه صنعة

النسج، واتخذ الثياب للسترة.

(ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق)

أى هبطت فى صلب آدم، عليه الصلاة والسلام، من الجنة إلى الدنيا، وهى المراد بالبلاد، والهبوط كما قال الراغب: الانحدار قهرًا وهو متعد، وقال تعالى: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾ [البقرة: ٦١]، ولا يحتاج لتأويله بالدخول كما قيل، والبلاد وإن اختصت بالبنيان فهو باعتبار الأول هنا، ولما كان المراد من هبوطه، صلى الله تعالى عليه وسلم، هبوط نوره قال: لا بشر، وهى جملة حالية، أى فى حال كونك غير جسد كأجساد البشر، والمضغة قطعة لحم بمقدار لقمة تمضغ غير مخلقة، والعلق بفتحتين جمع علقة وهى دم متجمد من المنى.

(بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرًا وأهله الغرق)

النطفة الماء الصافى والمنى فى الأصلاب، والسفين جمع سفينة وهى المركب، أى فى صلب نوح، عليه الصلاة والسلام، لما أغرق الله قومه بالطوفان، وألجم وصل إلى الفم وعلا محلا يوضع فيه لجام الفرس، والنسر طائر معروف سمى به صنم كان يعبده قوم نوح، عليه الصلاة والسلام، وهو المراد هنا، وأهله قوم نوح، والمراد بالغرق الماء المغرق، أو هو على ظاهره، وألجم بمعنى أدرك لأن الإنسان إذا عم الماء فمه منع من الكلام، والسفين المراد به سفينة نوح، عليه الصلاة والسلام، فإن كان مفردا فهو ظاهر، وإلا فهو جمع أريد به واحد تجوزًا، فلا إشكال فيه كما هو ظاهر.

(تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق)

الصالب والصلب والصلب بفتحتين وبضمتين وضم فسكون، ففيه لغات أقلها استعمالاً صالب كما قاله ابن قتيبة، وهو فقار الظهر، والرحم مقر الولد من المرأة، والعالم المراد به هنا قرن من القرون، وبدا بمعنى ظهر ووجد، وطبق بمعنى قرن أيضًا؛ لأنه يطبق وجه الأرض أى لا تزال تظهر فى عالم بعد عالم. يريد إذا مضى قرن بدا قرن آخر. ويروى هنا بيت هو:

وردت نار الخليل مكتنفا تجول فيها ولست تحترق

ومعنى مكتنفًا محفوظًا فى كنف، أو تحيط بك نارها ولست تحترق، وروى مكتمنًا أى مستترًا.

(حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق)

احتوى بالحاء المهملة افتعال من حوى بمعنى حاز، والبيت بمعنى الشرف والنسب

كما مر، والمهيمن بمعنى الشاهد على فضلك، أو الأمين، وخندف بكسر الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة ونون وفاء اسم امرأة إلياس بن مضر، وهو من الخندفة، وهى المشى السريع. والعلياء العز والشرف. وتحتها روى دونها، والمعنى واحد. والنطق بضمتين جمع نطاق، وهو ما يشد فى الوسط كالمنطقة. استعارته العرب لجبال واسعة فوق بعض، وبيتك فاعل احتوى، وهو تمثيل لشرفه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أى أن شرفك، وعلو نسبك، وأصلك من خندف اشتمل على عليا دونها الجبال الشامخة.

وقال ابن قتيبة: فى هذا البيت أقوال: أحدها أنه أعلى قومه، وهم دونه كالنطاق له، والآخر أنه يريد العفاف من نطاق المرأة الذى يحسنها، أى تحتها العفاف والحسب، والثالث: أن النطق المتكلمون جمع ناطق، أى كل خطيب من العرب، فهو دون بلسان قومك، من قوله: بل هم قوم خصمون انتهى، وروى فى هذا الشعر زيادة ذكرها الغسانى، وهى:

(وأنت لما ولدت أشرقت الأر ض وضاءت بنورك الأفق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النـ ـور سبل الرشاد نخترق
يا برد نار الخليل يا سببا لعصمة النار وهى تحترق)

ومعنى نخترق بالخاء المعجمة نقطعها ونجاوزها، وضاء يكون لازمًا ومتعديًا، والأفق الناحية، وأنثه هنا لتأويله بها، قال العارف بالله ابن عربى: ذهب بعضهم إلى أن عالم الأجسام من وقت خلقه لم يزل فى سفر إلى ما لا نهاية له، فإذا لاحٍ له منزل يقول هذا هو الغاية القصوى، فإذا وصلت إليه لم يلبث أن يخرج منه راحلاً، فكم سافرت فى أطوارك إلى أن تكونت بين أبيك وأمك إذا اجتمعا من أجلك، ثم انتقلت إلى نطفة وعلقة إلى مضغة إلى عظم كسى لحمًا، ثم أنشئت نشأة أخرى، وأخرجت إلى الدنيا، فتنقلت فى أطوارك من الطفولية والصبا والشباب إلى الكهولة والشيخوخة إلى الهرم، ومنه إلى البرزخ، ثم إلى الحشر، ثم إلى دار القرار. انتهى من كتاب الأسفار له.

(وروى عنه، صلى الله تعالى عليه وسلم)، وهذا الحديث مشهور رواه أبو ذر وغيره، وأخرجه أحمد والبزار والبيهقى عن ابن عمر، وأخرجه الطبرانى وأبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس، وأحمد والبزار وابن أبى شيبة والبيهقى عن أبى هريرة، وأخرجه الشيخان عن جابر بن عبد الله، فأخرجوه عن جماعة من الصحابة بين رواياتهم مغايرة فى بعض الألفاظ، وقد ساقها كلها، وذكر رواية كل واحد منه على حدة الشيخ قاسم بن قطلوبغا فى تخريجه لأحاديث هذا الكتاب، كما رأيته بخطه، ولولا خوف الإطالة أوردت كلا منها على حدة.

وإلى هذا أشار المصنف بقوله: (**أبو ذر وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وجابر بن عبد الله**) بن عمرو بن حزام الأنصارى، روى كل واحد من هؤلاء عنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**أنه قال: أعطيت خمسًا، وفى بعضها**): أى فى بعض طرق هذا الحديث المعلومة من تعدد رواياتها (**ستا**) أى ست خصال وخصائص، ولذا حذف التاء مع أنه غير لازم إذا لم يذكر المعدود، (**لم يعطهن نبى قبلى**)، ولا رسول؛ لأن نفى الأعم يستلزم نفى الأخص، ولا تنافى بين الراويتين إن قلنا: إن مفهوم العدد غير معتبر، وإن قلنا به فنقول: إنه صلى الله تعالى عليه وسلم، اطلع أولاً على بعض خصائصه، فأخبر به، ثم اطلع على باقيه فأخبر به ثانيًا، وروى «أحد قبلى»، أى لم يعط واحدة منهن أحد.

(**نصرت بالرعب مسيرة شهر**): أى نصرنى الله تعالى على أعداء الدين الكفرة بالرعب بضم الراء المهملة المشددة، وهو شدة الخوف الذى ألقاه الله فى قلوبهم، فإذا سمع بى من بينى وبينه مسيرة شهر ارتعد، وخاف من غزوى له، وإنما خص مسافة شهر وإن خافه من هو أبعد منه؛ قيل: لأنه لم يكن بينه صلى الله تعالى عليه وسلم، وبين من أظهر العداوة له أكثر من ذلك، وقد قال ذلك فى غزوة تبوك آخر غزواته وأبعدها، فما ذكر بيان لما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم حال تكلمه، فلا ينافى الزيادة، وهذا من خصائصه حتى لو سار وحده بغير عسكر أرعب أعداءه، وقد وقع هذا لبعض خلفائه، ومن اتقى الله من أمراء الإسلام فهذه الخاصة بالنسبة لمن قبله من الأمم، وعليه يحمل رواية: «لم يعطهن أحد»، أو نقول: إن ذلك لا يتيسر لغيره، أو فعل أتباعه كفعله.

(**وجعلت لى الأرض مسجدًا وطهورا فأيما**)، وفى رواية: وأيما بالواو بدل الفاء (**رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل**) قال العلامة الزركشى فى أحكام المساجد: قال القاضى عياض: هذا من خصائص هذه الأمة؛ لأن قبلنا كانوا لا يصلون إلا فى موضع تيقنوا طهارته، ونحن خصصنا بجواز الصلاة فى جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته، وقال القرطبى: هذا مما خص الله به نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم، وكانت الأنبياء قبله إنما أبيحت لهم الصلاة فى مواضع مخصوصة كالبيع والكنائس، وقاله المهلب فى شرح البخارى المخصوص به جعل الأرض طهورا، وأما كونها مسجدًا فلم يأت فى أثر أنها منعت من غيره، وقد كان عيسى، عليه الصلاة والسلام، يسيح فى الأرض، ويصلى حيث أدركته الصلاة، فكأنه قال: جعلت لى الأرض مسجدًا وطهورا، وجعلت لغيرى مسجدًا و لم تجعل طهورا، انتهى.

أقول: حاصله أنه لو كان كل منهما مخصوصًا به وبأمته لزمه إشكال، وهو أن الأنبياء السالفة وأممهم كانت لهم صلاة مفروضة، وكانوا يسافرون، فلو لم تجز لهم

الصلاة إلا فى مساجدهم، لزمهم إما ترك الصلاة، أو عدم صحتها، وهو مخالف للظاهر، فأجابوا عنه بالوجوه المذكورة، وهو أن الخاص بهذه الأمة مجموع الأمرين، لا كل واحد منهما، أو جعل جميع الأرض مسجدًا حتى تيقن نجاستها، وهم لم تحل لهم الصلاة إلا فيما تيقن طهارته، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧]، كما فى بعض التفاسير، فقوله: فأيما رجل إلى آخره معناه على ظاهره، أو ما لم تيقن نجاسته، ولك أن تقول: إنه مخصوص بغير حال السفر والضرورة؛ لأن الضرورات تبيح المحظورات كقصر الصلاة، ويؤيده جعله قرين التيمم المخصوص بالضرورة، وهذا أقرب، ثم إن طهارة التيمم حكمية لا حقيقية كما بينه الفقهاء.

وفى قوله: الأرض دون التراب نصرة لمن جوز التيمم بجميع أجزاء الأرض، و لم يخصه بالتراب، وهو المناسب للمقام، وإن خصه الشافعى، رحمه الله تعالى، بالتراب لرواية: وتربتها طهورًا، والمطلق يحمل على المقيد، وتخصيص الرجل غير وراد لدخول النساء فى هذا الحكم أيضًا، وإنما خصوا بالذكر؛ لأنهم الأصل، ويعلم النساء بالطريق الأولى، ومعنى أدركته الصلاة أدركه وقتها إذا دخل، ولا ينافيه أيضًا النهى عن الصلاة فى بعض الأماكن؛ لثبوت المنع فيه بدليل آخر، والمراد بالأرض جميعها لا مكة وما حولها، ولا ما رأى به مسجدًا أو محلاً للصلاة، وقوله: فأيما إلى آخره؛ لدفع توهم أنه مخصوص به، صلى الله تعالى عليه وسلم، وحده.

(وأحلت لى الغنائم، ولم تحل لنبى قبلى) تحل بفتح التاء المثناة الفوقية وكسر الحاء المهملة، وروى بضم التاء وفتح الحاء، وكان من قبله، صلى الله تعالى عليه وسلم، من الأنبياء، منهم من لم يؤذن له فى الجهاد، فلم تكن له مغانم، ومنهم من أذن له فيه، و لم يؤذن له فى الأكل منها، فكانت الغنائم تجمع فى محل، فتأتى النار من السماء، فتحرق ما تقبل منه على ما مر بيانه، وكانت فى صدر الإسلام تحل له، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقط، ثم أمر بعد ذلك بتخميسها كما بينه الفقهاء، والغنائم جمع غنيمة ما يؤخذ من الكفار بقتال ونحوه، والفىء ما حصل منهم بدون ذلك.

(وبعثت) بالبناء للمجهول بمعنى أرسلت، وطوى ذكر الفاعل للعلم به أى أرسلنى الله **(إلى الناس كافة)** المراد بالناس جميعهم، أو ما يشمل الإنس والجن كما مر. وروى إلى الخلق كافة، وكافة حال بمعنى جميعًا، وفى إرساله صلى الله تعالى عليه وسلم، للملائكة كلام سيأتى، وعموم البعثة مخصوص به، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالأحاديث الصحيحة، ومر أنه لا يرد عليه أن نوحًا، عليه الصلاة والسلام، كان مبعوثًا **لأهل الأرض بعد الطوفان؛** لأنه لم يبق إلا من كان مؤمنا معه، وقد كان مرسلاً إليهم؛

لأن هذا العموم لم يكن فى أصل بعثته، وإنما اتفق لحادث اقتضى انحصار الخلق الموجودين على أن إرساله، عليه الصلاة والسلام، إنما كان لقومه، ولم يأت ما يدل على عموم رسالته، وأما دعاؤه على جميع أهل الأرض وإهلاكهم، فلا يدل على ذلك؛ لجواز أن يرسل غيره فى مدته، ولم يؤمنوا به، فلذا دعا عليهم.

قال ابن حجر: هذا جواب حسن إلا أنه لم ينقل أنه نبئ فى زمنه غيره، ويحتمل أن خصوصيته ببقاء شريعته إلى يوم القيامة بحيث لا ينسخها غيرها، ويحتمل أنه دعا الناس للتوحيد فأشركوا واستحقوا العقاب، والدعوة للتوحيد يجوز أن تعم، وإن كانت فروع شريعته غير عامة كما قاله ابن دقيق العيد.

وأشار إليه ابن عطية فى سورة هود، أو أنه لم يكن فى عهده غير قومه وأولاده كآدم، عليه الصلاة والسلام، فلا يرد نقضا على هذه الخصوصية ما ذكر.

(وأعطيت الشفاعة) اللام إما للعهد، فالمراد الشفاعة العظمى فى فصل القضاء لأهل الموقف أجمعين بعد مراجعة سائر الأنبياء، وإظهارهم العجز، فيأتونه صلى الله تعالى عليه وسلم، فيشفع وتقبل شفاعته، وهو المقام الأعلى، أو هى للاستغراق كأنت الرجل أى الشفاعة الكاملة، وله صلى الله تعالى عليه وسلم، شفاعات كثيرة شاركه فى بعضها بعض الأنبياء، كشفاعته فى قوم يدخلون الجنة بغير حساب، وهذه مخصوصة به، وشفاعته فى قوم استحقوا دخول النار، فلا يدخلونها، وفى بعض أهل النار فيخرجون منها، وفى تخفيف عذاب بعض أهل النار كأبى طالب، وشفاعته لمن مات بالمدينة ومن صبر على لأوائها، وشفاعته لمن صلى عليه بعد الأذان وغير ذلك مما ورد فى الأحاديث الصحيحة.

(وفى رواية بدل هذه الكلمة) أراد بالكلمة قوله: وأعطيت الشفاعة، وسماها كلمة وهى تطلق على الجمل، وفى نسخة الكلمات **(وقيل لى: سل تعطه)** أى قال الله، أو حذف الفاعل للعلم به، وقيل له ذلك لما انحصرت الشفاعة فيه، ولم يلتزمها أحد من الرسل، فقال: أنا لها وخر تحت العرش ساجدًا، فقال له الله: ارفع رأسك يا محمد، وقل تسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، وفيه كمال الأدب إذ لم يسأل حتى أذن له فى السؤال وأمر به، وهذا فى القيامة، ويحتمل أنه إشارة إلى ما فى الإسراء، كما سيأتى فى حديث ابن وهب وأصل سل اسئل، فخفف بنقل حركة الهمزة وإسقاطها وإسقاط همزة الوصل، وفى حذف المفعول عموم كرم أى سل كل ما تريد تعط أكثر مما تسأل، وتعط مجزوم فى جواب أمر، والهاء للسكت أو ضمير عائد على مقدر.

(وفى رواية أخرى: وعرض على أمتي، فلم يخف على التابع من المتبوع) أى الشريف والوضيع، ويحتمل أن الله عرض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم، بالوحى تفصيل أحوالهم وذواتهم وصفاتهم، وسائر تصرفاتهم فى زمنهم، أو أنه أبرزهم له حقيقة فوجًا فوجا متلبسين بأعمالهم على وجه لا نقف على حقيقته، وذكر العراقى فى شرح المهذب، أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، عرضت عليه الخلائق من لدن آدم إلى قيام الساعة، فعرفهم كلهم كما علم آدم الأسماء كلها.

وروى الطبرانى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: إن الله تعالى قد رفع لى الدنيا، فأنا أنظر إليها وإلى ما هو كائن فيها إلى يوم القيامة، كأنما أنظر إلى كفى هذه، وحديث حذيفة الطويل المذكور فيه الفتن، وما يكون فيها مطول، ذكره العراقى قال فيه: ما ترك فيه شيئًا إلا سماه باسمه واسم أبيه وقبيلته إلى يوم القيامة، ومنه أخذ الجفر والجامعة الذى رواه جعفر الصادق عن على، رضى الله تعالى عنه، وإن توقف بعضهم فى صحته كما ذكره ابن خلدون فى أول تاريخه.

(وفى رواية: بعثت إلى الأحمر والأسود) أى إلى جميع الناس، أو جميع الجن كما يكنى عن مثله بالعرب والعجم، أى إلى كل فرد فرد، والمقصود عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم، للجن والإنس، وفيه رد على من زعم من أهل الكتاب أن بعثته، صلى الله تعالى عليه وسلم، مخصوصة بالعرب كالعيسوية؛ لأنه يعود بالنقض عليهم إذ يقال لهم: إذا اعترفتم بنبوته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وجب تصديقه فيما قاله، وقد صح عنه أنه قال بعموم رسالته.

وأشار المصنف، رحمه الله تعالى، إلى معناه بقوله: **(قيل: السود)** جمع أسود، وفى نسخة الأسود: **(العرب)** وهذا مذكور فى الحديث معنى، لأن تعريف الأسود ليس للعهد، بل للاستغراق، فهو بمعنى السود، بين علته فقال: **(لأن الغالب على ألوانهم)** أى العرب **(الأدمة)** بضم الهمزة وسكون الدال المهملة، وهى فى الآدميين السمرة، وفى الطعام بياض يشوبه سمرة، **(فهم من السود)** أى فهم المقصودون من قوله: الأسود الذى بمعنى السود كما عرفته، **(والحمر)** جمع أحمر وعبر عن الأحمر بالحمر لما مر.

(العجم) أى المراد بهم فى الحديث العجم، والمراد بهم من عدا العرب، وقد يخص بأهل فارس، ولم يعلله لغلبته أى لغلبة الحمرة عليهم، فاعتبر الغالب لأن النادر لا حكم له، لأن القلة أخت العدم، ولذا لم يعبر بها عنها.

(وقيل البيض) جمع أبيض يعنى قيل: المراد بالحمر البيض أى بالأحمر الأبيض، لأن

العرب تقول امرأة حمراء بمعنى بيضاء، وقال ثعلب: العرب لا تقول أبيض من بياض اللون، فإذا أرادوه قالوا: أحمر، والأبيض عندهم النفى من العيوب، قال ابن الأثير: وفيه نظر فإنهم قد استعملوا الأبيض فى ألوان الناس وغيرهم، وهو اعتراض وارد، وما قيل من أن مراده أنه لا يستعمل فى محل اللبس كما هنا، فإنه لو قال: بعثت إلى الأبيض، لتوهم أنه أريد به السالم من العيوب لا يجدى نفعا، وكيف يراد المجاز من غير قرينة؟

(وقيل: البيض والسود من الأمم، وقيل: الحمر الأنس، والسود الجن)، وهذا مبنى على ما فى مخيلتهم من أنهم سود.

(وفى الحديث الآخر عن أبى هريرة) الذى رواه البخارى ومسلم وأورده لما فيه من الزيادة على قوله: **(نصرت بالرعب)** قوله: **(وأتيت جوامع الكلم)** جمع جامعة لجمعها الحكم والمنافع فى لفظ قليل، والكلم اسم جنس جمعى للكلمة لا جمع ولا اسم جمع على الأصح، وهو من إضافة الصفة للموصوف، وفسرت بالقرآن **لما فى** جمعه من المعانى فى ألفاظه الموجزة، وقيل: المراد كلماته الموجزة المتضمنة للحكم والمنافع، وفى نسخة: **(وخواتمه)**، فقيل: هى بمعنى الجوامع، وقيل: التى ختم بها الكلام، فلا يأتى بعدها ما يقرب منها لعدم الحاجة له.

(وبينا أنا نائم) أصله بين فأشبعت فتحتها حتى صارت ألفًا، وهو ظرف زمان كبينما المتصلة بما المزيدة، ويجىء بعدها إذ كقوله: **(إذ جىء)** بالبناء للمجهول أى جاءنى ملك أرسله الله، وإذ للمفاجأة، وهو جواب لها ويغلب بعدها، كقوله[1]:

استقدر الله خيرا وارضين به فبينما العسر إذ دارت مياسير

وقد تخلو عنها كقولك: بينا أنا جالس دخل على عمر، وهى مضافة لجملة. أنا نائم، وقيل: مضاف لمحذوف تقديره بين أوقات النوم موجود كما فصله أهل العربية.

(بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت فى يدى) بتشديد الياء مثنى مضاف، أو بالتخفيف مفرد، ومفاتيح جمع مفتاح وهو آله يفتح بها الأقفال معروفة، والخزائن جمع خزينة أو خزانة، وهى ما يدخر فيه المال والأمور النفيسة لتحفظها، والمراد ما فى الأرض من الكنوز والأموال، فإما أن يكون رأى فى رؤيا نومه ملك الرؤيا وضع فى يده مفاتيح

(١) البيت من البسيط، وهو لحريث بن جبلة أو لعثير بن لبيد فى الدرر (٣/١٠٠، ١١٨)، شرح شواهد المغنى (١/٢٤٤)، لسان العرب (٤/٢٩٣)، وبلا نسبة فى جواهر الأدب (ص٢٩٤)، خزانة الأدب (٧/٦٠)، درة الغواص (ص٧٣)، رصف المبانى (ص٢٣٨)، شرح شذور الذهب (ص١٦٤)، الكتاب (٣/٥٢٨)، لسان العرب (٥/٧٦)، اللمع (ص٢٧٤)، مجالس ثعلب (١/٢٦٥).

حقيقة، وقال له: هذه مفاتيح خزائن الأرض أرسلها الله إليك، ورؤيا الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وَحْيٌ تقع بعينها تارة، وتعبر بما يحكيها أخرى، وظاهر تعبيره أن أمته تملك الأرض ويجبى لهم أموالها، وفى المواهب اللدنية أنها خزائن من أجناس العالم بقدر ما يطلبون، فإن الاسم الإلهى لا يعطيه إلا محمدًا صلى الله تعالى عليه وسلم الذى بيده مفاتيح الغيب التى لا يعلمها إلا هو، فالمراد أن الله خصه بتمكين أمته من الأرض، ويحتمل أن الملك أخبره وقال له ذلك، فيكون استعارة لما مر، والقول بأن المراد العناصر وما يتولد منها، وأنه لم يقبل ذلك تعسف، وكونه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقبله يأباه عده خاصية له، بل قبله فإن عطاء الكريم لا يليق رده، ولكنه ادخره لأمته.

(وفى رواية) لمسلم **(عنه)** أى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه: **(وختم بى النبيون)** أى جعلنى خاتمهم وآخرهم، وحتى لا يبعث نبيا بعده غيره فلا يرد عيسى عليه الصلاة والسلام ومجيئه آخر الزمان؛ لأنه يجىء على أنه من أمته أيضا، وأما الخضر فعلى تقدير نبوته معناه: فلم ينبأ بعده، وفى هذا الختم تكريم له حيث لا ينسخ شريعته، ولا يطول مكث أمته فى الثرى، وإشارة إلى أن دينه كامل جامع لجميع الكمالات لا يحتاج إلى ملة أخرى

(تتمه) وما روى من قوله «لا نبوة بعدى إلا ما شاء الله» الاستثناء لا يقتضى وقوع مشيئته على فرض صحته، والمنفى النبوة لا النبى، فيحتمل أن الذى تحت المشيئة الرؤيا الصالحة لأنها جزء من أجزاء النبوة.

(وعن عقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه) وهو أبو أسد أو أبو حماد أو أبو عمر الجهنى الصحابى الفصيح السيد الجليل، توفى بمصر سنة ثمان وخمسين، وهذا الحديث رواه الشيخان وأبو داود والنسائى **(أنه قال)** عقبة: **(قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أنا فرطكم على الحوض)** الفرط بفتحتين، والفارط الذى يتقدم القوم ليهىء لهم فى منازل أسفارهم الماء والكلأ ونحوه مما يحتاجون له، ويقال: رجل فرط وقوم فرط أيضا، وفى الدعاء للطفل الميت: اللهم اجعله فرطا أى أجرا يتقدمنا حتى نرد عليه والحوض هو حوضه صلى الله تعالى عليه وسلم الذى يسقى منه عطاش أمته يوم القيامة، وعلى متعلقة بفرط أو حال من الضمير فيه؛ لأنه صفة مشبهة.

وهل الحوض الكوثر أم غيره؟ اختلف فيه، وعليه أوانٍ كالنجوم، وفى الحديث بلاغة بديعة إذ المراد أن موته صلى الله تعالى عليه وسلم قبلهم فيه مصيبة عظيمة، هى سبب دخولهم الجنة وأجر عظيم، فشبههم بقوم مسافرين، وشبه نفسه بمن تقدمهم لنفعهم. والفرط من سبق للماء كما مر. فذكر الحوض فيه مناسبة عظيمة، وأن متاع الدنيا قليل

فهم على أثره صلى الله تعالى عليه وسلم واردون جمعنا الله به وسقانا من يده شربة لا نظمأ بعدها.

(وأنا شهيد عليكم) شهيد بمعنى شاهد قال الله تعالى: **(ويكون الرسول عليكم شهيدا)** أى يوم القيامة، فإن الله تعالى يسأل الرسل: هل بلغتم؟ فيقولون: نعم فيقول لأممهم: هل بلغوكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول للرسل: من يشهد لكم؟ فيقولون: أمة محمد، فيشهدون بتبليغهم، وهذا هو قوله: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ويشهد لهم صلى الله تعالى عليه وسلم بصدقهم ويزكيهم على ما مر بيانه، وهذه شهادة لهم ولكنه عداها بعلى حثًا على الطاعة؛ لأنه رقيب عليهم ومهيمن.

(وإنى والله لأنظر إلى حوضى الآن) أى أشاهده الآن لأن الجنة والنار موجودتان الآن، وتأكيده بإن والقسم يقتضى أنها رؤية بصرية حقيقية؛ لانكشاف الغطاء عن بصره الحائل عن رؤيته، وليس بطريقه الكشف ونحوه، وفى هذا بيان لما مر؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم، لما قال: أنه فرط على الحوض حقق ذلك بأنه مشاهد له لا شبهة فيه، والآن مبنى على الفتح، ولا يستعمل إلا بالألف واللام.

(وإنى قد أعطيت مفاتح خزائن الأرض) تقدم قريبًا بيانه.

(وإنى والله ما أخاف عليكم) الصحابة أو معاشر الأمة **(أن تشركوا بعدى)** أى من أن تكفروا بعد موتى، فمن مقدرة لأنها تحذف هنا قياسا مطردا؛ لأن من ذاق حلاوة الإيمان لا يرجع عنها، **(ولكنى أخاف عليكم أن تنافسوا فيها)** أى فى الدنيا، أى أخاف عليكم من رغبتكم فى نفائس الدنيا، وانهماككم فى تحصيلها، حتى يؤديكم ذلك إلى الهلاك، وارتكاب ما يلهيكم عن الله تعالى. وهذا تنبيه لهم على أنهم لا تلهيهم الخزائن عن المعاد.

(وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما) كما رواه عنه الإمام أحمد بسند حسن **(أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: أنا محمد النبى الأمى)** هو الذى لا يقرأ ولا يكتب نسب لأمه؛ لأنه كان على حاله يوم ولدته أمه، أو إلى أم القرى؛ لأن الكتابة كانت عزيزة فى أهلها، أو إلى أمة العرب، وهذه الصفة فى حقه صلى الله تعالى عليه وسلم من أجل النعم عليه وأعظمها إذ أعطاه علم الأولين والآخرين، وحفظه الكتاب الذى لم يعادله كتاب، وهو لا يقرأ ولا يكتب ولم يدارس ولم يلاق أحدًا له شغل بذلك.

(تنبيه) كون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أميًا من معجزاته الشريفة الباهرة كما

تقدم مبسوطا غير مرة، وأشار إليه البوصيرى رحمه الله تعالى فى قوله[1]:

كفاك بالعلم فى الأمى معجـزة

وهذا كان فى أول أمره إلا أن بعضهم ذهب إلى أنه بعد ذلك قرأ وكتب من غير تعلم، وهو معجزة أخرى. إلا أن الجمهور على خلافه كما ذكره الحافظ ابن حجر فى تخريج أحاديث الرافعى، وقال ابن عربى فى سراج المريدين: رحل أبو الوليد الباجى وأبعد رحلته، فلما عاد قرأ البخارى وقال فى درسه: إنه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الحديبية محى الكتاب وكتب بيده ألا ترى أنه قال: فأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الكتاب، وليس يحسن الكتابة، فكتب هذا ما قاضى إلى آخره، فابتدر رجل مغربى وصاح فى المجلس: إنه زنديق إلا أن الأمير كان متفننا، فدعا الفقهاء وسألهم فشنعوا عليه وقالوا: إنه كفر، فاستظهر الباجى بالحجة عليهم، وقال: إن هؤلاء جهلة فاكتب إلى علماء الآفاق، فكتب إلى علماء أفريقية وصقلية، فجاءت الأجوبة بتصديق الباجى إلى آخر ما فصله، ورأيت فى بعض الكتب أنه مما يدل على ذلك أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لكاتبه: طول السنان.

وقوله تعالى: ﴿**وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ**﴾ [العنكبوت: ٤٨] قوله: ﴿**مِن قَبْلِهِۦ**﴾ يدل على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد ذلك كان يكتب نادرًا فاعرفه.

وقوله: (**لا نبى بعدى**) تقدم بيانه.

(**أوتيت جوامع الكلم وخواتمه**) تقدم معناه ولفظه، وإنما كرره هنا ليبين أنه مع كونه أميا أوتى ما لم يؤته أحد ممن أفنى عمره فى القراءة والكتابة.

(**وعلمت**) بضم العين المهملة وسكون اللام المشددة أو بفتحها وتخفيف اللام (**خزنة النار**) جمع خازن ككتبة وكاتب، وهم الملائكة الموكلون بها، (**وحملة العرش**) جمع حامل وهم الملائكة يعنى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم علم ما لم يعلمه غيره بمشاهدته لهم. ألا ترى ما ورد فى الأحاديث من وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم لهم، وبيان هيئاتهم مما كان له رأى عين، وحملة العرش اليوم أربعة، ويوم القيامة ثمانية كما نطق به القرآن العزيز.

(**وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما**) كما رواه أحمد بسند حسن: (**بعثت بين يدى الساعة**) أى القيامة سميت ساعة؛ لأنها عند الله قليلة تشبيها لها بالساعة التى هى جزء

(١) يأتى تخريجه البيت كاملاً إن شاء الله.

من أجزاء الزمان، وقال الراغب: لسرعة الحساب فيها، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، أو لما نبه عليه بقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقيل: الساعات التى هى القيامة ثلاث ساعات، الكبرى وهى بعث الناس للحساب، والوسطى وهى موت أهل القرن الواحد، والصغرى موت كل إنسان، وقد وردت الساعة بهذه المعانى فى الحديث، والمراد هنا الأولى، والمراد بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم بين يديها أنه قريب منها، ففيه استعارة مكنية. وفى الحديث «أنا والساعة كهاتين»، يشير بالوسطى والسبابة. وفيه إشارة إلى بقاء دينه صلى الله تعالى عليه وسلم، وعدم نسخه، ولأجل هذا ذكره المصنف رحمه الله تعالى.

(**ومن رواية ابن وهب**) من تبعيضية أتى بها إشارة إلى أنه بعض من حديث الإسراء الطويل الذى رواه البيهقى فى الدلائل وغيره عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه، وابن وهب هو عبد الله أبو محمد بن وهب بن مسلم الفهرى المصرى أحد الأعلام فى الحديث وغيره روى عن مالك والليث وخلق كثير، وروى عنه خلق كثير، وكان أفقه من ابن القاسم، وطلب للقضاء فتجنن وانقطع إلى أن مات سنة سبع وتسعين ومائة، والجار والجرور خبر مقدم لقوله: (**أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال : قال الله تعالى**) له صلى الله تعالى عليه وسلم حين كلمه بغير واسطة فى الإسراء، كما يدل عليه سياق الحديث (**سل يا محمد**) حذف أحد مفعوليه للتعميم، أى كل ما تريد، والآخر للعلم به فإنه لا مسئول سواه، ولدلالة قوله: (**فقلت: ما أسأل يا رب**) عليه، ورب بكسر الباء وضمها، ولم يقل أسألك تأدبا يعنى أن جميع الكلمات استودعتها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله، فلم يبق ما يختص به حتى يسأله، ثم فصل بعض ما أجمله فقال: (**اتخذت إبراهيم خليلا**) أى اصطفيته وخصصته بالخلة وكرامتها، وسيأتي تحقيقها، (**واتخذت موسى كليما**) أى اصطفيته وفضلته بأن كلمته بنفسك بكلامك القديم قبلى، فلا يرد أنه كلمه أيضا، (**واصطفيت نوحا**) أى فضلته على غيره بأن جعلته أول رسول أهلك من عصاه، كما قال الله تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ [آل عمران: ٣٣]، فهو أبو البشر وأول الرسل، (**وأعطيت سليمان ملكا لا ينبغى لأحد من بعده**) أى لا يتيسر لأحد غيره من الرسل الملوك؛ لتسخير الجن والإنس والريح، وملك الدنيا كلها بعظمة ألبسته **إياها من عظمتك**.

(**فقال الله تعالى له**) صلى الله تعالى عليه وسلم (**ما أعطيتك خير من ذلك**) كله، وهو مبتدأ وخبر بينه بقوله: (**أعطيتك الكوثر**) فوعل من الكثرة، وذكر البيضاوى فيه سبعة

أقوال: أشهرها أنه نهر فى الجنة أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل فى وسط الجنة، حصباؤه الدر والياقوت، وقيل: هو القرآن، وقيل: هو النبوة، وقيل غير ذلك مما تقدم.

(وجعلت اسمك مع اسمى) أى مقرونا باسمى فى التشهد والأذان وكلمه الشهادة وغير ذلك، ولذا قال: **(ينادى به فى جوف السماء)** أى تنادى الملائكة عليهم الصلاة والسلام باسمى وتصلى عليه لأمر الله لهم بذلك، أو لما رأوا من منزلته صلى الله تعالى عليه وسلم وقربه من ربه، وكتابة اسمه على ساق العرش، وتفسير السماء هنا بالأمكنة العالية كمنارة الأذان كما قيل لا وجه له.

(وجعلت الأرض طورا لك ولأمتك)؛ لأن الله تعالى شرفها بك، فكانت طاهرة مطهرة، وهذا من خواص هذه الأمة تسهيلاً لها، وما أحسن قول ابن رشيق القيروانى:

سألت الأرض لم كانت مصلى ... ولم كانت لنا طهرا وطيبا
فقالت غير ناطقة لأنى ... حويت لكل إنسان حبيبا

وقد تقدم هذا الحديث وشرحه.

(وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) أى لو صدر كان مغفورا، فلا ينافى هذا عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم، أو المراد بالذنب التقصير وإن لم يكن صغيرة ولا كبيرة، وإعلامه بمغفرة كل مقدم ومؤخر تشريفا وتطمينًا لقلبه صلى الله تعالى عليه وسلم.

وقد قال العز بن عبد السلام: إن هذا من خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم، ولم يلقه الله لغيره من الأنبياء، ولذا قالوا فى الموقف: نفسى نفسى، وإلى هذا أشار بقوله: **(فأنت تمشى فى الناس مغفورا لك، ولم أصنع ذلك لأحد قبلك)** فليس المراد بأحد غير الأنبياء كما قيل.

(وجعلت قلوب أمتك مصاحفها) أى مننت عليك بأن جعلت فى أمتك حفظا لم يكن فى غيرها من الأمم السالفة، حتى أن من كان يحفظ التوارة وغيرها من الكتب الإلهية أفراد معددون فى كل عصر، وحفظة القرآن والحديث من هذه الأمة لا يحصون فى كل عصر، والمصحف ما كان جامعا للصحف المكتوبة، وجمعه مصاحف، ثم خص بالصحف المكتوب فيها القرآن، وقد قيل: إنه لفظ حدث فى الإسلام، وكونه معربا من اللغة الحبشية لا أصل له، وهذا تشبيه بليغ، أى جعل قلوبهم كالمصاحف التى تحفظ القرآن. وقيل: إنه استعارة تصريحية، وله وجه وفى رواية: صدور، بدل قلوب، وهذا بناء على أن محل الحفظ والإدراك القلوب، وإضافته للصدور لأنها محله، والحكماء

يقولون: إن محل الحفظ الخيال الذى هو خزانة الحس المشترك فى الدماغ، وأهل الشرع والمتكلمون من أهل الإسلام لم يثبتوا الحواس الباطنة مع أن كلام الحكماء مضطرب فيها، وفى محالها كما ذكره الجلال الدوانى فى شرح هياكل النور، وليس هذا محل تفصيلها.

(**وخبأت**) بخاء معجمة مفتوحة وموحدة وهمزة أى أخفيتها وأخرتها إلى يوم القيامة (**شفاعتك**)المراد بها الشفاعة العظمى فى فصل القضاء، ونحوها من الشفاعات الخاصة به، كما تقدم، (**ولم أخبأها لنبى غيرك**)، وفى نسخة: قبلك، وإن كان لهم شفاعات غير هذه.

(**وفى حديث آخر رواه حذيفة**) بن اليمان العبسى الصحابى رضى الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم توفى سنة ست وثلاثين، وهذا الحديث رواه ابن عساكر فى تاريخه عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: (**بشرنى يعنى ربه**)، ولم يذكر الفاعل فى أصل رواية هذا الحديث للعلم به، كما فى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢].

(**أول من يدخل الجنة**) مبتدأ ومن موصولة وجملة يدخل صلته، (**ومعى**) ظرف متعلق به، و(**من أمتى**) حال من عائد من المستتر تحت يدخل (**سبعون ألفا**) خبره (**مع كل ألف سبعون ألفا ليس عليهم حساب**) صفة سبعون أو حال منه أى لا يحاسبون ولا يناقشون، بل يؤمر بإدخالهم الجنة تكريما لهم، وقوله: مع كل ألف سبعون ألفا جعلهم معهم؛ لأنهم أتباعهم وذراريهم. قوله: وليس إلى آخره صفة للألف الثانية، فيعلم منه عدم محاسبة الأولى بالطريق الأولى. وفى البخارى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال ذلك دخل بيته، فخاض الصحابة فى هؤلاء، فقيل: لعلهم الذين صحبوه، وقيل: لعلهم الذين ولدوا فى الإسلام، ولم يشركوا، إلى غير ذلك، فخرج عليه السلام وسألهم عما خاضوا فيه، فأخبروه فقال: «هم الذين لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون»[(١)]، فقام عكاشة رضى الله عنه فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم. فقال: أنت منهم، ثم قام آخر فقال مثل ذلك، فقال عليه السلام: سبقك بها عكاشة.

وفى الحديث أيضا: «وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا مع كل ألف سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب، وثلاث حثيات من حثيات ربى»[(٢)]. رواه ابن

(١) أخرجه البخارى (٧/١٦٣، ١٧٤)، ومسلم فى الإيمان (٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣)، والترمذى (٢٤٤٦)، وأبو عوانة (١/٨٦).

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٦)، والترمذى (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦).

أبى شيبة والطبرانى، وقد حسب ما فى الحديث، فبلغ أربعمائة ألف ألف وسبعمائة ألف، وفى هذا الحديث كلام ذكره ابن القيم فى حادى الأرواح.

(وأعطانى أن لا تجوع أمتى) أى أن لا تبتلى بالجدب والقحط حتى يهلكوا عن آخرهم ويستأصلوا جميعهم، فلا ينافيه ما وقع فى بعض الأزمنة فى بعض الأقطار بخصوصها إذ لم يعم ولم يستمر، **(ولا تغلب)** بضم المثناة الفوقية أى الأمة جميعها أو تستمر مغلوبيتها، أو هذا مشروط بإطاعته، فإذا بدلوا وغيروا خرجوا عن إضافة التشريف بقوله، وقد شاهدناه فى بعض السنين وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ**﴾ [محمد: ٧].

(وأعطانى النصر) أى على من يعادينى، ولو مع قلة العدد وفى بدء الأمر، **(والعز)** أى الغلبة والقوة عليهم، **(والرعب يسعى بين يدى أمتى شهرا)** قيل: شهرا مفعول مطلق لا ظرف، أى العدو الذى بينه وبينهم مسافة شهر يخافهم خوفا شديدا، وهذا من خواصه صلى الله تعالى عليه وسلم وخواص أمته، وخص هذه المسافة لأنها أبعد مسافة أعدائه الموجودة فى زمانه كما مر، وبهذا علم أن قوله فى المواهب فى حديث نصرت بالرعب: وكون هذا له صلى الله تعالى عليه وسلم ولأمته فيه إحتمال، غفلة عن هذا الحديث، وفى قوله: يسعى تشبيه للرعب بمقابله بتقدمه، وفيه مبالغة بليغة كما قلت فى قصيدة:

ولم يهزم عداه جيوش جنده وجيش الرعب قد هزم القلوبا
ولو ثبتوا لفر الهام منهم وأرواح وما عرفوا الهروبا

(وطيب) بالتشديد والبناء للمجهول أى أحل لقوله: حلالا طيبا **(لى ولأمتى الغنائم)** هى شاملة للفىء هنا، وقد مر منتزعه.

(وأحل لنا كثيرا مما شدد) فيه **(على من قبلنا)** من الأمم السالفة، كقطع الأعضاء، والتوبة بقتل النفس، وقرض محل النجاسة، ووجوب القصاص فى العمد والخطأ إلى غير ذلك مما ذكروه، وتفنن فى العبارة ولم يراع التقابل، ولو راعاه قال: سهل علينا ما شدد مع أنه لو عبر به توهم أنه رخصة، وليس كذلك على أنه قد يقال: أحل فيه طباق أو إيهامه للحل الذى هو ضد الشد.

(ولم يجعل علينا فى الدين من حرج) أى شدة وضيق، وقال: علينا لأنه له صلى الله تعالى عليه وسلم ولأمته، فوسع عليهم بالرخص. كترك القتال لمن له عذر، وأكل الميتة للمضطر، وقصر الصلاة والتيمم.

(وعن أبى هريرة رضى الله عنه) فى حديث صحيح رواه الشيخان **(عنه صلى الله تعالى عليه وسلم: ما من نبى من الأنبياء)** زاد من، وبينه بقوله من الأنبياء للتعميم **(إلا وقد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر)** أى كل نبى جعل الله له معجزة أظهرها على يديه أطاعه بها الناس، كعصا موسى عليه الصلاة والسلام، وإحياء الموتى لعيسى إلى غير ذلك مما هو مشهور مأثور مناسب لزمانه، إلا أن تلك الآيات انقطعت بانقطاع عصره، ومضت بمضيه بخلاف أعظم معجزات نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم، فإنها باقية غير منقطعة غضة طرية فى كل عصر تتلى، وتشاهد بركاتها، وتستخرج من جواهر معانيها ما لا يفنى، وهى القرآن كما أشار إليه بقوله: **(وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحى الله إلى)**، وما نافية ومن صلة لتأكيد النفى، وهو مبتدأ وسوغ الابتداء به وقوعه بعد النفى، ومن الثانية تبعيضية أو بيانية، والجار والمجرور صفة نبى، وقوله: إلا وقد أعطى خبر، والواو مزيد فيه لتأكيد الاتصال واللصوق، والضمير المستتر فى أعطى مفعوله الأول، وما الموصولة أو الموصوفة مفعول ثان، ومثله مبتدأ أيضا، والجملة بعده خبر له، وآمن مضمن معنى غلب، ولذا عداه بعلى، أو هى بمعنى الباء، والضمير المجرور بأعلى عائد على ما، فالجار والمجرور متعلق بآمن أو حال منه، أى مغلوبا عليه، والمراد بالآيات المعجزات، ومفعول أوتيت محذوف أى أوتيته، والحصر فى إنما ادعائى، أو باعتبار الأعظم أو المعظم، ووحيا بمعنى كلام موحى به، أو قصر إفرادى أى أوتيته أنا لا غيرى من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فليس حصرا حقيقيا بمعنى أنه لم يعط غيره إذ المعنى أنه ما من معجزة أعطيت لنبى إلا أعطيها، وزاد عليها بما هو مخلد فى صحائف الدهر يعرف فى كل زمان، ولذا رتب عليه قوله:

(فأرجو أن أكون أكثرهم) أى الأنبياء عليهم السلام **(تابعا يوم القيامة)**؛ وذلك لأن هذه المعجزات لما كانت باقية إلى يوم القيامة، وهى باهرة ظاهرة يؤمن بها كل من وقف عليها من الناس، لزم أكثرية من آمن به عليه السلام واتبعه على من آمن بغيره من الرسل وصدق بمعجزته المخصوصة بعصره، فإذا مات انقطع التحدى بمعجزته، وغابت عن الإدراك، وصارت خبرا كغيره من الأخبار إذ لم يأت أحد منهم بمعجزة يدرك بعده إعجازها، فأما التوراة وسائر الكتب السماوية، فليس بمعجز نظمها، ولذا وقع فيها التحريف والتبديل، وترجمت بلغات مختلفة، وسيأتى الكلام على الإعجاز مفصلا، وقد حقق الله رجاءه وإلى هذا أشار بقوله: **(ومعنى هذا الحديث عند المحققين بقاء معجزته)** المذكورة **(ما بقيت الدنيا)** أى مدة بقائها.

وكون القرآن يرفع فى آخر الزمان كما ورد فى حديث حذيفة بن اليمان الذى رواه

ابن ماجه: «إن الإسلام يندرس، ويرفع كتاب الله فى ليلة حتى لا يبقى منه فى الأرض آية، ويبقى ناس يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة كلمة لا إله إلا الله، فقال له صلة: ما ينفعهم هذه، وهم لا يدرون صلاة ولا صياما ونسكا؟، فقال: تنجيهم من النار»، لا ينافيه؛ إما لأنه باعتبار الأكثر والظاهر، فإنه محقق بقاؤه فى نفس الأمر لم ينسخ، و لم يبدل، وقيل: إنه زمن يسير بقاؤه كالعدم.

(وسائر معجزات الأنبياء) أى جميعها **(ذهبت للحين)** المراد بالحين عقب وقوعها، أو انقراض عصره، أو المراد ذهبت بذهابه، و لم تبق بعده، وبينه بقوله: **(ولم يشاهدها إلا الحاضر لها)** بخلاف من أتى بعدهم.

(ومعجزة القرآن) أى القرآن المعجز، أو المعجزة التى هى القرآن، فالإضافة بيانية **(يقف عليها)** أى يعلم بها ويحيط بها مجاز؛ لأن من وقف على شيء اطلع عليه كما فى الأساس **(قرن)** فاعل يقف **(بعد قرن)**، أى يطلع عليها جميع القرون، والناس الذين حدثوا بعد عصر النبوة بخلاف غيرها **(عيانا)** بكسر العين كما مر أي مشاهدة، **(لا خبرا)** أى لا بإخبار غيرهم لهم **(إلى يوم القيامة)** أى إلى آخر الزمان، وقيام الناس إلى المحشر، وهو كناية عن التأبيد والبقاء فى الدنيا.

(وفيه) أى فى الحديث ومعناه للعلماء **(كلام يطول هذا نخبته)** بضم النون وسكون الخاء المعجمة والباء الموحدة أى مختاره وزبدته. قال فى الأساس: نخب الشيء وانتخبه إذا نزعه، ومنه الانتخاب الاختيار، كأنك تنزعه من بين الأشياء، وهؤلاء نخبة قومهم لخيارهم انتهى.

(وقد بسطنا) أى فصلنا من بسط يده إذا مدها **(القول فيه هذا وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات، وعن على رضى الله تعالى عنه)** فى حديث رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه وهو موقوف عن على كرم الله وجهه له حكم الرفع؛ لأن مثله لا يقال بالرأى، وستأتى رواية أبى نعيم له مرفوعا **(: كل نبى)** من الأنبياء **(أعطى سبعة نجباء)** جمع نجيب، وهو الكريم الحسيب، ويكون بمعنى الرفيق المعين فى المهمات والشدائد، وهو المراد هنا، **(ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم أعطى أربعة عشر نجيبا)** أى رفيقا كاملا شريفا، وجعلهم ضعف ما لكل نبى مرتين تكريمًا له صلى الله تعالى عليه وسلم، وإشارة لكثرة أمته حتى يحتاج زيادة في وزرائه، والمراد بهؤلاء كما رواه أبو نعيم عن على أيضًا رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: إنه لم يكن نبى إلا وقد أعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء، وإنى قد أعطيت أربعة عشر، وهم حمزة وجعفر وعلى وحسن وحسين وأبو بكر وعمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وأبو

ذر والمقداد وحذيفة وعمار وسلمان[1]، وفى رواية بلال انتهى. وقد وقع فى تعيينهم اختلاف.

أقول: وبعد عصره صلى الله تعالى عليه وسلم خليفته القطب، ووزراؤه النجباء والنقباء والبدلاء، ومن فسر الأربعة عشر هنا بهؤلاء لم يصب رواية ودراية، وقد ورد التصريح بهؤلاء فى أحاديث جمعها السيوطى فى رسالة مستقلة، ومن العجيب أن هذا مع أنه متفق عليه بين أهل الشرع والحكماء، كما قال صاحب حكمة الإشراق فى كتابه: لابد لله من خليفة فى أرضه، وإنه قد يكون متصرفا ظاهرًا فقط كالسلاطين، وباطنا كالأقطاب، وقد يجمع بين الخلافتين كالخلفاء الراشدين، كأبى بكر، وعمر بن عبد العزيز قد أنكره بعض الجهلة فى زماننا، قال ذو النون: النقباء ثلاثمائة، والنجباء سبعون، والبدلاء أربعون، والأخيار سبعة والعمدة أربعة، والغوث واحد.

وحكى أبو بكر المطوعى عمن لقى الخضر عليه الصلاة والسلام أنه قال له: لما قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شكت الأرض إلى ربها، وقالت: إلهى وسيدى بقيت لا يمشى على نبى إلى يوم القيامة فقال الله تعالى لها أجعل على ظهرك من هذه الأمة من قلوبهم على قلوب الأنبياء لا أخليك منهم. فقالت له: كم هم؟ قال: ثلاثمائة وهم الأولياء، وسبعون وهم النجباء، وأربعون وهم الأوتاد، وعشرة وهم النقباء، و/سبعة وهم العرفاء، وثلاثة وهم المختارون، وواحد وهو الغوث، فإذا مات جعل واحد من الثلاثة مكانه، ونقل من السبعة إلى الثلاثة، ومن العشرة إلى السبعة، ومن الأربعين إلى العشرة، ومن السبعين إلى الأربعين، ومن الثلاثمائة إلى السبعين، ومن سائر الخلق إلى الثلاثمائة، وهكذا إلى أن ينفخ فى الصور.

(منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار)، وقد بينا ذلك.

(وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: إن الله قد حبس عن مكة الفيل) وهو حديث مشهور رواه الشيخان عن أبى شريح قاله يوم فتح مكة يوم الجمعة تاسع عشر رمضان سنة تسع من الهجرة، ومعنى حبس منع، وفى رواية القتل بقاف وتاء فوقية، وقصة الفيل مشهورة غنية عن البيان.

(وسلط عليها رسوله) محمدًا صلى الله تعالى عليه وسلم، ولم يقل سلطنى إشارة إلى انه مأمور من الله لا حظ له فى ذلك من نفسه؛ لنزاهته عن الحظوظ والأغراض النفسانية، **(والمؤمنين)** من أمته وجنده، **(وأنها)** أى مكة **(لا تحل لأحد بعدى)**، وفى

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٦/٢٦٥)، والطحاوى فى مشكل الآثار (٤/١٨).

نسخة **(من أمتى)** وفى نسخة لم بدل لا، وفى أخرى لن وفيه إشارة إلى أن تحريمها سابق فى علم الله، وفى زمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام فإنه حرمها وجلعها حرما آمنا، وكان ذلك إظهارا لما سبق فى علمه وحكمه.

(وإنما أحلت لى ساعة من نهار) أى إنما أعلمنى الله بحلها لى، وكان حل القتال لى فيها فى ساعة من نهار يوم الفتح، وكان ذلك من الصبح، وجعله ساعة تقليلا لزمانه؛ لأنه ساعة حقيقة كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩١] إلى آخره، والحرم مثل المسجد فى ذلك، وهذه الآية محكمة عند ابن عباس ومجاهد تمسكا بهذا الحديث، وقوله فيه: ثم عادت حراما إلى يوم القيامة، وروى بمعناه من طرق أخر، وقتاله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بقتل من لجأ إلى الحرم كابن خطل من خصائصه، كما روى عن السلف.

وقيل عليه: إن قوله: أحلت يدل على تقدم حرمته فيكون نسخا، ولو كان نسخا استمر، فيكون رخصة لأنها استباحة مع المانع، وبه قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى، وقال قتادة والضحاك: إنها منسوخة بقوله: **(اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)** وبآيات أخر فى معناها، وتمسكوا بفعله صلى الله تعالى عليه وسلم، ولا دليل فيه لتصريحه بالتخصيص، وبه قال الشافعى رحمه الله تعالى.

(وعن العرباض بن سارية رضى الله تعالى عنه) فى حديث رواه أحمد والبيهقى والحاكم، وقال: إنه صحيح الإسناد، والعرباض بكسر العين وسكون الراء المهملتين وموحدة وآخره ضاد معجمة معناه القوى نقل للعلمية، وهو من كبار الصحابة أهل الصفة رضى الله تعالى عنهم سكن بحمص من أرض الشام، ومات بها سنة خمس وسبعين.

(سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول:) جملة حالية أو مفعول ثان على الخلاف فى سمع إذا تعلق بالذوات الغير المسموعة كما يعرفه من تبحر فى العربية، وقد مر بيانه: **(إنى عبد الله)**، وفى رواية: إنى عبد الله مكتوب.

(خاتم النبيين) قدم على هذه الكلمات وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بالعبودية إشارة إلى أنها أشرف عنده مما سواه، وأنه إنما نالها بمحض كرم الله وفضله، واحتراسا ممن يطريه أن يتجاوز فيه الحد كما وقع للنصارى فى عيسى عليه الصلاة والسلام؛ ولذا قال: **(إنى عبد الله آتانى الكتاب)** الآية، وخاتم بكسر التاء وفتحها آخرهم، ومن به كمالهم.

(وإن آدم لمنجدل فى طينته) أى مختلط فى تربته، أو ساقط فيها كما تقدم، وفى طينته خبر ثان لا ظرفا لمنجدل، ثم أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم بأول أمره بأنه.

(وعدة إبراهيم) بكسر العين وتخفيف الدال المهملتين مصدر بمعنى الوعد كالزنة، وفى نسخة دعوة أبى إبراهيم، وهى أشهر وأظهر؛ لأنه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]، ولثقته بالله أنه لا يخيبه جعل ذلك وعدا منه لذريته، وجعله نفس الدعوة مبالغة بإقامة السبب مقام المسبب؛ لأنه دعا أن يجعل من ذريته وذرية إسماعيل رسولا، ولم يكن من ذريتهما معا غيره مرسلا، فإن الأنبياء من ذريته كداود وسليمان ليسوا من ذرية إسماعيل، فتعين كونه محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وبشارة عيسى ابن مريم) فيما حكاه الله تعالى عنه بقوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾، وجعله نفس البشارة مبالغة، وهى بكسر الباء مصدر كالبشرى، وبضمها ما يعطى البشير، واسم مصدر بمعنى المبشور، ويكون فى الخير والشر إذا أطلقت، ثم خصت بالخير وصارت حقيقة، ونحو ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٣١، وغيرها]، تهكم على هذا، وعلى الأول هى حقيقة مطلقا، أو إذا قيدت، وسميت بشارة لتباشيرها فى بشرة الوجه ما يسمى ورد السرور، وفى شرح الجامع الصغير الفرعى أن البشارة تختص بالصدق وجهل المخاطب بالخبر؛ لأن ذلك يغير بشرة الوجه الفرح، وهى فى اللغة خبر يغير بشرة الوجه مطلقًا، إلا أنه صار فيما ذكر حقيقة عرفية، والأصل فيه ما فى الحديث من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما قال: من أراد أن يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل، فليقرأ بقراءة ابن أم عبد، فابتدر أبو بكر وعمر ليخبراه بذلك، فسبق أبو بكر رضى الله تعالى عنه، فكان يقول: بشرنى أبو بكر وأخبرنى عمر[١].

قال العلامة ابن كمال: فإن قلت الخبر الكاذب يغير البشرة أيضا، وليس من شرط الحنث بقاء المعلق عليه، كما لو قال: إن دخلت الدار فأنت طالق، فدخلت، ثم خرجت حنث.

قلت: فى الكاذب لم تتم البشارة، فوزانه وزان ما لو حلف على لبس خفيه، فلبس أحدهما ولم يذكر الصدق فى الهداية، وفيه قصور، ومن ثمة قالوا: لو قال لعبيده: أيكم بشرنى بقدوم زيد فهو حر. عتق الأول لأنه الذى ظهر السرور بخبره، دون الثانى

---

(١) أخرجه أحمد (٤٤٥/١)، وابن ماجه (١٣٨)، والحاكم (٢٢٧/٢)، وابن أبى شيبة (٥٢١/١٠).

وبشرهم بعذاب أليم تهكم، ومن هنا علم أن البشارة مشروطة بجهل المخْبَرِ إذ البشرة لا تتغير بما علمه.

قال: وفى هذا الحديث دلالة على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل عيسى لم يخبروا بإتيان نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بخصوصه، فقوله فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [التوبة ١٣٠]: إن ابن سلام رضى الله تعالى عنه دعا ابنى أخيه سلمة ومهاجر إلى الإسلام، وقال: قد علمت أنه تعالى قال فى التوراة: إنى باعث من ولد إسماعيل نبيا اسمه أحمد، فمن آمن به اهتدى ورشد، ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فيه أنه صريح فى بشارة موسى بمحمد عليهما الصلاة والسلام باسمه الخاص، وهو مخالف لنص القرآن والحديث الصحيح. لا يقال اليهود حرفوا التوراة، فزال تلك البشارة، وصح أن عيسى هو المبشر؛ لأنا نقول: إنما كان هذا بعد عيسى؛ لقوله تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ [آل عمران: ٣] فنسبة البشارة لعيسى ظاهرة فى عدم البشارة قبله، وإلا لقال: بشارة أخى موسى، وكذا قولهم فى الخطب المنبرية فى التوراة والزبور والإنجيل انتهى.

أقول: هذا غير وارد، بل غير صحيح من وجهين: الأول أن كونه مبشرا به قبل الإنجيل فى الكتب السماوية كلها، أو جلها مما لا شبهة فيه، وقد صنف فى ذلك كتابا مستقلا سماه: خير البشر بخير البشر الحافظ ابن ظفر، ولولا خوف الإطالة أوردت ما فيه هنا.

الثانى أن قوله: إنه مخالف للقرآن والحديث كلام ناش من عدم تدبر معنى البشارة، والفرق بينها وبين الخبر الصادق، فإن كل بشارة على ما ورد خبر بلا عكس، والبشارة خبر سار بما فيه ينفع المخبر فى زمن ما بعيدا أو قريبا، كالبشارة بالجنة، ولما كان من قبل عيسى بينهم وبين نبينا رسل وأمم لم يكن ذلك بشارة؛ لعلمهم بأن المخبر لا يدركه بخلاف عيسى، فإن أمته ومؤمنوهم أدركوا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ، كسلمان ونحوه، فكان إخباره به بشارة لمن اتبعه منهم، وحثًا لهم على اتباعه كما أشار إليه قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِى﴾ [الصف: ٦]، فلم يخالف النص إلا ابن أخت خالته فاعرفه.

(وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فى حديث رواه البيهقى والدرامى وابن أبى حاتم **(قال: إن الله فضل محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم على أهل السماء)** يعنى ملائكة السماء، وهم أفضل من ملائكة الأرض، فيعلم منه تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم على جميع الملائكة حتى الخواص منهم ورسلهم، خلافا للمعتزلة والحليمى من الشافعية القائلين بتفضيل خواص الملائكة على الأنبياء، و لم يختلفوا فى تفضيلهم على ملائكة

الأرض كما سيأتى، **(وعلى الأنبياء كلهم)** فردًا فردًا، وعلى العموم فلا وجه لتخصيصه بالأول كما تقدم فتذكره.

(قالوا) أى الحاضرون عند ابن عباس السامعون لكلامه: **(فما فضله على أهل السماء؟)** أى ما سببه ودليله؟ **(قال: إن الله قال:** ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ [الأنبياء: ٢٩]) أى من أهل السماء ﴿إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ أى من يثبت منكم إلهية غيره ﴿فَذَٰلِكَ﴾ القائل ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]؛ تهديدا لمن أشرك منهم، وتقطيعا لأمر الشرك، وتعظيما لتوحيده تعالى.

(وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ [الفتح: ١] **الآية)**، فجعله مغفورًا له غير مؤاخذ مما صدر وما يصدر، وأورد عليه أنه لا دلالة فيما ذكر على المدعى؛ لأنه على سبيل الفرض مع القطع بعصمتهم، وقد خاطبه بمثله في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، ولك أن تقول: وجه الدلالة أنه هددهم على سبيل الفرض بعذاب جهنم ودخولها، ولم يهدده بمثله، وهذا يدل على انحطاط رتبتهم عنده عن رتبته فتأمل.

قالوا: فما فضله على الأنبياء؟ قال: إن الله قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، وقال لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، أى أن هذه الآية تدل على عموم رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم، وتخصيص رسالة كل رسول بقومه، وكافة صفة مفعول مطلق مقدر أى رسالة كافة أى عامة، وللناس متعلق به، والحاصل أن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فهم من هذه الآية العموم والخصوص، فاستدل بها، فلا يقال: إنه لا يلزم من أنه لا ينطق إلا بلسان قومه أنه لم يرسل إلا لهم؛ لأنه على مقتضى الظاهر، فلا يدعى غيره إلا بدليل، والدليل قائم على خلافه كما مر.

(وعن خالد بن معدان رحمه الله تعالى) هذا الحديث روى من طرق كما أشار إليه المصنف، ورواه ابن إسحاق مرسلاً، والدارمى وأحمد موصولا عن خالد عن عبد الرحمن السلمى عن عتبة بن عبد السلمى بطوله، ومعدان حمصى تابعى من كبار التابعين وزهادهم، أدرك سبعين من الصحابة، وتوفى سنة أربع ومائة **(أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك)** أى عن حالك وشأنك من ابتداء أمرك.

(وقد روى نحوه) أى نحو ما رواه خالد **(عن أبى ذر)** الغفارى الصحابى رضى الله عنه

أخرجه الدارمى، **(وشداد بن أوس)** بن ثابت بن منذر بن حرام، وهو ابن أخى حسان ابن ثابت بن حرام بالمهملتين المفتوحتين صحابى نزل بيت المقدس، وتوفى بالشام سنة ثمان وخمسين رضى الله عنه، والرواية عنه أخرجها أبو نعيم فى الدلائل، **(وأنس بن مالك)** أخرجه أبو نعيم أيضا، **(فقال)** صلى الله تعالى عليه وسلم لمن سأله عن نفسه: **(نعم)** جواب لسؤالهم أى أخبركم بذلك.

(أنا دعوة أبى إبراهيم) بدل من أبى، أو عطف بيان أى أثر دعوته أو عينها مبالغة، ونعته بأنه أب لإطلاقه على الجد، ولبيان أنه من ذريته الذين دعا لهم يعنى قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾، فهو المراد بالرسول فى دعوته المجابة.

(وبشرى عيسى) عليه الصلاة السلام تقدم بيانه **(ورأت أمى)** أراد رؤيا أمه، فغير الأسلوب لأنه نوع لما قبله، فهو على نهج قوله: وجعلت قرة عينى فى الصلاة كما تقدم **(حين حملت بى)**، وفى رواية وضعتنى فالرؤيا وقعت مرتين، وهذا يحتمل أنه رؤيا منام ورؤية يقظة، والمرئى محذوف دل عليه قوله: **(أنها خرج منها نور أضاء له قصور بصرى)** بضم الباء والقصر بلدة من أعمال دمشق هنا، وهى أيضا اسم بلدة أخرى من قرى بغداد بقرب عكبرا كما فى معجم ياقوت، وهى مدينة حوران، قيل: إنها قيسارية أو خوارزم، وهو غير صحيح.

لأن قوله: **(من أرض الشام)** يأباه فهو غفلة من قائله، والصحيح أنها مدينة بين المدينة ودمشق، وهى أول بلاد الشام فتوحا فتحت سنة ثلاث عشرة، والشأم الإقليم المعروف بهمزة، ويجوز إبدالها ألفا كراس، وفيه لغة أخرى شئام بالمد قال ابن قرقول: أباها أكثرهم، وحده طولا من العريش إلى الفرات، وقيل: إلى بابلس وعرضا من جبل أجا وسلمى وبحر الروم وما سامته، ودخله من الصحابة كثيرون، ودخله صلى الله تعالى عليه وسلم أربع مرات: مرة مع عمه أبى طالب لما رآه بحيرا، ومرة فى تجارته لخديجة مع غلامها ميسرة ومرة حين أسرى به، ومرة فى غزوة تبوك.

قال ابن عساكر: رؤية آمنة النور حقيقة حين وضعته، وأما رؤيتها له حين حملت فكانت فى المنام كما قاله الواقدى، ثم حقق الله لها ذلك إذا وضعته؛ لأنها كما ورد فى الحديث أتيت وقيل لها: إنك حملت بسيد هذه الأمة، وآية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى فحقق الله لها ما رأته أولا، وهو كلام حسن، وتخصيصه لأنه أول فتح فى الأراضى المقدسة.

(واسترضعت) بالبناء للمجهول أى طلبت أمى أن أكون رضيعا **(فى بنى سعد بن**

بكر) أرضعته منهم حليمة السعدية بنت أبى ذؤيب زوجة الحارث بن رفاعة بعد ما أرضعته ثويبة مولاة أبى لهب، وله أخوة من الرضاعة مذكورون مع قصة إرضاعه فى كتب السير، **(فبينا أنا مع أخ لى)** من الرضاع لا من النسب، إذ ليس له، صلى الله تعالى عليه وسلم، أخ ولا أخت من النسب وبينا ظرف وألفه للإشباع أو كافة كبينما، والكلام عليها مفصل فى كتب العربية **(خلف بيوتنا)** أضاف البيوت له باعتبار السكنى أوالتغليب؛ لأن المراد بيوت بنى سعد **(نرعى بهما)** الرعى أكل الحيونات النبات، والذهاب بها لترعى، وهو المراد هنا، والمراد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان مع الرعاة لا راعيا لصغر سنه، والبهم بفتح الباء الموحدة وسكون الهاء والميم، وهى جمع بهمة اسم لأولاد الضأن وأولاد المعز سحنال، ويطلق على ما يعمهما قال:

صغيرين نرعى البهم بالبيت أننا   إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم

(لنا) أضافها له معهم لاختلاطه بأصحابها لأدنى ملابسة **(إذ جاءنى رجلان)** أى ملكان فى صورة رجلين، فهو مجاز، **(عليهما ثياب بيض)**.

وفى حديث آخر ثلاث رجال، وهم جبريل وإسرافيل وميكائيل عليهم الصلاة والسلام كما أشار إليه بقوله: **(وفى رواية أخرى: ثلاث رجال)**، وجمع بينهما بأنه جاءه اثنان أولا لشق صدره، والثالث أتى بعد مباشرته **(بطست من ذهب مملوءة ثلجا)**، وفى رواية ملكان، وفى رواية كوكبان كأنهما انقضا عليه كوكبان، ثم تمثلا بصورة رجلين، والطست بفتح الطاء وسكون السين المهملة ومثناة فوقية، وفيه لغة أخرى طس بتشديد السين وطسه بهاء، وفى طائه الفتح والكسر، ففيه خمس لغات، وهو إناء معروف، واستعمال الذهب لم يكن حراما إذ ذاك لاسيما وهو من الجنة لا من جنس ذهبنا، فلا حاجة للجواب بأنه يجوز للصغار، وأنه يجوز تحلية آلات الطاعة به كالمصحف والسيف مع ما فيه، وفى رواية أنه من زمرد أخضر، وأنه صب عليه من أبريق فضة، وأما كون الطشت بشين معجمة فقيل: إنه غلط، وقيل: إنه لغة فيه، ومملوءة بالتأنيث لأن الطست يذكر ويؤنث أو هو لتأويله بآنية، وهى مجرورة صفة ،أو منصوبة حال، والمراد أنه نقى بالثلج أو بمائه، ولا حاجة للبحث فيه هل هو مطهر أم لا ، لأن هذه أمور لا يطلع عليها، وروى أنه غسل بماء الجنة وبماء زمزم، وهذا كان فى حال الطفولية، ووقع فى رواية أنه كان بعد هذه البعثة لما أسرى به، فمنهم من قال: الروايتان متعارضتان ورد هذه، وقال السهيلى: لا تعارض بينهما، وأنه وقع مرتين، الأولى لتنقيته من الحظوظ النفسانية، والأخرى ليقدس فيقوى على العروج لمشاهدة الأنوار العلوية، وكونه مخلوقا من النور لا ينافيه كما توهم، وروى بأن الطست مملوء حكمة وإيمانا، وأن الثلج لبرد

اليقين، فهو إما بتأويله أو بتجسم الأعراض، وليس ذلك على الله بعزيز، والثلج بسكون اللام، وقال التلمسانى بفتحها بمعنى اليقين، فيجوز قراءته بالفتح، فتكون هذه الرواية كرواية مملوءة حكمة وإيمانا.

(فأخذانى) أى أمسكاه صلى الله تعالى عليه وسلم وأضجعاه.

(فشقا بطنى. قال فى غير هذا الحديث: من نحرى إلى مراق بطنى) النحر أعلى الصدر، ومراق بفتح الميم وتشديد القاف، وهو ما رقَّ ولان من البطن، ولا واحد له من لفظه، والميم زائدة.

(ثم استخرجا منه) عائد على الجوف المعلوم من السياق، أو للبطن لتأويله به **(قلبى)** مفعول استخرجا، **(فشقاه)** أى القلب، وهذا من المعجزات لأن الأطباء أجمعوا على أن القلب لا يحتمل جراحة أصلا، فكيف يعيش صاحبه إذا شق؟ **(واستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها)** أى رمياها لأنها حظ الشيطان ومغمزه، وفيها الحسد والحقد ووسوسة الشيطان والحرص والشهوة المذمومة، والعلقة دم متجمد كالعلقة المعروفة فى دود الماء. قال السبكى رحمه الله تعالى فى طبقاته: سئل الوالد رحمه الله عن هذه العلقة التى أخرجت من قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم حين شق فؤاده، وقول الملك: هذا حظ الشيطان منك.

فأجاب: بأن تلك العلقة خلقت فى قلوب البشر قابلة لما يلقى الشيطان فيه، ولم يكن للشيطان فيه حظ، وإنما الذى نقاه الملك منه أمر فى الجبلة البشرية فأزيل القابل الذى يلزم من حصوله حصول الإلقاء فى القلب، وإنما خلقت على هذا؛ لأنها من أجزاء البدن المكملة لخلقه، فلابد منه، ثم نزعت بأمر ربانى طرأ بعده.

وقريب منه قول الأستاذ محمد البكرى فى رسالته النافعة: نزع العلقة من باطنه المقدس المطهر، وقول الملك: إنها حظ الشيطان أى لو تعلق الشيطان بمحل منه كان هذا، فخلق ابتداء تكملة لأصل الخلقة وتسوية للنشأة الإنسانية مع زيادة إظهار يأس الشيطان بإخراجها منه، وهذا من تقديس السر وتنزيهه أعلاه وأشرفه، وقد لا يدانيه أحد فيه.

أقول: حاصله أن الله خلقه صلى الله تعالى عليه وسلم كامل البنية مكملا، فاقتضت الحكمة الربانية أن يكون جسمه أحسن الأجسام، وقلبه أقوى القلوب، كما أن روحه صلى الله تعالى عليه وسلم أعظم الأرواح وأنورها، ولما كان القلب رئيس الأعضاء، بقوته تقوى صفاته من الشجاعة والفطنة وغيرها، وهذه العلقة جزء سوداوى به يكون

القلب قوى البنية زاهى الثمرة وعليه ينبنى، لكونه كحب العنب والفواكه فبعد نضج ثمرته ينزع عجمه ويرمى، ولكنه سوداويا ردىء الأخلاط كان محلا لإفداء الأوهام والخيال الذى هو لريحان الفكر كالحشيش النابت بينه بقلعه يقوى، فاندفع أنه لم لم يخلقه الله بدونها حتى يتطهر من دنس الوسوسة وما يقبلها، فلا يألم بشق وقلع، وظهر أن معنى كونها حظ الشيطان أنها محل حظه لو كان، لكنه لم يكن، وإنما ظلت هنا لأنه سر من أسرار الله تعالى، ولله در ابن قرناص الحموى فى قوله:

أما والله لو شقت قلوب ليعلم ما بها من فرط حب
لأرضاك الذى لك فى فؤادى وأرضانى رضاك بشق قلبى

(ثم غسلا قلبى وبطنى بذلك الثلج حتى أنقياه)، ولما كان أرضه صلى الله تعالى عليه وسلم لا ثلج بها غسل بذلك؛ ليعلم أنه من عالم الغيب والجنة، ويقال: نقاه بالتشديد وأنقاه إذا جعله نقيا نظيفا، والمشهور الأول، وفى هذا دليل عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم قبل النبوة من جميع الآثام والنقائص، وكيف يتصور بعد هذا أن يصدر منه زلة أو أمر لا يرضى إلا سهوا؟ ومثله لا يؤاخذ به.

(قال) أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم **(فى حديث آخر: ثم تناول أحدهما)** أى أخذ من ملك غيره، أو أخرجه من يده، وأصل المناولة الأخذ من غيره **(شيئا فإذا بخاتم فى يده من نور)** أى يتلألأ ويضىء إضاءة زائدة حتى كأنه مجسم من النور، ففيه مبالغة فى إشراقه كقوله تعالى ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

وفى رواية أنه خيط بمخيط، وكان يرى فى صدره الشريف أثر الخياطة **(يحار الناظر دونه)** أى فيما دونه أو أقل منه **(بهاء)** أى نورًا ونفاسة، والنظر إما بمعنى الشخص الذى ينظره، ويحتمل أن يريد به العين وإنسانها؛ لأنه يطلق عليها، فعلى الأول المعنى أنه يتحير من نوره وحسنه فى معرفته، وعلى الثانى النسبة إليه مجازية والمراد صاحبه، أو معناها يبهت ولا يطرق أجفانه، وفيه وفى قوله: دونه لأنه إذا تحير فيما دونه فكيف به؟.

(فختم به قلبى) كما يختم الكيس والخزانة التى فيها الجواهر وكل نفيس، وختمه لئلا يصل إليه ما لا يليق به من الوسوسة، ولئلا يضيع ما فيه، وفيه إشارة إلى أنه خاتم الأنبياء، وليس هذا ولا أثره خاتم النبوة المذكور فى الحديث حتى يقال: أنه اختلف فيه هل ولد به أو كان حدوثه حين نبئ؟ ولا فى هذا الحديث بيان لأنه كان حين شق صدره كما توهم، والختم حفظا له عن أن يخرج مما أحرز شىء بغير علمه، فلا يرد ما قاله السهيلى: إنه ينافى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يعلم الناس الحكمة، وتفجرت من

قلبه ينابيع الحكم، وفاضت أنواره على العالم.

(فامتلأ إيمانا وحكمة) فى تفسيرها أقوال، والذى صفا منها أنها العلم المشتمل على معرفة الله مع البصيرة وتحقيق الحق والعمل به، وفى التفريع هنا خفاء لأن مقتضى الظاهر أن يقدمه على الختم ولا يرتبه عليه، فيقول: ملأه فامتلأ ثم ختمه لأنه بعد الختم لا يدخله شىء إلا أن يؤول بأنه تبين فى أنه امتلأ، اللهم إلا أن يقال: إنه دخل فيه نور من الخاتم، ثم ملأه بما ذكره، ومر أن العلم والحكمة معنى لا يملأ حيزه، فإما أن يقال إنه تجسم أو جعل بمنزلته.

(ثم أعاده مكانه) أى أعاد الخاتم فى مكانه الذى كان من يده أو يد غيره، وليس الضمير للختم كما توهم حتى يقال: إنه يشعر بأنه كان من أصل خلقته **(وأمر)** بتشديد الراء المهملة آخره أى مسح وألصق يده مارة **(الآخر)** أى الملك الآخر **(يده على مفرق صدرى)** بفتح الميم والراء وكسرها بينهما فاء ساكنة أى محل الشق والافتراق الذى كان منه، فهو بمعناه اللغوى، وإن اختص عرفا بوسط الرأس أو هو مصدر ميمى، **(فالتأم)** بهمزة بعد المثناة الفوقية أى انضم واجتمع حتى لم يبق فرجة من الشق.

(وفى رواية أخرى أن جبريل عليه الصلاة والسلام قال) بعد ما أمر **(قلب وكيع أى شديد)**، وفى كتب اللغة تفسيره بصلب وغليظ، والمراد هنا ما ذكره المصنف، ومنه نقل العلم.

(فيه) أى فى قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم **(عينان تبصران، وأذنان سميعتان)** لا يخفى أن حمله على ظاهره كما قيل بعيد، فالمراد أنه شديد الإدراك لما يبصر ويسمع، وكون القلب لا يدرك المحسوسات لأنه إنما يدرك المعقولات لا وجه له، فإنه يدركها بواسطة الحواس، وفى التعبير عن الأول بالمضارع، وعن الثانى بالاسم الدال على الثبوت تفنن، وإيماء إلى أن الأول لا يكون إلا بفعل يحدث منه كالمقابلة وفتح الجفن بخلاف الثانى، وإسنادهما ليس بمجازى، وهذا كالتعليل لما قبله.

(ثم قال أحدهما) أى الملكين **(لصاحبه: زنه بعشرة من أمته فوزننى بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائة فوزننى بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته فوزننى بهم فوزنتهم)** الوزن معروف ورجحانه زيادة ما فى الكفتين وثقله، فينزل الراجح ويعلو مقابله، والمراد بأمته من اتبعه صلى الله تعالى عليه وسلم وآمن به وهم أمة الإجابة، أو من وجد فى عهده وهم أمة الدعوة، فمن فسره بالأول يعلم الثانى منه بالطريق الأولى وعدم الاعتداد بغيرهم، و يجوز إرادة الثانى، وهذا الوزن الظاهر أن المراد منه مجرد المقابلة بين كماله

صلى الله تعالى عليه وسلم وكمالاتهم بحسب النظر العلمي، ومنهم من ذهب إلى أنه على ظاهره وحقيقته، وإن لم يعرف كيفيته إلا أنه يحتاج لتأويله؛ لأن الأمة لم يكونوا موجودين، فقيل: المراد منهم أرواحهم وأن الله أطلعهم على ذلك، وإنما ذكروه ليطلع على ذلك وتعلم به أمته.

ثم إنه وقع فى هذا الحديث اختلاف فى رواية أبى ذر رضى الله تعالى عنه أن الوزن قبل الشق، وأنه ابتدأ فى الوزن بالواحد، ثم العشرة، واختار المصنف هذه الرواية؛ لأن الرجحان بما أودعه الله تعالى فيه بعد إماطة ما لا وزن له عند الله، وفيه أيضًا أنه وضع فيه خاتم النبوة بين كتفيه، وقال شيخ والدى الشهاب بن حجر الهيتمى أنه وقع فى بعض الروايات أنه ولد بخاتم النبوة، فإن الحاكم روى بسند حسن عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن بعض الأحبار أنه قال: ولد فى هذه الليلة يعنى ليلة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم نبى هذه الأمة بين كتفيه علامة فيها شعرات، وفيه دليل على أنه ولد بخاتم النبوة، لكن جاء بسند أصح من هذا أن الملكين لما شقا صدره الشريف ختماه بخاتم النبوة، ويمكن الجمع بأنهما ختما ذلك المحل الثانى عند الوضع بعد ختمه أولا إشارة إلى زيادة الاعتناء والتشريف، ثم رأيت من جمع بينهما بأنه كان فى موضعين على الكتف وبين كتفيه، وروى بسند ضعيف أنه رفع بعد موته، صلى الله تعالى عليه وسلم.

واعلم أن بعض الشراح قال: إن الشق والغسل فى ذلك ليس مخصوصًا به صلى الله تعالى عليه وسلم، بل كان لسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لما روى أنه كان فى تابوت السكينة الطست الذى غسلت فيه قلوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(ثم قال: دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها): أى لغلبهم فى الوزن ولأعاد لهم، وباب المغالبة معلوم من كتب الصرف، وفى هذا الحديث دليل على أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من جميع الناس وأقواهم شجاعة وقدرة على الجماع وعلما وفطنة كما مر؛ لما أودع فى قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم مما لم ينله غيره.

(قال فى الحديث الآخر: ثم ضمونى إلى صدورهم) أى عانقونى إظهارا لمحبتهم وتكريمهم لى. **(وقبلوا رأسى وما بين عينى)** بتشديد الياء للتثنية، وفيه استحباب تقبيل الرأس وما بين العينين لمن ينبغى محبته وإكرامه إظهارا لذلك، **(ثم قالوا: يا حبيب)** بالبناء على الضم وأصله يا حبيب الله **(لم ترع)** بضم المثناة الفوقية وفتح الراء المهملة وعين مهملة، أى لم تخف وتفزع، وهو مبنى للمجهول أى حصل لك من قوة القلب مالا يعتريك بعده خوف من شىء، والمراد تطمين قلبه صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما وقع من الشق له.

ثم استأنف بجملة مؤيدة لما قبلها فقال: **(إنك لو تدرى ما يراد بك من الخير)** أى ما يريده الله لك من الكمال والخير الدنيوى والأخروى؛ **(لقرت عيناك)** أى لسررت سرورا عظيما، وقد مر أن قرة العين الفرح، وهو ضد سخنت فهو من القر بمعنى البرد؛ لأن دمع السرور بارد ودمع الحزن حار، أو من قر بمعنى ثبت وسكن طرفه؛ لأنه لم يبق له شيء يطمح له عينه وينظره.

(وفى بقية هذا الحديث من قولهم) أى من قول هؤلاء الملائكة، وهذا موافق لكونهم ثلاثه كما مر: **(ما أكرمك على الله)** تعجب من رفعته صلى الله تعالى عليه وسلم وكرامته عند ربه. **(إن الله معك وملائكته)** بعنايته وفضله، وليس فى قوله من قولهم ما يقتضى أنه مشتمل على مقولهم ومقول غيرهم كما قيل.

(قال فى حديث أبى ذر) المشهور المذكور أولا، وهذا الحديث رواه الدارمى: **(فما هو)** أى فعلهما بعد ذلك، وما نافية وقيل الضمير للشأن، وهو على حد قولك: لم يلبث فلان أن فعل كذا، والمراد السرعة **(إلا أن وليا)** أى رجعا وانصرفا عنى بعد فعلهما ومقالتهما السابقة، **(فكأنما أرى الأمر معاينة)** المراد بالأمر هنا ما أكرمه الله به، وما سيكرمه به من مقدمات النبوة وإرهاصاتها وما زاد فى فطنته وعلمه، ولتحققه لذلك جعل كالمحسوس المرئى ببصره، وليس المراد به القصة المذكورة من مشاهدة الملكين وما فعلاه كما توهم، وقد أتى بخبط وخلط فى تفسيره لا طائل تحته.

(وحكى أبو محمد مكى وأبو الليث السمرقندى وغيرهما) تقدم ترجمتهما والكلام عليهما **(أن آدم عليه الصلاة والسلام عند معصيته)** أى أكله من الشجرة، وسيأتي الكلام عليه فى عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا الظرف متعلق بقوله: **(قال)** ومقوله: **(اللهم بحق محمد)** أى بما يستحقه عندك من الزلفى والكرامة، وهذا الحديث رواه البيهقى والطبرانى عن عمر رضى الله عنه بسند فيه ضعف، وفيه دليل على أنه يجوز أن يقال فى الدعاء: بحق الأنبياء ونحوه خلافا لمن أفتى من علماء العصر أنه لا يجوز أن يقال مثله؛ لأنه ليس لأحد على الله حق، وقد وقع مثله فى أحاديث كثيرة ومعناه ما مر.

(اغفرلى خطيئتى. ويروى: وتقبل توبتى. فقال له الله: من أين عرفت محمدا؟ فقال: رأيت فى كل موضع من الجنة) رأى هنا بصرية **(مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله)** نائب فاعل اسم المفعول.

(ويروى: محمد عبدى ورسولى) بدل رسول الله، **(فعلمت)** بما رأيته من كتابته واقتران اسمه باسمك **(أنه أكرم خلقك)** أى مخلوقاتك **(عليك ، فتاب الله عليه وغفر له)** ذنبه

لتوسله إلى الله بحبيبه وصفيه، وبما علمه من ذلك، **(وهذا)** أى الحديث المذكور **(عند قائله)** أى عند من رواه واعتمده، وهو مكى رحمه الله تعالى ومن سبق ذكره، وليست الإشارة لقول آدم عليه السلام اللهم إلى آخره كما قيل.

(تأويل قوله تعالى) أى تفسيره؛ لأن التأويل يرد بمعنى مطلق التفسير، وبمعنى التفسير بمقتضى العربية من غير نقل مأثور، ويكون أيضا بمعنى ما يئول إليه ويتحقق به فى الواقع، وهو أصل معناه ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]، وهذا فيه خفاء لأن معنى تلقيها من الله أخذها منه بغير واسطة، والمذكور أنه رآها مكتوبة فى الجنة، فكأنه جعل إلهام الله له الدعاء بمنزلة تلقيها عنه، وقيل: إنه على قراءة ابن كثير بنصب آدم ورفع كلمات، ومعنى تلقيها استغناؤها بأخذها والعمل بها حين علمها، وأشار بقوله عند قائله إلى أن فيه أقوالاً أخر، فقيل: الكلمات المتلقاة هى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وقيل: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك إنى ظلمت نفسى، فاغفر لى فإنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك إنى ظلمت نفسى، فتب على إنك أنت التواب الرحيم.

فسقط ما قيل: إنه ليس فيه على هذه الرواية أنه تلقى من الله، والكتابة لا تسمى كلمات إلا مجازا، ولا قرينة تدل عليه. قيل: وفيه دلالة على أن آدم عليه الصلاة والسلام كان يعلم الكتابة، وسؤال الله له بقوله: من أين إلى آخره ليس استفهامه على حقيقته لعلمه به، وإنما هو تشريف له بخطابه، وليبين له فضيلة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عقبه.

(وفى رواية أخرى فقال آدم عليه الصلاة والسلام: لما خلقتنى رفعت رأسى إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله) فيه خبر مقدم ومكتوب مبتدأ مؤخر صفة شىء مقدر، ولا إله الا الله إلى آخره بدل منه، أو هو مبتدأ مكتوب خبره، وفى بعض النسخ وفى رواية الآجرى بالمد وضم الجيم وتشديد الراء المهملة وياء نسبة للآجر المعروف، وهو الإمام القدوة أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى مصنف كتاب الشريعة شيخ أبى نعيم، سكن مكة، وتوفى بها فى الحرم سنة ستين وثلاثمائة.

(فعمت أنه ليس أحد أعظم قدرًا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك) ملازما لمقارنته قيل: هذا فى الرواية الأولى ظاهر إذ فيها فى كل موضع، وأما هنا فهو فى موضع

واحد. وأجيب بأنه يحتمل أن الرواية الأولى زيادة على هذه، وتركها لئلا يتكرر. ولا يخفى بعده. ولا حاجة إلى ما فهمه من لزوم المقارنة بل المقارنة فى هذا المحل العظيم تكفى فيما قاله. قلت: ومن هذا الحديث يؤخذ أن كتابة أسماء الله ونحوها فى سقوف المساجد وغيرها غير مكروهة كما توهم.

(فأوحى الله إليه: وعزتى وجلالى إنه لآخر النبيين من ذريتك، ولولاه ما خلقتك)، فروحه صلى الله تعالى عليه وسلم مخلوقة قبل الأرواح، والأنبياء كلهم خلقوا لأجله ووجوده سبب لوجودهم، فهو أب معنوى لهم، وكلهم أتباعه فى الوجود. قيل: قوله: فأوحى الله إليه يقتضى أن هذا الخطاب وحى لا مشافهة، وقوله: لما خلقتنى قبله يدل على خلافه، وقد يقال: إنه خاطبه أولا وأوحى إليه بعد ذلك مع أن الداعى مخاطب ربه، وإن لم يخاطبه فلا يدل كلامه الأول على أن كلام الله معه بدون وحى.

(قال: وكان آدم عليه الصلاة والسلام يكنى بأبى محمد، وقيل: بأبى البشر) كما رواه البيهقى عن على، كرم الله وجهه، مرفوعًا، والثانى أشهر.

(تنبيه) قوله: ولولاه ما خلقتك خلاف اللغة، فإنها فى الأكثر يليها ضمير رفع منفصل يحذف خبره وجوبا إذا كان عاما، وقد يكون مخصوصا فيذكر على قول ويليها ضمير مجرور صورة كما هنا قليلا، فيقال: لولاى ولولاك، ومنعه المبرد رحمه الله تعالى وأجازه غيره، فقيل أنها حرف جر، وقيل، إنه نائب عن المرفوع واتصل بغير عامله، ومنعه سيبويه، بمنع النيابة فى غير الضمائر المنفصلة، وغيره يجيزه مع الحروف والأفعال كما تقرر فى محله، وعليه الزمخشرى.

(وروى عن سريج بن يونس) بضم السين وفتح الراء المهملتين وياء مثناة تحتية وجيم، وصحفه بعضهم بشين معجمة وحاء مهملة وهو غلط، وهو أبو الحارث البغدادى إمام الحديث توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين، وروى له مسلم والبخارى **(أنه قال)** إن كان الضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأنه المعلوم من السياق فهو ظاهر، وإن كان لسريج فهو فى حكم المرفوع؛ لأن مثله لا يقال بالرأى **(إن لله تعالى ملائكة سياحين)** من السياحة من ساح الماء إذا جرى، ثم شاعت فى السير الطويل، والمشى فى الأرض، والسفر من غير مقصد معين للنظر فى المصنوعات ونحو ذلك.

(عبادتها) أى الملائكة وأنثه نظرا لظاهر لفظه، أو لتأويله بطائفة، وعبادتها بباء موحدة ففيه مضاف مقدر أى حفظ **(كل دار فيها)** من اسمه **(اسمه أحمد أو محمد)** أو دخول كل دار ونحوه، وضبط أيضا مثناة من تحت، والمراد بالعبادة الزيارة، وقدم أحمد

لأنه مسمى به قبل محمد، ولأنه صلى الله تعالى عليه وسلم معروف بـه عنـد الملائكـة أو للترقى.

(إكراما منهم لمحمد صلى الله تعالى عليه وسـلم) أى زيارتـهم لأجـل الإكـرام، وقـال: منهم لئلا يتوهم أنهم أتوا بإكرام من غيرهم، وأنهم رسل فـى ذلـك، وإلا فـهو حشـو، ويأتى أن أهل مكة ونقل أيضا عن أهل المدينـة يقولـون: كـل دار فيـها مـن اسمـه محمـد يوسع الله رزقهم، وهو عن تجربة منهم، وقيل: هذا لا يختص بهذين الاسمين، بل كل من تسمى باسم من أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم كذلك، وفيه نظر.

(وروى ابن قانع القاضى) بقاف ونون بعد ألف وعين مهملة، وهـو عبـد البـاقى بـن قانع بن مرزوق الأموى البغدادى، صاحب معجم الصحابة وكتاب القوم، وترجمتـه فـى الميزان، وهو ثقة فى الرواية إلا أنه قيل: إنه تغـير فـى آخـر عمـره، وتوفـى سنة إحـدى وخمسين وثلاثمائة. قال البرهان: كان على المصنف أن يذكر تقدم السند من ابن قانع إلى قوله: **(عن أبى الحمراء)** حتى يعرفه، ويعرف أبا الحمراء، واعتذر بأنـه لم يلـتزم الإسـناد فى كتابه، وإنما اشترط ما صح عنده واشتهر، والظاهر أنه استغنى عنـه بروايتـه عـن ابـن قانع؛ لأنه ذكره مسندا فيه، وقد أسنده الطبرى أيضا، وفى بعض النسخ ابن نـافع بالفـاء وهو الفقيه صاحب الإمام مالك، وهو وهم وتحريف.

وأبو الحمراء بحاء مهملة وميم وراء مهملة ممدود قال البرهان: ولا يعرف مـن المـراد به، فإن أبا الحمراء الصحابى مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اسمه هـلال بـن الحارث، أو ابن ظفر، اخرج له ابن ماجه حديثا غير هذا، وكان بحمص، وقـال: يقـال: له صحبة ولا يصح حديثه، ومـن الصحابـة أبـو الحمـراء مـولى آل عفـراء البـدرى، ولا يعرف له رواية، ولا يعرف فى التابعين من اسمه أبو الحمراء، ولا فيمن بعدهم.

(قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسـلم: لما أسرى بى إلى السـماء إذا) هـى فجائية أى صادفت فجأة **(على العرش مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله)** العرش فـى اللغة سرير الملك، وعرش الرحمن غير السموات، وهو سقف الجنة، وهل هو الكرسى أو غيره؟ فيه خلاف ليس هذا محله، وكون اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم مكتوبا مع اسـم الله على العرش، وفى الجنة ورد فى أحاديث كثـيرة، والظـاهر أن النبـى صلـى الله تعـالى عليه وسلم عرف تلك الكتابة بإلهام من الله، أو بذكر جبريل عليه الصلاة والسـلام لهـا، أو غيره من الملائكة. قالوا له: هذا اسمك مكتوب هنا، فلا يقال: إنه صلى الله تعالى عليه وسلم أمى لا يقرأ ولا يكتب، وقد تقدم ما فى ذلك.

(أيدته بعلى) كرم الله وجهه فى حياته لما له من الصحبة القديمة، والآثار العظيمة فى غزواته معه، والتأييد التقوية والنصر، ولا يلزم من هذا تفضيله على غيره من الخلفاء كأبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما، ولا أن تأييده له أعظم، ولعل لتخصيصه هنا وجه لا يقف عليه إلا الأنفس القدسية.

(وفى التفسير) أى فى كتبه، ولم يعين المنقول عنه لوجوده فى كثير منها.

(عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) رواه الخطيب عن مالك، وورد مرفوعا عن أبى ذر، رضى الله تعالى عنه، وأخرجه البزار موقوفًا عن على وعمر رضى الله تعالى عنهما، والبيهقى فى الشعب (فى) تفسير **(قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ﴾** [الكهف: ٨٢]) أى الجدار الذى أقامه الخضر، عليه الصلاة والسلام، ﴿كَنزٌ لَّهُمَا﴾ لليتيمين. **(قال)** أى ابن عباس رضى الله عنهما: المراد بالكنز وهو المال المدفون **(لوح من الخشب فيه مكتوب عجبا)** منصوب بفعل محذوف وجوبا أى أعجب عجبا، واللوح بفتح اللام وقد تضم صحيفة مبسوطة.

(لمن أيقن بالقدر)، أى تيقن قضاء الله وقدره، وأنه لا يكون إلا ما قدر، وما قدر لابد أن يكون، فلتضمينه معنى آمن عداه بالباء، واليقين الاعتقاد الجازم **(كيف ينصب؟)** بفتح أوله وثالثه من النصب بصاد مهملة وهو التعب، والاستفهام للتعجب الإنكارى، أى كيف يتعب نفسه فى تحصيل رزقه؟ وما قدر له لا يتخلف عنه مقدار ذرة ولحظة، وللقاضى ناصح الدين الأرجانى:

يا قلب تخل من هموم وشجون   بادر فرص الزمان من قبل يخون
لا تأس فإن حملك الهم جنون   ما قدر أن يكون لابد يكون

(عجبا لمن أيقن بالنار كيف يضحك؟) أى من تيقن وجود النار، وعلم أنه لا يخلو من زلة يعاقب عليها، فكيف لا يخاف منها ويكون ضاحكا مسرورا، وهو لا يعلم أشقى هو أم سعيد؟ والموت أقرب له من حبل الوريد.

(عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها) أى تغير أحوالها فى كل حين قال الراغب: التقلب التصرف قال الله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾ [النحل: ٤٦]، فالباء بمعنى فى أو مع أى تصرفها فى أهلها أو تغيرها وتغير أهلها.

(كيف يطمئن) قلبه ويركن **(إليها؟)** بعد ما رأى منها وشاهد.

(أنا الله لا إله إلا أنا)، فله الحكم والأمر، وبيده كل شىء فى قبضة تصرفه.

(محمد عبدى ورسولى) أرسلته للناس كافة، وهذا التفسير يشعر بأنه حديث قدسى

أوحاه الله لبعض أنبيائه، وقد ذكره القرطبى فى تفسيره بهذا اللفظ عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه كان لوحا من ذهب مكتوب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم. عجب من يؤمن بالقدر كيف يحزن؟ عجب لمن يؤمن بالرزق كيف ينصب؟ عجب لمن آمن بالموت كيف يفرح؟ عجب لمن آمن بالحساب كيف يغفل؟ عجب لمن عرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها؟ لا إله إلا الله محمد رسول الله انتهى.

وعجب فى هذه الرواية مرفوع بالابتداء كسلام عليكم، وهذه رواية عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما، وقيل: الكنز مال، وقيل غير ذلك .

(وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: على باب الجنة مكتوب إنى أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله، من قالها) أى من نطق بكلمة الشهادة مؤمنا مخلصا **(لا أعذبه)**، وإن ارتكب الذنوب، وهذا كقوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وقد ورد مثله كثيرا فى الأحاديث الصحيحة .

(وذكر أنه وجد) بالبناء للمجهول فيهما، و لم يذكر فاعلهما لعدم وقوفه عليهما، ولا ينافى هذا أنه ذكر هنا ما صح كما اشتهر؛ لأنه باعتبار الأغلب، وكونهما مبنيين للفاعل، والضمير المستتر لابن عباس أو قيل يحتاج لنقل.

(على الحجارة القديمة) أى الموجودة قبل عصر النبوة؛ لأن الكتابة لو كانت جديدة بخط هذه الأمة لم تكن دالة على ما نحن فيه.

(مكتوب : محمد تقى) أى ممتثل لأوامر الله، مجتنب لنواهيه صلى الله تعالى عليه وسلم، **(مصلح)** لجميع الناس بهدايتهم لكل خير وسعادة وللدنيا بعدله، **(وسيد أمين)** على الوحى وغيره كما تقدم.

(وذكر السمنطارى) بسين مهملة وميم مكسورتين ونون ساكنة وطاء مهملة بعدها ألف وراء مهملة وياء نسبة مشددة. قال صاحب القاموس فى تاريخ المدينة: إنه نسبة لسمنطار قرية من جزائر الغرب، وقيل: هو الذهبى بلسان أهل المغرب، وهو أبو بكر بن عتيق بن على أحد عباد الجزيرة وزهادها، وله كتاب الرقائق فى اثنى عشر مجلدا كبيرا لم يسبق لمثله، ومنه نقل المصنف هذا الحديث انتهى، وقال التلمسانى: إنه من الأجلة وله تأليف فى فنون العلم، فمن قال: لم أر له ترجمة ونحن فى غنية عما نقل عنه من الغريب، فقد شهد على نفسه بقلة الاطلاع.

(أنه شاهد فى بعض بلاد خراسان) هو إقليم معروف قيل: وقد تسكن راؤه وتحذف ألفه، وفى الزاهر لابن الأنبارى معناه مطلع الشمس؛ لأن خور بالفارسية معناه الشمس.

(مولودا ولد) أى حين ولادته وخروجه من بطن أمه، فلا يتوهم أن وصف المولود بأنه ولد من اللغو، **(وعلى أحد جنبيه)** أى شق بدنه وصفحته **(مكتوب لا إله إلا الله، وعلى الآخر محمد رسول الله، وذكر الأخباريون)** المراد بهم المؤرخون الذين لهم اعتناء بأخبار الأمم السالفة، ولما كان الأخبار جمع خبر، وهو عام مخصوص بهذه الطائفة نسب للجمع لمشابهته العلم كأنصار وأنصارى، ولولا هذا رد فى النسبة لمفرده كسائر الجموع المنسوب إليها.

(أن ببلاد الهند وردا أحمر مكتوب عليه بالأبيض: لا إله إلا الله محمد رسول الله) أى مكتوب فيه بلون أبيض عكس المشهور من كتابة الألوان فى البياض؛ للدلالة على أنه ليس من صنع البشر، وهذا كقول البوصيرى فى مطلع قصيدة له(١):

كتب المشيب بأبيض فى أسود   بغضا لعين الحاسد الخرد

وقد ذكر ابن العديم فى تاريخه حكايات كثيرة، منها أنه وجد ببلاد الهند مثله فى الثمار والأوراق، وأن الصيادين رأوا مثله فى السمك، واعلم أن ما اشتهر من أن الورد الأحمر خلق من عرق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، أو من عرق جبريل عليه الصلاة والسلام موضوع كما نقله ابن حجر عن النووى والذهبى وابن عساكر.

وكذا ما فى الفردوس من أن الورد الأبيض خلق من عرقى ليلة المعراج، والورد الأحمر خلق من عرق جبريل، والورد الأصفر خلق من عرق البراق.

وعن أنس رضى الله تعالى عنه يرفعه قال: لما عرج بى إلى السماء بكت الأرض من بعدى، فنبت اللصف وهو الكبر من مائها، فلما أن رجعت قطر من عرقى على الأرض، فنبت ورد أحمر ألا من أراد أن يشم رائحتى، فليشم الورد الأحمر(٢)، والورد كما قاله أبو حنيفة الدينورى نور كل شجرة، وزهر كل نبت، ثم خص بهذا الورد المعروف، فقيل لأحمره: الخوجم، ولأبيضه: الوتير.

وفى شرح سقط الزند: الورد ما يضرب إلى الحمرة، يقال: أسد ورد وعنبر ورد ودم ورد أى أحمر، والورد المشموم ليس بعربى فى الأصل إلا أن العرب تسمى الزهر وردا. انتهى.

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: إذا كان يوم القيامة ينادى مناد فى الموقف: ألا ليقم من كان اسمه محمدا، فليدخل الجنة لكرامتى،

---

(١) البيت من الكامل، وهو فى ديوان البوصيرى (ص٦٦).

(٢) أخرجه ابن الجوزى فى الموضوعات (٣/٦٢)، وأورده السيوطى فى اللآلى (٢/١٤٨).

ويأتى شرحه فيما بعده. وفى رواية يقول الله له: عبدى لم تستح منى إذ عصيتنى واسمك محمد، وأنا أستحيى أن أعذبك واسمك اسم حبيبى. اذهبوا به إلى الجنة، وإلى هذا أشار فى البردة بقوله:

فإن لى ذمة منه بتسميتى محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم

(وروى عن جعفربن محمد) هو جعفر الصادق، وقد تقدمت ترجمته، ومحمد هو محمد الباقر، وقد تقدم أيضا.

(عن أبيه) أبو محمد بن على بن حسين بن على بن أبى طالب.

(إذا كان) هى تامة بمعنى وجد **(يوم القيامة نادى مناد)** من الملائكة أمره الله بالنداء بقوله: **(ألا ليقم من اسمه محمد)** ألا حرف استفتاح وتنبيه، والمراد بالقيام الانفصال عمن معه؛ ليمتاز عن غيره ممن لم يسم بهذا الاسم كما أن من قام عند قوم جالسين يتميز عنهم، فهو استعارة أو مجاز مرسل أريد به لازمه أو كناية، وليس هذا أمر تسخير للأموات قبل إحيائهم أى ليقوموا من قبورهم، أو لمن قعدوا فى أرض المحشر لما عرض له من الأهوال وطول القيام، فإنه بعيد عن السياق ويأباه قوله: **(فليدخل الجنة)**؛ لأنه مؤمن شرفه الله بهذا الاسم إذ لم يعهد لتسمية أحد من الكفار به بعد بعثة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم.

(لكرامة اسمه عليه الصلاة والسلام)، وهذا من تتمة الحديث، فهو من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما علم من الرواية المتقدمة، ولم يقل: باسمى التفاتًا أو تجريدا، أو هو ما يدرج فيه من كلام جعفر رضى الله تعالى عنه، وعلى الأول هو من كلام المنادى، وليس هذا مما يقال بالرأى، فهو حديث له حكم الرفع، وما قيل من أنه يؤدى إلى الاتكال وعدم العمل مما لا يلتفت إليه، وقد تقدم تتمته قريبًا.

(وروى ابن القاسم) فقيه مصر عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن حمادة صاحب مالك، وراوى الموطأ عنه، وهو من الثقات، توفى سنة إحدى وتسعين ومائة **(فى سماعه)** أعنى كتابا له فى مسموعاته عن شيوخه، **(وابن وهب)** أبو محمد عبد الله بن وهب، تفقه بمالك وروى عنه وعن غيره كابن دينار والليث بن سعد، وصنف الموطأ الكبير والموطأ الصغير، وكان أسن من ابن القاسم بثلاث سنين، وعاش بعده خمس سنين **(فى جامعه)** وهو اسم كتاب له ألفه على الأبواب بخلاف ما ألفه على الصحابة، فإنه من المسانيد.

(عن مالك) محيى السنة وإمام دار الهجرة الإمام المشهور رحمه الله تعالى **(قال: سمعت**

أهل مكة يقولون: ما من بيت فيه اسم محمد) أى مسمى باسمه، أو المراد ظاهره لأنه لا يكون الاسم بدون مسماه **(إلا نمى)** أى زاد ذلك البيت بكثرة الأولاد والأهل فيه، وزادت البركة فيه، **(ورزقوا)** أى زاد الله رزقهم ببركة ذلك الاسم، وفى نسخة إلا وقد وقوا من الوقاية أى حفظهم الله من كل سوء، واسم محمد يحتمل أن يكون إضافته بيانية أى اسم هو محمد، فيختص بهذا الاسم، أو لامية أى اسم من أسماء هذه الذات، فيشمل جميع أسمائه.

وفى نسخة: **(ورزق جيرانهم)** جمع جار، وهو لغة الملاصق، وشرعا إلى أربعين دارا، ويحتمل إرادة هذا أيضا؛ لأن بركته تعم جميع الدنيا.

(وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث مرفوع مسند كما قاله السيوطى، وذكر سنده: **(ما ضر أحدكم)** ما نافية، وأحدكم مفعول ضر، و**(أن يكون فى بيته محمد ومحمدان وثلاثة)** فاعله فى محل رفع، ولا يصح كونها موصولة، ونفى الضرر المراد به وجود النفع، ولكن هذا يستعمل للحث يعنى لو لم يكن فيه ضرر كفى سببا، فكيف وفيه نفع عظيم؟ وأى نفع؟ ويجوز أن يكون استفهامية، وأن يكون مجرورًا بحرف مقدر، أىْ أىُّ شىء حصل له من الضرر لكونه فى بيته؟.

وتوهم بعضهم أنه لا يصح؛ لأن أن يكون فاعله، فتبقى الجملة التى هى خبر عنها بلا عائد فيها، وعندى أنه أحسن لقول الناس: ما ضرك لو صليت؟ لمن ترك الصلاة، وهذا فيه حث عظيم حتى لا يتركه إلا لمانع وضرر، والاستعمال عليه، وكون الضرر باعتبار الالتباس فى تعدد المسمى باسم واشتقاق مما لا يلتفت إليه، وفى بعض النسخ: **(وعن على رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ما اجتمع قوم فى مشورة)** بفتح الميم وضم الشين المعجمة ويجوز سكونها أى فى أمر يتشاورون فيه **(معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوه فى مشورتهم إلا لم يبارك لهم. رواه جماعة منهم ابن عتاب)**؛ لأن من تسمى به يبارك الله فيه، ويلقن الرأى السديد ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم، ومن أعرض عنه كان بضد ذلك.

(وعن عبد الله بن مسعود) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه أحمد والبزار والطبرانى بسند رجاله ثقات، وهو وإن كان موقوفا له حكم الرفع؛ لأن مثله لا يقال من قبل الرأى كما اتفق عليه فى مصطلح الحديث أكثر المحدثين.

(إن الله نظر إلى قلوب العباد)، وما فيها من العقل، وقيل: المراد أرواحهم لأن القلوب تطلق عليها، **(فاختار منها قلب محمد)** أى اصطفاه وارتضاه، **(فاصطفاه لنفسه)** أى جعله

صفيا له مقربا عنده مختصا به، لا تعلق له بغير الله فى ظاهره وباطنه؛ ولذا جعله محلا لسره ومبلغا لأوامره ونواهيه، وهذا كله على طريق التمثيل، فهو استعارة أى عامله معاملة عظماء الملوك الذين ينتخبون من الناس من يكون وزيرا مخزنا لأسرارهم، والمراد أن روحه وقلبه أشرف مما عداه، فلذا كان مقربا عنده وخليفة له، وفى إطلاق النفس على الله من غير مشاكلة كقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وادعاء أنه مشاكلة تقديرية تكلف، فقول أهل المعاني: إنه لا يطلق عليه إلا مشاكلة كقوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] غير صحيح، وجمع بين القولين بعض المحققين فقال: النفس لها معنيان الذات، وهذا يصح إطلاقه من غير مشاكلة، والجسم وما يلزمه من النفس اللوامة والأمارة، وهذا لا يطلق عليه إلا مشاكلة.

(وحكى النقاش) أبو بكر محمد بن الحسين المفسر المشهور، وقد تقدمت ترجمته **(أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت)** آية ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾ أى لا ينبغى لكم، ولا يحل ولا يجوز ﴿أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ بأى أذية كانت، ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ أى بعد موته ﴿أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية؛ لأن حرمتهم مؤبدة، وهى أمهات المؤمنين حتى قال الشافعى رضى الله تعالى عنه: من استحل ذلك كان كافرا؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم حى لم تزل عصمته عنهن، وهن معه فى الجنة، وكسوتهن ونفقتهن من بيت المال وسبب نزول هذه الآية أن بعض المنافقين قال: إن مات محمد تزوجت عائشة، وما قيل: إن قائل ذلك طلحة أحد العشرة المبشرة، وأنه ندم فحج ماشيا، وأعتق رقبة، وحمل على عشرة أفراس فى سبيل الله كفارة لمقالته، لا يصح؛ لأن مثله لا يصدر عنه مثل ذلك، بل لا يصدر ممن دونه بطبقات.

(قام خطيبا) على عادته صلى الله تعالى عليه وسلم فيما إذا بلغه ما لا يجوز، وأراد إعلام الناس به.

(فقال) فى خطبته **(يا معشر أهل الإيمان)** المعشر الجماعة **(إن الله فضلنى عليكم تفضيلا)** عظيما تفضل به على الأمة، **(وفضل نسائى على نسائكم تفضيلا. الحديث)**؛ لأنهن أفضل من جميع نساء عصره، وفى فضل بعضهن على بعض كلام ليس هذا محله، وأشار به إلى عدم كفاءة أحد لهن، وإن كان الله خصه بأنه لا يجوز لأحد نكاح زوجاته لما مر.

* * *

(فصل فى تفضيله ﷺ بما تضمنه كرامة الإسراء)

[من المناجاة والرؤية وإمامة الأنبياء والعروج به إلى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى]

أى ما اشتملت عليه قصة الإسراء، ووقع فى ضمنها مما فضله الله به على سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام، والمراد ما أكرمه الله به من خارق العادة، وليس المراد به ما يقابل المعجزة، فإنه من أعظم معجزاته، وقد أعلم به وبما فيه من فضله، ولك أن تقول: المراد به ظاهره لأنه أمر لا يطلع عليه غيره، وما هو كذلك لا يتحدى به، ولذلك عبر المصنف عنه بالكرامة، والباء للتعدية أو السببية، والإسراء مصدر أسرى، ويقال: سرى وأسرى إذا سار ليلاً، واختلف فيهما فقيل: هما بمعنى، وقيل: بينهما فرق فقيل: أسرى سار من أول الليل، وسرى سار من آخره، وقيل: العرب تقول: سرى ليلا إذا سار بعضه، وأسرى ليلة إذا سار جميعها، ولا يقال: أسرى ليلا إلا إذا وقع سيره فى أثنائه، فإذا وقع فى أوله قيل: أدلج، فمعنى ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] أنه فى وسطه، وأسرى متعد ومفعوله محذوف هنا أى أسرى البراق، وقيل: إنه لازم لسرى، وإنهما متغايران معنى كما مر ولفظا؛ لأن سرى من السرى، وأسرى من السراة وهى الظهر، فمعنى أسرى به ذهب به فى سراة الأرض وهى ظهرها، كذا فى المفردات، ويدل على تغايرهما اتفاقهما على التعبير بالإسراء هنا دون السرى، واتفاقهم على القراءة به، فصار معناه سيره إلى بيت المقدس، فالإسراء غير المعراج كما سيأتى، ثم بين ما تضمنه بقوله: **(من المناجاة)**، وهى الكلام سرا؛ لأن السر يقال له: نجوى، وتختص المناجاة فى العرف بكلام العبد مع ربه كمناجاة موسى صلى الله تعالى عليه وسلم

(والرؤية) أى رؤيته صلى الله تعالى عليه وسلم لربه بعين بصره، أو رؤية ما فى الملأ الأعلى من العجائب، ورأى إذا كانت بصرية مصدرها رؤية، وإذا كانت علمية مصدرها رؤيا، وإذا كنت اعتقادية مصدرها رأى.

وقال السهيلى: الرؤيا تكون بمعنى الرؤية أيضا، وله شواهد فى كلام العرب، وعليه قول المتنبى:

ورؤياك أحلى فى العيون من الغمض

فلا يرد عليه شىء كما توهم، وما يقوله صلى الله تعالى عليه وسلم بمنزلة ما يرويه.

(وإمامة الأنبياء) أى صلاته صلى الله تعالى عليه وسلم بالأنبياء إماما لهم، فإنه يدل على تفضيله عليه الصلاة والسلام، ولذا استدل على تقديم أبى بكر رضى الله تعالى عنه

فى الفضل بتقديم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له فى الصلاة فى مرض موته، وقالوا: ألا نرضى لدنيانا ما رضيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لديننا.

(والعروج به إلى سدرة المنتهى) العروج بمعنى الصعود فى جهة العلو، وفعله عرج يعرج كقتل يقتل، ويأتى فى الحديث عرج بى بفتحتين، وقال المصنف رحمه الله تعالى: إنه بضم العين وكسر الراء، ومنه المعراج، والمعراج بكسر الميم وهو السلم ذو الدرج وجمعه معارج ومعاريج، وللسماء معراج تصعد فيه أرواح الموتى، وهو الذى يشخص إليه بصر المحتضر لما يرى من نوره وحسنه، فإذا رآه لم يتمالك روحه أن تخرج وبه تصعد الملائكة بالأعمال، وبه فسر قوله: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣]، فالإسراء سيره صلى الله تعالى عليه وسلم لبيت المقدس، والمعراج صعوده للسماء، وهو مصدر ميمى أو اسم السلم أطلق عليه، أو فيه مقدر.

وقد يطلق الإسراء على جميع الإسراء والمعراج، ويطلق المعراج على كل ذلك مجازا. فقيل: إنه تغليب وفيه نظر.

والسدرة شجرة معروفة، وهى شجرة النبق، وقيل: للتى فى الجنة ﴿سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم ١٤]، وهذه الشجرة فى السماء السابعة، وقيل: فى السادسة، واقتصر عليه المصنف رحمه الله تعالى فيما يأتى، وجمع بينهما بأن أصلها فى السادسة وأعلاها فى السابعة، ويأتى أن نبقها كقلال هجر، وأن أوراقها كآذان الفيلة، وأنه يغشاها نور من الله، وفراش من ذهب، وأنه يسير الراكب فى ظلها مائة عام، ويخرج من أصلها أنهار أربعة: منها النيل والفرات، وأنه إنما سميت سدرة المنتهى؛ لأنه ينتهى إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها، وقيل: إنه ينتهى إليها علم الخلائق، فلا يعلم وراؤه، أو منتهى الملائكة فلا يتجاوزونها، وقيل: لأن من وصل اليها انتهى لأقصى الكرامة... إلى غير ذلك من الأقوال.

(وما رأى من آيات ربه الكبرى) ما موصولة عائدها مقدر أى رآه، أو مصدرية، والكبرى مفعول رأى، ومن آياته بيان مقدم عليه أو هو صفة لآياته، ومن تبعيضية أو زائدة، وآيات الله كل ما رآه مما يدل على عظمته، أو جبريل على صورته الأصلية، أو ما يغشى السدرة من الأنوار التى لا يمكن النظر إليها ولا وصفها، وقيل: هو رفرف أخضر سد السماء، والرفرف ما يسمى بالفارسية سايبان، وقيل: إنه بساط.

(ومن خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم) أى ما خصه الله به من دون الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع ما له من المعجزات التى تساوى معجزات سائر الأنبياء كما فصل فى محله.

(قصة الإسراء وما انطوت عليه) أى احتوت عليه وتضمنته **(من درجات الرفعة)** أى العلو فى الرتبة والدرجة المرقاة الحسية، فشبه ما أعطيه من المراتب المعنوية بالمراقى الحسية، واستعار لها اسمها استعارة مصرحة **(مما نبه عليه فى كتابه العزيز)** فى سورة الإسراء وسورة النجم.

(وشرحته) أى كشفته وبينته **(صحاح الأخبار)**، وفى بعض النسخ: صحائح الأخبار، وكلاهما جمع صحيح. قال فى القاموس: يقال صح يصح فهو صحيح، وقوم صحاح بكسر الصاد وصحائح انتهى، وصحاح بفتح الصاد بمعنى صحيح، أو مصدر بمعنى الصحة، وهو من إضافة الصفة للموصوف أى الأخبار الصحاح، وهى ما رواه الثقات بسند متصل وسلم من الشذوذ والعلة القادحة، كما فصل فى مصطلح الحديث.

(قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] **الآية)**، وقد مر الكلام على لفظ الإسراء، وسبحان منصوب على المصدرية، وهو علم جنس لمعنى كفجار وغدوة، فإذا أضيف قصد تنكيره، فإن علم الجنس منكر كعلم الشخص، وأنكره بعضهم بناء على أنه غير معين، فلا يتصور تنكيره، وعلى العلمية هو ممنوع من الصرف، فإذا نكر صرف، وأنكر بعض النحاة علميته، وخطأ من قال به كما ذكره أبو على فى تذكرته، والكلام فيه طويل الذيل، فسبحان مصدر بمعنى التسبيح والتنزيه، أو اسم مصدر، وابتداء السورة والقصة به؛ لأنه لما ذكر الإسراء والرؤية ربما توهم أن الله تعالى فى جهة، فنزهه عن ذلك، وهى من التنزيه تدل على التعجب، ولما كذبوه فى الإسراء نزهه الله عن الكذب، وعجب عباده فى نسبته لمثله، ومما أنعم عليه من النعم التى خصه بها. قيل: ويحتمل أن يكون بمعنى الأمر أى سبحوه تسبيحًا.

وقال: ﴿لَيْلًا﴾ أى فى مدة قليلة، ولذا ذكره ونكره مع أن السرى يختص به كما مر.

وقال: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ لأن صفة العبودية أشرف الصفات، وأضافه له تشريفا وإيماء إلى أنه مجرد لدخول سرادق العز، والمسجد الحرام يخص المسجد نفسه ويكون لمطلق الحرم، وكل منهما صحيح هنا.

وإسراؤه به صلى الله تعالى عليه وسلم كان من الحجر وهو نائم به، وروى أنه كان فى بيت أم هانىء، وجمع بينهما بأن جبريل أتاه فى بيت أم هانىء، فأيقظه جبريل عليه الصلاة والسلام وذهب به إلى الحرم، ثم تباطأ لمجيئه فنام فى الحجر

والمسجد الأقصى بيت المقدس سمى به لبعده عن المسجد الحرام، وضمير إنه هو لله أى هو السميع لما قيل فى حقه، والبصير المطلع على أحواله، وقيل: إنه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، أى هو السميع لكلام ربه المشاهد لآياته.

(وقال عز وجل: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١ - ١٨]) الواو للقسم، والنجم عام لكل نجم، أو المراد به الثريا لغلبته عليه، أو المراد به نجوم القرآن المنزلة عليه، وهو بمعنى غرب أو انقض أو طلع أو نزل عليه وحيه، وأقسم به لوقوع ذلك ليلا، وله تعالى أن يقسم بما شاء، أو التقدير ورب النجم، والكلام عليه مبسوط فى التفاسير.

إذا علمت ما ذكر من النص، **(فلا خلاف بين المسلمين فى صحة الإسراء به عليه الصلاة والسلام)** بحسب النقل الشاهد له العقل، والمسلمون يجمعون عليه، وإنما اختلفوا فى كونه يقظة أو مناما كما سيأتى **(إذ هو نص القرآن)** تعليل لعدم وقوع الخلاف فيه بعد نص القرآن الذى لا يجحده مسلم، **(وجاءت بتفصيله)** بعدما أجمله النص، **(وشرح عجائبه)** الواقعة فيه، **(وخواص نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيه)** أى ما خصه الله به فى الإسراء **(أحاديث كثيرة منتشرة)**، وفى نسخة: أخبار كثيرة، ومعنى منتشرة أنها متفرقة فى كتب الأحاديث بأسانيد مختلفة.

(رأينا) من الرأى، وهو النظر والتدبير فى الأمور المهمة بعد ما رأينا جمعها يطول ويعسر **(أن نقدم أكملها)** أى الحديث الذى هو أكملها، أى أجمعها لهذه القصة وأصحها، والمراد بتقديمه اختياره كما فى قوله:

فقلت له: هاتيك نعمى أتمها ولا تبتئس إن المهم المقدم

وهذا رواه مسلم، فلذا جعله أصح من غيره بناء على رأى المغاربة من أنه أصح من البخارى

(ونشير إلى زيادة من غيره) أى من غير هذا الحديث وقعت روايتها لغير مسلم، وهى مهمة **(يجب ذكرها. حدثنا القاضى الشهيد أبو على)** هو الحافظ ابن سكرة، وقد تقدمت ترجمته، **(والفقيه أبو بحر)** بالباء الموحدة المفتوحة والحاء المهملة الساكنة ابن القاضى الإمام المشهور **(بسماعى عليهما)** أى بسماعى ممن يقرؤ عليهما، فإن حدثنا يختص بالسماع عند الجمهور، وبعضهم يجعلها تشمل السماع وغيره، فذكر المصنف هذا لدفع توهم غيره، **(والقاضى أبو عبد الله التميمى)**، وهو محمد أبو عبد الله بن عيسى التميمى أستاذ المصنف الذى تفقه عليه، وإليه أشار بقوله: **(وغير واحد من شيوخنا)**، والشيخ فى

الأصل معناه الكبير سنا، ثم صار فى العرف اسما لمن يقرأ عليه الناس ويستفيدون منه؛ لأنه فى الأكثر لا يصل لهذه المرتبة إلا من كبر سنه، وكان فى العصر الأول يقال لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما: شيخا الإسلام كما ذكره السخاوى.

(قالوا: حدثنا أبو العباس العذرى) بضم العين المهملة وسكون الدال المعجمة والراء المهملة نسبة لبنى عذرة قوم من العرب مشهورون، وفى بعض النسخ بواو بدل الراء وهو تحريف من الناس قال: **(حدثنا أبو العباس الرازى)** تقدمت ترجمته قال: **(حدثنا أبو أحمد الجلودى)**تقدمت ترجمته، وأنه يجوز فيه ضم الجيم وفتحها قال: **(حدثنا ابن سفيان)** تقدمت ترجمته قال: **(حدثنا مسلم بن الحجاج)** صاحب الصحيح الإمام المشهور.

قال: **(حدثنا شيبان)** بالشين المعجمة المفتوحة والمثناة التحتية الساكنة والباء الموحدة **(ابن فروخ)** بفتح الفاء وتشديد الراء المهملة المضمومة وواو ساكنة وخاء معجمة، وقال ابن حجر فى التبصرة: إنه بدون واو، والذى نعرفه فى لغة العجم أنه بالواو فإن صح ما قاله فلعله تغيير بعد التعريب، ومعناه السعيد طالعه، وهو علم غير منصرف للعلمية والعجمة، وقول البرهان: إنه ضبط فى بعض النسخ بالتنوين خطأ لا ينبغى ذكره، وكذا قول التلمسانى: إنه يصرف ولا يصرف وصرفه أكثر، وقال صاحب العين: إنه اسم لإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، وهو أبو العجم كما فى المطالع، ونقله النووى فى شرح مسلم، وتبعه صاحب القاموس، وهو أبو محمد الحبطى الأيلى روى له أصحاب السنن، فهو إمام ثقة توفى سنة خمس وثلاثين ومائتين، وترجمته فى الميزان.

قال: **(حدثنا حماد بن سلمة)** بن دينار أحد أعلام المحدثين وهو ثقة صدوق، ولكنه قد يغلط، توفى سنة سبع وستين ومائة وترجمته فى الميزان.

قال: **(حدثنا ثابت البنانى)** بضم الباء الموحدة نسبة لحى من العرب يقال لهم: بنانة ونونه مخففة، وهو ابن أسلم رأس العلماء العابدين فى عصره، توفى سنة سبع وعشرين ومائة وعمره ستة وثمانون، وهو ثقة ثابت كاسمه. أخرج له أصحاب الكتب الستة، وله ترجمة فى الميزان.

(عن أنس بن مالك) صاحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **(أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: أتيت بالبراق)** بزنه غلام، وهو من دواب الجنة، سمى به لشدة بريقه ولمعانه، أو لسرعته كالبرق الخاطف كما مر.

(وهو دابة) أى على صورتها، وهى فى عرف اللغة ذوات الأربع، وأصل معناها وضعا كل ما يدب أى يتحرك ويمشى من ذوات الأرواح، وهو يذكر ويؤنث **(أبيض**

طويل فوق الحمار ودون البغل) أى فى الجثة، وأبيض خبر بعد خبر لا صفة دابة، وطوله باعتبار ما بين عنقه وذنبه لأنه أعون فى مد خطوه، وليس المراد طول قوائمه، وقيل: إنه بادى البشرة خده كخد الإنسان، وعرفه كالفرس، وقوائمه كالإبل، وأظلافه وصدره كالبقر، وصدره ياقوت لا يشبه الدواب.

قال ابن المنير فى المقتفى: إنما أتى له صلى الله تعالى عليه وسلم بالبراق تأنيسا له بجريه على العادة، والله تعالى قادر على أن يرفعه بغير شىء، وإظهارًا لكرامته، فإن عادة الملوك إذا دعوا من يحبونه بعثوا له بمركوب فى وفادته، ولم يكن على شكل الفرس تنبيها على أنه حال سلم لا حرب، وإظهارًا للآية فى إسراعه العجيب، وليس شكله مما يوصف بالسرعة عادة، ولذا ركب صلى الله تعالى عليه وسلم البغلة فى حنين إظهارا لثباته، وشجاعته، وتساوى الحرب والسلم عنده، وبغلته بيضاء أيضا كالبراق.

قال ابن المنير: أى شهباء، والأشهب المائل إلى البياض، والشاة البرقاء هى البيضاء، ومنه البراق ويجوز الجمع فى التسمية بين البياض واللمعان والسرعة.

(يضع حافره عند منتهى طرفه) الحافر مجاز كالمشفر، فإن الحافر لا يطلق لغير الخيل ونحوها، وهذا له ظلف كما للبقر لكنه لقربه من البغل سماه حافرا، ومنتهى مصدر بمعنى الانتهاء كما مر، والطرف العين والمراد به النظر، ولا يلزمه أن يصل إلى السماء بخطوه كما توهم.

(قال) صلى الله تعالى عليه وسلم: **(فركبته حتى أتيت بيت المقدس)** بفتح الميم وكسر الدال المخففة، وتقدم أنه يجوز ضمها وفتح الدال المشددة وأنه من التقديس وهو التطهير.

واختلف هل ركب جبريل عليه الصلاة والسلام معه أم لا؟ فقيل: ركب معه؛ لأنه ورد فى بعض طرق هذا الحديث: فمازلت على ظهره أنا وجبريل، وسيأتى التصريح به عن حذيفة، وحينئذ فيحتمل أنه كان خلفه ويؤكده ما تقدم فى عدة ممن أردفهم، ويحتمل أنه كان قدامه قال ابن المنير: والأظهر اختصاصه بالركوب، وقد صرح فى الحديث بأن صعوده صلى الله تعالى عليه وسلم كان على البراق ولم يذكر أن هبوطه كان عليه، فقال الدميرى: إن الله أنزله بدونه إظهارًا لقدرته، وقيل: إنه هبط به أيضًا، ولكنه لم يتعرض له اكتفاء بذكر العروج.

(فربطته) أى البراق **(بالحلقة)** بفتح الحاء المهملة وسكون اللام، وهى معروفة، واختلف فى فتح لامها، فجوزه بعض أهل اللغة، وجعله بعضهم خطأ، وقال الليثى:

بالتحريك جمع حالق ككاتب وكتبة.

(التى تربط بها الأنبياء)، وروى بـه فـى مسـلم، وفـى الشـفاء لتـأويل الحلقـة بشـىء ونحوه، وقالوا: أمر التذكير والتأنيث سهل، وعبر بالمضارع حكايـة للحـال الماضيـة، و لم يبين أين كانت الحلقة؟ فقيل: كانت بباب المسجد الأقصى، والذى فى حديث الترمذى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم حين انتـهى إلى بيـت المقـدس أشـار جـبريل عليـه الصـلاة والسلام إلى الصخرة، فخرقها وربط البراق فيها، وهذا هو المعروف، ولا أعرف ما قبلـه عمن نقل، و لم يذكر المربوط، وظاهر السـياق أنـه الـبراق بنـاء علـى أن الأنبيـاء كـانت تركبه، وهو الصحيح، فإن ركبه جميعهم فهو ظاهر، وإلا فيراد بالأنبياء الجنـس، وأثبـت للجميع فعل البعض وهو جائز، واحتمال أن المعنى تربـط دوابـهم بعيـد، وكـون الـبراق قوى يمكنه قلع الحلقة بجذبه، فلا فائدة فى الربط لا يضـر؛ لأنـه مسـخر لا يخـالف فعـل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وفيه إشارة إلى مباشرة الأسباب، وأنها لا تمنع التوكل، وكفاك شاهدًا: «اعقلوا وتوكلوا»[(١)].

(ثم دخلت المسجد) الأقصى، وعطف بثم للتراخى الرتبى، وجعل بعد مرتبة المسـجد عن الأرض التى ليست بمسجد بمنزلة البعد الحقيقى.

(فصليت فيه ركعتين) تحية المسجد، وكان صلى الله تعـالى عليـه وسـلم يصلـى قبـل فرض الصلاة بالإسراء، وفرض عليه صلاة اختلف فيها، فقيل: صلاة الليل: وقيل: صلاة بالغداة وصلاة بالعشى، ونقلـه ابـن الملقـن، وقـال: ثـم فرضـت الصلـوات الخمـس فـى الإسراء من غير تعيين أوقاتها، فكانوا يصلونها متى أرادوا مجموعـة ومفرقـة، ثـم عينـت أوقاتها بوحى من الله.

(ثم خرجت) من المسجد، **(فجاءنى جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن)**، وخـيرنى فـى شرب أيهما أردت، **(فاخترت اللبن)** بأخذه وشربه.

(فقال جبريل: اخترت الفطرة)، وروى أخذت الفطرة، وقد تقـدم أن الفطـرة الجبلـة، والطبيعة التى فطر الناس عليها، وتكون بمعنى الإسـلام والاسـتقامة، أى مـا اخترتـه هـو الموافق للخلقة الإنسانية التى خلق الله الناس عليها وللطبائع المستقيمة، فإن اللـبن شـراب لذيذ وطعام نافع موافق للإنسان سريع النماء؛ ولذا كان غذاء للأطفال دون غيره، وفـى حديث آخر: «هديت وهديت أمتك، ولو اخترت الخمر لغويت وغـوت أمتـك»، وفـى

---

(١) أخرجه ابن حبان (٢٠٤٩)، وأبو نعيم فى الحلية (٨/٣٩٠)، وابن أبـى الدنيـا فـى التوكـل (٧) بلفظ: «اعقلها وتوكل».

طريق آخر: «هدى الله بك، أو أصاب بك»، وروى أن الآنية كانت ثلاثا، وإناء فيه ماء، وفى رواية أربع وإناء فيه عسل، والأصح ما رواه المصنف.

وقال ابن المنير: التخيير إنما يكون بين واجبين كخصال الكفارة، أو مباحين كجالس الحسن أو ابن سيرين، وأما بين واجب وممنوع، أو مباح وممنوع، فلا فالتخيير بين الخمر واللبن سواء أريد إباحتهما والإذن فيهما جميعا، أو أريد الإذن فى أحدهما لا بعينه مشكل فما معنى تخييره حتى اختار أحدهما؟ وقول جبريل له أصبت الفطرة باختيار اللبن أى تنبت الخلقة عليه، وبه نبت اللحم ونشز العظم، أو اخترته لأنه الحلال الدائم فى دين الإسلام، وأما الخمر فحرام فيما سيستقر عليه الأمر.

والذى يرفع الإشكال أن يكون المراد تفويض الأمر فى التحريم والتحليل إلى اجتهاده الذى وافق فيه الصواب؛ بناء على جواز الاجتهاد له فيما لم يوح إليه شىء، وأنه صلى الله تعالى عليه وسلم معصوم فى اجتهاده بخلاف غيره انتهى.

وأجاب غيره بأن الخمر لم تحرم إذ ذاك، أو أنه كان فى السماء وليست دار تكليف، أو هى من جملة خمور الجنة وليست محرمة، ويجوز أن يترتب عليها غى أمته كما تترتب القبائح على بعض المباحات.

قال ابن المنير: واللبن فى الرؤيا يعبر بالعلم، ففيه إشارة إلى أنه لما ملىء قلبه إيمانا وحكمة أردف ذلك بالعلم، وجعل شرب ذلك اللبن سببا لترادف العلوم عليه، وشحن قلبه وقالبه بالأنوار والإسراء وإن كان يقظة إلا أنه ربما وقع فى اليقظة إشارات على حكم الفأل تعبر كما يعبر المنام، ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم يحب الفأل الحسن، وجاء فى الحديث أنه قدم له الإناءان قبل العروج، وجاء فى حديث آخر أنه بعده، ويجمع بينهما بأن تقديمهما له صلى الله تعالى عليه وسلم وقع مرتين، وكرر جبريل تصويب فعله تأكيدا للتحذير مما سواه.

(ثم عرج بنا إلى السماء) بفتح العين والراء أى عرج جبريل وصعد، وضمير بنا له صلى الله تعالى عليه وسلم والبراق أو هو له وجبريل، وفى نسخة بى، وفاعل عرج البراق، والباء للتعدية أو المصاحبة، وتقدم أنه يجوز ضم العين وكسر الراء، والسماء هى السماء الدنيا هنا، ولم يبينه لظهوره.

(فاستفتح جبريل)، وهو إما بقرع لها أو بصوت. قيل: والظاهر الأول لأنهم يعرفون صوته، أى طلب فتحها من الملائكة الموكلين بها.

(فقال) الموكل بها: **(من أنت)** أيها المستفتح؟ **(فقال:)** المستفتح أنا **(جبريل)**، فهو خبر

لمبتدأ مقدر هو أنا أو المستفتح، وفيه إشارة إلى أن من دق الباب ينبغى له أن يسمى نفسه، ولا يقتصر على قوله أنا، وأن السماء لها أبواب تفتح خلافا للحكماء المانعين للخرق والالتئام عليها.

(قيل: ومن معك؟ قال: محمد) عطف على مقدر أى جبريل ومن معك؟ قيل: إنما استفتح لأن معه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، ولو كان وحده لم يحتج لاستفتاح، وقيل: إنما استفتح تكريما وتأنيسا له، وقال ابن المنير: استفتاحه لأن أبوبها مغلقة، و لم تفتح إلا لأجله صلى الله تعالى عليه وسلم تنويها بقدره، ولو صادفها مفتوحة لم يعلم ذلك.

(قيل: وقد بعث إليه؟) أراد الاستفهام، فحذف الهمزة للعلم بها، وأصله أوقد بعث إليه؟ والنحويون يمنعون حذفها، ويحمل كلامهم على أنه إذا لم يكن قرينة على الحذف، وإلا فالحديث حجة عليهم كما قاله ابن المنير فى المقتفى، و لم يرد بالبعث بعث النبوة والرسالة، فإنه كان معلوما لهم، وإنما المراد أنه بعث إليه للمعراج، وقول ابن حجر: إنه يجوز أن يكون استفهامًا عن أصل بعثته بالنبوة، والبواب لم يطلع عليها لاشتغاله بشأنه لا وجه له؛ لأن المراد بسؤاله بيان سبب موجب لفتح السماء له، ومجرد نبوته ليست تصلح للسببية إلا أنه يحتمل كونه تعجبا مما أنعم الله به، واستبشارا بعروجه، وهذا مع ما فيه أحسن مما قاله ابن حجر.

وفيما ذكر دلالة على أن من أذن له فى شيء يقتضى رفع الموانع عما أذن له فيه، فمن أذن له بالبيع أذن له فى قبض الثمن، والوكيل إذا أذن له فى شيء أذن له فى لوازمه، فلذا لم يطلب البواب الإذن له فى الفتح، ولذا قال جبريل: **(قد بعث إليه ففتح لنا)** بالبناء للفاعل والمفعول، وفى بعض الطرق أن الخازن قال له: مرحبا به ولنعم المجيء جاء.

قال ابن المنير: وفيه دليل على أن حاشية الملك إذا فهموا منه إكرام وافد أن يبشروه، وإن لم يؤذن لهم فيه، وليس هذا من إفشاء السر لأنه تفرس الرضاء به؛ لأن استدعاءه إنما هو لإكرامه فعجل له بالبشرى، ثم أفاد فائدة هنا جليلة منقسمة إلى متعبد به لا يقوم غيره مقامه، وإن أدى معناه كالإحرام بلفظ التكبير والتلبية والتشهد إلى ما لا حجر فى لفظه، فيقوم مقامه كل ما أدى مؤداه كدعاء الجنازة، والقنوت، وتسبيح الركوع، والسجود ونحوه، وهذا إنما يعلم من جملة الشريعة. إذا علمت هذا فالتحية بالسلام هل هو تعبدى من القبيل الأول، أو من الثانى فيقوم مقامه ما يؤدى معناه كأهلا وسهلا ومرحبا؟ ولذا كان بعض المتورعين لا يرد سلام من لم يلفظ به، ويقول: ليس هذا

بسلام يستحق الرد. وأكثر السلف والخلف على التسمح فيه، وهذا الحديث دليل لهم، فان الملك حياه بمرحبًا ونعم المجىء، وكذا من لقيه من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم: **(فإذا أنا بآدم)**، عليه الصلاة والسلام، **(فرحب بى ودعا لى بخير)**، أى قال لى مرحبا بك أى جعل الله تعالى مكانك رحبا واسعا، وهو كناية عن إكرام نزله وبره، وإذا هى الفجائية، وبدأ بآدم، عليه الصلاة والسلام، لأنه أسبقهم وجودًا.

قال ابن المنير فى المقتفى: اختلف طرق المتكلمين على حديث الإسراء فى ذكر الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وترتيبهم فى السموات، فمنهم من لم ير التكلم فى سره أصلا، ومنهم من تكلم فيه من مشايخ الصوفية، وفيه كلام طويل أفردناه برسالة لا يسع المقام تفصيله، ثم اختلف هؤلاء، فمنهم من قال: إنما اختص من اختص من الأنبياء بلقائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، على عرف الناس إذا لقوا الغائب مبتدرين للقائه، فالغالب أن يسبق بعضهم بعضا، ومنهم من يصادفه ومنهم من لا يصادفه، وهذه طريقة ابن بطال فى شرح البخارى.

وذهب بعض شيوخ الأندلس إلى أن ذلك تنبيه على الحالات الخاصة بهؤلاء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وتمثيل لما سيتفق له، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما اتفق لهم مما قصد الله تعالى فى كتابه. قالوا: وهذا يرجع إلى فن التعبير، فمن رأى فى منامه نبيا كان ذلك دليلا على حاله، فآدم، عليه الصلاة والسلام، تنبيه على الهجرة لخروجه من الجنة بعدواة إبليس وحيلته، كخروجه، صلى الله تعالى عليه وسلم، من مكة بأذية قومه له وللمسلمين، وعيسى ويحيى، عليهما الصلاة والسلام، دليل على ماسيلقاه الرسول، صلى الله تعالى عليه وسلم، من أذى اليهود؛ لأنهم قتلوا يحيى وراموا قتل عيسى، فرفعه الله إليه، وكذلك فعلت اليهود برسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، إذ داروا حول قتله، وسموه فى ذراع شاة كانت سببا للشهادة فى قصته المشهورة، ويوسف دليل على ما فعل به قومه مما كان سببا لرفعته وظفره عليهم، ثم إحسانه إليهم وعفوه عنهم كما فعل مع عمه العباس وابن عمه عقيل إذ فداهما، وقال يوم فتح مكة إذ عفا عن قريش وأطلق الطلقاء: أقول كما قال أخى يوسف: لا تثريب عليكم اليوم إلى آخره، ففعل كما فعل يوسف عليه السلام، وهارون دليل على عداوة قومه، وأن تنقلب بغضتهم مودة كما كان هارون عليه السلام محببا عند بنى إسرائيل حتى آثروه على موسى ، عليه السلام، وإدريس دليل على كتبه صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الآفاق؛ لأنه أول من خط بالقلم مع رفعته وعروجه، وموسى دليل لفتحه عليه السلام مكة وقهر المستهزئين

به كما فعل موسى بالجبابرة، وإبراهيم، عليه السلام، فى إسناد ظهره للبيت المعمور كحاله فى حجه فى آخر عمره، ولذا لقيه فى آخر السموات انتهى، وفيه إشارة إلى حكمة الترتيب فى منازلهم ولقياهم، وهذا مما ينبغى تأمله فإنه مما تفرد به، وللمشايخ فى ذلك كلام كما مر. وأشار إليه الشيخ فى فتوحاته.

وقد تقدم أن اليقظة فيها أحوال كالمنام من الفأل ونحوه تعبر كما يعبر الرؤيا، ولعمر رضى الله تعالى عنه، فى ذلك أمور كثيرة، كقوله إذ سأل رجلا عن اسمه فقال: شهاب. قال ابن من؟ قال: ابن جمرة قال: ممن؟ قال: من الحرقة. اسم قبيلة. فقال: أين مسكنك؟ قال: بالحرة. فقال: أين أنت منها؟ قال: من ذات لظى. فقال: أدرك قومك فقد احترقوا. فذهب فإذا النار مشتعلة فى بيوتهم.

وفى هذا الحديث أنه رأى رجلا فى سماء الدنيا عن يمينه أسودة، وعن شماله أسودة، إذا نظر ليمينه ضحك، وإذا نظر ليساره بكى يعنى آدم وذريته، وقد استشكل بأنه يعارض قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، والحديث الصحيح: إن أرواح الكفرة فى سجين وأسفل سافلين.

وأجيب: بأن المراد بذلك أرواح العصاة، وما فى الآية والحديث المراد به أرواح الكفار الجاحدين، وهؤلاء يرحمهم.

وقد نهى إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، عن استغفاره لأبيه، وللموعدة التى وعده جعل فى صورة ضبع يذبح حين إلقائه فى النار حين يحزن عليه.

وأجيب أيضًا: بأنه يجوز أن تمثل أرواح الأشقياء والسعداء، ويراهم النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، إذ مثلوا له، وإن لم تكونوا هناك كما كان صلى الله تعالى عليه وسلم يرى من خلف ظهره، وهذا هو الجواب عن الإشكال الآخر، وهو كيف يرى أرواح السعداء والأشقياء، وكثير منهم لم يموتوا؟.

وأما كون المراد بالأسودة العصاة فغير مستقيم؛ لأن المسلمين كلهم من أصحاب اليمين، وعلم مما مر أن آدم، عليه الصلاة والسلام، إنما كان فى أول السموات؛ لأنه أول الأنبياء وجودا، وليكون أقرب لأولاده فينظر لأسودتهم.

(ثم عرج بنا إلى السماء الثانية) فيه ما مر أولا، **(فاستفتح جبريل)**، عليه الصلاة والسلام، **(فقيل من أنت؟ قال جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد)** عليه السلام **(قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى ابن زكريا، عليهم الصلاة والسلام، فرحبا بى ودعوا لى بخير)** بألف التثنية، وفى بعض

الروايات أوقد أرسل إليه؟ وهما بمعنى، وقوله ابنى الخالة لأن مريم ابنت عمران أختها إيشاع أم يحيى على ما قاله السهيلى، وهو الموافق للحديث وارتضى غيره أن مريم بنت حنة بنت فاقوذا، وأم يحيى أم أبيه زكريا فاقوذا أيضًا، فاتحدا فى الجدة، فيكونان ابنا خالة لأن الخالة أخت أم والجدة يقال لها أم، واستدل لهذا بقول زكريا لما أراد كفالة مريم: عندى خالتها. وارتضى هذا السعد فى شرح الكشاف، فعلى هذا فى كونهما ابنا خالة تجوز سهل وقال الأزهرى: يقال هما ابنا عم، ولا يقال: ابنا خال، ويقال: ابنا خالة، ولا يقال: ابنا عمة؛ لأن من كان ابن عم إنسان كان الآخر ابن عمه أيضا، ومن كان ابن خالة إنسان كان الآخر ابن خالته أيضًا بخلاف ابن الخال وابن العمة، وإنما كانا فى السماء الثانية لأنه رفع إلى السماء وسينزل منها، فجعل فى مكان قريب إلى الدنيا مع يحيى؛ لأنه لدته وبينهما من القرابة والمحبة ما لا يوصف؛ ولذا جعلا فى سماء واحدة، ولم يكن فى سماء اثنان من الأنبياء غيرهما، وقال ابن المنير: لما كان عيسى، عليه الصلاة والسلام، سينزل كان معينا ليحيى وحده.

(ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فذكر مثل الأول ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف)، عليه الصلاة والسلام، **(وإذا هو قد أعطى شطر الحسن)** تقدم معناه وأن الشطر النصف، **(فرحب بى ودعا لى بخير)** لم يذكر الدعاء، والقول بأنه قوله مرحبا لا وجه له فإنه لا يسمى دعاء، ولما كان لقاؤه له، ، صلى الله تعالى عليه وسلم، دليلا على مفارقة أهله ووطنه على وجه يئول لعزة ونصرة، وهو بعد البعثة والدعوة، فهو الثالث من أطواره رآه فى الثالثة، وقد تقدم بسطه.

(ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، وذكر مثله فإذا أنا بإدريس)،عليه الصلاة والسلام، **(فرحب بى ودعا لى بخير قال الله تعالى:** ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧])، ولما ترادف الوحى عليه، عليه الصلاة والسلام، بعد الهجرة، وأظهر المؤمنون شعائر الإسلام، وهو طور رابع رأى إدريس فى الرابعة لشهرة علمه وكتابته، وفيه عز الإسلام وكمال رفعته، وفى تلاوة الآية إيماء لهذا، وإدريس اسمه أخنوخ بالعبرية، وهو سبط شيث وجد أبى نوح، وهو المثلث بالحكمة لأنه أول من نظر فى النجوم وخط ودرس، وقال له، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى الرواية المشهورة: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح، وفى أخرى شاذة بالابن الصالح وهو الظاهر، وقد استشكل كونه أخا مع أنه جد أعلى حتى قال بعضهم إن إدريس الذى لقيه غير إدريس هذا، وهو إلياس، وروى هذا عن ابن مسعود، رضى الله عنه، وعلى هذا لا إشكال.

وقيل: المراد أخوة النبوة والإسلام، واختلف فى رفع إدريس إلى السماء هل هو بعد

موته كما رفع سائر الأنبياء أو فى حياته كعيسى؟، ففى قصص الأنبياء أن الملائكة، عليهم الصلاة والسلام، أحبته لكثرة عبادته، فسأل ربه أن يذيقه الموت ملك الموت حتى يهون عليه، فأذاقه ثم حيى، ثم سأله أن يورده النار ليزداد رهبة، فأورده ثم خرج منها، فسأله أن يدخله الجنة ليزداد رغبة فيها فأدخلها، فلما قيل له: اخرج قال يا رب إنى ذقت الموت ووردت النار ودخلت الجنة، وقد وعدت من دخلها أن لا يخرج منها أبدا، فأوحى الله لخازنها دعه فبإذنى فعل ما فعل، فبقى فى الجنة فى السماء الرابعة نقله ابن المنير، ونبه على وجه كونه فى الرابعة على الأصح، وقيل: إنه فى الثانية، وقيل: فى السادسة.

(**ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله، فإذا أنا بهارون**)، عليه الصلاة والسلام، (**فرحب بى ودعا لى بخير**) جعل فى الخامسة؛ لأنه كالوزير لموسى، عليه الصلاة والسلام، لا يفارقه، فلذا كان فى جواره.

(**ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فذكر مثله، فإذا أنا بموسى**)، عليه الصلاة والسلام، (**فرحب بى ودعا لى بخير**). لما كان أجل الأنبياء بعد إبراهيم، عليه الصلاة والسلام،وكتابه أعظم الكتب قبل القرآن، وجاهد فى سبيل الله وظفر بما لم يظفر به غيره رفعت مرتبته على غيره، وتوفى فى حظائر القدس تحت منزلة الخليل، فكان فى السادسة.

(**ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فذكر مثله فإذا أنا بابراهيم**)، عليه الصلاة والسلام.

لما كان إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، أفضل الأنبياء قبل نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو خليل الرحمن كان أرفعهم منزلة، وما ذكرناه فى وجه التخصيص والترتيب هو بالنظر للظاهر؛ نظرًا لمناسبة الحال بنبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، وما استدل به عليه، ولعل هناك مناسبة أخرى بين أهل كل سماء ومن فيها من الرسل، وهذا مما لا نعرفه.

(**مسندا ظهره إلى البيت المعمور**)، وهو بيت تطوف به الملائكة، وتحج له للعبادة وهو محاذ للكعبة ويسمى الضراح بضم الضاد المعجمة وراء وحاء مهملتين، وسمى معمورا لكثرة الملائكة فيه.

قال التلمسانى: قيل: فيه دلالة على أن الأفضل فى غير الصلاة إسناد الظهر للقبلة، وقيل: الأفضل استقبالها، فعلى هذا لعله أسند ظهره ليتوجه للنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، ويخاطبه بما مر، وإنما أسند ظهره للبيت لأنه أول من بنى الكعبة من الناس أولا.

(وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودن إليه)؛ لأن حجه مرة كفرض الحج علينا، أو لاشتغال غيرهم. وكونه فى السابعة حذاء العرش هو الأصح، وقيل: إنه فى الرابعة.

(فذهب بى إلى سدرة المنتهى) لم يقل عرج لأنها فى السماء السابعة، وتقدم معنى سدرة المنتهى.

(وإذا ورقها كآذان الفيلة) بكسر الفاء وفتح المثناة التحتية جمع فيل، وإنما شبهه بها إن لم يكن بأرض الحجاز، لأنها كثيرة فى بلاد الحبش، وهم كثيرًا ما يأتونها للتجارة، وإليها كانت الهجرة الأولى، فهم يعرفونها، وإلا فالتشبيه بما لا يعرف عادة غير مقبولة.

(وثمرها كالقلال) جمع قلة، وهى الجرة، وشبهها بها لمد ظلها ولطف ورقها وطيب ثمرها وحسن رائحته، وإن كان شجر الجنة إنما يحكى أمور الدنيا صورة والفرق بعيد.

(فلما غشيها) أى طرأ عليها وغطاها **(من أمر الله)** الظاهر أن المراد بأمر الله وحيه، أو تجليه لرسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فإنها بذلك أشرق عليها نور إلهى، فزهت به وحسنت حسنا لا ينعت، ونور لا يمكن أن تقابله الأبصار لقوله بعده **(ما غشى)** أى أمر عظيم غشى؛ فإن الإبهام بمثله يفيده كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ وأمثاله.

(تغيرت) أى عن حالها التى كانت عليه، **(فما أحد من خلق الله يستطيع)**، ويقدر **(أن ينعتها من)** أجل **(حسنها)** الذى طرأ عليها؛ لكونها من أشجار الجنة المعتادة لإشراق تلك الأنوار عليها، ولو كانت من أشجار الأرض احترقت كما صار الجبل دكا، ويدل على ما قلناه قوله: **(فأوحى الله إلى ما أوحى)**، وفى هذا الإبهام تعظيم وتكثير لطريق الكناية الإبهامية حتى كأنه مما لا يمكن أن يدرك فينعت، وفى هذا الموصول وتعريفه إشكال أجبنا عنه فى حواشى التسهيل؛ لأن ماموصولة تتعرف بالعهد الذى فى الصلة، فإذا كانت كذلك كيف تكون الجملة معهودة معروفة، وقيل: المراد بها الملائكة التى تغشاها، فإنه شاهد على كل ورقة منها ملكا، وقيل: فراش من ذهب وجواهر نزل عليها أو جراد من ذلك، وقال مجاهد: رفرف أخضر، وقيل: طيور خضر، وإنما نهى النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، عن قطع السدر لذلك وفسر ما أوحى بقوله: **(ففرض علىّ)** وعلى أمتى **(خمسين صلاة)** تكون **(فى كل يوم وليلة)** وقيل: ما أوحاه إليه مبهم لا يعلمه أحد، وقيل: سورة ألم نشرح، وقيل: إن الجنة حرام على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، حتى يدخلها هو، صلى الله عليه وسلم، وعلى الأمم حتى تدخلها أمته.

وقال السيوطى فى الخصائص: فرضت الصلاة خمسين، والغسل من الجنابة، وغسل نجاسة الثوب سبعا سبعا، والوضوء لكل صلاة.

(فنزلت إلى موسى، عليه الصلاة والسلام) إنما قال: نزلت لأنه كان فى السادسة والوحى فى السابعة، وتخطى إبراهيم ونزل ليشاوره؛ لأنه يعلم ما فى شريعته من الأحكام والصلوات، ومارس من ذلك أكثر من إبراهيم؛ لأنه لم يفرض على أمته ما فرض على أمة موسى، عليه الصلاة والسلام.

(فقال: ما فرض ربك على أمتك؟) قال أولا: فرض على وقال هنا: على أمتك؛ لأن ما فرض على النبى فرض على أمته، ففيه احتباك وهو من أنواع البديع، وهو أن يذكر شيئين يحذف من كل منهما ما ذكر فى الآخر، فحذف من الأول وعلى أمتى، ومن الثانى على، ووقع فرض الصلاة فى السماء؛ لأنها أعظم العبادات، ففرضت فى أجل المواضع، وبين الله فرضها بنفسه من غير واسطة ملك اعتناء بشأنها، ولذا قيل: يكفر تاركها، وذهب الشافعى إلى أنه يقتل كما سيأتى.

(وقلت): فرض **(خمسين صلاة)** منصوب لأنه تميز **(فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف)** منها برفع بعضها، وإنما أشار عليه بذلك لمحبته له وجعله له ما يليق بنفسه، وقيل ذلك لأنه سأل الله تعالى أن يكون من أمته لما رأى فى التوراة مما لأمته، صلى الله تعالى عليه وسلم، من الكمال، فقال: يارب من هؤلاء؟ قال: أمة أحمد. فقال: يارب اجعلنى منهم، فخشى أن يفرض عليهم تكاليف شاقة، وهو منهم فيقصر فيها.

وقال السراج البلقينى: إنما قصد موسى تكرار رؤية محمد عقب رؤيته الله بعينه كما قيل:

لعلى أراهم أو أرى من يراهم

وموسى، عليه الصلاة والسلام، وإن كان يرى الله فى الآخرة لكن رؤيته روحانية، وهى ليست جسدية عينية، ولا تتيسر فى كل حين.

قال ابن حجر، رحمه الله: يحتاج ما قاله البلقينى إلى ثبوت تجدد رؤيته فى كل مرة، يعنى رؤية محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، لربه، وقال مصلح الدين اللارى: ما قاله البلقينى لا يتوقف على تجدد الرؤية، ويكفى حصول أصلها.

(فإن أمتك لا يطيقون ذلك) خص الأمة إشارة إلى أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، يطيق ذلك لما رزقه الله تعالى من قوته على عبادته، ولذا كان يواصل الصوم، وقد نهى عنه، ومعنى لا يطقيونه أنه يشق عليهم، فيقصرون فيه لا أنه محال حتى يقال: إنه مبنى

على تكليف المحال وهو جائز، وفائدته الأخذ فى مقدماته حتى يعلم امتثاله، ويطيقون بضم أوله مضارع أطاقه.

(فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم) عطف تفسير لأن الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان، يقال: خبره يخبره كقتله يقتله، وفيه مقدر أى خبرتهم مع قوة أجسادهم وطول أعمارهم، فلم أجد لهم صبرًا على ذلك، فكيف حال أمتك، وفى نسخة: قبلك.

(قال: فرجعت إلى ربى فقلت: يا رب خفف عن أمتى) مفعوله محذوف للعلم به أى ما فرضته عليهم من الصلاة، و لم يقل: وعنى لما مر، أو حياء منه بسؤاله لنفسه، **(فحط عنى خمسًا)** منها، وأصل الحط معناه تنزيل الحمل، فشبهه بالحمل تشبيهًا مكنيًا، كما قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(فرجعت إلى موسى فقلت) له (: **حط عنى خمسا**) منها **(فقال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف)**، وفى نسخة: فاسأله.

(قال: فلم أزل أرجع بين ربى تعالى وبين موسى) أى بين موضع مناجاتى له تعالى وملاقاتى لموسى عليه الصلاة والسلام، **(حتى قال:)** الله تعالى لما انتهى التخفيف إلى خمس **(يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة)** استدل به الشافعية على عدم وجوب الوتر، وجوابه مسطور فى كتب الفروع الحنفية.

(لكل صلاة عشر فتلك خمسون) فى الثواب والاعتبار؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها كما سيأتى تحقيقه.

(ومن هم بحسنة فلم يعلمها كتبت له حسنة) واحدة لنيته عملها، **(فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة)**. الهم: القصد من غير تصميم، فإن صمم فهو عزم، ومذهب الباقلانى أنه يأثم بالعزم المصمم، وهذا الحديث محمول على الأول وإنكار بعضهم المؤاخذة بالعزم مردود بالنصوص الصريحة، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور: ١٩]، والكاتب الملائكة، فتكتب حتى ما فى القلب كما قاله الطحاوى، وفى حديث مسلم القدسى كتبها الله تعالى عنده عشر حسنات إلى سبع مائة إلى أضعاف كثيرة، وهو صريح فى أن المضاعفة تزيد على العشر، ولا تقف على سبعمائة، وقول القرطبى: إنها لا تجاوزها مردود بهذا الحديث المجمع على صحته، وتحقيقه كما فى الإحياء أن أول: ما يرد على القلب الخاطر، كما لو خطر له صورة امرأة وراء ظهره بحيث لو التفت لرآها.

والثانى: هيجان الرغبة إلى النظر، وحركة الشهوة، وميل الطبع المتولد من الأول المسمى حديث النفس.

والثالث: حكم القلب بأن هذا ينبغى أن يفعل بأن ينظر إليها، وهو يتبع الخواطر والميل.

والرابع: تصميم القلب على الالتفات وجزم النية، ويسمى هذا بالفعل.

وهذه قد يكون لها مبدأ ضعيف، فإذا أصغى إلى الخاطر حتى طالت محاولته للنفس حتى تنخرم النية، فإذا انخرمت فقد يندم ويترك وقد يغفل فلا يعمل، وربما يعوقه عائق عنه فهى أربعة أحوال، وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم.

فالخاطر: لا يؤاخذ به لأنه غير اختيارى، وكذا هيجان الشهوة.

والميل: المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «عفى عن أمتى ما حدثت به نفوسها»، فحديث النفس خاطر يهجس فى النفس لا يتبعه عزم.

والثالث: وهو الاعتقاد وحكم القلب، وهو إما اضطرارى لا يؤاخذ به، أو اختيارى يؤاخذ به.

والرابع: وهو الهم بالفعل، فإن لم يعمل به وتركه خوفا من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة؛ لأن همه سيئة، وامتناعه منه حسنة لمجاهدة نفسه، وإن عاقه عنه عائق غير خوف الله تعالى كتبت سيئة؛ لأن همه فعل اختيارى له.

(قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: **(فنزلت حتى انتهيت إلى موسى)** أى انتهى سيرى فوصلت له، ولم يقل: انتهيت قبل هذا، وقاله هنا إشارة إلى أنه تمام المراجعة ولا مراجعة بعده.

(فأخبرته) بما قال الله تعالى له **(فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف)** من الخمس.

(فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) فيما قصه من حديث الإسراء **(:فقلت)** لموسى عليه الصلاة والسلام **(: قد رجعت إلى ربى)** مرارًا وراجعته فى سؤال التخفيف **(حتى استحييت منه)** أن أراجعه فى السؤال بعد ذلك.

واعلم أنهم اختلفوا فى جواز النسخ قبل التمكن من الفعل والبلاغ، وقبل دخول الوقت، فذهب أهل السنة إلى جوازه، وهو مبنى على جواز التكليف بما لا يطاق، واستدلوا بأنه وقع كما فيما نحن فيه، وبقصة الذبيح إذ أمره بذبح ولده ثم نسخه قبل تحققه بالفداء، ومنعه المعتزلة، فمنهم من قال: لم يأمره لأنه منام، ورد بأن رؤياهم وحى يجب العمل به، ولذا باشره، ومنهم من قال: إنما أمر بمقدماته من الشد والتل ونحوه،

ورد بأن قوله: ﴿أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢] يرده والفداء يأباه، وقيل: إنه فعل ولكن انقلبت السكين أو قلب عنقه حديدًا، وقيل: ذبح والتحم وهو مكابرة، وقالوا: إن النسخ قبل البلاغ مناقض، والجواب بأنه المأمور وقد بلغه ضعيف؛ لأنه عام له صلى الله تعالى عليه وسلم ولأمته؛ لأن الفرض عليه فرض عليهم، ولذا قال له موسى عليه الصلاة والسلام: إن أمتك لا تطيقه، وفيه أيضًا النسخ قبل البيان؛ لأنه لم يبين وقته وعدد ركعاته وهو جائز، واعلم أنهم يريدون بالمنسوخ خبر التكليف، لا نفس الأمر؛ لأنه قديم.

ووقع فى بعض طرق هذا الحديث أن موسى عليه الصلاة والسلام قال له: اسأله، التخفيف، فإنى أعلم بالناس منك، فكيف يقول هذا، وقد قاسى مع الخضر، عليه الصلاة والسلام، ما قاسى لما قال: أنا أعلم الناس منك؟ وكيف يقوله للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، والجواب أن مراده علم التجربة والرؤية لما رآه ومثله لا يضر، وما قيل من أنه خبر لا يدخله النسخ مردود بقوله، وقيل: إن قوله خمسون أولا بيان لما فى اللوح المحفوظ، والمراد أنها بحسب الثواب كذلك، فلا نسخ فيه، والنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، فهمه على ظاهره، فراجع ربه فى غاية البعد.

(قال القاضى) هو شيخه القاضى الشهيد المذكور فى أول السند السابق، ولذا لم يسمه استغناء بإعادة المعرفة معرفة وتعريفه عهدى (**: جود**) بفتح الجيم وتشديد الواو، أى حسن من الجودة ضد الرداءة، والحسن ضد القبيح **(ثابت)** البنانى الراوى.

(هذا الحديث عن أنس، رضى الله تعالى عنه ماشاء) أى أحسن فى روايته وأتقنها إتقانا محكمًا لأن ما نكرة موصوفة أى تجويدًا شاءه، أى بذل جهده وفعل كل ما دخل تحت إرادته، والمراد أن روايته جيدة خالية عن الاعتراض ولذا اختارها على غيرها من الروايات، وقيل ما شاء كناية عن كثرة تجويده أى أتى بها بجودة تجويدا كثيرا.

(وقد خلط فيه غيره) خلط بتشديد اللام وضمير فيه للحديث، والخلط إدخال شىء، والمراد أنهم أدخلوا فى حديث الإسراء ما ليس منه كشق الصدر كما سنبينه.

(لاسيما) أى لا مثل روايته، وفسرها الرضى رحمه الله تعالى، بخصوصا، وقال الدمامينى، رحمه الله تعالى: إنه لا سند له فيه، وسى منصوب وما بعده يجوز رفعه ونصبه وجره، وقد عدها النحاة من كلمات الاستثناء، وفيه كلام طويل بيناه فى غير هذا الكتاب، ونحن فى غنية عنه.

(من رواية شريك بن أبى نمر) بفتح النون وميم مكسورة تليها راء مهملة التابعى

الصدوق الثقة القاضى المدنى، وقد ضعفه ابن حزم، رحمه الله تعالى، لما وقع له فى حديث الإسراء من الأوهام الأربعة التى أشار إليها المصنف، رحمه الله، وقيل: إنها ثمانية، وتوفى سنة أربعين ومائة وله ترجمة فى الميزان.

(فقد ذكر فى أوله) أى ذكر شريك، رحمه الله تعالى، فى أول حديث أنس، رضى الله تعالى عنه **(مجىء الملك له)** اللام للتقوية؛ لأن جاء متعد بنفسه.

(وشق صدره) عليه الصلاة والسلام، **(وغسله بماء زمزم)** وقد تقدم أنه بالثلج، وفى رواية بماء الكوثر، وقد أنكروا عليه روايته هذه، وقالوا فيه: إنه وهم من وجوه تزيد على العشر منها ما فى سنده، فإن قتادة، رحمه الله تعالى، رواه عن أنس، رضى الله تعالى عنه، عن مالك بن صعصعة، والزهرى، رحمه الله تعالى، عن أنس، رضى الله تعالى عنه، عن أبى ذر، رضى الله تعالى عنه، وشريك جعله عن أنس، رضى الله تعالى عنه، من غير واسطة، وخالف سياقه سياقهم بالزيادة المنكرة، والتقديم والتأخير، وقد نبه على ذلك مسلم، رحمه الله، فى صحيحه، وما ذكره المصنف، رحمه الله، موافق لقدح ابن حزم فيه إلا أن الحافظ أبا الفضل بن طاهر، رحمه الله، انتصر له فى جزء مستقل ألفه فيه، قال: تعليل حديثه بتفرده به، ودعوى ابن حزم أن الآفة من شريك إذ لم يسبق إليه لا تقبل، فإن أئمة الجرح والتعديل وثقوه ورووا عنه، وقالوا: لا بأس به، وحدث عنه مالك، رحمه الله، وغيره من الثقات، وحديثه إذا رواه عنه ثقة لا ضعيف لا بأس به، وقد روى عنه سليمان بن هلال، رحمه الله، وهو ثقة، وتفرده بقوله الآتى وذلك قبل أن يوحى إليه لا يقتضى طرح حديثه، فوهم الثقة فى موضع لا يقتضى رد جميع ما روى، ولو قيل بهذا ألزم رد كثير من السلف، ولعله أراد أن يقول بعد أن أوحى إليه، فقال: قبله انتهى.

وقد سبق ابن حزم إلى هذا الخطابى، رحمه الله تعالى، وقال النسائى، رحمه الله: إنه قول ليس بالقوى، وكان بعضهم لا يحدث عنه، وقال محمد بن سعد، رحمه الله، وأبو داود، رحمه الله تعالى: إنه ثقة.

والحاصل: أنه اختلف فيه فيعد ما انفرد به شاذا منكرًا، وقد خالف غيره فى مواضع من هذا الحديث، منها أمكنة الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وكون المعراج قبل البعثة، وكونه منامًا، وكون سدره المنتهى فوق السابعة، والمشهور أنها فيها أو فى السادسة، وفى نهرى النيل والفرات وكون أصلهما فى سماء الدنيا، والمشهور أنهما من تحت السدرة، وكون شق الصدر عن الإسراء، وكون الكوثر فى السماء الدنيا وهو فى الجنة، ونسبة الدنو والتدلى إلى الله تعالى، وهو لجبريل، عليه الصلاة والسلام، وكون مراجعته، صلى الله تعالى عليه وسلم، راجع بعد الخمس، فهذه مواضع مخالفته فى السند والمتن

الذى قال المصنف، رحمه الله تعالى: إنه خلط فيها، وقد أجيب عن بعضها.

(وهذا) أى المذكور من الشق والغسل **(إنماكان وهو)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(صبى)** عند مرضعته حليمة، رضى الله تعالى عنها، **(وقبل الوحى)**، وأتى بإنما ردًّا لقول شريك، رحمه الله تعالى: إنه كان ليلة الإسراء.

وأجيب عنه: بأن الشق وقع مرارا. مرة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم طفل صغير يلعب مع الصبيان لإزالة حظ الشيطان معه كما مر، ومرة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم ابن عشر سنين لإزالة الطفولية عنه، ومرة عند البعثة لتثبيت قلبه بالوحى، وليلة الإسراء ليقوى عليه، وزيد خامسة ضعفها ابن حجر، رحمه الله، فى شرح البخارى، وصحح هو والبرهان الحلبى، رحمه الله، الأربعة الأول.

(وقد قال شريك فى حديثه: وذلك قبل أن يوحى إليه) أى شق صدره صلى الله تعالى عليه وسلم قبل البعثة.

(وذكر قصة الإسراء) فقال: سمعت أنس بن مالك، رضى الله عنه، يقول: ليلة الإسراء جاءه ثلاثة قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد، ثم لم يرهم صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أتوه ليلة أخرى إلخ، وقد أجيب عنه بأن قبل متعلق بجاءه، فيحتمل أن مجيئهم بعد ذلك بسنين لا بليالى، فلا خطأ فيه.

(ولا خلاف أنها) أى ليلة الإسراء **(كانت بعد الوحى، وقد قال غير واحد: إنها كانت قبل الهجرة بسنة، وقيل: قبل هذا)** هذا إشارة إلى الخلاف فى سنة الإسراء وزمنها، فقيل: كانت ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة، وقيل: قبل البعثة بخمس سنين، وقيل: بعد البعثة بخمسة عشر شهرا، وقول شريك، رحمه الله تعالى: إنه قبل أن يوحى إليه غلط منه إلا أن يقال: هذا الإسراء كان مناما غير هذا، كالذى روى عن عائشة، رضى الله تعالى عنها، أنه كان بالمدينة، فإنه منام أيضًا.

قال ابن المنير، رحمه الله تعالى، فى المقتفى: رجح القاضى عياض، رحمه الله تعالى، أنه كان قبل الهجرة بخمس سنين، ولا يرد عليه أن خديجة، رضى الله عنها، كانت تصلى معه، وقد اختلف فى مدة وفاتها قبل الهجرة على أقوال أقلها أنها ثلاث سنين، والصلاة لم تفرض إلا فى الإسراء، لأن هذا الصلاة غير المفروضة كالتى صلاها فى بيت المقدس، وصحح ابن المنير، رحمه الله تعالى، الأول؛ لأن قول غيره تقدير وقوله تحديد، وهو قول الحربى، رحمه الله تعالى، لأنه عين ليلة معينة من شهر معين من سنة، وإذا تعارض خبران أحدهما أحاط بتفصيل القصة كان أولى، لأنه يدل على أن راويه أحفظ وأوعى قلبا

كقول الفقهاء، إن الشهادة المؤرخة تقدم، وكانت تلك الليلة ليلة الاثنين كما قاله ابن المنير، رحمه الله تعالى.

وكان مقدمه صلى الله تعالى عليه وسلم، للمدينة الشريفة يوم الاثنين من ربيع الأول ثانى عشرة قبل الضحى، وقيل: عند استواء الشمس، وإذا كان الثانى عشر الاثنين كان أوله الخميس، وأول شهر الإسراء السبت، أو الأحد، أو الاثنين؛ لأن بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين إما ثلاثه أيام أو أربعة أو خمسة، ولذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم الوقفة التى قبلها، أو أربعة، أو سادسة، وأعدل الاحتمالات الخامس، فالجمعة يعقبها الثلاثا، والاثنين يعقبها الجمعة، وقد يكون الرابع، وقد يكون السادس، وذلك بحسب تمام الشهور ونقصها، فبناء على أقل الاحتمالات أول ربيع الأول من سنة الإسراء الاثنين، وأول الآخر منه الأربعا بفرض ربيع الأول تامًا فالسابع والعشرون منه يوم الاثنين ليوافق مولده صلى الله تعالى عليه وسلم، ومبعثه ووفاته.

فإن يوم الاثنين فى حقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كيوم الجمعة لآدم، عليه الصلاة السلام؛ فإنه فيه خلق ونزل إلى الأرض فيه وتاب الله عليه فيه ومات فيه، وقيل: إنه كان ليلة الجمعة لفضلها، ثم إن كونها ليلة سبع وعشرين موافق لليلة القدر؛ فإنها ليلة سبع وعشرين من رمضان على الأصح، والحاصل أنه قيل: إن الإسراء قبل الهجرة بسنة، وقيل بسنة ونصف، وقيل: بسنة وكسر، وقيل: بعد البعثة بخمس سنين، وقيل: قبل الهجرة بخمس سنين.

واختلف فى شهره، فقيل: إنه شهر ربيع الأول، وقيل: الآخر، وقيل: رجب، وقيل: رمضان، وقيل: شوال، وقيل: قبل نقض الصحيفة، وقيل: بعد ليلة سبع وعشرين أو سبع عشر، أو اثنى عشر ليلة الاثنين أو الجمعة.

وفى الهدى النبوى أن ابن تيمية، رحمه الله سئل: هل ليلة الإسراء أفضل أم ليلة القدر؟ فأجاب بأن القائل: إن ليلة الإسراء أفضل إن أراد أنها ونظائرها من كل عام أفضل، فلا وجه له، وإن أراد أنها بخصوصها أفضل لأنه حصل له، صلى الله تعالى عليه وسلم، فيها ما لم يحصل له فى غيرها، وما لم يحصل لغيره، فهو صحيح إن سلم أن ما أنعم الله به عليه صلى الله تعالى عليه وسلم، أفضل من إنزال القرآن، وهو يحتاج إلى علم بحقائق تلك الأمور انتهى.

(وقد روى ثابت، عن أنس، رضى الله تعالى عنه، من رواية حماد بن سلمة أيضًا) أى كما روى عنه قصة الإسراء **(مجئ جبريل)** بالنصب مفعول روى **(إلى النبى صلى الله تعالى**

عليه وسلم، وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره) بكسر الظاء المشالة وسكون الهمزة والراء المهملة والهاء، وهى المرضعة التى ليست بأم، وهى حليمة السعدية.

(وشقه) مصدر منصوب معطوف على مجئ **(قلبه)** مفعول الشق.

(تلك القصة) بدل من مجئ بدل اشتمال، وفى نسخة بتلك أى معها **(منفردة من حديث الإسراء)**، وفى نسخة مفردة، وهو منصوب على الحال **(كما رواه الناس)** غير شريك، وهم أكثر الحفاظ المحدثين.

(فجود) مر ضبطه أى هذا الرواى المميز بين القصتين كما أشار إليه بقوله: **(فى القصتين)** أى قصة الإسراء، وقصة شق القلب، وهو طفل رضيع، فلم يخلط إحديهما بالأخرى.

(وفى أن الإسراء إلى بيت المقدس، وإلى سدرة المنتهى كان قصة واحدة)، لا قصتان كما فى رواية شريك وغيره ممن جعل صعوده، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى السماء معراجًا آخر.

(وإنه وصل إلى بيت المقدس، ثم عرج من هناك) أى صعد به إلى السماء من البيت المقدس؛ لأنه أرفع مكان فى الأرض، **(فأزاح)** بزاى معجمة وألف وحاء مهملة أى أزال وأذهب **(كل إشكال)** أى مشكل **(أوهمه)** أى أوقعه فى ذهن الناس ووهمهم **(غيره)**: أى غير ثابت، كشريك الذى وقع فى روايته الوهم والتخليط السابق بيانه.

(وقد روى يونس) بن يزيد الأيلى القرشى، وفى يونس كيوسف لغات تقدمت مع ترجمته، وهو يروى عن الزهرى ونافع، وتوفى بمصر سنة تسع وخمسين ومائة.

(عن ابن شهاب) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زيد بن مرة الزهرى التابعى، رحمه الله تعالى، لقى عشرة من الصحابة، توفى ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة، ودفن بالشام بقرية تعرف بالشعب، وأوصى بدفنه على قارعة الطريق لتدعو له المارة، وكان أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقا لمتون الأحاديث فقيها فاضلا كاملا.

(عن أنس) بن مالك خادم رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقد قدمنا ترجمته **(قال: كان أبو ذر)** الصحابى الغفارى **(يحدث أن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: فرج سقف بيتى)** بضم الفاء و كسر الراء أى شق أو رفع جانب منه حتى صار مكشوفا ينزل منه الملك المرسل إليه، و لم يأته من الباب، وقد قال تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، قال ابن المنير: تنبيها على المبالغة فى المفاجأة

وأن استدعاءه للكرامة كان بدأ من غير ميعاد، وقيل: إنه ليتيقن كونهم ملائكة، أو هو تمهيد لشق صدره، صلى الله تعالى عليه وسلم، والتئامه من غير تألم لسبق الشق كما تقدم، قيل: وكان خلفاء بنى العباس إذا نصبوا خليفة نقبوا جداره، وأخرجوه منه تنويها بأمره وأنه لم يكن يطلب منه، والبيت لأم هانئ، وأضافه إليه لأدنى ملابسة، وروى أنه كان بالحطيم، وروى ببطحاء مكة، فإن كان مرارا فظاهر وإلا يحتاج للجمع.

(فنزل جبريل)، عليه الصلاة والسلام، **(ففرج صدرى)** بفتح الفاء والراء، وقد تقدم أن شق الصدر وقع مرات منها هذه، فلا إشكال فيه.

(ثم غسله) أى صدره **(من ماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب)** تقدم بيانه وما فيه **(ممتلىء حكمة وإيمانا)** تقدم تفسيره، وأنه بناء على التجوز أى مليء نورًا ينشأ عنه ما ذكر، أو أنه تعالى قادر على تجسيم المعانى والأعراض كما قيل فى وزن الأعمال، وذكر الطست وإن كانت مؤنثة لتأويلها بالإناء، فإن كان قوله: **(فأفرغها)** ضميره للطست رعاية للفظه، فتقديره أفرغ ما فيها يقال: أفرغت الإناء وفرغته تفريغا إذا صببت ما فيه، ويجوز كون الضمير للحكمة لدخول الإيمان فيها، أو لأنه عطف تفسير.

(ثم أطبقه) أى الصدر أى أعاده محله إشارة إلى أن شقه والتئامه بغير آلة، وقيل: شق بمقدار الملك وخيط بمخيط لما ورد: كنت أرى أثر المخيط فى صدره.

(فائدة) قال ابن الجوزى فى كتاب الوفاء بعد ما ذكر حديث «ولدت مختونا و لم ير أحد سوأتى» فان قيل: فلم لم يولد مطهر القلب من حظ الشيطان حتى شق صدره وأخرج قلبه؟.

قلت: قال ابن عقيل: لأن الله سبحانه أخفى أدون التطهيرين التى جرت العادة أن تفعله القابلة والطبيب، وأظهر أشرفهما وهو القلب، وأظهر آثار التجلى والعناية بالعصمة فى طرقات الوحى.

(ثم أخذ بيدى فعرج) بنا **(إلى السماء فذكر القصة)** بتمامها، وأخذه بيده يحتمل أنه على حقيقته، وأن يكون كناية عن جعله شارعا فى العروج.

(وروى قتادة) ابن دعامة أبو الخطاب السدوسى الضرير، أعلم الناس بالفقه والقرآن والحديث، توفى سنة سبع عشرة ومائة وعمره ست وخمسون بواسط، ونسب للتدليس وليس كذلك **(الحديث)** مفعول روى **(بمثله)** أى بمثل الرواية المذكورة.

(عن أنس عن مالك بن صعصعة) الخزرجى المازنى، روى له البخارى وأصحاب السنن حديث الإسراء قال: وروى خمسة أحاديث، **(وفيها)** أى فى رواية قتادة المفهومة

من قوله. روى **(تقديم وتأخير وزيادة ونقص)** عن غيرها من الروايات، **(وخلاف فى ترتيب الأنبياء فى السموات، وحديث ثابت، عن أنس أتقن وأجود)** أى أكثر إتقانًا وجودة منها فى الروايات، ولذا اختاره المصنف، رحمه الله تعالى، خلافا للنووى إذ رجح رواية قتادة كما عرفت.

(وقد وقعت فى حديث الإسراء زيادات) من الرواة فى بعض طرقه **(نذكر منها نكتا مفيدة فى غرضنا)** من تأليف هذا الكتاب، وإيراد حديث الإسراء.

النكت بضم النون وفتح الكاف والتاه المثناة جمع نكتة، وهى ما ينكت من الأرض وما يكون فى الكون مما يخالفه كالنقطة، فاستعير لكل معنى دقيق يحصل بالفكر إما لمخالفته لغيره، أو لكون الفكر يخط فى الأرض، وشاع حتى صار حقيقة عرفية فى ذلك، وقد يجمع على نكات أيضًا.

(ومنها) أى من النكت المفيدة **(فى حديث ابن شهاب)** الزهرى الذى تقدم آنفا، ومنها خبر مقدم، وفى حديث إلى آخره صفة مبتدأ مقدر، وجاز حذف الموصوف بوصف غير مفرد، لأنه بعض اسم مجرور بمن قبله؛ لأن المعنى من النكت نكت إلى آخره ومثله جائز قياسًا مطردًا.

(وفيه) أى فى حديث ابن شهاب، ولو حذف قوله: وفيه كما وقع فى بعض النسخ كان أحسن، والضمير فى فيه راجع لحديث الإسراء.

(قول كل نبى له: مرحبا بالنبى الصالح والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم، فقالا له: والابن الصالح)، فإنه ليس كل نبى من أجداده وفى عمود نسبه، لكنه جرى منهم على سبيل الشفقة والمحبة كما جرت العادة أن الأقدم والأسن يقول لغيره: يا ولدى، وفى غير هذه الرواية منهم من قال له: الابن الصالح، ومنهم من قال: الأخ الصالح، وقد تقدم أنه يشكل قول إدريس له: الأخ مع أنه جد له، صلى الله تعالى عليه وسلم.

وفى وصفه بالصلاح دون غيره وتكراره، وكان الظاهر أن يقال: الابن الكريم والنبى العظيم مثلا، إلا أنه وصف بالصلاح؛ لأنه أمدح الصفات؛ لأنه بمعنى الجدير لكل خير كما قاله السبكى، فوصف الابن به بمعنى أنه حقيق بمحبة الله ومحبة رسله، ووصف النبى به بمعنى أنه المستحق بالذات؛ لأن يكون نبيا وإن كان فى العرف لا يمدح به الكبار؛ لأنه الصلاحية بشىء لا يقتضى الاتصاف به بالفعل، ولذا قال ابن المنير، رحمه الله: إن الله أطلق على كثير من الأنبياء أنه كان نبيًا صالحًا، ولا يصح أن يقال لأحد منهم: إنه رجل صالح؛ لأنه يوهم التسوية بينهم وبين آحاد الأمم، كما أنه لا يجوز أن

يقال لنبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم: إنه ملك وسلطان لإيهامه التعظم والتجبر، وإن كان كذلك فى نفس الأمر انتهى.

ولما لم يفهم هذا بعض المفسرين قال: إن المراد به مدح الصفة لا الموصوف كما فى شروح الكشاف، ومنه يعلم أن الصفة قد تكون مدحا فى مقام ومن قائل، وذما فى غيره كصالح ومبارك.

(وفيه من طريق) البخارى المسندة **(عن ابن عباس)**، رضى الله تعالى عنهما: **(ثم عرج بى حتى ظهرت)** أى علوت وصعدت، كما فى قوله: والشمس فى حجرتها لم تظهر أى لم تعل أو بعدت كقوله:

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وفى نسخة: ثم انطلق بى حتى ظهرت **(بمستوى)** بضم الميم وفتح الواو والباء بمعنى فى أو على، وهو اسم مكان عال أو وسط أو واسع منبسط.

(أسمع فيه) أى المستوى **(صريف الأقلام)** الصريف بصاد وراء مهملتين وفاء كالصرير، وهو صوت حركة الأجرام، والمراد صوت القلم على الورق أى انتهى، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى محل سمع فيه صرير أقلام الملائكة الكتبة، وهى تكتب ماتنقله من اللوح أو ما يؤمر بكتابته من الوحى وغيره، فالأقلام على ظاهرها قيل: ويحتمل أن الجمع للتعظيم، وهو صريح فى أن اللوح والقلم والكتابة على ظاهرها خلافا لمن تأوله، ونحن نؤمن بأنه على ظاهره وحقيقته، ويجب علينا اعتقاده، وهذا عبارة عن غاية القرب منه؛ لأن مثله لا يسمع من بعيد، وروى لمنتهى بدل بمستوى.

قال التوربشتى: بمعنى أنه بلغ من الرفعة لمقام اطلع فيه على التكوين، وما يراد ويؤمر به من تدبير الله عز وجل، وهذا منتهى لا يرام ولا تصل إليه الأفهام، ولا ينطق فيه غير صرير الأقلام.

وعن أنس) فيما رواه عنه الشيخان: **(ثم انطلق بى)** بالبناء للفاعل، والضمير فيه لجبريل، عليه الصلاة والسلام، أو بالبناء للمجهول **(حتى أتيت سدرة المنتهى)** تقدم معناه، **(فغشيها ألوان لا أدرى ما هى)**؛ لكونها ليست مما تشبه ألوان غيرها فى الحس، أو لأن شدة نورها يمنع تحقيقها.

(قال)، صلى الله تعالى عليه وسلم: **(ثم أدخلت الجنة)**، وهذا يدل على أنها موجودة الآن، وأنها فى السماء، وهو الذى نعتقده بلا شبهة.

(وفى حديث مالك بن صعصعة: فلما جاوزته) أى فارقته، وقد تم لى ثم وفسر ضمير

المفعول بقوله: **(يعنى موسى، عليه الصلاة والسلام، بكى)** لحزنه إذ لم ينل هو وأمته ما ناله، صلى الله تعالى عليه وسلم، لا منافسة وحسدا لتنزههم عن مثله.

(فنودى) أى ناداه الله أو الملك وقال له: **(ما يبكيك؟ قال: رب)** هذا يدل على الأول بحسب الظاهر **(هذا غلام)** إطلاقه هذا عليه، وهو إذ ذاك كهل أو شيخ لأنه فى نحوه الخمسين إما لأنه أسن منه ولأنه فى الزمن الأول يعد مثله غلاما، وقال ابن قرقول: معناه القوى وهو غير قوى **(بعثته بعدى يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتى)**، لما علم عموم دعوته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وتأبيد رسالته علم كثرة أمته، وقد ورد أنه يراهم فى عرض المحشر أضعاف الأمم، وقد جوز كون بكائه غبطة وهى غير مذمومة كالحسد، بل هى ممدوحة لأنها من علو الهمة، وقيل: إنه علم من أكثرية أمته فى الجنة فضيلته على غيره لأنه لازم بين وأما كونه على قلة أمته فليس بشىء.

(وفى حديث أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه،) فى الإسراء الذى رواه البيهقى وغيره **(: وفى الجنة رأيتنى)** بضم التاء ضمير المتكلم، والرؤية هنا بصرية بناء على الصحيح من أن الإسراء يقظة إلا أنهم قالوا: لا يتعدى عامل لضمير والفاعل ضمير مثله إلا فى أفعال القلوب وما حمل عليها كما مر، وأجيب بأنها لمشابهتها لرأى العلمية لفظا ومعنى؛ لأنها جهة إدراك أجازوا فيها ذلك، وقد سمع كقول عائشة، رضى الله تعالى عنها: لقد رأيتنا مع رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وما لنا طعام إلا الأسودان الماء والتمر. وقول الحماسى[1]:

ولقد أرانى للرماح دَرِيئَةً ... من عن شمالى تارة وأمامى

(فى جماعة من الأنبياء) أى بينهم أو معهم، **(فحانت الصلاة)** بالحاء المهملة أى دخل وقتها، وجاء حينها لا بمعنى دنت وقربت كما قيل؛ لأنه مجاز قامت القرينة على خلافه، وهذه الصلاة قيل: إنها العشاء لأن الإسراء يكون فى أول الليل كما هو الظاهر؛ لأنها كانت مفروضة على بعض الأنبياء كما رواه المحدثون، واختاره النووى.

قالوا: وهذا كان بأرواحهم ممثلة أو بأجسادهم لأنهم أحياء، ثم إن هذا إن كان بعد الإسراء فهى الصلاة المفروضة؛ لأن المعراج تعدد كما سيأتى تفصيله، وإلا فهى تنفل،

---

(١) البيت من الكامل، وهو لقطرى بن الفجاءة فى ديوانه (ص١٧١)، خزانة الأدب (١٠/١٥٨)، الدرر (٢/٢٦٩)، شرح التصريح (٢/١٠)، شرح ديوان الحماسة للمرزوقى (ص١٣٦)، شرح شواهد المغنى (١/٤٣٨)، المقاصد النحوية (٣/١٥٠)، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر (٣/١٣)، أوضح المسالك (٣/٥٧)، جواهر الأدب (ص٣٢٢)، شرح الأشمونى (٢/٢٩٦)، شرح المفصل (٨/٤٠)، مغنى اللبيب (١/١٤٩)، همع الهوامع (١/١٥٦).

وليس المراد بالصلاة الدعاء كما قيل؛ لأن قوله: **(فأممتهم)** أى صليت معهم جماعة وأنا إمام لهم يأباه ظاهره.

(فقال قائل) قيل: هو جبريل، عليه الصلاة والسلام، (: **هذا مالك خازن النار)** أى الموكل بها وبأهلها، **(فسلم)** مالك **(عليه)** أى على القائل، أو سلم جبريل على مالك، وهو الظاهر، ويحتمل أن جبريل أمره، عليه الصلاة والسلام، بالسلام على مالك، **(فالتفت)** أى مالك **(فبدأنى بالسلام)** على، والالتفات الانصراف عما كان ينظر إليه لغيره ولو بعنقه وإنما بدأه بالسلام لأنه قادم وليعظمه ويعلمه بأمته منه لتأمين الله له؛ لأن السلام أمان وسلامة ومالك رئيس خزنة النار وملائكة العذاب ولهم صور مهولة جدًا.

وفى الروض الأنف أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يلقه أحد من الملائكة إلا ضاحكا مستبشرا غير مالك، فإنه لم يضحك لأحد قط، وهذا ينافيه ما ورد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم تبسم فى صلاة فسئل عن ذلك فقال: رأيت مالكا راجعا من طلب القوم، وعلى جناحه الغبار، فضحك إلى فتبسمت.

وأجيب: بأن المعنى أنه لم يضحك منذ خلقت النار إلا فى هذه المرة، وهذه القصة وقعت بعد الخبر الأول، وهذه الرؤية يحتمل أن تكون بصورته الأصلية وبغيرها، وفى فتاوى النووى: هذه الصلاة يحتمل أن تكون بعد صعوده صلى الله تعالى عليه وسلم للسماء، ويحتمل أن تكون بعدها والظاهر الأول.

(وفى حديث أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه: ثم سار) أى جبريل، عليه الصلاة والسلام، **(حتى أتى إلى بيت المقدس، فربط فرسه إلى صخرة)** المراد بالفرس هنا البراق؛ لقرب صورته منها لا لأن الفارس يطلق على مقابل الماشى سواء كان راكبا فرسا أو حمارا أو بغلا، وقد ورد تسمية البراق فرسا فى حديث المعراج فى رواية أخرى أنه أتى بفرس فحمل عليه، واحتمال أن يكون جبريل ركب فرسا معه كما جاء فى قصة مقاتلة الملائكة معه بعيد، والمراد بالصخرة صخرة بيت المقدس التى كانت قبلة.

قال البرقى فى غريب الموطأ: إنها من غرائب الدنيا فإن جميع المياه تخرج من تحتها، وهى صخرة صماء فى وسط المسجد الأقصى كجبل بين السماء والأرض معلقة لا يمسكها إلا الله، وفى أعلاها موضع قدم رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، حين ركب البراق ليلة الإسراء، فمالت من تلك الجهة من هيبته، وفى الجهة الأخرى أثر أصابع الملائكة التى أمسكتها إذ مالت، ولذا كان بعضها أبعد من الأرض من بعض، وتحتها غار عليه باب يفتح لمن يدخله للصلاة والدعاء، وعدى ربط بإلى لتضمينه معنى

ضم، أو إلى بمعنى الباء أو عند كقوله:

أشهى إلى من الرحيق السلسل(١)

(فصلى) أى جبريل، عليه الصلاة والسلام، وقيل: النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، **(مع الملائكة)** لما وجدهم يصلون ثمة، **(فلما قضيت الصلاة)** أى تمت وفرغوا منها، وقضى مبنى للمجهول نائب فاعل الصلاة وتاؤه ساكنة للتأنيث، وضبط فى الشرح الجديد بالبناء للفاعل وضم تائه على أنه التفات، وهو خلاف الظاهر، فإن استند لرواية فبها ونعمت. **(قالوا: يا جبريل من هذا معك؟)** خبر بعد خبر أو حال.

(قال: هذا محمد رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، خاتم النبيين)، والرسل لأن نفى الأعم يستلزم نفى الأخص، وخاتم بكسر التاء وفتحها بمعنى آخرهم كما مر، وقوله فى الحديث: لا نبوة بعدى إلا ما شاء الله، المستثنى هو المبشرات إن صحت هذه الرواية كما مر، ولا يرد عيسى، عليه الصلاة والسلام؛ لأنه ينزل على شريعته، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولم ينبأ بعده كما مر.

(قالوا: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم) تقدم شرحه. **(قالوا: حياه الله من أخ وخليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة)**، وهى تحية ودعاء بالبقاء والسلامة، فإن حيى وأحيى بمعنى، ومن زائدة أو مبينة للضمير، وجعله الملائكة أخا لهم، والمراد أخوة الإيمان، وخليفة لأنه خليفة الله فى أرضه استخلفه فيها لعمارة الأرض وسياستها، وتكميل النفوس البشرية، وتنفيذ الأوامر الإلهية، لا لاحتياجه تعالى، بل لقصور الخلق عن التلقى بغير واسطة، وتاؤه للمبالغة قال التلمسانى: لا يقال للسطان خليفة الله لأن الله حى لا يغيب، وإنما الخليفة لمن يغيب أو يعجز، وإنما يقال له: خليفة فقط إن اتبع الشرع والسنة وإلا يقال له: أمير.

(ثم لقوا أرواح الأنبياء) ببيت المقدس بعد انقضاء الصلاة، أو بعد العروج فى مراتبهم فى السماء، أى لقى الملائكة أرواح الأنبياء، وفى هذا دلالة على تشكل الأرواح وتمثلها فى الملأ الأعلى على ما كانوا عليه فى الدنيا من الرتبة، وما تقدم أيضا يحتمل

---

(١) عجز بيت، وصدره:

أم لا سبيل إلى الشباب وذكره

والبيت فى الكامل، وهو لأبى كبير الهذلى فى أدب الكاتب (ص٥١٢)، والجنى الدانى (ص٣٨٩)، والدرر (١٠٢/٤)، وشرح أشعار الهذليين (١٠٦٩/٣)، وشرح شواهد المغنى (٢٢٦/١)، ولسان العرب (٣٤٣/١١)، والمقاصد النحوية (٥٤/٣)، وتاج العروس (سلسل)، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر (٢٣٧/٥)، والاشتقاق (ص٤٧٩)، وهمع الهوامع (٢٠/٢).

هذا.

(فأثنوا على ربهم) أى أثنى الملائكة على ربهم إذ لاقوا أرواح الأنبياء، كما تقول إذا رأيت أحدا من الصالحين: الحمد لله الذى من علينا بلقائك، إلا أن آخر الحديث يدل عل أنهم الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، بدليل قوله الآتى: كلكم أثنى على ربه وأنا أثنى على ربى.

وقوله: **(وذكر كلام كل واحد منهم)** أى من الأنبياء، **(وهم إبراهيم، وموسى وعيسى، وداود، وسليمان، عليهم الصلاة والسلام، ثم ذكر كلام النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: وإن محمدا، صلى الله تعالى عليه وسلم، أثنى على ربه، فقال: كلكم أثنى على ربه وأنا أثنى على ربى، فأقول: الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين)** فيه مخالفة لما ذكر فى أول الحديث من الأنبياء، وهو من باب الإبدال لا الزيادة إلا أن يكون اقتصر هنا على الزيادة، وقوله: الحمد لله دليل على أنه تحديث بنعم الله لا مدح، والعالمين شامل للمسلمين، ورحمتهم ظاهرة لسعادتهم فى الدارين فى معاشهم ومعادهم، وللكافرين بأمنهم من الخسف والمسخ والاستئصال.

(وكافة للناس) بيان لعموم رسالته، فهو كما مر إما صفة مصدر أى إرساله كافة أى عامة كفتهم عن الخروج منها، فهو مفعول مطلق لأرسلنى، أو اسم فاعل حال من الياء أى حال كونى كافا للناس، فالتاء للمبالغة وكونه حالا من الناس مقدما على صاحبها المجرور قول ضعيف.

(بشيرًا ونذيرا) أى مبشر بالخير لمن آمن واتقى محذر من كفر وعصى، وهو حال مترادفة أو متداخلة. حمد أولا على ما أنعم به عليه ثم ثنى بماله من المنافع والفوائد.

(وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شىء) سمى الفرقان؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل، وهو بحسب اللغة عام خصه العرف بالغلبة، وهو مصدر صار بمعنى الفارق أو المفرق آياته أو إنزاله، والتبيان بكسر التاء كتلقاء شاذ قياسه الفتح، وهو جائز فى غير القرآن، وكونه مبينا لكل شىء كما قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، يحتاج إليه من الأمور المهمة الشرعية تفصيلا فى بعض، وإجمالا فى بعض، وإحالة على الرسول، صلى الله تعالى عليه وسلم، إذ أمر باتباعه، وعلى الإجماع بقوله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]، واتباع أئمة الدين، وهو شامل للقياس والاجتهاد كما فى الكشاف وغيره من التفاسير.

(وجعل أمتى خير أمة) كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل

عمران: ١١٠]، وفسره بقوله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [آل عمران: ١١٠] الآية.

(وجعل أمتى أمة وسطا) أى عدولاً أخيارًا جامعين العلم والعمل وسائر الصفات التى بين التفريط والإفراط، استعير من المكان المستوى الجوانب لما ذكر.

(وجعل أمتى هم الأولون وهم الآخرون) هم ضمير مبتدأ ويفيد الحصر، وليس ضمير فصل لأنه لو كان كذلك قال: الأولين، ومعنى أوليتهم سبقهم الناس فى القيام من القبور، وفى دخول الجنة، وفصل القضاء، وتأخرهم باعتبار الوجود الخارجى، وقد فسره بهذا فى حديث البخارى، وهو قوله: «نحن الأولون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب قبلنا»، وليس تفسيره بسبق السعادة فى الأزل كما قيل بواضح.

(وشرح لى صدرى) أى وسعه بالعلم والإيمان والحكمة واليقين بحيث لا أحزن على أمر من أمور الدنيا أو شقه وملأه بأنواره كما مر.

(ووضع عنى وزرى) أى طهر قلبى من حظ الشيطان، وعصمنى فلا أرتكب ما لا يرضى الله، ولذا قال الله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، فسوى بين ما تقدم وما تأخر لعدم وقوعهما، أو خفف أعباء النبوة والتبليغ بإفاضة أياديه على، فالجملتان فى غاية التناسب.

(ورفع ذكرى) أى جعلنى مذكورا فى الملأ الأعلى، وجعل اسمى طراز الجنان، ومقرونا مع اسمه على كل لسان، وعلى المنار فى كل إقامة وأذان كما قال حسان، رضى الله عنه[1]:

وضم الإله اسم النبى إلى اسمه ... إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد

(وجعلنى فاتحا وخاتما) للنبوة إذ خلق روحى قبل الأرواح ونبأها قبل كل نبى.

(فقال إبراهيم، عليه الصلاة والسلام: بهذا) أى بمجموع ما ذكر، وبكل واحدة منها، لا بالأول فقط كما قيل **(فضلكم محمد)** أى زاد فضله، صلى الله تعالى عليه وسلم، عليكم، وقدم المعمول للحصر، وقال هذا إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، خطابا للأنبياء لما سمع مقالته، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(ثم ذكر أنه) أى النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، أو جبريل، فقوله: **(عرج به)** مبنى للفاعل أو المفعول **(من السماء الدنيا ومن سماء إلى سماء نحو ما تقدم، وفى حديث ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه)** الذى رواه ابن عرفة فى جزأيه وأبو نعيم فى الدلائل **(وانتهى بى)** أى جبريل، عليه الصلاة والسلام، أى وصل نهاية عروجه بى أو هو مبنى

(١) البيت من الطويل، وهو فى ديوان حسان بن ثابت (ص٥٤).

للمفعول **(إلى سدرة المنتهى، وهى فى السماء السادسة)** وتقدم أن الأكثر على أنها فى السابعة، والجمع بينهما بأن أصلها فى السادسة وفروعها فى السابعة إلا أنه قيل: إن خروج النيل والفرات من أصلها يقتضى أنها فى الأرض، وورد فى حديث آخر أن الأنهار أربعة: هذان وسيحان وجيحان، وورد أنها فى الجنة.

قال ابن المنير، رحمه الله تعالى: فان قلت: انصبابها للأرض.

قلت: يمكن أن يكون كالمطر فيفترق ثم يجتمع، ويساق كل لمستقره ومجراه، ويحتمل أن انصبابها فى نواح من الأرض غائبة عنا شآبيب غزيرة متصلة بمبادئ هذه الأنهار، فإن منها مالم نقف على مباديه إلى الآن.

قلت: يشهد له قصة النيل، وبهذا يجمع بين كونها فى السماء والجنة والأرض.

وقوله: **(إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض)** بالبناء للمفعول أى ما تعرج به الملائكة، عليهم الصلاة والسلام، من أمور الأرض للعرض على الله من أمور عبيده، **(فيقبض منها)** بالبناء للمجهول والقاف والضاد المعجمة قبلها باء موحدة مفتوحة كذا صححوه، أى تقبضه الكتبة وتكتبه، ومن للابتداء، والضمير للسدرة، والمراد أنه عندها يرفع إليهم.

(وإليها ينتهى ما يهبط من فوقها) من العرش بواسطة الملائكة المقربين، **(فيقبض منها)** أى يوحى إليهم علمه، ولو قيل: ضمير منها للملائكة للعلم بهم من السياق كان أظهر.

(قال تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦]**)**، أى أمر عظيم لا يعلم كنهه، وظاهر السياق أن المراد بهذا أمر الله ووحيه، فكان عليه أن يبينه.

(قال) أى ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه، **(فراش من ذهب)** أى ذهب على صورة فراش، وفراش مرفوع عامله مقدر أى غشيها فراش، والفراش معلوم.

(وفى رواية أبى هريرة من طريق الربيع بن أنس) البكرى البصرى نزيل خراسان التابعى الثقة يروى عن أنس، رضى الله عنه، والرواية عنه مشهورة، توفى سنة تسع وثلاثين ومائة.

(فقيل لى: هذه سدرة المنتهى) التى سمعت بها، والظاهر أن القائل جبريل، عليه الصلاة والسلام، ووقع فى بعض النسخ السدرة المنتهى بتعريفهما دون إضافة كالآتى، أى السدرة التى هى المنتهى، فالمنتهى مبدل منها.

(ينتهى) ويصل **(إليها كل أحد من أمتك خلا)** بفتح المعجمة واللام المخففة أى مضى، كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤]، وفى نسخة بضم الخاء

وتشديد اللام المكسورة[1] **(على سبيلك)** أى على طريقتك وسنتك أى من مات من أمتك مؤمنا بك عرج بروحه مع الملائكة إليها، فيقال: هذا عبدك فلان ابن فلان، فيؤتى له بصك الأمان، وبهذا فسر قوله تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨] الآية.

(وهى السدرة المنتهى يخرج من أصلها) أى عروقها الداخلة فى الأرض **(أنهار من ماء غير آسن)** أى لا يتغير طعمه ولونه ورائحته أصلا، وإن طال مكثه وعدم جريانه، وليس المراد نفى التغير فى الحال؛ لأن كثيرا من أنهار الدنيا كذلك، وهذا مع عذوبته فإن المياه العذبة هى القابلة للتغير، ولذا كان البحر المحيط بالدنيا مالحا على ما قرره أرباب الطبائع فى علم الحكمة.

(وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) أى لم يحمض كغيره إذا مكث.

(وأنهار من خمر لذة للشاربين) أى لذة سائغة، ليس كخمر الدنيا المرة المستكره شربها حتى على من ابتلى بشربها حتى قالوا: أثقل من القدح الأول.

(وأنهار من عسل مصفى) من القذا والشمع وإن لم تمسه نار؛ لأنه ليس رجيع النحل وقىء الذباب.

(وهى شجرة يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما، وإن ورقة منها مظلة الخلق) بضم الميم وكسر الظاء المشالة وتشديد اللام المكسورة اسم فاعل من أظل مضاف للخلق، والمراد الجميع الكثير لا سائر الخلق إذ لا يصح هنا، وهذا عبارة عن سعة ظلها.

فإن قلت: قد تقدم أنها كآذان الفيلة.

قلت: أجيب بأنه فى الشكل، ومن قال: التشبيه فى الكبر. فيه ما فيه.

(فغشيها نور) من الأنوار الإلهية، **(وغشيتها الملائكة)**، وهم نور مصور قابل للصور.

(قال: فهو قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦]) أى فى تفسير هذه الآية على قول كما مر.

(فقال الله تبارك وتعالى)، ولا يخفى مناسبة هذا التمجيد هنا؛ لأن تبارك تفاعل من البركة وكثرة الخير الفائض منه، ولذا لا تسند هذه الصيغة لغيره، والتعالى العظمة والرفعة فى عظمة الربوبية، لا لمحسوس فإنه منزه عنه **(له)** أى لمحمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(:سل)** أصله اسئل فخفف، وحذف المفعول للعموم أى سل كل ما تريد.

---

(١) أى مُخَلِّى.

(فقال: إنك اتخذت إبراهيم خليلا) أى اصطفيته وخصصته بالخلة، وسيأتى تحقيقها والفرق بينها وبين المحبة، **(وأعطيته ملكا عظيما)** قال ابن المنير: الملك العظيم الذى أوتيه إبراهيم يحتمل أنه ما أوتيه ذريته كيوسف وسليمان وداود وغيره من ملوك بنى إسرائيل من ذريته، كما قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]، وكونه ملك النفس والزهد غير مناسب هنا، أو المراد قهره، صلى الله تعالى عليه وسلم، لعظماء الملوك فى عصره كنمروذ إذ القاهر أعظم من المقهور، وجاء فى التفسير أن الملك النبوة.

فإن قلت: كيف هذا؟ وقد قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، للإعرابى: «خفف عليك فلست بملك». وقال أبو سفيان للعباس، رضى الله تعالى عنهما، إذ أوقفه على كتائب الفتح، فلم يرضها حتى مرت الكتيبة الخضراء التى فيها رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وكانوا يسمونها الخضراء لكثرة الحديد فيها، وهو عند العرب أخضر، ولذا قال ابن هانئ:

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا بالنصر من ورق الحديد الأخضر

وربما سموا السيف بذلك بلغة، فقال: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما، فقال: لا تقل ملكا إنما هو النبوة فلم يرض تسميته، صلى الله تعالى عليه وسلم، ملكا.

قلت: المنفى الملك العرفى المذكور فى قوله، صلى الله تعالى عليه وسلم: الخلافة بعدى ثلاثون عاما، ثم تعود ملكا، وأما الملك الحقيقى الدينى، فليس بمنفى ومع هذا لا يجوز أن يطلق على نبينا وإبراهيم، عليهما الصلاة والسلام، أنهما ملكان؛ لأن مقام النبوة أشرف، وعدمه فيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وفى آبائه من دلائل النبوة، ولذا سأل هرقل هل كان فى آبائه ملك؟ وخرجت الخلافة عن أهل بيته؛ لئلا يتوهم أنه ملك متوارث انتهى. وبهذا يندفع ما يرد على الفقهاء فى تقسيم أحكامه إلى فتيا وقضاء وسلطنة.

(وكلمت موسى تكليما) أى خصصته بكلامك له من غير واسطة حقيقة كما يشير إليه التأكيد، خلافا لمن أنكره من المعتزلة كما بين فى الأصول.

(وأعطيت داود ملكا عظيما) أى ملكا شرعيا لا عرفيا، وهو الخلافة العظمى حتى سخرت له الطير والجبال، **(وألنت له الحديد)** بحيث كان فى يده كالعجين يتخذ منه الدروع، **(وسخرت له الجبال)**، فكانت تسبح معه إذا سبح.

(وأعطيت سليمان ملكا عظيما) إذ ملكته الدنيا بأسرها، **(وسخرت له الجن**

والإنس)، فكانت الجن تخدمه، عليه الصلاة والسلام، فى بنائه وغيره، فبنت له بيت المقدس بالرخام المزخرف بناء عاليا حتى كان يضئ فى الليلة المظلمة، ولم يزل كذلك حتى خربه بخت نصر، ونقل ما فيه لمملكته بالعراق، وكان جميع جنده ورعاياه لا يعصونه فى شىء.

(والشياطين) وهم مردة الجن، فهو من عطف الخاص على العام، فكانوا يغوصون البحار ويستخرجون الدر له والجواهر، ويعلمون له ما يريد **(والرياح)** فكانت تجرى بأمره كما يشاء، وتحمل كرسيه وبساطه مسيرة شهر غدوا، ومسيرة شهر رواحا، **(وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده)** كان سأله من الله، وهو ملك الإنس والجن والرياح، فملك ما فوق الأرض وما تحتها، وقد عرض هذا على نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، فلم يقبله، واختار كونه عبد الله.

(وعلمت عيسى) وهو صغير **(التوراة والإنجيل)** الذى أنزل عليه، وحفظ التوارة وعمل بها لأن الإنجيل ليس فيه أحكام، وإنما هو حكم وحقائق التوحيد، وقيل: فيه أحكام قليلة بالنسبة للتوراة، وفى نسخة: وعلمت موسى التوارة وعيسى الإنجيل، **(وجعلته يبرئ الأكمه)** الذى ولد أعمى بدعائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، باسمك، وقال التلمسانى: هو الذى لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار.

قال البخارى عن قتادة: ولا يعلم هذا فى لغة، والمعروف ما تقدم الذاهب البصر بعد الإبصار أعمى، والأكمه الذى سلب عقله بتنزيل البصيرة منزلة البصر، أو الذى اعترته ظلمة فغيبت بصره انتهى، وكلامه تناقض فإن المعنى الأخير هو عين ما أنكره، فإن كان منقولا عن اللغة صح ما قاله قتادة، وهو ثقة ليس متهما بالمجازفة فى تفسير القرآن، لاسيما وقد تابعه البخارى ومتابعته تعتمد فى حديث الرسول، صلى الله تعالى عليه وسلم، فكيف اللغة؟، **(والأبرص)** وهو علة مزمنة لا يتيسر علاجها للحكماء بها يبييض لون البدن ويصير قبيحا، وهو أقبح الأمراض بعد الجزام، ولذا جوز الشافعى، رضى الله تعالى عنه، فسخ النكاح به.

(وأعذته) أى حفظته وأجرته، **(وأمه)** مريم **(من الشيطان الرجيم)** الرجم كناية عن اللعن والطرد من رحمة الله، ولذا قال: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾، وسيأتى فى حديث مسلم: «ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخا من نخسه إلا ابن مريم وأمه» وكذا نبينا، عليه أفضل الصلاة والسلام، لأن المتكلم لا يدخل فى عموم كلامه، ولأنه علم بالحديث أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولد مشيرًا إلى السماء ناظرا لربه، ولم يسلط عليه شيطان كما جعل بينه وبين مريم وابنها حجابا،

وهذا غير القرين الذى مع كل أحد حتى الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وفى هذا كلام فى الكشاف وشروحه سيأتى بيانه مع الكلام على الحديث، (**فلم يكن له عليهما سبيل**) إذ حماهما وعصمهما منه.

(**فقال له ربه:**) أى لمحمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، لما سمع مقالته، وأن المقامات العلية سبق لها السابقون من الرسل، عليهم الصلاة والسلام، (**قد اتخذتك حبيبا**) هذا فى مقابلة الخلة، والمحبة أعظم من الخلة كما سيأتى، ولم يذكر ما يقابل ما بعده لأنه معلوم إذ هو لم يرض الملك، وقد خبأ دعوته، صلى الله تعالى عليه وسلم، لما هو أعظم من هذا، وهو الشفاعة العظمى، والقرآن أعظم من التوارة والإنجيل وإبراء الأكمه ونحوه، وقد وقع منه، صلى الله تعالى عليه وسلم، مثله كرد عين قتادة وبرء كثير من الأمراض بمس يده الشريفة كما سيأتى، وتقدم الكلام على إعاذته من الشيطان.

(**فهو مكتوب فى التوراة محمد حبيب الرحمن**)، وهذا من كلام الراوى كالشاهد لصحة الزيادة المذكورة، وفى السبعيات للهمدانى قال: ثبت فى الحديث أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: هممت ليلة المعراج أن أخلع نعلى، فسمعت النداء من قبل الله تعالى: يا محمد لا تخلع نعليك لتشرف السماء بهما، فقلت: يارب إنك قلت لموسى: ﴿**فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى**﴾ [طه: ١٢]، فقال: يا أبا القاسم ادن منى لست عندى كموسى، فإن موسى كليمى وأنت حبيبى انتهى.

وقد سئل الإمام القزوينى عن وطإ النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، العرش بنعاله، وقول الرب جل جلاله: لقد شرف العرش بنعلك يا محمد، هل ثبت ذلك أم لا؟ فأجاب بأن ذلك ليس بصحيح ولا ثابت، بل وصوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى ذروة العرش لم يثبت فى خبر صحيح ولا حسن ولا ثابت أصلا، وإنما الذى صح فى الأخبار انتهاؤه إلى سدرة المنتهى فحسب، وأما إلى ما ورائها فلم يصح، وإنما ورد ذلك فى أخبار ضعيفة أو منكرة لا يعرج عليها انتهى، وتابعوه على ذلك.

وقوله: (**وأرسلتك إلى الناس كافة**)، قد تقدم شرحه، وكذا قوله: (**وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون**)؛ لسبقهم فى دخول الجنة وتأخرهم وجودًا والمنة بهذا عليه؛ لما تضمنه من كثرتهم وقلة مكثهم فى القبور وعدم نسخ شريعتهم.

(**وجعلت أمتك لا يجوز لهم خطبة**) هى كلام يقال على رؤوس الأشهاد للإعلام بأمر مهم، وكان عادة العرب إذا اجتمعوا فى ناد قام منهم واحد فخطب إذا تفاخروا أو تصالحوا أو أرادوا وعظا، والقس فى سوق عكاظ خطيب مشهور، فجاء الشرع على

نهجهم فكان رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، إذا وقع أمر قام بينهم خطيبًا، فالخطبه مشتقة من الخطب وهو الأمر العظيم، وبقى ذلك مشروعا فى الجمعة والعيدين والنكاح والاستسقاء لوعظ الناس ونحوه.

(**حتى يشهدوا أنك عبدى ورسولى**) أى لا يعتد بخطبهم إلا إذا أتوا فيها بكلمتى الشهادة لما ورد فى الحديث: (**كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء**) أى هى ناقصة لا بركة فيها، وهذا يقتضى أن التشهد فيها ركن أو شرط. قيل: وهذا لم يقل به أحد من الفقهاء وأئمتهم.

فإن قيل: المراد أنه لا يصح خطبة من لم يصدر منه الشهادة، أى لا تصح إلا خطبة المسلم المصدق بك، والأمة أمة الدعوة، فهو بعيد. وأجيب بأن الشافعى وغيره اشترط فى الخطبة الصلاة على النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهى تتضمن الشهادة بذلك ولا يخفى أن هذا غير موافق لظاهر الحديث، فالظاهر أنه كان واجبا فنسخ وجوب الاقتصار على مقدار تهليلة وتسبيحة.

وقال أبو يوسف ومحمد، رحمهما الله تعالى: لابد من ذكر طويل يسمى خطبة، وأقله قدر التشهد إلى قوله عبده ورسوله، يثنى بها على الله، ويصلى على نبيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ويدعو للمسلمين لأن الخطبة واجبة، وما دون ذلك لا يسمى خطبة عرفا كما قاله الزيلعى، والحديث شاهد له.

(**وجعلتك أول النبيين خلقا**)؛ لأنه خلق روحه قبل الأرواح، ثم خلق الأرواح ونبأه، فهو أولهم خلقا ونبوة، (**وآخرهم بعثا**) وإرسالا كما تقدم بيانه، (**وأعطيتك سبعا من المثانى**) أى الفاتحة لأنها سبع آيات، وهى تثنى وتكرر فى كل ركعة أو السبع الطوال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والتوبة وحدها أو مع الأنفال بناء على أنهما سورة واحدة؛ لعدم البسملة بينهما لتكرير المواعظ والعبر فيها.

(**ولم أعطها نبيا قبلك**) كما تقدم بيانه، (**وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشى**) الكنز المال المدفون، فشبه به ما فى اللوح المحفوظ مما لم يطلع عليه خلقه كجعل خواتيم سورة البقرة وما فيها من الثواب المعد لمن قرأها بمال عظيم أخرج من ذلك الكنز الذى هو اللوح.

وفى الحديث: (**من قرأها كفتاه**) أى عن قيام الليل أو من الشيطان، ويؤيده ما روى عن ابن عمر، رضى الله تعالى عنهما، أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: (**أنزل الله على آيتين من كنوز الجنة بهما سورة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفى عام:**

من قرأهما بعد العشاء مرتين كفتاه من شر الشيطان، ولا يكون له عليه سلطانا).

قال التوربشتى: المعنى أنه استجيب له مضمون قوله: غفرانك إلى آخره ونصره، ولما قرأهن، صلى الله تعالى عليه وسلم، قيل له: قد فعلت، وأوثر الإعطاء لمناسبة الكنز (**لم أعطها نبيا قبلك**) أى لم يعط مثل ثوابها بها أحد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم.

(**وجعلتك فاتحا وخاتما**) أى فاتحا لكل خير وشريعة، فهو أعم من قوله: جعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا، فمن فسره به فقد قصر.

(**وفى الرواية الأخرى**) التى رواها مسلم (**قال: فأعطى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلاثا**) من الفضائل المخصوصة به صلى الله تعالى عليه وسلم (**أعطى الصلوات الخمس**) أى لم تجتمع لغيره ولغير أمته ولا لنبى قبله، فإن الأنبياء قبله كانت لهم صلاة موافقة لبعض هذه دون مجموعها، وكان، عليه السلام، يصلى قبل الإسراء ولكن لم يشتهر بيان كيفيتها، ونقل السيوطى، رحمه الله، آخر الخصائص أنه لم يكن فيها ركوع؛ ولذا نزل قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ**﴾ [الحج: ٧٧]، وقد مر ذلك.

(**وأعطى خواتيم سورة البقرة**) كما تقدم، (**وغفر لمن لم يشرك بالله شيئا من أمته المقحمات**) بضم الميم وقاف وحاء مهملة مكسورة بزنة اسم الفاعل من الإقحام، وهو الإلقاء والمراد الكبائر التى تلقى صاحبها فى النار أو المهلكات، وهذا كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ**﴾ [النساء: ٤٨]، أى بتوبة وبدونها خلافا للمعتزلة، والكلام فيه مشهور.

(**وقال**) أى ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه، فى الحديث الذى رواه: (﴿**مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ**﴾ [النجم: ١١] **الآيتين**) هذا لفظ القرآن، والمنقول عن رواية من الزيادة إنما هو تفسير بقوله: (**رأى جبريل فى صورته**) الأصلية التى خلق عليها (**له ستمائة جناح**) لا فى صورة تمثل بها، فإن الله أعطى الملائكة قوة الشكل بأى صورة أرادوا، ونقل الشمنى عن السهيلى فى قوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، إن الله أبدل جعفرا، رضى الله تعالى عنه، بيديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء. ليس هذا كما يسبق إلى الوهم جناح بريش كالطير؛ لأن الصورة الآدمية أشرف، وإنما هى عبارة عن قوة روحانية ملكية أعطيها جعفر، رضى الله تعالى عنه، كما أعطى الملائكة، فإن أجنحتهم صفات ملكية لا تدرك إلا بالمعاينة؛ لأن قوله تعالى فيهم: ﴿**أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ**﴾ [فاطر: ١]، يدل على ذلك إذا لم ير طائر بأكثر من جناحين، فكيف بستمائة كما فى صفة جبريل،

عليه الصلاة والسلام،؟ فدل على أنها صفات لا تضبط كيفيتها بالفكر. انتهى.

واعترض عليه بأن هذا أشبه بكلام الفلاسفة والحشوية، فأى مانع من إبقائه على ظاهره، وكون طيور الجنة ليس لها غير جناحين غير ضار؟ والأحاديث صريحة فى أنها أجنحة حقيقة كثيرة من زبرجد وياقوت ملونة كأجنحة الطواويس، ولا ينكر هذا إلا من ينكر الملائكة، وكون جناحى جعفر، رضى الله تعالى عنه، حقيقيين يؤيده كون أرواح الشهداء فى جيوف طيور خضر فى الجنة، فأى حاجة للتأويل؟ ومثله لا يليق بمثل الإمام السهيلى.

(وفى حديث شريك) المتقدم مع ما فيه **(أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، رأى موسى فى السابعة)**، وهو مخالف لما مر من أنه فى السادسة، فإن كان الإسراء متعددا فظاهر أنه لا منافاة، وإلا فيجمع بينهما بأنه رآه أولا فى السادسة، ثم صعد إلى السابعة فرآه بعد رجوعه فيها.

(قال) أى النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، أو الراوى على أنه من كلام شريك، فهو مدرج فيه **(بتفضيل كلام الله)** أى علو رتبته، عليه الصلاة والسلام، وصعوده للسابعة؛ لفضله على غيره بكونه كليم الله، فالباء سببية وهو مضاف للفاعل.

(قال) شريك فى الحديث: **(ثم علا به)** أى برسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، من السابعة **(فوق ذلك)** الإشارة للسماء السابعة **(بما لا يعلمه إلا الله)** أى بمقدار لا يعلم محله وحقيقته، وقيل: نهايته وهو بدل من فوق، والباء للاستعلاء كما فى قوله تعالى: ﴿تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ [آل عمران: ٧٥]، أو بمعنى إلى كما فى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فكان مقامه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أرفع من مقام موسى، عليه الصلاة والسلام؛ ولذا عقبه بقوله: **(فقال موسى)** إذ رأى رفعته، صلى الله تعالى عليه وسلم: **(لم أظن أن يرفع على أحد)**، ومنشأ ظنه تفرده بتكليم الله، وقد شاركه فى ذلك وزاد عليه بما اقتضى رفعته على سائر الأنبياء.

واعترض على هذا بأنه كيف يقول موسى، عليه الصلاة والسلام، هذا وقد علم بتفضيله؟ وهو مذكور فى التوراة، واللائق بالأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، التواضع، وهذا مما يطعن به فى رواية شريك.

(وقد روى عن أنس) بن مالك، رضى الله تعالى عنه، **(أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، صلى بالأنبياء ببيت المقدس)** إمامًا، ولا حاجة إلى حمله على أنه بعد الإسراء الذى فرضت فيه الصلاة، وإن كان محتملا أيضا كما مر.

(وعن أنس)، رضى الله تعالى عنه، كما رواه البزار والبيهقى **(قال: قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: بينا أنا قاعد ذات يوم إذ دخل جبريل، عليه الصلاة والسلام،)** أصله بين فأشبعت فتحته ألفا، وهو ظرف مضاف للجملة مضمن معنى الشرط، والعامل فى إذ معنى المفاجأة أى وقعودى يوما فاجأنى فيه دخول جبريل، أو وقت دخوله، وذات يوم توكيد دفعا لتوهم التجوز عن مطلق الزمان، وذو تزاد كثيرا كقوله: رجل من ذى يمن.

(فوكز) أى ضرب ضربا خفيفا كما يقول من يوقظ غيره بحيث لا يطلع على إيقاظة، وقيل: الوكز الضرب بجمع الكف **(بين كتفى)**، وفى رواية بينا أنا نائم، وجمع بينهما بأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، يجوز أن ينام وهو قاعد، ولذا وكزه ليستيقظ، وهذا من جملة الزيادة، وفى بعض الشروح أنه كان ببيت المقدس.

(فقمت) معه من محل قعودى **(إلى شجرة فيها مثل وكرى الطائر)** مثنى وكر، وهو للطير كالبيت للإنسان، والجحر للحشرات، والكناس للظبى كما بينه أهل اللغة أى بيتين شبيهين بالعش وضعا وهيئة، لا مقدارا لأنه لا يسع الآدمى، ولو كان كفوا فى الطير كالنسر والعقاب.

(فقعد) أى جبريل، عليه الصلاة والسلام، **(فى واحدة وقعدت فى الأخرى)** قيل: أنثه لأنه كالعش يذكر ويؤنث، والغالب على ألسنة أهل مكة تأنيثه، أو هو لتأويله بالزاوية والطاقة ونحوهما، وما قيل: لأنه مأوى إناث الطيور غالبا لا وجه له.

(فنمت) بالنون، والضمير للشجرة أى زادت وارتفعت، وروى سمت بالسين من السمو كالعلو لفظا ومعنى **(حتى سدت الخافقين)** هما المشرق والمغرب؛ لخفوق الشمس والنجم فيهما أى غيابهما أو حركتهما، وأصل معنى الخفوق الاضطراب والحركة، ولذا حسن قوله:

أما والله لولا خوف شخصك ... لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فزدت عجبا ... وليس هما سوى قلبى وقرطك

(ولو شئت) لعلوها وقربى منها **(لمسست السماء)** بكسر السين وفتحها، ويروى لمست بسين واحدة من اللمس، أو هو مخففة ونقل حركته، **(وأنا أقلب طرفى)** تقليب طرفه بمعنى نظره فى جوانبها؛ لثباته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وعدم دهشته، وتأمله فى آيات الله فى الآفاق.

(ونظرت جبريل) إذ قلبت طرفى فوقع عليه بحذائى **(كأنه حلس)** بكسر الحاء المهملة

وسكون اللام وسين مهملة، وهو كساء رقيق يوضع تحت القتب والبردعة ويبسط فى البيت (**لاطئ**) أى لاصق بالأرض، والمراد أنه لما قرب من السماء غشيته مهابة حتى خضع والتصق بالأرض من الغشى الذى هو فيه، والنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، متثبت، ولم يمسه روعة كما غشى جبريل، عليه الصلاة والسلام، ويقال: فلان حلس بيته لمن لا يخرج منه.

قال أبو بكر، رضى الله تعالى عنه: كن حلس بيتك حتى تأتيك يد خاطئة، أو منية قاضية.

ولاطئ: بلام وطاء مهملة مهموز بمعنى لاصق كما فى الصحاح، وفى بعض النسخ حلس لاطئا بفتحتين ونصب لاطئ وصحح رواية، ولم يفسر، وجملة كأنه حال جبريل.

(**فعرفت فضل علمه بالله على**) أى عرفت بما اعترى جبريل، عليه الصلاة والسلام، من الخشية أنه أعرف بالله منى؛ لأنه بقدر العلم يكون الخوف والخشية. قيل: هذا تواضع منه عليه الصلاة والسلام، لأنه أفضل منه، ورد بأنه قد يكون فى المفضول ماليس فى الفاضل، والملائكة المقربون قد يعرفون من أحوال الملكوت ما لا يعرفه غيرهم، وإن كان أفضل.

والقول بأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قاله قبل العلم بتفضيله عليه لا يناسب هنا.

(**وفتح لى باب السماء ورأيت النور الأعظم**) قيل: هو نور العرش أو الله تعالى؛ لأنه يسمى نورًا كما قال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، والحكماء والمتكلمون جوزوه من غير تأويل. قال الأشعرى: نور لا كالأنوار. وقال الغزالى: النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره، فإن فهمت فهو نور على نور، وبعد هذا كلام لا يصرح به.

(**ولط دونى الحجاب**)،وفى نسخة: وإذا دونى الحجاب، ولط بضم اللام وتشديد الطاء المهملة مبنى للمجهول، يقال: لططت الباب إذا أغلقته، وكذا سترته يعنى أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بعدما شهد النور أرخى بينه وبينه حجاب ستره عنه، وسيأتى الحجاب وتأويله عن قريب.

(**فُرَجُهُ**) بضم الفاء وفتح الراء المهملة والجيم مضافا لضمير الحجاب جمع فرجة بوزن غرفة، وهى ما بين الشيئين من خلاء، أو بين أجزاء شىء مفتوحة، أى فرج الحجاب المرخى وطاقاته الذى يخرج منها نوره (**الدر والياقوت**)، وهما نوعان من الجوهر معلومان.

(ثم أوحى الله إلى ما شاء أن يوحى) بالبناء للفاعل أو المفعول، وحديث أنس هذا سقط من بعض النسخ.

(وذكر البزار) بفتح الموحدة وتشديد الزاى المعجمة وألف وراء مهملة نسبة لعمل البزر، وهو بزر الكتان الذى يستخرج منه السليط، وبالذال المعجمة كل بذر يبذر للزراعة، وهذا هو أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى صاحب المسند الكبير المعلل، توفى بالرملة سنة اثنين وتسعين ومائتين، ووترجمته مشهورة وهو ثقة حافظ، واعلم أن البزار كذا هو فى أكثر النسخ: قال البرهان الحلبى: وفى نسخة بخط الحافظ مغلطاى: البزاز بزاى معجمة آخره، وفى صحتها نظر، والمعروف أنه براء مهملة آخره.

(عن على بن أبى طالب، كرم الله وجهه، لما أراد الله تعالى أن يعلم رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم) أى يعرفه **(الأذان)** الذى شرعه له للإعلام بدخول وقت الصلاة.

(جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق) مر الكلام عليه، وظاهر سياقه أن هذا معراج آخر غير الذى كان بمكة قبل الهجرة كما مر، وهذا بعده فإن الأذان كان بالمدينة، وسياقه يقتضى أن هذا المعراج كان المقصود منه تعليم الأذان، وسيأتى ما فيه.

(فذهب يركبها) أى شرع فى الركوب، وذهب وردت بهذا المعنى كثيرا، وليس من الذهاب بمعنى المضى. تقول: ذهب يقول كذا أى شرع فى مقاله.

وقوله: **(فاستصعبت)** تلك الدابة **(عليه. فقال لها جبريل: اسكنى فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، فركبها حتى أتى بها إلى الحجاب الذى يلى الرحمن تعالى، فبينا هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب، فقال** النبى، **صلى الله تعالى عليه وسلم: يا جبريل من هذا)** الملك؟ **(قال: والذى بعثك بالحق إنى لأقرب الخلق مكانا، وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه)** تقدم شرحه فلا نكرره، وتأنيث البراق لغة أو مأول بدابة، وهذا الحديث رواه بسند متصل بعلى، رضى الله تعالى عنه، وفى سنده زياد بن المنذر، وقد قيل فيه: إنه كذاب، والحديث ضعيف، ومال السهيلى لصحته وذكر الحجاب وسيأتى بيانه.

(فقال الملك) الذى خرج من خلف الحجاب، ولم يعرفه جبريل، عليه الصلاة والسلام: **(الله أكبر الله أكبر)** إلى آخر الأذان، وإجابة المؤذن بما يليق برب العزة، فلذا شرع لنا ذلك بما يناسب حالنا على ما عرف فى كتب الفقه والسنة، **(فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر، ثم قال الملك: أشهد أن لا إله إلا الله. فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدى أنا الله لا إله إلا أنا، وذكر)** الراوى **(مثل هذا)** الذى

ذكر قولا وجوابا للمؤذن (**فى بقية الأذان إلا أنه لم يذكر جوابا عن قوله: حى على الصلاة حى على الفلاح**)؛ لأنه لا يتصور فى حقه معناه، أو لأن جوابه لا حول ولا قوة إلا بالله، أى لا يقدرنا على الصلاة والسعى لها وأداء حقوقها إلا من هى له، وهذا لا يليق إلا بالمخلوق بخلاف ما قبله.

(**وقال**) أى الراوى (: **ثم أخذ الملك بيد محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقدمه**) على من كان بحضرته من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، (**فأم**) أى صار إماما يؤم (**أهل السماء**) حال كونهم (**فيهم آدم ونوح، عليهما الصلاة والسلام**،) خصهما بالذكر؛ لأنهما أبوا الأنبياء الجسمانيين، كما أنه أبوهم الروحانى المتقدم عليهم تقدما حقيقيا، ومعنى حى أقبل وهلم، وهو اسم فعل قال القاضى منذر بن سعيد: والعرب تريد بها جىء سريعا حثيثا، لا كما يقول الفقهاء مطبعا، وفى حى لغات مذكورة فى كتب العربية واللغة، وأصلها حى هلا ثم قد تفرد حى وقد تفرد هلا، والمعنى واحد والفلاح معناه الفوز بالسعادة يقال: أفلح الرجل إذا أصاب خيرا وفاز، وقيل: معناه البقاء، والمعنى أقبلوا على البقاء فى الجنة.

(**قال أبو جعفر محمد بن على بن الحسين**) بن على بن أبى طالب، وهو أبو جعفر الإمام المشهور فى آل الرسول وأهل بيته (**راويه**) أى راوى هذا الحديث الذى رواه عن أبيه، عن جده (: **أكمل الله لمحمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، الشرف**) والعلو (**على أهل السموات وأهل الأرض**)، أما على أهل الأرض، فلأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أشرف الرسل، وأمته أشرف الأمم، وأما على أهل السماء، فلأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أشرف من سائر الملائكة بدليل أنه أمهم وتقدم عليهم، كما تدل عليه الأحاديث المذكورة.

بقى هاهنا أن ما ذكر يدل على أن الأذان شرع ليلة الإسراء قبل الهجرة مع أنهم جزموا بأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة إلى أن هاجر إلى المدينة.

وفى حديث ابن عمر، رضى الله تعالى عنهما، الصحيح المذكور فى الصحيحين قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون يتحينون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلموا فى ذلك يوما، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بوقا مثل بوق اليهود. فقال عمر، رضى الله تعالى عنه: أولا تعينون رجلا ينادى بالصلاة؟ فقال

رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: يا بلال قم فناد بالصلاة[١].

وفى حديث أبى إسحاق بزيادة على ما ذكر: فبنما هم على ذلك إذ سمع عبد الله ابن زيد بن ثعلبة الخزرجى النداء، فأتى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: يا رسول الله: إنى قد طاف بى الليلة طائف. مر بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده. فقلت: يا عبد الله! أتبيع هذا الناقوس؟ فقال: وما تصنع به؟ قلت: ندعو به إلى الصلاة. قال: أولا أدلك على خير من ذلك؟ قلت: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر إلى آخره، فلما أخبر به رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: إنها رؤيا حق، فقم لبلال فألقها عليه، فليؤذن بها فإنه أندى صوتا منك. فلما أذن بلال، رضى الله تعالى عنه، سمعه عمر، رضى الله تعالى عنه، وهو فى بيته، فخرج يجر رداءه، وهو يقول: يا نبى الله والذى بعثك بالحق نبيا لقد رأيت مثل الذى رأى. فقال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، الحمد لله.

وفى وسيط الغزالى: أنه رأى هذه الرؤيا بضعة عشر رجلا، وأنكره النووى وابن الصلاح، وقالا: لم يثبت إلا رؤيا زيد وعمر، رضى الله تعالى عنهما، فهذا يدل على أن الأذان إنما رؤى بالمدينة، وما ذكر هنا يدل على أنه بمكة فى الإسراء، وهما متعارضان إلا أن الثانى صحيح والأول ضعيف.

وقال ابن حجر، رحمه الله تعالى: قول القرطبى: إنه لا يلزم من رؤيته فى الإسراء مشروعيته فى حقه. فيه أنه يأباه قوله فى الحديث لما أراد أن يعلم رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، الأذان.

وقول الطبرى: يحمل الأذان فى الإسراء على معناه اللغوى يأباه ذكره بألفاظه بعينها، وما قيل من أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، رآه فى الإسراء، ولم يؤمر به بمكة للعجز عن إظهاره بين المشركين، وأخره الرسول، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم لما رأوا ذلك أظهره؛ ليكون مدحه على لسان غيره فى غاية الضعف. ولو كان كذلك لم يؤخره حين قدم المدينة.

أقول: هذا كله كلام مضطرب، والذى ظهر لى فى التوفيق بين الحديثين على وجه لا كدر فيه أن المذكور فى رواية البزار إسراء غير المعروف، وأنه بروحه أو فى رؤياه لأن الإسراء تعدد، فيكون رأى فى منامه ذلك، ورؤيا الأنبياء وحى، وعقب ذلك قص عليه الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، رؤياهم، فأظهر موافقتهم والعمل بها لتكون

(١) أخرجه الدارقطنى (١/٢٣٧)، وعبد الرزاق (١٧٧٦)، وأبو عوانة (١/٣٢٦).

الشهادة والمدح من غيره، وليسروا بموافقتهم رأيهم، وكون ذلك مأثورا عنهم، وإلا فهو فرض كفاية مشروع ومباح لا يثبت برؤيا غيره، فيحتاج إلى أنه اجتهاد بما يوافق الرؤيا، وهو خلاف. وهذا إن شاء الله من بركاته ولمعات مشكاته، ثم إن المصنف، رحمه الله تعالى، استشعر اعتراضا فيما مر من الحديث الذى ذكر فيه الحجاب، وهو فى حقه تعالى محال لاستلزامه الجهة والتحيز، فأراد دفعه بقوله: (**قال القاضى**) أبو الفضل عياض مؤلف هذا الكتاب، رضى الله عنه، (: **ما فى هذا الحديث من ذكر الحجاب، فهو فى حق المخلوق**) الرائى (**لا فى الخالق**) زاد الفاء فى خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط، وهو جائز، وكذا ما ورد فى الحديث «حجابه النور» إذ الحجاب بمعنى المنع، والحاجب المانع، ومنه حاجب العين، وحاجب الأمير، والحاجب يحيط بالمحجوب فيقتضى تناهيه وتحيزه. تعالى الله عن ذلك.

ولذا قال ابن عطاء الله، رحمه الله: كيف يتصور أن يحجبه شىء، وهو الذى أظهر كل شىء؟ كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو أظهر من كل شىء؟ كيف يتصور أن يحجبه شىء وهو الواحد الذى ليس معه شىء؟

(**فهم**) أى الخلق (**المحجوبون، والبارى جل اسمه منزه عما يحجبه**) لما سيأتى، ولذا علا على، كرم الله وجهه، بالدرة من قال: لا والذى احتجب بسبعة أطباق، وقال: ويحك يا لكع إن الله لا يحتجب.

ثم علل استحالة ذلك فى حقه فقال: (**إذ الحجب**) بضمتين جمع حجاب أو فتح فسكون مصدر (**إنما تحيط بمقدر محسوس**) أى بذى مقدار له طول وعرض وعمق فى جهة تحس بتوجه الناظر، فيقتضى الجهة، وهو منزه عن ذلك.

(**ولكن حجبه عن أبصار خلقه وبصائرهم**) جمع بصيرة، وهى القوة المدركة لغير المحسوس من العقل ونحوه، فلا تحيط به أبصارهم أى لا تدرك إدراك إحاطة بذاته؛ لاقتضائه للتحديد والتناهى ونحوه مما هو منزه عنه كما فسره به قوله: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ**﴾ [الأنعام: ١٠٣] كما ذكره البيضاوى ردا على من أنكر الرؤية، واستدل بهذه الآية ويأتى الكلام عليها، ولا تدركه بصائرهم، والمراد بالإدراك العلم، أى لا تعلم كنهه وحقيقته عقولهم إدراكا تاما يقينا.

(و) حجبه عن (**إدراكاتهم**) أى أنواع العلم والإدراك مغطاة عن إدراك ذاته، فلا رؤية ولا تصور ولا اكتناه فى غير أناة (**بما شاء وكيف شاء ومتى شاء**) متعلق بحجب، أى منعهم عن رؤيته وإدراك ذاته ومعرفة حقيقته، ليس بحجاب كحجاب البشر، بل

بسبب إرادة وكيفية لا يدركها فى أى زمان أراده، وفيه إيماء إلى أن رؤية الله فى الدنيا ممكنة، وفى الآخرة واقعة، وأن معرفة حقيقته ممكنة لنا، وهو الأصح، بل واقعة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن أمسك ذيل حقيقتهم.

كقوله: أى كقول الله فى الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ﴾ أى أن الكفار ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أى يوم القيامة وفى الآخرة إذ تنعم المؤمنون برؤيته ورضوانه ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وقال: كقوله بالكاف لأن المدعى عام، وهذا خاص بالكفار، ولكن فيه إثبات لمدعاه إذ جعلهم هم المحجوبون لا الله.

فإن قلت: الحجب أمر نسبى لابد من تعلقه بالطرفين، فيلزمك ما فررت منه.

قلت: نعم هو نسبى ولكن بين حاجب ومحجوب، والحاجب سبحات الأنوار وستائر العظمة، والمحجوب مخلوقاته لا هو؛ لأنه محجوب عنه لا محجوب، فيجوز أن يوصف بأنه محجوب عنه وحاجب ومحتجب، خلافا لمن أنكره، ومثاله حفرة عميقة فيها نمل على رأسها إنسان حديد البصر، فالنمل محجوب عن رؤيته بالحفرة لا يرى من فوقه، وهو يشاهد ويشاهد حركاته، والحجاب للمشهود لا للشاهد، فعلى هذا يطلق الحجاب ونحوه عليه، لوروده بهذا المعنى مطلقا أو مقيدا إذ إبهام ما سمع من الشارع لا يلتفت إليه كاليد والبصر وغيره، فاعرفه فإنه أمر مهم كثير فى القرآن والحديث.

(فقوله فى هذا الحديث: الحجاب) بالجر على حكاية الحجاب أو الرفع.

(و) قوله: **(إذ خرج ملك من الحجاب)** أراد ملك الأذان الذى سأل عنه رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، جبريل **(يجب أن يقال)** فى تفسير معناه: **(إنه حجاب حجب به)** الله تعالى **(من وراءه من ملائكته عن الاطلاع)** بكسر الطاء المشددة، أى رؤيتهم متعلق بحجب **(على ما دونه)** أى ما خلفه ووراءه من جانب الغيب وباطنه، فهو الباطن والظاهر.

(من سلطانه) الظاهر أنه أراد به ما يقبضه قدرته عند تصرفه مما لا يطلع عليه رسل الملائكة وغيرهم إلا بإذنه نادرًا.

(وعظمته وعجائب ملكوته) وما لا يدرك من ذلك، والمراد بالملكوت عالم غيب الغيب أى ما غيب عن الملائكة.

(وجبروته)، وهو يطلق على القهر، وعلى عظائم الملكوت وغرائبه مما احتجب عن غيره، وهو المراد، وجبروته بغير همزة. قال الحلبى: وهو مهموز فى بعض النسخ وهو لحن، **(ويدل عليه)** أى يدل على أن الحجاب لغيره لا لذاته **(من الحديث قول جبريل)** له،

صلى الله تعالى عليه وسلم، (**عن الملك الذى خرج من ورائه: إن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتى هذه**)، فإنه صريح فى أن الحجاب إنما حجب الخلق، فإن جبريل قد حجبه الله تعالى عما فى سرادق جلاله، وخلف حيطة عظمته، (**فدل على أن هذا الحجاب**) المذكور فى الحديث (**لم يختص بالذات**) أى لم يختص محجوبيته بذاته تعالى إذ حجب بعض الملائكة أيضا كملك الأذان.

وبما فسرناه به علمت أنه لا يتوهم أن المصنف، رحمه الله، حقه أن يقول: يختص بغير الذات؛ لأن نفى الاختصاص يقتضى المشاركة كما لا يخفى.

(**ويدل عليه**) أى على عدم اختصاص الحجاب بالذات كما مر (**قول كعب**) الأحبار (**فى تفسير سدرة المنتهى**) أى فى بيان سبب تسميتها به (**قال: إليها ينتهى علم الملائكة، وعندها يجدون أمر الله لا يجاوزها علمهم**)، فهذا وجه تسميتها به، ومنه يعلم أن الحجاب إنما هو بالنسبة لغيره، لا له، وأن المحجوب عنهم ذاته، وأمره وملائكته المقربون، وقوله: يجدون معناه يقفون ويعلمونه.

(**وأما قوله**) فى الحديث (**الذى يلى الرحمن**) لما كان ظاهره أنه حائل بينه وبين غيره أشار إلى تأويله بقوله: (**فيحمل**) أى يفسر بأنه (**على حذف المضاف أى الذى يلى عرش الرحمن**)، فالمضاف المقدر لفظ عرش أو لفظ أمر (**أو أمرًا ما**) زيادة للعموم أو للتعظيم، أى يلى أمر الرحمن (**من عظيم آياته**) من بيانية لإيضاح ما أبهم أولا، وهو أوقع فى النفوس لحصوله بعد التشوق إليه، (**أو من مبادى حقائق معارفه**) أى أمرا يكون مبدأ لما يتحقق به معرفة الله (**مما هو**) أى الله تعالى (**أعلم به**) من رسله وملائكته، عليهم الصلاة والسلام، (**كما قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢] أى أهلها**) إشارة إلى أن تقدير المضاف لقرينة عقلية كثير بليغ؛ لأن القرية لا تُسأل وإنما يُسأل أهلها.

(**وقوله**) تعالى فى حديث الأذان إجابة للملك لما قال: الله أكبر من كل كبير (**فقيل: من وراء الحجاب صدق عبدى**) أى الملك القائل (**أنا أكبر، فظاهره أنه**)، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**سمع فى هذا الموطن**) أى المكان الذى كان قارا به كما يقر الإنسان فى وطنه (**كلام الله**) من غير واسطة كما سمعه موسى، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**ولكن من ورآء حجاب**) حجبه عن رؤية الله تعالى، وهو يراه من غير حجاب بالنسبة له، وإن كان النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، محجوبا عن رؤيته معاينة ثمة، فهو لا يراه ثم استدل على ذلك بقوله: (**كما قال تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾** [الشورى: ٥١]، **أى هو**) أى النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**لا**

يراه) أى لا يرى الله معاينة إذ **(حجب بصره)** أى بصر النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(عن رؤيته)** أى رؤية النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، ربه فى هذه الدنيا، ولما كان هذا يوهم امتناع الرؤية مطلقا قال: **(فإن صح)** الحديث و**(القول بأن محمدًا، صلى الله تعالى عليه وسلم، رأى ربه)** عيانا حين أسرى به، **(فيحتمل أنه فى غير هذا الموطن)** الذى سمع فيه الأذان **(بعد هذا)** الموطن والمقام، **(أو قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه)** عيانا فى مقام آخر، **(والله أعلم)**.

* * *

(فصل)

فى تحقيق الإسراء

اعلم أنهم اختلفوا فى المعراج والإسراء، هل كانا فى ليلة واحدة أو ليلتين؟ وهل كانا جميعًا يقظة أو منامًا؟ أو بعضه يقظة وبعضه منامًا؟.

فقيل: إن الإسراء كان مرتين، مرة بروحه منامًا، ومرة بروحه وبدنه يقظة، ومنهم من قال بتعدد الإسراء فى اليقظة أيضًا، بل قيل: إنه أربع مرات، وبعضها كان بالمدينة.

ووفق أبو شامة، رحمه الله تعالى، بين الروايات بالتعدد، وأنه وقع من مكة لبيت المقدس فقط على البراق، ومرة من مكة إلى السموات، إلى آخر ما فصله، وقال: إنه لبيت المقدس ثابت بنص القرآن والحديث، وقد تقدم الفرق بين الإسراء والمعراج، وأن الأول سيره لبيت المقدس، والثانى صعوده منه للملأ الأعلى، وأن كلا منهما يطلق على الجميع.

وأما حمل البدن على أنه بطريق الانسلاخ الذى ذهب إليه الصوفية، فإخراج للحديث عن ظاهره لمعنى لا ينبغى التعويل عليه، وإنما ذكرناه لننبهك عليه؛ لئلا تغتر بكلام بعض جهلة المتصوفة والحكماء.

(ثم اختلف السلف والعلماء)، من عطف العام على الخاص، والمراد بالسلف الصحابة ومن عاصرهم، وبالعلماء من بعدهم، **(هل كان إسراء بروحه أو جسده؟)**، إسراء بالنصب خبر كان، أى هل كان الإسراء إلى آخره، **(على ثلاث مقالات)**، **أى** اختلاف واقع على ثلاثة أقوال للسلف والخلف، ثم فسره وفصله بقوله: **(فذهب طائفة)**، **أى** جماعة ممن سيصرح به **(إلى أنه)**، **أى** الإسراء، **(إسراء بالروح، وأنه رؤيا منام)**، عطف تفسير لا بدل كما توهمه الدلجى.

وفى تفسير القاضى اختلف فى أنه كان فى المنام أو فى اليقظة بروحه أو بجسده،

وقوله: بروحه أو بجسده لف ونشر، أى بروحه فى المنام أو بجسده مع روحه فى اليقظة، وليس متعلقًا بقوله: فى اليقظة فقط كما توهم، والصحيح الثانى كما سيأتى.

قال البرهان: وبقى قولان، أحدهما: أنه تعدد، فمرة بجسده ومرة أو مرات بروحه، والثانى: أنا نقول بالإسراء، ولا نعين كونه يقظة أو منامًا كما فى الهدى النبوى، وهو غريب.

(مع اتفاقهم) سلفًا وخلفًا على **(أن رؤيا الأنبياء حق ووحى)**؛ لأنهم، عليهم الصلاة والسلام، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، ولأن الشيطان لم يسلط عليهم، فيتمثل لهم، والوحى على أنواع، منها المنام، إلا أنه على قسمين: منه ما يقع بعينه، وهو الأكثر، ولذا ذهب الخليل إلى ذبح إسماعيل، عليهما الصلاة والسلام، ومنها ما يعبر ويأول.

(وإلى هذا ذهب معاوية) بن أبى سفيان بن حرب بن أمية، كما رواه عنه ابن جرير وابن إسحاق، وهو، رضى الله تعالى عنه، صحابى ابن صحابى، توفى بالشام حاكمًا بها سنة ستين، وعمره ثمان وسبعون أو ست وثمانون، وكان عنده إزار رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ورداؤه وشىء من شعره وظفره، فكفن بردائه وإزاره، وحشى شعره وظفره بفيه ومنخره بوصية منه، رضى الله تعالى عنه.

(وحكى عن الحسن) البصرى، رحمه الله تعالى، وحكى مبنى للمجهول، **(والمشهور عنه)**، أى عن الحسن **(خلافه)**، أى له قولان، أشهرهما أنه كان يقظة، **(وإليه)**، أى إلى ما ذكر عن الحسن أولاً، **(أشار محمد بن إسحاق)** بن يسار صاحب المغازى، وهو ثقة وإن طعن فيه بعضهم.

(وحجتهم)، أى دليل القائلين بأنه رؤيا منام، **(قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠])**؛ لإنكار كثير منهم له، وارتداد بعض ممن أسلم حين بلغهم ذلك؛ لضعف عقولهم وإيمانهم، ولا حجة فى ذلك؛ لأن لها تفاسير أخر، وفى بعض النسخ هنا: **(وقيل: رآها عام الحديبية)**، اسم بئر مشهورة، وياؤها مخففة ورويت مشددة أيضًا كما سيأتى بيانه؛ لأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، رأى أنه هو وأصحابه دخلوا مكة، كما قال الله تعالى: **﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾** [الفتح: ٢٧]، إلى آخره، فلما صدوا عن الدخول، فتن بعضهم، فقيل: لم يقل فى هذا العام، وقيل: الآية فى قصة بدر؛ لقوله تعالى: **﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾** [الأنفال: ٤٣]، وقيل: المراد بها رؤيا بنى أمية تنزو على منبره، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(و) مما احتجوا به، **(ما حكى عن عائشة، رضى الله تعالى عنها: ما فقدت جسد رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، وفى نسخة: ما فقد، بالبناء للمفعول، وفى رواية: لم تفقد، مجهول أيضًا. قال التلمسانى: وهى الأشبه بالصواب، فهو إخبار منها عن غيرها؛ لأنها لم تكن حينئذ زوجته، بل لم توجد. انتهى.

وستأتى الإشارة إليه فى كلام المصنف، مع أن له، صلى الله تعالى عليه وسلم، زوجات أخر، فلا يلزم من عدم فقدها لذلك فقد غيرها له، وقيل: ولا حجة فيه أيضًا؛ لاحتمال أنه تعالى أراد أن يحجب عنها حقيقة ذلك، مع أن النفى مقدم على الإثبات، ولا يخفى ما فيه من التكلف.

(وقوله)، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى رواية: **(بينا أنا نائم)**، قال ابن المنير فى المقتفى: جنح هؤلاء إلى قضايا ظنوها تخيل الإسراء يقظة من حيث العقل، وذلك غلط بين، وإنما هو استبعاد عادى ظنوه محالاً عقليًا، فاحتجوا مما ورد فى بعض الروايات من التصريح بأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان نائمًا فأيقظه الملك، وقوله: «بين النائم واليقظان»، ليس بصريح بأن النوم استمر، بل كان مجىء الملك إليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو وسن، وبأقل من ذلك يستيقظ النائم المستغرق لاسيما الوسن، واحتجوا على أنه استمر بأن المنام مصرح به، وإنما ورد فى بعض الطرق، أى الآتية: «فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام»، ورد عليهم بأن المراد الإفاقة البشرية من الغمرة الملكية، أى كما سيأتى بيانه.

وبالجملة فإن صح النقل فى الطرق وتعارضت وتعذر التأويل، حمل على التعدد وتنزيله على إسراءات بعضها يقظة وبعضهما منامًا، لا يقال: لو كان كذلك لما تكرر فرض الصلاة، فإنها إنما فرضت دفعة. قلنا: فرضت فى اليقظة، وجاء المنام بعد ذلك كالذكرى وتجديد العهد، أو تقدم المنام كالتقدمة والتعريض بالفرض وبما سيكون، ثم فرضت يقظة، وكثيرًا ما يرى النائم أنه فعل فعلاً كان فعله قبله، ويقع له أنه الفعل المتقدم بعينه، فيكون ذلك لمعنى ما. انتهى.

(وقول أنس، رضى الله تعالى عنه: وهو نائم فى المسجد الحرام، وذكر القصة) الواردة فى حديث الإسراء الذى رواه البخارى، وهو يدل على أنه كان منامًا، **(ثم قال فى آخرها: فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام)**، أى انتبهت من منامى، فوجدتنى به بهذه الحالة، فانتفى كونه حجة لذلك، وقد علمت ما فيه.

(وذهب معظم السلف والمسلمين)، عطف للعام على الخاص، وفيه إشارة إلى أن

خلافه لا ينبغى لمسلم اعتقاده، (**إلى أنه إسراء بالجسد**) مع الروح، (**وفى اليقظة**) المقابلة للنوم، وهى بفتح الياء والقاف وتسكينها لحن إلا لضرورة شعرية، كقول التهامى[١]:

فالعيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال سارى

وبالتسكين علم كاليقظان.

(**وهذا هو الحق**) الذى يقتضيه الإسلام، إذ لا حاجة لصرف النصوص عن ظاهرها بغير داع، ولو كان كذلك لم ينكره أحد من العقلاء، (**وهو قول ابن عباس، وجابر، وأنس، وحذيفة، وعمر، وأبى هريرة**)، رضى الله تعالى عنهم، وهو عبد الرحمن بن صخر على الأصح من الأقوال فى اسمه مشهور كما تقدم، (**ومالك بن صعصعة**) الصحابى المدنى كما تقدم.

(**وأبى حبة البدرى**)، بفتح الحاء المهملة بلا خلاف، ثم باء موحدة مشددة على الأصح، وقيل: إنه بنون مشددة، وقيل: بمثناة تحتية مشددة ثم هاء، واسمه عامر، وقيل: مالك، وقيل: عمرو، وقيل: ثابت بن النعمان، كما فى الاستيعاب، واختلف فى أبى حبة الأنصارى وأبى حبة البدرى، هل هما واحد أو اثنان على اختلافهم فى ضبطهم المتقدم؟ وقوله: البدرى، أى شهد بدرًا، إشارة إلى أنه من كبار الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، وقيل: اسمه كنيته.

(**وابن مسعود، والضحاك**)، وهو مزاحم البلخى المفسر المكنى بأبى القاسم، أو أبى محمد، يروى عن ابن عباس، وأبى هريرة، وهو ثقة وإن ضعفه بعضهم، توفى سنة خمس ومائة، وقيل: سنة ست، وأخرج له أصحاب السنن الأربعة دون الشيخين، (**وسعيد بن جبير**) المشهور، وهو الوالبى أبو محمد، أخرج له أصحاب الكتب الستة، (**وقتادة**) المتقدم ترجمته، (**وسعيد بن المسيب**)، بفتح الياء وكسرها كما تقدم فى ترجمته.

(**وابن شهاب**) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى كما تقدم، (**وابن زيد**) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وترجمته فى الميزان، (**والحسن**) بن أبى الحسن البصرى كما تقدم، (**وإبراهيم**) النخعى المتقدم ذكره، (**ومسروق**) بن أجدع أبو عائشة الهمدانى، أحد الأعلام الذى لم يخرج من همدان مثله، صاحب المناقب الجمة، وكان أعلم بالفتيا من شريح، توفى سنة ثلاث أو اثنتين وستين، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، ولقب بمسروق؛ لأنه سرق وهو صغير ثم وجد.

(**ومجاهد**) بن جبر المتقدم ترجمته، (**وعكرمة**) بن عبد الله، الإمام المفسر، مولى ابن

---

(١) البيت من الكامل، وهو للتهامى فى تاج العروس (٢٠/٢٩٤) (يقظ).

عباس، رضى الله تعالى عنهما، أحد أوعية العلم الثقة، وهو إباضى، وسيأتى بيان الإباضية آخر الكتاب، روى له الشيخان، وتوفى سنة خمس، أو ست، أو سبع ومائة، وترجمته مفصلة فى الميزان، **(وابن جريج)** عبد الملك بن عبد العزيز، وقد تقدمت ترجمته.

(وهو دليل قول عائشة، رضى الله تعالى عنها)، قيل: كيف يكون الإسراء يقظة دليل قول عائشة: ما فقدت جسده الشريف، الدال على أنه منامًا لا يقظة؟ وهذا عجيب، إذ ذكره فى المذهبين، وجعل ما يبطله دليلاً عليه كما سيأتى، فهذا سهو منه بلا ريبة.

أقول: لا شك أنه وارد، وأن كلامه لا يخلو من إشكال، إلا أن يقال: سقط منه شىء، وأصله دليل على عدم صحة قول عائشة؛ لأنه لم يثبت نقله عنها، وقد يقال: مراده أنه دليل على قول عائشة قولاً موافقًا لما عليه أكثر الصحابة، وأنها قائلة بأنه يقظة كالجمهور كما سيأتى فى كلامه، فالمراد إبطال ما نقلوه عنها، وهذا وإن كان مخالفًا للظاهر، لكنه أسهل من تغليط المصنف، وهو الأنسب بقوله: **(وهو قول)** محمد بن جرير **(الطبرى)** المتقدم ترجمته، **(وأحمد بن حنبل، وجماعة عظيمة)**، أى كثيرة، والعظمة تطلق بمعنى الكثرة كثيرًا، وإن كان المعروف خلافه، أو المراد أنهم أئمة مقدارهم جليل، **(من المسلمين، وهذا قول أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين)**، فعلى كثرة نقلته وشهرة الأخبار الصحيحة به لا يناسب مخالفة أم المؤ منين، رضى الله تعالى عنها، فيه.

(وقالت طائفة:) هذا هو القول الثالث، **(كان الإسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام إلى بيت المقدس)** فقط، **(و)** منه **(إلى السماء بالروح)**، يعنى منامًا، ولا يخفى بعده، إذ لم ينقل أنه ﷺ نام ثمة، وهذه الحالة لا تناسب النوم ثمة، **(واحتجوا بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ إلى بيت المقدس)**، وفى نسخة: **﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾** [الإسراء: ١]، وهى الموافقة للنظم الشريف، وهى أصح عندى.

واعلم أنهم فسروا العروج الروحانى بالمنام، وليس بمتعين؛ لأنها قد تفارق البدن بدونه، وهذا مما اتفق عليه الحكماء وأهل التصوف، وليس هذا محل تحقيقه، وقوله: **(فجعل إلى المسجد الأقصى غاية الإسراء)**، تفسير وتفصيل للاحتجاج؛ لأنه لما جعله غاية، اقتضى أنه لم يتجاوز إلى السماء ببدنه الشريف، ولا حجة فيه؛ لأن كونه غاية لمسيره فى الأرض، لا ينافى صعوده لما يحاذيه فى جهة العلو، وما قيل من أنه إنما يتم إذا كان الإسراء مرة واحدة، وعلى تقديره يكون غاية لركوبه البراق، ثم عرج منه إلى السماء، والحكمة فى عدم ذكره لها بيانه للسنة دون الكتاب، وهو أبلغ فى المدح انتهى. ليس بشىء، ولو قيل: إنه هو الذى أنكروه، وأنه اكتفى بأقل ما تثبت به معجزته،

واقتصر على ما تفهمه عقولهم القاصرة، كان أظهر، ونحوه قول ابن المنير فى المقتفى، ورد الاحتجاج بأن الحكمة فى تخصيص المسجد الأقصى أن يسأل قريش على سبيل الامتحان عن الأعلام التى عرفوها، والصفات التى شاهدوها فى بيت المقدس، وقد علموا أن الرسول ﷺ لم يسافر إليها قط، فيجيبهم بما عاين ويوافق ما يعلمونه، فتقوم الحجه عليهم، وكذلك وقع؛ ولذا لم يسألوه ﷺ عما رأى فى السماء، إذ لا علم لهم بذلك. انتهى. وأقصى بمعنى أبعد؛ لأنه أبعد مسجد فى الأرض، وآخر محل عبد الله فيه بحق.

وقوله: (**الذى وقع التعجب فيه**)، ضمير فيه للإسراء، أى وقع التعجب فى شأنه؛ لقطع مسافة طويلة فى بعض ليلة، والتعجب يفيده قوله: ﴿سُبْحَٰنَ﴾ [الإسراء: ١]؛ لأنه مصدر منصوب على المصدرية، ومعناه تنزيه الله عما لا يليق بعظمته، ثم شاع استعماله فى التعجب، ووجهه مذكور فى الكشاف وشروحه، والتعجب من المعجزات لكونها خارقة للعادة، وهو من الله تعجيب لما تعجب منه، وقد ورد استعماله فى حق الله، وورد فى الحديث كقوله ﷺ: «عجب ربنا من كذا»، وهو من البشر؛ لاستحالة ما تعجبوا منه، أو استبعاده، وأشار إلى المراد من تعجب الله، فقال: (**تعظيم القدرة**)، منصوب؛ لأنه مفعول له، أى لتعظيم قدرة الله الباهرة المؤثرة على وفق الإرادة، وفى نسخة: بعظيم، بالباء الجارة.

(**والتمدح بتشريف النبى محمد ﷺ به**)، أى بالإسراء، والجار متعلق بتشريف، ويجوز رفعهما بوقع، أى وقع فيه تعظيم القدرة والتمدح، وكذا قوله: (**وإظهار الكرامة له**) ﷺ (**بالإسراء إليه**)، أى إلى المسجد الأقصى، وهو من وضع الظاهر موضع الضمير اعتناء به؛ لأنه أجل كراماته وأعظم معجزاته.

(**قال هؤلاء:**) الذاهبون إلى أن الإسراء بجسده ﷺ إلى المسجد الأقصى، وهم أرباب المذهب الثالث، (**ولو كان الإسراء بجسده إلى**) مكان أرفع (**زائد على المسجد الأقصى لذكره**) الله تعالى فى القرآن حين قص قصة الإسراء، (**فيكون**) ذكره فيه (**أبلغ فى المدح**) من عدم ذكره.

(**ثم اختلفت هذه الفرقتان**)، الثانية والثالثة، فى أنه ﷺ (**هل صلى ببيت المقدس**) حين أسرى به (**أم لا؟**)، فقيل: صلى به، وأم معادلة لهل، وهو من نوادر العربية، سمع ذلك فى قوله ﷺ لجابر، رضى الله عنه: «هل تزوجت بكرًا أم ثيبًا»، وإن أنكره بعض النحاة.

(**ففى حديث أنس وغيره ما تقدم من صلاته**) ﷺ بالأنبياء (**فيه**)، أى فى بيت المقدس،

وستأتى رواية أخرى أنه ﷺ صلى بهم فى السماء، وفى رواية: أنـه لم يصـل بـهم فيـه، كما أشار إليها بقوله: **(وأنكر ذلك)**، أى صلاته بالأنبياء، عليهم الصـلاة والسـلام، فيـه **(حذيفة بن اليمان، وقال)**، كما رواه أحمد بن حنبل، رحمه الله تعالى: **(والله ما زالا)**، أى جبريل والنبى ﷺ، وزال هنا تامة، أى لم ينفصلا وينزلا عن ظهر البراق، حتى رجعا إلى الأرض، فكان جبريل، عليه الصلاة والسلام، راكبًا معه ﷺ، ويروى أنه كان ماشيًا.

(قال القاضى) أبو الفضـل عيـاض المؤلـف، رضـى الله تعـالى عنـه: **(والحق من هـذا والصحيح)** رواية **(إن شاء الله)**، قيده بالمشيئة من أنه أمـر واقـع وانقطـع؛ تبركًـا وتأدبًـا، وللإشارة إلى احتمال التعدد، فكل رواية لا تنافى الأخرى، فلا ينافى قوله: إن شـاء الله، كونه حقًا صحيحًا كما قد يتوهم، وهذا كقوله ﷺ : «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون».

(أنه إسراء بالجسد والروح)، لا بالروح فقط منامًا أو يقظة، **(فـى القصـة كلـها)**، أى فى قصة الإسراء إلى المسجد الأقصى والسموات، **(وعليه تدل)**، أى مما يـدل عليـه نقـلاً نص القرآن، وهـو **(الآيـة)** الدالـة علـى شـطرها صريحًـا، **(وصحيـح الأخبـار)** المشـهورة المستفيضة الدالة على عروجه ﷺ إلى السماء، والأحـاديث الآحـاد الدالـة علـى دخولـه الجنة، ووصوله إلى العـرش، أو طـرف العـالم كمـا سيأتى، وكـل ذلـك بجسـده يقظـة، **(والاعتبار)**، بالرفع معطوف على ما قبله كما صححه البرهان، والمراد به التتبع لأقـوال السلف، أو دقيق الفكر والتأمل فى الأحاديث المروية والقصة، يعنى أنه يدل علـى ذلـك العقل والنقل.

(ولا يعدل)، بالبناء للمجهول، من العدول، أى لا يخالف أحـد ويرجـع ويميـل **(عـن الظاهر)** الذى يقتضيه العقل والنقل، **(والحقيقـة)** المتبـادرة مـن لفـظ الحديـث الصحيـح، وليس عطفًا تفسيريًا كما قيل، **(إلى التأويل)**، متعلق بيعدل، أى لا يصرف عـن ظـاهره، ويأول النصوص الواردة فيه، **(إلا عند الاستحالة)**، أى إلا إذا كان ظاهره مستحيلاً عقلاً وشرعًا، حتى يتعذر حمله على حقيقته، وليس ما نحن فيه كذلك.

(وليس فـى الإسـراء بجسـده حـال يقظتـه اسـتحالة)، تقتضـى العـدول عـن الظـاهر والتأويل، وما قيل من أن ما ذكره غير مسلم؛ لأنـه يكفـى فـى المصـير إلى التـأويل قيـام المعارض للظاهر من الروايات التى أوردها المخالف الذاهب إلى أنه منامٌ لا يقظة، مردود بأن هذه الرواية عنده أصح وأقوى؛ لتعدد من رواها وذهـب إليـها مـن كبـار الصحابـة وكثرتهم جدًا كما قيل به، فإن قيل بالتعدد كما لم تكن معارضة أيضًا، فتدبر.

(تنبيه) الاستحالة المذكورة، أى عد الإسراء محالاً، صدر من كفار قريش، ومن بعض

ضعفاء المسلمين، إذ توهموا أن قطع مثل هذه المسافة ذهابًا وإيابًا فى بعض ليلة محالاً؛ لأنها بعيدة، بحيث تقطع فى أيام كثيرة، ومن بعض أرباب علم الهيئة الذين قالوا: إن الأفلاك لا فرجة فيها، ولا تقبل الخرق والالتئام، وكلاهما خطأ عقلاً ونقلاً، ألا ترى نقل عرش بلقيس فى مسافة أبعد من هذه فى طرفة العين، وغير ذلك مما هو مأثور مشهور، وقد نطقت النصوص بأن السماء لها أبواب تفتح وتغلق، فلا عبرة بأوهام الفلاسفة.

وقال البيضاوى تبعا للإمام الرازى: الاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة أن ما بين طرفى قرص الشمس ضعف ما بين طرفى كرة الأرض مائة ونيفًا وستين مرة، ثم إن طرفها الأسفل يصل لموضع طرفها الأعلى فى أقل من ثانية، والأجسام كلها متساوية فى قبول الأعراض، والله قادر على كل الممكنات، فيقدر على أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبى ﷺ، أو فيما حمله، والتعجب من لوازم المعجزات. انتهى.

وقد أورد عليه اعتراضات بسطناها مع جوابها فى حواشيها عليه، واعلم أن كلامه مبنى على أن الحقيقة تقدم مطلقًا، وعند الشافعى يقدم المجاز الغالب عليها، ثم إن التعجب والعجب إذا أسند إلى الله فهو مأول، وكذا صيغة التعجب، وفى حديث: «عجب ربكم من شاب ليس له صبوة».

قال ابن فورك فى كتاب الكشف: قد ورد مثله فى أحاديث كثيرة، والعجب والتعجب أصله أن يفاجأ أمر لم يعلمه من فاجأه، فيستعظمه، وهذا لا يليق بالله عز وجل، فالمراد لازمه، يعنى أنه خلقه عظيمًا، بحيث يتعجب من خلقه، أو المراد الرضاء والقبول؛ لأن من أعجبه شىء رضيه وقبله، فلا يتعجب مما يكره غالبًا، فإذا أراد تعظيم شىء أخبر عنه بما يقتضى تعظيمه، إلى آخر ما فصله، وسبحان كثر استعماله فى ذلك.

وقوله: (**إذ لو كان منامًا لقال: بروح عبده، ولم يقل بعبده**)، تعليل لصحة كونه يقظة، ولعدم الاستحالة، (**وقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾** [النجم: ١٧]، **ولو كان منامًا لما كانت فيه آية ولا معجزة، ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه، ولا ارتد به ضعفاء من أسلم وافتتنوا به**)، ووقعوا فى فتنة، أى بلية عظيمة توقعهم فى العذاب؛ لردتهم وتكذيبهم له، وإنكارهم لما أخبر به ﷺ بما هو خارق للعادة، وهو قد أخبر به؛ لأنه معجزة تحداهم بها، (**إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر**)، تعليل لعدم الاستبعاد والتكذيب.

فإن قلت: هذا يقتضى أن رؤية الله فى المنام جائزة بلا خلاف، وقد قالوا: إنه اختلف فيها.

قلت: قال الإمام الغزالى: إن الخلاف فيها غير معتد به، ولأن المرئى مثال، وفرق بين المثال والمثل، وقد أفرده برسالة، فإن أردت تحقيقه فراجعها.

(**بل لم يكن منهم ذلك**) المذكور من الاستبعاد والتكذيب والارتداد والافتتان، (**إلا وقد علموا أن خبره إنما كان عن**) إسرائه (**بجسمه وحال يقظته**)، أخذًا مما قاله لهم، وأما كون رؤيا الأنبياء وحى وحق، فهذا إنما يعرفه من صدقه وصدق بخبره، فما قيل من أنه ممنوع؛ لأن رؤياهم حق؛ ولذا قال الله تعالى لإبراهيم، عليه السلام: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّؤْيَآ﴾ [الصافات: ١٠٥]، وإذا كانت رؤياها كذلك استقام كونها معجزة له، ويتعلق الإنكار بأن رؤياهم حق، كلام فى غاية السقوط.

(**إلى ما ذكر فى الحديث**) المتقدم، وذكر مبنى للمجهول، ويصح بناؤه للفاعل أيضًا، وإلى بمعنى مع، كقوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء: ٢]، وللغاية بتقدير من البيت المقدس إلى المذكور فى الحديث بقرينة المقام، وقوله: (**من ذكر صلاته ببيت المقدس**) بيان لما، وبيت المقدس هو مسجد إيلياء، ومعنى إيلياء بالسريانية وهى لغة آدم، عليه الصلاة والسلام، بيت الله.

(**فى رواية أنس، أو فى السماء على ما روى غيره**)، كما تقدم بيانه، (**وذكر مجىء جبريل**) ﷺ (**بالبراق وخبر المعراج**)، بكسر الميم، اسم آلة للعروج، وهو الصعود فى جهة العلو كالسلم، وقد تقدم بيانه، (**واستفتاح السماء**)، أى طلب فتحها له ﷺ من جبريل.

(**فيقال:**) من أنت؟، أى تقول ملائكة السماء لجبريل: من أنت؟ فيقول: جبريل، فيقال له: (**ومن معك؟ فيقول: محمد، ولقائه**)، الضمير لمحمد ﷺ (**الأنبياء فيها**)، أى السماء، (**وخبرهم معه**) فيما وقع له معهم من المكالمة، (**وترحيبهم به**)، أى قولهم له ﷺ: مرحبًا بالأخ الصالح، أو الابن الصالح، كما مر، وهو تفعيل من الرحب، بضم الراء المهملة وفتحها، ومعناه السعة، أى صادفت مكانًا رحبًا ذا سعة، وهو كناية عن وجوده فيه ما يسره ويكرمه.

(**وشأنه فى فرض الصلاة**) خمسين عليه وعلى أمته، ثم تخفيفها، وهو مجرور ومعطوف على مجىء، والشأن الأمر العظيم الذى جرى له فى ذلك، (**ومراجعته موسى**)، أى رجوعه فى المشاورة (**فى ذلك**) كما مر.

(**وفى بعض هذه الأخبار**) والحديث الذى رواه الشيخان، عن أنس، رضى الله تعالى عنه: (**فأخذ، يعنى جبريل، بيدى**)، أى أمسك يده؛ ليصعد معه، (**فعرج بى إلى السماء**)،

أى صعد وأنا معه، (إلى قوله: ثم عرج بى)، بالبناء للفاعل أو المفعول، وعرج كقعد عرجًا ومعرجًا ارتقى. قال فى القاموس: إذا كان خلقة فعرج كفرح، أو يثلث فى غير الخلقة، وهو أعرج بين العرج. انتهى. ولبعض الأدباء فى أعرج من رسالة:

قامت العصاة بيده مقام رجله وقلت أعواد الأغصان من أجله
فعرج إلى الأرض لا إلى السما وغرس العود بكفه ولكن ما أورق ولا نما
وحمل العصا هو العذاب الأليم ولا أفلح من لازمها بعد موسى الكليم

انتهى.

(حتى ظهرتُ)، أى صعدت وعلوت، وهو كناية؛ لأنه يلزم من العلو على مكان عال أن يظهر، ويصاعد من هويه، (بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام)، المستوى بضم الميم أوله مقصور، اسم مكان، وقد تقدم الكلام عليه، وأن الصريف والصرير بمعنى، وهو الصوت الذى يسمع من الأجرام الجامدة إذا حركت، وأن المراد بالأقلام أقلام الملائكة، عليهم الصلاة والسلام، التى تكتب ما قدره الله، وهنا وقع فرض الصلاة، أو هو قلم واحد لله جمع تعظيمًا ولكثرة مكتوبه، وهو العلم المقارن للوح المحفوظ كما قيل.

(وأنه وصل إلى سدرة المنتهى)، ورأى ما غشيها من الألوان وغيرها كما تقدم، (وأنه دخل الجنة، ورأى فيها ما ذكره) من جنابذ اللؤلؤ، وترابها المسك، إلى آخر ما ذكره.

(قال ابن عباس)، رضى الله تعالى عنهما، فيما صح عنه من رواية البخارى: (هى رؤيا عين رآها النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، لا رؤيا منام)، ولا يعارضه ما روى عن عائشة وغيرها كما قيل؛ لصحة هذا وكثرة طرقه وشهادة ظاهر النصوص له كما مر، ولا وجه لما قيل أيضًا أن صوابه رؤيا نائم كما لا يخفى.

(و) روى ابن إسحاق وابن جرير مرسلاً، (عن الحسن) البصرى (فيه: بينا أنا نائم)، وفى نسخ: جالس، (فى الحجر)، بكسر الحاء المهملة، وسكون الجيم، ونقل التلمسانى عن بعضهم أنه يقال: بفتح الحاء المهملة، وفى القاموس: إن الأول معناه وما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال، وديار ثمود، والأنثى من الخيل، وبالهاء لحن أقول ما قاله، وإن سبقه إليه غيره ليس بصواب، فإنه ورد فى الحديث، وصححه بعض أهل اللغة كالقزوينى فى مثلثاته، وإليه ذهب شيخنا المقدسى فى حواشيه، والحجر معروف بجنب البيت الشريف كنصف دائرة عليه جدار، وهو من البيت، وقيل: الذى منه مقدار ستة أذرع أو سبعة كما أفاده البرهان.

(جاءنى جبريل فهمزنى بعقبه)، همزه كضربه، وما وقع فى بعض النسخ: نهرنى، من تحريف النساخ، أى مسنى بشدة لينبهنى، والهمز والضغط بمعنى، وفى العين همزته غمزته، والهمزة فى الحروف؛ لأنها تهمز فتنهمز عن مخرجها. انتهى. وهو يدل على أنها صحيحة لغة، فلا وجه لما فى بعض شروح الكشاف من أنها لم تسمع، وإنما اسمها ألف. وعقبه بفتح العين المهملة، وكسر القاف، ثم الموحدة مؤخر رجل، وهذا يدل على أنه تمثل له ﷺ بصورة رجل حين همزه، والضمير لجبريل، عليه الصلاة والسلام، وليس فيه سوء أدب ممن لم يقصد التنقيص كما قيل.

(فقمت)، أى انتبهت من منامى، بدليل قوله: **(فجلست)**، والقيام بهذا المعنى كثير، **(فلم أر شيئًا، فعدلت لمضجعى)**، أى رجعت لما كنت عليه من هيئة النائم، فالمضجع مصدر ميمى، أو اسم مكان، **(ذكر ذلك ثلاثًا)**، وإنما ذكره ثلاثًا؛ لأنه وقع الهمز ثلاث مرات، **(فقال فى)** المرة **(الثالثة: فأخذ بعضدى)**، بالإضافة إلى ياء المتكلم المخففة، والعضد ما فوق المرفق، **(فجرنى إلى باب المسجد)**، أى أخرجه إليه تأدبًا منه، إذ لم يدخل ما هو على صورة دابة لفناء بيت الله، وقيل: الله أعلم بصحة هذا؛ لنزاهة جبريل عن أن يفعل به ﷺ ذلك الجر، وفيه نظر، **(فإذا بدابة، وذكر خبر البراق)** المتقدم فى شكله وهيئته وسرعته، وهذا رواه ابن إسحاق، وابن جرير، والطبرانى.

(وعن أم هانئ)، بهمزة فى آخره وتبدل ياء، واختلف فى اسمها، فقيل: فاختة، وقيل: عاتكة، وقيل: حمامة، وقيل: فاطمة، وقيل: رملة، وهى بنت أبى طالب، صحابية عظيمة المقدار، أخرج لها أصحاب الكتب الستة، وكانت أسلمت يوم الفتح، وهرب زوجها هبيرة المخزومى، فمات بنجران كافرًا، وخطبها النبى ﷺ فاعتذرت بأنها مصبية، أى ذات أولاد.

(ما أسرى برسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلا وهو فى بيتى)، وهو مخالف لما مر أنه كان بالحجر أو غيره، فإن قيل بتعدد الإسراء، فلا إشكال، **(تلك الليلة)** التى أسرى به فيها من بيتها، **(صلى العشاء الأخيرة)**، والعشاء الأولى المغرب، **(ونام بيننا)**، أى بين أهل بيتها وأولادها، وفى رواية: ونام شيئًا، بشين معجمة، أى نام قليلاً من الليل.

(فلما كان قبيل الفجر)، بتصغير قبل تصغير تقريب وتقليل، **(أهبنا)**، بالهمزة أوله وتشديد الموحدة، أى أيقظنا، يقال: هب، إذا استيقظ، وأهبه أيقظه من منامه ونبهه منه، **(فلما صلى الصبح)**، أى صلاة الصبح، **(وصلينا)** معه، **(قال: يا أم هانئ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت)**، بكسر التاء، أى كما شاهدت صلاتى لها، **(بهذا**

الوادى)، أى بمكة، وهى واد؛ لإحاطة الجبال بها وانخفاضها بينها، قالوا: وهذا مشكل من وجوه؛ لأنها إنما أسلمت عام الفتح كما مر، فكيف يكون صلت معه العشاء؟ وأيضًا أن الصلاة إنما فرضت فى الإسراء، وأول صلاة صلاها بعد الفريضة الظهر، فما معنى صلاة العشاء والصبح، ولذا أشار المصنف لتضعيف هذا فى الفصل الذى يليه، وأيضًا المغرب لا تسمى عشاء لغة وشرعًا، وقولهم: العشاءان للمغرب والعشاء تغليب.

وما قيل من أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان يصلى قبل الإسراء قبل طلوع الشمس وغروبها، وأن المراد بقولها: صلينا، هيأنا له ما يحتاج إليه فى صلاته، كلام لا يجدى؛ لأنه فى غاية الخفاء، أو هو مدرج من كلام غيرها، نعم كون المغرب لا تسمى عشاء أولى غير متجه؛ لأنه ورد فى الحديث تسميتها عشاء أولى، والمراد بالعشاء أول الليل، وكون ما ورد تغليبًا غير مسلم، فإن الأصل هو الحقيقة.

أقول: الذى يظهر لى فى التوفيق بين الروايات، والجواب عما ذكر إن لم نقل بتكرار الإسراء مرارًا، إذ عليه الأمر ظاهر أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان ببيت أم هانىء، ثم خرج إلى الحرم للصلاة، فغشيه نوم، ثم استيقظ وعرج به، وأما قول أم هانىء، رضى الله تعالى عنها: وصلينا، فيدفع إشكاله المذكور بأنها بنت أبى طالب، وأبو طالب وآله كانوا محبين له، صلى الله تعالى عليه وسلم، معتقدين صدقه، ولم يظهروا ذلك لغيرة جاهلية وحكمة خفية، ولذا أسلم على، كرم الله وجهه، فى صباه، وكان، رضى الله تعالى عنه، معه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وذكر ذلك أبو طالب فى شعره المشهور فى السير، فلما خرج، صلى الله تعالى عليه وسلم، من بيتها تلك الليلة، وصلى بالحرم ومعه على، فلا شك أنه كان يصلى قبل الإسراء بالغداة، والعشى صلاة غير الخمس المفروضة، فقولها: صلينا، كقولهم: بنو فلان قتلوا قتيلاً، والقاتل واحد منهم؛ لأن الفعل المرضى لجماعة إذا وقع من أحدهم ينسب للجميع، وهو مجاز بليغ مشهور، أى صلى معه بعض آلنا، وهو على، رضى الله تعالى عنه، أو يقال: إنها كانت مسلمة سرًا، كما نقل مثله عن العباس، رضى الله تعالى عنه، فاندفاع الإيراد الذى ظنوه غير مندفع ظاهرًا، فلا حاجة لما قيل: الصلاة هنا لغوية بمعنى الدعاء.

(ثم جئت بيت المقدس، فصليت فيه، ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون) وتشاهدون، والغداة والغدو بمعنى، وهو أول النهار، وهو بتقدير مضاف، أى صلاة الغداة هى صلاة الصبح، **(وهذا)** المذكور برهان ودليل **(بين)**، بتشديد الياء المكسورة، أى ظاهر واضح، **(فى أنه)**، أى الإسراء **(بجسمه)** وروحه، لا بروحه فقط كما قيل، وقيل: إنما البين فيه قوله: ثم نام، وفيه نظر.

(**وعن شداد بن أوس**) بن ثابت بن المنذر بن الحرام أبو يعلى الأنصارى الصحابى، نزيل بيت المقدس، وليس بدريًا كما توهم، وقد أخرج له الأئمة الستة وأحمد فى مسنده، وهذا الحديث ليس فيها، وإنما رواه البيهقى وابن مردويه، توفى سنة ثمان وخمسين، ودفن بفلسطين، وهو ابن أخى حسان بن ثابت، كما مر فى ترجمته، (**عن أبى بكر**)، رضى الله تعالى عنه، أفضل الصحابة، وفى أكثر النسخ: عن أبى بكر، من رواية شداد بن أوس عنه.

(**أنه قال للنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، ليلة أسرى به**)، فى هذا ما لا يخفى، إذ لا يصح مع قوله: (**طلبتك البارحة**)، وهى الليلة الماضية قبل ليلتك، ومنه المثل: ما أشبه الليلة بالبارحة، فهو بتقدير بعد ليلة أسرى به، ومعنى طلبتك، أنى تفقدت جسدك فى مضجعك، (**فلم أجدك**) فيه، أو فيه تقديم والتفات، أى طلبتك البارحة ليلة أسرى بك، وهذا كله خلاف الظاهر، و لم ينبهوا عليه، فأجابه رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بقوله: (**إن جبريل حملنى**)، وفى نسخة: حمله، (**إلى المسجد الأقصى**)، وإن بكسر الهمزة أو مفتوحة، والتقدير بأن إلى آخره، قيل: هذا يحتمل أنه كان ببيت عائشة، رضى الله تعالى عنها، بدليل السياق، لكنه معارض بقول عائشة المتقدم، وقوله: حملنى جبريل مخالف لكونه على البراق، إلا أن يقال: لكونه سببًا له أسند إليه مجازًا وفيه نظر، وهذا دليل على أنه كان يقظة بجسده أيضًا.

(**وعن عمر، رضى الله تعالى عنه**)، كما رواه ابن مردويه من طرق، (**قال: قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: صليت ليلة أسرى بى فى مقدم المسجد**) الأقصى، (**ثم دخلت الصخرة**)، أى دخلت المسجد الذى تحت الصخرة المعروف الآن بمسجد داود، عليه الصلاة والسلام، ففيه مضاف مقدر، أى تحت، (**فإذا بملك قائم**)، لم يسموه.

(**معه آنية ثلاث، وذكر الحديث**)، أى ساقه إلى آخره، وإذا هنا فجائية، أى فاجأنى بغتة لقاؤه، والآنية بالمد جمع إناء، كوعاء وزنًا ومعنى، وأوانى جمع الجمع، وليس مفردًا كما توهم العامة كما مر؛ ولذا وصفه بأنه ثلاث، فهو صفة أو بدل منه، وقيل: خبر هى مقدرة، وكان الظاهر أن يقال: ثلاثة؛ لأن مفرده مذكر، فكان أوله بكأس ونحوه، يعنى إناء من خمر، وإناء من لبن، وإناء من ماء، وأنه خير فيه، فاختار اللبن، وقيل له: اخترت الفطرة، ولو اخترت الخمر غوت أمتك، وهذا تمام الحديث، وقد تقدم، واعترض عليه بأنه محتمل لكونه منامًا، ولا مانع فى هذه الرواية أصلاً.

فقوله: (**وهذه التصريحات ظاهرة**)، فى أنه كان يقظة، (**غير مستحيلة**) شرعًا وعقلاً، حتى تقتضى استحالتها التأويل، (**فتحمل على ظاهرها**)، ولا يعدل إلى التأويل مع عدم

الحاجة إليه يؤيد ذلك.

(وعن أبى ذر) الصحابى الغفارى، رضى الله تعالى عنه، فى حديث رواه الشيخان، **(عنه، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، أنه قال: **(فرج)**، مبنى للمجهول مخفف الراء ونائب فاعله، **(سقف بيتى)**، وفى نسخة: عن سقف بيتى، والمعنى كشف من السقف جانب، حتى انفتحت منه فرجة، ولم يبق حائل بينه وبين السماء، **(وأنا)** مقيم **(بمكة)** قبل الهجرة، وهذا مع قوله سابقًا: «بينا أنا بالحجر، أو الحطيم»، وقول أم هانىء السابق: ما أسرى به، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلا وهو ببيتى، بينهما من المعارضة ما لا يخفى.

فإن قيل: بالتعدد، فلا منافاة بين الروايات، ولا يكفى هنا كون إضافة البيت له؛ لأنه ساكن فيه، ولأم هانى لكونه ملكها، وقد تقدم قول ابن المنير: إن فرج السقف وعدم إتيان بيته من بابه، إنه مبالغة فى الفجأة، وتنبيه على أن دعوته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وكرامته كانت على غير ميعاد، وكان هذا عادة الخلفاء العباسيين.

قلت: وليدل على أن هذا أمر إلهى، وكرامة تسر ولا تضر، ولو أتى من الباب لتوهم أنه أحد من أعدائه الذى هو بين أظهرهم.

(فنزل جبريل، عليه الصلاة والسلام، فشرح صدرى)، وفى رواية: ففرج صدرى، أى شقه، وهى أنسب بفرج البيت، **(ثم غسله بماء زمزم، إلى آخر القصة)**؛ لأنه أفضل المياه حتى الكوثر فى قول، ولأنه ﷺ ألفه صغرًا وكبرًا، وشرح الصدر لا ينافى شق القلب؛ لأنه مقدم عليه، ولا حاجة إلى القول بأنه تجوز على القلب بالصدر لعلاقة المجاورة، وقد تقدم أنه شق قلبه وصدره ﷺ وهو صغير عند ظئره حليمة، رضى الله تعالى عنها، فهذه مرة ثانية، فالأولى ليطهره من الكدورات البشرية ويرشحه للرسالة والنبوة، وهذه ليقوى على العروج ومشاهدة عجائب الملكوت، فهو وقع مكررًا، فى مرة غسل بماء زمزم، وفى أخرى بماء ثلج؛ ليثلج صدره ويصبره، فلا تعارض بين الروايات.

قال ابن المنير: ولما لم يقع هذا للكليم، عليه الصلاة والسلام، لم يطق فى الدنيا الرؤيا، ولم يذكر هنا أنه كان معه ملكان بطست وماء كما مر، وأنه وضع عليه خاتم النبوة، وسيذكره، **(ثم أخذ بيدى، فعرج بى)**، بالبناء للفاعل أو المفعول كما مر، وشرح صدره كان بعد نزول جبريل، عليه الصلاة والسلام، إليه، والتعقيب بالفاء عرفى نسبى، فلا ينافى قوله.

(وعن أنس: أتيت)، بالبناء للمجهول لا للفاعل كما توهم، **(فانطلق بى)**، مجهول

أيضًا، وفى نسخة: فانطلقوا بى، بصيغة الجمع؛ لأن مع جبريل ملكان آخران معهما طست الذهب كما مر، ولا منافاة بين الروايات كم يتوهمه من لا بصيرة له، **(إلى زمزم، فشرح عن صدرى)**، أى شق صدره وقلبه، ووضع فيه نور النور؛ ليقوى على العروج ومشاهدة الملكوت وعجائبه.

(و) روى مسلم، **(عن أبى هريرة)**، رضى الله تعالى عنه، عبد الرحمن بن صخر، **(عنه)** ﷺ أنه قال: **(لقد رأيتنى)**، جواب قسم مقدر للتأكيد بالمثناة الفوقية المضمومة، ورأى علمية أو بصرية، **(فى الحجر)**، تقدم ضبطه وما يتعلق به، **(وقريش تسألنى عن مسراى)**، جملة حالية، والمسرى مصدر ميمى، أو اسم مكان، أى سأله كفار قريش عن علاماته بعدما كذبوه، تحقيقًا لما زعموا، **(فسألتنى)** قريش، وتأنيثه باعتبار القبيلة، **(عن أشياء)** من بيت المقدس وأماراته، **(لم أثبتها)**، أى لم أكن أثبت صورتها فى ذهنى وفكرى؛ لانشغاله بما هوأهم منها من معاينة ما وقع له ثمة من صلاته مع الأنبياء، وتهيئته للعروج، فسقط ما قيل من أن هذا يدل على أنه كان منامًا؛ لأن النائم أقل ضبطًا لما يراه فى منامه من المستيقظ، ورؤياه ﷺ حق، وإن نامت عيناه لا ينام قلبه.

(فكربت كربًا ما كربت مثله قط)، بضم الكافين من الماضى المجهول، والكرب الغم والحزن الشديد مع القلق والاضطراب. قال الراغب: أصله من كرب الأرض، وهو قلبها بالحفر والحرث، والغم مثير النفس كإثارة ذلك، وفى المثل: الكراب على البقر، وليس ذلك من قولهم: الكلاب على البقر فى شىء، **(فرفعه الله لى أنظر إليه)**، أى رفع الله له ﷺ بيت المقدس حتى ينظر إليه، ويثبت ما فيه، ويخبرهم به على حقيقته، فجملة: أنظر إليه، حالية أو مستأنفة.

(ونحوه عن جابر، رضى الله عنه، وقد روى عن عمر) بن الخطاب، رضى الله عنه، **(فى حديث الإسراء عنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أنه قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: ثم رجعت)** من مسراى **(إلى خديجة)** أم المؤمنين، رضى الله عنها، **(وما تحولت)**، أى والحال أن خديجة، رضى الله عنها، ما تحولت وتحركت، **(عن جانبها)** التى كانت عليه حين فارقها النبى ﷺ، وهذا يقتضى أنه كان ببيت خديجة، وقد تقدم أنه كان فى بيت أم هانىء رضى الله تعالى عنها، وفى رواية: أنه كان فى الحجر، وفى أخرى: فى الحطيم، وهو الحجر الذى يلى الميزان الذى هو قبلة أهل المغرب، وقيل: الحطيم ما بين المقام إلى الباب، وروى عن مالك وابن جريج: هو ما بين الركن والمقام عند زمزم، قيل: والصحيح أنه ما بين الركن الأسود إلى الباب.

* * *

(فصل فى إبطال حجج من قال: إنها نوم)

لا يقظة، وأن الإسراء لم يتكرر مرارًا أربعة، كما ارتضاه أبو شامة، رحمه الله، وتأنيث ضمير إنها؛ لأن الرؤيا مؤنث سماعى، لا باعتبار أنها رؤيا منام كما قيل.

احتجوا بقوله تعالى: (﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، **فسماها رؤيا**)، وهذا مبنى على أن رأى مشترك، فيكون بمعنى أبصر يقظة ومصدرها رؤية، ومنامًا ومصدرها رؤيا، ورأى بمعنى علم وحكم ومصدر الأخير الرأى، وهذا هو المشهور، وقد رده السهيلى فى الروض الأنف، وقال: الرؤيا مشتركة أيضًا بين البصرية والحلمية، وأورد له شواهد من كلام العرب، وقد مر جميع ذلك، وقيل: الرؤيا إذا كانت بصرية تختص بما يرى ليلاً.

(**قلنا:**) جوابًا عما احتجوا به (**قوله تعالى:** ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] **يرده؛ لأنه لا يقال فى النوم: أسرى**)، إذ الإسراء كما مر هو السير ليلاً، وهذا إنما يكون يقظة، لاسيما وقد ذكر فى الحديث ما يستلزمه لزومًا بينًا من صلاته ﷺ بالأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، واستصعاب البراق عليه، أو غير ذلك مما تقدم، واحتمال أن يكون معناه أنه رأى فى منامه أنه أسرى به بعيد جدًا، ولذا جعله إبطالاً لما قالوه؛ لأنه فى قوة الخطاء، فما قيل: إن الأولى أن يقول: يخدشه ما ذكر ليس بشىء يعول عليه.

(**وقوله:** ﴿فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾)، أى بلية ومحنة جرأتهم على تكذيبه ﷺ، ورده بعضهم، (**يؤيد أنها رؤيا عين**) باصرة يقظة، (**وإسراء بشخص**)، أى سير بجسده حقيقة يقظة لا تخيلاً نومًا كما قيل، (**إذ ليس فى الحلم**،) بضمتين أو ضم فسكون، وهو ما يراه النائم، وأصل معناه العقل، يقال: حلم فى نومه يحلم حلمًا وحلمًا، وقيل: حلم، بضم، ثم فتح ورفع، قاله الراغب، (**فتنة، ولا يكذب به أحد لأن كل أحد يرى مثل ذلك فى منامه من الكون فى ساعة واحدة فى أقطار متباينة**)، أقطار جمع قطر، وهو الجانب، والمتباين البعيد، ومن بيان لذلك أو لمثل، أى يرى فى مدة قليلة أنه وصل لأماكن بعيدة، ولا ينكره عليه أحد من العقلاء، ثم أشار إلى رد دليلهم بوجه آخر، فقال: (**على أن المفسرين قد اختلفوا فى هذه الآية**) التى استدلوا بها، وعلى بمعنى مع هنا، والعلاوة ضم أمر لآخر كقوله[1]:

---

(١) عجز بيت، وصدره:

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا

على أن قرب الدار خير من البعـد

والمراد بالآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا﴾ [الإسراء: ٦٠] الآية.

(فذهب بعضهم إلى أنها نزلت فى قضية الحديبية)، القضيـة بالضـاد المعجمـة، واحـدة القضايا على الأصح؛ لما سيأتى، وروى قصة بالصاد المهملة، والحديبية مصغرة بحاء ودال مهملتين، وياء تحتية ساكنة، وباء موحدة مكسورة، وياء مخففة، وهـاء تـأنيث، وتشـدد ياؤه أيضًا، وعليه أكثر المحدثين وبعض أهل اللغة، فهى صحيحة رواية ودراية، فلا وجـه لمنعه، وسميت بها لشجرة حدباء وقع تحتها بيعة الرضوان، ثم صار اسمًـا لبئر بـها وقريـة على مرحلة من مكة عند مسجد الشجرة، وهل هى من الحل أو مـن الحـرم؟ أو بعضـها من الحل وبعضها من الحرم؟ أقوال ذهب إلى كل منها بعض العلماء.

وكان رسول ﷺ أقام بالمدينة منصرفه عن غزوة بنى المصطلق فى شوال، وخرج فـى ذى القعدة معتمرًا ومعه من الأنصار والمهاجرين نحو ألف وخمسمائة، وساق الهدى معـه وهو محرم؛ ليعلم أنه لم يخرج لحرب، فلما بلغ قريشًا ذلك، خرج منهم جمـع صـادين لـه ﷺ عن دخول مكة، وأنه إن قاتلهم قاتلوه، وخرج مع الكفار خالد بـن الوليـد، رضـى الله عنه، إلى كراع الغميم، فلما وصل رسول الله ﷺ إلى الحديبية بركـت ناقتـه، فقـال: حبسها حابس الفيل، والله لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة فيها صلة رحم إلا أعطيتـهم إياها، ولم يكن ثمة ماء، فغرز سهمًا له فى بئر، فغار ماؤها حتى كفى الجيش، ثم جاءت السفراء بين رسول الله ﷺ والكفار وتنازعوا، حتى جـاءه سـهيل بـن عمـرو العـامرى، وقاضاه على أن ينصرف ويأتى فى العام القابل، وأن يكـون بينـهم صلـح عشـرة أعـوام يأمن بعضهم بعضًا، على أن من أتاه مسلمًا منهم رده إليهم، ومن أتاهم لم يردوه، فعظم ذلك على المسلمين، ووقع ما وقع، ولذا سمى عام القضية.

قال ابن عبد السلام فى قواعده: فإن قيل: لم التزم ﷺ الصلح وشـروطه مـع مـا فيـه من إدخال الضيم على المسلمين والدنية فى الدين؟.

قلنا: وقع ذلك دفعًا لمفاسد عظيمة، وهى قتل المؤمنين والمؤمنات الذين كانوا خاملين بمكة لا يعرفهم أهل الحديبية، وفى قتلهم معرة عظيمة على المؤمنين، فـاقتضت المصلحـة إيقاع مصلح على ما أرادوه، وهو أهون من قتل أولئك، مع أنه علم أن فى تأخير القتال

والبيـت مـن الطويـل، وهـو لـيزيد بـن الطثريـة فـى ديوانـه (ص٨٢)، ذيـل الأمـالى (ص١٠٤)، للمجنون فى ديوانه (ص٨٩)، ولعبد الله بن الدمينة فـى ديوانـه (ص٨٢)، شـرح شـواهد المغنـى (٤٢٥/١)، وبلا نسبة فـى أمـالى ابـن الحـاجب (٤٥٤/١)، شـرح الأشمونـى (٢٥٤/٢)، مغنـى اللبيب (١٤٥/١).

مصلحة عظيمة، وهى إسلام جماعة من الكفار، ولذا قال تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾، أى فى ملة الإسلام، وقال: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ [الفتح: ٢٥] الآية، وإلى هذا أشار بقوله: (**وما وقع فى نفوس الناس من ذلك**)، أى من صلح الحديبية، حتى راجعه، عليه السلام، فى ذلك عمر، رضى الله عنه، مرارًا، وقال ما قال، واشمأزت خواطرهم، وقال ابن المنير: لم يكن ذلك شكًا وريبة، ولكن من فرط الغيرة، وقوة الحمية على الحق، والغضب لله ورسوله وكان عند رسول الله ﷺ من علمه بالعاقبة الحميدة ما ليس عندهم، فلما تبين لهم ذلك عادوا للرضاء والوفاق.

(**وقيل**) فى تفسير الآية وسبب نزولها (**غير هذا**) الذى تقدم من أن هذه الرؤية لم تكن عام الحديبية، وإنما كانت قبيل بدر، وهى التى فى قوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٣] الآية، (**وأما قولهم: إنه قد سماها فى الحديث منامًا، وقوله فى حديث آخر: بين النائم واليقظان**)، كالنعسان جالسًا، (**وقوله أيضًا: وهو نائم، وقوله: ثم استيقظت**)، وأنا بالمسجد الحرام، (**فلا حجة فيه**) للقول بأنها رؤيا منام كما مر، (**إذ قد يحتمل أن أول وصول الملك إليه وهو نائم**)، بدليل قوله فى الحديث: «فهمزنى بعقبه»، السابق مع ما يضاهيه، (**أو أول حمله**) على البراق، (**والإسراء به وهو نائم**)، ولا يخفى بعده مع كونه ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه، وقيل أيضًا: إنه مخالف للظاهر، فهو مشترك الإلزام، (**وليس فى الحديث أنه كان نائمًا فى القصة كلها، إلا ما يدل عليه قوله: ثم استيقظت وأنا فى المسجد الحرام**)، فإنه يقتضى أنه ﷺ لم يستيقظ قبل وصوله إليه وعوده، وكون استيقظت بمعنى أصبحت، أو استيقظت من نوم آخر، تكلف لا حاجة فيه، وتأييده بأنه لم يستغرق الليل بإسرائه، فيكون لسرعة مسيره ومشقته نام بعده للاستراحة أبعد منه، فلذا عبر عنه بقوله: (**فلعل قوله: استيقظت، بمعنى أصبحت**)، أى دخلت فى وقت الصباح؛ لأن صيغة الترجى تقتضى ضعفه على عادة المصنفين فى التعبير بها.

(**أو استيقظت من نوم آخر**) غير ما كان قبله فى الحجر، أو فى بيت أم هانىء أو غيره، (**بعد وصوله بيته**)، أى البيت الذى كان فيه، فالإضافة لأدنى ملابسة، فلا ينافى ما قلناه، (**ويدل عليه أن مسراه لم يكن طول ليله، وإنما كان فى بعضه**)، بدليل قوله تعالى: ﴿لَيْلًا﴾ [الإسراء: ٢] فى الآية، كما ذكره المفسرون.

(**وقد يكون قوله: استيقظت وأنا فى المسجد الحرام**)، وعبر بقد؛ إشارة لضعفه أيضًا (**لما**)، بكسر اللام وتخفيف الميم احترازًا من ما المصدرية، (**كان غمره**)، أى لأجل الذى عرض له مما يدهشه، ويستغرق لبه وفكره (**من عجائب ما طالع**)، أى شاهد ورأى (**من**

ملكوت السموات والأرض)، الذى لم يطلع عليه غيره من البشر، فاستعار لتلك المشاهدة الغمرة، وهو ما يغمر من الماء ويقطر منه، ففيه استعارة تصريحية تبعية أو مكنية وتخييلية، أو هو تشبيه بليغ، كقوله تعالى: ﴿ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، على أن من تجريدية بيانية، ولما كانت المطالعة المشاهدة بالحواس الظاهرة قدمها وأتبعها بقوله:

(**وخامر باطنه**) بالخاء المعجمة وألف وميم وراء مهملة بمعنى مازجه وخالطه، لا بمعنى ستره، ومنه الخمر لسريانها فى بدن شاربها، وإن قيل: إنما سميت بها لسترها العقل، والمراد بباطنه قلبه وحواسه الباطنية، (**من مشاهدة الملأ الأعلى**)، وتعبيره بالمشاهدة يقتضى ما فسرنا به المخامرة، وإن اشتهرت بمعنى الستر كما فى قول سلمان الفارسى لأبى الدرداء، رضى الله عنهما، حين دعاه إلى الأرض المقدسة: يا أخى، إن بعدت الدار من الدار، فإن الروح من الروح قريب، وطير السماء على أرفه خمر الأرض يقع على أى خصب يستر وجه الأرض، يعنى أن وطنه أرفه وأرفق به، فلا يفارقه، والمراد بالملأ الأعلى السموات وما فيها أو الملائكة؛ لأن الملأ الجماعة الأشراف.

(**وما رأى من آيات ربه الكبرى**) العظيمة التى تدهش عظمتها من رآها، وما قيل من أنه خلاف الظاهر؛ لأنه ﷺ أثبت الرسل قلبًا، فلا تعروه لذلك دهشة ليس بشىء؛ لأنه لم ير د بها دهشة بمرتبة الذهول، وإن كان قوله: (**فلم يستفق**)، يقال: أفاق واستفاق، بمعنى تنبه واستيقظ من نومه، (**ويرجع إلى حال البشرية، إلا وهو بالمسجد الحرام**) يوهمه، إذ المراد به حالة اعترته، وأنسته عالم الدنيا، وكسته حلة ملكية، على أنه لو سلم كان مؤيدًا للمصنف غير وارد عليه، وليس المراد أنه عرض ﷺ النوم فى رجوعه كما توهم، فإنه ينافى قوله.

(**ووجه ثالث**)، وهو (**أن يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى**) ظاهر (**لفظه**)، وضاد مقتضى يجوز فيها الفتح والكسر، والمراد بلفظه قوله: ثم استيقظت وأنا بالمسجد الحرام، (**ولكنه أسرى بجسده**) وعيناه نائمتان، (**وقلبه حاضر**) وإن غض بصره كالنائم منا فهو مساو لليقظان.

(**ورؤيا الأنبياء**)، عليهم الصلاة والسلام، (**حق، تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم**)، وقد قيل عليه: إن كون عينه ﷺ نائمة مع الإسراء بجسده مع أنه خلاف المعتاد، لا فائدة فيه، وما ذكره المصنف من الحكمة الآتية من أنه لئلا تشغله المحسوسات عن الله، لا يدفع ما ذكر؛ لأن الحكم حينئذ للروح، فلا معنى لر فع الجسد وهو حاصل بدونه، وقوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: ١] يأباه، وقد استدرك عليه المصنف بقوله الآتى، ولا

يصح أن يكون هذا فى وقت صلاته إلى آخره، والجواب بأنه ليشاهده الملائكة ويفيض عليهم بركاته، لا يجدى نفعًا.

(وقد مال بعض أصحاب الإشارت)، يعنى بهم مشايخ الصوفية، والمراد بالإشارة ما يأخذونه من الحقائق من النصوص القرآنية وغيرها، وهم لا يقصدون بتفسيرهم أنه صريح النص كما ذكره العز بن عبد السلام، ومن لا يعرف ذلك يعترض عليهم بما لا وجه له، **(إلى نحو من هذا)**، أى إلى قريب مما قاله صاحب هذا الوجه، حيث **(قال: تغميض عينيه؛ لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله)**.

قال الزمخشرى فى شرح الفصيح: قولهم: جسم حساس، لحن كما لحنوا فى قولهم: محسوسات؛ لأن فعال لا يبنى من أفعل، والحق ثبوته، وثبوت حسن بمعنى أحسن كما قاله الدمامينى فى شرح التسهيل، والنووى فى شرح مسلم، فعلى هذا لا لحن فى هذه العبارة.

(ولا يصح أن يكون هذا) المذكور من أن الإسراء بجسده ﷺ وهو نائم؛ ليوفق بين الروايتين إن لم نقل بالتعدد **(فى وقت صلاته بالأنبياء)**، عليهما الصلاة والسلام؛ لأن النائم لا يصلى ولا تصح صلاته، وظاهره أنه فيما عده من أمور الإسراء صحيح بلا تردد، وإنما يأباه لفظ الحديث، ولا يخفى أن مناجاة ربه ومراجعة موسى، عليه الصلاة والسلام، لذلك، فكان ينبغى أن يقول: والأمور الواقعة فى حديث الإسراء لا يصح فى بعضها أن يكون منامًا.

فإن قيل: يجوز أن يكون رأى ذلك فى المنام. قلنا: وكذا يجوز أن يكون رأى فى منامه أنه ﷺ صلى بهم أيضًا، إلا أن يفرق بينهما.

(ولعله كان له) ﷺ **(فى هذا الإسراء حالات)**، فكان فى بعضها نائمًا غاضًا لبصره تأدبًا، أو لئلا يرى سوى ربه، وفى بعضها مستيقظًا، وفى بعضها بين النائم واليقظان، وبهذا يجمع بين الروايات، وقيل: إن الحديث الذى وقع فيه هذا ملفق من أحاديث، وهذا الوجه قيل: إنه حدس وتخمين، ولو تركه المصنف كان أحسن لما مر.

(ووجه رابع) لتأويل كونه يقظة وتأويل ما يخالفه، **(وهو أن يعبر بالنوم هاهنا)** فى هذا الرواية، **(عن هيئة النائم من الاضطجاع)** بيان للهيئة، والاضطجاع إلصاق بدنه ممتدًا بالأرض غير جالس ولا قائم، فهو استعارة أو مجاز مرسل للزومه غالبًا النوم، فكان على هذه الهيئة عند وصول الملك اليه، وفى بعض النسخ: إذ كثيرًا ما يعبر بالنوم عن الاضطجاع ونحوه؛ لما بينهما من الملابسة، وفى بعض الشروح هنا تكرار لا حاجة إليه،

ولذا قال: إنه يتعين كونه مرسلاً، وليس بلازم.

(ويقوى)، أى يقوى هذا التأويل، **(قوله فى رواية عبد بن حميد)** الإمام الحافظ المقدم ترجمته، وعبد غير مضاف هنا، وهو أبو نصر عبد الرحمن بن الكشى، ويقال: الكجى، بشين أو جيم، **(عن همام)**، بفتح الهاء وتشديد الميم الأولى، ابن يحيى العوذى، بفتح العين المهملة، وسكون الواو، وذال معجمة، وياء نسبة، منسوب للعوذ، بطن من الأزد، إمام، ثقة، أخرج له الستة، وتوفى سنة ثلاث وستين ومائة: **(بينا أنا نائم، وربما قال)**، أى النبى ﷺ: **(مضطجع)**، فتعبيره بهذا تارة، وبهذا أخرى يشهد؛ لأنهما بمعنى.

(وفى رواية هدبة)، بضم الهاء، وسكون الدال المهملة والموحدة، وتاء تأنيث، ابن خالد القيسى البصرى، الحافظ، الثقة، روى له الشيخان وغيرهما، وتوفى سنة خمس وثلاثين ومائتين، وفى بعض النسخ بدل هدبة: معاوية، **(عنه)**، أى عن همام: **(بينا أنا نائم فى الحطيم، وربما قال: فى الحجر مضطجع)**، تقدم الكلام فيه والتوفيق، **(وقوله فى الرواية الأخرى: بين النائم واليقظان)**، يؤيد كون المراد بالنائم المضطجع، **(فيكون سمى هيئته)**، أى هيئة النبى ﷺ أو هيئة النوم **(بالنوم لما كانت)** تلك الهيئة **(هيئة النوم)** حقيقة **(غالبًا)**، أى فى الغالب، وبما ذكرنا سابقًا من أن هذا فى أول وصول الملك له سقط ما قيل من أن هذا ينبو عنه السمع؛ لأن ركوبه ﷺ البراق، وربطه بالحلقة، وصلاته بالأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، يأباه، وأما قوله: «فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام»، فمأول أيضًا بما مر، فلا ينافى هذا، فتأمله.

(وذهب بعضهم إلى أن هذه الزيادات من النوم، وذكر شق البطن، ودنو الرب)، أى قربه من النبى ﷺ **(الواقعة فى)** رواية، **(هذا الحديث)**، أى حديث الإسراء، **(إنما هى من رواية شريك، عن أنس، رضى الله تعالى عنه، فهى منكرة من روايته)**، لا مطلقًا، والإنكار المراد به معناه اللغوى أو مصطلح المحدثين، وهو روايته المتغير بسوء حفظه والمخالف للثقات، وشريك طعن فيه ابن حبان وغيره، وقالوا: ليس بثبت، **(إذ شق البطن)**، أى بطنه وصدره ﷺ **(فى الأحاديث الصحيحة، إنما كان فى صغره، عليه الصلاة والسلام)**، وهو عند مرضعته حليمة كما مر، **(وقبل النبوة)**، أى قبل ظهورها للناس، هذا بيان لوجه إنكار هذه الرواية.

وقد تقدم عن الإمام السهيلى وغيره أن الشق وقع مرتين، مرة لتثبيته للنبوة، ومرة أخرى بعد مبعثه؛ ليقوى على المعراج ومشاهدة عجائب الملكوت، فلا يرد ما ذكر على هذه الرواية تقتضى أنها منكرة، وقيل: إنه وقع أربع مرات، عند حليمة، وبحراء، وليلة الإسراء، و مرة أخرى فى النوم، إلا أن ابن حجر قال: إن هذه لم تثبت كما تقدم،

(ولأنه)، أى شريك، **(قال فى)** هذا **(الحديث)** الذى رواه عن أنس، رضى الله عنه: **(قبل أن يبعث، والإسراء بالإجماع)** من المحدثين **(كان بعد المبعث)**، مصدر ميمى بمعنى البعث، وقد تقدم الكلام فيه.

(فهذا كله يوهن) بتشديد الهاء، أى يضعف، أو تخفيفها؛ لأنه يقال: وهنه وأوهنه فوهن، أى ضعف، **(ما فى رواية أنس)**، هذه التى رواها شريك عنه، **(مع أن أنسًا قد بين من غير طريق)**، أى من طرق متعددة، لا من طريق واحدة، **(أنه إنما رواه عن غيره)** من الصحابة، كمالك بن صعصعة، وأبى ذر، عن النبى ﷺ، فهو مرسل الصحابى، وفيه أن مرسل الصحابى إذا روى من طريق مقبول، فهذا لا يضعفه، **(وأنه لم يسمعه من النبى ﷺ)** بيان لأنه سمعه من غيره.

(فقال مرة: عن مالك بن صعصعة، وفى كتاب مسلم: لعله عن مالك بن صعصعة، على الشك) من مسلم، فلعل مستعارة من الترجى بجامع عدم الوقوع فيهما، وقال الحاكم: مدار حديث المعراج على أنس، رضى الله عنه، وقد سمع بعضه من مالك بن صعصعة، وبعضه من أبى ذر، وبعضه من أبى هريرة، **(وقال)** أنس **(مرة: كان أبو ذر يحدث)**، أى ينقل حديث الإسراء السابق عنه ﷺ.

(وأما قول عائشة)، رضى الله تعالى عنها: **(ما فقد جسده)** ﷺ، وهذا الحديث رواه عنها ابنا إسحاق وجرير، وتقدم أن فيه رواية: ما فقدت، بالإسناد لضميرها، والإسناد للفاعل، وهو فى هذه الرواية مبنى للمجهول، **(فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة)** له ﷺ؛ لأنه كان بمكة قبل تزوجها، أو قبل ولادتها، كما أشار إليه بقوله: **(لأنها لم تكن حينئذ)**، أى فى وقت الإسراء وزمانه **(زوجة)** له ﷺ.

(ولا فى سن من يضبط)، بالتحتية والفوقية، أى لم يكن سنها وعمرها حينئذ سن ضبط وإتقان؛ لعدم تمييزها لصغرها، فهو مستعار من الضبط، وهو الإمساك والحفظ للعلم والتمييز، فالرواية عنها ليست مسلمة، أو هى حدثت به عن غيرها، فعلى رواية: ما فقد، الأمر ظاهر، وعلى رواية: ما فقدت، فيه تقدير، أى قال فلان أو فلانة: ما فقدت، إلى آخره، وهو فى غاية البعد كما قيل.

(ولعلها لم تكن ولدت)، بالبناء للمجهول **(بعد)**، مبنى على الضم، أى بعد هذه القصة ووقوعها، وهى ضد قبل، ويستعملان فى التقدم والتأخر المتصل والمنفصل، والمراد زمان وقوعه للمجاورة والتضاد، وهو استعمال شائع، وحينئذ لا ينبغى أن ينسب لها هذا القول، إذ لم يثبت كما سيأتى، وكونها حدثت به عن غيرها يأباه سياقه، **(على**

الخلاف فى) زمن **(الإسراء متى كان، فإن الإسراء كان فى أول الإسلام)** بمكة قبل الهجرة، **(عن قول)** محمد بن مسلم بن شهاب **(الزهرى، ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف، وكانت عائشة فى)** وقت **(الهجرة بنت ثمانية أعوام)**، فعلى هذا لم تكن ولدت فى زمن الإسراء، **(وقد قيل: كان الإسراء لخمس قبل الهجرة)**، هذه اللام توقيتية، أى وقت هو سنة خمس كما فصله النحاة فى باب العدد وفصل التاريخ.

(وقيل: قبل الهجرة بعام، والأشبه)، أى القول الأصح الأولى والأحسن، **(أنه لخمس)**؛ لأن مثله يكون كثير الشبه بخلاف النادر الغريب الذى لا نظير له، **(والحجة لذلك تطول، وليست من غرضنا)**، أى ليس مقصودنا فى هذا الكتاب بسط الأدلة والحجج، بل الاكتفاء بما صح من أوصافه ﷺ، أو المراد أن مقصوده الاختصار وعدم التطويل، وتفصيله كما فى المقتفى لابن المنير، قال: الأقوال فيه كثيرة، أصحها عندى قول إبراهيم الحربى أنه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة، وقيل: بعد المبعث بخمس سنين، وقيل: بعده بخمسة عشر شهرًا.

وقال ابن إسحاق: أسرى به ﷺ وقد فشا الإسلام، وفى مسلم، عن شريك: إنه قبل أن يوحى إليه، ولا يصح هذا بوجه، إلا على القول بأنه منام، كما وقع لعائشة أنه كان بالمدينة، ورجح القاضى عياض القول بأنه قبل الهجرة بخمس سنين، وقول ابن إسحاق: إنه قبل الهجرة بسنة، وضعف هذا بأن خديجة، رضى الله تعالى عنها، صلت معه ﷺ، وهى ماتت قبل الهجرة بمدة أقل ما قيل فيها: ثلاث سنين، والصلاة لم تفرض إلا فى الإسراء، وهو غير وارد؛ لأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان يصلى قبل الإسراء صلاة غير الخمس على خلاف فيها، والحجة لنا فى ترجيحه أن كل قول سواه خرج مخرج التقدير لا التحديد؛ لأنه لم يعين فيه الشهر فضلاً عن اليوم.

وقول الحربى: عين فيه ليلته بعينها من شهر بليلة وسنة بعينها فقال: ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة، وإذا تعارض خبران أحدهما أحاط راويه بتفصيل فى القصة زائد، فالمفصل أحضر ذهنًا وأوعى قلبًا ممن أجمل، وعليه الفقهاء فى كتاب الشهادة إذا أرخت إحدى البينتين، واليوم الذى أسفرت عنه ليلة الإسراء يوم الاثنين كان أوله الخميس قطعًا، فأول ربيع إما السبت أو الأحد أو الاثنين؛ لأن بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين، إما ثلاثة أيام أو أربعة أو خمسة؛ ولذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم من الوقفة التى قبلها، أو رابعة أو سادسة، وأعدل الاحتمالات الخامس، والجمعة يعقبها الثلاثا، والاثنين تعقبها الجمعة، وقد يكون الرابع، وقد يكون السادس، وذلك بحسب التمام، والنقص إلى آخر ما ذكره، وقد قدمناه.

(فإذا لم تشاهد ذلك) المذكور من زمن الإسراء **(عائشة)**، رضى الله تعالى عنها، **(دل)** عدم مشاهدتها **(على أنها حدثت بذلك عن غيرها)** من الصحابة، فحديثها من مرسلات الصحابة، فهو صحيح أيضًا، كما عليه المحدثون، إلا أنه لم يوفق بينه وبين غيره، **(فلم يرجح خبرها على خبر غيرها)**، الظاهر أن يقول: فيرجح خبر غيرها على خبرها؛ لروايتها عن مجهول، بل لعدم ثبوته عنها، كما سيأتى.

(وغيرها يقول خلافه مما وقع نصًا)، أى صريحًا؛ فإن النص له معان منها هذا، **(فى حديث أم هانىء)**، وفى نسخة: من حديث أم هانىء، بيان لما، **(وغيره)**، كحديث أبى ذر، ومالك بن صعصعة، وأبى هريرة، وقد قيل عليه: إن حديث أم هانئ المذكور فى الفصل الذى قبل هذا غير صريح فيما ذكر، ويدفع بأنه ظاهر فيه، والعدول عن الظاهر لا وجه له.

(وأيضًا) منصوب على المصدرية مصدر آض، بمعنى رجع، **(فليس حديث عائشة)**، أى قولها: ما فقدت جسده، **(بالثابت)** عنها عند المحدثين؛ لما فى متنه من العلة القادحة، وفى سنده محمد بن إسحاق، وقد ضعفه مالك وغيره، **(والأحاديث الأُخر)** الواردة فى الإسراء عن غيرها **(أثبت)**، أكثر ثبوتًا وأصح من حديثها، **(لسنا نعنى)**، أى لا أريد أنا وغيرى من المحدثين بقولنا: إنها أثبت، **(حديث أم هانىء)**، وقولها: ما أسرى به ﷺ إلا وهو فى بيتى، **(وما)**، أى وحديث عن غيرها، كحديث عمر، رضى الله تعالى عنه، الذى **(ذكرت فيه خديجة)**، رضى الله تعالى عنها؛ لأنهما لم يردا فى الصحيح، بل أحاديث أُخر تعارضها غير هذين.

(وأيضًا فقد روى فى حديث عائشة: ما فقدت)، بإسناد الفعل المعلوم لضميرها، كما روى: ما فقد، بالبناء للمجهول المسند لغيرها كما مر، **(ولم يدخل بها النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلا بالمدينة)**، والإسراء كان بمكة، وهى صغيرة ليست عنده أو لم تولد، والجملة حالية، وهذا يدل على عدم صحته وتأويله بما علمت من هذا، أو بكونه حكاية لكلام غيرها فى غاية البعد.

(وكل هذا)، أى ذلك المذكور سابقًا ولاحقًا مما سبق وما تأخر، **(يوهنه)**، بالتشديد والتخفيف، أى يضعفه، **(بل الذى يدل عليه)**، أى الذى يدل على ما ذكر من عدم صحته عنها، **(صحيح قولها)**، أى ما صح عنها، رضى الله تعالى عنها، من رواية أخرى **(أنه)**، أى الإسراء **(بجسده الشريف؛ لإنكارها رؤياه لربه)** ليلة الإسراء **(رؤيا عين)**، فإن هذا يدل على أنه أسرى بجسده ﷺ، إلا أنه لم ير ربه عيانًا، **(ولو كانت)** الرؤيا فى الإسراء **(عندها منامًا، لم تنكره)**؛ لأن رؤيا المنام جائزة، وإنما الكلام فى رؤيا العيان

والخلاف فيها، فنزاعها فى ذلك الآتى يدل على ما ذكر، وهذا يدل على أن لها قولاً آخر مرويًا عنها مخالف لما اشتهر، وهذا معنى قوله فيما سبق: دليل قولها فتذكره، وليس وصف قولها بأنه صحيح مناقضًا لما مر من الطعن فى حديثها؛ لأن هذا رواية أخرى لها، وما قيل من أنه مؤيد لكونه منامًا عندها ناشئ من عدم التدبر.

(فإن قيل) فى رد كونه يقظه: **(قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾** [النجم: ١١]، **فجعل ما رآه للقلب)**، أى أثبت الرؤية للقلب دون البصر، وعلقها به، وفيه إشارة إلى أن الفؤاد بمعنى القلب، وله معنى آخر، وما مصدرية، والجار والمجرور متعلق بجعل أو بمقدر، أى مسندًا للقلب، **(وهذا)** الجعل أو المذكور **(يدل على أنه رؤيا نوم ووحى)**، بالجر عطفًا على نوم، **(لا مشاهدة عين وحس)** بصرى، والعطف تفسيرى.

(قلنا) فى الجواب عنه: **(يقابله)**، أى يعارضه فيسقطه عن مرتبة الاحتجاج، وستأتى الإشارة إلى أنه لا يعارضه أيضًا، **﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾** [النجم: ١٧]، زاغ بمعنى مال، وطغى تجاوز عن الرؤية المتحققة، بل أثبتها وتيقنها، **(فأضاف الأمر)**، أى أمر الرؤية **(للبصر، و)** يقابله أيضًا ما **(قد قال أهل التفسير)** فى تأويله، أى معناه حتى لا يعارضه وينافيه **(فى)** تفسير **(قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾، معناه لم يوهم القلب العين)**، فهو مقول القول، والقلب مرفوع فاعل يوهم، والعين منصوب مفعوله، وقوله: **(غير الحقيقة)**، مفعول ثان له؛ لأنه ينصب مفعولين، وغير بغين معجمة ومثناة تحتية وراء مهملة، ونقل عن بعض الشروح أنه يجوز فى كل من العين والقلب الرفع والنصب، والمرفوع فاعل تقدم أو تأخر، وتوقف فى فهمه التلمسانى، وليس بمحل توقف؛ لأن المراد أن البصر والبصيرة متفقان لم يخالف أحدهما الآخر لوقوفهما على الحقيقة؛ لأن العين قد ترى أمرًا ثم يتبين خلافه، وأنه غير متحقق، وقد يتصور القلب شيئًا فيشاهد خلافه، والحاصل أن ما رآه ليس تخيلاً كاذبًا، بل أمرًا محققًا تواطأ عليه العين والقلب، وما قيل من أن الأمور القدسية يدركها القلب أولاً، ثم يوردها على البصر، ليس بمسلم.

(بل صدق رؤيتها، وقيل:) فى التوفيق بينهما ودفع التنافى **(ما أنكر قلبه)** ﷺ **(ما رأته عينه)**، وهذا قريب مما قبله، ولتعارضهما ظاهرًا لم يدرجه حجج فى إبطال كونه منامًا ويعطفه عليه، وأورده سؤالاً وجوابًا، ولما كان محصل الجواب أنه يدل على ثبوت الرؤيتين سقط ما قيل: إنه مشترك الإلزام، والاعتراض بأنه لا فرق بين الجوابين؛ لأن المراد أنه لم يطرأ عليه وسوسة نعس ونزغة شيطان تشككه فيما رآه وتوهمه خلاف ما شاهدت عيناه.

* * *

(فصل وأما رؤيته ﷺ لربه عز وجل)

بعينه يقظة فى إسرائه بجسده، والرؤية تختص بالبصرية، فلذا عبر بها هنا، وإن أطلقت على غيرها تكون خلاف المشهور عكس الرؤيا كما تقدم، **(فاختلف السلف فيها، فأنكرته عائشة رضى الله عنها)** ذكر ضمير الرؤية؛ لأن تأنيث المصدر غير معتبر، أو باعتبار الوقوع كما قيل، وفى بعض النسخ: فأنكرتها، وهى ظاهرة، وإنكارها لها وقع فى مسلم وغيره، كما أشار إليه المصنف بقوله:

(حدثنا أبو الحسين سراج)، بكسر السين، وفتح الراء المهملة المخففة، وآخره جيم، **(ابن عبد الملك)**، المراد بالملك الله فى الأعلام؛ لكراهة التسمية بعبد فلان، حتى بعبد النبى، وهو إمام حافظ شيخ المصنف، رحمه الله تعالى، وجده وزير لغوى جليل القدر، **(الحافظ بقراءتى عليه)** تقدم الكلام فيه، **(قال: حدثنى أبى وأبو عبد الله بن عتاب الفقيه)**، تقدمت ترجمته، **(قالا: حدثنا القاضى يونس بن مغيث)**، بضم الميم، وكسر الغين، والمثناة التحتية الساكنة، وبالمثلثة يونس مثلث النون كما مر، وهو يونس بن عبد الله بن مغيث ابن عبد الله الأنصارى المعروف بابن الصفار، ولد فى رجب سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وتوفى بقرطبة سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة، لثمان من جمادى الأول.

(قال: حدثنا أبو الفضل الصقلى)، بفتح الصاد المهملة، والقاف، وتشديد اللام المكسورة، نسبة لصقلية بلد بالأندلس، **(قال: حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت، عن أبيه وجده)** ثابت بن حزم العوفى السرقسطى، وأبوه أبو محمد قاسم بن ثابت مؤلف كتاب الدلائل فى غريب الحديث، يروى عن أبيه وجده، وَعَمَّرَ جده حتى قرأ عليه، وكان ثابت وقاسم يشتركان فى التأليف والشيوخ والرحلة، وولد أبوه سنة خمس وخمسين ومائتين، ومات بسرقسطة سنة اثنين وثلاثمائة، **(قالا: حدثنا عبد الله بن على، قال: حدثنا محمود بن آدم)**، هو المروزى، توفى سنة ثمان وخمسين ومائتين.

(قال: حدثنا وكيع) بن الجراح بن مليح بن عدى، الحافظ، الثقة، ولد سنة تسع وعشرين ومائة، وتوفى سنة ست أو سبع وسبعين ومائة، **(عن ابن أبى خالد)**، هو إسماعيل بن سعيد البجلى الكوفى، توفى سنة خمس أو ست وأربعين ومائة، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، **(عن عامر، عن مسروق، أنه قال لعائشة)**، رضى الله تعالى عنها: **(يا أم المؤمنين، هل رأى محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، ربه؟)** عز وجل ليلة الإسراء بقرينة السؤال؛ لأنها لا تنكر رؤية الآخرة ولا رؤية المنام.

(فقالت) مجيبة له: **(لقد قف شعرى)**، القفيف فى الشعر معناه قيامه وانتصابه، وإنما يكون هذا غالبًا عند الفزع والخوف القوى، **(مما قلت)**، أى خافت من كلامه أن يهلك الله من قاله واستمعه؛ لأنه أمر منكر لا يرضاه الله، و لم يثبت عندها، وقال التلمسانى: قف بمعنى اقشعر، وأصله أن الجلد ينقبض عند البرد والجزع، فيقوم الشعر لذلك، والمراد إنكار ما قاله واستعظامه، وما فى قولها: مما قلت، مصدرية أو موصولة.

(ثلاث من حدثك بهن فقد كذب: من حدثك أن محمدًا، صلى الله تعالى عليه وسلم، رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت) مستدلة لما قالته: (﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] **الآية)**، بناء على أن الإدراك شامل للرؤية، وأنه حكم كلى، فإن قلنا: الإدراك بمعنى الإحاطة، أى لا تحيط به الأبصار، ولا تعرف كنهه، ورفع الإيجاب الكلى سلب جزئى لم يكن فى الآية دليل على ما ذكر، ويأتى بيانه عن قريب، وقد استدل بهذه الآية المعتزلة على نفى الرؤية مطلقًا، ورده أهل السنة كما فصل فى كتب الأصول، وروى فى بعض النسخ: «من حدث» بلا كاف عن العزفى.

والثلاث؛ الأولى هى هذه، والثانية قولها: من زعم أنه ﷺ كتم شيئًا من الوحى، ثم قرأت: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] إلى آخره، والثالثة: من زعم أنه ﷺ يخبر بما يكون فى غد، فقد أعظم الفرية، ثم قرأت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية.

واعلم أن هذا الحديث فى البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وهو فى البخارى عن يحيى، عن وكيع بسند المصنف، رحمه الله تعالى، فهو بدل أو موافقة كما فصله البرهان، **(وذكر)** مسروق **(الحديث)** بتمامه كما سمعته آنفًا من ذكر الثلاث، قال مسروق: وكنت متكئًا فجلست، وقلت: يا أم المؤمنين، أنظرينى ولا تعجلى، ألم يقل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]؟، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله، عليه الصلاة والسلام، فقال: «إنما هو جبريل لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين»، كما رواه مسلم.

(وقال جماعة) من المحدثين والعلماء لا المتكلمين؛ لأن خلافهم ليس فى رؤية الإسراء **(بقول عائشة)**، رضى الله تعالى عنها، **(وهو المشهور عن ابن مسعود وغيره، ومثله)**، أى مثل قول ابن مسعود وعائشة، **(روى عن أبى هريرة)**، رضى الله تعالى عنه، فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [النجم: ١٣]، **(أنه)**، بفتح الهمزة، **(قال)**، أى أبو هريرة: **(إنما رأى جبريل)** لا ربه عز وجل كما قيل، فأتى بصيغة إنما للرد على من فسر

الآية بما ذكر.

(واختلف) بالبناء للمفعول فى النقل **(عنه)**، أى عن أبى هريرة، فروى عنه أنه قال: رآه بعينه كغيره، وفى رواية أخرى أنكره.

(وقال بإنكار هذا) القول المجوز لرؤيته ووقوعه، **(وامتناع رؤيته تعالى فى الدنيا)** وجوازه فى الآخرة **(جماعة من المحدثين)** أنكروا صحة نقله عنه ﷺ، **(والفقهاء)** ذكروه فى مباحث الردة والكفر، وأن أحدًا لو قال: رأيت الله بعينى فى الدنيا هل يكفر أم لا؟، **(والمتكلمين)** من علماء أصول الدين، والخلاف بين أهل السنة والمعتزلة فى هذه المسألة وأدلتها مشهور فى كتبهم حتى أنه أفرد بالتأليف.

(وعن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، أنه رآه بعينه، وروى عطاء عنه)، أى عن ابن عباس **(أنه رآه بقلبه)**، وعطاء هو ابن أبى رباح الفقيه المكى، **(وعن أبى العالية)** وهو رفيع بن مهران الرياحى، وقيل: هو زياد بن فيروز، وقيل: اسمه فيروز **(عنه)**، أى عن ابن عباس أنه **(رآه بفؤاده مرتين، وذكر ابن إسحاق)** صاحب المغازى عن عبد الله ابن أبى سلمة **(أن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أرسل إلى ابن عباس يسأله: هل رأى محمد ربه؟ فقال: نعم)** مراده هل رآه يقظة بعينه؟ فقوله: **(والأشهر عنه)**، أى عن ابن عباس **(أنه رأى ربه بعينه)**، وفى نسخة: بعينيه، مثنى، وهما بمعنى تفسير للرواية التى قبله، وإن كانت ظاهرة أنه غيره لتخالفها فى العبارة.

(وروى ذلك عنه من طرق)، أى بأسانيد مختلفة لفظا لا معنى لا يقوى بعضها بعضا، وهو لا ينافى ما روى عنه أنه رآه بفؤاده، فهو كقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]، ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧] كما مر، **(وقال)**، أى ابن عباس فيما روى عنه الحاكم والنسائى والطبرانى، وهو فى معنى ما قبله فى أن الرؤية فيهما بصرية **(إن الله اختص موسى بالكلام)** بغير واسطة، لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، **(وإبراهيم بالخلة)** بضم الخاء المعجمة؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، **(ومحمدًا، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالرؤية)** البصرية لا القلبية؛ لعدم اختصاصها به ﷺ.

قيل عليه: إن الخلة والكلام ثبتا لنبينا ﷺ أيضًا، فتفريق هذه الخصائص غير ظاهر، وأجيب عنه بأن مراده أن موسى الكليم اشتهر بذلك، وإن كان نبينا ﷺ كلمه الله فى الإسراء فى مقام أعلى، والخلة ثبتت له مع زيادة المحبة، فمحمد ﷺ خليل وحبيب، كما اعترف به الخليل عليه الصلاة والسلام فى حديث الشفاعة حيث قال: إنما كنت خليلا

من وراء وراء، وهذا الجواب لا يجدى نفعا، فالأولى أن المراد بالكلام مناجاته تعالى بغير واسطة فى الأرض، وبالخلة معاملة مخصوصة له مع الله تعالى فى هذه الدار أيضًا، وسيأتى بيانه.

(وحجته)، أى دليله على الرؤية **(قوله)** تعالى: ﴿**مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ**﴾ [النجم: ١١]، أى ما اعتقد قلبه خلاف ما رآه بصره فى مشاهدة ربه، فسماه كذبا تجوزا لاشتراكهما فى أن كلا منها خلاف الواقع، أى ما رآه ﷺ ببصره ليلة الإسراء، لثبوت ذلك بالأحاديث الصحيحة، وأما إنكار عائشة رضى الله تعالى عنها لذلك، فقد تقدم ما فيه، واستدلالها بقوله تعالى: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ**﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أجابوا عنه بوجوه، منها أن الإدراك بالبصر ليس رؤية مطلقة، بل رؤية على وجه الإحاطة بجوانب المرئى؛ لأن حقيقة الإدراك اللحوق والوصول فى المكان، كقول أصحاب موسى **(إنا لمدركون)**، أو الزمان كما يقال: أدرك فلان النبى ﷺ، أو الصفة كما يقال: أدرك الغلام إذا بلغ، وأدركت الثمرة إذا نضجت، ثم نقل لإبصار الشىء المتناهى المحدود بالجهات؛ لتوهم معنى اللحوق فيه، كما أن البصر قطع المسافة التى بينه وبينه حتى بلغه، ووصل إليه.

فإبصار ما ليس فى جهة لا يتحقق فيه معنى البلوغ، فلا يسمى إدراكًا، فلا يلزم من نفيه وهو رؤية مخصوصة نفى المطلقة، وهذا تحقيق ما فى التفسير وكتب الكلام، ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ**﴾ [النجم: ١٢]، أى أتجادلونه فى رؤيته لما رآه من مريت الضرع إذا مسحته للحلب، فاستعير للمجادلة كأن كلا من المتجادلين يمترى ما عند صاحبه لطلبه له، ﴿**وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ**﴾ [النجم: ١٣]، أى مرة أخرى. قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: كانت له فى تلك الليلة مرات من العروج، ولكل مرة نزلة لسماء أخرى لما راجع فى حط الصلوات، وهذا مراده هنا.

(قال الماوردى) الإمام الجليل أبو الحسن على بن محمد الشافعى صاحب التآليف الجليلة، كالتفسير الكبير والحاوى وغيرهما، وتقدمت ترجمتها، وهذا نقله عنه ابن سيد الناس فى سيرته **(قيل: إن الله قسم)**، أى جعل **(كلامه ورؤيته)** مقسومين **(بين موسى ومحمد، صلى الله تعالى عليهما وسلم، فرآه محمد)** ﷺ **(مرتين)** حيث كان قاب قوسين أو أدنى، وعند سدرة المنتهى، **(وكلمه موسى)** عليه الصلاة والسلام **(مرتين)** مرة وقت إرساله لفرعون، ومرة بعد هلاكه ورجوعه للطور، والحق أنه كلمه فى الدنيا مرارا عديدة فى مناجاته، ولذا خص عليه الصلاة والسلام بالكليم؛ لأنه لم يكلمه فى الدنيا بغير واسطة غيره، ولا يلزم من هذا شرفه عن نبينا ﷺ لتكليمه إياه مع قربه منه فى

حظائر قدسه، لكن لكون تكليم موسى مما يعرفه الناس خص بكونه كليما فاندفع ما مر.

(**وحكى أبو الفتح الرازى**) ليس هو الفخر الرازى كما توهم، (**وأبو الليث السمرقندى**) الحنفى، وقد قدمنا ترجمته، والمحكى ما مر عن الماوردى كما أشار إليه بقوله: (**الحكاية**) الذى ذكرها الماوردى (**عن كعب**)، وليست ضعيفة وصيغة وقيل فى كلامهم ليست للتمريض، فإنها يقصد بها مجرد النقل.

فإن قلت: كيف قال: قسم الكلام والرؤية، والقسمة إنما تكون فى أمر واحد يوزع بين اثنين فأكثر؛ ولذا قيل: إن هذه العبارة مما لا ينبغى.

قلت: هذا وهم من قائله، فإن المراد قسم تقريبهما وتعظيمهما قسمين، وجعل قسما لهذا وقسما لهذا كقوله:

قسم الإله الأمر بين عباده فالصب ينشد والخلى يسبح

(**وروى عبد الله بن الحارث**) كما ذكره الترمذى، وهوعبد الله بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب البصرى سكنا، الوالى بها، مات بعمان بعد انقضاء فتنة ابن الأشعث لما خرج إليها هاربًا من الحجاج، وولد فى زمنه ﷺ ومات سنة أربع وثمانين، ومن الرواة أيضًا عبد الله بن الحارث أبو الوليد البصرى حدث عن ابن عباس رضى الله عنهما؛ وهو زوج أخت محمد بن سيرين، وجزم الشمنى، رحمه الله، بأنه هو المذكور هنا، وهو الراجح؛ لأن عبد الله الأول وإن وافقه فى الاسم والنسبة لكن الحارث جده، وهذا راوى ابن عباس كما مر.

(**قال: اجتمع ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكعب**) الأحبار (**فقال ابن عباس: أما نحن بنو هاشم فنقول: إن محمدًا رأى ربه مرتين**) خص بنى هاشم؛ لأنهم أقرب إليه وأعرف بحاله لاسيما قبل الهجرة، وكان اجتماعهما بعرفة كما ذكره الترمذى، وبنو هاشم مرفوع بدل من نحن كما فى النسخ، ولو نصب على الاختصاص جاز، وليس المراد ببنى هاشم ما سوى العباس، وظاهره أنه رأى واجتهاد منهم، وهذا لا ينافى ما مر عن ابن عباس رضى الله عنهما؛ لأن عنه روايتين، فلا وجه للاعتراض على المصنف.

(**فكبر كعب**) الأحبار لسروره بمقالته الموافقة لما عنده (**حتى جاوبته الجبال**)، أى رفع صوته بالتكبير حتى سمع صداه من الجبال، وجعله جوابا تجوز، ويجوز أن يكون تكبيره تعجبا مما قاله واستعظامًا له كقوله: (**وقال**)، أى كعب الأحبار: (**إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى، فكلمه ورآه محمد بقلبه**) فيكون منكرًا لرؤيته بعين رأسه، أو

نقول: هو موافق؛ لأن الرؤية القلبية لا تنافى البصرية، وعليه الشراح، وانفرد موسى عليه الصلاة والسلام بكونه كليما لما مر من أن المراد كلامه مرارا فى الأرض، فلا ينافى كون نبينا ﷺ كلمه أيضًا بغير واسطة كما مر.

(وروى شريك) تقدم الكلام عليه وعلى روايته، **(عن أبى ذر فى تفسير الآية)**، المذكورة، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١١] الآية، وفيه نظر، **(قال: رأى محمد)**، وفى نسخة بدله: النبى **(صلى الله عليه وسلم، ربه)** هذا كلام مجمل متفق عليه، وقيل: المراد أنه رآه بقلبه بشهادة أول الآية، وفيه نظر.

(وحكى السمرقندى) الحنفى المتقدم **(عن محمد بن كعب القرظى)** بضم القاف وفتح الراء المهملة وكسر الظاء المعجمة نسبة لبنى قريظة، وهو تابعى واسمه محمد كما تقدم، **(وربيع بن أنس)** التابعى الذى تقدمت ترجمته، فالحديث مرسل كما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة **(أن النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، سُئل: هل رأيت ربك راء؟ فقال: رأيته بفؤادى ولم أره بعينى)** هذا يحتمل أن يكون فى المرة الأولى، فإنه روى عن ابن عباس وغيره أنه رآه مرتين، فلا ينافى ما مر.

وما قيل من أن المراد نفى مجرد الرؤية، أو نفى رؤيته كسائر الأشياء المرئية تعسف لاينبغى ذكره هنا.

(وروى مالك بن يخامر) بضم المثناة التحتية وخاء معجمة يليها ألف وميم مكسورة ثم راء مهملة علم منقول ممنوع من الصرف، وهو سكسكى حمصى يقال: إن له صحبة، والأصح أنه تابعى روى عن معاذ بن جبل كما ذكره المصنف، وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما، ومات سنة سبعين أو اثنين وسبعين، وروى عنه جماعة.

(عن معاذ، عن النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: رأيت ربى) فى حديث رواه أحمد بن حنبل[(١)] وغيره، وهو حديث صحيح أوله قال معاذ رضى الله تعالى عنه: صلى رسول الله ﷺ الغداة، ثم أقبل علينا فقال: إنى سأحدثكم أنى قمت من الليل فصليت ما قدر لى ونعست، وفى رواية فوضعت جنبى فإذا أنا بربى فى أحسن صورة، فقال: يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: أنت أعلم ربى. فوضع كفه، وفى رواية يده بين كتفى، فوجدت بردها بين ثديى، فعلمت ما فى السموات والأرض، ثم تلا ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥] إلى آخره، ثم قال: فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: فى الكفارات قال: وما هن؟ قلت: المشى على الأقدام إلى

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٥/٢٤٣).

الجماعات، والجلوس فى المساجد خلف الصلوات، وإبلاغ الوضوء أماكنه فى المكاره من يفعل ذلك يعش بخير، ويمت بخير، ويكون من خطيئته كيوم ولدته أمه، وروى يخرج من خطيئته، ومن الدرجات إطعام الطعام وبذل السلام، وأن يقوم بالليل والناس نيام.

قال: قل اللهم إنى أسألك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين، وأن تغفر لى وترحمنى وتتوب على، وإذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون. وهذا الحديث أخرجه أيضًا الترمذى والبغوى فى المصابيح، وهو تمثيل لتجلى الله له بلطفه وحسن معاملته، وما أفاضه عليه من المعارف الكاشفة لغيبه مع ثلج صدره ببرد اليقين، وتحقيقه فى شرح المصابيح وشرح الأربعين للصدر والقونوى، وإدراج بعض الشراح له هنا فى المتن كعادته غير متجه.

(وذكر كلمه) إشارة لما مر، وهو اسم جمع لكلمة مضافا لضمير الله أو الحديث لأدنى ملابسة.

(فقال) الله **(فيم يختصم الملأ الأعلى؟)**، أى: فيم يسأل الملائكة بعضهم بعضا عن المراتب المقربة إلى الله المكفرة بالخطايا؟.

ولذا أمره ﷺ بالدعاء بنيل كمال هذه المراتب **(الحديث)** بالنصب، أى اقرأ أو اذكر.

(وحكى عبد الرزاق) همام بن رافع الصنعانى صاحب التصانيف الجليلة، أخرج له الأئمة الستة، وتوفى سنة إحدى عشرة ومائتين وترجمته مشهورة **(أن الحسن)** البصرى السابق ذكره وترجمته **(كان يحلف بالله لقد رأى محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، ربه)** بعين بصره.

(وحكاه أبو عمر الطلمنكى) عمر بزنة زفر، وهو بالطاء المهملة واللام والميم المفتوحات وسكون النون وكاف مكسورة يليها ياء نسبة ضبطه الحفاظ، وهو الإمام الحافظ المقرئ أحمد بن عبد الله بن لب بن يحيى المغافرى الأندلسى عالم قرطبة، ولد سنة أربعين وثلاثمائة، وتوفى فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين وأربعمائة، روى عنه ابن حزم وابن عبد البر وغيرهما من الأعلام، **(عن عكرمة)** مولى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما.

(وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب)، وهو رؤية الله نبيه **(عن ابن مسعود)** رضى الله تعالى عنه، **(وحكى ابن إسحاق)** محمد بن إسحاق بن يسار الإمام الحافظ صاحب المغازى، وقد تقدمت ترجمته **(أن مروان)** بن الحكم بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى، ولد سنة اثنين، ولم يصح له سماع ولارواية، وإنما

له رواية عن عثمان رضى الله تعالى عنه وميسرة وغيرهما، وكانت دولته تسعة أشهر وأياما، وتوفى سنة خمس وستين فى رمضان ثم تولى ابنه عبد الملك، وترجمته مفصلة فى التواريخ.

(**سأل أبا هريرة رضى الله عنه هل رأى محمد ﷺ ربه**) بعينه؟ (**فقال: نعم، وحكى النقاش**) محمد بن الحسن بن زياد، وقد تقدم ترجمته (**عن أحمد بن حنبل أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس: بعينه رأى ربه**) بدل من حديث، ولم يكرر ما قاله رافعا بصره، (**رآه رآه رآه حتى انقطع نفسه**) بفتحتين، أى عجز عن التكلم، وأعيى فترك التكلم (**نفس أحمد**) بن حنبل، وإنما فسره بذلك لئلا يتوهم عوده لابن عباس.

(**وقال أبو عمر**) السابق ذكره: (**قال أحمد بن حنبل: رآه بقلبه، وجبن عن القول**) بفتح الجيم وضم الباء وحكى الجوهرى فتحها، وهو ضعف فى القلب يقتضى عدم الإقدام يريد أنه لم يتجرأ تأدبًا عن أن يقول، أى عن القول (**برؤيته فى الدنيا بالأبصار**) بكسر الهمزة وفتحها جمع بصر، وتعبيره بالجبن يدل على أنها جائزة عقلا عنده، وهو الحق. (**وقال سعيد بن جبير**) الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه: (**لا أقول رآه ولا لم يره**)، أى توقف فى ذلك، ولم يمل لأحد القولين.

(**وقد اختلف فى تأويل الآية**) يعنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ١٣، ١٤] فى النقل (**عن ابن عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود، فحكى عن ابن عباس وعكرمة: رآه بقلبه**) رواه مسلم عنه فى صحيحه فى تفسير هذه الآية، فالضمير فى رآه لله والرؤية قلبية (**وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل**) فالضمير فيها لجبريل عليه الصلاة والسلام كما فى مسلم عن ابن مسعود وأبى هريرة، فرآه بالأفق الأعلى، وله ستمائة جناح ينتثر منها الدر والياقوت كما قاله المهدوى.

(**وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه**)، وهو كأبيه إمام فى السنة والفقة أخذ عن الأعلام، وتوفى سنة تسعين ومائتين فى سن أبيه (**أنه قال: رآه**)، أى بعينه لأنه المتبادر، وقد روى عنه التصريح به، ولا ينافى ذلك ما مر من أنه جبن عن القول بذلك؛ لأنه قد يخفيه فى بعض المجالس المقتضى لذلك.

(**وعن ابن عطاء فى**) **تفسير** (**قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾** [الشرح: ١] **قال: شرح صدره للرؤية، وشرح صدر موسى للكلام**)، أى قوى قلبه وأذهب رعبه، حتى سر مع مشاهد جلاله وعظمته وسماع كلامه.

(**وقال أبوالحسن على بن إسماعيل الأشعرى**) ابن أبى بشير بن إسحاق بن أبى سالم

ابن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبى بن موسى الأشعرى صاحب رسول الله ﷺ، المعروف أن أبا الحسن هذا شافعى المذهب، وقال التلمسانى: إنه مالكى المذهب، ونسبته إلى أشعر، وهو ثابت بن أدد، ويشحب بن يعرف بن زيد بن كهلان ابن سينا، وكان حبرًا عظيمًا، وهو إمام أهل السنة صاحب التصانيف المشهورة، ولد سنة سبعين ومائتين، ومات سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وقيل: أربع وثلاثين فى ذى الحجة.

(وجماعة من أصحابه أنه ﷺ رأى الله ببصره وعينى رأسه) تأييد لكون الرؤيا بصرية، وإضافة العينين للرأس احتراز عن عين قلبه وظهره، فإنها وردت فى الحديث، فإن لم تكن عينا حقيقة. **(وقال)** الأشعرى رحمه الله تعالى: **(كل آية)** ومعجزة **(أوتيها نبى)**، أى أعطاها الله لنبى **(من الأنبياء، فقد أوتى مثلها نبينا ﷺ)**، وقد فصله ابن المنير فى المقتفى، والكلام فيه طويل لا يسعه كتابنا هذا، ولا ينافى فى هذا تخصيص موسى عليه الصلاة والسلام بالكلام كما مر.

قيل: الحقيقة المحمدية صورة الاسم الأعظم الجامع للأسماء، فله التصرف فى العوالم، ومنه تستفيد وتستمد ما فيها من جهة حقيقته، لا من جهة بشريته، فهو الخليفة حقيقة، وأى معجزة كانت لنبى فهو له أولاً وبالذات، ثم جاءت منه لغيره، وإلى هذا أشار فى البردة بقوله:

وكل آى أتى الرسل الكرام بها ... فإنما اتصلت من نوره بهم

أقول: الحق أن نقول: إن الله خلق روحه ﷺ قبل الأرواح، وخلع عليها خلعة النبوة، ثم خلق أرواح البشر وأمر أرواح الأنبياء بأن يؤمنوا به، وأخذ عليها الميثاق باتباعه إن أدركوه كما نطق به الكتاب العزيز، فلما أجابوه أشرق عليهم نوره الروحانى الربانى، وصارت فى أرواحهم قوى مستعدة لإظهار المعجزات، كما لأولياء أمته إذا أظهروا الكرامات لما أشرق عليهم نوره، وهذا هو الذى قصده البوصيرى رحمه الله تعالى فاعرفه.

(وخص من بينهم)، أى اختص ﷺ عن سائر الأنبياء **(بتفضيل الرؤية)**، أى بتفضيله برؤية ربه عيانا فى الدنيا، فلم يره غيره فيها، **(ووقف بعض مشايخنا فى هذا)**، أى توقف فيه، فلم يعتقد ثبوته ولا نفيه، والمشايخ جمع مشيخة أو شيخ على خلاف القياس، وفيه كلام فى شرح أدب الكاتب، **(وقال: ليس عليه)**، أى على ثبوته **(دليل واضح)**، أى صحيح ظاهر، **(ولكنه جائز)** بحسب العقل **(أن يكون)**، أى أن يصح ويوجد فى الدنيا.

(قال القاضى أبو الفضل) عياض المصنف رضى الله تعالى عنه: **(والحق الذى لا امتراء فيه)**، أى القول الحق الذى لاشك فيه، ولا شبهة؛ لأن المرية هى الشبهة **(أن رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة عقلا)**؛ لأنه موجود حقيقة فى كل موجود، وكل موجود تجوز رؤيته عيانًا، **(وليس فى العقل ما يحيلها)**، أى ما يقتضى أنها مستحيلة، ثم ذكر دليلاً نقليًا يؤيد العقل.

فقال: **(والدليل على جوازها فى الدنيا سؤال موسى عليه الصلاة والسلام لها)** بقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وموسى من أولى العزم لا يسأل من الله تعالى ما لا يجوز، فلو لم يعتقد صحة ذلك ما سأله، وإلا كان جهلاً منه بأحوال الربوبية، وهو مبرأ منه وكلامه فى تحقيق الرؤية لا فى وقوعها فقط، فما قيل من أنه ليس الكلام فى جوازها بل فى وقوعها، والفرق بينهما ظاهر، والقائلون بامتناعها لهم أدلة على مقالهم، وإن كانت مردودة، والقائلون بالجواز العقلى ذاهبون للمنع الشرعى، ولذا قال النسفى: رؤية الله فى الدنيا جائزة عقلا ممتنعة شرعا، والمصنف بصدد إثبات الوقوع له ﷺ، وهو أمر نقلى لا مجال للعقل فيه، فكلامه خارج عن المطلوب إلا أن يقال: إنه استطرادى انتهى ليس بشىء؛ لأنه إن لم يثبت الجواز لايثبت الوقوع، والوقوع أمر نقلى قد بينه أولا، ثم حقق ما يتوقف عليه من الجواز عقلا، وما نقله عن النسفى مخالف لما ارتضاه المصنف، وإذا كان هذا نقليا وثبت نقله كيف لا يكون عقليًا؟، فما ذكره كلام مموه تركه خير منه، وما ذكره المصنف هو دليل أهل السنة على جواز رؤيته تعالى، والمعتزلة يقولون: لم يسأله لجوازه عنده، بل لتبكيت القائلين له ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ [النساء: ١٥٣].

(ومحال أن يجهل نبى ما يجوز على الله تعالى، وما لا يجوز عليه) بتنوين نبى للتنكير والتعميم، أىْ، أىُّ نبى كان، فكيف بالكليم عليه الصلاة والسلام؟ وقيل: إنه للتعظيم، أى نبى عظيم من أولى العزم كبار الرسل، والاستحالة عادة مقررة وعقلا؛ لأنه بعث لتعليم أمته الشريعة والعقائد الحقة، وهى معرفة ما يجوز على الله ويمتنع، فلو جهل ذلك كان الله آمرًا له بما لا يعلمه، وهو محال لأنه إما جهل أو عبث، والمعتزلة يقولون: إنما يلزم هذا لو كان سؤالاً حقيقيًا أما لو كان لإلزام غيره أو تبكيته لمن سألها من قومه فلا، وهذا مردود لأن السياق يأباه، وتفصيله فى علم الكلام.

(بل لم يسأل) موسى من الله تعالى **(إلا جائزا غير مستحيل)**؛ لأن سؤال المحال من مثله محال، وكونه سألها مع علمه باستحالتها ليتأكد الدليل العقلى بالسمع، وليطمئن قلبه كما قال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ﴾ ثم قال: ﴿لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾

[البقرة: ٢٦٠]، فإن العلم يتفاوت قوة وضعفا مردود بأن تفاوته غير مسلم، والخليل لم يسأله لذلك، وإنما كان علم أن الله متخذ خليلا يحيى الموتى بدعائه، فسأل ذلك ليعلم أهو هو أم لا؟ ولو سلم فلا يلزم طلب ما لا يجوز، وينافى الأدب عنده بهذه الطريقة إذ له أن يقول: رب بين لى علم ذلك جوازا أو استحالة.

(**ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب**)، أى جوازه مقرر ثابت ووقوعه له دون غيره بمشاهدة ربه أمر مغيب عن كل أحد كسائر المغيبات الجائزة كالخمس وغيرها، فالغيب بمعنى المغيب عن البشر. (**الذى لا يعلمه إلا من علمه الله**) بإخباره به واطلاعه على حاله وقوعا، وعدمه مطلقًا أو فى بعض الأحوال، فلذا أعلمه الله به، (**فقال الله له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾** [الأعراف: ١٤٣])، أى الرؤيا جائزة، ولكنك لا تصل إليها فى الدنيا (**أى لن تطيق**)، **أى** تقدر، (**ولا تحتمل رؤيتى**)، أى لا تقوى عليها فى هذه الحالة، وهذا كله مما يدل على الجواز.

(**ثم ضرب له مثالا**)، أى أتى له بمثال من المخلوقات فإنه لا يطيق تجلى الله عيانا لينكشف له أمرها، ويعلم حاله من حال غيره (**مما هو**) وفى بعض النسخ: بما، متعلقا بضرب (**أقوى من بنية موسى، وأثبت**)، أى أشد قوة وأكثر ثباتا، وبنية بكسر الباء الموحدة وسكون النون الخلقة والتركيب، (**وهو الجبل**) فى قوله: **﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾** [الأعراف: ١٤٣]، فلما لم يثبت الأقوى علم عدم ثباته بالطريق الأولى، ولما كان استقرار الجبل ممكنا كان ما علق به ممكنًا أيضًا، فعلم منه جواز الرؤية، وإلى ذلك أشار بقوله: (**وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته فى الدنيا**)، أى يقتضى استحالته فيها، (**بل فيه**) ما يقتضى (**جوازها على الجملة**) كما سمعته آنفا من أن سؤاله وتعليقه بالممكن يقتضى إمكانه، وقوله على الجملة بمعنى أنه بطريق الإجمال لاالتفصيل؛ فإنه من قبيل إشارة النص، والمعروف فى كلامهم فى الجملة، والمعنى واحد لأن المراد جواز اقتضاه على طريق الإجمال.

(**وليس فى الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا**) دليل قاطع على (**امتناعها**)، وإن لم تكن مستحيلة فلا دليل على امتناع وقوعها مطلقًا، أو فى الدنيا (**إذ كل موجود**) فى الخارج جوهرًا كان أو عرضا لا فى العلم والذهن، كما قيل لتصور الممتنعات، وهو تعليل الجواز لأن إذ تأتى للتعليل كما حققه النحاة، وأهل المعانى والتعليق بالمشتق يقتضى عليه مبدأه، فالعلة الوجود لا الحدوث، وهو مشترك بين البارى تعالى وسائر الموجودات، فكما تجوز رؤيتها تجوز رؤيته إلا أنه قيل: إنه يقتضى صحة رؤيته نحو الأصوات والروائح والطعوم وكيفية الملموس، فإنها موجودة مع أنها غير محسوسة

بالبصر، إلا أن هذا الدليل منقول عن الأشعرى، وهو التزم جواز رؤيتها، والكلام فى الجواز لا الوقوع.

(فرؤيته جائزة غير مستحيلة) تفسير للجواز، فإنه قد يقابل الحرمة والوجوب، **(ولا حجة)** مسلمة عند الخصم **(لمن استدل على منعها)**، أى الرؤية **(بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾** [الأنعام: ١٠٣]؛ **لاختلاف التأويلات فى)** هذه **(الآية)** كما حققناه لك، فلا إفادة فى الإعادة، **(وإذ ليس)** معطوف على قوله: إذ كل موجود، أو على قوله لاختلاف؛ لأن معناه ليس **(يقتضى قول من قال)** بمنعها **(فى الدنيا الاستحالة)** مطلقا، بل تخصيص الدنيا يقتضى وقوعه فى الآخرة، فيدل على الجواز فى الدنيا، وهذا رد على المعتزلة فإن هذه الآية أعظم أدلتهم على نفى الرؤية فى الدنيا والآخرة، ثم بالغ فى الرد عليهم بأن ما استدلوا به عليهم لا لهم.

(وقد استدل بعضهم بهذه الآية)، أى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ الآية **(نفسها على جواز الرؤية، وعدم استحالتها على الجملة)** كما يعلم من ذكره اختلاف التأويل، وإنما استدل بها لأن نفى الشىء عند البلغاء يقتضى جوازه، وإلا كان عبثا، فلا يقال للحائط: إنه لا علم له، والله تعالى قد ساق نفى إدراك الأبصار فى سياق المدح، وإنما يتمدح بأمر ثبوتى كمالى، لا بالعدم الصرف، فكل نفى مدح به تضمن أمرا وجوديا كنفى السنة أو النوم المتضمن لكمال القيومية ونفى الموت المتضمن للحياة السرمدية، فلو كان نفى الإبصار معناه أنه لا يرى أصلا كسائر المعدومات لم يكن فيه مدح، بل المراد لا يحيط بعظمته وجلاله الأبصار، وهذا ما فهمه الصحابة رضى الله عنهم، ولذا فسره ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بلا تحيط به الأبصار كما ذكره المصنف، وكذا ذكره غيره، فنفى الإحاطة تفسير للرؤية بدونها أو المراد العموم، أى لا تراه جميع الأبصار فإن منها ما حجبه فهى سالبة فى قوة موجبة جزئية كما مر.

وإليه أشار بقوله: **(وقد قيل: لا تدركه أبصار الكفار، وقيل)** معنى **(لا تدركه الأبصار لا تحيط به، وهو قول ابن عباس)**؛ لأنه كما قيل يحتمل أن يكون رفعا للإيجاب الكلى بأن لا يلاحظ الإيجاب الكلى أولاً، ثم يرد عليه النفى، وحينئذ لا احتجاج لهم علينا، فإنا قائلون بأن الكفار لا يرونه، أو المنفى إدراك بتقليب الحدقة نحو المرئى، فإنه المتبادر من إطلاق إدراك البصر وهو المعتاد، وإنما يحتاج لهذا إذا كان تعريف الأبصار استغراقيًا، وإلا تكون القضية سالبة مهملة، فهى فى قوة السالبة الجزئية كما تقرر بمعنى لا تدركه بعض الأبصار، وتخصيص النفى بالبعض يدل بالمفهوم على الإثبات للبعض، فالآية حجة لنا وعلى تسليم عمومها للأشخاص لا نسلم عمومها للأوقات؛ لأنها سالبة مطلقة،

وهى أعم من السالبة الدائمة، وما ذكر من أن تدركه الأبصار موجبة مطلقة، فنقيضها سالبه دائمة ممنوع لجواز كون الأمر بالعكسى، بل الظاهر عكسه.

أقول: كونه دالاً بالمفهوم على الإثبات للبعض. قال بعضهم: فيه نظر لأن القضية المهملة، والدالة على رفع الإيجاب الكلى ليس صريح مفهوما السلب الجزئى، والتعرض للنفى عن البعض، بل السلب الجزئى لازم معناها الصريح المحتمل للسلب الكلى، والجزئى مع الإيجاب للبعض، فبمجرد كون مفهومها مستلزمًا للسلب الجزئى لا يدل مفهومه على مفهوم السلب الجزئى، فلا حجة لنا فيه، وإنما يكون حجة أن لو كان صريح مفهوم القضية.

(وقد قيل) فى بعض التأويلات: **(لا تدركه الأبصار)** نفسها، **(وإنما يدركه المبصرون)** يعنى أن الإدراك نوع من العلم، وهو صفة الناظر حقيقة لانفس النظر، فإنه واسطة دالة ولا يخفى ركاكة هذا التأويل، وإن كانت عهدته على قائله، **(وكل هذه التأويلات)** السالفة **(لا تقتضى منع الرؤية، ولا استحالتها)**، بل جوازها كما مر فلا حجة فيها.

(وكذلك لا حجة لهم بقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] **الآية)** التى استدل بها بعض المعتزلة، وقال: لن للنفى المؤبد والمؤكد، فإذا نفى عن موسى عليه الصلاة السلام فغيره يعلم بالطريق الأولى، وقد رد بأنها للنفى فى المستقبل فقط، وكلام الله تعالى وغيره دال عليه كما أثبته النحاة مما هو مشهور فى كتبهم، ونفى الرؤية عنه لا يدل على نفيها عن غيره؛ لأنه نفى مخصوص فلا دليل لهم فيه.

(وقوله: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]**)** من سؤال الرؤية المقتضى؛ لأنه محال وطلب ما لا يليق فهو ذنب، وسيأتى جوابه **(لما قدمناه)** من أدلة الجواز الصريحة المقتضية لتأويل هذه الآية، **(ولأنها)**، أى هذه الآية **(ليست على العموم)** بل مخصوصة بموسى عليه الصلاة والسلام فى المستقبل والنفى الخاص لا يدل على عموم ولا استحالة.

(ولأن من قال: معناها لن ترانى فى الدنيا إنما هو تأويل)، فلا دليل فيه على مدعاهم العم ولا على الاستحالة، فإن القائل بين معنى الآية، و لم يذكر أنه تفسير مأثور، ولا أنه برهان على المنع العقلى والعموم، فلا حجة فيه، **(وأيضا ليس فيه نص الامتناع)**، أى صريح عموم امتناع الرؤية لكل أحد، **(وإنما جاءت فى حق موسى عليه الصلاة والسلام)**، أى أن آية لن ترانى مخصوصة بموسى عليه الصلاة والسلام، فكيف استدل بها على امتناع الرؤية مطلقا فى الدنيا وغيرها يقظة ومنامًا؟ كما ذهب إليه المعتزلة، ولا يلزم من نفى الجواز الذى نحن بصدد إثباته.

(وحيث تتطرق التأويلات)، أى إذا أمكن تأويل ما استدلوا به، **(وتتسلط الاحتمالات)**، أى توجد احتمالات فى الدليل، **(فليس للقطع به سبيل)**، فلا يصح القطع والجزم بما استدل كما قالوا: إذا ظهر الاحتمال سقط الاستدلال، وفيما استدلوا به على امتناع الرؤية أمور كثيرة ذكرها المفسرون والمتكلمون كما قدمه المصنف، وأصل معنى التطرق وجود الطريق وسلوكه، فشبه التأويلات بصاحب مطلب وجد الطريق إليه على سبيل الاستعارة التبعية أو المكنية والتخييلية، وكذا فى التسلط لأنه من السلاطة وهى القهر والغلبة قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٠]، ومنه السلطان كما قاله الراغب وغيره من أهل اللغة، وقيل: يتطرق من الطرق، وهو الخلط، أو من التطارق وهو التتابع والازدحام، وهو عبارة عن كثرتها وهو قريب من التسلط.

(وقوله تعالى: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]) الذى استدلوا به على أنه دال على امتناعه عقلا؛ لعدهم سؤال الرؤية ذنبا لاستحالتها لا دلالة على مدعاهم لأن له تفسيرا آخر، **(أى من سؤالى ما لم تقدره لى)** فى الدنيا فى ذلك الوقت لحكمة خفية لما غشيه من أنوار عظمته، حتى صعق، كما يقول من فعل أمرا جائزا اعتراه منه مشقة عظيمة: تبت عن مثل هذا، كما قال ابن نباتة السعدى:

أأمل مأمولا لغير صدودها فوا خجلتى إنى إلى المجد تائب

وتقدر بضم المثناة وتشديد الدال وتخفيفها.

(وقد قال أبو بكر الهذلى) الإمام العلامة تلميذ ابن القوطية صاحب الأفعال، كان من الأدباء الظرفاء، وله شعر بديع **(فى)** تفسير **(قوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾، أى ليس لبشر أن يطيق)**، أى يقدر **(أن ينظر لى فى الدنيا، وأنه من نظر إلى)** فيها **(مات)**.

وقيل: هذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فإنه يدل على أن القوى البشرية لا تطيق النظر فى الدنيا لسبحات جلاله إلا من أقدره الله تعالى، وإذا لم يطق ذلك مثل موسى عليه الصلاة والسلام، فغيره يموت فجأة لخوفه، أو لإحراق سبحات النور له، وفى هذا دليل على جواز وقوعه فى الدنيا لكنه من وقع له فيها لا يعيش، كما قيل: إن من رأى الملك فى الدنيا يعمى، كما نقل عن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، وإن قيل: إنه لم يصح، والمراد غير الأنبياء هنا.

(وقد رأيت لبعض السلف) من المتقدمين، **(و)** لبعض **(المتأخرين ما معناه أن رؤيته تعالى فى الدنيا ممتنعة)** لمانع منها، لا لذاتها من حيث هى هى؛ لما مر من جوازها عقلا، فامتناعها لعارض **(لضعف تراكيب أهل الدنيا)**، أى لضعف أبدانهم المركبة، كما قال

الله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

(وقواهم) جمع قوة، وهى أمر أودعه الله تعالى فى البدن بها الإدراك، أو المراد به المعنى اللغوى، **(وكونها)**، أى التراكيب والقوى، أو هو راجع للقوى فقط **(متغيرة)** بالازدياد فى أول أمرها، ثم التنزل والنقص بعده، وذلك يدل على ضعفها **(غرضا للآفات)** هو حال أو خبر بعد خبر للكون، ولم يعطف لكونه سببا لما قبله، وقيل: لكمال الاتصال بينهما، وفيه أن ذلك مخصوص بالجمل كما حقق فى مباحث الفصل والوصل، والغرض بالغين والضاد المعجمتين أصله الهدف الذى ينصب لرمى السهام، فشبه الجسد بهدف وآفات الدهر ومصائبه كسهام لا تزال يرمى بها حتى يفنى، كما قال أبو العتاهية:

إن الفتى لغرض الآلام
يرميه نبل الدهر والأيام
يصيبه رام ويخطى رام

ويجوز أن يكون بالعين المهملة، أى معرضًا لها، ولكن الأول أصح رواية ودراية، وقال التلمسانى: روى معترضة بدل قوله متغيرة، أى ذات أعراض، وهى الآفات والأمراض، أو من العرضة، أى متعرضة للآفات، وقيد بعضهم عرضا بفتح العين المهملة، أى منصوبا للآفات مقابلا لها كالهدف، والآفة والعاهة كل ما يعرض بشىء فيفسده.

(والفناء) بفتح الفاء والمد وهو الزوال والعدم، **(فلم يكن لهم قوة على الرؤية)** لضعف أبدانهم وقواهم فى الدنيا، **(فإذا كان فى الآخرة)**، أى إذا أحياهم الله تعالى وأدخلهم دار البقاء، **(وركبوا تركيبا آخر)** غير تركيبهم الأول، **(ورزقوا قوى ثانية)** بمثلثة ونون ومثناة تحتية، أى قوى غير القوى الأولى الدنيوية، وفى بعض النسخ ثابتة بموحدة ومثناة فوقية فقوله: **(باقية)** تفسير له، أى مخلدة لا تفنى؛ لقوة تركيبها وتمام قواها.

(وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم)، أى جعلها تامة كاملة مستعدة للبقاء السرمدى **(قووا بها على الرؤية)** جواب إذا، والضمير راجع للمذكورات من التركيب، والقوى والأنوار التى منحها الله تعالى لهم فى الآخرة.

فهذا يدل على وقوع الرؤية فى الآخرة، وجوازها فى الدنيا؛ لأنه لو رزقهم ذلك فى الدنيا صح ذلك منهم أيضًا، ولذا شق صدر النبى ﷺ وأودع فيه ما قوى به على ذلك كما تقدم، وهذا مما أوحى لأيوب عليه الصلاة والسلام. قال عطاء: أوحى الله لأيوب

إنك لتنظر إلى غدا. فقال: يا رب أفبهاتين العينين؟ فقال: أجعل لك عينين باقيتين، فينظر إلى البقاء بالبقاء.

(وروى) وفى نسخ وقد رأيت **(نحو هذا لمالك بن أنس)** رحمه الله تعالى **(قال: لم ير)** بضم التحتية، ونائب الفاعل عائد على الله؛ **(لأنه باق، ولا يرى الباقى بالفانى، فإذا كان)** النظر أو الناظر **(فى الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رؤى الباقى بالباقى)** ظاهره أن البقاء الأبدى علة لصحة الرؤية، والفناء مانع ولا مدخل للبقاء فى الرؤية، كما أن الفناء والحدوث لا مدخل له فى المنع، لأن الرؤية بخلق الله وليست مشروطة بشىء عند أهل السنة، فكأنه أراد أن البقاء يلزمه قوة التركيب، والقوى المعدة لصحة النظر، فيكون بمعنى ما قبله، ولذا قيل: إن مراده أن الرائى والمرئى لابد أن يكون بينهما مناسبة، وأبصار هذه الدار فانية فإذا عادت وكساها الله صفة دوام البقاء تحملت رؤية الحى القيوم؛ للمناسبة فى الجملة، وإن كان بقاؤه قديما ذاتيا، وبقاؤها طار عرضى، وهو كلام إقناعى.

(وهذا كلام حسن مليح) عنده على ما فيه **(وليس فيه دليل على الاستحالة)** والامتناع عقلا، بل هو دال على الجواز إذ لا مانع منه **(إلا من حيث ضعف القدرة)** البشرية فى الدنيا، **(فإذا قوى الله من شاء من عباده)** بأن رزقه قوة تطيق ذلك، **(وأقدره على حمل أعباء الرؤية)**، أى جعل له قدرة وطاقة على رؤيته ومشاهدته، والأعباء جمع عبء بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة، وهو الحمل الثقيل وهو فى المحسوسات حقيقة، فاستعيرت للمعانى **(لم تمتنع)** الرؤية **(فى حقه)**؛ لتمكنه منها بما منحه من القوة.

(وقد تقدم ما ذكر فى قوة بصر موسى، ومحمد عليهما الصلاة والسلام ونفوذ إدراكهما) بذال معجمة، أى خروجه وبلوغه **(بقوة إلهية منحاها)** بضم أوله مبنى للمجهول، أى أعطياها؛ **(لإدراك ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله أعلم)** بحقيقة ذلك.

(وقد ذكر القاضى أبو بكر محمد بن الطيب إمام أهل السنة الباقلانى) بالنون نسبة إلى الباقلاء على خلاف القياس كالصنعانى، توفى سنة ثلاث وأربعمائة، وقيل: ثلاث وتسعين وثلاثمائة قالوا: وليس هو الإمام أبو بكر بن محمد بن العربى شيخ المصنف **(فى أثناء أجوبته عن الآيتين)**، أى فى خلال كلامه فى الجواب عما استدل به المانعون من الآيتين ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] و﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] **(ما معناه)** ما موصولة أو موصوفة مفعول ذكر إشارة إلى أنه رواية عنه بالمعنى دون اللفظ والعبارة.

(أن موسى، عليه الصلاة والسلام، رأى الله، فلذلك خر صعقًا) مغشيًا عليه مع صحته؛ لأن وقوع مثل هذا بمجرد رؤية الجبل دكا بعيد، وإن جاز أن يكون لتجليه وظهور أنواره، لكن هذا مناف لظاهر قوله: ﴿**لَن تَرَىٰنِي**﴾ وقوله: ﴿**انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ**﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولما نقله المصنف أولا من أن الله قسم الكلام والرؤية بين موسى ومحمد ﷺ، **(وأن الجبل)** أيضًا **(رأى ربه)**، أى خلق فيه إدراكًا وحياة، **(فصار دكا)**، أى انهد حتى صار ترابا من هيبة الله، وذلك **(بإدراكٍ خَلَقَهُ الله له)** كما نقله الماتريدى عن الأشعرى رحمهما الله تعالى، وهذا مما يدل على جواز الرؤية؛ لأن الذى قدر الجماد على ذلك كيف لا يقدر كمل البشر.

(واستنبط)، أى استخرج **(ذلك)** وأصل الاستنباط استخراج الماء من البئر، فأطلق على مطلق الاستخراج، أو استعارة له، وذلك إشارة لرؤية موسى عليه الصلاة والسلام ورؤية الجبل، **(والله أعلم)** فيه إشارة إلى أنه لم يصرح به **(من قوله:** ﴿**وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي**﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ثم قال: ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا**﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أى مدكوكًا، والدك والدق متقاربان، وفسر دكه بأنه صار رملا أو ترابا، وقيل: غار، وقيل: استوى بالأرض، وقيل: افترق فرقًا.

قال الواحدى: هذا الجبل يسمى زبير، وليس هو الطور، ﴿**وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا**﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أى سقط صائحا مغشيا عليه من هول ما رآه من هذا الجبل.

(وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه)، أى شاهد المتجلى ونوره، فذاب كما يذوب الحديد من النار، فلو لم يخلق له حياة وإدراكا ورؤية لم يخف خوفا هده وفتته **(على هذا القول)**، أى قول أبى بكر الباقلانى السابق بأن موسى والجبل رأياه معا، وهذا بناء على مذهب أهل السنة فى أنه يجوز خلق العلم والنظر فى أى جرم أراد، وليس من شرطه البنية والمزاج كما قاله المعتزلة، فإنه وهم باطل كما قاله ابن عرفة. قيل: هذا غير ظاهر لأن التجلى لموسى لا للجبل، وكون موسى خر صعقا إنما هو لدكه الجبَل وشدة وقوعه لا من تجلى الله له ورؤيته. ويناسبه قوله.

(وقال جعفر) الصادق **(بن محمد)** المتقدم ترجمته **(شغله)** الله تعالى **(بالجبل)** وأصوات دكه حين أمر بالنظر إليه **(حتى تجلى)**، أى ظهر ظهورا تاما لموسى عليه الصلاة والسلام فرآه، **(ولولا ذلك)**، أى اشتغاله بالجبل بأن ظهر له نور التجلى ابتداء **(لمات صعقا)** بسكون العين وكسرها، وعلى الأول هو تمييز، وعلى الثانى حال **(بلا إفاقة)** من صعقته وغشيه.

(وقوله هذا)، أى قول جعفر **(يدل على أن موسى عليه الصلاة والسلام رآه)** كالجبل؛ لأنه معنى التجلى لأنه لا يقال: تجلى له إلا إذا شاهده، فما قيل من أنه فى غاية البعد لأن التجلى الواقع فى الآية إنما هو للجبل لا لموسى عليه الصلاة والسلام غير متجه؛ لأن المصنف رحمه الله تعالى إنما بنى كلامه على ما قاله هؤلاء وفهموه، والناقل لاعهدة عليه، فإن حاصله أن موسى لما سأل الرؤية فى مناجاته لربه أمره بالنظر للجبل ليلهين به حتى إذا تجلى له ابتداء لم يهلك وتحرقه الأنوار ويموت، وهذا بناء على أنه حين صعق لم يمت، وذهب كثير من المفسرين إلى أنه مات ثم أحياه الله، وما قاله هؤلاء مخالف لكلام المفسرين، فإنهم ذهبوا إلى أنه إنما أمر موسى عليه الصلاة والسلام بالنظر للجبل ودكه؛ ليعلم أنه لاطاقة له على رؤيته تعالى فإن ما لا تطيقه الجبال كيف تطيقه بنية الإنسان.

(وقد وقع لبعض المفسرين) أنه قال **(فى الجبل أنه رآه)** بحياة وإدراك خلقه الله تعالى فيه فرآه وشاهده، وقد نقله الماتريدى عن الأشعرى، وهو الظاهر من التجلى، وإن حملوه على معنى آخر. قال فى الكشاف فى تفسيره فلما ظهر اقتداره وتصدى له أمره وإرادته جعله دكا، أى مدكوكا، والظاهر أنه عنده استعارة تمثيلية، وقيل: إنه على حذف مضاف، وفيه مجاز آخر حيث أسند التجلى للاقتدار وليس بشىء.

(وبرؤية الجبل له)، أى لله عز وجل **(استدل من قال برؤية نبينا ﷺ له)** قيل: الجبل ليس له إدراك ونظر إلا أنه يجوز أن يخلق الله فيه ذلك، وليس جعله دكا متوقفًا على الرؤية ومستلزمًا لها، ولوكان كذلك قال: فإن رأى واستقر، فإنما دكه ليعلم موسى عدم طاقته لمشاهدة نور الأنوار، وفى الحقيقة جعله دليلاً فيه ما فيه إلا أن يقال: معنى قوله: **(إذ جعله دليلا على الجواز)** أنه جعل تعليق الرؤية بأمر ممكن فى نفسه دليلا على جوازها، فإذا كانت أمرا جائزا لاحاجة لتأويل الأحاديث الواردة بأنه ﷺ رأى ربه.

(ولا مرية) بكسر الميم وضمها معناها الشك والتردد **(فى الجواز)**، أى جواز الرؤية **(إذ ليس فى الآيات)** التى استدل بها على عدمها كآية ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ**﴾ [الأنعام: ١٠٣]، و﴿**لَن تَرَىٰنِى**﴾ [الأعراف: ١٤٣] ونحوها **(نص فى المنع)** للرؤية صريح فيه إذ هى مأولة، بل مشيرة للجواز كما مر.

(وأما وجوبه لنبينا ﷺ)، أى وجوب وقوع رؤيته لربه فى الإسراء بعين رأسه، واعترض عليه بأنه لم يقل أحد بالوجوب، وإنما قيل بالجواز والوقوع، والجواب بأنه من خصائصه التى يجب اعتقادها تعسف، وليس المراد وجوبه على الله حتى يقال: إنه لا يجب عليه شىء، وكل ذلك محض تفضل منه، وقيل: المراد وجوب الجواز لأن الجائز عقلا إذا وقع فى الخارج انقلب واجبا بالغير، وإن كان فى حد ذاته ممكنا، والمراد وقوع

الرؤية انتهى، ولا يخفى ما فيه من التعسف والتمحل الذى لا يساعده العبارة، وكون الجائز إذا وقع انقلب واجبا لغيره لا معنى له، فالظاهر أن يقول: إن الوجوب هنا بمعناه الاصطلاحى؛ لأنه لو ورد مصرحا به فى نص قطعى من القرآن أو الحديث المتواتر أوالمشهور وجب علينا اعتقاده، ولا يسع أحدًا من أهل الملة أن يخالف فيه، وإليه أشار فى آخر الفصل بقوله: وجب المصير إليه ألا ترى أنه لما صح أنه ﷺ أخبر بالإسراء، وورد فى القرآن أنه أسرى به من الحرم للبيت المقدس لا يجوز إنكاره سواء كان مناما أويقظة، أو هو بمعناه اللغوى، وهو الوقوع فإنه أصل معناه وإطلاق الواجب على اللازم عقلا أوشرعا معنى عرفى منقول منه، والمراد بالعرف فيه عرف اللغة، وهذا مما صرح به أئمة اللغة والمصنف منهم.

قال الإمام الراغب: يقال وجبت الشمس إذا وقعت، ومنه قوله: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج: ٣٦]، وقول الفقهاء: الواجب إذا لم يفعل استحق عليه العقاب وصف له بما هو عارض له، فيجرى مجرى قولك: الإنسان إذا مشى مشى برجلين انتهى، ولهذا أشار فقهاؤنا فى الفرق بين الفرض والواجب، فقوله: **(والقول بأنه رآه بعينه)** يشير إليه من طرف خفى، فلا إشكال فى كلامه، وهذا يقع فى مقابلة الجائز بمعنى الممكن بلا وقوع كما صرح به الراغب أيضًا، فلا يرد على ما قلنا أن وقوعه فى مقابلة الجائز فى كلامه يأباه، فإن هذا كله إنما جاء من توهم أنه أريد بهما ما قاله الفقهاء، وقوله بعينه متعلق برآه، أو توكيد للضمير ففيه صنعة من البديع، وهى حسنة إذا جاءت أحيانا من غير تكلف لا كما يقصده بعض شعراء مصر، فإنه قبيح وهذا كقوله:

رأيت من هواه لما أن رمى ... فقلت هذا قاتلى بعينه

(فليس فيه قاطع)، أى دليل قطعى **(أيضًا)**، أى كما أن المنع لم يقم لمدعيه دليل قطعى، **(ولا نص)**، أى دليل صريح فيه من الكتاب والسنة **(إذ المعول فيه)**، أى المعتمد فى استدلالهم على وقوعه لنبينا ﷺ **(على آيتى)**، أى على آيتين فى سورة **(النجم)** ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣] الآية، **(والتنازع فيهما مأثور)**، أى النزاع فى المراد منهما منقول عن سلف المفسرين والمتكلمين كما مر؛ للقول بأن الضمير لجبريل والرؤية له بصورته الأصلية، **(والاحتمال لهما ممكن)** لعدم صراحتها وقطعيتها فى المدعى، **(ولا أثر)**، أى حديث **(قاطع متواتر عن النبى ﷺ بذلك)**، أى بكونه ﷺ رآه بعين رأسه.

(وحديث ابن عباس) رضى الله تعالىعنهما الموقوف عليه المتقدم الذى ذكر فيه أنه رآه بعينه **(خبر عن اعتقاده)**، أى أخبر به عما كان يعتقده بحسب ما أدى إليه علمه الجازم.

(ولم يسنده إلى النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم)، أى لم ينقله عنه، ويقول إنه صرح له بذلك حتى يعتبر، **(فيجب العمل)**، أى القول به والجزم **(باعتقاد مضمنه)** بضم الميم الأولى وفتح الضاد المعجمة والميم المفتوحة المشددة، أى ما تضمنه ودل عليه لفظ من رؤيته ﷺ لربه بعينه، فسماه عملاً؛ لأنه من الأعمال القلبية، وإن اشتهر أن العمل فيما يكون بالجوارح الظاهرة، يعنى أن الرؤية العينية ليس فيها نص قرآنى ولا حديث قطعى حتى يجب اعتقاده، ويكفر منكره؛ لمخالفة كثير من الصحابة والعلماء فى وقوعها، وإن كان الراجح عندهم ثبوتها، وبه صرح الغزالى والنووى، وإليه ذهب المصنف رحمه الله تعالى وإن قيل: إنه مال لخلافه فى شرح مسلم.

(ومثله)، أى مثل قول ابن عباس فى إثبات الرؤية **(حديث أبى ذر)** الغفارى رضى الله عنه الذى رواه مسلم قال: سألته ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: رأيت نورا إلى آخره **(فى تفسير الآية)** يعنى آية سورة النجم.

(وحديث معاذ) بن جبل **(محتمل للتأويل)** بما مر، **(وهو مضطرب الإسناد)**، أى الطريق فى روايته، **(والمتن)** هو نفس الحديث، وكلام الرسول الذى رواه؛ لأنه المراد منه، والمتن أصله الظهر الذى به قوام البدن، فشبه به ما يقصد من الكلام كلفظ الحديث واللفظ المنقول ليشرح، واضطرابه اختلاله واختلافه افتعال من الضرب قيل: اضطراب سنده لأنه رواه تاره عن ابن عباس الحضرمى مرسلاً؛ لأنه ليس بصحابى، وتارة عن معاذ بن جبل، واضطراب متنه لأنه قال فيه: رأيت ربى فى أحسن صورة[1]. فقال: يختصم الملأ الأعلى الحديث الذى تقدم، وفيه: لما صلى الغداة قال: صليت الليلة ما قضى لى، ثم وضعت جنبى فأتانى ربى، وفى أخرى عنه: قمت من الليل فصليت ما قدر لى، فنعست فى صلاتى حتى استيقظت فإذا أنا بربى، واختلافه والسند واحد يوجب الاضطراب.

وقيل: إن الحديث بطوله رواه ابن حنبل والترمذى، وقال: إنه حسن غريب، وقال: إنه صحيح الإسناد وهو أحسن ما يتمسك به فى الرؤية، وكذا قال المنذرى فى الترغيب، فما ذكره المصنف رحمه الله تعالى من اضطرابه إن أراد معناه اللغوى لاختلاف ألفاظه، فهو غير قادح؛ لأن الحديث الواحد قد تختلف ألفاظه ولا يختلف معناه وإن أراد معناه الاصطلاحى، وهو ما اختلف فيه راويان فأكثر فرووه بوجوه مختلفة لم تترجح أحدهما، فليس فيه شىء منه، ولو كان كذلك أوجب، وأئمة الحديث صححوه كما سمعته آنفا وفيه نظر.

---

(١) أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (١/٢٠٤).

(وحديث أبى ذر الآخر مختلف) ألفاظـة المرويـة، ومثلـه قـد يوجـب الضعـف لدلالتـه علىعدم ضبط الرواى **(محتمل)** للرؤية العينية وغيرها **(مشكل)** مـن حيـث المعنـى لجعلـه ذاته تعالى نورا، **(فروى)** بالبناء للمجهول **(نـور)** منـون مرفـوع، ويـروى منصوبـا أيضًـا **(أنى)** بفتح الهمزة وتشديد النون وألف بعدهـا مقصـور بمعنـى كيـف **(أراه)**، أى منعنـى وحجبنى أو ظهر لى نور، أو رأيت نورًا غشينى، فكيـف أرى ذات الله وقـد حـال بينـى وبينه سبحات النور المانعة من الرؤية فى جارى العادة، وروى نورانى بالنسبة للنور على خلاف القياس كصنعانى، وقيل: إنه تصحيف، والصـواب الأول وفـى المقتفـى للبرهـان يحتمل هذه الرواية ما سبق بأن يكون معناه الخالق للنور المانع للرؤيـة، فـهو مـن صفـات الأفعال.

وقال المصنف، رحمه الله تعالى: لم أر هذه الرواية، ومن المستحيل أن يكون ذاته نـورا لأنه جسم، وهو تعالى منزه عنه بإجمـاع المسـلمين، ومعنـى نـور السـموات منورهـا، أو هادى أهلها، أو منور قلوبهم، أو ذو بهجة وجمال. وقال العراقـى فـى تخريـج أحـاديث الإحياء: ما رأيت لهذا الحديث منكرا. وقال ابن خزيمـة: فـى القلـب مـن صحـة إسـناده شيء. وزاد أحمد فى حديث أبى ذر: رجال إسناده رجال الصحيح. انتهى.

وقيل: هـذا الحديـث لا يشـعر برؤيـة ولا بعدمـها، والمتفـق علـى روايتـه هـو الأول. وكيف الإنكار أو التعجب، أى كيف يتمكن من رؤيته، ويحتمل أنه قاله لأن عنـده مـن حديث إسلامه ممن لا يفهم مراده؛ لأنه روى: رأيت نورًا، وما ذكـره البرهـان تكلـف، فإن النور من أسمائه تعالى.

أقول: كل هذا كلام مديح، والذى ارتضاه الغزالى كما يأتى أن النور يطلـق عـن الله تعالى حقيقة، فإن معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره، وهو وإن كان منزعًا حكميًا صوفيًـا فقد وقع فى كلام الأشعرى ما يوافقه، فإنه قال: الله نـور ليـس كـالأنوار كمـا سـيأتى، وعلى هذا فالروايتان بمعنى، فإنه نور النور الخفى بفرط الظهور، فـإن فـهمت فـهو نـور على نور، وقوله: إنه جسم غير مسلم.

(وحكى)، أى نقل **(بعض مشايخنا أنه)**، أى هذا الحديث أو هذا اللفظ **(نورانـى أراه)** قد عرفت معناه وسمعت ما قاله المصنف، أى فـى شـرح مسـلم مـن أن هـذه الروايـة لم تثبت. **(وفى حديثه)**، أى حديث أبى ذر **(الآخر)**، أى المروى من طريق آخـر: **(سـألته)**، أى النبى ﷺ فقلت له: هل رأيت ربـك؟ **(فقـال: رأيـت نـورًا، وليـس يمكـن الاحتجـاج بواحد منها على صحة الرؤية، فإن كان الصحيـح رأيـت نـورًا)** هـذا محتمـل؛ لأن يكـون أطلق عليه النور حقيقة كما مر، أو باعتبار لازمه كسائر أسمائه التى لا تليق حقيقتها به،

أو أن المراد أنه لم يره؛ لأن حجابه النور، وإلى هذا أشار المصنف بقوله: **(فهو)**، أى النبى ﷺ **(قد أخبر أنه لم ير الله تعالى، وإنما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى)** بناء على ما فهمه، و لم يرتضه بعض الشراح، **(وإلى هذا)** المعنى وأنه لم يره **(يرجع قوله: نور، أنى أراه)** فإنه تعجب أو إنكار لرؤيته **(أى كيف أراه)** هذا كقوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨]؟، **فكيف للإنكار أو التعجب، أى كيف يتمكن من رؤيته (مع حجاب النور المغشى للبصر)**، أى الساتر أو المانع له عن الرؤية كالغشاوة.

وهذا مثل ما فى الحديث الآخر: **(حجابه النور)** وهذا الحديث رواه مسلم والطيالسى والبخارى عن أبى موسى الأشعرى، وهو أن الله لا ينام، ولا ينبغى له أن ينام، ولكنه يخفض القسط ويرفعه، ويرفع عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور لو كشفه أحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، وهو حديث صحيح.

(وفى الحديث الآخر: لم أره بعينى ولكن رأيته بقلبى مرتين، وتلا) قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨]، أى نزل ليقرب من عنده، وهذا بناء على أن الضمير فيهما لله تعالى، لا لجبريل عليه الصلاة والسلام، وتدليه من المتشابه كقوله: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا»[1]، والكلام فيه مشهور، ثم بين معنى الرؤية القلبية فقال: **(والله قادر على خلق الإدراك الذى فى البصر فى القلب)** بأن يدرك بقلبه ما يدرك ببصره حتى يكون مشاهدًا محسوسا له واقفا على ذاته؛ لأن فى القلب نورًا هو مبدأ الإبصار، فيقربه الله حتى يرى بلا واسطة للعين، **(أو كيف شاء)**، أى بكيفية أخرى غير خلق الإدراك فى قلبه أرادها لمن أراد أن يتجلى له بأن يجعل له علما ضروريا يدركه به على وجه لا يعلمه إلا هو. **(لا إله غيره، فإن ورد حديث نص)** صريح **(بين فى الباب)** فى ثبوت الرؤية له بحيث لا يحتمل التأويل **(اعتقد)** بالبناء للمجهول، أى اعتقده كل من وقف عليه وثبت عنده، **(ووجب المصير إليه)**، أى وجب علينا أن نذهب لاعتقاده ولا نعدل عنه. **(إذ لا استحالة فيه)**، أى فيما ذكره من صحه الرؤية ووقوعها، وهذا معنى الوجوب الذى قاله أولا كما وعدناك به.

(ولا مانع قطعى يرده) فيمنع من اعتقاده، ويوجب تأويله أو التوقف فيه كسائر المتشابهات، **(والله الموفق للصواب)**، أى الخالق للتوفيق المنعم به على عباده، وفى الختم بهذا لطف لما فيه من الإشارة إلى تعارض أحاديث الرؤية محتاج للتوفيق لمن رزق

---

(١) أخرجه البخارى (٢/٦٦)، ومسلم فى صلاة المسافرين (١٦٨)، وأبو داود (١٣١٥)، وابن ماجه (١٣٦٦)، والبيهقى (٣/٢).

التوفيق، ولا شبهة فيما قاله، وهو لا ينافى أن الأصح الراجح أنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه حين أسرى به كما ذهب إليه أكثر الصحابه إلا أنه لما ورد ونقل خلافه أيضًا ذهب إلى أنه أمر غير قطعى، فالاعتراض عليه بأنه إن أراد بالقطعى كلام الله أو حديثا متوترا فمسلم، لكنه ليس بلازم فكم من أمر علمناه وجزمنا به وهو ليس فى القرآن ولا فى الحديث المتواتر، وإن أراد أنه ليس فى حديث صحيح صريح يعمل به، فهو غير مسلم ساقط واه تركه خير منه، والله أعلم.

* * *

(فصل وأما ما ورد فى هذه القصة) [من مناجاته لله تعالى]

أى قصة الإسراء (**من مناجاته لله تعالى**)، أى مخاطبته له ومحادثته لما ارتفع إلى المقام الأعلى، والمناجاة تكون بمعنى المحادثة وبمعنى المسارة مما يرضاه، وأصل معناه أن يخلو بمن خاطبه على نجوة، أى مكان مرتفع من الأرض، وقيل: هو من النجاة لأن من سره نجا من أن يطلع عليه غيره، ثم شاع فى مطلق المخاطبة، فلذا عطف عليه قوله: (**وكلامه معه**) ليبين المراد به، والضمير الأول للرسول كضمير مناجاته، أو لله كضمير معه، أى كلامه معه الثابت (**بقوله:** ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾) المقرب إليه، وإلى سرادقات عظمته وهو الرسول المكرم ﷺ أو جبريل، وقد مر أن مقام العبودية أشرف المقامات، فلذا قال: ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [النجم: ١٠]، ولم يقل رسوله ولا نبيه.

﴿مَآ أَوْحَىٰ﴾، أى ما يوحى أمرًا عظيمًا لا يحيط به العبارة، ففى الإبهام إشارة إلى تفخيمه وتعظيمه، وأنه محرم الأسرار وبحر المعارف لا يطلع على ما أطلعه الله عليه غيره، ففى الإبهام ولفظ العبد هنا موقع لا يليق بغيره (**إلى ما تضمنته الأحاديث**) الآتية، وإلى بمعنى مع أو غاية الابتداء مقدر أى ينتهى من الكلام إلى ما تضمنته الأحاديث.

(**فأكثر المفسرين**) جواب ما. قيل: الأكثر يقابله الكثير، فلا يناسب مقابلته بالشاذ والنادر منهم، فحق العبارة جمهور المفسرين، والأمر فيه سهل (**على أن الموحى**) اسم فاعل أوحى، أى الفاعل للإيحاء فى قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ﴾ فى هذه الآية (**الله إلى جبريل، عليه الصلاة والسلام، وجبريل إلى محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلا شذوذا منهم**)، أى إلا جماعة من المفسرين قليلة شاذة خالفوهم فيه، فشذوذا إما جمع شاذ كقعود جمع قاعد، أو مصدر أطلق على الفاعل مبالغة فى اتصافهم به حتى كأنهم عينه.

(**فذكر**) مبنى للمفعول (**عن جعفر بن محمد الصادق**) صفة جعفر، وقد تقدمت ترجمته أنه (**قال: أوحى إليه بلا واسطة**)، أى كلم الله محمدا ﷺ بلا واسطة ملك أو غيره، والمراد بالوحى هنا الكلام، وإن كان أعم منه، فعلى هذا ضمير أوحى لله، والمراد

بالعبد محمد ﷺ، وهذا بيان للمذهب الشاذ.

(ونحوه)، أى مثل ما قاله جعفر نقل **(عن الواسطى)**، وقد تقدمت ترجمته، **(وإلى هذا)** القول المنقول عن جعفر والواسطى **(ذهب بعض المتكلمين أن محمدا ﷺ كلم ربه فى الإسراء)** بفتح همزة أن، وهو وما بعده بدل من هذا. **(وحكى)** ببناء المجهول **(عن الأشعرى، وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس)** رضى الله تعالى عنهم، **(وأنكره)**، أى أنكر تكليم الله له ﷺ بلا واسطة قوم **(آخرون)**، وليس المنكر النقل فقط كما توهم؛ لأن السياق يأباه.

(وذكره النقاش) السابق ذكره فى تفسيره المشهور نقلا **(عن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، فى قصة الإسراء عنه، عليه الصلاة والسلام، فى)** تفسير **(قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾** [النجم: ٨] **قال)** ﷺ: **(فارقنى جبريل)**، أى تخلف عنه فى المعراج؛ لأن له مقاما لا يتعداه، **(فانقطعت الأصوات عنى)** بعد ما فارقته وبعدت عنه، **(فسمعت كلام ربى، وهو يقول لى)** جملة حالية، أى قائلا لى: **(ليهدأ روعك يا محمد)** بلام الأمر، ويهدأ بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الهاء ودال مهملة خفيفة مفتوحة وهمزة ساكنة؛ لأنه مضارع مجزوم بلام الأمر، فإذا أبدل الفاء جاز حذفها كالمعتل الآخر، والروع بفتح الراء الخوف، والهدأ معناه السكون، والمعنى ليسكن فزعك، أى ليذهب فزعك وخوفك، ويجوز ضم الراء المهملة والروع بالضم القلب، والمراد ليقر قلبك ولا يضطرب من الخوف، ويجوز أن يراد بالمفتوح أيضًا القلب؛ لأنه محله فالروايتان بمعنى.

(ادن ادن) أمر من الدنو، وهو القرب، أى تقدم وادخل إلى حظائر القدس، وإنما قال له تشريفا له ﷺ وإعلاء لمنزلته وتأنيسا لاستيحاشه لما انقطعت عنه الأصوات، ولذا أمره باطمئنان قلبه أولاً، وكرر أمره تأكيدا أو بيانا لزيادة قربه من الله تعالى، وإن كان أقرب إليه فى كل حال لتنزهه عن المكان، وإنما هذا بالنسبة له فإخباره عنه بقوله دنا إشارة إلى امتثاله الأمر.

(وفى حديث أنس رضى الله تعالى عنه فى الإسراء) السابق ذكره **(نحو منه)**، أى ما يفيد مثله، فالحاصل فى قوله: ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ الآية أن الضمير الأول فى أوحى لجبريل، وفى عبده لله، والمراد به محمد ﷺ، وفيه إضمار قبل الذكر؛ لأنه معلوم، وضمير أوحى الثانى يجوز أن يكون لجبريل، وفيه تفخيم وتعظيم للوحى، أو لله، أى أوحى جبريل لعبد الله محمد ما أوحى الله إليه، ويجوز أن يكون الضمير فى أوحى الأول لله وعبده محمد ﷺ، أى أوحى الله إلى محمد ﷺ، ويجوز أن يكون المراد بعبده جبريل، أى أوحى الله تعالى إلى جبريل، والضمير فى أوحى الثانى لله، أى أوحى الله إلى عبده محمد ﷺ ما أوحاه

الله إليه، ففيه تفخيم للوحى أيضًا.

ويجوز أن يكون لجبريل، أى أوحى الله إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى جبريل إليه، فإيحاؤه إليه بواسطة، وعلى أن المراد بعبده جبريل، وضمير أوحى الثانى لله، والمعنى أوحى الله لعبده جبريل ما أوحى الله إليه ففيه تفخيم، وعلى أن المراد بعبده جبريل وضمير أوحى الثانى له، أى أوحى الله لعبده جبريل ما أوحى جبريل لمحمد ﷺ، أو لكل رسول؛ لأنه أمين وحيه وما مصدرية أو موصولة، والذى أوحاه أحكامه، أو أمر الصلاة أو أوحى إليه: لا يدخل نبى ولا أمة الجنة قبلك وقبل أمتك، أو هو سر فى سر كما قيل:

بين المحبين سر ليس يعرفه قول ولا قلم للخلق يحكيه

وسيأتى تفسير بقية الآية وتحقيقه.

(**وقد احتجوا فى هذا**)، أى استدلوا على أنه تعالى كلمه بلا واسطة (**بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾** [الشورى: ٥١])، ووجه الاحتجاج بينه بقوله: (**فقالوا: هى**) أقسام الكلام المثبتة فى هذه الآية على وجه يفيد نفى ما عداها؛ لأن معنى ما كان: لا يصح ولا يقع.

(**ثلاثة أقسام**) منحصرة فيها، الأول منها الكلام (**من وراء حجاب**) يحجب من خاطبه وكلمه عن رؤية ذاته لا يحجب الله فإنه يراه ولا يحجبه شىء كما مر تفصيله، فهو يسمع كلامه من غير واسطة، وهو لا يراه، والحجاب سبحات النور وما لا يعلمه إلا الله (**كتكليم موسى**)، أى كتكليمه تعالى لموسى، عليه الصلاة والسلام، فى الدنيا وموسى لا يراه، فالتشبيه فيما ذكر فإنه سمع من الشجرة كلام الله تعالى بغير واسطة ملك، وهو لا يرى ذاته تعالى.

(**و**) القسم الثانى من الوحى يكون (**إرسال الملائكة**) إلى رسل البشر ليبلغوهم كلامه تعالى ووحيه الذى أوحاه إليهم، وهذه الحالة فى الوحى (**كحال جميع الأنبياء**) عليهم الصلاة والسلام، (**وأكثر حال نبينا ﷺ**)، وموسى أيضًا فى غير ما ندر من كلامهما بغير واسطة فى الدنيا. قيل: سواء رأوا الملك أو لم يروه، فإن الوحى على أقسام كما كان يسمع كصلصلة الجرس من غير أن يراه، وفيه نظر، فإن هذا داخل فى قوله: وحيًا، وفى قوله بإرسال الملائكة إشارة إلى أنه غير مختص بجبريل لما روى أن إسرافيل، عليه الصلاة والسلام، وكل به ﷺ ثلاث سنين فى أول الأمر، وقد قسموا الوحى إلى نحو أربعين

قسما، ولكنها لا تخرج عن هذه الأقسام.

(الثالث) من أقسام الوحى وكلام الله لرسله عليهم الصلاة والسلام **(قوله: وحيا)**، أى إلقاء فى قلبه بإلهام ونحوه. قال الراغب فى مفرداته: أصل الوحى الإشارة السريعة، ولتضمنه السرعة قيل: أمر وحى، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة بعض الجوارح وبالكناية، ويقال لما يلقى لأنبيائه وحى، وهو على أضرب حسبما دل عليه قوله: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ [الشورى: ٥١] إلى آخره، فذلك إما برسول مشاهد يرى ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل للنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى صورة معينة، وإما بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله، وإما بإلقاء فى الروع كما ذكر أن روح القدس نفث فى روعى، وإما بإلهام أو منام انتهى، فالأخير هو المراد بالوحى هنا وسيشير إليه المصنف.

(ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا المشافهة)، أى الكلام من غير واسطة، وهو فى الأصل مأخوذ من الشفة، فتجوز به عن هذه المخاطبة والمكالمة **(مع المشاهدة)**، أى معاينة المخاطب لمن كلمه من غير واسطة، ولا حجاب ولا مانع من الرؤية، فيخص الله بها من شاء من خلص عباده المقربين كنبينا ﷺ، وقد استدل بهذه الآية على نفى الرؤية لحصر تكليم البشر فى الثلاثة، فإذا لم يره من يكلمه وقت الكلام لم يره غيره إجماعا، وإذا لم يره هو أصلا لم يره غيره أيضًا إذ لا قائل بالفصل.

والجواب: أنه يحتمل أن يكون المراد حصر التكليم فى الدنيا فى هذه الثلاثة أو نقول: يجوز أن تقع الرؤية حال التكليم وحيا إذ الوحى كلام بسرعة كما تقرر، وهو لا ينافى الرؤية، فلا دليل على ما ذكر أصلاً كما حققه ابن الخطيب فى رسالته المشهورة يعنى أن إعلام أحد أحدًا بأمر إما بغير مشافهة وكلام معروف، أو بمشافهته بواسطة أو بدونها، والثانى إما مع مشاهدة أو بدونها، فانحصر فى هذه الصور الأربعة، والآية استوفت الأقسام إلا ما كان مع مشاهدة الذى خص الله من أراد، وقد علمت أن ما ذكره غير متعين، ولذا قال بعضهم: إن قوله لم يبق إلا المشافهة مع المشاهدة ممنوع إلا أن سند منعه غير صحيح، ولم يعرج أحد منهم على تحرير كلامه هنا.

(وقد قيل) القائل هو الراغب وغيره كما سمعته آنفًا **(الوحى هنا)** فى هذه الآية **(هو ما يلقيه فى قلب النبى)**، أى فى قلب أى نبى كان من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلهامًا ونحوه **(دون واسطة)**، أى بغير واسطة ملك يبلغه ما أوحاه إليه، والإلهام كما قال الزركشى: ما حرك القلب بعلم يلقيه الله فيه يدعوه إلى العمل به من غير نظر واستدلال بحجة، والذى عليه الجمهور أنه خيال لا يجوز العمل به إلا عند فقد الحجة، وذهب

بعضهم إلى أنه حجة بمنزلة الوحى بقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨] ونحوه، وقال السمعانى: إنكار أصله لا يجوز انتهى.

ولا يخفى أن الخلاف فى غير إلهام الأنبياء ومن كان فى حكمهم، فإنه وحى، وعلى هذا ينبغى تقييد ما فى شرح جمع الجوامع، وقال الواحدى فى تفسيره نقلا عن الواقدى فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ﴾ [الحج: ٥٢] الآية: إن الرسول الذى أرسل إلى الخلق بإخبار جبريل عيانا وشفاها، والنبى تكون نبوته إلهامًا أو مناما، فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا، وقال النووى فى تهذيبه ما ظاهره: إن النبوة المجردة لا تكون برسالة ملك بذلك وليس كذلك، وكلام الغزالى الذى يستشهد به يرد عليه انتهى.

(وقد ذكر أبو بكر البزار) بموحدة وزاى معجمة وألف وراء نسبة لعمل بزر الكتان واستخراج زيته، وهى لغة بغدادية، وهو الإمام الحافظ الذى تقدمت ترجمته، **(عن على كرم الله وجهه فى حديث الإسراء)** الذى رواه المصنف رحمه الله تعالى بتمامه فى أول الباب **(ما هو أوضح فى سماع النبى ﷺ لكلام الله من الآية)** يعنى قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]؛ لأن الآية فيها احتمالات، وحديث على رضى الله تعالى عنه فيه التصريح بسماعه ﷺ كلام الله من وراء الحجاب، وقوله: صدق عبدى فلا يأباه كون ضمير عبده لجبريل فى قول، وأن خلافه شاذ، وكذا كون الوحى فى الآية مبهمًا وثمة معين، ولا ينافيه اختصاص نبينا ﷺ بالمشافهة مع الرؤية اختصاص موسى عليه الصلاة والسلام بالتكليم كما توهم.

(فذكر)، أى البزار أو على رضى الله تعالى عنه **(فيه فقال الملك: الله أكبر، فقيل لى من وراء الحجاب)**، أى قال الله تعالى للملك الأذان: **(صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر وقال فى سائر كلمات الأذان مثل ذلك)** إلا قوله حى على الصلاة حى على الفلاح كما مر، ولكونه معلوما لم ينبه عليه، ووجهه أن المشروع لسامع الأذان أن يقول ما يقول المؤذنون كلمة بكلمة تصديقًا له بإقراره إلا قوله: حى على الصلاة إلى آخره، فإنه يقول فيه: لا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا لا يليق به تعالى، فلذا لم يجبه.

(تنبيه) هنا أمران: **الأول**: اختلف العلماء فى صفة الأذان على أربع صفات مشهورة:

أحدها: تثنية التكبير وتربيع الشهادتين، وباقيه مثنى، وهو مذهب أهل المدينة ومالك وغيره، واختار جماعة من أصحاب مالك الترجيع، وهو أن يثنى الشهادتين أولا خفيا ثم يثنيهما مرة ثانية برفع الصوت.

والصفة الثانية: أذان المكيين، وبه قال الشافعى، رحمه الله تعالى، وهو تربيع التكبير الأول والشهادتين، وتثنية باقى الأذان.

والصفة الثالثة: أذان الكوفيين، وهو تربيع التكبير الأول وتثنية باقى الأذان، وبه قال أبو حنيفة رحمه الله تعالى.

والصفة الرابعة: أذان البصريين، وهو تربيع التكبير الأول، وتثليث الشهادتين وحى على الصلاة وحى على الفلاح يبدأ بأشهد أن لا إله إلا الله حتى يصل حى على الفلاح، ثم يعيده كذلك مرة ثانية أعنى الأربع كلمات نسقا ثم يعيد ثالثة، وبه قال الحسن البصرى وابن سيرين. كذا قال ابن رشد فى كفاية المقتصد.

الثانى: أن حديث على رضى الله تعالى عنه يقتضى أن الأذان شرع ليلة المعراج، وحديث الصحيحين المشهور أنه شرع بعد الهجرتين لما رآه بعض الصحابة فى منامه كما مر ولا يخفى ما بين الحديثين من التعارض، ولم يتعرض أحد للتوفيق بينهما، وإن اعترض ذلك بأنه كيف يثبت التشريع بمنام لغير النبى ﷺ.

وأجيب: بأنه ثبت بوحى لكنه صادف ذلك المنام، فأظهر العمل به تطمينًا لقلوبهم وجبرًا لخواطرهم، والظاهر أن يقال: إنه ثبت بحديث الإسراء إلا أنه لم يبين له زمانه، ولم يمكن إعلامه به قبل الهجرة، فأخر ذلك حتى يستقر ظهور الدين، وبهذا يتم التوفيق بينهما، **(ويجى الكلام فى)** بيان **(مشكل هذين الحديثين فى الفصل بعد هذا مع ما يشبهه، وفى أول فصل من الباب منه)**، وسنذكر ما فيه ثمة.

(وكلام الله) عز وجل **(لمحمد ﷺ ومن اختصه من أنبيائه)** اختص ورد لازمًا ومتعديًا كما هنا بمعنى خصه **(جائز غير ممتنع عقلا)**، أى ثبت جوازه وعدم امتناعه عقلاً وسمعًا كما مر، فلا يضر نزاع المعتزلة فيه كما توهم.

(ولا ورد فى الشرع قاطع يمنعه)، أى دليل قطعى يمنعه، كما لم يرد دليل قطعى بثبوته أيضًا، **(فإن صح فى ذلك)**، أى فى الكلام بلا واسطة لغير موسى، عليه الصلاة والسلام، **(خبر اعتمد عليه)** فى الجزم بوقوعه، وروى احتمل وكلاهما مبنى للمجهول كما قاله البرهان.

(وكلامه تعالى لموسى) وروى: ومكالمته لموسى عليه الصلاة والسلام **(كائن حق مقطوع به نص ذلك)** بالبناء للمجهول على الحذف والإيصال كمشترك، أى نص عليه **(فى الكتاب)** العزيز والقرآن، **(وأكده)** الله تعالى **(بالمصدر دلالة على الحقيقة)**، أى دلالة على أن الكلام فيه بمعناه الحقيقى، وإن اختلف أهل السنة فى معناه الحقيقى القديم، هل

هو الكلام اللفظى أو النفسى كما ذهب إليه الأشعرى، وتحقيقه فى كتب الأصول، وهو مبحث طويل الذيل لا يسعه هذا المقام.

وهذا رد على المعتزلة القائلين بأن الله لم يكلمه، وإنما خلق الكلام فى جسم آخر كالشجرة، فسمعه عليه الصلاة والسلام منها؛ لأنهم نفوا الكلام النفسى، وقالوا: اللفظى حادث لا يقوم بذاته، ودعوى قدمه لا تعقل عندهم، فمعنى متكلم عندهم خالق الكلام وموجده قائما بغيره، فإن قالوا: إنه حقيقة لأنه الخالق له والفاعل فباطل؛ لأن الفاعل الحقيقى فى اللغة من قام به الفعل لا من أوجده، فهذا ناشئ من عدم الفرق بين الفاعل الحقيقى اللغوى، والحقيقى فى الحقيقة ونفس الأمر، كما حققه الأبهرى فى حواشى العضد، فيلزمهم إثبات المشتق بدون ثبوت مأخذه له، فإن قالوا: هو مجاز، فالتأكيد بالمصدر فى قوله ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] يرده؛ لأن التأكيد اللفظى والمعنوى يمنع التجوز كما ذكره أهل المعانى، وهذا من قبيل الأول كما أشار إليه المصنف هكذا قرره الأصوليون، ورده ابن عبد السلام بأن التأكيد بالمصدر لمنع التجوز فى الظرف، ودفع الشك فى الحديث لا المحدث عنه والإسناد إذ التأكيد إنما هو للفعل، فالكلام وقع حقيقة ولكن ممن صدر، والتأكيد لتحقيق وقوعه فقط، وأجاب ابن عرفة بأن تأكيد المصدر وإن كان لإزالة الشك فى الحديث، فلابد من ملاحظة من صدر عنه، فهو لإزالة الشك عن حديث فلان، ولذا قال البيانيون فى قول هند زوجة روح بن زنباع تهجوه:

بكى الخز من روح وأنكر جلده وعجت عجيجًا من جذام المطارق

إنه ترشيح للمجاز.

أقول: هذا الكلام ساقط جدًا؛ فإنهم ادعوا أن تأكيد المصدر يرفع التجوز عن الإسناد، فيقتضى أن التكليم مسند لفاعله الحقيقى، والمعترض يمنعه ويقول: إنما يمنع التجوز فى الظرف وهو الكلام لا مؤكد لفعله كما صرح به، وأهل المعانى لم يتعرضوا لهذا، والبيت وارد عليهم؛ لأن العجيج مجاز وقد أكد فلا يمنع مجازًا أصلاً، وكونه ترشيحًا عليه لا له وبهذا عرفت ما يرد على المصنف.

(ورفع مكانه)، أى مكان موسى الكليم **(على ما ورد فى الحديث)** الصحيح الذى فيه مقامات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين لقيهم النبى ﷺ فى السموات حين أسرى به أنه **(فى السماء السابعة)** هذا بناء على بعض الروايات، والذى صححه الحاكم وغيره أنه ﷺ فى السماء السادسة، وجزم به ابن المنير وغيره، وما ذكره المصنف رحمه الله

موافق لما ذكره البخارى فى التوحيد، وعدل عن المشهور لأنه أنسب بمراده، فالقول بأنه غلط وأن الذى فى السماء السابعة إبراهيم، عليه الصلاة والسلام وهم من قائله. وقوله: **(بسبب كلامه)**، متعلق برفع، أى سبب رفعته، عليه الصلاة والسلام، على غيره كونه شرفه بكلامه فى الدنيا.

(ورفع محمدًا ﷺ) حين أسرى به **(فوق هذا كله)**، أى فوق هذه المقامات كلها فى حياته ﷺ بهيكله البشرى **(حتى بلغ مستوى وسمع صريف الأقلام)** تقدم شرحه، **(فكيف يستحيل)** ويمتنع عقلا **(فى حق هذا، أو يبعد)** بعد جوازه وثبوت ما يدل عليه **(سماع الكلام)** من كلام الله تعالى بغير واسطة؟.

(فسبحان) تنزيه لله وتعظيم له حمدا له على ما أنعم به لا تعجب، فإنه غير مناسب هنا **(من اختص من شاء)** من رسله وخلص عباده **(بما شاء)** من جزيل نعمه وكرمه، **(وجعل بعضهم)** راجع لمن باعتبار معناه **(فوق بعض درجات)** كنبينا ﷺ إذ فضله على جميع الأنبياء، وخصه بنعم لم يصل إليها سواه، وهذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿۞تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فالمراد ببعضهم هنا محمد ﷺ، وأبهمه تفخيمًا لشأنه وإشارة إلى تعينه كما قيل:

وأقول: بعض الناس عنك كناية   خوف الوشاة وأنت كل الناس

وإن اختلف المفسرون فى المراد به فى الآية، ولا يخفى ما فى ختم الفصل بهذه الآية من حسن المناسبة وبراعة المقطع؛ لما فيها من ذكر الكلام ورفع الدرجات المناسب لهذا المقام.

* * *

(فصل وأما ما ورد فى حديث الإسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب)

عطف تفسيرى، وهو بيان لما، وظاهر بالرفع والجر **(من قوله:** ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨]) الدنو القرب، ولذا عطف عليه عطفا تفسيريا وهو حسى ومعنوى، والتدلى الامتداد من علو إلى أسفل كما يلقى الدلو فى البئر هذا أصله ثم استعمل فى القرب من علو حسا أو معنى، فهو أخص مما قبله فلا تقديم ولا تأخير فيه أصلا، والأصل فتدلى فدنا، وليس بمعنى؛ لأن العطف بالفاء يأباه، والتأسيس خير من التأكيد، وقيل: دنا بمعنى قصد القرب منه ﷺ فتحرك من مكانه نحوه، وقيل: تدلى من الدلال كتمطى أصله تمطط، والضمير فيها لجبريل عند الجمهور، أى دنا جبريل من النبى ﷺ بعد استوائه

بالأفق الأعلى من الأرض، فتدلى عليه لأنه لما رآه بصورته هاله، فرده الله تعالى لصورته التى كان يراه عليها وقرب منه، وقيل: الضمير لله، أى دنا من نبيه ﷺ وهو مجاز عن إجابة دعائه وإعطائه ما تمناه بإشراق نور المعرفة ومشاهدة أسرار الغيب؛ لأنه منزه عن المكان كما سيأتى بيانه.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] القاب ما بين مقبض القوس وموضع ربط الوتر من طرفيه، ولكل قوس قابان، وقيل: القاب حيث الوتر من القوس، وقيل: معناه قدر، والقوس معروف، وقيل: هى هنا الذراع لأنه يقاس به، فالمعنى قدر ذراعين وروى عن ابن عباس، وعلى الأول قيل: فيه قلب، أى قابى قوس، أى بينهما مسافة مقدار قاب قوسين، أى بين النبى وجبريل؛ لأن جبريل هو الموصوف بما قبله، وهذا رواية عائشة عن النبى ﷺ، ورجح هذه الوجوه على رواية شريك أنه الله، ولهم فيها كلام كثير.

وقال الرازى: هذا على عادتهم إذا تعاقد كبيران أو تصالحا جعل كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه، ومن دونهما يضع كفه بكفه، وأو لتحقق قدر المسافة لا للشك، كقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، وقيل: للشك بالنسبة للرواى، وقيل: بمعنى بل أو الواو، وأدنى أفعل تفضيل، أى أقرب من قاب.

(فأكثر المفسرين) جواب أما **(أن الدنو والتدلى منقسم بين محمد وجبريل عليهما الصلاة والسلام)**، أى كل منهما ثبت لكل منهما لا لله، أى دنا محمد من جبريل ودنا جبريل من محمد، وتدلى كل منهما للآخر، أو المراد أن الدنو لمحمد والتدلى لجبريل، فالانقسام بمعنى توزيع الوصفين بينهما، وهذا لما رآه بصورته الأصلية، **(أو مختص بأحدهما من الآخر)**، أى مختص بمحمد ﷺ أو بجبريل، والمعنى دنى وتدلى محمد من جبريل، أو دنا وتدلى جبريل من محمد، **(أو من السدرة المنتهى)**، أى يختص الدنو والتدلى من السدرة لا من الآخر.

(قال الرازى) فخر الدين المشهور **(قال ابن عباس)** كما رواه ابن أبى حاتم عنه **(وهو)**، أى الذى دنا وتدلى فى الآية **(محمد دنا فتدلى من ربه)**، ودنوه منه كناية عن قرب منزلته، ومشاهدته من قدسه ما لم يتيسر لغيره.

(وقيل: معنى دنا قرب، وتدلى زاد فى القرب)، فهو ترق فى تقربه من ربه قربا معنويا لا حسيا.

(**وقيل: هما**)، أى دنا وتدلى (**بمعنى واحد، أى قرب**) قربا معنويا بنيله إنعامه، ولا يخفى أن العطف بالفاء غير وارد فى مثله، ولذا ضعفه وأخره، والقول بأنه للتأكيد وإفادة أنه قرب بليغ لا تساعده العبارة.

(**وحكى مكى والماوردى عن ابن عباس**)، رضى الله تعالى عنهما، فى رواية ابن جرير عنه: (**وهو**)، أى من أسند إليه الدنو (**الرب دنا من محمد ﷺ**) ليس المراد الدنو المكانى؛ لتنزه الله عنه، ولا العلم لأنه لا يختص به حتى يذكر فى مقام مدحه وتعظيمه، بل قرب المنزلة بإعلاء مقامه واطلاعه على عجائب ملكوته، (**فتدلى إليه**)، أى نزل الرب لمحمد ﷺ، فهو على حد قوله: (**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا فى الثلث الآخر**)، أى تجلى له ونظر إليه بلطفه وكرمه وتشريفه بخطابه، كما سيأتى بيانه.

فقوله: (**أى أمره وحكمه**) لم يرد به أنه فاعل تدلى كما قيل، وإنما هو ضمير الله أيضًا، وهو استعارة أو كناية عما ذكر، وإليه أشار القاضى رحمه الله تعالى بقوله المقصود من الآية تمثيل تحقيق إسماعه لما يوحى إليه بنفى البعد عنه.

(**وحكى النقاش**) فى تفسيره (**عن الحسن**) البصرى أنه (**قال: دنا**) الله (**من عبده محمد ﷺ**) دنو مرتبة وقرب معنوى، (**فتدلى**)، أى (**فقرب منه**) بعنايته واختصاصه، والأولى فزاد قربه إليه كما مر، (**فأراه ما شاء أن يريه من**) آثار (**عظمته وقدرته**) فأرى بصرية تعدت لمفعولين، أو علمية مفعولها الثالث مقدر، أى أراه عظمته وقدرته مشاهدة معاينة، والأول أظهر وأقرب.

(**قال**)، أى النقاش أو الحسن: (**وقال ابن عباس: هو مقدم ومؤخر**)، فأصله فتدلى فدنا، أى: (**فتدلى الرفرف لمحمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، ليلة المعراج**)، وهوالبساط مطلقا أو البساط الأخضر، وقيل: ما كان من الديباج، وفى الصحاح الرفرف ثياب خضر تتخذ منه المجالس وكسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منه، واحد رفرفة فهو من البسط والفرش، وفسر بالزرابى والمرافق، وقيل: الثوب العريض أو حواشيه من رف يرف تحرك، ومنه الطائر بجناحيه ويطلق على الستارة وطرف الخيمة، وفى الحديث: زرنا النبى ﷺ فرفع لنا الرفرف، فرأينا وجهه، ومنه رفرف الأولياء فى الجنة، وهو بساط إذا استقروا عليه طار بهم لأى جهة أرادوها بقدرة الله تعالى، وورد فى المعراج أنه ﷺ لما بلغ سدرة المنتهى جاءه بالرفرف جبريل، عليه الصلاة والسلام، فتناوله فطار به إلى العرش يرفعه ويخفقه، وجبريل رافع صوته بالتمجيد فهو مركب له ﷺ كالبراق، وقد فسر قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ [الرحمن: ٧٦] ببعض هذه الوجوه، وبأنه رياض الجنة، وإلى هذا أشار بقوله: (**فجلس عليه ثم رفع**)، أى رفعه الله بقدرته وهو مبنى

للمجهول، **(ودنا)** الرفرف، أو النبى ﷺ **(من ربه بالمعنى السابق)**.

(قال) ﷺ بيانا لما هو عليه بعد أن علا الرفرف: **(فارقنى جبريل وانقطعت عنى الأصوات)**، أى أصوات الملائكة عليهم الصلاة والسلام، **(فسمعت كلام ربى)** عز وجل من غير واسطة، وليس كلاما خلقه الله تعالى فى بعض الأجرام كما زعمه المعتزلة كما مر، وفيه إثبات الكلام اللفظى لله تعالى كما ذهب إليه السلف، وتبعهم الشهرستانى فى مقالته المشهورة، ومن ينكره يقول: الكلام النفسى يسمعه الله تعالى بقدرته، والمبحث بطوله مقرر فى علم الكلام.

(وعن أنس فى الصحيح)، أى مروى فى صحيح البخارى **(عرج بى جبريل)** صاعدا **(إلى سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة)** عطف بيان أو بدل، والجبار هنا بمعنى العلى الأعلى من قولهم: نخلة جبارة، أى طويلة مرتفعة. هذا هو المناسب للمقام؛ لأنه أنسب من تفسيره بالقاهر لعباده على ما أراده من أمر ونهى، وإن فسر به أيضًا، والعزة من عز يعز بالفتح اشتد، وبالكسر صار عزيزا، وهذا من حديث شريك السابق، وقد استغربه الذهبى وفيه نظر.

(فتدلى) تقدم تفسيره **(حتى كان)** رب العزة **(منه)** ﷺ **(قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إليه بما شاء، وأوحى إليه خمسين صلاة)** كما مر، **(وذكر حديث الإسراء)** بتمامه كما تقدم.

(وعن محمد بن كعب) القرظى السابق بيانه: **(هو)**، أى الموصوف بأنه دنى كما سيأتى بيانه **(محمد)** ﷺ، أى **(دنا)** محمد ﷺ **(من ربه، فكان قاب قوسين)**، أى مقدار قاب قوسين فى القرب منه، **(أو أدنى قال)**، أى محمد بن كعب: **(وقال جعفر بن محمد)**، وهو الآتى بعده أيضًا **(أدناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين، وقال جعفر بن محمد)** المذكور: **(والدنو من الله لا حد له)**، أى الدنو من جانب الله ليس دنوا مكانيا محدودا بحيز كالأجسام، بل دنو معنوى، **(ومن العباد بالحدود)** المكانية الحاضرة لهم لا الحد المنطقى المميز للماهية.

(وقال) جعفر **(أيضًا)** كمقاله السابق: **(انقطعت الكيفية عن الدنو)** من جانب الله، أى دنو من عباده ليس له كيفية مخصوصة وحالة معروفة؛ لأنه أمر معنوى غير محسوس، والكيفيات أحوال محسوسة، وسميت كيفية؛ لأنها يسئل عنها بكيف، وهذه لفظة مولدة لم تسمع من العرب ومخالفة للقياس؛ لأن كيف لا ينسب إليها ثم وضح ذلك بقوله: **(ألا ترى)** الخطاب عام لكل من وقف عليه، كقوله تعالى: **(ولو ترى إذ وقفوا على**

النار)، والرؤية نظرية أو ادعائية أو علمية، وألا بفتح الهمزة وتخفيف اللام، وما في بعض النسخ إلا بصورة الاستثناء، وأنه سمع منه بعيد.

(كيف حجب) بالبناء للفاعل، أي منع **(جبريل)** بالنصب مفعوله، ويجوز بناؤه للمجهول ورفعه **(عن دنوه)** إلى ربه، **(ودنا محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى ما)** موصولة أو موصوفة، وفي نسخة: ودنوه، مصدر منصوب على كيف، أي ألا ترى كيف إلخ وترك دنوه **(أودع قلبه)** صلة ما أوصفة له، وأودع مبني للمجهول وقلبه نائب فاعله، وفي بعض النسخ بالبناء للفاعل ونصب قلبه مفعوله كما قاله البرهان **(من المعرفة)** الإلهية، والمواهب الربانية، **(والإيمان)** مما لا طريق له إلا السمع بعد البعثة، وعليه حمل قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]، أي الإيمان بما يقتضيه العقل كوجود الباري ووحدانيته، ومعنى قوله: ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨]، أي نزل عما كان عليه قبل هذا.

(بسكون قلبه إلى ما أدناه) إلى ربه لما اطمأن قلبه، **(وزال عن قلبه الشك والارتياب)** في أنه هل يصل إلى حضرة القرب، وينال إنافته بالإكرام والإنعام، ويترقى إلى أعلى مقام فأنجح الله تعالى أمنيته، وليس المراد الشك فيما يتعلق بالله ومعرفته؛ فإنه ﷺ أقوى الناس معرفة وإيمانا، وأثبتهم جأشا وإيمانا، وأشدهم طمأنينة وسكونا، وبهذا سقط ما قيل: إنه لم يكن عنده شك لامتلاء قلبه بالمعرفة والإيمان، وتطهيره من دنس الشك ووسوسة الشيطان.

وقيل: إنه لما فارق جبريل حين اختطفه الرفرف خشي أن يكون ذلك الأخذ مؤديا إلى الهلاك، وخاف من مكر الله به، وشك فيما يئول إليه أمره، فلما خاطبه الله وقال له: ليهدأ روعك علم أن الله إنما أراد تقريبه والإنعام التام عليه، فزال شكه وانشرح صدره وثلج قلبه ببرد اليقين وحصول مراتب التمكين، وإلا فظاهره لا يليق بمقامه.

(قال القاضي أبو الفضل) عياض المؤلف، رضي الله عنه: **(اعلم أن ما وقع)** بفتح الهمزة، وتقدم معنى اعلم **(من إضافة الدنو والقرب هنا)**، أي من إسناده **(إلى الله أو من الله تعالى)**، ووصفه به فالإضافة بالمعنى اللغوي لا الاصطلاحي، وقوله: هنا، أي في هذه الآية، **(فليس بدنو مكان)** هو خبر أن المفتوحة، وزيد فيه الفاء لأن اسمها موصول، أي ليس فيه قربا محسوسا، بل معنوي، **(ولا قرب مدى)** بزنة فتى فسر بالغاية والنهاية، والظاهر أن معناه المكان الممتد، كما يقال: مدى البصر ومده، ولا عبرة بما قيل: إن الثاني خطأ فإنه ورد في الحديث كما ذكره النووي في شرح مسلم.

(بل كما ذكرناه عن جعفر بن محمد الصادق ليس بدنو حد، وإنما دنو النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، من ربه وقربه منه إبانة عظيم منزلته) الإبانة بكسر الهمزة بمعنى الإظهار، وهو مرفوع خبر دنو المبتدأ، وتقدم معنى المنزلة والرتبة وأنها العلو المعنوى. **(وتشريف رتبته)** بالجر ويجوز رفعه، **(وإشراق أنوار معرفته)**، أى إظهار آثار معرفة الله عليه، ففيه استعارة مكنية أو تشبيه إن كان من قبيل لجين الماء، **(ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته)**، أى وقوفه على ما فى عالم الملكوت لما هو مغيب عن خلقه إلا من خصه الله تعالى باطلاعه عليه.

(ومن الله تعالى له)، أى إنما دنو الله لنبيه ﷺ ونحوه بعد العلم بتنزيهه عن الحيز والقرب الحسى معناه: **(مبرة)** مفعلة بالفتح بمعنى البر، وله معان، منها القبول والإحسان، **(وتأنيس)**، أى لطف به يذهب استيحاشه لما انقطعت عنه الأصوات، وغاب أليفه وهو جبريل عليه الصلاة والسلام، **(وبسط)** أصل معناه التوسعة قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٧]، ومنه البساط ويطلق على المسرة أيضًا، وليس بمعنى مولد لأنه ورد فى الحديث «فاطمة بضعة منى يبسطنى ما يبسطها»[1] كما مر. وذكره ابن قرقول فى مطالعه، وهو المراد، أى تأنيسه بما يسره من مخاطبته بما يسره، **(وإكرام)** بتجليه وتعظيمه.

(ويتأول فيه)، أى يأول الدنو الوارد فى الحديث **(ما يتأول فى قوله: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا)** يعنى أن الدنو الواقع فى الآية كما ورد مثله فى بعض الأحاديث أن أولياء الله تعالى قريبون من الله ليس على ظاهره قربا حسيا، بل معنويا باللطف والإكرام، وقد يأول بعلم الله ببواطنهم وظواهرهم، وقدرته على التصرف فيهم، وعليه قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٥]، كما أول النزول المسند إلى الله تعالى فى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه المتفق على صحته أنه ﷺ قال: «ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول: من يدعونى فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفرله؟» بالإقبال عليهم بإنعامه وإجابة دعائهم ومغفرة ذنوبهم، وإفاضة مواهبه عليهم، وتأويله بنزول ملائكته بعيد هنا، وإن ذهب إليه بعضهم ويتأول فيهما مبنى للمجهول.

(على أحد الوجوه) فى تأويله من أن نزوله تعالى إنما هو: **(نزول إفضال)** بتفضيله وإنعامه، **(وإجمال)**، أى فعل جميل بهم على عادته، **(وقبول)** لتوبتهم واستغفارهم، **(وإحسان)** بالجود والكرم عليهم، وليس المراد أنه بتقدير مضاف من مجاز النقص، أى

(١) أخرجه البخارى (٥/٢٦، ٣٦)، والحاكم (٣/١٥٨)، والبيهقى (٧/٦٤).

ينزل إحسانه كما قيل، فهو تمثيل لسرعة إجابته وإنجاح طلبته ولزيادة لطفه واعتنائه به بمن قربه كبير له مقام عال حتى أنه قد ينزل إليه إذا سمع نداءه، فهو استعارة تمثيلية أو تبعية تصريحية.

(وقال الواسطى) المتقدم ترجمته: **(من توهم أنه)** تعالى وله المثل الأعلى **(بنفسه دنا)** دنوا حقيقيًا محسوسًا بذاته لا دنو لطف وإكرام معنوى مجازى، فقد **(جعل ثم)** بفتح المثلثة وتشديد الميم، ويقال: ثمة بتاء أيضًا، كما يكون بها مرسومة خطًا ثابتة لفظًا فى الوقف، ومعناه هناك، وأصل وضعها للإشارة إلى المكان بعيدًا أو قريبًا على اختلاف فيها، وقد يتجوز بها عن المعنى ونحوه، بتشبيهه بالمكان على أنه استعارة فيه كما هنا، فإنه إشارة للآية، والحديث المذكور فيه الدنو والنزول.

وقوله: **(مسافة)** باعتبار مدلوله، فإن جعلت الإشارة إليه على تقدير أنه على حقيقته فلا، والمسافة المفازة من السوف، وهو شم التراب والبول، ومنه قيل للمفازة مسافة؛ لأن الدليل يشم ترابها كما حققه الراغب، ولا مسافة لاستحالتها عليه تعالى، **(بل كلما دنا)** أحد من المخلوقات بزعمه **(بنفسه من الحق)**، أى الله تعالى **(تدلى)** نزل من علو إلى أسفل **(بعدا)**، أى لبعده عما قصده، فهو مفعول له أو تمييز من نسبة تدلى، **(يعنى)** الواسطى بقوله هنا تدلى: بعد، أى كلما حاول القرب نزل لساحة البعد.

(عن درك حقيقته) متعلق بمقدر يعنى بعد أو بعدا عن إدراك حقيقته وذاته قال البرهان الحلبى فى حاشيته: درك بفتح الدال والراء المهملتين، وضبطه بعضهم بإسكان الراء والأشهر هنا الفتح، ومعناه الإدراك، وأما الدرك ضد الدرج فبالفتح لاغير، وحكى فيه الوجهان وفيه نظر، **(إذ لا دنو للحق ولا بعد)** بالمعنى المكانى؛ لاستحالتهما عليه تعالى، وما ورد مما يوهمه مأول كما عرفته، وأما علم حقيقته بكنهها ففيه خلاف ليس هذا محله ولا وجه للتعرض له هنا.

(وقوله: ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩]) بالمعنى الذى مر بيانه، وهذا جواب عن سؤال ودفع لما يتوهم من أنه يقتضى قربا حقيقيا ومسافة كما أشار إليه بقوله: **(فمن جعل الضمير)** المقدر فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨] **(عائدا إلى الله تعالى لا إلى جبريل، عليه السلام، على هذا)** التأويل السابق آنفا **(كان)** الدنو المذكور **(عبارة عن نهاية القرب)**، أى معبرًا به عن غاية القرب المعنوى من عباده، **(ولطف المحل)** اللطف عبارة عن الأمور الخفية وما لايدرك بالبصر، كما فى قوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أى هو عبارة عن دنو معنوى، ومنزلة معنوية لا تحس بالأبصار.

(واتضاح المعرفة) الإلهية التى وهبها من العلم اللدنى فى حظائر قدسه لمن خصه برفعة المنزلة من خلص عباده الذين جعلهم محرم أسراره، واتضاح بالمثناة الفوقية افتعال من الوضوح، وفى بعض النسخ بالمثناة التحتية مصدر أوضحه إيضاحا.

(والإشراف على الحقيقة)، أى الاطلاع عليها، وأصله من أشرف إذا وقف على شرف، وهو المكان العالى ثم أريد به لازمه من الوقوف والاطلاع كناية أو مجازا **(من محمد ﷺ)**، أى كان الدنو بالمعنى المذكور من نبينا ﷺ **(و)** كان الدنو المعنوى **(عبارة عن إجابة الرغبة)**، أى إجابته لمأموله الذى هو غاية مطلوبه ومرغوبه، **(وقضاء المطالب)**، أى إعطاءه مطلبه الذى طلبه منه ووعده به، وفى القضاء إشارة إلى أنه كالدين لأن عدة الكريم دين، **(وإظهار التحفى)** بحاء مهملة وفاء ومثناة تحتية وهو المبالغة فى البر، **(وإنافة المنزلة)** بالنون والفاء بمعنى إعلائها ورفعها، **(والمرتبه)** عطف تفسير **(من الله له)** متعلق بما قبله إشارة إلى أنه كله فضل وموهبة منه تعالى.

(ويتأول فيه)، بالبناء للمجهول، أى يتأول القرب والدنو بتأويل مثل **(ما يتأول فى قوله)** ﷺ فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى على طريق التمثيل والاستعارة فى قوله تعالى: **(من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا، ومن أتانى يمشى)**، أى من أطاعنى وسعى فى امتثال أوامرى، والمراد أنه يمشى مشيا غير بطىء بالهوينا؛ لمقابلته بقوله: **(أتيته هرولة)**، وهى المشى والجرى بسرعة، والمراد أنى أعجل له جزائى وأوصل إليه إحسانى سريعا، وتفسيره بجزائى غير صحيح هنا.

(أى) والتأويل الذى أول به من تقرب إلى آخر وما بعده هو **(قرب بالإجابة)** لدعائه، وهو مرفوع خبر لمبتدأ مقدر، **(والقبول)** لتوبته **(وإتيان بالإحسان وتعجيل بالمأمول)** إشارة لمعنى الهرولة، وهذا بعض حديث قدسى صحيح، رواه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه، أوله: **(قال الله تعالى: الكبرياء ردائى والعظمة إزارى من نازعنى واحدا منها قذفته فى النار، ومن اقترب منى شبرا اقتربت منه ذراعا، ومن اقترب منى ذراعا اقتربت منه باعا، ومن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وأطيب، ومن جاءنى يمشى أتيته هرولة، ومن جاءنى يهرول جئته سعيا)** قالوا: معناه سرعة الإجابة والثواب لمن دعاه وأطاعه، فالتقرب تمثيل للتحبب إلى الله بالطاعة والعبادة وتفويض أموره، وأنه يضاعف ثوابه ويزيده بما هو خارج عن القياس، وليس فى قوله: **(فى ملأ خير منه)** دليل على أفضلية الملائكة، كما سيأتى إن شاء الله تعالى، وهذا تأييد لما سبق وتوضيح له، فلا يعترض عليه بأنه تكرار من غير فائدة.

* * *

(فصل فى ذكر) [تفضيله فى القيامة بخصوص الكرامة]

ما يدل على (**تفضيله**) ﷺ (**فى القيامة بخصوص الكرامة**)، أى بما خصه الله يوم القيامة وفضله به على سائر الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام، وذكر ما يدل على ما عقد له بحديث أسنده المصنف من طريق الترمذى فقال: (**حدثنا القاضى أبو على**) الشهيد المعروف بابن سكرة، وقد تقدمت ترجمته قال: (**حدثنا أبو الفضل**) ابن خيرون السابق ترجمته أيضًا، (**وأبو الحسين**) بالتصغير وهو المبارك بن عبد الجبار، هكذا هو فى أكثر النسخ الصحيحة، وفى بعضها أبو الحسن مكبرا، والصواب الأول كما ذكره البرهان الحافظ، فالحسن ليس بالحسن هنا، وهذا الحديث تقدم فى أول الكتاب مسندا إلى الترمذى بهذا السند.

(**قالا: حدثنا أبو يعلى**)، بفتح أوله، وهو أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر، المعروف بابن زوج الحرة، كما تقدم فى ترجمته، قال: (**حدثنا السنجى**) أبو على الحسن ابن محمد بن أحمد بن شعبة السابق ذكره وضبطه. قال: (**حدثنا ابن محبوب**) أبو العباس المحبوبى راوى جامع الترمذى عنه قال: (**حدثنا الترمذى قال: حدثنا الحسين بن يزيد الكوفى**) المعروف بابن الطحان، أخرج له أبو داود والترمذى، وقال أبو حاتم: إنه لين توفى سنة أربع وأربعين ومائتين، وترجمته فى الميزان قال: (**حدثنا عبد السلام بن حرب**) النهدى، روى عنه أصحاب الكتب الستة، وترجمته فى الميزان، (**عن ليث**) بن أبى سليم بالتصغير القرشى الكوفى العابد الزاهد، وفيه ضعف يسير لسوء حفظه، توفى سنة ثمان وثلاثين ومائة.

(**عن الربيع بن أنس، عن أنس، رضى الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا**)، أى خرجوا من قبورهم إلى المحشر؛ لأنه ﷺ رأسهم وقائدهم، فيبعث قبل موسى وسائر الرسل كما سيأتى، وهذا الحديث انفرد به الترمذى وقال: إنه حسن غريب.

(**وأنا خطيبهم إذا وفدوا**)، أى قدموا على الله وقاموا بين يديه للحساب، وأصل الوفد الجماعة تقدم إلى من لهم فيه رجاء، وعنده قضاء أمورهم وعطاياهم، ولما كان ﷺ وهو الشفيع المشفع فى المحشر المأذون له فى التكلم وفصل القضاء كان ثمة كالخطيب فى المجمع على عادتهم إذ كان لكل وفد خطيب غالبا، وهذا أنسب هنا من قوله: إمامهم لا لأنه لا تكليف ثمة كما يوهم، وفيه دليل على أفضليته ﷺ، وأنه لم يدهش لهول المحشر.

(**وأنا مبشرهم**) بالخلاص من المحشر وطول موقفه (**إذا أيسوا**) من النجاة من شدة

ذلك اليوم وهوله إذا أزفت الآزفة وبلغت القلوب الحناجر، والإياس بتقديم الهمزة القنوط من رحمة الله، وروى يئسوا بتقديم الياء على الهمزة، وهما لغتان وروايتان، **(لواء الحمد بيدى)** يوم القيامة ليعرفه ﷺ ويتبعه كل من فى الموقف واللواء معروف، وهو لواء حقيقى سمى لواء الحمد؛ لأنه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره، أو لحمد الناس كلهم له، ويجوز أن يكون كناية عن شهرته وتقدمه، كقوله(١):

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

فهو إشارة لتقدمه ﷺ وعظمته وكثرة حمده وأمته الحمادون، وهو أحمد ومحمد وتقدم الكلام عليه، واللواء والعلم والراية والبند متقاربة معنى، لكن اللواء أكبرها، وروى الطبرى أن لواء الحمد يحمله على، كرم الله وجهه، بين يديه ﷺ، ولعل الاختلاف باعتبار مواطن الحمد، فلا مخافة بينهما.

(أنا اكرم ولد آدم على ربى)، أى أشرفهم ذاتا وصفة وأقربهم منزلة، والكرم صفة تجمع كل خير وإن اختص عرفا بالسخاء، وهذا تحدث بنعم الله تعالى وإظهار لما يجب اعتقاده، وفى نسخة: على ربه، والضمير لأكرم وآدم، والرواية الصحيحة الأولى، والولد صفة مشبهة بمعنى المولود يطلق على الواحد وغيره كما مر، **(ولا فخر)** جملة حالية مؤكدة، أى أنا لا أذكره للفخر، بل للتحدث بنعم الله، أو لا أفخر بهذا إذ لى عند الله ما هو أعظم وأشرف من هذا مع أنى لم أنله بسعى واجتهاد منى، وخبر لا محذوف، أى فيه أو عندى ونحوه، والفخر الافتخار والتبجح بالأمر بأن يذكره ليظهر علوه على غيره.

(وفى رواية ابن زحر عن الربيع بن أنس فى لفظ هذا الحديث)، وزحر بفتح الزاى المعجمة وسكون الحاء ثم راء مهملتين، وهو عبد الله بن زحر الأفريقى العابد، وأصل معنى الزحر الصوت والأنين، ومنه الزحير للمرض المعروف فى الأمعاء، والعامة تغلط فيه وتقول: زحيل باللام، وروى عنه أصحاب السنن، وله ترجمة فى الميزان، وأخرج له البخارى فى الأدب، وفى روايته زيادة ومغايرة فى اللفظ على الرواية السابقة، وهى ظاهرة، وفى الأصل بخطه وفى رواية ابن زحر والربيع بن أنس، وفى رواية العزفى عنه عن الربيع عن أنس، وعلى كلا الوجهين المروى عنه أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه كما قاله التلمسانى.

---

(١) البيت من الوافر، وهو للشماخ فى ديوانه (ص٣٣٦)، لسان العرب (٥٩٣/١) (عرب)، (٤٦١/١٣) (يمن)، تهذيب اللغة (٢٢١/٨ - ٥٢٣/١٥)، جمهرة اللغة (ص٣١٩/ ٩٩٤)، تاج العروس (٣٥٢/٣)، مقاييس اللغة (١٥٨/٦).

(أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا) كما تقدم، **(وأنا قائدهم إذا وفدوا)** القائد فى الأصل الذى يقود الدابة بزمام ونحوه، ثم صار حقيقة فى الرئيس الذى يتبعه الناس ويرتضونه وفى أمر الجيوش، وجمعه قادة، وتقدم معنى الوفد وأن المراد به القادمون للمحشر، فالمراد أنه ﷺ مقدم ثمة حسا ومعنى.

(وأنا خطيبهم إذا أنصتوا)، أى أنا المتكلم بين يدى ربى فى أمرهم والشفاعة لهم، وقد سكتوا و لم يطيقوا نطقا لحيرتهم، والإنصات والسكوت بمعنى.

(وأنا شفيعهم إذا حبسوا) فى الموقف واضطربوا وفزعوا للأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، فقال كل منهم: نفسى نفسى، فيشفع لهم ﷺ الشفاعة العظمى فى فصل القضاء.

(وأنا مبشرهم) بالخلاص من هول الموقف والحبس فيه **(إذا أبلسوا)** انقطعت حجتهم وتحيرو أو سكتوا ليأسهم من النجاة، وقيل: الإبلاس الحيرة والندم ومنه إبليس، **(لواء الكرم بيدى)** قريب مما مر لفظا ومعنى.

(وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر، ويطوف على ألف خادم) فى الجنة من الحور العين **(كأنهم لؤلؤ مكنون)** رواه الترمذى وصححه، ومكنون بمعنى محفوظ مستور لم تمسسه الأيدى، فهو كناية عن كونها بكرا ذات بهاء بحيث لم يرمثلها.

(وعن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه) فى حديث رواه الترمذى وصححه: **(وأكسى حلة من حلل الجنة)** أصل معنى الحلة ثوبان من برود اليمن واحدا فوق واحد، ثم أطلق على كل لباس فاخر يعطى رعاية للابسه، ففيه دلالة على قربه ﷺ وكرامته إذ كسى وجميع الناس عراة وحفاة.

(ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى) ذلك فى محل نصب على الظرفية، وفى مقامه ﷺ فى جانب اليمين فى مقام لم يقم فيه نبى مرسل ولا ملك مقرب من التكريم الدال على غاية القرب، وسماع كلامه،وقبول رجائه بما يليق بمقامه الشريف، والخلائق جمع خليقة، وهو اسم جمع بمعنى جماعات من المخلوقين.

(وعن أبى سعيد) الخدرى فى حديث رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه **(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة)** ظرف متعلق بسيد، وتقييده به ليس للتخصيص كما سيأتى، بل لأنها سيادة مسلمة له ﷺ، وهى أشرف من سيادة الدنيا، ومر أن الصحيح أن السيد يجوز إطلاقه على الله وعلى غيره، والخلاف فيه مشهور على ثلاثة أقوال مشهورة، **(وبيدى لوء الحمد ولا فخر)** تقدم معناه، **(وما نبى يومئذ آدم فمن سواه)** بدل من نبى، أى جميع

الأنبياء **(إلا تحت لوائى)**، أى تابع لى فى القيامة، وليس المراد أنه تحته حقيقة، وعطف فمن بالفاء لأنهم بعده من غير فاصلة، والمراد الترتيب الرتبى أو الحقيقى، **(وأنا أول من تنشق عنه الأرض)** يوم تبعثر القبور، وتنشق بقدرة الله تعالى، وفيه إكرام له ﷺ **(ولا فخر)** تقدم معناه.

(وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه) فى حديث صحيح رواه مسلم **(عنه، صلى الله تعالى عليه وسلم: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة)**، أى أنا أشرفهم وأقربهم عند الله فى يوم لا يسود فيه غيرى كما مر، **(وأول من ينشق عنه القبر)**، أى قبره الشريف، **(وأول شافع)** يشفع للناس فى الموقف، **(وأول مشفع)** بفتح الفاء المشددة، أى أول من يؤذن له فى الشفاعة وتقبل شفاعته، وتفصيله ما فى حديث البخارى «يحبس المؤمنون يوم القيامة، فيقولون له، صلى الله تعالىعليه وسلم: استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فأستأذن على ربى فيؤذن لى، فإذا رأيته وقعت ساجدًا فيدعنى ما شاء أن يدعنى، فيقول: ارفع رأسك محمد وقل تسمع واشفع تشفع».

(وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) فى حديث رواه الترمذى والدارمى: **(أنا حامل لوء الحمد يوم القيامة ولا فخر)** كما مر، **(وأنا أول شافع)** فى إزالة هول الموقف، **(وأول مشفع)** تسمع شفاعته وتقبل، **(ولا فخر)** لى فخر تكبر وتبجح فيما خصنى الله به.

(وأنا أول من يحرك حلق) باب **(الجنة)** ليفتح لى ولمن يدخلها بعدى، وحلق بفتح الحاء المهملة واللام، ويجوز كسر الحاء فيكون بزنة ندر جمع حلقة بسكون اللام وقد تفتح وتكسر، وفى القاموس ليس فى الكلام حلقة محركة إلا جمع حالق أو هى لغة ضعيفة، والمراد بباب الجنة باب مخصوص به ﷺ يسمى باب محمد وباب الرحمة، ولها أبواب غيره، وقيل: المراد جميع أبوابها وأنه الظاهر، والظاهر خلافه، **(فيفتح لى)** بابها، **(فأدخلها)**، وفى رواية وأدخلها بالواو.

(و) يدخلها **(معى فقراء المؤمنين، ولا فخر)** ويفتح بالتحتية والبناء للمجهول، والفاتح خزنتها، أو الفوقية والضمير للجنة والفاء للتعقيب من غير مهلة فى الفتح والدخول، والمراد بالفقراء الصابرين وهو شامل للمساكين، والفرق بينهما مشهور، والخلاف معروف، وفى هذا دليل على أن الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر، وقيل: الغنى الشاكر أفضل والأول أصح، ولذا اختار الفقر كثير من الأنبياء والأولياء، وأنفق أبو بكر، رضى الله تعالى عنه، ماله فى سبيل الله ليدخل فى سلكهم، والمحمود منه ما كان مع غنى القلب والنفس، فإن الغنى ليس بكثرة العرض وإنما هو غنى النفس، وهو كما

قيل:

غنى النفس ما يكفيك عن سد حاجة فإن زاد شيئًا عاد ذاك الغنى فقرا

وفقر النفس ولو مع المال مذموم، ولذا استعاذ النبى ﷺ منه، وكونه ﷺ أول من يدخل الجنة لا ينافى ما ورد فى حديث الترمذى من أنه ﷺ دعا بلالا رضى الله تعالى عنه وقال له: يا بلال بم سبقتنى إلى الجنة؟ فما دخلتها قط إلا سمعت خشخشتك. وفى رواية: «سمعت دق نعليك بين يدى فى الجنة»(١)، فإنه كان فى رؤياه لا فى هذا الدخول، أو هو كما قال ابن القيم: كان دخوله دخول الخادم والحاجب الذى يتقدم سيده، والمطرق فى طريق سيده، وهو بيان لفضيلة الأذان، وإنما سأله ﷺ وإن كان أعلم به تطييبًا لنفسه، والمراد بقوله: معى ليس المساواة بل التبعية، فلا يقال: لا حاجة لقوله: معى، فى الجملة وهى حالة تقتضى المقارنة.

(وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر) المراد أنه ﷺ أشرف من جميع الخلق، **(وأنا أكثر الناس)**، أى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكذا روى أيضًا **(تبعا)** جمع تابع كخدم جمع خادم. يعنى أن أمته ﷺ أكثر من سائر الأمم، ويقتضى هذا أكثرية أجره عليهم، ويأتى التصريح به وأفضليته على كل واحد منهم وعلى جميعهم أيضًا كما قررناه فى محله.

(وعن أنس رضى الله تعالى عنه) كما رواه الشيخان: **(أنا سيد الناس)** وأجلهم وأعظمهم **(يوم القيامة)** خصه مع أنه ﷺ سيدهم فى الدنيا والآخرة لظهوره ثمة، واختصاصه به ظاهرا من غير منازع ومنكر كما وقع فى الدنيا من المشركين، وسيأتى تفصيله فى كلام المصنف رحمه الله تعالى، **(وتدرون لم ذلك؟)** فيه استفهام مقدر، أى أتدرون ما سبب هذه السيادة، وحذف الاستفهام لقرينة جائز كما صرحوا به، **(يجمع الله الأولين والآخرين)** فى المحشر، **(وذكر حديث الشفاعة)**، أى ذكر أنس، رضى الله عنه، هذا الحديث المذكور فيه الشفاعة بتمامه، و لم يذكره هنا لأنه سيأتى فى الشفاعة، وأنه إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم فى بعض، فيأتون آدم عليه الصلاة والسلام ليشفع لهم، فيقول: لست لها إلى أن قال: فأقول أنا لها إلخ.

(وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: أطمع)، أى أرجو من الله تعالى طمعا ورجاء حققه له كقوله: ﴿**وَالَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ**

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٣٥٤، ٣٦٠)، والترمذى (٣٦٨٩)، وابن خزيمة (١٢٠٩)، والحاكم (١/٣١٣).

﴿ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]، وتعبيره ﷺ بالطمع هضما لنفسه (**أن أكون أعظم الأنبياء أجرا يوم القيامة**)؛ لأن أمته ﷺ أكثر الأمم، وأجر أعمالهم له مثله، لأن من سن سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، وأعمالهم مضاعفة، وله ﷺ مثلها ومثل أضعافها، وهو أعظمهم مشقة لعموم دعوته، وكثرة من عتا وعاند من الكفرة مع تحمله وصبره، حتى قيل له ﷺ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ [الشعراء: ٣].

(**وفى حديث آخر: أما ترضون**) معاشر المسلمين (**أن يكون إبراهيم**) الخليل عليه الصلاة والسلام (**وعيسى**) عليه الصلاة والسلام (**كلمة الله فيكم**)، أى محسوبان من جملتكم ومحشوران معكم (**يوم القيامة**)، فيعدان من أمتى، وخصهما بالذكر لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أشرف الأنبياء بعد محمد ﷺ ، وهو أبو الأنبياء، وأبو إسماعيل عليهما الصلاة والسلام الذى كانت العرب تزعم أنهم على ملته، ولأن عيسى يبعث آخر الزمان على دين محمد ﷺ، ويغير أحكام النصرانية، وأما أداة استفتاح كألا، أو مركبة من همزة الاستفهام، وما النافية، والمعنى واحد.

(**ثم قال**) ﷺ: (**إنهما فى أمتى يوم القيامة**)، أى يعدان منهم (**أما إبراهيم فيقول**) له ﷺ: (**أنت دعوتى وذريتى**) أما دعوته فقوله: (﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩] إلخ)، فجعل عين الدعوة مبالغة، أى أنت ممن جعله الله منهم بإجابة دعوتى، والذرية النسل، والولد يطلق على الواحد وغيره، ولا شبهة فى أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، من نسل ولده إسماعيل، عليه الصلاة والسلام، ولم يبعث فيهم نبى سواه، فهو المجاب دعوته، (**وأما عيسى**)، أى كونه تابعا له ﷺ، وفى جملة أمته يوم القيامة.

(**فالأنبياء كلهم إخوة**)، أى كالإخوة فى اتحاد أمورهم مع الله تعالى ومع الخلق، والإخوة إما لأب وأم ويقال لهم بنو الأعيان، أو لأب فقط وهم بنو العلات، أو لأم وهم بنو الأخياف، فلذا قال: (**بنو علات**) المراد بالعلات الزوجات الضرائر، وهو من العلل وهو الشرب مرة بعد مرة، والشرب الأول يسمى نهلا فكأن الزوجات موراد للزوج، أو كأن الأولاد مشاربهم مختلفه فى الرضاع، وهذا أقرب، وإلى هذا أشار بقوله:

(**أمهاتهم شتى**)، وأمهات جمع أم وأصلها أمهة؛ ولذا جمع على أمهات وصغر على أميهة، وقيل: إنه فى الأصل مضاعف لقولهم: أمات وأميمة، وقيل: أكثر ما يقال أمات فى البهائم ونحوها، وأمهات فى الإنسان، وهو يطلق على الأم القريبة والبعيدة، وشتى من الشتات وهو التفرق جمع شتيت كمرضى ومريض، أى مختلفة فى الذوات والنسب،

فشبه الدين والعقيدة الحقة التى هى سبب لبقائهم بالأب الواحد؛ لاتحاد اعتقادهم ومعرفة ربهم على طريقة الاستعارة، وأثبت لهم الأخوة تخييلاً، وكونه بنو علات ترشيح وليست الاستعارة تحقيقية كما توهم، وشبه فروع الشرائع والأحكام بالأمهات فى حفظهم وتعيشهم، فهو استعارة مستقلة تحقيقية أو ترشيح بناء على جواز التجوز فيه، والحاصل أنهم، صلى الله تعالى عليهم وسلم، بعثوا متفقين فى أصول التوحيد مختلفين فى فروع الشرائع. وقيل: أراد أنهم فى أزمان متباينة، والأول أولى.

(وإن عيسى أخى) بكسر همزة إن وأقيم الظاهر فيه مقام الضمير، والأخوة بمعنى المشابهة فى الرسالة والصفات الحميدة، **(ليس بينى وبينه نبى)**؛ لأنه لم يبعث فى الفترة التى كانت بينهما أحد من الأنبياء.

(و) لما بينهما من المناسبة والقرب زمانا ومعنى كان **(أولى الناس به)**، وهو أفعل تفضيل من الولاء والتوالى، وهو عدم الفاصل بين الشيئين، ثم صار عبارة عن القرب، فيقال: أولى بمعنى أحق وأقرب من حيث المكان أو الزمان أو النسب أو الدين كما ذكره الراغب، وهو المراد هنا، وهذا من حديث رواه البخارى ومسلم، وهو «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الأولى والآخرة الأنبياء بنوعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وليس بيننا نبى»[1]، وهو حديث صحيح روى من طرق، فعلم أن ما ذكره الراغب والزمخشرى وابن عربى فى فصوصه من أنه كان بينهما نبى اسمه خالد بن سنان كان هو وقومه بعدن، فخرجت نار عظيمة من مغارة أهلكت الزرع والضرع، فالتجأ قومه إليه فأخذ خالد يضرب تلك النار بعصاه حتى رجعت هاربة إلى المغارة التى خرجت منها، فقال لقومه: أنا أدخل خلفها المغارة حتى أطفئها، وأمرهم أن لا يدعوه ثلاثه أيام تامة، فإنهم إن نادوه قبلها يخرج ويموت، وإن صبروا خرج إليهم سالما فلم يصبروا ونادوه فى اليوم الثانى، فخرج وقال لهم: أضعتمونى وأضعتم أمرى وأمرهم أن يدفنوه أربعين يوما يصبرون فيها، فإذا تمت أتاهم قطيع غنم يقدمه حمار مقطوع الذنب، فإذا حاذى قبره نبشوه فيقوم ويخبرهم بأحوال البرزخ وما عاينه يقينا، فلما تم الميعاد كما قال هم مؤمنو قومه أن ينبشوا قبره، فأبى أولاده خوف العار وأن يقال لهم: أولاد المنبوش، فمنعتهم الحمية الجاهلية على أن ضيعوه، فلما بعث رسول الله ﷺ جاءته ابنته فقال لها: مرحبا بابنة نبى أضاعه قومه غير صحيح.

وما قيل من أن مراد نفى نبى مشرع مبلغ للأحكام يأباه لفظ الحديث؛ فإن النبى

---

(١) أخرجه البخارى (٤/٢٠٣)، ومسلم فى الفضائل (١٤٣، ١٤٤)، وأبو داود (٤٦٧٥)، وأحمد (٢/٣١٩، ٤٣٧)، والحاكم (٢/٥٩٢).

أعم، ولو كان كما ذكر لقال: إنه رسول وأحسن منه أن يقال: إنه كان مستعدًا للنبوة ولم يرزق ذلك، وكذا ما نقل أنه كان بينه وبينه غيره كلقمان وسفيان، فإن مثله لا يعارض حديث الصحيحين كما ذكره الحافظ ابن حجر والبرهان وغيرهما.

واعلم أنه ﷺ إنما خص هذين بالذكر؛ لأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أبو الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإسماعيل كان على شريعته، والعرب يزعمون أنهم على ملته، وعيسى عليه الصلاة والسلام قريب العهد، وسيصير من أمته حقيقة، وهذا لا ينافى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣] كما توهم؛ لأن المأمور به اتباعه فى التوحيد والعقائد دون غيرها من الأحكام، وليس المراد تقليده بل مراده أنه موافق له فتأمل.

(وقوله) ﷺ فى الأحاديث السابقة: **(أنا سيد الناس يوم القيامة)** جواب عن سؤال مقدر، وهو لم خص سيادته ﷺ بذلك اليوم، وهى غير مخصوصة به، **(وهو سيدهم فى الدنيا ويوم القيامة)**، بل سيد جميع المخلوقات، والجملة حالية **(ولكن أشار)** عليه الصلاةوالسلام بقوله هذا كما تقدم؛ **(لانفراده)** عن غيره **(فيه بالسؤدد والشفاعة)** العظمى الدال على عظمة قدره عند الله **(دون غيره)** من الرسل والملائكة المقربين، والسؤدد بضم السين المهملة وفتح الدال الأولى وقد تضم وتهمز الواو لضم ما قبلها وهى لغة طىء بمعنى السيادة، وسيد وزنه فيعل أو فعيل ودلالة الثانية للإلحاق **(إذ لجأ الناس إليه)**، أى التجئوا واستندوا للتوسل به ﷺ **(فى ذلك)** الوقت، أو ذلك الأمر، وهو تعليل لما قبله، **(فلم يجدوا سواه)** ﷺ يشفع لهم، ويخلصهم مما هم فيه من الكرب الذى لا يطيق غيره دفعه.

(والسيد) معناه لغة **(هو الذى يلجأ الناس إليه فى حوائجهم)**، أى يعتمدون عليه إذا قصدوه لقضاء مصالحهم، فلذا وقع هنا موقعه إذ المعنى أنا من يقضى حوائج جمع الناس فى الموقف، ومن هذا ظهر للتخصيص وجه آخر إلا أن هذا تفسير له بلازم معناه؛ لأن معناه من يتبعه جماعة قومه وسواده، والحوائج جمع حاجة على خلاف القياس، أو مفرده حائجة مقدر أو نادر، وقد ورد فى الأحاديث وكلام العرب كثيرًا فصيحًا فلا وجه لمن أنكره كالحريرى، وقد شنع عليه ابن برى وأنشد له شواهد كثيرة وقد كان ﷺ يحب قضاء الحاجة، وهو دأبه فى الدنيا والآخرة ولله در الصرصرى فى قوله:

ألا يا رسول الإله الذى ... هدانا به الله فى كل تيه
سمعت حديثا من المسندات ... يسر فؤاد النبيل النبيه
وأنك قد قلت فيه: اطلبوا ... الحوائج عند حسان الوجوه

ولم أر أحسن من وجهك الكريم فجد لى بما أرتجيه

(فكان) ﷺ **(حينئذ)**، أى وقت التجائهم إليه **(سيدا منفردا من)** سائر **(البشر)**، أى منفردا عن جميع الناس حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه السيادة **(لم يزاحمه أحد فى ذلك)**، أى لم يشاركه أحد فى كونه ملجأ للناس، وأصل معنى المزاحمة المدافعة، **(ولا ادعاه)** لانكشاف الأمر يوم القيامة حتى لا يمكن أحد أن يدعى ما ليس فيه، **(كما قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾** [غافر: ١٦]) يعنى أنه تعالى يقول يوم القيامة: لمن الملك فى هذا اليوم؟ أو ينادى به مناد على رءوس الأشهاد، فلا يجيبه أحد، فيجيب نفسه بقوله: **(لله الواحد القهار)**، أى الملك مخصوص به، أو يقول أهل الموقف يعنى أن قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم اليوم»، كقوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾، ووجه الشبه أنه خص الملك بذلك اليوم كما خص رسوله ﷺ سيادته به.

(والملك له تعالى فى الدنيا والآخرة، لكن) إنما خصصه بملك هذا؛ الآية **(فى الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك فى الدنيا)** متعلق بالمدعين أن ملوك الدنيا لما تصرفوا فيها تصرف الملاك بتقديره تعالى ذلك لهم وتفضله عليهم، ظنوا أن لهم ملكا حقيقة، فلما قهرهم بالموت وكشف الغطاء ظهر أنهم عبيد عاجزون ليس لهم من الأمر شىء، فانقطعت الدعاوى.

(وكذلك)، أى مثل كونه تعالى منفردا بالملك وظهوره حين انقطعت الدعاوى، وتفرده ﷺ حتى **(لجأ إلى محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، جميع الناس فى الشفاعة)** العظمى المعهودة، **(فكان سيدهم فى الأخرى)**، أى الآخرة؛ لأنه يقال لها: أخرى وآخرة، وفى نسخة: فى الآخرة **(دون دعوى)** من أحد من أهل الموقف أنه سيد لعدم المنازع والمدافع.

(وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم) فى حديث صحيح رواه مسلم: **(آتى)** بمد الهمزة **(باب الجنة يوم القيامة فأستفتح)**، أى أطلب الفتح بتحريك الحلقة، **(فيقول الخازن)**، أى بواب الجنة الموكل بها، والمراد به رضوان رئيس خزنتها؛ لأنه ورد التصريح بأن لها خزنة: **(من أنت؟ فأقول:)** أنا **(محمد فيقول: بك أمرت)**، أى بسببك أمرت بالفتح إذا قرع الباب، وتقديم الجار والمجرور للحصر بالنسبة لأول الفتح، كما أشار إليه بقوله: **(أن لا أفتح لأحد قبلك)**، والجملة مستأنفة لبيان ما أمر به، وقيل: إنه بدل مما قبله، أى أمرت بأن لا أفتح لأحد قبلك، وإنما فتح له قبل كل أحد لسبق روحه ﷺ للنبوة، وسبق ذرته فى الإجابة على سائر الذرات، وفيه إشارة إلى أنه ﷺ أكثر الناس عملا واعتقادا، وأفضلهم لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ

أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢].

(وعن عبد الله بن عمرو) بن العاص حديث رواه الشيخان قال:(**قال رسول الله ﷺ: حوضى مسيرة شهر)**، أى مسافة كل جانب منه مقدار شهر، والحوض مجمع الماء وهو معروف، وهذا الحوض العظيم مخصوص به ﷺ كما صرح به القرطبى فى شرح مسلم، وورد فى حديث مرفوع رواه الترمذى «إن لكل نبى حوضا ترده أمته»(١)، وروى أنه ﷺ له حوضان أحدهما فى أرض الموقف، والآخر بعد الصراط له ميزابان من الكوثر.

وقوله: **(وزواياه سواء)** يدل على أنه مربع، **(وماؤه أبيض من الورق)** وبفتح الواو وفتح الراء المهملة وكسرها وسكونها الفضة مطلقا، أو ما ضرب منها، وفى نسخة: من اللبن، وأبيض أفعل تفضيل من البياض ضد السواد، وقد سمع من العرب وورد فى الحديث إلا أن صاحب القاموس قال: إنه شاذ، وعلى الأول فلا وجه لإطلاق بعض النحاة أنه لا يبنى أفعل من الألوان ومن العيوب، وإنما يقال أشد بياضا وأبلغ ونحوه.

(وريحه أطيب من المسك) الريح كالرائحة ما يشم ويطلق على الهواء وهو الأشهر، ويجوز إرادته أيضًا؛ لأن الهواء إذا تكيف بكيفية طيبة كان طيبا أيضًا، **(وكيزانه كنجوم السماء)** كثرة وإشراقا، وكونها أكثر من النجوم حقيقة لا مانع منه؛ لقوله ﷺ فى الحديث: «والذى نفسى بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء»(٢)؛ لتأكيده بالقسم وقيل: المراد المبالغة، والكيزان جمع كوز وهو إناء صغير يتناول به الماء للشرب، والأصل أنه إناء ضيق الفم له عروة، فإن لم يكن له عروة فهو كوب وجمعه أكواب كما تقدم، فإن كان فيه شراب فهو كأس.

(من شرب منه شربة لم يظمأ أبدًا)، أى لم يعطش بعده أبدا، وروى لن يظمأ ولا يظمأ ولا كلام فيه، وأما هذه الرواية فاستشكلت بأن لم لنفى الماضى، والمراد هنا نفى الظمأ فى المستقبل بدليل قوله: أبدا المفيدة لاستغراق المستقبل وأجيب بأن المراد نفى الماضى كأنه لم يذق ظمأ فى الماضى لشدة اللذة التى أنسته ما قبلها، وأما أبدا فإنها تكون لما مضى أيضًا كما فى التسهيل.

أقول: هذا تعسف فالحق أنها لنفى المستقبل بقرينة قوله أبدًا، وهى ترد كذلك إذا قرنت بالشرط نحو إن لم تحسن لى غدا كان كذا، وهو كثير فى كلامهم، ومن هنا

---

(١) أخرجه الترمذى (٢٤٤٣)، وابن عاصم فى السنة (٣٤٢/٢)، والطبرانى فى الكبير (٢٥٧/٧).
(٢) أخرجه مسلم فى الفضائل (٣٦)، والترمذى (٢٤٤٥)، وأحمد (١٤٩/٥)، وابن أبى شيبة (٤٤٢/١١).

شرطية أو فى معناها فهذا سهو من قائله، ويظمأ مهموز ساكن الهمزة ويجوز إبدالها ألفا. وقيل: إن لذة المشروب إنما تكون بالاشتهاء، وهو إنما يكون لمن عطش، وأهل الجنة منعمون فى المأكل والمشرب. وأجيب بأن المراد أنه لا يشتد عطشه وليس بشىء؛ لأنه قد يشرب بدون عطش للتلذذ كما يشاهد فى خمور الدنيا. وروى: من يشرب، بالرفع على أن من موصولة ومجزوما على أنها شرطية كما تقرر.

(وعن أبى ذر رضى الله تعالى عنه) جندب بن جنادة **(نحوه)**، أى روى عنه ما هو بمعناه، أو قريب منه، وإن لم يكن مثله، **(وقال)** زيادة على ما مر فى روايته، **(طوله ما بين عمان إلى أيلة)**، أى طول الحوض كطول ما بين هاتين البلدين ، وعمان بضم العين وفتح الميم المخففة وبفتح العين وتشديد الميم، وهو المروى فى حديث الحوض قرية بالشام، وحكى فيه التخفيف أيضًا، وهو المراد، والتى باليمن بالضم والتخفيف لا غير، وقيل: إنها المرادة هنا لرواية ما بين بصرى وصنعاء، والمراد زيادة الطول فلا تتعارض الروايات، وأيلة بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية ولام وهاء بلدة بالشام بساحل البحر بين طيبة ودمشق، وقيل غير ذلك، وهى سميت بعمان بن لوط لأنه سكنها وقيل: بعمان بن سنان من ولد إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

(يشخب فيه ميزابان من الجنة) بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الشين وضم الخاء المعجمتين وفتحها وموحدة، ومعناه أنه ينصب مع صوت، وروى: يغت بغين معجمة مضمومة ومثناة فوقية ومعناه يتوالى صبه، وروى ابن ماهان: يثعب بمثلثة وعين مهملة وموحدة ومعناه يتفجر ماؤه، وأصل الشخب ما يخرج من الضرع عند الحلب،والميزاب بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل ياء مسيل الماء.

(وعن ثوبان مثله)، أى مثل حديث أبى ذر، **(وقال)**، أى ثوبان عن رسول الله ﷺ: **(أحدهما)**، أى أحد الميزابين **(من ذهب، والآخر من ورق)**، أى فضة.

(وفى رواية حارثة بن وهب) الخزاعى الصحابىالمعروف رضى الله عنه، وأخرج له أصحاب الكتب الستة **(كما بين المدينة وصنعاء، وقال أنس: أيلة وصنعاء)** هى بصاد وعين مهملتين مدينة باليمن، والنسبة إليها صنعانى علىخلاف القياس، وبينها وبين المدينة مسيرة شهر، والمراد عظمه، فالروايات كلها بمعنى، وبقرب دمشق قرية تسمى صنعاء أيضًا.

(وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فى حديث رواه الشيخان: **(كما بين الكوفة)** مدينة العراق المشهورة **(والحجر الأسود)**، والروايات متحدة كما عرفته فإنها تقريبية لا

تحديدية، فخاطب ﷺ كلا بما يعرفه، ولا حاجة إلى أن يقال: إنه وقع الخطاب به عند الحجر الأسود كما قيل، وأصل معنى الكوفة رمل مستدير أو حجارة بيض، فسمى بها، ثم شرع المصنف رحمه الله فى بيان هذا الحديث روى من طرق كثيرة دالة على صحته، وأنه على ظاهره.

ولذا ذهب المصنف، رحمه الله تعالى، إلى أنه متواتر فقال: **(وروى حديث الحوض أيضًا)** كالروايات المتقدمة **(أنس)** بن مالك الأنصارى الصحابى خادم النبى ﷺ رواه عنه مسلم من غير الطريق المتقدمة، فلا يقال: إنه تقدمت روايته، وأيضا يقتضى مغايرة ما تقدم.

(وجابر بن سمرة) بفتح فضم ابن جنادة الصحابى السوائى، وما فى بعض النسخ هنا وفى أول الشفاء جابر وسمرة قال البرهان: صوابه جابر بن سمرة، وكذا هو على الصواب فى النسخ مكتوب عليه صح، فإن صحت الرواية الأخرى فالحديث رواه جابر ابن عبد الله وسمرة إلا أن رواية جابر بن عبد الله فى مسند أحمد، وأما رواية سمرة فلم أقف عليها، فالثابت رواية ابن سمرة كما فى مسلم وغيره، **(وابن عمر وعقبة)** هو عبد الله بن عمر بن الخطاب الصحابى أحد العبادلة، وعقبة وهو ابن عامر الصحابى المشهور الجهنى، **(وحارثة بن وهب الخزاعى)** الصحابى المنسوب لخزاعة قبيلة معروفة.

(والمستورد) بصيغة اسم الفاعل ابن شداد الفهرى نزيل مكة، ثم مصر الصحابى، **(وأبو برزة الأسلمى)** نضلة بن عبيد الله الصحابى الإمام الجليل، وبرزة بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وزاى معجمة تليها هاء، توفى سنة ستين أو أربع وستين وحديثه فى الصحيح والترمذى، وأسلم قبيلة معروفة، **(وحذيفة بن اليمان)** العبسى الأشهلى الصحابى صاحب سر رسول الله ﷺ، وحديثه رواه مسلم وابن ماجه، **(وأبو أمامة)** بن صدى بن عجلان الباهلى الصحابى، وحديثه أخرجه الطبرانى وأمامة بضم الهمزة.

(وزيد بن أرقم) الخزرجى الصحابى المشهور، وحديثه أخرجه ابن حنبل، والحاكم وصححه، **(وابن مسعود)** الصحابى المشهور، وحديثه أخرجه الشيخان، **(وعبد الله بن زيد)** الصحابى الذى أرى الأذان فى نامه كما مر، وحديثه أخرجه الشيخان أيضًا، **(وسهل بن سعد)** الصحابى **(الساعدى)** منسوب لساعدة، وبنو ساعدة قوم من الخزرج، وإليه تنسب السقيفة التى كانت فيها بيعة أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه، **(وسويد بن جبلة)** بفتحات، وهو سويد بن جبلة الفزارى قيل: لم تصح صحبته فحديثه مرسل، وقيل: إنه صحابى و لم يرو عنه إلا حديث واحد وقيل: لعله سويد بن عقلة وهم سويد

بن عامر وهذا الحديث عنه فى سنن البيهقى، والأولى تأخيره للاختلاف فى صحبته، **(وأبو سعيد الخدرى)** الصحابى المشهور، وقد تقدم.

(وعبد الله الصنابحى) بضم الصاد المهملة وفتح النون وألف يليها باء موحدة مكسورة وحاء مهملة وياء نسبة صحابى، وقيل: نسب لجده صنابح واسمه عبد الله وقيل: أبو عبد الله، وقيل: أبو عمرو، وقيل: إنه منسوب لصنابح اسم بطن من العرب، وفى الشرح الجديد: لم أقف على من نسب لهذا البطن من الصحابة سوى عسال الصنابحى، وآخر اسمه صنابح بن الأعز فلعله نسب لجده، وفى التابعين عبد الرحمن بن عبلة الصنابحى فلعله التبس على القاضى، وقيل: صوابه الصنابح.

(وأبو هريرة) وحديثه فى الصحيحين، **(والبراء)** بن عازب وحديثه فى الصحيحين أيضًا، **(وجندب)** عبد الله بن سنان البجلى الصحابى، وهو بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة وضمها، وفى الصحابة من يسمى جندب غيره، ولكنه متى أطلق فالمراد هذا، **(وعائشة)** أم المؤمنين، رضى الله تعالى عنها، **(وأسماء بنتا أبى بكر)** الصديق، رضى الله تعالى عنهم، والحديث فى الصحيحين وفى بعض النسخ.

(وأبو بكر، وعمر بن الخطاب، وابن بريدة) مصغر بردة، ولبريدة ابنان سليمان وعبد الله قاضى مرو وعالمها، وهما تابعيان فلا ينبغى ذكرهما هنا مع الصحابة، وفى مسند أحمد رواية حديث الحوض عبد الله بن بريدة، وقال: حدثنى به أخى. قال البرهان: لعل القاضى أراد بابن بريدة هذا، أو وقال بريدة فزيد عليه ابن، ولم أر لبريدة بن الحصيب حديثا فى الحوض فى الكتب الستة ومسند أحمد، وله ذكر فى مسند البزار.

(وأبو بكرة) وهو منيع بن الحارث كناه النبى ﷺ به لأنه تدلى ببكرة من حصن الطائف لما منع من الخروج، **(وخولة بنت قيس)** بن فهد بن قيس الأنصارية النجارية الصحابية زوجة سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، وحديثها فى مسند أحمد والطبرانى، **(وغيرهم)** من الصحابة وترك المصنف ذكرهم اختصار، فلذا تركناهم واقتداء به، وقد تقدم أن المصنف لكثرة طرق هذا الحديث قال: إنه متواتر، وقيل: تواتره معنوى؛ لقول ابن الصلاح: إنه لا تكاد توجد شروطه.

* * *

(فصل فى تفضيله) [بالمحبة والخُلة]

ﷺ على غيره من الأنبياء **(بـ)** صفتى **(المحبة والخُلة)** كما سيأتى تحقيقه، أى بكونه حبيب الله وخليله.

(جاءت بذلك الآثار الصحيحة) معنى ورواية، وقد تقدم الكلام على الأثر والحديث، وأن الأثر يطلق على الحديث مرفوعا كان أو موقوفا أو غيرهما، وأما تخصيص الفقهاء الأثر بالموقوف فاصطلاح لهم، وما رواه الخطيب فى جامعه مرفوعًا: «ما جاء عن الله فهو فريضة، وما جاء عنى فهو حديث، وما جاء عن أصحابى فهو سنة، وما جاء عن أتباعهم فهو أثر، وما جاء عمن دونهم فهو بدعة»، فهو موضوع كما نص عليه ابن حجر والسخاوى.

والمحبة من العبد لله ومن الله لعبده، كما قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وهذا مما لا خلاف فيه إلا أن المحبة ميل القلب لما تلتذ به حواسه الباطنة والظاهرة، ولا يتوقف هذا على الصورة الحسنة كمحبة الصلحاء والعلماء، أو غيرهم من أرباب الكمال، فهى فى حقه تعالى ليست بميل قلب ونحوه، بل هى ارتضاؤه له؛ لاتصافه بالكمال وانقياده لطاعة مولاه وحبه له من طريق الفضل، لا من طريق الأنس والراحة، وهوالذى كمله وحببه، ولذا قيل: إنه عبر عن اللطف بالمحبة، ومحبة العبد تعظيمه له بمشاهدة صفات كماله ومعاملته لإنعامه وإحسانه، فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، والخلة صفة الخليل وهو مما يستوى فيه المذكر والمؤنث. يقال: خل وخليل بين الخلة والخلولة، وخليل الله معناه اصطفاه وخصه بكرامته لتخلقه بأخلاق الله؛ لأن الخليل من يخالك، أى يوافقك فى خلالك ويسايرك فى طريقتك من الخل، وهو الطريق فى الرمل، أو يسد خلتك، ومعنى كون الله خليل عبده أنه محب له قائم بأموره بحيث لا يحوجه لغيره أصلا.

(واختص، صلى الله تعالى عليه وسلم، على ألسنة المسلمين بحبيب الله)، أى جرى على الألسنة تخصيصه ﷺ بذلك دون خليل الله؛ لإطلاقه على إبراهيم عليه الصلاة والسلام وإن كان غيره من الأنبياء محبوبا لله أيضًا، ثم استدل على اتصافه ﷺ بالخلة بحديث رواه مسندا عن البخارى فقال: **(أخبرنا أبوالقاسم بن إبراهيم الخطيب وغيره)** هو الإمام المقرى خلف بن إبراهيم المعروف بابن النخاس بالخاء العجمة المشددة، ولد سنة سبع وعشرين وأربعمائة، ومات بقرطبة سنة إحدى وعشرين وخمسمائة يوم الثلاثاء سادس عشر صفر. والتكنية بأبى القاسم جائزة بعده ﷺ على الصحيح كما سيأتى.

(عن كريمة بنت أحمد بن محمد)، وفى نسخة: بنت محمد وأصحها رواية بعض الشراح، وفى الإكمال أنها كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزية، سمعت صحيح البخارى من الكشميهنى، وروت الحديث وحدثت به كثيرًا، وجاورت بمكة إلى أن

ماتت قالت: (**حدثنا أبو هيثم**) الكشميهنى، وقد تقدم ضبطه وترجمته، (**حدثنا حسين بن محمد**) بن سكرة (**الحافظ**) السابق ذكره (**سماعا عليه**)، فهو أحد شيوخه، وهذا سند وطريق آخر للمصنف فى رواية هذا الحديث، وفى نسخة: وحدثنا وح تكتب عند الانتقال من سند لآخر إشارة إلى التحول كما فصلوه فى مصطلح الحديث قال: (**حدثنا القاضى أبو الوليد**) الباجى الذى بيناه سابقا قال: (**حدثنا عبد بن أحمد**) عبد بغير إضافة أبو ذر الهروى السابق ذكره قال: (**حدثنا أبو الهيثم**) الكشميهنى السابق فى الطريق الأول قال: (**حدثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف**) الفربرى الإمام الحافظ راوى البخارى المشهور كما تقدم قال: (**حدثنا محمد بن إسماعيل**) هو الإمام البخارى صاحب الصحيح المشهور قال: (**حدثنا محمد بن عبد الله**) المعروف بالمسندى، والبخارى يروى عن أربعة كل منهم اسمه محمد بن عبد الله، والمراد هنا هذا كما ذكره الكلاباذى، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن السمان. توفى يوم الخميس لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وعشرين ومائتين قال: (**حدثنا أبو عامر**) عبد الملك بن عمرو بن قيس العقدى بفتح العين والقاف ودال مهملتين، وهو محدث بصرى مشهور أخرج له الأئمة الستة، توفى سنة خمس ومائتين.

قال: (**حدثنا فليح**) بضم الفاء وفتح اللام ومثناة تحتية وحاء مهملة ابن سليمان العدوى المدنى. أخرج له أصحاب الكتب الستة وهو ثقة، وقيل: ليس بالقوى توفى سنة ثمان وستين ومائة وترجمته فى الميزان قال: (**حدثنا أبو النضر**) بالضاد المعجمة الساكنة سالم بن أبى أمية المدنى الثقة راوى أنس، توفى سنة تسع وعشرين ومائة، (**عن بسر بن سعيد**) بضم الباء الموحدة وسكون السين وراء مهملتين المدنى الزاهد الثقة توفى سنة مائة، (**عن أبى سعيد**) سعيد بن مالك بن سنان الخدرى السابق ترجمته، رضى الله تعالى عنه، (**عن النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، أنه قال: «لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر»**) حديث صحيح رواه البخارى وغيره من طرق متعددة، ومفعوله الثانى محذوف تقديره خليلا، ولو حرف شرط لامتناع ما يليه وهو الشرط، فإن لم يكن للجزاء سبب غيره لزم من امتناعه امتناعه، وإلا فلا يلزم فامتنع اتخاذه خليلا غير ربه؛ فيلزم امتناع اتخاذ أبى بكر خليلا، فالمعنى لا أصل فى محبة أحد من الخلق إلى مرتبة الخلة، فإنها مختصة بربى، فلو فرض جعلها لأحد كان أبو بكر أليق بها من جميع الخلق؛ لبذل نفسه وماله ووطنه وأهله فى طاعته، وهذا صريح فى تفضيله على غيره وتقدمه عنده، فإن كان من الخلة بالضم وهى الصداقة والمحبة التى تتخلل باطن القلب، فالمعنى أن محبته مقصورة على ربه، وإن كان من الخلة بالفتح والكسر وهى الحاجة، فالمعنى أنى

أبرؤ من الاعتماد والافتقار إلى غير ربى، وفى هذا الحديث دلالة على ما عقد له الفصل، وهو تفضيله ﷺ بالمحبة والخلة، وقد تقدم ما اتفق عليه المسلمون من المحبة، وما هنا دال على الخلة، وما قيل من أنه كان ينبغى للمصنف أن يذكر حديثًا صريحًا فى اتخاذ الله خليلاً، وتقدم ما ذكره فى آخر الفصل غنى عن الرد.

(**وفى حديث آخر: «وإن صاحبكم خليل الله»**) يعنى نفسه ﷺ على طريق التجريد، والأحاديث تفيد أن المخاللة من الجانبين إذا كانت بمعنى المحبة لا من الخلة بمعنى الحاجة، فإن الله غنى عن العالمين.

(**ومن طريق عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه**) التى رواها البخارى وغيره: (**وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا**) كما اتخذ إبراهيم عليه الصلاة والسلام ولا يصح أن يراد بصاحبكم أبو بكر كما توهم، وفى هذا دلالة على أنه من جانب الله، فتم دلالته على أنه من الجانبين بخلاف ما قبله، ولا ينافيه كون إبراهيم عليه الصلاة والسلام خليلا كما سيأتى تحقيقه.

(**وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما**) فى رواية الدارمى والترمذى (**قال: جلس ناس من أصحاب النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، ينتظرونه**)، أى ينتظرون خروجه من بيته لمجلس أصحابه، والجملة حال من ناس لوصفه بالجار والمجرور.

(**قال**) ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: (**فخرج**) النبى ﷺ (**حتى إذا دنا**) قرب (**منهم سمعهم يتذاكرون**)، أى يذكر بعضهم لبعض، فيتحادثون أو يذكر بالتشديد كل منهم من عنده ما نسيه، (**فسمع**) النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**حديثهم**)، وفسر هذا الحديث بقوله: (**فقال بعضهم: عجبا إن الله اتخذ إبراهيم من خلقه خليلاً**)، أى من دون خلقه، أو اختاره للخلة من بينهم أى تعجب عجبا من هذا، والعجب يكون من أمر فيه غرابة، ولا أغرب عند من عرف عظمة الله وغناءه عن مخلوقاته، وأن كل شىء من فضله وإحسانه استغرب اتخاذه خليلا من عبيده وهو إبراهيم ﷺ غير أن نبينا كان خليلا أنه كان مختصا بذلك، فلا وجه لما قيل: إنه يرد اختصاص إبراهيم بكونه خليلا على ما مر.

(**وقال آخر: ما ذا**)، أى ليس اتخاذ الله إبراهيم، عليه السلام، خليلا (**بأعجب من كلام موسى**) حين ناجاه فى الدنيا، و(**كلمه الله تعالى تكليما**) مع أنه تعالى فى الدنيا لم يكلم أنبياءه إلا بواسطة ملك الوحى.

(**وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه**) هذه الفاء فصيحة فى جواب شرط مقدر،

أى إذا ذكرتم خليل الله وكليمه وتعجبتم من ذلك، فاذكروا عيسى، عليه السلام، وكونه كلمة الله وروحه، وسمى عيسى كلمة الله لأن الله خلقه من دون أب بمجرد قوله: كن، أو لاهتداء الناس كما اهتدوا بكلامه، وقال الصدر القونوى فى نفحاته: لكل شيء فى عرضة العلم الإلهى الأزلى مرتبة الحرفية، فإذا صبغه الحق بنوره الذاتى، وذلك بحركة معقولة معنوية يفيضها شأن من الشئون الإلهية المعبر عنها بالكتابة تسمى تلك الصورة كلمة، فالموجودات كلماته تعالى كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، أى الأرواح الطاهرة انتهى ومعنى روحه أنه روح منه بدون واسطة تولد، فالإضافة للتشريف.

(وقال آخر) ممن كان ثمة: **(وآدم اصطفاه الله)**، أى اختاره وجعله صفيه، وهذا كله مما يتعجب منه من لاحظ عظمة الربوبية، وأنه غنى عن العالمين.

(فخرج النبى) ﷺ **(عليهم، فسلم)** لما ذكر قوله: فخرج أولا ثم أعاده هنا وهو مكرر ولا يصح كونه تأكيدا، فقيل: كرره لينيط به غير ما نيط به أولاً، ويحتمل أن يكون الخروج الأول من مكان والثانى من آخر قلت: هذا لتوهم أن العطف ينافى التأكيد وليس كذلك، فمن النحاة ذكروا كما فى التسهيل أن التأكيد قد يقترن بالعطف، فالأكثر أنه كقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣، ٤]، وقد يكون بالفاء وصرح المفسرون بأنه قد يعاد اللفظ إذا طال الكلام تذكيرا به، وههنا بحث نفيس وهو أن ما قاله النحاة ينافى ما اتفق عليه أهل المعانى من أن التأكيد لا يصح عطفه؛ لما بينهما من شدة الاتصال، ولأن العطف يقتضى المغايرة والتأكيد عين المؤكد، والعجب منهم أنهم لم يتعرضوا بما قاله النحاة، والمسألة من مسائل الكتاب، فإن لم يقفوا عليه فهو عجيب، وإن وقفوا عليه واعتقدوا خلافه فهو أعجب كما قيل:

فإن كنت لا تدرى فتلك مصيبة وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

(وقال) ﷺ: **(قد سمعت كلامكم وعجبكم)**، أى تعجبكم وقولكم: عجبا كما مر فى أول الحديث. وقد قيل: إن سمعت مضمن معنى أدركت، أو فيه مقدر عامل فى الثانى، أى وعرفت عجبكم على حد قوله: قلدته سيفا ورمحا، أى أعطيته، ولا حاجة لما ذكر لما قدمناه لك، وقوله: **(أن الله اتخذ إبراهيم خليلا)**، وقد صحح فى النسخ المقروءة بفتح همزة أن فهو بدل، وفى الشرح الجديد يجوز أن يكون جملة مستأنفة كأن سائلا سأل: ما كلامهم؟ وما تعجبوا منه؟ فأجابهم بقوله: إن الله إلخ، وأن يكون مقول قول محذوف، وهو يقتضى أن إن مكسورة الهمزة، **(وهو كذلك)**، أى اتخذه خليلاً.

(وموسى نجى الله)، أى كليمه والمناجاة المكالمة، وأصل معناها أن يخلو بنجوة من الأرض ليسار غيره ثم شاع فيما ذكر، وقيل: أصلها من النجاة فمعناه أن يكلمه مما فيه خلاصه، **(وهو كذلك)**، أى هو نجى الله وكليمه، فما ذكره واقع.

(وعيسى روح الله وهو كذلك)، أى هو روح الله كما قلتم وتقدم بيانه، وأن الإضافة للتشريف، وهو بمعنى رحمة الله، **(وآدم اصطفاه الله وهو كذلك)** كما قلتم، فإن الله اصطفاه واختاره للنبوة والخصائص الروحانية وكونه أبا البشر.

(ألا وأنا حبيب الله) ألا بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح يؤكد به الكلام المستأنف، فيحقق ما بعده نحو: (﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [يونس: ٦٢]) وتدخل على الجملتين ودخولها هنا على العاطف لتحقيق اختصاصه بكونه حبيب الله، وإشارة إلى أن هذه الصفة أعلى درجة مما قبله، أى من عجب مما وصف به الأنبياء قبلى، فأنا موصوف بما هو أعجب وأعلى، وهو كونى حبيب الله، أى محبوب له، فإنه فعيل بمعنى مفعول وما قيل من أنه من القول بالموجب البديعى كقوله تعالى: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون: ٨]، فإنه سلم إخراج الأذل بمعنى غير الذى أرادوه، فإنهم أرادوا بالأعز غير المؤمنين وبالأذل المؤمنين، فعسكه عليهم، وهو على ضربين كما تقرر فى علم المعانى غير صحيح لأنهم لم يقصدوا تفضيلهم على نبينا ﷺ، ولم يقصد الرد عليهم حتى يقال: إنه من هذا القبيل باعتبار نفى لازمه؛ ولذا قال التلمسانى: إنه قريب من القول بالموجب؛ لأنه قرر أولا ما ذكره من فضائلهم بقوله: هو كذلك ثم نبه على أنه أفضل منهم كلهم وقوله: **(ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لى)** تقدم شرحه فى حديث آخر.

(ويدخلنيها) بضم المثناة التحتية والضمير الثانى للجنة، ويجوز فيه الفصل والوصل خلافا لسيبويه للزوم الفصل عنده كقوله إن الله ملككم إياهم، **(ومعى فقراء المؤمنين)** إكراما لهم، وفيه إشارة إلى أن الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر كما مر والجملة حالية **(ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر، وفى حديث أبى هريرة)** الذى رواه البيهقى وصححه **(من قول الله تعالى)** وفى نسخة: فى قول الله، والأصح روايته بلفظ من **(لنبيه ﷺ: إنى اتخذتك خليلا)** كما تقدم، **(فهو مكتوب فى التوراة أسب حبيب الرحمن)**.

قال الشمنى: إنه وقع هكذا فى النسخ المعتمدة من الشفاء بهمزة مفتوحة وسين مهملة ساكنة وباء موحدة، وهى هكذا، وفى نسخة المصنف المبيضة المروية عنه،

وصحفها بعضهم فكتب أنت، وهى لفظه عبرانية بمعنى أنت.

وقال الدلجى: أن بعد السين تاء مثناة فوقية وفسره بأنت، وعبر الشمنى بقوله: بعد السين جرة، أى مدة خطية فلم يعينها لشكه فيها. قيل: حاصله أنه ثبت لنبينا ﷺ وصف المحبة من غير مشاركة فيها، والخلة التى شاركه فيها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد أثبتها ﷺ لنفسه فى آخر خطبة خطبها قبل وفاته بخمسة أيام. فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه عز اسمه: «إنه قد كان لى فيكم إخوة وأصدقاء، وإنى أبرؤ إلى الله أن أتخذ أحدًا منكم خليلاً، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، إن الله قد اتخذنى خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً»، «أوتيت البارحة مفاتيح خزائن الأرض والسماء»، وهو تعريف منه ﷺ بأعلى مقامه وأكمل حالاته، وبين خلته وخلة إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، فرق؛ لأن خلته حقيقية أصلية، وخلة إبراهيم مستعارة من خلته الذاتية؛ ولذا قال إبراهيم فى حديث الشفاعة: إنما كنت خليلاً من وراء وراء، فالخليل غيره وهو محمد ﷺ انتهى. فهو ﷺ مختص بالمحبة وبالخلة الحقيقيتين، وإلا فقد قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، ولكل صفة مراتب فهو ﷺ مختص بأعلاهما، وسيأتى تحقيقه قريبا.

(قال القاضى أبو الفضل، وفقه الله تعالى) هو عياض المصنف: **(اختلف)**، بالبناء للمجهول، أى اختلف العلماء **(فى تفسير الخلة)** وبيان معناها، **(وأصل اشتقاقها)** بيان لمحل الخلاف ومنشأه، وفى قواعد الطوفى: الاشتقاق اقتطاع لفظ من لفظ يوافقه فى حروفه الأصول كضارب من الضرب، والاشتقاق الأكبر رد تراكيب المادة الواحدة المختلفة إلى معنى واحد مشترك بينهما، وقد يكون ظاهرًا فى بعضها خفيًا فى البعض، فيحتاج فى رده إلى ذلك المعنى إلى تلطف فى معرفة المناسبات انتهى. وتفسير أقسام الاشتقاق وتحقيقه مذكور فى كتب ابن جنى كالخصائص وغيرها.

(فقيل: الخليل) المذكور هنا **(المنقطع إلى الله)**: الذى قطع رجاءه واعتماده عما عدا الله **(الذى ليس فى انقطاعه إليه ومحبته له اختلال)**، أى خلل ونقص يحتاج لجبر وتكميل؛ لخلوصه فيه ويقينه الذى لا يختل أصلا، وتحقيقه ما قاله الإمام الراغب أنه يقال: خل الثوب بالخلال والرمية بالسهم أدخل فيه، والخلة بالضم الطريق فى الرمل، وبالفتح الاختلال العارض للنفس لشهوتها أو لحاجتها إليه، ولذا فسرت الخلة بالحاجة والخصلة والمودة؛ لأنها تتخلل النفس، أى تتوسطها أو تؤثر فيها تأثير السهم فى الرمية، أو لفرط الحاجة وإبراهيم عليه الصلاة والسلام خليل؛ لافتقاره إلى الله، وقيل: من الخلة، واستعمالها كاستعمال المحبة، وقال أبو القاسم البلخى: هو من الخلة بالفتح لا من الخلة

بالضم، ومن قاسه بالحبيب فقد أخطأ؛ لأنه تعالى لا يجوز أن يحب عبده، فإن محبته الثناء منه، ولا يجوز أن يخاله وهذا منه تشبه، فإن الخلة من تخلل الود نفسه ومخالطته؛ ولذا يقال: تمازج روحاهما، والمحبة بلوغ الود حبة القلب يقال: حببته إذا أصبت حبة قلبه فإذا استعملت فى الله أريد مجرد الإحسان، وكذا الخلة فيتجوز فى أحدهما كما يتجوز فى الآخر، فأما أن يراد بالمحبة بلوغ حبة القلب، وبالخلة جبر الخلل فحاشا الله عنه انتهى.

وفى كلام المصنف رحمه الله تعالى دلالة على أن الخلة تستلزم المحبة، ومن تفسيره للخليل يعلم معنى الخلة التى هى مأخذه، فلا يرد أن أول كلامه فى الخلة وما ذكره تفسير للخليل، فسقط ما قيل من أنه إنما يستقيم على أن الخلة بمعنى الخليل يستوى فيه المؤنث والمذكر؛ لأنه مصدر فى الأصل وأن الكلام فى معناه اللغوى الوضعى الثبوتى، فتفسيره بالسلبى غير مناسب؛ لأنه بيان لحاصل معناه.

(**وقيل: الخليل**) معناه (**المختص**) بمن خالله مطلقا، فهو الصديق الذى صار من خلص أحبابه وأصدقائه. وتفسيره بأنه اختص بخدمة الله واختيار ما كلفه من فعل وترك اقتصار فيه قصور، (**واختار هذا القول غير واحد**) من الأئمة المحققين ورجحه الشراح.

وقال بعضهم: أصل الخلة بالضم (**الاستصفاء**)، أى كون محبته ومودته صافية، أى خالصة من الكدورات وقيل: هو من الصفوة بمعنى الاختيار، وهو من لوازم الصداقة، ثم فرع من الأقوال قوله: (**وسمى إبرهيم خليل الله: لأنه يوالى فيه ويعادى فيه**) الموالاة المحبة، وفى بمعنى اللام كقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا**﴾ [العنكبوت: ٦٩]، أى لأجلنا، أى لا يحب إلا من أحبه الله من المؤمنين أهل الطاعة، ولا يبغض إلا أهل المعصية والضلال كقوله تعالى: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ [المجادلة: ٢٢]؛ ولذا قالوا:

إذا صافى صديقك من تعادى فقد عاداك وانفصل الكلام

(**وخلة الله له**)، أى لإبراهيم عليه الصلاة والسلام (**نصره**) على عدوه كنمرود، وهذا جواب سؤال مقدر، أى قد علم معنى كون إبرهيم خليل الله، فما معنى كون الله خليلا له؟، (**وجعله إمامًا لمن بعده**) لقوله تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾ [البقرة: ١٢٤]، أى مقتدى متبعا لجميع من بعده؛ لأن الأنبياء بعده كلهم من ذريته، وهذا من تمام نصرته لأنه لو لم ينتصر خالفه من بعده؛ ولذا ذكره معه تأييدا وتأكيدًا.

(**وقيل: الخلة أصله**)، أى أصل معناه الذى وضع له لغة (**الفقير المحتاج**) صفة كاشفة

مفسرة له (**المنقطع**)، أى المنفرد عن الناس لعدم أعوانه وإخوانه (**مأخوذ من الخلة**) بفتح الخاء، (**وهى الحاجة**) لاحتياج صاحبها لغيره؛ لعجزه عما يقوم بأموره، (**فسمى بها**)، أى لقب بما اشتق منها، وهو الخليل (**إبراهيم**)، فالضمير للحاجة أو للفظة الخلة، والأظهر أنه بتقدير مضاف، أى بمشتقها ونحوه؛ (**لأنه قصر**) بفتح القاف والصاد المخففة، والقصر كالحصر بمعنى التخصيص (**حاجته على ربه**)، أى لم يكن له حاجة إلا إلى ربه، فلا يؤمل نفعا من غيره ولا يقبله، (**وانقطع إليه بهمه**) الهم هنا ما يهتم به المرء ويعتنى به ويعزم عليه، يعنى كما أنه قصر حاجته على الله قصر أمله وعزمه على الله وعلى ما يرضيه، (**ولم يجعله قبل غيره**) قبل بكسر القاف وفتح الموحدة واللام بمعنى المقابل الذى يدرك ويرى، فالمراد أنه عنده وفى جانبه وأنه لم يجعل أمره ورجاءه فى غير الله، أى لم يطلب شيئًا من غيره و لم يؤمله.

(**إذ جاءه**)، أى جاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام (**جبريل**) عليه الصلاة والسلام، (**وهو فى المنجنيق ليرمى به**)، أى وقد وضع فيه ليرمى به (**فى النار**) التى أوقدت لإحراقه، وكان لهبها اشتد حتى لم يمكن أحد أن يدنو منها حتى يرمى شيئًا فيها، فصنعوا المنجنيق لإلقائه من بعيد، وهو بفتح الميم وكسرها آلة لرمى العدو بحجارة كبيرة بأن يشد سوارى مرتفعة جدا من الخشب يوضع عليها ما يراد رميه، ثم تضرب بسارية توصله لمكان بعيد جدا، وكانت هذه الآلة قديمة قبل وضع النصارى للبارود والمدافع، وهو فارسى معرب، وفى وزنه ومعناه قبل التعريب كلام طويل لهم، وأصله من جى نيك، أى ما أجودنى، وهو مؤنث كما قال:

لقد تركتنى منجنيق ابن جندل ... أحيد عن العصفور حين أحيد

وميمه زائدة ووزنه منفعيل، وقال سيبويه: فعليل، والاستدلال عليه مشهور، (**فقال له**) جبريل عليه الصلاة والسلام: (**ألك حاجة؟**) عندى من سؤال ما ينجيك نحوه، (**قال: أما إليك فلا**) حاجة لى لقصر حاجته على ربه كما مر، وهذا رواه أبو نعيم، (**وقال أبو بكر بن فورك**) بضم الفاء وفتح الراء المهملة وكاف ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وقال البرهان: إنه صحح فى النسخ بالتنوين والصرف لظن أنه علم مرتجل، وقيل: إنه عربى معناه الفار ولا يعرف فى اللغة، وإنما المذكور فيها أنه بمعنى نوع من الظباء، ومن قال: معناه الفار لعله أراد أنه من عجمة أندلس وتحريف عامتهم قلت: رأيت فى كتب التواريخ أن ملك الهند أرسل للإسكندر رسولا اسمه فورك، وسألت عنه، فقيل: معناه غلام حقير، وهو يقتضى أنه أعجمى غير مصروف، وعندى أنه يجوز فيه الوجهان، وقد مر فيه كلام لنا، وما قلناه هنا زبدته، (**الخلة صفاء المودة**)، وهى المحبة مع التودد وهى

المؤانسة والمساعدة، وصفاؤها خلوصها بأن يوافق الظاهر الباطن كما قال المعرى:

والخل كالماء يبدى لى ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

(التى توجب الاختصاص)، أى يلزمها اختصاص الواد بمن يوده بأن يلازم صحبته وإسعافه **(بتخلل الأسرار)** جمع سر وهو ما يخفيه المرء عن غيره، وتخللها دخولها فى باطنه لاطلاعه عليها وعلمه بها، فلا يخفى عليه شىء من أحواله، والباء سببية، وقيل: الأسرار بتجاويف حبات القلوب وهو مجاز، أو معناه رسوخ المودة فى القلب، واعلم أنه تقدم أن الفرق بين المحبة والمودة والخلة أن المحبة ميل القلب لما هو حسن عنده، سواء كان حسن صورة أو كمال، كمحبة العلماء والصلحاء أو انتفاع وإنعام؛ لأن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، والمودة مواصلة من تحبه والتودد إليه، فإذا زادت المودة وخلصت كانت خلة.

فإن قلت: فحينئذ الخلة أخص من المحبة، فتكون أفضل.فلم قيل: إن المحبة أفضل؟.

قلت: المحبة أعم فقد تكون من غير مخالطة وقرب، فلا خلة فيها، إلا أن المحبة قد تصل إلى مرتبة بحيث يكون الحبيب لا يغيب عن ذكره طرفة عين حتى يصل إلى الهيام وذهاب العقل، وتبذل لها الأرواح فضلاً عما سواها، وهذه تسمى عشقا، والعشق لا يجوز فى الشرع إضافته لله، فلا يقال: عشقت الله كما ذكره ابن تيمية وغيره، وإن وقع من بعض الحكماء والصوفية، وإن كان مع هذه المرتبة خلة وتقريب، فليس كهذا المحب محب ولا كحبيبه حبيب، وهذه المحبة هى التى اختص بها نبينا ﷺ بعد الإسراء لما رأى الله، وشاهد من جماله وجلاله، ووصل من قربه لمرتبة لم يصل لها رسول ولا ملك مقرب، وتمت له خلة مقربة لم ينلها غيره، فلم يحتج لغيره ولا سأل سواه، وعرض عليه مفاتيح خزائن السموات والأرض، وأعانه الله ونصره نصرة عزيزة، وغفرله ما تقدم وما تأخر مع أنه لم يصدر عنه زلة وأطلعه على أسراره حظائر قدسه، وأى خلة كهذه؟ فلذا كان ﷺ مخصوصًا بأنه خليل الله أيضًا.

وقال الخليل عليه الصلاة والسلام: أنا خليل من وراء وراء.كما مر وكرر وراء إشارة إلى زيادة قرب نبينا فى الأرض والسماء، فلا منافاة بين اختصاصه ووصف إبراهيم، وإن اشتهر بذلك؛ لأنه أجل صفاته، واشتهر محمد بالحبيب لأنه بهذا المعنى أجل من الخليل، وهذا من جانب العبد وأما من الله، فمحبته له بمعنى تقريبه وإنعامه، وتعليمه ما لم يعلمه غيره، وتفضيله على ما سواه، وخلته له، وإسعافه له بجليل هذه النعم، وتوفيقه لجعله نصب بصره وبصيرته حتى كأنه معه فى كل حين فاعرفه.

(وقال بعضهم: أصل الخلة المحبة) يحتمل أن أصل معناها الوضعى المحبة؛ لأنها من تخلله فى قلبه وروحه، ويحتمل أن المراد أن المحبة أساس الخلة ومنشؤها؛ لأنها تكون بعد تحققها.

(ومعناها)، أى معنى الخلة الوضعى بناء على الثانى وهو الأرجح، وقيل: ضميرها راجع للمحبة المرادفة للخلة **(الإسعاف)**، أى الإعانة والنصرة والإمداد لكل ما أراد **(والألطاف)** بفتح الهمزة، أى الإنعام والإحسان.

قال الزمخشرى فى شرح مقاماته: الألطاف الهدايا واحدها لطف بفتحتين، قال: كمن له عندنا التكريم واللطف. انتهى. ويحتمل أنه جمع لطف كقفل، وهو التوفيق لفعل كل خير وتسهيله وكونه بكسر الهمزة تحريف.

(والترفيع) بإعلاء رتبته بالكمالات الظاهرة والباطنة، **(والتشفيع)** بإذنه له فى الشفاعة وقبولها، وله ﷺ شفاعات كما مر، فيشفع فى فصل القضاء ولرفع درجات قوم فى الجنة ولمن مات بالمدينة كما رواه الترمذى وسيأتى، ولبعض المؤمنين فى التجاوز عن سيئاتهم، ولبعض من كان من أهل النار بعدم دخولها وإخراجه منها، ولتخفيف عذاب بعض الكفرة كأبى طالب لجعله فى ضحضاح من نار يغلى منه دماغه كما رواه البخارى، وهو لا ينافى قوله تعالى: ﴿**لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ**﴾ [البقرة: ١٦٢] كما قيل، وقد بيناه فى حواشى القاضى، ولقبول شفاعة بعض الأنبياء والصلحاء، وقيل: التشفيع بمعنى التأييد والتقوية من الشفع.

(وقد بين ذلك تعالى)، أى كون المحبة والخلة تقتضى الإسعاف وما بعده بطريق المفهوم واللزوم **(فى كتابه بقوله:** ﴿**وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم**﴾ [المائدة: ١٨] **الآية)** يعذبكم مضارع بمعنى الماضى، أى عذبكم فى الدنيا بالمسخ والقتل وغير ذلك، وهذا برهان، أى لو كنتم أبناؤه وأحباؤه ما عذبكم لكنه عذبكم فلستم كذلك، أو هو على أصله، أى لم يعذبكم فى الآخرة فعلم منه أن من كان محبوبا لله لا يعذبه ولا يسوءه؛ لاقتضاء المحبة لذلك، والعجب أن هذا مع ظهوره قيل عليه: إنه لا دليل فى الآية على مدعاه، وليس فيها على تقدير التسليم إلا عدم مؤاخذة المحبوب بذنبه على أنه ممنوع فى أحباء الله؛ لأن من أحبه الله عصمه من الذنوب ويمتحنه بالمناقشة والابتلاء، ولا دليل فيها على أن أصل الخلة المحبة، وهو مما يقتضى منه العجب وقولهم: أبناء الله، أى منا أبناؤه وهو المسيح وعزير، أو نحن أتباع نبيه، وقيل: إنهم ادعوا ذلك لأنهم رأوا فى التوراة يا أبناء أحبائى فبدلوها بيا أبناء أبكارى.

(فأوجب للمحبوب)، أى بطريق إشارة النص فيهم أن كل محبوب وخليل يجب **(أن لا يؤاخذ بذنوبه)**، أى لا يعاقب بها ويجازى عليها، **(قال)** ذلك البعض: **(هذا)** اسم الإشارة يتخلص به من كلام لآخر، فيكون خبر مبتدأ مقدر، أى الأمر هذا أو مبتدأ خبره مقدر، وقد يذكر كما فى قوله ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ [الأنبياء: ٢٤]، أو مفعول فعل مقدر، أى خذ هذا، وقد يقال: ها اسم فعل بمعنى خذ، وذا مفعوله لكن الرسم يخالفه.

(والخلة أقوى من البنوة) بموحدة ونون مصدر بمعنى كونه ابنا متولدًا منه، ثم بين ذلك بقوله: **(لأن البنوة قد يكون فيها العداوة)**، أى معها أو فيمن اتصف بها، وهو من ظرفية الصفة للموصوف، **(كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾** [التغابن: ١٤])، أى منهم من يظهر العداوة والعقوق كما هو مشاهد، فاحذروهم وخافوا شرهم.

(ولا يصح أن يكون عداوة مع خلة)؛ لأن المحبة معناها أو داخلة فيه أو لازمة له، وهى ضد العداوة، فلا يجتمعان بخلاف البنوة فإنها وإن كانت الفطرة تقتضى المحبة لكن قد يتخلف لعارض، ويكفى هذا فلا وجه للاعتراض بأن الأصل فيها المحبة، والعارض لا يعتد به كما توهم، ومن العجب أنه أيده بقولهم: زيد أبوك عطوفا، وكم له مثلها تجاوز الله عنه.

(فإذن) تفريع على ما قبله **(تسمية إبراهيم ومحمد، عليهما الصلاة والسلام بالخلة)**، أى بما أخذ من الخلة وهو الخليل، أو المراد بالتسمية الوصف تجوزًا، وقدم إبراهيم عليه الصلاة والسلام لتقدمه رتبة وشهرته، وهو بإضافة تسمية، وفى نسخة أضافه بالضمير **(إما بانقطاعهما إلى الله تعالى)** هذا ناظر؛ لأن الخلة الحاجة، أى لاعتمادهما عليه وإما لمنع الخلو فقط، **(ووقف حوائجهما عليه)**، أى جعلها موقوفة على إنعامه لاكتفائهم بفضله، **(والانقطاع عمن دونه)**، أى الانقطاع إليه تعالى وترك غيره، **(والإضراب عن الوسائط والأسباب)** الإضراب بمعنى الإعراض والترك يقال: أضرب عن كذا إذا أمسك عنه وتركه.

(أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما) معطوف على ما بعد إما بأن الله اختصهما زيادة اختصاص به، فأغناهما عما سواه كما يغنى الخليل خليله، وهذا ناظر إلى أنه من الخلة بالضم، **(وخفى ألطافه عندهما)** خفى بالخاء المعجمة؛ لأن لطفه يكون من حيث لا يدرى، أو بالحاء المهملة، أى زيادة مبالغة فى إكرامه لهما يقال: أحفى به وحفى إذا بالغ فى إكرامه، وهو مجرور معطوف على زيادة أو ما أضيف إليه، وألطاف بالفتح تقدم تفسيره، وقيل: إنه بكسر الهمزة مصدر وفيه ما مر.

(أو ما خالل)، أى تخلل ودخل **(بواطنهما من أسرار إلهيته)** إشارة إلى أنه من التخلل كما تقدم، وفى نسخة: من أسرار إلهية، بمثناة تحتية فموحدة، **(ومكنون غيوبه)** جمع غيب وهو ما لا يدرك بالحواس الظاهرة، أو ما سيكون قبل وقوعه وهو من جملة المعجزات، ولا يطلع على غيبه إلا من ارتضى من رسول، والمكنون بمعنى المستور، **(ومعرفته)**، أى معرفة أفاضها عليهما من علمه اللدنى، أو معرفة ذاته وصفاته مما لا يطلع عليه كل أحد، **(أو لاستصفائه لهما)**، أى لاختياره لهما من دون خلقه وجعلهما صفوة له حتى يستحقا وصف الخلة لأنهما خيرة الله من خلقه، والمصدر مضاف لفاعله، وقوله: **(واستصفاء قلوبهما)** مضاف لمفعوله، واسم العضو المضاف للعين يجوز إفراده وجمعه وتثنيته، أى جعل مراتبهما صافية خالصة له صالحة لأسراره ومعرفته **(عمن سواه)** بحيث لا يكون فيها غير معرفته وحبه **(حتى لمن يخاللهما)**، أى يدخل فى خلالهما **(حب لغيره)** هو نتيجة الاستصفاء وما له، فارتضاهما وصفى قلبيهما من كدر حب السوى الناشئ عن الطبع البشرى.

(ولهذا)، أى لكون معنى الخلة الانقطاع عما سواه، والإعراض عن العوارض البشرية **(قال بعضهم: الخليل من لا يتسع قلبه لسواه)**؛ لامتلائه بمحبته ومشاهدة جلاله بحيث لا يبقى فى قلبه سواه وسوى مراقبته كما قيل:

تملك بعض حبك كل قلبى فإن ترد الزيادة هات قلبا

(وهو)، أى ما ذكره من معنى الخليل ونعته **(عندهم معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم)** فى حديث البخارى: «إن من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر»، **(ولو كنت متخذ خليلا)** من الناس غير ربى أرجع إليه فى أمورى، وأعتمد عليه فيما يهمنى، **(لاتخذت أبا بكر خليلا)**؛ لأنه أعز أصحابى وأقدم أصدقائى، فلو تعلق قلبى بأحد لم يكن يتعلق بغيره؛ لما أعرفه من إيثاره لى على نفسه وأهله، **(لكن أخوة الإسلام)**، وقديم الصحبة الذى هو بمنزلة القرابة القريبة النسبية كما قيل:

صحبة يوم نسب قريب وذمة يعرفها اللبيب

وهو استدراك على مضمون الجملة الشرطية، فنفى الخلة وأثبت الأخوة المؤذنة بالمساواة تفضلا منه، فالخلة أعظم من البنوة والأخوة، وأخوة بهمزة مضمومة، وروى فى الإكمال أنه خوة بدون ألف وهى لغة قليلة.

(واختلف العلماء وأرباب القلوب)، أى أصحاب القلوب الكاملة الصافية، فجعل غيرهم كأنه لا قلب له، والمراد بهم الأولياء وذوو النفوس القدسية وقيل: المراد بهم

الباحثين عن أحوال القلوب وقيل: المراد بهم أكابر الصوفية، وسموا بذلك لنظرهم فى العلوم الباطنة دون ظواهر الألفاظ **(أيهما)**، أى المحبة والخلة **(أرفع؟)**، أى أيهما أفضل فى نفس الأمر وعند الله **(درجة الخلة أو درجة المحبة؟)** وكنى برفع الدرجة عن رفع ما فيها وأفضليته، والتقدير أهو درجة إلخ.

(فجعلهما بعضهم سواء)، أى الدرجتين أو المحبة والخلة متساويتين فى الفضيلة لا تفاوت بينهما، **(فلا يكن الحبيب إلا خليلا، ولا الخليل إلا حبيبا)** لا يخفى أن هذا إنما يقتضى تلازمهما لا مساواتهما رتبة ودرجة ثم أشار إلى جواب سؤال مقدر، وهو أنهما إذا استويا وتلازما فلم خص كل منهما بموصوف فقال: **(لكنه)**، أى الله أو الأمر والشأن **(خص)** مبنى للفاعل أو المفعول **(إبراهيم بالخلة ومحمدا)** بالنصب أو الرفع **(بالمحبة)** بأن سمى الأول خليلاً، والثانى حبيبًا، وهو أمر اتفاقى لمجرد التمييز بينهما، ولا يخفى ضعفه.

(وبعضهم قال: درجة الخلة أرفع) منزلة وأفضل وأعلى درجة، ويشهد له أن المحبة مأخوذة من معنى الخلة وأخص منها، لكنه قيل: إنه يرد عليه ما تقدم من قوله فى مناجاته حيث قال له الله: سل تعطه فقال: يا رب اتخذت إبراهيم خليلا، وكلمت موسى تكليما، فقال تعالى له: ألم أعطك خيرًا من هذا واتخذتك حبيبا، أو ما فى معناه مما يقتضى أن درجة المحبة أرفع إلا أن قوله: لو كنت متخذا الحديث يخالفه، فالمقام لا يخلو من الإشكال، والجواب أن القائل إنما فضله بمجموع ما ذكر فى الحديث.

(واحتج) هذا القائل لمدعاه **(بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم)** فى حديث رواه البخارى: **(لو كنت متخذا خليلا غير ربى، فلم يتخذه)**، أى غير الله **(خليلا، وقد أطلق المحبة)**، أى وصفه بمحبته غير ربه، والجملة حالية **(لفاطمة)** الزهراء ابنته ﷺ، وهو متعلق بأطلق **(وابنيها)** الحسن والحسين، **(وأسامة)** بن زيد بن حارثة، فإنه ذكر أنه كان يحبه ويسمى حب رسول الله ﷺ، **(وغيرهم)** كأبى بكر وعمر وعائشة رضى الله تعالى عنهم، وقد ورد هذا كله مصرحا به فى أحاديث صحيحة، وقد قدمنا لك أن محبة الله تعالى لعبده بمعنى غير محبة العبد لله ولغيره، وأن محبة النبى ﷺ لله بمعنى كونه ليس فى قلبه وذكره غيره، وأنها مأخوذة من حبة القلب كما قلت:

قد تملكت حبة القلب منى ولذا سمى الحبيب حبيبا

فلا ينافى كونه يحب فلانا لأنها لمطلق الميل، وبهذا سقط الاحتجاج بما ذكر، وسيأتى ما يؤيده.

(وأكثرهم)، أى أكثر العلماء وأرباب القلوب **(جعل المحبة أرفع)** درجة وأفضل **(من الخلة؛ لأن درجة الحبيب نبينا)** ﷺ بدل من الحبيب، أو عطف بيان **(أرفع من درجة الخليل إبراهيم)**، فيقتضى أن صفته وهى المحبة أفضل من صفته وهى الخلة، وفيه أنه لا يقتضى ذلك؛ لأن تفضيل الذات على الذات قد يكون لمعنى آخر غير تلك الصفة، لاسيما إذا قلنا: إن الخلة هى المحبة أو غايتها.

(وأصل المحبة) الوضعى الحقيقى **(الميل إلى ما يوافق المحب)** بضم وفتح الحاء بمعنى المحبوب يقال: حبه وأحبه بمعنى إلا أنهم أخذوا اسم الفاعل فى أكثر استعمالهم من المزيد فقالوا: محب، واسم المفعول من الثلاثى فقالوا: محبوب وحبيب، وقالوا فى غير الأكثر: حاب ومحب بالفتح، كقول عنترة فى معلقته[1]:

منى بمنزل المحب المكرم

فراعوا كلا منها، والمراد بما يوافقه ما يرتضيه ويميل إليه، فيحب كل ما يحبه ويبتغيه ويترك لأجله مراداته، والمراد بالميل ميل قلبه؛ ولذا قال: **(ولكن هذا)** المعنى يكون **(فى حق من يصح الميل)** القلبى **(منه)**، أى المحب لا المحبوب، والعكس جائز، وجزم به بعضهم.

(والانتفاع بالوفق) بفتح الواو وسكون الفاء قبل القاف، أى الموافق، فسمى الفاعل بالمصدر أو هو على أصله بمعنى الموافقة بين الشيئين، وهذا الأخير خير، **(وهى درجة المخلوق)**، وهو راجع إلى المحبة بمعنى الميل القلبى ممن يصح منه، أو أنث باعتبار الخير فيرجع للمثل، والدرجة مجاز عن الصفة.

(وأما الخالق جل جلاله فمنزه عن الأغراض) بغين معجمة وراء مهملة وضاد معجمة على ما تقدم، فالميل بمعنى ترجيح شىء وتقديمه على غيره لفائدة غرض وعلة للفعل لا يجوز على الله؛ ولذا ذهب أكثر الأصوليين إلى أن أفعاله تعالى لا تعلل بالأغراض؛ لأنه يقتضى استكماله تعالى بغيره، وهو منزه عنه، أما بمعنى الثمرات والفوائد المترتبة على

---

(١) عجز بيت وصدره:

ولقد نزلت فلا تظنى غيره

والبيت من الكامل، وهو فى ديوان عنترة (ص١٩١)، أدب الكاتب (ص٦١٣)، الاشتقاق (ص٣٨)، الأغانى (٢١٢/٩)، جمهرة اللغة (ص٥٩١)، الخصائص (٢١٦/٢)، الدرر (٢٥٤/٢)، المقاصد النحوية (٤١٤/٢)، الأشباه والنظائر (٤٠٥/٢)، خزانة الأدب (٢٢٧/٣ - ١٣٦/٩)، لسان العرب (٢٨٩/١)، شرح شذور الذهب (ص٤٨٦)، شرح شواهد المغنى (٤٨٠/١)، شرح الأشمونى (ص٢٢٥)، شرح ابن عقيل (ص٢٢٥).

الفعل فلا يضر وخالفهم بعض المحققين وقال: النصوص تدل على خلافه، والاستكمال عنده غير مسلم.

وقد بسطنا الكلام عليه فى غير هذا الكتاب، وفى نسخة: الأعراض، بعين مهملة، وليس جمع عرض بمعنى مرض وبزنته كما قيل، بل بمعنى الكيفيات النفسانية الحادثة والميل منها، وفى نسخة: الاعتراض، ولا مناسبة لها هنا إلا بتكلف، وإذا كانت المحبة بهذا المعنى لا تليق برب العزة.

(فمحبته)، أى الله **(لعبده تمكينه من سعادته)**، أى إقداره على ما يفيد سعادة الدارين بتوفيقه لطاعته وعبادته، **(وعصمته)** من ارتكاب الذنوب ويجوز رفعه وجره عطفا على تمكين، وسعادة العصمة هنا معناها الحفظ، **(وتوفيقه)** فى أموره بجعلها على وفق رضاه ويجوز رفعه وجره أيضًا.

(وتهيئة أسباب القرب) تهيئة بزنة تكرمة بياء مثناه تحتية بعد الهاء وهمزة وهاء تأنيث مصدر هيأته إذا جعلته حاضرا سهل التناول، أى يسر له الله كل سبب يقربه إلى ربه من صلاة وجهاد ومعرفة ونحوها، **(وإفاضة رحمته عليه)**، أى إيصال الخيرات الدنيوية والأخروية اتصالاً كثيرًا متواليًا فشبه الرحمة بالماء وأثبت الإفاضة بمعنى الصب بكثرة على طريقة المكنية والتخييلية.

(وقصواها) بضم القاف وسكون الصاد المهملة فعلى من أقصاه إذا أبعده، والمراد غايتها، والضمير للمحبة المفسرة بتمكينه وما بعده، وذكر الغاية لأن صفاته تعالى التى لا تليق به تؤخذ باعتبار غايتها، وغاية المحبة **(كشف الحجب)** بضمتين جمع حجاب، أى إزالة المواقع **(عن قلبه)** كالشواغل الدنيوية **(حتى يراه بقلبه)**، أى يعلمه علمًا يقينيًا كالمشاهدة المحسوسة، **(وينظر إليه ببصيرته)**، وهى قوة للقلب كالبصر يدرك بها ما يتوجه إليه، **(فيكون كما قال)**، أى الله تعالى أو الرسول ﷺ الناقل له.

(فى الحديث) الذى رواه البخارى: **(فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ولسانه الذى ينطق به)**، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وهو حديث قدسى طويل، ومعناه إذا صفى قلبه وشغل نفسه بالله أحبه الله، ومحبة الله تقدم أنها عنايته ولطفه به وإفاضة نعمه على ظاهره وباطنه، فتكون حواسه وإدراكها وأعضاؤه وحركاتها كلها متوجهة لله ولما فيه رضاه من غير تصنع ومشقة، فيقويه على ذلك حتى يكون كأن أفعالها صادرة عن الله.

وإلى هذا أشار المصنف بقوله: **(ولا ينبغى أن يفهم)** بالبناء للمجهول، أى لا يفهم

أحد **(من هذا)** الحديث والكلام **(سوى التجرد إلى الله)**، أى تجريد أفعاله وإحساسه عما يشغله عن الله، **(والانقطاع إلى الله)** بترك غيره وإخراجه عن فكره ونظره، **(والإعراض عن غير الله)** حتى يصير مراقبا له فى جميع أحواله، **(وصفاء القلب لله)** بحيث لا يكون فى فكره غيره، فيصفو من كدر الأوهام ودنس الخلق، **(وإخلاص الحركات لله)** بأن لا يحرك عضوا من أعضائه إلا لعبادته أو لما يعين عليها.

(كما قالت عائشة، رضى الله عنها) كما تقدم: **(كان خلقه القرآن)**، أى أخلاقه ﷺ كلها على وفق ما أمر به فى القرآن فجعلت القرآن عين خلقه مبالغة، وإلى هذا يشير قولها: **(برضاه يرضى)**، أى يرضى ويحب ما ذكر فى القرآن، أنه فعل مرضى لله من واجب ومندوب ومباح يقصد به ما يصيره قربة.

(وبسخطه) بفتحتين وضم فسكون **(يسخط)**، أى يكره ما ذكر فيه أن الله يكرهه من كل حرام ومكروه وخلاف الأولى، وقدم الجار والمجرور للحصر فلا يرضى إلا ما يرضاه، ولا يكره إلا ما أباه، والحاصل علم مما ذكر أن أخلاقه ﷺ الطبيعية اضمحلت وذهبت لما شق قلبه الشريف، فلم يبق له إرادة لغير ما يريده الله، ولا رضا لغير ما يرضاه، ولا يخفى ارتباط هذا بما قبله من قوله: كنت سمعه وبصره فاعرفه.

(ومن هذا) إشارة إلى ما سبق فى أول كلامه من معنى الخلة قبل ذكر الخلاف فيها ومأخذ اشتقاقها. **(عبر بعضهم عن الخلة بقوله:**

قد تخللت مسلك الروح منى وبذا سمى الخليل خليلا
فإذا ما نطقت كنت حديثى وإذا ما سكت كنت الغليلا)

وفى رواية كنت الدخيلا يعنى أن الشاعر عبر عن معنى الخلة بناء على أنها من التخلل كأنها تخللت باطنه، وجرت مجرى الروح المجسمة السارية فى البدن سريعا مسرى ماء الورد فى الورد؛ بناء على أن أحد الأقوال فيها لا على أنها مجردة خارجة عنه ومتصلة، أو بناء على أنها لطيفة نورانية فى أحد طاقتى القلب لها الحياة والإحساس، ومسلك منصوب على الظرفية بتخللت المتضمن معنى دخلت، أسند التخلل إليه مبالغة، والمراد تخلل محبته ومودته فى مسالك روحه، أو فى قلبه الذى هو مقرها بحيث لا يكون فيه سواه كما مر، ثم فرع على أنه ليس فى روحه وقلبه غيره أنه إذا تحدث لم يذكر غير محبوبه وخليله، وإذا سكت لم يكن فى فكره وقلبه غيره، فالمراد بالغليل بالغين المعجمة ما كان داخل القلب من قولهم: تغلغل الماء وتغلل بين النبات إذا جرى تحته مستترا، وكذا المراد بالدخيل ما هو داخل القلب والبدن لا الأجنبى كما فى قول السكاكى:

الدخيل كالناشئ هذا ما قصده الشاعر، وأشار إليه المصنف وإن كان ظاهر الشعر على تفضيل الخلة على المحبة، فالمراد بالخليل فيه كل متصف بالخلة لا إبراهيم كما قيل؛ فإنه لا يصح هنا، وليس المراد بالغليل حرارة العطش، أى كنت لعدم ذكرى لك مضرمًا جوانح قلبى عطشا لعدم ذكرك، فإن إزاحة الغم وإراحة النفس بذكر الأحبة، وما زائدة فى الشعر، والدخيل بدال مهملة وخاء معجمة ومن العجيب قوله فى الشرح الجديد: إن المعنى: إذا سكت كتمت حبك فى قلبى كما يكتم الحقد والضغائن، فالمراد بالغليل الحقد والضغائن، ولا يستقيم إلا على الاستعارة فإنه تعسف لا ينبغى ذكره.

(فإذن) تفريع لجواب سؤال متفرع على ما سبق **(مزية الخلة)**، أى فضيلة الخلة، وفى شرح العلامة أنه لم يبن له فعل، وتقدم أنه يرده قوله فى الأساس تميزت عليه إذا زدت فى الفضل عليه.

(وخصوصية المحبة) بفتح الحاء وضمها بمعنى اختصاصها، وعبر فى الأول بالمزية إشارة إلى أن الخلة وإن تشارك فيها النبى ﷺ، والخليل عليه الصلاة والسلام فهى مختصة بنبينا باعتبار معنى زائد فيها؛ لاشتمالها على المحبة المختصة معنى ولفظا، وإن لم يطلق على الخليل حبيب الله كما مر.

وإن كانت محبته شاملة لهما، بل لغيرهما كما قال تعالى: (﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]) أن هذه غير المحبة المختصة كما مر تحقيقه وكما أن المحبة من الجانبين فكذلك الخلة، فإنه يقال: حبيب الله والله حبيبه كما يقال خليله خلافا لمن توهم أن الخليل لا يطلق على الله للحديث المتقدم: **(ولو كنت متخذا خليلا غير ربى)**، وبهذا تبين نكتة تعبيره بالمزية والخصوصية، **(حاصلة لنبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، وفى نسخة: خالصة، أى مختصة، وكان الظاهر أن يقول: حاصلتان لكنه أفرد لجعلهما كالشيء الواحد.

(بما دلت عليه الآثار الصحيحة) الباء للتعدية متعلقة بحاصلة، ويجوز أن تكون سببية والمراد بالآثار الأحاديث التى تقدمت كقوله: **(لو كنت متخذًا خليلاً غير ربى)** إلى آخره، وقوله: ألا وأنا حبيب الله، وقوله: **(المنتشرة)**، أى الشائعة المشهورة **(المتلقاة بالقبول من الأمة)** ذكر شهرتها والقبول لها مؤيدا لاختصاصه ﷺ وزيادته على غيره من الرسل، ثم استشهد لذلك بنص القرآن فقال: **(وكفى بقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾** [آل عمران: ٣١] **الآية)** الباء زائدة فى فاعل كفى أو للتعدية، وكفى بمعنى اكتفى كما هو مشهور، ووجه الدلالة فى هذه الآية أنه لما جعل من اتبعه محبوبا لله علم أنه محبوب عند الله محبة ليس فوقها محبة، ومقرب تقربا لا يدانيه أحد فيه،

فعلم منه خلته وحبه؛ ولذا قال المصنف: وكفى إلى آخره، ومن لم يفهم مراده قال: هذا لا يدل على مدعاه لأنه علق محبته على اتباعه فيما جاء به من الشرائع وتصديقه، وذلك محبوب لله، وإنما يدل لو علق محبته على محبتهم للرسول ﷺ فقال: إن كنتم تحبون الله فأحبوا الرسول.

(**حكى أهل التفسير أن هذه الآية لما نزلت قال الكفار: إنما يريد محمد**) بقوله لنا اتبعونى يحببكم الله (**أن نتخذه حنانا**) بفتحتين مخفف النون معناه الرحمة والإشفاق مأخوذ من الحنين، وهو يكون مع صوت، والمراد أن نعطف عليه ونجعله موضع الحنان والرحمة، أى نتبرك ونتضرع به، وقد تقدم الكلام فيه، (**كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم**) عليه الصلاة والسلام حنانًا ومعبودًا يتقربون بعبادته إلى الله تعالى.

(**فأنزل الله تعالى غيظًا لهم**) مفعول له، أى أنزل الله لغيظهم ويعلمهم بغضبه عليهم، فإن الغيظ الغضب على الفاجر، (**ورغما على مقالتهم**) بتثليث الراء المهملة وسكون الغين المعجمة والميم، وهو الذل والخزى والإساءة بما يكره، ولعله كل مؤذ يصيب الأنف، ولذا يقال: رغم أنفه، وعلى رغم أنفه وضمنه معنى التبكيت والتقريع فعداه بعلى، والمآل إلى أنه أذلهم بتوبيخهم ورد مقالتهم هذه.

وقوله: (**هذه الآية**) مفعول أنزل ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ**﴾، ثم بعد ما تبين سبب النزول من إنكارهم جعل اتباعه سبب محبة الله لهم وتقربهم إلىالله تعالى، ذكر الآية وأنها أبلغ من الأولى وأشد؛ لأن الأولى لا تقتضى لزوم اتباعه، فإنه تعالى يتقرب إليه بالنوافل، ويحب فاعلها، والأمر بطاعته يقتضى الوجوب، واقترانها بطاعته يدل على تأكيده مع تعظيمه وتشريفه، كما دل عليه قوله: (**فزاده شرفا بأمرهم بطاعته**) وإيجابها عليهم، (**وقرنها بطاعته**)، أى الرسول ﷺ زيادة فى تشريفه، والاتباع وإن كان عين الطاعة أو لازمها فليس هو أمر وإيجاب ومن عقل عنه قال: هما سواء إلا أن هذا فيه التصريح بالطاعة.

(**ثم توعدهم على التولى عنه**) بالإعراض عن طاعته وهو عدمها (**بقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾** [آل عمران: ٣٢]) كان الظاهر أن يقال: فإن الله لا يحبهم، فوضع الظاهر موضع المضمر، وعلقه بالمشتق الذى هو علة للحكم، فكأنه قال: لا يحبهم لأنهم كفروا بالله سواء كان تعريفه للاستغراق أو للعهد، فهذه الآية أصرح وأدل على وجوب طاعته وعلو مرتبته صلى الله تعالى عليه وسلم على غيره من الأنبياء كعيسى عليه السلام.

(وقد نقل الإمام أبو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما فى الفرق بين المحبة والخلة يطول) هذه الجملة صفة قوله كلاما، فأشار إلى أنه لم ينقله لطوله ثم استأنف فقال: **(جملة إشاراته ترجع إلى تفضيل مقام المحبة على الخلة، ونحن نذكر منه)**، أى من كلام ابن فورك **(طرفا)** بفتحتين، أى بعضا قليلا **(يهدى)**، أى يدل **(على ما بعده)**، أى باقيه، فالبعدية غير مرادة لأنه مجاز.

(فمن ذلك قولهم)، أى قول المتكلمين الذى نقله ابن فورك عنهم: **(الخليل يصل)** إلى من خالله **(بالواسطة)**، أى يتوسط آخر بينه وبين خليله كما بينه قوله: يصل به الآتى، ثم بين أن هذا المعنى مأخوذ **(من قوله)** عز وجل: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ**﴾ [الأنعام: ٧٥]، فوصل لمعرفة الله بواسطة ما رآه من آيات ملكوته التى أوصلته لمعرفته.

(والحبيب يصل لحبيبه به)، أى هو دله على نفسه بنفسه من غير واسطة لغيره، وهذا مأخوذ **(من قوله:** ﴿**فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ**﴾ [النجم: ٩]**)**، فأراه عين اليقين كما تقدم، وهذا وإن كان المصنف رحمه الله تعالى ناقلا له والعهدة فيما نقله على قائله إلا أن هذا غير ظاهر؛ لأنه إن أراد بالوصول الوصول إلى الله برؤيته وسماع كلامه من غير واسطة، فالآية لا مناسبة لها بما ذكر، وإن أراد الوصول إلى معرفة الله تعالى ومشاهدته فكذلك، ثم إنه لا يتم الفرق لأنه إن أراد بين مفهوم المحبة والخلة فما ذكر لا يدل عليه، بل ليس بصحيح، وإن أراد بين ذاتى من قاما به فلا يفيد شيئًا مما نحن فيه، ثم إنه مبنى على القول بأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لم يعرفه. قيل: هذا الاستدلال بناء على جواز مثله على الأنبياء مطلقا، أو قبل البلوغ مع أن المحققين على أنه ورد على طريق الجدل مع قومه الذين كانوا يعبدون الكواكب، وبالجملة فهذا كلام غير منقح.

(وقيل: الخليل الذى تكون مغفرته)، أى مغفرة الله له ما قد يصدر عنه محتاجا لعفوه عنه **(فى حد الطمع)**، أى واقعة فى حال يطمع صاحبها فى التجاوز عنها؛ لأن الخليل لا يؤاخذ خليله بزلاته. وأصل معنى الحد الحاجز بين الشيئين والمحيط به كحدود الدار، فاستعير للحال المميزة له والمقتضية لتحققه **(من قوله:** ﴿**وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ**﴾ [الشعراء: ٨٢]**)**، أى قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى قصته مع قومه هضما لنفسه وتعليمًا لأمته، وإلا فهو معصوم.

(والحبيب الذى مغفرته فى حد اليقين)، أى متيقنة، وهذا مأخوذ **(من قوله)**، أى قول الله لمحمد حبيب الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ﴿**لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾ [الفتح: ٣]، أى كل ما صدر عنك وما لم يصدر مما هو بالنسبة لمقامك قد

يقتضى نقصا، وفى الآية إشارة إلى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يصدرمنه إذ سوى المتقدم بالمتأخر فى عدم الوقوع؛ ولذا سر صلى الله تعالى عليه وسلم بها لما نزلت مرجعه من الحديبية، وقال: نزلت على آية أحب إلى مما على وجه الأرض. والكلام على الآية مبسوط فى التفسير، وقد تقدم طرف منه أيضًا.

ثم ذكر فرقا آخر قريبا من هذا فقال: (**والخليل قال:** ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧])، أى لا تفضحنى ولا تعذبنى فى يوم القيامة، وقد قيل: إنه ورد فى الحديث أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذا رأى أباه فى المحشر يقول: يا رب وعدتنى أن لا تخزنى فيمسخ الله آزر ذيخا بذال معجمة ومثناة تحتية وخاء معجمة، وهو ضبع مبين فيقال له: انظر لما تحت قدميك، فيراه فينكره ويلقى فى النار، فحول الله صورته حتى لا يعرفه الناس حين يلقى فى النار، فيفتضح بين أمته قيل: ومنه يعلم أن أبوى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليسا فى النار، وفيه ما سيأتى.

(**والحبيب**)، أى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (**قيل له:** ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ﴾ [التحريم: ٨] **فابتدىء بالبشارة**)، بنفى الخزى عنه برؤية ما يكره (**قبل السؤال**) لذلك كما سأله غيره منهم، والخزى ليس هو العذاب كما فى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، وإنما هو الفضاحة بكل مؤلم له أو لأمته كالعتاب، فلا يقال: إن الله أمنه من غضبه وعذابه، فما فائدة البشارة بعد هذا.

ثم ذكر فرقا آخر فقال: (**والخليل قال فى المحنة**) هى والامتحان بمعنى الابتلاء، والمراد بذلك قصته مع نمرود حين ألقاه فى النار، فكانت عليه بردا وسلاما، قال: (**حسبى الله**)، أى هو كاف لى فى جميع أمورى.

(**والحبيب**) وهو نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم (**قيل له: يا أيها النبى حسبك الله**) يعنى أن النبى[1]، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال ذلك طالبًا كفاية الله له، وهذا قاله الله له فتكون كفايته له محققة مقررة بخلاف الأول كما ستسمعه قريبا.

(**والخليل قال:** ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ﴾) [الشعراء: ٨٤]، أى ذكرا جميلا صدقا، فعبر باسم الآلة عما يصدر منها مجازا (**فى الآخرين**)، أى فى الأمم الآتين من بعدى إلى يوم القيامة، فهو طلب ودعاء وأجابه الله، فما من أمة إلا وهى تثنى عليه وتحبه.

(**والحبيب قيل له:** ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾) [الشرح: ٤]، أى جعلناه عاليًا شريفا؛ لما تضمنه من الثناء مقرونا باسم الله فى الصلاة والخطبة والأذان وغيرها. (**أعطى**) الحبيب

---

(١) أى سيدنا إبراهيم، عليه السلام.

(بلا سؤال) منه، وهذا بيان لمزية الحبيب كما نبهناك عليه أولاً.

(والخليل قال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾) [إبراهيم: ٣٥]، اجنبنى كجنبنى بمعنى بعدنى بعدًا حسيًا ومعنويًا بأن لا يصدر منهم ذلك. وقد أجاب الله تعالى دعاءه؛ لأن المراد بنو صلبه، وفيهم أنبياء عصمهم الله تعالى وأتقياء حفظهم.

(والحبيب قيل له)، أى قال الله تعالى له: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، هو كل مستقذر حسًا أو طبعًا أو عقلاً أو شرعًا، أى الله كرمكم بأن حفظكم من الذنوب وما يدنس الأعراض، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، و لم يقل: أذهب مع أنه أحصر، إشارة إلى أنه قضى لهم بذلك فى الأزل وفى عالم الأرواح والذر.

﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ منصوب على المدح أو النداء، أو المراد أهل بيت النبوة، فيشمل أولاده صلى الله تعالى عليه وسلم وزوجاته وأتباعه وأقاربه، ولا يختص ذلك بعلى وفاطمة والحسنين كما زعمته الشيعة، وهذا أبلغ مما فى حق إبراهيم بوجوه؛ لاختصاصه بنفى عبادة الأصنام، وهذا عام فى كل ذنب ونقص، وذاك خاص ببنيه، وهذا شامل لكل من شمله بيته كما سمعته آنفا، ومبالغته فى تطهيره بقوله: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ولا يخفى أن كل ما نقله ابن فورك إنما يدل على شرف النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وزيادة علو مرتبته على غيره، ولا علاقة له بنفس المحبة والخلة، لاسيما الآيات لم يذكر فيها بعنوان لفظ الحبيب، **(وفيما ذكرناه)** من تفسير المحبة والخلة واشتقاقهما، والخلاف فى أيهما أرفع درجة **(تنبيه على مقصد أصحاب هذا المقال)** المقصد مصدر ميمى بعنى القصد، أو هو بمعنى المقصود لأن مفعل يأتى بمعنى مفعول كمركب وإن كان نادرًا، أو هو مجاز عن المصدر، أو من اسم المكان باستعارته منه استعارة مصرحة أصلية.

(من تفصيل المقامات والأحوال) بيان للمقصد، والمقامات بفتح الميم جمع مقام، وهو محل القيام، وبضمها محل الإقامة، وجمعه جمع المؤنث؛ لاطراده فيما لا يعقل كحمامات وسبحلات، والمراد بالمقام هنا أمر يكون عليه العارف بالله تعالى من الأنبياء والأولياء يرتفع به من حضيض البشرية فى درجات العبودية حتى يرقى إلى المقام الأعلى، وما يطرق عليه هو المراد بالأحوال، وليس بمعنى واحد هنا كما قيل، وقيل: المقامات الصفات الثابتة، والأحوال الصفات الزائلة، وهو قريب مما قلنا والظاهر أن المراد بقوله السابق ما ذكرناه ما لخصه من كلام ابن فورك، وهو جواب عما تقدم من أن هذا لا يدل على بيان الخلة والمحبة الذى هو بصدده، فأشار إلى أنه وإن تعلق بذات الحبيب

والخليل، فالمقصود بيان تفاوت وصفهما، فيرجع ما قاله إلى بيانهما، فإن منهم من يسلك التصريح ومنهم من يقصد الإيماء والتلويح.

(وكل يعمل على شاكلته)، أى لكل أحد طريقة يختارها، والمشاكلة فى الآية التى اقتبس منها المصنف، وهى ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]، بمعنى سجيته وجبلته، وهى كما قال الراغب مأخوذة من الشكال وهو قيد يقيد به الدابة؛ لأنها قيدته وذلك لأن سلطان السجية قاهر لصاحبه ومنه شكل الكتاب يقال: شكلت الخط كما يقال قيدته، وأشار بقوله: ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٤]، أى الله يعلم من طريقته أقوم وأكثر إيصالا إلى الحق وإرشادا للهداية يشير إلى أن الخلاف السابق فى تفضيل الخلة والمحبة مبنى على أمور نظر إليها كل من الفريقين، فكأنه لم يجزم بأحدهما؛ لأن الخلاف كاللفظى وقد قيل: إن غاية ما ذكره ابن فورك تفضيل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم على إبراهيم عليه والصلاة والسلام فى حد ذاته من غير نظر لما جعلوه علة من تفضيل الصفة على الصفة، والحق تفضيل الخلة كما ذكره ابن قيم الجوزية، وقد علمت ما فيه، وقد قدمنا لك ما يغنى عنه.

* * *

(فصل فى تفضيله) [بالشفاعة والمقام المحمود]

صلى الله تعالى عليه وسلم، برفعة مقامه على غيره **(بالشفاعة)** إن كان تعريفه للعهد، والمراد الشفاعة العظمى فى المحشر التى يخلص الله بها أهله من هوله وكربه، فقوله: **(والمقام المحمود)** عطف تفسير، وإلا فهو من عطف الخاص على العام، والمقام المحمود كل مقام يتضمن كرامة محمد، ولكنه خص هنا بفرد معين من أفراده اختلف فيه كما قاله البرهان نقلا عن القرطبى على ستة أقوال:

فقيل: هى الشفاعة العامة السالفة. **وقيل**: إعطاؤه لواء الحمد، وهو لا ينافى ما قبله. **وقيل**: هو أن يجلس ﷺ مع الله على الكرسى، وهذا مما نقل فيه حديث طعنوا فيه ويأتى ما فيه، ومنهم من أوله. **وقيل**: هو شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لإخراج بعض أهل النار منها. **وقيل**: هو شفاعته رابع أربعة إذ يقوم له روح القدس جبريل عليه الصلاة والسلام، ثم يقوم إبراهيم، ثم يقوم موسى أو عيسى عليهم الصلاة والسلام، ثم يقوم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، فيشفع ولا يشفع أحد بعده فى أكثر مما يشفع، وبه فسرت الآية. **وقيل**: هو مقام يكون أقرب فيه من جبريل.

والشفاعة ثابتة له صلى الله تعالى عليه وسلم بالإجماع إلا أنها عند أهل السنة لأصحاب الكبائر لحديث «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى»، وعند المعتزلة لزيادة الثواب

لا لدرء العقاب، والكلام عليه مفصل فى كتب الأصول، وكونه محمودا على ظاهره، أو إسناده مجازى، أى صاحبه محمود.

(قال الله تبارك وتعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾) [الإسراء: ٧٩]، استشهد بالآية على ما قاله، وقد علمت ما فسر به المقام المحمود، ومقاما منصوب على الظرفية بمحذوف، أى يقيمك مقاما، أو بتضمين يبعث معناه، أو هو حال بتقدير، أى ذا مقام.

وأما الوجه الثالث وهو جلوسه صلى الله تعالى عليه وسلم مع الله على العرش والكرسى: فقال الواحدى رحمه الله تعالى: إنه قول فاسد مبنى على التجسيم وبين فساده بوجوه منها: أن البعث هوالإثارة والإقامة والجلوس ضده، فكيف يفسر به؟ وأيضا هو يقتضى التحديد والتناهى المستلزم للحدوث، وأيضًا أنه قال: مقاما، ولو كان كذلك لقال مقعدا، ومثله لا يدل على البعث، ورد هذا بأنه رواه أحمد من طرق شتى، ومثله من المتشابه كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقد صححه الدارقطنى، وقال ردًا على منكره وأجاد فى ذلك رحمه الله تعالى رحمة واسعة:

حديث الشفاعة عن أحمد ... إلى أحمد المصطفى نسنده
وقد جاء الحديث بإقعاده ... على العرش أيضًا ولا نجحده
أمروا الحديث على وجهه ... ولا تدخلوا فيه ما يفسده
ولا تنكروا أنه قاعد ... ولا تنكروا أنه يقعده

فجلوسه ﷺ لا مانع منه، وأما نسبة ذلك لله وقوله: إنه معه فليس المراد ظاهره، بل هو وأمثاله مأولة، وهى كثيرة، وعسى للترجى ومعناها وعملها مشهور فى كتب النحو، فمعناها الترجى فى المحبوب والإشفاق فى المكروه، والترجى منه ﷺ ظاهر ومن الله قالوا: إنه إيجاب، أى جزم بوقوعه إذ الله تعالى لا يجب عليه شيء كما تقرر فى الكلام.

(حدثنا) وفى نسخة: أخبرنا، **(الشيخ أبو على الغسانى الجيانى)** شيخ المصنف وغسان اسم ما فى الأ صل سمى به قبيلة من اليمن نزلت عليه، وجيان بالجيم المفتوحة وتشديد الياء المثناة التحتية بوزن شداد بلدة بالأندلس منها ابن مالك وأبو حيان رحمهما الله تعالى **(فيما كتب إلى بخطه)** إشاره إلى أن هذه الأخبار ليس بالمشافهة، أى إخبارا كائنا فى ضمن أمور أخر وأحاديث كتبها له، والكتابة نوع من التحمل والإجازة لها حكم الاتصال عند كثير من المحدثين وأهل الأصول كالسمعانى وصاحب المحصول، ووقع ذلك فى الصحيحين سواء كاتبه حاضرا أو غائبا بشرط أن يعرف خطه.

قال: **(حدثنا سراج بن عبد الله القاضى)** السابق ذكره وترجمته قال: **(حدثنا أبو محمد الأصيلى)** الذى تقدم الكلام عليه وعلى نسبته قال: **(حدثنا أبو زيد)** المروزى وقد تقدمت ترجمته، **(وأبو أحمد)** محمد بن محمد بن يوسف بن مكى الجرجانى **(قالا: حدثنا محمد بن يوسف)** الفربرى السابق ترجمته قال: **(حدثنا محمد بن إسماعيل)** هو إمام السنة صاحب الصحيح البخارى، وقد تقدم قال: **(حدثنا إسماعيل بن أبان)** أبو إسحاق الوراق الأزدى الكوفى، وأبان بفتح الهمزة وتخفيف الباء علم منقول تردد فى صرفه وعدم صرفه بعضهم، وأجاز بعضهم فيه الصرف وعدمه، وسبب الخلاف فيه أن منهم من قال وزنه فعال فيتعين صرفه، وقيل: إنه منقول من ماضى أبان يبين، وجزم به ابن مالك وصاحب التوضيح، وقال القرافى: المحدثون النحاة على منع صرفه، ونقله ابن يعيش عن الجمهور بناء على أن وزنه أفعل بمعنى أوضح فاعل على خلاف القياس، وأبقى على أصله فاندفع قول الدمامينى: لو كان كذلك وجب تصحيحه لأن أفعل الأجوف الوصفى لا يعل، وفى شرح مسلم أنه جوز فيه الصرف وعدمه، والصحيح صرفه كما فى جامع اللغة وبه جزم ابن السيد.

أقول: عدم صرفه تعسف، وقد تتبعت كلام العرب فوجدته مصروفا فيه كقول أبى عطاء الحماسى:

أتعرف مسجدا لبنى تميم فويق التل دون بنى أبان

(وقول مهلهل:)

لهف نفسى على عدى ولم أعرف عديا إذ مكنتنى اليدان
ظل من ظل الحروب ولم أعرف قتيلا آباؤه من أبان

إلى غير ذلك مما لا يحصى، فلا وجه للتردد فيه، ولذا قال بعض أئمة اللغة: من لم يصرف أبان فهو أتان، وهو إمام ثقة توفى سنة ست عشرة ومائتين، وترجمته فى الميزان، قال: **(حدثنا أبو الأحوص)** بحاء وصاد مهملتين واسمه سلام بتشديد اللام، ابن سليم بالتصغير الإمام الثقة الرواية، وتوفى سنة مائة وتسعة وتسعين، وأخرج له أصحاب الكتب الستة، وقيل: اسمه عوف بن مالك بن فضالة، والصحيح الأول.

(عن آدم بن على) العجلى الثقة التابعى يروى عن ابن عمر وغيره، **(قال: سمعت ابن عمر)** الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنهما **(يقول:)** حال أو مفعول كما بينه النحاة، وقد تقدم بيانه **(إن الناس يصيرون يوم القيامة جثى)** هذا الحديث رواه البخارى فى التفسير موقوفا على ابن عمر، ومثله مما لا مجال للرأى فيه له حكم المرفوع،

واحتمال أنه سمعه من أهل الكتاب بعيد لا يعول عليه، وكونه سمعه من صحابى آخر لا يضر؛ لأن مرسل الصحابى مقبول.

أقول: هذا مما قاله أهل الأصول وقبله الأئمة فى مصطلح الحديث، وفيه بحث؛ لأنه يجوز أن يكون الصحابى ممن قرأ الكتب القديمة، أو يكون استنبطه من كتاب أو سنة، فينبغى تقييده بما ذكره، وجثى بضم الجيم مقصور نون، وجوز كسر جيمه أيضًا جمع جثوة مثلث الأول، وأصله الكوم المجتمع من تراب ونحوه، فاستعير لمعنى الجماعة، أى يجتمعون جماعات كل أمة جماعة تابعة لنبيها كما ذكره. وروى البرهان عن الحافظ العراقى جثاء بضم الجيم والمد، وأنه كذا صحح فى نسخ البخارى، وصححه الهروى وابن الأثير، وروى جثى بضم الجيم وكسر المثلثة وتشديد الياء جمع جاث، وهو البارك على ركبتيه، وقيده بعضهم بأن يجلس كذلك للخصومة وأنشدوا قوله:

أخاصمهم مدة قائما وأجثوا إذا ما جثوا للركب

ولا شاهد فيه، وهذا على خلاف القياس إذا صحت الرواية فلا يرد عليه أن فاعل لا يجمع على فعل كما قيل.

(**كل أمة تتبع نبيها يقولون**) حال من فاعل يقول، أى تكون معه تابعة له بانضمامها إليه: (**يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا**)، أى تنادى كل أمة نبيها باسمه يسألونه أن يشفع لهم عند ربهم فى الخلاص من هول الموقف كما مر، فيجيبهم بأنه لا يقدر على الشفاعة كما تقدم، فيذهبون لغيره من الرسل، فيجيبهم مثله.

(**حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم**)، أى حتى تنتهى الأمم وسؤالهم لواحد بعد واحد يكون غايته أن يلتجئوا له صلى الله تعالى عليه وسلم، فيجيبهم ويشفع لهم، فتقبل شفاعته ففى الحديث طى لجمل علمت من السياق، ومن أحاديث أخر صرح فيها بذلك، ومعنى تنتهى تبلغ وتصل كما يقال: بلغ الأمير قصتى، وهذه هى الشفاعة العظمى، وقد تقدم أن له صلى الله تعالى عليه وسلم شفاعات أخر.

(**فذلك**)، أى ما ذكر من الشفاعة وما معها (**يوم يبعثه الله المقام المحمود**)، أى كائن فى ذلك اليوم بنصب يوم على الظرفية، فإن رفع يجعل القصة المختصة به كأنها عينه مبالغة وتجوزا جاز.

(**وعن أبى هريرة، رضى الله عنه: سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم**)، أى عن الآية المذكورة كما أشار إليه بقوله: (**يعنى قوله:** ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾) [الإسراء: ٧٩]، وضمير يعنى راجع لأبى هريرة، وهذا الحديث رواه أحمد والبيهقى،

(فقال)، أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم جوابًا عن السؤال: **(هى الشفاعة)** العظمى الواقعة لفصل القضاء، وقيل: لإخراج المذنبين من النار، والمشهور هو الأول، وضمير هى راجع للشفاعة كقولك هى الحياة، أو للمقام وأنث رعاية للخبر أو للآية بالتجوز على أن المراد المعنى المقصود منها، وقيل: المراد أنها هى الشفاعة فى اليوم المسمى بالمقام المحمود، وهو تكلف جدًا.

(وروى كعب بن مالك) الأنصارى الصحابى أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى غزوة تبوك وتاب الله عليهم بنص القرآن، وهذا الحديث رواه أحمد بن حنبل مسندا **(عنه عليه الصلاة والسلام)** أنه قال: **(يحشر الناس يوم القيامة)** بعد الخروج من القبور، أى يجتمعون للحساب، **(فأكون أنا وأمتى على تل)** بمثناة فوقية مفتوحة ولام مشددة هورابية من تراب أو رمل ونحوه عالية مرتفعة، وجمعه تلال، وأتلال نادر، وفى القاموس: التل من التراب، والكوم من الرمل، وتفسيره بمكان عال كالجبل بيان للمقصود أو تسامح، وفيه إشارة إلى إعلاء مقامه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ومقام أمته، واللطف بهم فى تخليصهم من زحام الموقف ومشقته.

(ويكسونى ربى حلة خضراء)، وفيه استئناس لما يلبسه الأشرف الآن من العمامة الخضراء، وإن كان ذلك مما حدث فى زمن السلطان الأشرف تمييزا لهم عن غيرهم، وإن لم يكن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فعل ذلك كما فصلناه فى محله. والحلة بضم فتشديد من برود اليمن، ولا تسمى حلة إلا إذا كان ثوبين أحدهما فوق الآخر، أو ثوب واحد له بطانة، وسمى بذلك؛ لأن كلا منهما يحل على الآخر، ولكونهما جديدين كما حل طيهما، ثم شاع فى مطلق الكسوة النفيسة، وكسوته صلى الله تعالى عليه وسلم بعد كسوة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فى الزمن كما سيأتى التصريح به فى الحديث، وليس فيه تفضيل له عليه؛ لأن حلة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أعلى وأحسن، وإنما قدم جزاء لما فعله به نمرود حين عراه ليلقيه فى النار، ورعاية له بما يسر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأنه جده، وزمنه أسبق وسنه أزيد.

(ثم يؤذن لى)، بالبناء للمجهول، من الإذن، أى يأذن الله لى فى التكلم بين يديه، والشفاعة لأهل المحشر أجمعين، فيقال له: قل تسمع، واشفع تشفع، كما مر، **(فأقول ما شاء الله أن أقول)** من حمد الله بمحامد لائقة والشفاعة العظمى، **(فذلك المقام المحمود)**، وهذا لا ينافى تفسيره بالشفاعة العظمى، كما قال المحب الطبرى، وذلك إشارة إلى جميع ما تقدم من أول الحديث إلى آخره.

(وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما) فى حديث ساقه، **(وذكر حديث الشفاعة)**

معطوف على مقدر، وقوله: **(قال فيمشى)** يعنى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بدل من قوله: ذكر **(حتى يأخذ بحلقة)** باب **(الجنة)**، وفى رواية قال: فأمشى حتى آخذ، والحلقة معروفة بسكون اللام وجوز فتحها، وأنكره بعض أهل اللغة كما تقدم، والحديث تقدم بتمامه.

(فيومئذ)، أى يوم مشى صلى الله تعالى عليه وسلم وأخذ بالحلقة، واليوم على ظاهره، أو بمعنى مطلق الوقت **(يبعثه الله المقام المحمود الذى وعده)** به فى القرآن فى قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وهو مقام يشفع فيه لسائر الخلائق الشفاعة العظمى، ويحمده فيه الأولون والآخرون؛ فلذا سمى بذلك ووعده مبنى للمجهول، ومفعوله الأول عائد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مستتر، والبارز عائد على المقام، ويجوز بناؤه للفاعل أيضًا، وقيل: المقام المحمود هنا وقوفه ثمة وأخذه بحلقة باب الجنة وهو مغلق ليفتحه، فيدخلها من هو معه والحامدون له على هذا المسلمون وأهل الجنة؛ لأن من عداهم ألقى فى النار فهذا تفسير آخر فتأمله.

(وعن ابن مسعود) رضى الله تعالى عنه **(عنه عليه الصلاة والسلام أنه)**، أى المقام المحمود الموعود به **(قيامه يمين العرش مقاما لا يقومه غيره)** ظاهره أن المقام هو القيام نفسه على أنه مصدر وقوله: مقاما منصوب على الظرفية وليس كذلك، فإن المراد أن المقام هو المحل الذى قربه الله فيه قربا لم يتيسر لغيره، وقيل: المراد إقامته ومكثه فى ذلك المقام، فلا ينافى ما مر من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم يجلس على منبر عن يمين العرش.

(يغبطه فيه الأولون والآخرون)، أى جميع الأمم والناس، والغبطة بالغين المعجمة والموحدة والطاء المهملة هى تمنى المرء أن ينال مثل ما رآه عند غيره من النعم وكل أمر محمود من غير أن يحب زوالها، فإن أحب زوالها فهو الحسد المذموم، وقيل: الحسد تمنى الأمر المحمود مطلقا، فهو أعم من الغبطة، ومنه ما يذم ويحمد، والمشهور الأول، ويغبط بزنة يضرب، وفى نسخة: به، والباء ظرفية أو سببية، والغبطة لا ضرر فيها وقد تكون حميدة، وفى الحديث هل يضر الغبط؟ قال: لا إلا كما يضر العضاه الخبط انتهى.

وفى النهاية الأثيرية: أن الغبط لا يضر ضرر الحسد، وإنما يلحق الغابط منه ضرر يسير وإثم ينقص ثوابه كما يلحق العضاه بخط ورقها، والذى يظهر لى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم إنما أراد أنه لا ضرر فيه على الغابط فى أمر محمود تمناه من غير تمنى زواله، بل ربما يناله منه نفع لجده فى تحصيل مثله، أو لنيله شيئًا من صاحبه، فهو على حد قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب[١]

(**ونحوه**)، أى مثله معنى مروى (**عن كعب**) هو كعب الأحبار، (**والحسن**) البصرى.

(**وفى رواية: هو**)، أى المقام المحمود (**الذى أشفع لأمتى فيه**)، فتكون هذه الشفاعة غير الشفاعة العظمى لسائر الناس، وهو أحد الأقوال فى تفسيره كما مر وما فى الشرح الجديد عن عود الضمير لقيامه عن يمين العرش، وأن المراد بالشفاعة الشفاعة العظمى فى فصل القضاء، وهى وإن لم تكن خاصة بأمتى فهم المقصودون بالذات منها تعسف لا حاجة إليه.

(**وعن ابن مسعود**) رضى الله تعالى عنه فى حديث رواه أحمد فى مسنده (**إنى لقائم المقام المحمود**) بكسر همزة إن لوقوعها فى ابتداء كلام مستأنف، وقيل: إنه جواب قسم مقدر، أى والله إنى لقائم، وفيه بيان أنه يجوز القسم فى الأمر العظيم، ولذا أكد بإن والاسمية وفيه نظر، والمقام منصوب على الظرفية أو المصدرية.

(**قيل: وما هو؟ قال: ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى عن كرسيه**)، وفى نسخة: على كرسيه، (**الحديث**)، أى اذكره، أو انظر تمامه، وهو كما رواه أحمد رحمه الله قيل له: «ما المقام المحمود؟ قال: ذاك يوم ينزل الله على كرسيه فيئط كما يئط المرجل الحديد من تضايقه، وهو بسعة ما بين السماء والأرض، ويجاء بكم حفاة عراة غرلا، فيكون أول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام فيقول الله عز وجل: اكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين من رباط الجنة، ثم أكسى على أثره، ثم أقوم عن يمين الله مقاما يغبطنى فيه الأولون والآخرون»[٢]، وقد علمت أن هذا الحديث من المتشابه؛ لأنه تعالى منزه عن صفات الأجسام كالنزول والجهة قيل: ولذا تركه المصنف رحمه الله تعالى وهو تمثيل لتجليه تعالى لعباده بعظمته وجلاله، وإقباله عليهم لفصل القضاء وإجراء حكم عدله فيهم، كما يتجلى الملك لجنده ورعاياه لينظر فى أمورهم ويقرب من شاء منهم، والكرسى غير العرش كما مر والحديث فى المصابيح، والكلام عليه مفصل فى شروحه.

(**وعن أبى موسى**) عبد الله بن قيس الأشعرى الصحابى المشهور، وهذا الحديث رواه ابن ماجه فى سننه رواية (**عنه، صلى الله تعالى عليه وسلم: خيرت**)، أى خيرنى الله بين

---

(١) البيت من الطويل، وهو للنابغة الذبيانى فى ديوانه (ص٤٤)، الأزهية (ص١٨٠)، إصلاح المنطق (ص٢٤)، خزانة الأدب (٣/٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٤)، الدرر (٣/١٧٣)، شرح شواهد المغنى (ص٣٤٩)، الكتاب (٢/٣٢٦)، معاهد التنصيص (٣/١٠٧)، همع الهوامع (١/٢٣٢)، لسان العرب (٨/٢٦٥).

(٢) أخرجه الدارمى فى سننه (٢/٣٢٥).

أحد أمرين **(بين أن يدخل)** بالبناء للفاعل أو المفعول **(نصف أمتى الجنة)**، أى أمة الإجابة لا الدعوة، **(وبين الشفاعة)** لبعض المذنبين منهم الذين استوجبوا دخول النار، وليس المراد بها الشفاعة العظمى فى فصل القضاء، **(فاخترت الشفاعة)** على دخول نصف أمتى الجنة.

ثم بين وجه اختياره بقوله: **(لأنها)**، أى الشفاعة **(أعم)**، أى أشمل وأكثر من النصف، وهذه الشفاعة غير الشفاعة فيمن دخل النار، وقيل: إنها شاملة لها، وهذه الشفاعة ثابتة بأحاديث كثيرة بلغ مجموع طرقها التواتر، ولا يعتد بمن أنكرها من الخوارج والمعتزلة تمسكا بقوله تعالى: ﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾ [غافر: ١٨]؛ لأن المراد بالظالمين الكفرة، فإن الشرك ظلم عظيم.

(أترونها) بهمزة الاستفهام وضم المثناة الفوقية فتح الراء المهملة والضمير للشفاعة، أى أتظنون الشفاعة خاصة **(للمتقين)** جمع متقى بكسر القاف اسم فاعل من التقوى، وفى نسخة: للمؤمنين.

قال البرهان: والأول هوالمحفوظ من مشايخى، وردوا على من رواه المنقين، بنون مفتوحة ثم قاف مفتوحة مشددة ثم ياء مثناة تحتية ساكنة جمع منقى اسم مفعول وهو النظيف، كذا فى أصلنا لسنن ابن ماجه وهو أصل صحيح، وكتب على هامشه ن ق وعليها تصحيح مرتين انتهى. ففيه ثلاث روايات، والمنقين من النقى قال المزى: وحسن هذه الرواية أنه روى: **(ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين)** فمقالته للمتلوثين تحسنه، وهو اسم مفعول من التلوث بمثناة فى أوله ومثلثة فى آخره، والتلوث التلطخ بالأقذار؛ لأن الذنوب كالنجاسة والخطائين جمع خطاء وهو كثير الخطأ.

وروى الترمذى: **(شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى)**، وقيل المنقى بالنون عام لأنه يجوز أن يكون مذنبا نقى بالتوبة والمنقى أخص، وفيه نظر.

(وعن أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه فى حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقى، **(قلت: يا رسول الله، ماذا رد عليك فى الشفاعة؟)** بضم الراء المهملة وتشديد الدال المفتوحة مبنى لما لم يسم فاعله، كذا رواه البرهان واقتصر عليه، وروى ورد من الورود مبنى للفاعل كما ذكره التلمسانى وتبعه غيره من الشراح، وما اسم استفهام، وذا اسم موصوف بمعنى الذى، ويجوز أن يكون اسم إشارة والرد الجواب، وورد بمعنى جاء، أى ما أجابك به الله أو الملك لما سألته الشفاعة فى أمتك.

(فقال: شفاعتى) هو فاعل مرفوع تقديرًا، أى جاءنى أو ورد على أن أشفع **(لمن شهد**

أن لا إله إلا الله)، أى لمن أقر بوحدانية الله تعالى، و لم يقل: وأنى رسول الله اكتفاء بأحد جزئى كلمة الشهادة؛ للعلم بأنه لابد من الإتيان بهما فى صحة الإسلام (**مخلصًا**) حال من الموصول، أى غير مشوبة شهادته بشك أو شرك (**يصدق لسانه**) بالنصب على المفعولية وقوله (**قلبه**) مرفوع فاعله، ويجوز عكسه، أى يطابق اعتقاده لما نطق به.

(**وعن أم حبيبة رضى الله تعالى عنها**) فى حديث رواه الحاكم والبيهقى، وهى أم المؤمنين بنت أبى سفيان بنت حرب أخت معاوية رضى الله تعالى عنهم، واسمها رملة على الصحيح، وقيل هند، وهى من السابقات إلى الإسلام، وترجمتها معروفة توفيت سنة أربع وأربعين.

(**قالت: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أريت**) بضم الهمزة والبناء للمجهول، أى أعلمنى الله وأخبرنى بواسطة الملك (**ما تلقى أمتى من بعدى**)، أى أريت ما اطلعت به على ما ينوبها، فرأى علمية، وقيل: إنه من باب الكشف عما سيكون بتوقيف من الله له ﷺ كرامة، وليس من الرؤية البصرية، (**وسفك بعضهم دماء بعض**) منصوب معطوف على ما تلقى، وسفك الدم إراقته وصبه، وهو مصدر مضارع لفاعله قيل: أراه ذلك وحيا أو مشافهة أو إلهامًا لما يقع بينهم من الحروب والفتن التى يقع فيها القتل وإراقة الدماء.

(**وسبق لهم من الله ما سبق للأمم قبلهم**) ماض معطوف على تلقى صلة الموصول، أى أريت وأعلمت بما سبق لأمتى مما قدره الله تعالى عليهم وأراده لهم، فوقع على وفق إرادته فى الأزل وعلمه القديم، (**فسألت الله تعالى أن يؤتينى فيهم شفاعة يوم القيامة ففعل**)، أى أعطاه الله تعالى ما سأله فى المذنبين منهم.

(**وقال حذيفة**) بالتصغير وهو ابن اليمان الصحابى رضى الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله ﷺ فى حديث موقوف عليه رواه البيهقى والنسائى: (**يجمع الله الناس فى صعيد واحد**)، أى فى مكان يجتمعون فيه غير متفرقين، وأصل معنى الصعيد التراب، فأريد به هنا أرض المحشر، أو قيل: هو تربة ليس فيها رمل ولا شجر يوم تبدل الأرض غير الأرض، والمراد بالناس الثقلان من الجن والإنس، أو المراد الإنس واقتصر على الأشرف، فلا يرد أن الجن والبهائم تحشر معهم أيضًا.

(**حيث يسمعهم الداعى**) صوته ونداءه كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]، ويسمع بضم التحتية مضارع أسمع، وحيث ظرف مكان مبنى على الضم، (**وينفذهم البصر**) بفتح الياء المثنية التحتية وروى بضمها

وكسر الفاء وعلى الأول هى مضمومة، والمراد بصر الرائى، أى يراهم دفعة واحدة، وليس المراد بصر الله كما قاله أبو عبيد، وقيل: المراد يبلغهم ويتجاوزهم لأنهم فى أرض مستوية لا عوج ولا شجر فيها، وهو بالدال المهملة، والمحدثون يروونه بالذال المعجمة وهو صحيح أيضًا؛ لأنه لإحاطته بهم وتجاوزه كأنه يخرقهم، فلا وجه للرد مع صحة الرواية.

(حفاة عراة) منصوبان على الحالية، وحفاة جمع حاف وهو الذى لا نعل له ولا خف، وقيل: جمع حفى وهو الذى رق جلد قدميه، وعراة جمع عار وقيل جمع عريان وهو قليل فى الاستعمال، وهو الذى لا ثوب له ولا لباس يستره، ويعارضه ما روى فى الحديث الصحيح أن أبا سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه لما احتضر دعا بثياب جدد فلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها»[1]، وعن معاذ بن جبل أيضًا رضى الله تعالى عنه: «أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يحشرون فيها»[2]، وجمع بينهما بأن هذا محمول على الشهداء وثيابهم التى قتلوا فيها، والحديث وارد فيهم وأبو سعيد حمله على العموم، وقيل: إن بعضهم يحشر عاريا وبعضهم بثيابه، وقيل: إنهم يحشرون بأكفانهم ثم تتناثر من عليهم فى المحشر، وقيل: المراد بثيابهم أعمالهم كقوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، ولا يخفى ما فى هذا من الضعف فليحرر.

(كما خلقوا) حال، أى كائنين على حال خلقهم الأولى من غير نقص شىء من أجزائهم كما ورد غرلا، فشبه حال إعادتهم بحال إخراجهم من العدم كما قال: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، أو ما كافة أو مصدرية.

(سكوتا) جمع ساكت حال من الناس أو من ضمير خلقوا ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾ أصله تتكلم فخفف ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥]، فلا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن، وهذا فى موقف، وقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥] فى موقف آخر، والثانى مخصوص بذوى الأعذار الباطلة فلا تعارض بينهما، وبهذا يجاب أيضًا عن قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ [القلم: ٣٠]، وقوله: ﴿۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١].

(فينادى) بالبناء للمجهول **(محمد)** بالتنوين نائب الفاعل، أو هو غير منون مبنى على الضم، والنداء بمعناه الظاهر، أى يقال له: محمد فحذف حرف النداء، وعلى الأولى

(١) أخرجه أبو داود (٣١١٤)، والحاكم (١/٣٤٠)، والبيهقى (٣/٣٨٤).

(٢) أورده ابن عراق فى تنزيه الشريعة (٢/٣٧٣).

ينادى بمعنى يدعى ويطلب، وكلا الوجهين حسن، وفى نسخة: فينادى: يا محمد.

(فيقول: لبيك وسعديك) منصوبان على المصدرية بفعل لا يظهر فى الاستعمال من التلبية، وهى إجابة المنادى من ألب بالمكان إذا أقام ولا يستعملان إلا بصيغة التثنية، والمراد بها مجرد التكرار ولو مرارا عديدة، أى أجبتك إجابة بعد إجابة، وأساعدك بطاعتى لك وأنا مقيم على ذلك لا أنصرف عنه.

(والخير فى يديك والشر ليس إليك)، أى مقضيك بالفرض وصادر عنك بالتبع؛ لأن بعض ما يتضمن الخير الكثير يستلزم شرًا قليلاً، فكان ترك الخيرات الكثيرة لأجل ذلك الشر القليل شر لا يصدر عنه، وهو المنزه عن الفحشاء، ولا يجرى فى ملكه إلا ما شاء وإلى هذا أشار القاضى فى تفسيره، والمعتزلة قدروا فى مثله: والشر ليس منسوبا إليك، واستدلوا به على مذهبهم وغيرهم قدره: والشر ليس متقربا به إليك كما يتقرب إلى بعض ظلمة الملوك ببعض القبائح، قاله القرافى فى قواعده، أو المعنى لا يضاف إليك تأدبا، وقيل: المعنى لا يصعد إليك فإنه إنما يصعد إليه الكلم الطيب، واليد اسم للجارحة المعروفة، وأصله يدى بالسكون لقولهم فى جمعه أيد، وقيل: يدى بالفتح لقولهم تثنيته يديان، واستعير للنعمة وللملك والتصرف والقدرة والقوة والنضرة، وإذا أضيف إلى الله تعالى يراد به المعنى المجازى؛ لتنزهه عن الجارحة، وثنى هنا وفى قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٥٧] إشارة إلى زيادة تصرفه فيه واختصاصه به، وجعل الخير مستقرا فيهما ترشيحًا للاستعارة، والأحسن أن يقال: إنه إشارة لما مر أن وجهى تصرفه فى الموجودات بالخير والشر خير كله فتدبر.

(والمهتدى من هديت)، أى الموفق للهداية من خلقته مهتديا ووفقته لطاعتك، وتعريف الطرفين يفيد الحصر، أى لا يهتدى إلا من هديته، **(وعبدك بين يديك)** أراد به نفسه، أى أنه ﷺ حاضر لديه واقف فى مقام المذلة والفقر، وقيل: إنه تشبيه لقربه من ربه ومزيد اختصاصه من بين الجهتين المسامتتين ليدى الإنسان واستعير لذلك، **(ولك وإليك)**، أى أمره كله لك، فإنه عبدك وأمره موكول إليك، **(لا ملجأ)** بالهمزة والقصر للازدواج، أى لا يلتجىء ولا يستند لأحد سواك، **(ولا منجا)** بلا همز أو به للازدواج، أى لا ينجيه ولا يخلصه أحد **(منك)**، أى هو عبدك ومصيره إليك **(إلا إليك)** وليس بإتباع ولا لف ونشر كما قيل.

(تباركت وتعاليت)، أى كثر خيرك وزاد عن كل شىء، وعلا قدرك فى ذاتك وصفاتك؛ وتنزهت عما لا يليق بك والكلام عليه مفصل فى التفسير **(سبحانك)**، أى تنزهت **(رب البيت)** بالرفع خبر مبتدأ مقدر، والنصب على النداء، أى يارب البيت،

والمراد به الكعبة أو البيت المعمور فى السماء، ولما كان البيت قد يشعر بالحلول قدم التنزيه عليه احترازا عن توهمه، وقال: رب البيت دون رب العالمين، إظهارًا لشرفه وشرف الحج إليه المشابه جمع الخلائق فيه بالمحشر وهم عراة حفاة.

(قال)، أى النبى عليه السلام؛ لأنه معلوم من السياق، أو حذيفة راويه وهو فى حكم المرفوع: **(فذلك)**، أى المقام الذى جمع فيه،ووقع فيه هذه المناجاة **(هوالمقام المحمود الذى ذكره الله)** فى القرآن فى قوله تعالى: ﴿**عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾ [الإسراء: ٧٩].

(وقال ابن عباس، رضى الله عنهما، إذا دخل أهل النار النار) قدمه ترهيبا وترغيبا فى تجنب سبب دخولها، ولأن ذكر النعمة بعد النقمة أوقع فى النفس، **(وأهل الجنة الجنة)** بجر الأول ونصب الثانى، أى ودخل أهل الجنة الجنة، والمراد غالب أهل النار وغالب أهل الجنة بدليل قوله: **(فتبقى آخر زمرة من الجنة)**، أى من أهل الجنة، **(وآخر زمرة من النار)**، أى من أهل النار، والزمرة الجماعة القليلة، ومنه شاة زمرة، أى قليلة الشعر، ورجل زمر، قليل المروءة، أو من الزمر وهو الصوت؛ لأنها لا تخلو عنه.

(فتقول زمرة النار)، أى الزمرة الباقية من أهل النار **(لزمرة الجنة)**، أى للزمرة الباقية من أهل الجنة الذين لم يؤذن لهم فى دخولها: **(ما نفعكم إيمانكم)** ما استفهامية إنكارية أو نافية خبرية، أى لم ينفعكم إيمانكم، ولم يغن عنكم شيئًا؛ لأنهم بجهلهم بأحوالهم ظنوا أنهم لا يدخلون الجنة، وأنهم منعوا من دخولها، **(فيدعون ربهم)** الضمير للزمر المتخلفة من أهل الجنة، **(ويضجون)**، أى يصيحون ويرفعون أصواتهم فزعًا مما لحقهم من تعيير أهل النار لهم، وأصل الضجيج بضاد معجمة وجيم الصياح من الفزع للحوق المكروه، والضجة ارتفاع الأصوات المختلفة مطلقا، **(فيسمعهم أهل الجنة)**، أى يسمعون صياحهم واستغاثتهم بربهم ليأذن لهم فى دخول الجنة، **(فيسألون آدم)** أن يشفع لهم فى دخول الجنة، **(وغيره بعده)**، أى يسألون بعد آدم عليه الصلاة والسلام غيره من الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام **(فى الشفاعة لهم، فكل يعتذر)** لهم بأنه لا يقدر على الشفاعة، ولم يؤذن له كما مر تفصيله.

(حتى يأتوا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد ما يئسوا من شفاعة غيره من الرسل، **(فيشفع لهم، فذلك المقام المحمود)** الذى يحمده فيه الناس، ويظهر فضله على جميع الرسل، وهذا الحديث موقوف على ابن عباس، وهو فى حكم المرفوع.

(ونحوه)، أى فى معناه حديث مروى **(عن ابن مسعود أيضًا ومجاهد، وذكره على بن**

الحسين) بن على بن أبى طالب، وهو زين العابدين كما تقدم، **(عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)**، أى مرفوعًا، وما قبله موقوف.

(وقال جابر بن عبد الله) رضى الله تعالى عنهما الصحابى، وقد تقدمت ترجمته **(ليزيد الفقير)** هو ابن صهيب، ولقب بالفقير لأنه أصيب فى فقار ظهره فكان يشكوها، وفقار الظهر خرزات العظم التى من عجب الذنب إلى نقرة القفاء، وهى اثنان وثلاثون فقرة فهو فعيل بمعنى مفعول، وقول عائشة رضى الله تعالى عنها فى حق عثمان رضى الله تعالى عنه: ارتكبوا منه الفقراء الأربع استعارة، أى انتكهوا له حرمات أربع الصحبة والصهر والخلافة والبلد، وهذا الحديث رواه مسلم، ويزيد هذا إمام ثقة روى عنه أبو حنيفة وأصحاب الكتب الستة.

(سمعت) بفتح تاء الخطاب وأصله أسمعت فحذف همزة الاستفهام، أو هل، أى أسمعت أو هل سمعت **(بمقام محمد ﷺ؟)**، أى هل رويت فيه شيئًا يفسره، **(يعنى الذى يبعثه الله فيه)**، أى فجابر أراد السؤال عن حقيقة المقام المذكور فى قوله تعالى: ﴿**عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا**﴾ **[الإسراء: ٧٩]**، وفى قوله: «فيه» إشارة إلى أنه منصوب على الظرفية، وأنه محل القيام حقيقة.

(قال) يزيد: **(نعم)**، أى سمعت ما ورد فيه إجمالا، **(قال)**، أى جابر بن عبد الله البجلى الصحابى المشهور، وكان الظاهر أن يقول: فقال: **(فإنه مقام محمد المحمود الذى يخرج الله به من يخرج يعنى من النار)** ضمير للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، أو للمقام، أى يخرج الله بسبب الشفاعة الواقعة فيه، فالمراد به مقام آخر فيه شفاعة غير الشفاعة العظيمة لأهل المحشر، وإليه أشار بقوله.

(وذكر)، أى جابر رضى الله تعالى عنه **(حديث الشفاعة فى إخراج الجهنميين)** المنسوبين لجهنم؛ لأنهم المؤمنون الذين دخلوا النار بمعاصيهم، وهذا بعض حديث رواه مسلم اقتصر منه المصنف على محل الشاهد لما هو بصدده، ولفظه قال يزيد الفقير رحمه الله تعالى: كان قد شغفنى رأى من رأى الخوارج، فخرجت فى عصابة ذوى عدد نريد أن نحج، فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما جالس إلى سارية يحدث الناس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين، فقلت له: يا صاحب رسول الله ﷺ ما هذا الذى يقولون؟ والله يقول: ﴿**إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ**﴾ [آل عمران: ١٩٢]، و﴿**كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا**﴾ [السجدة: ٢٠]، فما هذا الذى تقول؟ فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم فقال: هل سمعت بمقام محمد؟ يعنى الذى يبعثه الله فيه قلت: نعم قال: فإنه مقام محمد المحمود الذى يخرج

به من يخرج قال: ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك، وقال غير واحد: إن قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها كأنهم عيدان السماسم، فيدخلون نهرًا من أنهار الجنة، فيغتسلون فيه، فيخرجون كأنهم القراطيس إلى آخر الحديث الذى رواه مسلم، والكلام عليه مبسوط فى شروحه، فالمعنى أن يزيد مال إلى رأى الخوراج فى خلود عصاة المسلمين فى النار، فلما سمع من جابر ما رواه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له علم بطلان رأيهم ورجع عنه.

(وعن أنس) فى حديث رواه أحمد فى مسنده **(نحوه)**، أى ما هو فى معنى هذا الحديث.

(قال) أنس بعد ما ذكر ما تقدم: **(فهذا المقام المحمود الذى وعده)** بالبناء للمجهول ونائب الفاعل ضمير النبى صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير البارز للمقام.

(وفى رواية أنس وأبى هريرة وغيرهما) فى حديث رواه الشيخان، **(ودخل حديث بعضهم فى حديث بعض)**، أى وافق رواية كل منهم رواية غيره لفظا ومعنى **(قال عليه الصلاة والسلام: يجمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة)** فى أرض المحشر للحساب وفصل القضاء، **(فيهتمون)** افتعال من الهم بمعنى الحزن أو العزم والتصميم يقال: اهتم إذا اغتم وحزن واهتم بكذا إذا جعله من همه، وليس من الهمهمة وهى الصوت الخفى، **(أو قال: فيلهمون)** بالبناء للمجهول من الإلهام، وهذا شك من الراوى فى لفظ الحديث، أى يلهمهم الله.

(فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا)، أى لو طلبنا من يشفع لنا عند الله فى أن يخلصنا من هول هذا الموقف وشدته، ولو للتمنى هنا، وقد ذكره النحاة مفصلا فى بابه، فنزلوا الشفاعة لخوفهم منزلة الممتنع الذى لا يمكن.

(ومن طريق آخر عنه) عليه الصلاة والسلام، أى فى رواية أخرى: **(ماج الناس بعضهم فى بعض)**، أى دخل بعضهم فى بعض واختلطوا لاضطرابهم.

(وعن أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه فى حديث الشفاعة الذى رواه الشيخان: **(وتدنوالشمس)**، أى تقرب من رءوس أهل الموقف، **(فيبلغ الناس من الغم)**، أى من الكرب وشدة الحر **(ما لا يطيقون)**، أى ما لا يقدرون على تحملهم له، **(ولا يحتملون)** عطف تفسير، أى لا يقدرون ولا يستطيعون، **(فيقولون: ألا تنظرون من يشفع لكم؟)**، أى يقول بعضهم لبعض هذا الكلام، **(فيأتون آدم)** عليه الصلاة والسلام بدءوا به؛ لأنه أول الأنبياء وأبوهم المشفق عليهم كما قال: **(زاد بعضهم: فيقولون: أنت آدم**

البشر)، فينبغى لك أن تشفع لهم وتريحهم.

(خلقك الله بيده)، أى أوجدك من العدم بقدرته من غير واسطة أم وأب، **(ونفخ فيك من روحه)** إضافة الروح له تعالى للتعظيم والاختصاص، ونفخ الروح إيجاده متصلة بجسده كما يقال: بيت الله، **(وأسكنك جنته)** بعد نفخ الروح فيه وإيجاده، والمراد الجنة المعروفة على الأصح، وقيل: المراد بها بستان فى الأرض، والخلاف فيه مشهور فى كتب التفاسير، والأدلة من الطرفين مفصلة فى محلها، **(وأسجد لك ملائكته)**، أى أمرهم بالسجود لك سجود تحية وتعظيم له وأداء لحقه، لا سجود عبادة هو كالقبلة له وكان ذلك جائزا شرعا ثم نسخ، **(وعلمك أسماء كل شىء)** كما ذكره الله تعالى فى القرآن، وهذا كله مما يدل على شرفه ﷺ وعلو رتبته عند ربه، ومزيد قربه المقتضى لقبول شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم كما بينه بقوله: **(اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا)** هذا وهو المحشر، ويريحنا بمعنى يحصل لنا راحة **(ألا ترى ما نحن فيه؟)** من الكرب والهول الذى لا يطاق.

(فيقول) لهم آدم: **(إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله)**، أى أظهر شدة غضبه وسخطه على من عصاه مريدًا إيقاع العذاب الذى فى الآخرة بإدخالهم النار، وهذا لم يكن قبل يوم القيامة ولا بعده؛ فلذا خاف آدم عليه الصلاة والسلام وقال: **(ونهانى عن الشجرة)**، أى عن الأكل منها، والمراد بها العنب الذى فى الكرم أو الحنطة، وسماها شجرة مجازًا؛ لأن الشجر ما له ساق، **(فعصيت)**، أى خالفت أمره تعالى بالأكل منها، وفى كون هذا معصية كلام سيأتى فى عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام **(نفسى نفسى)** اعتذارًا عن تركه الشفاعة لهم، لخوفه على نفسه، وكررها تأكيدا وبيانا لأنه لا يقدر على مصلحة غيره لاشتغاله بنفسه.

وذكر الأنبياء تدريجًا الأول فالأول والأقدم فالأقدم على وجه يظهر به فضل نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم، **(اذهبوا إلى غيرى)** من الرسل يشفع لكم، ثم بين من يذهبون له فقال: **(اذهبوا إلى نوح)** فإنه الأب الثانى لكم بعدى، ولم يقل: اذهبوا إلى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليعلم فضله بأنه صاحب الشفاعة، وأنها منحصرة فيه.

(فيأتون نوحا فيقولون: أنت أول الرسل إلى أهل الأرض) كافة لانحصارهم وانحصار التبليغ فيه، وهذا لا ينافى اختصاص عموم الرسالة بنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم لأن عمومها لايختص بعصره، وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: لأنه لم يكن بعد الطوفان إلا من كان مؤمنا معه، وقد كان مرسلا إليهم، والعموم لم يكن فى أصل بعثته، وإنما اتفق بعده، فالحادث الذى وقع وهو انحصار الخلق الموجودين بعد هلاك سائر الناس، وأما

نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فعموم رسالته من أصل البعثة، فثبت اختصاصه صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك، وأما كونه أول رسول كما صح فى حديث الشفاعة، فالمراد به أنه أول رسول أرسل إلى جميع أهل الأرض فى حياته، فليس المراد عموم بعثته مطلقا بل إثبات أولية إرساله، ولو سلم فهو مخصوص بعدة آيات على أن بعثة نوح عليه الصلاة والسلام كانت إلى قومه، ولم يذكر أنه أرسل إلى غيرهم، واستدل على عموم رسالته بدعائه على جميع من فى الأرض فأهلكوا غير أهل السفينة، ولولاه ما أهلكوا لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقد ثبت أنه أول الرسل، وأجيب بجواز أن يرسل غيره فى زمنه وعلمه بأنهم لم يؤمنوا، فدعا عليهم وهو حسن لو نقل مجيء رسول فى زمنه غيره، أو خصوصية نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ببقاء شريعته إلى يوم القيامة، أو دعوته لقومه بتوحيد بلغ الناس عنه فتمادوا واستحقوا العذاب، وإليه ذهب ابن عطية فى سورة هود، ويبعد عدم بلوغ نبوته القريب والبعيد مع طول مدته.

وقال ابن دقيق العيد: يجوز أن تكون الدعوة للتوحيد عامة فى بعض الأنبياء وإن لم تعم فروع شريعته؛ لأن منهم من قاتل غير قومه على الشرك، ويحتمل أنه لم يكن فى عهده غير قومه، فبعثته خاصة وإن عمت صورة.

أقول: هذا ما قاله ابن حجر فى شرح البخارى، ولم يبين كون نوح أول الرسل مع من تقدمه من الأنبياء، وتحقيقه أن آدم صلى الله تعالى عليه وسلم كان نبيا رسولا، ولكنه أرسل لبنيه ولم يظهر للكفر فى حياته قوة وآثار، فكان كالعظيم الضابط لأهله وخدمه؛ فلذا لم يكن كغيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام، وإدريس تنبأ فى زمنه، وشيت كان وصيه إلى أن بعث الله تعالى نوحا، فأظهر الناس الكفر ومخالفة دعوته حتى احتاج إلى إهلاكهم، فهو أول رسول بعث لدعوة الناس ومجادلتهم ومعاقبتهم، ومن قبله لم يكن كذلك كما لا يخفى.

(**وسماك الله عبدًا شكورًا**) فى الكتب القديمة؛ لأنه كان كلما أكل أو شرب شكر ربه فاشتهر بذلك فى الأمم السالفة والصحف الموحى بها كما نقل فى تفسير قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، على الأصح من أن الضمير راجع له لا موسى كما قيل، فإنه قول غير مرضى.

(**ألا ترى ما نحن فيه؟**) من شدة الموقف وهوله (**ألا ترى ما بلغنا؟**) بسكون الغين المعجمة وفتحها، أى ما وقعنا فيه من الكرب، أو ما وصل إلينا منه. وقال النووى: الأصح المعروف فتح الغين بدليل أنه روى: ألا ترون ما بلغكم، ولو كان بالإسكان

قال: ما بلغتم، والوجه ما تقدم.

(**ألا تشفع لنا إلى ربك**) فى الخلاص مما نحن فيه، (**فيقول مثله**)، أى ما تقدم بعينه وفى نسخة التصريح به، (**فيقول: إن ربى غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله نفسى نفسى**)، وقد تقدم شرحه.

(**قال فى رواية أنس: ويذكر خطيئته التى أصاب**) صفة خطيئة والعائد محذوف، أى التى أصابها، أى التى عملها، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون كلهم، ولكنهم لشدة تعظيمهم لله تعالى وخوفهم منه يعدون ما صدر منهم نسيًا وسهوًا وغفلة ذنبًا عظيمًا، والمراد بخطيئته ما فسره بقوله: (**سؤاله ربه بغير علم**)، فهو منصوب بدل أو عطف بيان من قوله: خطيئته مفعول يذكر، وقوله: بغير علم صفة مصدر محذوف أو حال، أى سؤالا كائنا بغير علم منه بأن ما سأله لا يليق أن يسأله، وهو قوله: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾ [هود: ٤٥]، وقد وعدتنى ووعدك الحق أن تنجى أهلى من الغرق، وهو منهم فنجه، فقيل له: إنه ليس من أهلك الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وإنه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم، وابنه هذا هو كنعان، وليس ربيبه وابن زوجته كما زعمه أهل الكتاب قيل: إنما عاقه هذا عن الشفاعة وزجر به وجعل جهلا، لأنه ممن سبق عليه القول من أهله ودلت الحال عن ما يمنعه من السؤال، ولكن حب الولد شغله حتى اشتبه عليه أمره، وهذا قول قريب من قول: إنه ظنه مؤمنا بدليل قوله تعالى: ﴿ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، فلا وجه لتخطيه قائله.

(**وفى رواية أبى هريرة**) فى حق نوح عليه الصلاة والسلام: (**وكانت لى دعوة دعوت بها على قومى**) إشارة إلى ما ورد فى الحديث أن لكل نبى دعوة، والمراد أن الله تعالى وعد كل نبى بأن يجيب له دعوة يدعو بها على جميع أمته فيستجاب، أو يدعو بها لهم، فلا ينافى كون دعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مستجابا، وهذا اعتذار منه عليه الصلاة والسلام فى ترك الشفاعة، ولذا عقبه بقوله: (**اذهبوا إلى إبراهيم فإنه خليل الله**)، وأبو الأنبياء ومقتداهم، فإنه أحق بالشفاعة وأقدر عليها منى، (**فيأتون إبراهيم فيقولون**) له: (**أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض**)، أى انفردت من بينهم بالخلة كما تقدم، وفيه إشارة إلى أنه أهل للشفاعة (**اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربى قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله**)، أى مثل ما تقدم.

(**ويذكر ثلاث كلمات كذبهن**) هى قوله: إنى سقيم لما دعى إلى أصنام، وقوله لزوجته لما طلبها الملك منه: إنها أختى، وقوله فى حق الأصنام: فعله كبيرهم هذا، وهذا كله مخالف للواقع ولاعتقاده إلا أن إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام لم

يقصد به حقيقة، وإنما قاله لضرب من التأويل قصده، فليس بكذب فإن فى المعاريض مندوحة منه، وإنما سماه كذبا نظرا منه للمخاطب، وخاف أن يؤخذ به لعلو مرتبته وعظمة الربوبية عنده، وإن مقامه يقتضى أن لا يدارى مخلوقا أو يخافه، وإلا فهو صلى الله تعالى عليه وسلم كسائر الأنبياء معصوم من الكذب وغيره.

وعد منها فى مسلم قوله فى الكوكب: هذا ربى، والمشهور خلافه؛ لأنه ذكره على طريق الإلزام والجدل ويلزمه زيادة على الثلاثة، وقد صرح بالحصر فيها فى بعض الروايات، وقيل فى قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]: إنه كانت به حمى حقيقة لا تعد سقما، وفيه نظر، وسيأتى تفصيله فى محله إن شاء الله تعالى. وهذا اعتذار منه عليه الصلاة والسلام فى عدم الشفاعة.

(نفسى نفسى)، أى أنا مشغول بنفسى وتخليصها **(لست لها)**، أى لست أهلا للشفاعة لغيرى، **(ولكن عليكم بموسى)** استدرك لدفع ما لزم من كلامه الأول من خيبة أملهم ويأسهم من الشفاعة، وعليكم اسم فعل، والباء زائدة، أى الزموه فإنه أقدر منى وأقرب إلى الله، وهذا تواضع منه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم بين مزيته عليه بقوله: **(فإنه كليم الله)**، أى أنه كلم الله فى الأرض شفاها من غير واسطة، فهو أقوى على الشفاعة منى.

(وفى رواية أخرى: فإنه عبد آتاه الله التوراة) التى هى أعظم الكتب الإلهية قبل القرآن، **(وكلمه)** بيان لكونه كليما أو المراد أوحى الله إليه كلامه، **(وقربه نجيا)**، أى جعله قريبا منه حال كونه نجيا، أى مناجيا ومخاطبا له، والقرب ليس مكانيا بل رتبيا.

(قال: فيأتون موسى) عليه الصلاة والسلام **(فيقول: لست لها)**، أى لست أهلا للشفاعة لكم، **(ويذكر)** موسى **(خطيئته التى أصاب)**، أى التى وقعت منه، وعاتبه الله عليها بقوله: ﴿۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: ٨٣]، كما هو مبين فى التفسير، **(وقتله النفس)** وهو القبطى الذى استغاثه الإسرائيلى عليه، فوكزه موسى فمات، ولم يكن عامدا لقتله وإنما هو لدفع الصائل، ومثله جائز لكنه، عليه الصلاة والسلام، خشى المؤاخذة به؛ ولذا استغفر منه، وعده من فعل الشيطان، فلا ينافى هذا عصمته عليه الصلاة والسلام ثم قال كما قال غيره: **(نفسى نفسى، ولكن عليكم بعيسى)** عليه الصلاة السلام **(فإنه روح الله وكلمته)** تقدم بيانه مفصلا.

(فيأتون عيسى) عليه الصلاة والسلام **(فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد)** بدل مجرور لاصفة كما قيل لأنه نكرة، ويجوز رفعه ونصبه، وفى نسخة: فإنه عبد، **(غفر**

الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)، أى غفر الله له كل ما صدر منه مما يعاتب عليه، وإن لم يكن معصية لعصمته من الذنوب، ومن كان كذلك فهو جدير بقبول الشفاعة منه.

(فأوتى) بالبناء للمفعول، أى فيأتينى أهل الموقف لسؤال الشفاعة لهم، **(فأقول لهم: أنا لها)** الفاء فصيحة، أى فيسئلونى أن أشفع لهم فأقول لهم: أنا أهلٌ للشفاعة مدخر لها، **(فأستأذن على ربى)**، أى أطلب منه أن يأذن لى فى القرب منه والشفاعة للناس، **(فيؤذن لى)** بالبناء للمجهول، أى يأذن الله لى فى الدخول إلى مكان لا يقف فيه داع إلا أجيب، وهو موقف ليس بينه وبين الله فيه حجاب، وإنما لم نقل من موقف العرض والحساب إلى موقف آخر؛ لأن الموقف الأول محل سياسة وخوف، والثانى موقف كرامة ولطف ورحمة، فهو أدل على قبول الشفاعة واطمئنان قلب الشفيع.

(فإذا رأيته وقعت ساجدا)، أى إذا رأى صلى الله تعالى عليه وسلم ربه عيانا سجد تعظيما لله وشكرا له على تقريبه له، وفيه دليل على وقوع رؤية الله فى الآخرة.

(وفى رواية فآتى تحت العرش)، أى آتى أنا مكانا تحت العرش قريبا منه، **(فأخر ساجدا)**، أى أقع وأسقط فى ذلك المكان ساجدا لله سجدتين، وقال الراغب: خر بمعنى سقط سقوطا يسمع معه صوت كصوت خرير الماء والريح وغير ذلك ما يسقط من علو، وقوله: **(خروا سجدا)** تنبيه على اجتماع أمرين السقوط وحصول الصوت منهم بالتسبيح، وقوله تعالى: ﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: ١٥]، تنبيه على أن ذلك الخرير كان تسبيحًا بحمد الله لا بشىء آخر انتهى.

وقال التلمسانى: هذا المكان الذى يأتى له صلى الله تعالى عليه وسلم يسمى فحصة العرش، وهى دار عظيمة وجنة هى أوسع الجنان وأكثرها بساتين، يجتمع فيها أهل الجنة لرؤية ربهم فى كل جمعة، ولم تعد إلا لرؤيته تعالى وإكرام من أكرمه الله برضوانه ومشاهدة عظمة ملكوته مع تنزهه عن الحلول والمكان، وفى المشارق بدل قوله فأوتى فيأتونى، وفى شرحه للكازرونى أنه سمع بتشديد النون وبه ضبط.

قال البرهان: ومقدار كل سجدة جمعة من جمع الدنيا كما فى مسند أحمد، وقيل: مقدارها سبع سنين فانظره.

(وفى رواية فأقوم بين يديه) أى بين يدى الله تعالى، وهوتمثيل لشدة القرب منه وتصوير له، وقيل: الضمير للعرش وهو بعيد ركيك **(فأحمده بمحامد لا أقدر عليها الآن)**، أى لا أحسنها ولا أعرف كيفيتها فى الدنيا **(إلا أن يلهمنيها الله)**، أى إلا أن يوقعها الله فى قلبى بإلهام منه، وإلهام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نوع من الوحى فى غيرهم ليس

بحجة؛ لأنه لا ينبنى على دليل.

(وفى رواية فيفتح الله على من محامده) هو قريب معنى من قوله يلهمنى؛ لأن الفتح إزالة الإغلاق الحسى كفتح الباب، ثم شاع فى حصول الشىء ابتداء من غير عسر **(وحسن الثناء عليه)** هو عطف تفسير لما قبله **(شيئًا لم يفتحه على أحد قبلى)** مطلقًا، أو المراد أنه لم يتيسر لغيره من الرسل قبله ولا بعده، ففيه اكتفاء.

(قال فى رواية أبى هريرة: فيقال لى) وأنا ساجد: **(يا محمد! ارفع رأسك)** من السجود، **(وسل)** ما شئت من الشفاعة وغيرها **(تعطه، واشفع تشفع)** الفعلان مجزومان فى جواب الأمر.

(فأرفع رأسى فأقول: يا رب أمتى يا رب أمتى)، أى ارحم أو أنج أمتى، وفى رواية تأتى: أمتى أمتى بدون قوله يا رب، وهو معنى الرواية الأولى على الصحيح، وقيل: إنه يحتمل النداء، أى أمتى وناداهم ليأتوه ويكونوا معه لينجوا مما هم فيه، وإنما خصهم على أن هذه الشفاعة هى الشفاعة العظمى الشاملة لسائر الأمم اعتناء بهم، وإشارة إلى أنهم المقصودون بالذات من بينهم، وحذف الفاعل لضيق المقام وشدة الاهتمام بتعجيل خلاصهم ولذا كرر.

(فيقول) الله له بعد رفع رأسه **(أدخل من أمتك)**، أى ائذن له فى دخول الجنة **(من لا حساب عليه)**، أى خواص أمتك المتقين الذين لا ذنب لهم يحاسبون بسببه **(من الباب الأيمن من أبواب الجنة)** الذى هو أشرف أبوابها، وهو الباب الثامن، وهو مخصوص بأتقياء هذه الأمة، **(وهم)**، أى الذين لا حساب عليهم **(شركاء الناس فيما سوى ذلك)**، وفى نسخة: فيما سواه، **(من الأبواب)**، وهى باب الصدقة، وباب الصوم ويقال له الريان، وباب الجهاد، وباب التوبة، وباب الكاظمين الغيظ والعافين، وباب الراضين، وباب الصلاة كما بينه المصنف رحمه الله تعالى فى شرح مسلم.

(ولم يذكر فى رواية أنس هذا الفصل) الذى فى رواية أبى هريرة من قوله: فيقال: يا محمد ارفع رأسك إلى هنا.

(ثم مكانه) وفى نسخة: وقال: مكانه، أى أتى به بدلا منه **(فأخر)** وفى نسخة: ثم أخر، **(ساجدا فيقال لى: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه)** الضمير لما سأل، أو هو هاء سكت للوقف.

(فأقول: يا رب أمتى فيقال: انطلق) أمر، أى اذهب من مقام الشفاعة المقرب به، **(فمن كان فى قلبه مثقال حبة من بر أو شعير)** المثقال بكسر الميم وسكون المثلثة معناه

موازن ومواز؛ لأنه يقابله ليعرف مقدار ثقله فعبر به عن مطلق المقدار، ومن بر إلىآخره بيان للحبة وهى واحدة البر المعروف.

وقوله: **(من إيمان)** بيان لمثقال، أى من كان فى قلبه أقل قليل من الإيمان، والموزون صحف الأعمال، أو هى نفسها بناء على جواز تجسيم الأعراض، وأمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا، **(فأخرجه)** بقطع الهمزة أمر من الإخراج معطوف على الأمر قبله، **(فأنطلق فأفعل)** ما أمرنى به الله من إخراج من فى قلبه أقل قليل من الإيمان، وهذه الشفاعة إن كانت هى الشفاعة العظمى، فالمراد بإخراجهم تخليصهم من هول الموقف وكربه، وإن كان المراد ما بعدها فالمراد إخراجهم من النار وانطلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم كان من مقام القرب الذى وقع فيه الشفاعة كما تقدم؛ ولذا قال: **(ثم أرجع إلى ربى فأحمده بتلك المحامد)** التى ألهمنيها كما تقدم، **(وذكر مثل الأول)**، أى مثل الكلام الأول فى قوله: فأخر ساجدا إ لخ **(وقال فيه)**، أى فى الحديث الذى رواه مسلم: **(مثقال حبة من خردل)**، وهو حب معروف فى غاية الصغر، والمعنى واحد فى كونه كناية عن غاية قلة الإيمان.

(قال: فأفعل ثم أرجع إلى ربى وذكر مثل ما تقدم، وقال فيه) كما رواه مسلم: **(من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى)**، وهو أفعل تفضيل من الدنو، وأصل معناه القرب فى المكان أو الزمان كقوله تعالى: ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ [الأنعام: ٩٩]، ثم عبر به عن الأقل ويقابل بالأكثر، وعن الأصغر ويقابل بالأكبر، وعن الأرذل ويقابل بالخير كما قال تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١]، وأفعل هنا مضافة لما بعدها للمبالغة، أى أقل من الأقل، وفى صحيح مسلم من رواية أنس تكرير لفظ أدنى ثلاثا، وهو كذلك فى بعض نسخ الشفاء، وفى بعضها كرر مرتين، ووقع كذلك فى صحيح البخارى من رواية الكشميهنى.

وقوله: **(من مثقال حبة من خردل)** بيان لأدنى الأدنى، وقوله: **(فأفعل)**، أى أخرج من فى قلبه أقل قليل من الإ يمان، **(وذكر فى المرة الرابعة)** من رجوعه إلى ربه ومراجعته له فى الشفاعة، فإنه وقع مرارا فى رواية البخارى، وفيما ذكر دلالة على أن الإيمان يزيد وينقص، فإن قلنا بدخول أعمال الطاعة مطلقا أو الفرض فهو ظاهر، وإن قلنا: إنه لمجرد التصديق القلبى، فاختلف فيه فقيل: لا يقبله فإنه لا يقبله إلا باحتمال النقيض وهو كفر، وذهب العضد وغيره من المحققين إلى أنه يقبله أيضًا فإن اعتقادنا وتصديقنا ليس كتصديق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتفاوته باعتبار قبوله التشكيك وعدمه وتحقيقه فىالكتب الكلامية.

(فيقال لى: ارفع رأسك، وقل تسمع) أى تجب ويقبل رجاؤك، **(واشفع تشفع، وسل تعطه. فأقول يا رب ائذن لى فى)** الشفاعة، وإخراج **(من قال: لا إله إلا الله)** أى من نطق بكلمة التوحيد، والظاهر أنه مع اعتقاده لذلك اعتقادا ما من غير مناقشة له وتفتيش عن حاله، فما قيل من أنه إن اعتبر تصديق القلب اللسان فهو كمال الإيمان، فما وجه الترقى من الأدنى المؤكد وإن لم يعتبر دخل فيه المنافق، وهو مشكل غير متجه فتدبر.

(قال) أى الله تعالى: **(ليس ذلك إليك)** أى ليس ذلك مفوضا إليك، بل إلى، **(ولكن وعزتى وكبريائى وعظمتى)** قسم دال على تحقق المقسم عليه، والعزة الغلبة والقهر، والكبرياء بمعنى الترفع عن الانقياد، والعظمة ظهور ذلك وزيادته وهى متقاربة، **(وجبريائى)** بالمد مضاف لياء المتكلم وجيمه مكسورة وجوز فتحها وباؤه ساكنة، وقيل: إنه مقصور ومد لمشاكلة الكبرياء ورد بأنه سمع كذلك من غير ازدواج، وهو والجبروت بفتح الباء وسكونها بمعنى وتاؤه للمبالغة كالملكوت.

(لأخرجن من النار من قال: لا إله إلا الله) من غير شفاعة أحد، واستدل بهذا الكرامية على أن مجرد النطق بكلمة الشهادة كاف فى صحة الإيمان ولا حجة لهم فيه، وفيه رد على من قال بخلود أصحاب الكبائر من المعتزلة، وما خص النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بإخراجه من أثمر إيمانه مزيد يقين أو عمل ما ، وما أخرجه رب العزة من تجرد إيمانه عن كل شىء عداه، ويدل له قوله فى حديث الشيخين الذى فيه لم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار يخرج فيها قوما لم يعملوا خيرا قط، يعنى غير قولهم: لا إله إلا الله خالصا من قلبه كما ورد فى رواية أخرى، وقوله: من قلبه للتأكيد كنظرت بعينى وسمعت بأذنى.

(ومن رواية قتادة عنه) أى عن أنس رضى الله تعالى عنه **(قال)** أى أنس لا النبى ﷺ كما توهم؛ لأن الشك فى قوله: **(فلا أدرى فى الثالثة أو الرابعة)** إنما هو من الراوى، والمراد بالثالثة والرابعة مرات مراجعته ربه وانطلاقه لإخراج المشفوع لهم. قيل: فى هذا الحديث إشكال؛ لأن أوله يدل على أن هؤلاء أهل الموقف والمحشر، وآخره يدل على أنهم دخلوا النار فأخرجوا منها بشفاعته، وأجيب بأنهم صاروا فرقتين فر قة فى المحشر شفع لهم فلم يعذبوا، وفرقة دخلوها ثم أخرجوا منها بشفاعة، ففى الكلام اختصار وطى.

(فأقول: يارب ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن أى وجب عليه الخلود) أى لم يبقى بعد هؤلاء الخارجين إلا من حكم الله فى القرآن بخلوده فى العذاب، ولم يؤذن فى الشفاعة لهم وهم المنافقون والكفار لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ

﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥]، أى شفيعا، وقوله: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾** [النساء: ٤٨]، ونحوه من الآيات كقوله تعالى: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾** [النساء: ١٤٠].

(وعن أبى بكر) الصديق **(وعقبة بن عامر وأبى سعيد)** الخدرى الصحابى المشهور **(وحذيفة)** بن اليمان **(مثله)** أى مثل الحديث السابق **(قال)**، أى قال كل واحد منهم، أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم إلا أن قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: **(فيأتون محمدا)** يأباه ظاهرا إذ الظاهر أن يقول: يأتونى أى يأتونه صلى الله تعالى عليه وسلم بعد مراجعة الأنبياء، وذكرهم العذر فى عدم الشفاعة لهم، والآتون هم أشراف أهل المحشر من أتباع الرسل، وقال الغزالى فى الكشف: إنهم العلماء العاملون يلهمهم الله تعالى طلب ذلك من الأنبياء.

قال: وبين إتيانهم لكل نبى وآخر بعده ألف عام، لكن قال الحافظ ابن حجر: هذا التعيين للزمن لم أقف له على أصل، وقد أكثر فى كتبه من مثله فلا تغتر به انتهى.

(فيؤذن له) أى يأذن الله تعالى لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى الشفاعة، **(وتأتى الأمانة والرحم، فتقومان عن جنبى الصراط)** أى ناحيته يمنة ويسرة واحده جنبة بفتح النون وسكونها، والأمانة ضد الخيانة، والرحم القرابة وأصلها مقر الحمل يعنى أنهما يمثلان أو يجسمان بقدرة الله تعالى؛ ليشهدا على الخائن وقاطع الرحم وخلافهما، وقيل: المراد بالأمانة العظمى التى فى قوله تعالى: **﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾** [الأحزاب: ٧٢]، وهى التوحيد والإقرار به فى عالم الذر التى فطر الناس عليها، والرحم هى المذكورة فى قوله تعالى: **﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ﴾** [النساء: ١]، وهذا التعظيم أمر الله وشفقته على خلقه، وفى هذا ونحوه مما بلغ حدالتواتر المعنوى رد على المعتزلة المنكرين للصراط، كما بين فى الكتب الكلامية، ورأى يحيى بن اليمان رجلا نائما وهو أسود الرأس واللحية شاب، فاستيقظ وهو أبيض شعر الرأس واللحية، فأخبره أنه رأى فى منامه كأن الناس قد حشروا وإذا بنهر من نار وجسر يمر عليه الناس، فدعى فدخل الجسر فإذا هو كحد السيف يمور به يمينا وشمالا، فشاب من ذلك.

(وذكر فى رواية أبى مالك عن حذيفة فيأتون محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فيشفع لهم) فى الخلاص من الموقف وهوله. نسأل الله السلامة. **(فيضرب الصراط)** أى يوضع كما ورد فى رواية أخرى، وعبر به فيما يأتى من ضرب الخيمة إذا نصبها، وعبر بالضرب لدق أوتاده وأطرافه، وتوهم بعضهم أن الضرب بمعنى الجلد، فقال: إن ضربه

يشعر بمرور الصراط نفسه مع من عليه، فإن كان المراد مرور من عليه فضربه لاستعجالهم وتخويفهم، وهذا مما يقتضى منه العجب، وهو جسر ممدود أى منصوب عليها لعبور المسلمين عليه إلى الجنة.

وعن الفضيل بن عياض قال: بلغنا أن الصر اط مسيرة خمس عشرة ألف سنة: خمسة الآلاف صعود، وخمسة الآلاف مستوى لا يجوز عليه إلا ضامر مهزول من خشيته عز وجل، وهذا معضل لا يثبت. فتأمل نفسك إذا جزت على الصراط، ووقع بصرك على جهنم من تحته، ثم قرع سمعك شهيق النار وزفيرها وسوادها وسعيرها، وكيف بك إذا وضعت إحدى رجليك عليه فأجلست بحده، ثم اضطررت إلى أن ترفع القدم بعد القدم، والخلائق بين يديك يزلون، والزبانية تلتقطهم بالخطاطيف والكلاليب، وأنت تنظر إلى ذلك فيا له من منظر ما أقطعه، ومد بصر ما أصعبه، ومجاز ما أضيقه نسأل الله السلامة والإعانة والعافية انتهى وهو على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف أو الموسى.

وعند ابن المبارك وابن أبى الدنيا عن سعيد بن هلال بلغنا أن السراط أدق من الشعرة على بعض الناس، ولبعض الناس مثل الوادى الواسع، وهو مرسل أو معضل انتهى كما ورد فى الحديث. وما قيل أنه شعرة من عين مالك لا أصل له، وإنما هو من أكاذيب الوعاظ وأصحاب القصص، والصراط بالصاد والسين والزاء كما بين فى اللغة وكتب التفسير وعلم القراءات.

(فيمرون) أى يمر الناس عليه، فمنهم من يقع فى النار، ومنهم من ينجو، وهم فرق: **(أولهم كالبرق)** فى السرعة من غير مهلة ومشقة، **(ثم كالريح والطير)** فى السرعة مع الزمان الممتد أكثر من الأول، **(وشد الرجال)** بالجيم جمع رجل ضد المرأة كما صحح فى النسخ والشروح، وصحح العزفى تلميذ المص رواية عنه كما نقله التلمسانى أنه الرحال بالحاء المهملة جمع راحلة وهى رواية ابن ماهان، والمراد به هنا البعير فقد ذكر بعضهم أن الرحل ما يوضع على البعير، ويعبر به تاره عن البعير انتهى، فما قيل أن روايته بالحاء المهملة خطأ خطأ، وإن كان لا يخلو من التكلف وفى بعض الشروح هنا ما يتعجب منه ولا حاجة لنا بإيراده، والشد سرعة الجرى، وقال الراغب: إنه مستعار من قولهم أشد الريح.

وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: **(ونبيكم صلى الله تعالى عليه وسلم)** فى هذا الحديث يعنى به نفسه على طريق التجريد المعروف فى علم البديع.

(على الصراط) يحتمل أنه على ظاهره، ويحتمل أن المراد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف عنده، لكنه لقربه منه كالواقف عليه.

(يقول: اللهم سلم سلم) جملة حالية تدل على اعتنائه صلى الله تعالى عليه وسلم بهم والدعاء لهم بالسلامة من الوقوع فى جهنم، **(حتى يجتاز الناس)** يجتاز افتعال من الجواز وهو المرور، وهو غاية لقوله، أى لا يزال يقوله حتى يمروا، أو علة له أى قوله حتى يسلموا فيمروا، والناس أعم من أمته.

(وذكر آخرهم جوازًا الحديث) أى اذكره، أى سمى آخر من يمر على الصراط قيل: هو هناد، وقيل: جهينة، وقيل: هما واحد وأحدهما اسم والآخر لقب، والذى رأيناه أن جهينة آخر من يخرج من النار، وعند جهينة الخبر اليقين كما ذكر فى كتب الحديث، وفى شرح التلمسانى قيل: آخر من يخرج من النار هناد ولم يقع اسمه فى الصحيح، وروى أن الحسن قال: يا ليتنى كنت هنادا، فقيل: إنما تمنى هذا لأنه علم أنه قطع له بخاتمة الإيمان فى الحديث، وقيل: لأن بدخوله الجنة كملت النعمة على أهلها لأنهم كالجسد الواحد انتهى.

(وفى رواية أبى هريرة: فأكون أول من يجيز يومئذ) هذا مما رواه الشيخان، فهو أول من يجيز أمته من الرسل، وهو يقتضى أن المراد بالناس السابق أمته، وأنهم أول الأمم جوازًا على الصراط، فله صلى الله تعالى عليه وسلم قصب السبق فى كل أمر، فهو أول من نبىء فى عالم الأرواح والذر، وأول من يشفع، وأول من يفتح باب الجنة، وأول من يدخلها، وأول من يجيز أمته على الصراط. ويجيز مضارع وليس بمعنى جاز كما قيل.

(وعن ابن عباس) رضى الله تعالى عنهما **(عنه صلى الله تعالى عليه وسلم)** أنه قال: **(توضع للأنبياء)** عليهم الصلاة والسلام فى أرض المحشر **(منابر من نور)** جمع منبر أى كرسى مرتفع **(يجلسون عليها)**، والناس وقوف على أقدامهم إكراما لهم وتمييزًا لهم عمن عداهم برفعة مقامهم؛ ليسر المؤمن بهم ويخزى من كفر، **(ويبقى منبرى)** خاليا عنى **(لا أجلس عليه)** حال من المضاف، وقوله: **(قائمًا)** حال من فاعل أجلس فهى متداخلة لا حال بعد حال **(بين يدى ربى منتصبًا)** أى قريبًا منه تعالى قربًا معنويًا؛ لتنزهه عن الزمان والمكان والجارحة، فهو تمثيل.

وقيامه صلى الله تعالى عليه وسلم مع جلوس غيره من الأنبياء فيه زيادة تكريم له؛ لما فيه من الإشارة إلى أنه من المقربين فى حظائر القدس الناظرين فى أمر غيرهم عند ربهم؛ ولذا فرع عليه قوله: **(فيقول الله: ما تريد أن أصنع بأمتك؟)** لما فيه من الدلالة على زيادة

محبته وإكرام أتباعه بما هو فى صورة الاستشارة له، **(فأقول: يا رب عجل حسابهم)** أى قدم النظر فى أمورهم على غيرهم حتى يخلصوا من هول الموقف، ويدخل الجنة من هو داخلها منهم، ويعلم من عذب منهم عدم خلوده فى النار، فلا منافاة بين هذا وحديث «من نوقش الحساب عذب»؛ ولذا قالت عائشة رضى الله تعالى عنها: «لا يحاسب أحد يوم القيامة إلا دخل الجنة».

(فيدعى بهم) أى بأمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو مبنى للمجهول كقوله: **(فيحاسبون، فمنهم من يدخل الجنة برحمته)** تعالى من غير شفاعة، لغلبة حسناته على سيئاته ولطف الله تعالى به، **(ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتى)** له، وذلك رحمة أيضًا.

(ولا أزال أشفع) فى العصاة **(حتى أعطى صكاكا)** غاية أو علة لاستمرار شفاعته وامتدادها، وصكاك بالصاد المهملة وكاف مكررة جمع صك كصكوك وأصك، وهو الورقه التى تكتب للمصالح والعرف خصها بحجة القاضى، وهو معرب جك بالجيم المعجمة.

(برجال قد أمر بهم إلى النار)، فهى متعلقه بهم فكأنها ترسل خلفهم بعد ذهاب ملائكة العذاب بهم، وأمر مبنى للمجهول أى أمرهم الله بأخذهم ليدخلوها، أو بإخراجهم بعد ما دخلوها **(حتى أن خازن النار)** الملك المؤكل بها وهو مالك، أو المراد خزنتها فيشمل مالك وأتباعه **(ليقول)** لما رآه من كثرة إنقاذه لمن أمر به: **(يا محمدُ! ما تركت لغضب ربك فى أمتك من نقمة)** الغضب إرادة الإنتقام، والنقمة بكسر أوله العذاب أى لم تدع أحدًا ممن استحق العذاب يعذب، وحتى هنا ابتدائية **(ومن طريق زياد)** بن عبد الله البصرى النميرى بالتصغير نسبة إلى نمير قبيله سميت باسم أبيها، وقد اختلف فيه فقيل: إنه ثقة، وقيل: ضعيف لا يحتج به، وهذا الحديث رواه البيهقى وأبو نعيم فى الحلية.

(عن أنس أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: أنا أول من تنفلق الأرض) أى تنشق، والفلق شق الشىء وإبانة بعضه من بعض قال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، **(عن جمجمته)** بضم الجيم الأولى والثانية وهى الرأس، أو قحف الرأس وعظمه الذى فيه الدماغ، وخصها لأنها أول ما يظهر منه.

(ولا فخر) أى لا أقول هذا إظهارًا للافتخار والتبجح، بل بيانا لما أنعم الله به على وتحدثا بنعمته، ولا ينافيه ما ورد فى الحديث «لا تفضلونى على موسى فإن الناس

يصعقون فأكون أول من يفيق؛ فإذا موسى آخذ بساق العرش»[1]؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم قاله قبل علمه بأنه سابق عليه فى البعث، وأنه لا يلزم منه أفضلية موسى عليه فتأمل.

(**وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر**) المراد أنه صلى الله تعالى عليه وسلم سيدهم وأشرفهم فى الدنيا والآخرة، وخص الثانى بالذكر؛ لعدم اعتداده بغيره، أو لأنه يعلم منه بالطريق الأولى، أو لأنه مسلم لا ينكر كما مر.

(**ومعى لواء الحمد يوم القيامة**) أى معى لواء موضوع عندى، أو هو بيده صلى الله تعالى عليه وسلم على عادة العرب فى أخذ الرئيس اللواء، والمراد لواء الرياسة العظمى الذى يحمده ويغبط به سائر الخلق؛ لتفرده صلى الله تعالى عليه وسلم به، وهو على حقيقته أو كناية عن تقدمه على غيره.

(**وأنا أول من تفتح له الجنة ولا فخر**) أى يفتح له بابها، وفى نسخة أبواب الجنة، (**فآتى فآخذ بحلقة**) باب (**الجنة**) بسكون اللام كما مر، أى أمسكها وأحركها حتى يسمع خزنتها، (**فيقال: من هذا؟**) الذى دق الباب (**فأقول:**) أنا (**محمد فيفتح لى**)؛ لعلمهم بأنه أذن له صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك، (**فيستقبلنى الجبار تعالى**) أى فأرى الله عيانًا بعد الفتح، وعبر بالجبار دون غيره لأنه يوم جزاء وانتقام كما مر أن الله غضب فى ذلك اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده، (**فأخر له ساجدا**)؛ لما شاهده صلى الله تعالى عليه وسلم من عظمة الله تعالى وإنعامه عليه وتجليه له برؤيته ورضوانه.

قال السنوسى: فى هذا تمثيل بجعله كمن قدم على ملك عظيم فى سلطانه وكرسى مملكته ودار كرامته، فاستقبله لما قدم عليه تشريفا له وإظهارًا لعظمة مقامه عنده وتطمينا له ولأتباعه؛ ليزداد سروره مع علوه وجبروته واستغنائه عن خلقه، فلا يتوهم أن المقام يناسب أن يقال: استقبلنى الرحمن لا الجبار.

(**وذكر نحو ما تقدم**) من حمده بمحامد لم يكن حمده بها قبل.

(**ومن رواية أنيس: سمعت رسول الله عليه السلام يقول:**) بالتصغير، وفى بعض النسخ أنس مكبر، والصحيح الأول وهو صحابى أنصارى أشهلى ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب، وروى عن شهر بن حوشب، ولم ينسبه وذكر حديثه هذا الطبرانى فى الأوسط، وقالوا: إسناده ليس بقوى، وقول بعضهم يؤيد ضعفه تعلق الشفاعة بما لا يعقل من الشجر والحجر سهو؛ لأن معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: (**لأشفعن يوم**

---

(١) أورده ابن كثير فى البداية والنهاية (٣١٢/١).

القيامة لأكثر مما فى الأرض من حجر وشجر) أنه يشفع لناس أكثر عددا من عدد الشجر والحجر لا ما توهمه، والعجب ممن اعتذر له بأنه لا يبعد أن يستغيث به صلى الله تعالى عليه وسلم الجمادات فرقا من نار جهنم وزمهريرها.

(فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار) أى إذا سمعت ما تقدم من الأحاديث مرفوعة وغير مرفوعة، واختلاف ألفاظها فى شفاعته صلى الله عليه وسلم، وتفسير المقام المحمود الذى وعده الله تعالى به تبين لك من مجموعها **(أن شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم ومقامه المحمود)** بالنصب عطف على اسم إن وخبرها قوله الآتى من حين إلى آخره، فلا يتوهم أنه لا خبر لها مذكور وأنه مقدر.

وقوله: **(من أول الشفاعات إلى آخرها)** بيان لمقامه المحمود، وفيه إشارة إلى تعدد شفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم، وقد قال القرطبى: إنها أربعة، وفى الحديث زيادة عليها، وهى شفاعته العظمى فى الخلاص من كرب الموقف لجميع الناس، وشفاعته لدخول أهل الجنة الجنة، وللمذنبين فى العفو عن ذنوبهم، ولمن أمر به إلى النار، ولمن قال: لا إله إلا الله، ولإخراج من دخل النار منها، ولرفع درجات أهل الجنة، كما مر جميع ذلك.

(من حين يجتمع الناس للحشر) هذا خبر أن ومن ابتدائية، **(وتضيق بهم الحناجر)** هذا كناية عن شدة الهول والكرب، والحشر جمع الناس فى المحشر، والنشر الخروج من القبور بعد الإحياء، والحناجر جمع حنجرة وهى الحلقوم أو طبقتان منه مما يلى الغلصمة أو رأسه، أو المراد أنها تضيق عن إخراج النفس لكثرته وشدته؛ لتراكم الغم والهم حتى يبلغها؛ كما قال الله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ [غافر: ١٨].

(ويبلغ منهم العرق) بفتحتين وهو معروف **(والشمس والوقوف مبلغه)** أى نهايته التى يمكن بلوغها والوصول إليها، وفى الحديث «يكون عرق الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يكون عرقه لكعبه، ومنهم من يكون لركبته، ومنهم من يزيد حتى يلجمه»، قالوا: وهذا أمر خارق للعادة، فإن الناس إذا كانوا فى الماء فى مكان مستو يكون تغطية الماء لهم على السواء، ومبلغ الشمس قدر ميل، وهذا أيضا خارق للعادة؛ فإن الشمس ليست فى سماء الدنيا كما أنهم عراة، ولا يرى أحدهم عورة غيره.

(وذلك قبل الحساب) الإشارة إلى اجتماعهم للحشر.

(فيشفع حينئذ لإراحة الناس من الموقف) أى حين إذ تضيق الحناجر، ويبلغ ذلك مبلغه، **(ثم يوضع الصراط)** السابق ذكره، ومر أنه ليس شعرة من جفن مالك كما قيل،

(ويحاسب الناس كما جاء فى الحديث) الذى تقدم ذكره **(عن أبى هريرة وحذيفة، وهذا الحديث أتقن)** أى أكثر إتقانا من غيره، **(فيشفع فى تعجيل من لا حساب عليه من)** أتقياء **(أمته)**، ويشفع معلوم أو مجهول لكونه معلوما **(إلى الجنة)** متعلق بتعجيل **(كما تقدم)** من دخولهم من الباب الأيمن، **(ثم يشفع)** شفاعة ثانية **(فيمن وجب عليه العذاب)** أى تحقق، فالوجوب ليس على ظاهره، **(ودخل النار منهم)** كما تقدم **(حسب)** بسكون ثانيه وفتحه ونصبه على المصدرية أو الظرفية، أى على وفق ومثل **(ما تقتضيه الأحاديث الصحيحة)** السالفة، **(ثم)** يشفع **(فيمن قال: لا إله إلا الله)** خالصا مخلصا من قلبه كما تقدم.

فإن قلت: هذا ينافى ما تقدم من قوله: فأقول: يا رب ائذن لى فيمن قال لا إله إلا الله، فيقول: ذلك ليس إليك.

قلت: أجيب عنه بأنه ليس فيه إلا أن إخراجهم من النار مفوض إلى الله، لا إليه صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو لا ينافى إخراجهم بشفاعته، وفيه خفاء. وقد يقال: المذكور شفاعته فقط، وقيل: المراد من أثمر توحيده زيادة طمأنينة له، والسابق المفوض لله تعالى من تجرد توحيده عما عداه.

(وليس هذا) أى الشفاعة فيمن قال: لا إله إلا الله **(لسواه)** من الشفعاء.

(وفى الحديث المنتشر) أى الشائع ولا يلزم منه صحته، فلذا قال: **(الصحيح)** الذى رواه الشيخان **(لكل نبى دعوة يدعو بها)**، تقدم أن المراد بها دعوته لجميع أمته، لا مخصوصة به أو ببعض أمته، وإلا فللأنبياء عليهم الصلاة والسلام دعوات كثيرة مستجابة، بل لبعض أممهم بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: **(واختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة)**.

وأشار المصنف رحمه الله إلى جواب آخر بقوله: **(قال أهل العلم: معناه)** أى معنى هذا الحديث المقصود منه **(دعوة أعلم)** بضم الهمزة وكسر اللام مبنى للمجهول أى أعلمه الله، وروى أعلموا بالبناء للمجهول أى الأنبياء، وعلى الأول النائب للفاعل ضمير مستتر، وقوله: **(أنها تستجاب لهم)** مفعول ثان له أى يتيقنون إجابتها، **(ويبلغ فيها مرغوبهم)** بالبناء للمجهول، ومرغوبهم أى مطلوبهم الذى رغبوا فى حصوله وأحبوه نائب الفاعل، **(وإلا)** أى وإن لم نقل أن معناه ما ذكر بأن يبقى على ظاهره، وأنه يستجاب له دعوة فقط كان مخالفًا للواقع، **(فكم لكل نبى من دعوة مستجابة)** أى أجاب الله تعالى دعاءه بها فى الدنيا.

(ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم) خصوصا **(منها ما لا يعد)** من الدعوات المشاهد استجابتها، **(ولكن حالهم عند الدعاء بها)** قبل تحقق إجابتها **(بين الرجاء)** لإجابتها **(والخوف)** من عدم قبولها، **(وضمنت لهم إجابة دعوة فيما شاءوه يدعون بها على يقين من الإجابة)** أى ضمن الله لهم قبولها يقينا، وهذه هى الدعوة المذكورة فى هذا الحديث، والجار والمجرور حال أى متيقنا إجابتها، ثم أشار إلى جواب آخر بقوله:

(وقد قال محمد بن زياد) الجمحى البصرى الثقة الذى أخرج له أصحاب الكتب الستة، **(وأبو صالح)** ذكوان السمان الثقة **(عن أبى هريرة فى)** تأويل **(هذا الحديث)** وتفسيره: **(لكل نبى دعوة دعا بها فى)** حق **(أمته)** وشأنهم، سواء كانت لهم أم عليهم، **(فاستجيب له، وأنا أريد أن أؤخر دعوتى شفاعة)** بالنصب أى لأجل الشفاعة، **(لأمتى يوم القيامة، وفى رواية أبى صالح)** السابق ذكره، وهذا مما رواه الشيخان عنه: **(لكل نبى دعوة مستجابة، فتعجل كل نبى دعوته)** فيه إقامة الظاهر مقام المضمر؛ لأن المقام بشارة يطلب فيه البسط.

(ونحوه فى رواية أبى زرعة) بن عمر بن جرير بن عبد الله البجلى الإمام الثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة، وقد اختلف فى اسمه فقيل: جرير وقيل: عبد الله وقيل: عبد الرحمن وقيل: هرم وقيل:هذا وهم وإنما هو هارم وقيل: عمرو**(عن أبى هريرة)** رضى الله تعالى عنه.

(وعن أنس مثل رواية ابن زياد عن أبى هريرة) أى موافقة لها معنى، وأشار بكثرة طرقه إلى صحته وقوة روايته، ثم بين المراد بهذا الجواب، وأنه غير الجواب السابق بقوله: **(فتكون هذه الدعوة مخصوصة بالأمة مضمونة الإجابة، وإلا)** أى وإن لم يفسر الحديث بما ذكر لزم الخلف، **(فقد أخبر صلى الله تعالى عليه وسلم أنه سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا منع بعضها وأعطى بعضها)** فتبين أنها ليست الدعوة الموعود بها، وهذا إشارة لما فى الصحيح من أنه صلى الله تعالىعليه وسلم قال: «سألت الله عز وجل ثلاث خصال فأعطانى ثنتين ومنعنى واحدة منها، سألته أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها، وسألته أن لا يظهر علينا عدوًا من غيرنا فأعطانيها، وسألته أن لا يلبسنا شيعا»[(1)]، وفى رواية يذيق بعضنا بأس بعض فمنعها. وهو المذكور فى سورة الأنعام فى آية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ﴾ [الأنعام: ٦٥]، إلخ، ومن فسر الدعوة التى ادخرها بهذا، فقد أخطأ وغفل عن قوله:

---

(١) أخرجه مسلم فى الفتن (٢٠)، وأحمد (١٨٢/١)، والطبرانى فى الكبير (٦٥/١)، وابن أبى شيبة (٣٢١/١٠).

(وادخر لهم هذه الدعوة) بالدال المهملة المشددة أى جعلها ذخيرة مؤخرة **(ليوم الفاقة)**، وهى الفقر وشدة الحاجة، والمراد يوم القيامة لاحتياج الناس فيه إلى رحمة الله تعالى، وشفاعة نبيه حيث لا ينفع غيره، **(وخاتمة المحن)** جمع محنة بكسر الميم، وهى البلية المحيرة يعنى هول الموقف إذ لا بلية بعده إلا النار، **(وعظيم السؤال والرغبة)** بالجر معطوف على يوم الفاقة أو على الفاقة، أو جعل اليوم نفس محنة، والرغبة عطف تفسيرى لما قبله أو هو أخص منه.

ولما ذكر ما تفضل به النبى صلىالله تعالى عليه وسلم على أمته الداخل فيهم دخولا أوليا ختم الفصل بدعائه له بقوله: **(جزاه الله)** تبارك وتعالى **(ما جزى نبيًّا عن أمته)** أى بما جزاه، أو بمثله، وفى نسخة أحسن، **(وصلى الله تعالى عليه وسلم تسليما كثيرا)** دائما أبدا إلى يوم الدين، ولبعض الشراح هنا كلام طويل لا طائل تحته تركناه خوف السآمة مما لا فائدة فيه، والله تعالى أعلم.

* * *

(فصل فى تفضيله صلى الله تعالى عليه وسلم)

على غيره (فى الجنة بالوسيلة) [والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة]

أصل الوسيلة أمر يكون موصلا لأمر تبتغيه، كالهدية والتودد ونحوه.

قال الراغب: الوسيلة التوسل إلى الشىء برغبة، وهى أخص من الفضيلة، ولتضمنها معنى الرغبة عديت بإلى قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحرى مكارم الشريعة وهى كالقربة انتهى. والمراد بها منزلة عالية فى الجنة كما سيأتى، فهو مجاز من باب إطلاق السبب على المسبب، ومن فسرها بالقرب من الله تعالى فقد تسامح فى العبارة. قال الزبيدى: يقال: وسل إذا تقرب لأنها المقرب.

(والدرجة الرفيعة) أى المرتفعة العالية، والدرجة هنا المنزلة وأصلها ما يصعد فيه كدرجات السلم، وهذا تفسير لما قبله، وقال السخاوى فى المقاصد الحسنة: لم ترد هذه اللفظة فى الدعاء الذى يدعى به عقب الأذان كما يفعله من لا خبرة له بالسنة، فذكره فى الدعاء لا أصل له.

(والكوثر) تقدم تفسيره، وأنه فوعل من الكثرة، والمراد به نهر فى الجنة، **(والفضيلة)** فعيلة من الفضل ضد النقص، ثم ذكر المصنف شواهد لتفضيله فى الجنة على غيره منها حديث رواه مسلم وأبو داود والترمذى، واقتصر فى الرواية على ما فى أبى داود دون

الترمذى ومسلم؛ لقرب سنده إلى الأول دونهما، فقال: **(حدثنا القاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمى)** نسبة لتميم قبيلة، وقد تقدمت ترجمته، **(والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد)** تقدم أيضا **(بقراءتى عليهما)** لا بسماعى من لفظهما، وفى نسخة عليه بالإفراد، وهذه أعلى من السماع من شيخه كما علمت.

(قالا: حدثنا أبو على الغسانى) الجيانى السابق ذكره قال: (حدثنا النمرى) بفتح النون والميم، وهو الإمام ابن عبد البر المتقدم قال: **(حدثنا ابن عبد المؤمن)** قال: **(حدثنا أبو بكر التمار)** بفتح المثناة الفوقية نسبة إلى التمر المعروف، وتقدم أن الأول عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبى، وأبو بكر التمار تقدمت ترجمته أيضا قال: **(حدثنا أبو داود)** الحافظ صاحب السنن، وقد تقدم أيضا قال: **(حدثنا محمد بن سلمة)** بفتح السين واللام، وما فى بعض النسخ من أنه مسلمة بميم فى أوله سهو من الناسخ، وهو أبو الحارث محمد بن سلمة المرادى المصرى، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وتوفى سنة مائتين وثمان وأربعين قال: **(حدثنا ابن وهب)** هو عبد الله بن وهب تقدمت ترجمته **(عن ابن أبى لهيعة)** بفتح أوله وكسر ثانيه، وهو عبد الله الحضرمى ثم المصرى الإمام الحافظ، وهو ثقة خلافا للذهبى إذ ضعفه روى عنه مالك وأصحاب السنن، وتوفى سنة مائة وأربع وسبعين، **(وحيوة)** بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية واو وهاء، وقياسه حية بالإدغام إلا أنه لم يغيره فرقا بين العلم وغيره، وهو ابن شريح الحمصى ثم المصرى، توفى سنة مائتين وأربعة وعشرين، وروى عنه أصحاب السنن، **(وسعيد بن أبى أيوب)** أبو يحيى بن مقلاص الخزاعى المصرى الثقة، أخرج له أصحاب السنن، وتوفى سنة إحدى وستين ومائة.

(عن كعب بن علقمة) بن عمرو بن زيد بن جشم الأنصارى الخزرجى الصحابى البدرى، توفى سنة أربع وثلاثين وله ستة وسبعون سنة، وفى بعض النسخ عن كعب عن علقمة والصواب الأول.

(عن عبد الرحمن بن جبير) القرشى مولى نافع الثقة توفى سنة سبع وتسعين، وأخرج له أصحاب الكتب الستة.

(عن عبد الله بن عمرو بن العاص) السابق ذكره **(أنه سمع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول)** حال، وعبر بالمضارع للحكاية حتى كأنه مشاهد حاضر: **(إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول)** من كلمات الأذان غير الحيعلتين، فإنه يقال عند سماعهما: لا حول ولا قوة إلا بالله. وهذا على سبيل الندب على الصحيح، وفى قول عند الشافعية أنه واجب، وإذا تكرر سماعه تكفى إجابة الأول، وفى فتاوى ابن عبد السلام أنه يندب

إجابة الكل، والأول أصح، وكذا فى الإقامة عند الشافعى، ويقول عند قوله: قد قامت الصلاة: أقامها الله وأدامها، وعند قوله: الصلاة خير من النوم: صدقت وبررت قيل: ولا يلزم سماع جميعه ولا فهمه.

(ثم صلوا على) أى قولوا عقب الإجابة: اللهم صلى وسلم عليه، وهذا مندوب أيضا، **(فإنه من صلى على)** أى أتى بصيغة من صيغ الصلاة مرة واحدة بقرينة قوله: **(صلى الله عليه بها)** أى بصلاته، وضمير إنه للشأن **(عشرا)** لتضاعف الحسنات.

(ثم سلوا الله لى الوسيلة) أى ادعو الله لى بأن يؤتينيها، فقولوا: اللهم آت محمدا الوسيلة، ثم فسرها بقوله: **(فإنها منزلة فى الجنة)** أى مقام عال فيها أعلى مما عداه **(لا ينبغى)** أى لا يليق إعطاؤها **(إلا لعبد)** عظيم جليل عند الله، فالتنوين والتنكير للتعظيم **(من عباد الله)** الأشراف الأقربين، فالإضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم قال ابن كثير: هى أقرب منازل الجنة إلى العرش وأعلاها وأشرفها، وتقدم أن الوسيلة من التوسل وهو التقرب.

فإن قلت: ما وجه تخصيص الدعاء بها بعد الأذان؟.

قلت: لما كان المؤذن يدعو الناس للصلاة وهى مقربة إلى الله ومعراج المؤمنين، وهذا مما من الله به علينا بإرشاده وهدايته، ناسب أن يجازى ذلك بالدعاء بالقرب من الله ورفعة المنزلة، فإن الجزاء من جنس العمل.

(وأرجو أن أكون أنا هو) ضمير الغيبة للعبد، وأنا مبتدأ أوهو خبر، والجملة خبر أكون، وكون أنا تأكيد للضمير المستتر وهو خبر استعير ضمير الرفع للمنصوب أو وضع موضع الظاهر والأصل أكون أنا إياه، وذلك خلاف الظاهر، وتعبيره ﷺ بالرجاء مع تحقق اختصاصه بأرفع المنازل عند ربه تأدبا وتشريفا لأمته بالدعاء له، وفيه دليل على جواز دعاء المفضول للفاضل؛ ليفوز بالثواب كما أشار إليه بقوله: **(فمن سأل الله تعالى لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة)** بالحاء المهملة وتشديد اللام بمعنى وجبت من حل يحل كضرب يضرب، أو غشيته ونزلت عليه من حل يحل كقعد يعقد، وروى وجبت، وروى له بدل عليه، ولا حاجة لجعل اللام بمعنى على؛ لأن وجب يتعدى، وليس المراد بالوجوب معناه المشهور، بل التحقق والتيقن، ولا يستشكل بأن الشفاعة للمذنبين وقائلها ليس بمذنب، بل عابد لله تعالى؛ لأن الشفاعة أنواع كما مر كالشفاعة فى دخول الجنة من غير حساب، وفى رفع الدرجات وزيادة العطيات، ولا يختص هذا بمن قاله مخلصًا مستحضرًا لأخلاقه صلى الله تعالى عليه وسلم بل يكفى فيه مجرد قصد

الثواب، إلا أنه ينبغى أن لا يكون غافلا لاهيا، واستحباب هذا لغير المصلى فرضا أو نفلا، فإن قاله فيها لا تبطل صلاته؛ لأنه ذكر إلا فى قوله: صدقت فإنه من كلام الناس فتأمل.

(وفى حديث آخر) رواه الترمذى أيضا **(عن أبى هريرة الوسيلة أعلى درجة فى الجنة)** مخصوصة به صلى الله عليه وسلم، وهى أقرب إلى العرش من سائر المنازل، وليس هذا معلوما من الحديث السابق إلا أنه المراد منه .

(وعن أنس) فى حديث رواه البخارى **(قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: بينا أنا أسير فى الجنة)** تقدم الكلام على بينا بالألف، والظاهر أن هذا كان مناما، ويحتمل أنه يقظة فى الإسراء **(إذ عرض لى نهر)** أى فاجأنى عروضه أى ظهوره بمرورى عليه.

(حافتاه) أى جانباه وشطاه، وهو بتخفيف الفاء المفتوحة وهو مبتدأ خبره **(فيهما لؤلؤ مثل القباب)**، وفى نسخة حافتاه قباب اللؤلؤ جمع قبة المعروفة، أو هى بيت صغير تضربه العرب لتنزل فيه، والجملة صفة نهر بسكون الهاء وفتحها، والمراد أنها لؤلؤ حقيقى أو مثله فى الحسن والنضارة.

(قلت لجبريل: ما هذا؟) النهر لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعرفه **(قال: هذا الكوثر الذى أعطاكه الله)** أى وهبه لك فى قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر:١]، وهو فوعل صفة مشبهة من الكثرة؛ لكثرة مائه وأوانيه، ولذا فسره ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بالخير الكثير كما يأتى بما فيه، وهو أصل معناه ثم نقل وجعل علما لهذا النهر، ودخلت عليه اللام للمح الأصل، ووصل الضميرين المنصوبين على اللغة الفصحى، ولو فصل وقال: أعطاك إياه جاز، وورد فى صفته أنه أبيض من اللبن وأحلى من العسل كما سيأتى.

(قال) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: **(ثم ضرب)** جبريل عليه الصلاة والسلام **(بيده إلى طينه)** بالتنوين والإضافة إلى ضمير النهر، وسماه طينا لأنه بمنزلته وعلى صورته، وضرب يده مجاز عن إدخالها فيه، **(فاستخرج مسكا)** أى أخرج من قعره وعرضه ليعرفه بفضله، وأن طينه مسك فليس كأنهار الدنيا.

(و) روى **(عن عائشة وعبد الله بن عمرو)** بن العاص **(مثله)** أى مثل حديث أنس المذكور.

(قال) أى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث: **(ومجراه)** بفتح الميم مصدر ميمى أى جرى هذا النهر، أى مجرى مائه **(على الدر والياقوت)** الذى فوق طينه

الذى هو مسك، كما أن الأنهار تجرى على طين وحصى، فهذا طينه مسك وحصاه جواهر، فلا منافاة بين كون مجراه على الجوهر، وكون طينه مسكا كما مر.

(وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج) بفتح المثلثة وسكون اللام قبل الجيم وفتحها مصدر ثلج صدرى بكذا أى برد لتيقنه، وأبيض أفعل تفضيل من البياض، وقد سمع من العرب على خلاف القياس فلا ينافى قول النحاة أن أفعل التفضيل لا يصاغ من الألوان كما مر، ويجوز أن يكون صفة كأحمر وأسود إلا أنه خلاف الظاهر، وفى الحديث : «إن الله أعطانى نهرا يقال له الكوثر لا يكاد أحد من أمتى يسمع خريرة إلا سمعه»، فقيل: يا رسول الله! كيف ذلك؟ قال: «أدخل إصبعيك فى أذنيك وسدهما فالذى تسمعه خريره»[1]، نقله السهيلى، وفى رواية أبيض من اللبن، وكونه أحلى من العسل لا ينافى أن من أنهار الجنة نهرا من عسل.

وفى رواية عنه **(فإذا هو)** أى الكوثر **(تجرى)** جريا معتدلا، **(ولا يشق شقا)** جملة حالية من ضمير يجرى أى لا يشق الأرض بشدة جريه، وكذا سائر أنهار الجنة تجرى من غير أن تتخذ أخدودا كما قاله التلمسانى، ويشق مبنيا للفاعل، وقيل: إنه روى مبنيا للمجهول، وقيل: المراد أنه يجرى معترضا لا مستطيلا من قولهم: شق البرق إذا لمع مستطيلا، وهو بعيد؛ لما ورد فى الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: لا تظنون أن أنهار الجنة أخدودا، لا والله إنها السائحة على وجه الأرض، وقد يرجع ما ذكر إليه فيكون المعنى واحدًا.

(عليه) أى على الكوثر **(حوض)**، والظاهر أنه بجانب قريب منه كما يقال: مررت على زيد أى على مكان قريب منه، والحوض معروف، وقد قيل: المراد بكونه عليه أنه يمتد منه؛ لأن عليه ميزانين يشخبان فيه من الكوثر إلا أنه بجانبه إذ هو فى الجنة، والحوض خارجها للحديث الآتى: «ليردن على أقوام أعرفهم ولا يعرفونى ثم يحال بينى وبينهم»، فأقول: إنهم أمتى، فيقال: لا تعلم ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن غير بعدى[2]، فتأمل.

(ترد عليه أمتى) أى يأتونه للشرب منه، ولعله بعد الحساب والنجاة من النار **(وذكر حديث الحوض)** الآتى، وهذا يدل على أنه غير الكوثر، وقد جاء فى بعض الأحاديث أن الكوثر هو الحوض، والحق أنه غيره على قول من أقوال عدة، ولو قيل بتعدد الحوض لم يبعد.

---

(١) انظر: كشف الخفا (١/ ١١٠)، وتذكرة الموضوعات (١٦٦).

(٢) أخرجه البخارى (٩/ ٥٩)، ومسلم فى الفضائل (٢٦).

(ونحوه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما) أى روى عن ابن عباس ما يوافقه.

(وعن ابن عباس أيضًا) أى فى رواية أخرى ذكرها البخارى **(قال)** فى تفسيره: **(الكوثر الخير الكثير الذى أعطاه الله إياه)** تشريفًا له صلى الله تعالى عليه وسلم وتكريما، وهذا بناء على أنه فوعل من الكثرة مطلقا، ثم خص بالكثير من الخير، وبالنهر الذى فى الجنة، فإن أراد ابن عباس بهذا بيان ما وضع له لغة أو بيان معنى عام خص فى الحديث والآية فلا كلام فيه، وإن أراد تفسير ما فى الآية فالأحاديث الصحيحة وردت بخلافه.

وفى الآية ستة عشر قولاً **فقيل**: إنه النهر السابق ذكره. **وقيل**: النبوة والكتاب. **وقيل**: القرآن. **وقيل**: الإسلام. **وقيل**: تحقيقات الشريعة. **وقيل**: كثرة الأمة. **وقيل**: رفعة الذكر. **وقيل**: نور النبوة المحمدية. **وقيل**: كثرة المعجزات. **وقيل**: الدعوات المجابة له صلى الله تعالى عليه وسلم. **وقيل**: كلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله. **وقيل**: الفقه فى الدين. **وقيل**: الخمس صلوات التى خصت بها أمته صلى الله تعالى عليه وسلم. **وقيل**: الحوض، والأصح أنه نهر فى الجنة مخصوص.

(وقال سعيد بن جبير: والنهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله إياه) يعنى أنه على عمومه، وهذا داخل فيه أو هو المراد منه، **(و)** يؤيده ما روى **(عن حذيفة)** بن اليمان **(فيما ذكره عليه الصلاة والسلام عن ربه)** حيث بينه له فى حديث قال فيه: **(وأعطانى الكوثر، وهو نهر فى الجنة يسيل فى حوضى)** الذى فى الموقف، أو بعد الصراط يسقى منه أمته، وفيه إشارة إلى تفسيره بالحوض؛ لأن ماءه منه.

(وعن ابن عباس) فى حديث صحيح رواه ابن جرير بسنده وابن حبان **(فى)** تفسير **(قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾)** [الضحى: ٥]، أى يعطيك إلى أن ترضى بما أعطاه لك وتقر عينك.

(قال) من جملة ما أعطاه **(ألف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك)** أى هى من لؤلؤ، وترابها من المسك، فالضمير للقصور الذى دل عليها قوله ألف قصر، **(وفيه)** أى فى كل قصر، فأعاد الضمير عليه مفردا رعاية للفظه؛ لأن كل مفرد مذكر **(ما يصلحهن)** الضمير عائد عليه أيضا رعاية لمعناه، وقيل: ضمير فيه عائد عليه نظرا للفظ قصر، أو لتأويله بما ذكر، فما قيل أن صوابه فيهن لا وجه له، والمراد ما يقوم بمصالح تلك القصور من الخدم والزوجات والآلات كالأوانى كما أشار إليه بقوله:

(وفى رواية أخرى: وفيه ما ينبغى له) أى فى كل قصر ما يناسبه ويليق به **(من**

الأزواج والخدم) بفتحتين جمع خادم، وفعل جمع لفاعل ورد فى ألفاظ ذكرها النحاة، وقيل: إنه اسم جمع والأزواج جمع زوجٍ أو زوجة، وذكر هذا هنا لمناسبته للمنزل والمقام، وهذا الحديث رواه المصنف موقوفًا على ابن عباس أنه كان فاعل، قال ابن عباس لا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الظاهر.

ورواه الأوزاعى مرفوعًا إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: حدثنا إسماعيل ابن عبد الله عن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه رأى ما هو مفتوح على أمته فسر بذلك، فأنزل الله عز وجل عليه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١،٢]، إلى قوله ﴿فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]، فأعطاه الله عز وجل ألف قصر إلخ.

وقيل فى الآية: إنه إعطاء ما هو شامل لكل خير أعطاه ولما ادخره له مما لا يعرف كنهه إلا الله، وتقدم أنها لما نزلت قال صلى الله تعالى عليه وسلم: إذن والله لا أرضى وأحد من أمتى فى النار، وقد تقدم الكلام عليه.

* * *

(فصل)

فى بيانه شبهة ترد على ما تقدم

من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل الرسل وأعظمهم عنده وجرد من نفسه سائلا خاطبه بقوله: **(فإن قلت)** وأتى بالفاء الاستئنافية إشارة إلى نشأته مما قبله وترتبه عليه: **(قد تقرر من دليل القرآن)**، وفى نسخة فإذا تقرر أى تحقق وثبت، وإضافة دليل للقرآن بيانية أو تخصيصية لامية، **(وصحيح الأثر)** أى الحديث، وهو معطوف على القرآن أو على دليل، **(وإجماع الأمة)** المحمدية **(كونه)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(أكرم البشر)** أى أشرف بنى آدم، **(وأفضل الأنبياء)** والرسل خاصة منهم، ولم يقل: أكرم الخلق لأن قوله: إجماع الأمة يأباه؛ لما فيه من خلاف المعتزلة فى خواص الملائكة وإن كان الصحيح خلافه، فلا وجه للاعتراض بذلك.

(فما معنى الأحاديث الواردة بنهيه صلى الله عليه وسلم عن التفضيل؟) بين الأنبياء أو الناهية بتفضيله عليهم، **(كقوله)** صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان ورواه المصنف رحمه الله تعالى من طريق مسلم **(فيما حدثناه)** متعلق بكقوله، أو حال منه **(الأسدى)** نسبة إلى أسد قبيلته قال: **(حدثنا السمرقندى)** تقدمت ترجمته قال: **(حدثنا الفارسى)** عبد الغافر السابق ترجمته قال: **(حدثنا الجلودى)** تقدم بيانه وبيان نسبته قال:

(حدثنا ابن سفيان) إبراهيم بن محمد ابن سفيان السابق ترجمته قال: **(حدثنا مسلم)** الإمام صاحب الصحيح المتقدم قال: **(حدثنا ابن المثنى)** محمد أبو موسى البصرى، توفى سنة اثنين وخمسين ومائتين كما تقدم قال: **(حدثنا محمد بن جعفر)** أبو عبد الله الهذلى البصرى والملقب بغندر بضم الغين المعجمة وسكون النون وضم الدال وفتحها وراء مهملة، وقد تقدم أنه توفى فى ذى القعدة سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومائة قال: **(حدثنا شعبة)** بن الحجاج بن بسطام كما تقدم **(عن قتادة)** تقدم بيانه قال: **(سمعت أبا العالية)** التابعى السابق ترجمته **(يقول حدثنى ابن عم نبيك صلى الله تعالى عليه وسلم يعنى ابن عباس)** رضى الله تعالى عنهما ابن عبد المطلب المشهور، وهو أحد العبادلة وغالب روايته عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم لصغر سنه فى زمانه صلى الله تعالى عليه وسلم، واختلف فيما رواه عنه بلا واسطة فقيل: أربعة أحاديث، وقيل: تسعة، وقيل: عشرة، وقيل: عشرون حديثًا.

(عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم: ما ينبغى) أى ما يصح ولا يجوز **(لعبد)** من عباد الله نبيًا كان أو غيره **(أن يقول: أنا خير من يونس بن متى)** بفتح الميم وتشديد التاء المثناة الفوقية وألف مقصورة، وهو اسم أمه، وقيل: اسم أبيه، وصحح كلا من القولين طائفة، والأول أشهر كما مر، وهو من ولد بنيامين بن يعقوب عليه الصلاة والسلام، وكان بعد سليمان عليه الصلاة السلام، وقيل: كان بينهما أيوب عليه الصلاة والسلام، وكان قبل النبوة من عباد بنى إسرائيل، فهرب ونزل بشاطىء دجلة فبعثه الله إلى أهل نينوى من أرض الموصل وهو ابن أربعين سنة، فضاق ذرعًا بالرسالة فشكى ذلك للملك وأعلمه أنهم إن لم يستجيبوا له حل بهم العذاب، وأجل لهم أربعين يومًا وأعلمهم بالأجل، فقالوا: إن رأينا أمارات ذلك آمنا بك وانصرفوا، فلما مضى من الميقات خمسة وثلاثون يوما غامت السماء بغيم أسود له دخان، فأيقنوا بالعذاب، فخرجوا من القرية بأهلهم، وفرقوا بين النساء وأولادهن، وضجوا إلى ربهم، فرحمهم فقبل توبتهم، وساح يونس عليه الصلاة والسلام فى الأرض، ومر براع سقاه لبنا فقال له اقرأ على قومى السلام فقال له: يا نبى الله لا أستطيع فإن من كذب منا قتل فقال له: إن كذبوك فشاتك وعصاك يشهدان لك، فأخبرهم فأنكروا مقاله، فشهد له الشاة وعصاه فصدقوه وملكوه عليهم أربعين سنة، وقيل كان ميقاته ثلاثة أيام فانتظر يونس فخاف؛ لأنه من كذب ولم يقم بينة قتل فى شرعهم، فذهب مغاضبا وركب سفينة فركدت وغيرها من السفن يسير، فسألوه عن سبب ذلك فقال: إن عبدًا أبق من ربه وإنها لا تسير حتى يلقوه فى البحر، فقالوا: أما أنت يا نبى الله فلا نلقيك، فقال: اقترعوا فاقترعوا ثلاث

مرات وسهم القرعة يقع عليه صلى الله تعالى عليه وسلم، فألقوه فابتلعه حوت وغاص به إلى قرار الأرض، فسمع يونس تسبيح الحصى، ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، ﴿۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ﴾ [الصافات: ١٤٥]، كطير ممعوط لا ريش له، فأنبت الله عليه شجرة من يقطين استظل بها وأصاب منها فيبست، فبكى فأوحى الله إليه أتبكى على شجرة يبست ولا تبكى على مائة ألف أو زيادة هلكوا فنادى ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، واختلف فى مكثه فى بطن الحوت، فقيل: بعض يوم، وقيل: عشرون، وقيل: سبعة أيام، وقيل: أربعون يوما وقيل:ثلاثة وإنما خص يونس بالذكر لما يعلم مما يأتى، وهو خشية ممن سمع قصته أن يقع فىنفسه شىء لقلة صبره وعدم ثباته فىالشدائد، ويأتى أن المنهى عنه تفضيل يؤدى إلى تنقيص أحد منهم؛ ولذا قيل: إن من قال: أنا خير من بعض الأنبياء يخشى عليه الكفر إن لم يكن نبيا، فإن كان فلا ينبغى له ذلك، وهذا مخصوص بما إذا لم يكن كذلك وقاله افتخارا؛ ولذا وقع من نبينا صلى الله عليه وسلم تحدثا بنعمة الله.

(وفى غير هذا الطريق) المذكور آنفا **(عن أبى هريرة قال يعنى رسول الله)** صلى الله تعالى عليه وسلم: **(ما ينبغى لعبد الحديث)** أى اذكره إلخ كما مر.

(وفى حديث أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه الذى رواه الشيخان فى رجل من الأنصار تنازع مع يهودى بالمدينة، وبينه المصنف رحمه الله تعالى بقوله: **(فى اليهودى)** أى فى رجل من اليهود، ولم يذكروا اسمه **(الذى قال: والذى اصطفى موسى على البشر)** أى اختاره وفضله على سائر بنى آدم من الأنبياء وغيرهم، **(فلطمه رجل من الأنصار)** لم يذكروا من هو، وفى سيرة ابن إسحاق أن اسم اليهودى فنحاص، **(وقال)** أى الرجل الأنصارى: **(تقول ذلك)** أى تفضيل موسى على البشر، **(ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين أظهرنا)** جملة حالية أى مع وجود النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو أفضل من موسى وغيره، ولفظ أظهر جمع ظهر مقحمة أى بيننا، **(فبلغ ذلك)** الذى قاله اليهودى والرد عليه **(النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: لا تفضلوا بين الأنبياء)** بالضاد المعجمة، أى لا تقدموا على الحكم بأفضلية بعضهم على بعض، وليس هذا على ظاهره كما سيأتى، وجوز بعضهم أن يكون بالصاد المهملة أى لا تفرقوا وتميزوا بعضهم من بعض.

(وفى رواية: لا تخيرونى على موسى)، وهذه الرواية فىالصحيحين وسنن أبى داود

والنسائى، والنهى عن تفضيل يقع من غيره مؤد إلى نقص، أو على سبيل المعصية والتفاخر، فلا ينافى قوله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»(١)، وسيأتى تفصيله.

(فذكر الحديث وفيه: ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى)، وفى هذا الحديث زيادة ذكر موسى وهو من عظماء الرسل أولى العزم، فالتفضيل عليه أقوى فيما نحن بصدده، فلا وجه لما قيل من أنه كان ينبغى تقديم هذا الحديث على الذى قبله، والحديث المذكور أوله: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال المسلم مقسما: والذى اصطفى محمدا على العالمين، فقال اليهودى: والذى اصطفى موسى على العالمين، فلطمه المسلم فذهب اليهودى إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره بما جرى بينهما، فقال: «لا تخيرونى على موسى؛ فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدرى أحوسب بصعقة الطور أو بعث قبلى، ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى»(٢)، وكانت القصة فى عرض سلعة وقال البرهان: لا أعرف اسم اليهودى والمسلم اللاطم له وقال غيره: اليهودى اسمه فنحاص أى كما تقدم، واللاطم أبوبكر رضى الله تعالى عنه إلا أن قوله فى الحديث رجل من الأنصار يأباه، إلا أن يقال: الأنصار هنا بمعناه اللغوى، وهو خلاف الظاهر، وهذه الصعقة هى المذكورة فى قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، وهذا هو الاستثناء المذكور فى الحديث، فالصعق الإحياء والإخراج من القبور مجازا؛ لأن حقيقتها الصراخ مع غشى يخر منه، وقيل: المراد بها حقيقتها وأنها فى عرصات القيامة بعد الحشر يوم الفزع الأكبر.

وقال ابن قيم الجوزية فى كتاب الروح نقلا عن تذكرة القرطبى: إن هذه الرواية دخل فيها حديث فى حديث؛ ولذا أشكل عليهم، والذى يزيح الإشكال أن الموت ليس بعدم محض بل ترحال وانتقال من حال إلى حال، والأنبياء والشهداء أحياء لكنهم غيبوا عنا فى مراقدهم، فإذا نفخ فى الصور فمن مات حيي ومن كان حيا من الأنبياء ونحوهم كالمغشى عليه صعق ثم أفاق؛ ولذا ورد فى حديث مسلم: فأكون أول من يفيق؛ فلذا تردد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى أنه أول من تنشق عنه الأرض وأفاق أم موسى عليه الصلاة والسلام سبقه؟؛ لأنه حوسب بصعقة الطور، فلم يغش عليه ويصعق، وهذه فضيله لموسى عظيمة؛ فلذا ذكرها ونهى عن تفضيله عليه، وإن لم يلزم كونه أفضل منه من سائر الوجوه؛ فلذا خصه بالذكر وخص يونس لما مر.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

وسئل إمام الحرمين عن نفى الجهة ودليلها فقال: دليلها قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: لا تفضلونى على يونس بن متى؛ لأنه خاطب الله فى قعر البحر والظلمات الثلاث بقوله: سبحانك كما خاطبه نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى مقام قربه قاب قوسين على الرفرف، فلم يكن ثمة أقرب من يونس.

(وعن أبى هريرة) فى حديث رواه البخارى **(ومن قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب)** ذكروا فيه احتمالين: أن يكون أنا عبارة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى من فضلنى على يونس عليه الصلاة السلام فقد كذب.

وأن يكون أنا عبارة عن القائل غيره، أى أى أحد من الناس قال: أنا خير من يونس؛ لتوهمه أنه فضله بعلمه وعبادته وغير ذلك من الفضائل؛ لأن أحدًا لا يبلغ درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد قالوا: إنه كفر، وهذا يؤيد أن المراد الأول، ويأتى بيان الثانى فى كلام المصنف رحمه الله.

(وعن ابن مسعود: لا يقولن أحدكم: أنا خير من يونس بن متى، وفى حديثه الآخر) أى حديث ابن مسعود الذى رواه مسلم وأبو داود والترمذى **(فجاءه صلى الله تعالى عليه وسلم رجل فقال: يا خير البرية)** أى يا أفضل الخلق كلهم، والبرية بتشديد الياء من برأ يبرأ مهموزًا بمعنى خلق من البرأ بمعنى التراب، إلا أنه التزم فيه إبدال الهمزة ياء كما فى النهاية.

(فقال: ذاك) وفى نسخة ذلك، والإشارة لخير البرية **(إبراهيم)** الخليل عليه الصلاة والسلام، وهو فى الحقيقة أفضل البرية والرسل بعد نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال السيوطى: إنه متفق عليه.

(فاعلم) جواب الشرط فى قوله: فإن قلت، وهو شروع فى تحقيق المسألة والجمع بين الأحاديث المتعارضة فى التفضيل وعدمه **(أن للعلماء فى هذه الأحاديث)** الناهية عن التفضيل وما يخالفها **(تأويلات)** تقدم بعض منها، وسيأتى تحقيقها.

(أحدها أن نهيه) صلى الله تعالى عليه وسلم **(عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم)** بالبناء للفاعل أو المفعول، أى يعلمه الله، وهذا دليل على أن قوله: أنا السابق عبارة عنه عليه الصلاة والسلام، **(فنهى عن التفضيل إذ يحتاج إلى توقيف)** أى إعلام به من الله وإذن فيه، فلا يقدم عليه بالعقل، وكون التفضيل فى الحديث خاصا بموسى ويونس عليهما الصلاة والسلام فيه دلالة عليه فى الجملة، فلا يرد ما قيل: إنه لا يقتضى المنع مطلقا فتأمله **(وأن من فضل بلا علم فقد كذب)**؛ لأنه لا يطابق ما فى نفس الأمر

عنده إذ لم يعلم، وهذا تشديد فى النهى وإلا فإخباره على غلبة ظنه أنه واقع لايعد كذبا.

(وكذلك قوله: لا أقول إن أحدًا أفضل منه لا يقتضى تفضيله هو)؛ لأنه نفى لقوله، وهو لا يدل على انتفائه فى نفس الأمر، وما كل ما يعلم يقال، وضمير تفضيله هو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم أى تفضيله على يونس، أو ليونس صلى الله تعالى عليه وعلى نبينا وسلم، **(وإنما هو فى الظاهر كيف)** أى امتناع أو منع لغيره **(عن التفضيل)** بينهم، وقد يكون لأمر آخر.

(الوجه الثانى أنه قال صلى الله تعالى عليه وسلم على طريق التواضع ونفى التكبر والعجب) بضم فسكون أى عجبه وخيلاؤه بنفسه ومدحه لها، فإنه كذلك فى الغالب، والتكبر إظهار عظمته، والعجب استحسانه لنفسه وسياسته، والتواضع لين الجانب وخفض جناحه لغيره، **(وهذا)** الجواب **(لا يسلم من الاعتراض الوارد عليه)**؛ لأنه يعد الإخبار بخلاف الواقع الذى هو كذب مذموم تواضعا قيل: ولأن نفى التكبر والعجب يقتضى ثبوتهما له، وأنه مع ما علم من حاله كيف يتوهم فيه مالا يتوهم فى غيره من صلحاء أمته، ولا يخفى أنه اعتراض ساقط، فإن التواضع صفة محمودة وهو من شأنه صلى الله تعالى عليه وسلم كما تقدم.

(الوجه الثالث) أن مقصوده صلى الله تعالى عليه وسلم بنهيه **(أن لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدى)** بضم التحتية وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة أى ينجز ويوصل **(إلى تنقيص بعضهم)** تفعيل من النقص، أى يقتضى وصفهم بما فيه نقص لهم وذم، **(أو الغض منه)** بفتح الغين والضاد المعجمتين المشددة المكسورة كالغضاضة، وهى النقص والعيب، وأصله من غض الطرف والصوت وهو خفضه فاستعير لما ذكر، وضمير منه للبعض، وفى نسخة منهم ويفهم من هذا جوازه إن لم يؤد لما ذكر **(لاسيما)** أى خصوصًا **(فى جهة يونس عليه الصلاة والسلام)** أى فى حقه ووصفه؛ لأن الجهة تطلق على الصفة، ومنه موجهات القضايا، ولاسيما عده النحاة من أدوات الاستثناء، وليس هذا محل الكلام عليه **(إذ أخبر الله عنه بما أخبر)** فى قوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]، إلخ، **(لئلا يقع فى نفس من لا يعلم منه)**، أى لا يعلم من يونس وما قص من قصته **(بذلك)**، أى بسبب ذلك المذكور، وهو متعلق بقوله: **(غضاضة)** أى نقص وحقارة يتوهمهما من لا علم عنده، وعطف عليه عطف تفسير قوله: **(وانحطاط من رتبته الرفيعة)** استعارة بتنزيل شرفه منزلة أمر عال حسا نزل من علو سفل.

(إذ قال الله تعالى) حاكيا **(عنه ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾)** [الصافات: ١٤٠]،

أى خرج إلى سفينة مملوءة بما فيها من الناس والمتاع، والإباق هروب العبد من سيده حسن إطلاقه عليه إذ خرج بغير إذن ربه، وقال تعالى: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧]، لقومه لما لم يجيبوا دعوته كما تقدم، ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، أى لن نضيق عليه بالعقوبة، ويؤيده أنه قرىء مثقلا، أو تمثيلاً لحاله بحال من ظن أنا لا نقدر عليه فى مراغمة قومه لعدم انتظاره لأمرنا. روى أن معاوية قال لابن عباس: أيظن نبى أن لا يقدر الله عليه فقال: هو من القدر لا القدرة قال ابن برى: أى من الإرادة فظن أن لن نريد عقوبته.

(فربما يخيل) بالبناء للمجهول ونائب فاعله قوله: حطيطته، وقوله: **(لمن لا علم عنده)** بمعانى القرآن، وما قيل فى تأويل هذه الآية متعلق به **(حطيطته)** أى نقصه **(بذلك)**، ونزول مقامه عن مقام غيره من الرسل لنظره لظاهر الآية، وقد نقل المفسرون فيه أقوالا: فقيل معنى ذهب مغاضبا أنه غضب من قومه لا من ربه، وهذا خلاف الأولى إذ كان حقه الصبر كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى أحد وغيرها، فلا يذهب بغير أمر، ولذا قال الله تعالى له: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]، وأما قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فقد تقدم تأويله، وقيل: أحسن ما قيل فيه أن معناه لن نضيق عليه، وقول البيضاوى: إنها خطرة شيطانية سبقت إلى وهمه سميت ظنا للمبالغة مما لا يليق أن يقال لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة السلام عن مثله.

(الوجه الرابع: منع التفضيل) بين الأنبياء والرسل الذى أفاده النهى الوارد فى الحديث إنما هو **(فى حق النبوة والرسالة)** نفسهما لا الأنبياء والرسل.

قال السنوسى فى شرح عقائده بعدما ذكر ما قاله المصنف: ومما دل على عدم التفاضل بين الأنبياء فى نفس النبوة وحقيقتها منع أن يقال: ثبت لفلان النبى النصيب الأقل من النبوة، ولفلان النصيب الأوفر منها، ونحوه من العبارات التى تقتضى أن النبوة مقولة بالتشكيك، ولا شك أن الامتناع من هذه العبارة معلوم من الدين بالضرورة بين السلف والخلف، فدل ذلك على أن حقيقة النبوة من المتواطىء المستوى أفراده، ولا يلتفت لمن خالف مقتضاه لوضوح فساده انتهى.

وفى ذكره ذلك فى النبوة دون الرسالة إيماء لفرق بينهما فى ذلك فتأمله، وقريب منه قوله: **(فإن الأنبياء فيها)** أى فى النبوة من حيث هى هى **(على حد واحد)**، فرتبتها وقدرها متحد فيهم **(إذ هى شىء واحد)** أى متحد فى جميعهم، **(لا تفاضل)** أى لا تزيد بعضها على بعض، **(وإنما التفاضل)** والتفاوت **(فى زيادة الأحوال)** أى العوارض الطارئة عليها، **(والخصوص)** أى ما خص به بعضهم دون بعض، **(والكرامات)** التى أكرم الله بها

بعضهم، **(والرتب)** الدنيوية والأخروية، **(والألطاف)** أى العطايا التى أعطاها الله بعضهم جمع لطف بفتحتين وهو الهدية كما مر، فهو استعارة هنا.

(وأما النبوة فى نفسها فلا تتفاضل، وإنما التفاضل بأمور أخر زائدة عليها) طارئة ليست من نفس حقيقتها كما بيناه؛ **(ولذلك)** أى لما ذكر من أن التفاضل لأمر زائد **(كان منهم رسل)** غير أولى العزم، **(ومنهم أولوا العزم من الرسل)**، والعزم القوة والشدة والتصميم على تنفيذ ما يراه أولى به وبغيره، والرسل جمع رسول وهو صاحب الرسالة من الله بشريعته المأمور بالتبليغ، فهو أخص من النبى على المشهور من الرسل بالكسر وهو تتابع الدر، ومنه على رسلك أى تمهل وتثبت، وقد اختلف فى أولى العزم والحزم منهم.

فقيل: هم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم وهم أصحاب الشرائع.

وقيل: أربعة نوح وهود وإبراهيم ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم.

وقيل ستة: إبراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلوات الله على نبينا وعليهم.

وقيل: هود ونوح وصالح وشعيب ولوط وموسى، وهم المذكورون فى نسق فى الأعراف والشعراء.

وقيل: هم نوح لصبره على أذى قومه، وإبراهيم لصبره على النار، وإسحاق لصبره على الذبح فى قول، ويعقوب لصبره على فقد ولده ونور بصره، ويوسف لصبره على السجن، وأيوب لصبره على الضر.

وقيل: هم المأمورون بالجهاد.

وقيل: نجباء الرسل المذكورون فى الأنعام، واختاره الحسن لقوله: ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ**﴾ [الأنعام: ٩٠]، إلخ، وهذا مبنى على تفسير العزم.

ثم بين بعض ما وقع فيه التفاضل فقال: **(ومنهم من رفع)** أى رفعه الله **(مكانا عليا)**، وهو إدريس سبط شيث وجد نوح، واسمه قديما أخنوخ، رفع إلى السماء أو الجنة كما قاله المفسرون، وكذا عيسى.

(ومنهم من أوتى الحكم صبيًا)، وهو يحيى إذ أحكم الله عقله وتنبأه وآتاه الحكمة وفهم التوارة، وأكثر الأنبياء نبىء بعد الأربعين، وقد ذكر مثل هذا فى عيسى أيضًا.

(وأوتى بعضهم الزبور)، وهو داود وفى نسخة الزبر جمع زبور بمعنى المزبور المكتوب،

فيشمل موسى وعيسى وإدريس وشيث وداود، وقيل: إنه يكون مصدرا كما فى الحجة لأبى على.

(وأوتى بعضهم البينات) أى المعجزات الظاهرة الباهرة التى لم يؤتها أحد قبله من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، مما فضله الله تعالى به، وهو عيسى عليه الصلاة والسلام.

(ومنهم من كلم الله)، من غير واسطة وهو موسى إذ كلمه بالطور لما رأى نورا.

(ورفع بعضهم درجات) عالية فضله بها على غيره، وهذا إجمال لفضائل لم تذكر، أو المراد به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إذ فضله على من سواه بوجوه متعددة ومراتب متباعدة، كدعوته العامة للعرب والعجم والجن والإنس والملائكة، ومعجزاته الباقية إلى يوم القيامة، ومن أجلها القرآن وغيره مما يفوت الحصر.

(قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، **الآية، وقال)** تعالى: (﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، **الآية)** هذا بيان لما قبله، أو ناظر لجميعه كما أشرنا إليه، وقوله: تلك أنثه باعتبار الجماعة.

(قال بعض أهل العلم) بالكتاب والسنة: **(والتفضيل المراد لهم هنا)** عطف على مقدر، أو على ما تقدم، وهنا إشارة لما ذكر قبله (**فى الدنيا)** متعلق بالتفضيل، **(وذلك بثلاثة أحوال)** وفى نسخة أوجه **(أن تكون آياته ومعجزاته أبهر)** أى أقوى وأغلب، من بهر ضوء القمر الكواكب إذا غلبها أو أظهر، **(وأشهر)** عطف تفسير له كانشقاق القمر والقرآن وانفلاق البحر وانقلاب العصاحية، **(أو تكون)** بالنصب **(أمته أزكى وأكثر)** أى أنقى وأكثر من غيرهم كنبينا ﷺ ؛ لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقد أرسل للناس كافة، **(أو يكون)** بالنصب **(فى ذاته أفضل)** بزيادة علمه وخصاله المحمودة، **(وأظهر)** بالمعجمة أى أشهر وبالمهملة أتقى وأنقى، **(وفضله فى ذاته)** ونفسه **(راجع إلى ما خصه الله به)** أى ما له ومعناه **(من كرامته)** أى إكرام الله له بمآثر ومناقب عظيمة وهبها له، **(واختصاصه)** بالجر معطوف على مدخول إلى أو من فى قوله **(من كلام)** بيان لاختصاصه بمعنى ما خصه به بغير واسطة كموسى ونبينا صلى الله تعالى عليهما وسلم، **(أو خلة)** تقدمت وأنها لإبراهيم أو له ولنبينا صلى الله تعالى عليهما وسلم، **(أو رؤية)** عيانا قبل دخول الجنة كما فى المعراج، **(أو ما شاء الله)** وأراده لهم غير ما ذكر **(من ألطاف)** بفتح الهمزة أى عطايا كما تقدم، وفى نسخة ألطافه بالإضافة، **(وتحف ولايته)** أى تحف أولاها لهم، **(واختصاصه)** مما أحبهم به من قرة أعين لا يعلمها إلا هو.

(وقد روى) بالبناء للمجهول، وهذا رواه ابن أبى حاتم والحاكم فى مستدركه عن وهب بن منبه، وهو رجوع إلى تنزيه يونس صلى الله تعالى عليه وسلم عما ذكر من الأوهام **(أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال: إن النبوة أثقالا)** أى أحمالا ثقيلة قال تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ [النحل: ٧]، جمع ثقل، والثقل كعنب ويسكن مقابل الخفة قال الراغب: وأصله فى الأجسام، ثم يقال فى المعانى كأثقله العزم والوزر، وهو فى الإنسان ذم فى أكثر المتعارف، وقد يكون مدحا كقوله:

تخف الأرض إذا بنت عنها وتبقى ما بقيت بها ثقيلا
حللت بمستقر الأرض منها فتمنع جانبيها أن تميلا

المراد هنا المشاق التى تكون فى تبليغ الرسالة.

(وإن يونس تفسخ منها) الضمير للأثقال والأحمال، وتفسخ بالفاء والسين المهملة المشددة والخاء المعجمة تفعل من الفسخ أى تقطعت أعضاؤه وتفككت؛ لعدم طاقته صلى الله تعالى عليه وسلم بحملها يقال: تفسخ البعير تحت الحمل الثقيل وفسخ ثيابه إذا أزالها، ومنه فسخ العقود عند الفقهاء **(تفسخ الربع)** تفعل مصدر من الفسخ، والربع بضم الراء المهملة وفتح الباء الموحدة والعين المهملة، وهو الفصيل أى ولد الناقة الصغير الذى يولد فى الربيع، وبعده الهبع الذى يولد فى الصيف، وتفسخ منصوب بالمصدرية لتفسخ أى تفسخ كتفسخه، أى لم يطق مشاقها، ولم يصبر عليها، وفى تشبيهه بالربع إشارة إلى أنه كان فى مبدأ أمره، وفى قوله: أثقالاً استعارة تصريحية وفى تفسخ استعارة تصريحية تبعية، ولا ينافى التشبيه، ويجوز أن تكون استعارة تمثيلية وهو أحسن، ثم بين مراده فقال:

(فحفظ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم) بنهيه عن التفضيل **(موضع الفتنة)** أى ما يقع الناس بسببه فى فتنة وأمر محذور من تنقص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فجعله كأنه موضع لها تقر فيه **(من أوهام)** التى يتوهمها من لا علم له، وهو متعلق بحفظ أى صانه مما يتوهم أو هو بيان لموضع **(من يسبق إليه بسببها)** أى المواضع أو الأوهام، وقيل: المراد: بسبب أثقالها من سأم وضجر، وقيل: بسبب الفتنة، وقيل: بسبب قصة يونس عليه السلام.

(جرح فى نبوته) بفتح الجيم أى ذكر ما لا يليق بمقام النبوة مما يقتضى عدم العصمة، **(أو قدح فى اصطفائه)** أى ذم وتنقيص لكونه صفوة مختارًا عند ربه مفضلا على غيره، والقدح ذكر المعائب والنقائص، **(وحط من رتبته)** أى تنزيل له من علو مقامه، **(ووهن**

فى عصمته) أى عد عصمته فيها ضعف لما توهمه من ظاهر قصته السالفة، فلذا نهاهم صلى الله تعالى عليه وسلم عن تفضيله عليه فضلا عن تنقيصه لتساويهم فى حقيقة النبوة، وإن تفاوتت أحوالهم وصفاتهم كما سمعته مفصلا؛ (**شفقة منه صلى الله تعالى عليه وسلم)** بالنصب مفعول له أو علة لحفظ **(على أمته)** أن يقع منهم ما لا يليق بمقام النبوة، فيكون لهم وزر يستحقون به سوء العاقبة بسخط الله تعالى وعقابه.

(وقد يتوجه) أى يحصل توجيه آخر فى الجواب عما مر أو يتأتى وينبنى **(على هذا الترتيب)** أى على ما رتبناه على النبوة من الاختصاص بأمور أكرمها الله تعالى بها.

(وجه خامس، وهو أن يكون لفظ أنا) فى الأحاديث السابقة **(راجعا إلى القائل نفسه)** المذكور فى قوله: «لا ينبغى لأحد أن يقول»، فليس المراد بضمير المتكلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كما فى الوجوه المتقدمة، **(أى لا يظن أحد)** من الناس غير الأنبياء **(وإن بلغ من الزكاء)** أى أنه بلغ من الزكاء بالزاء المعجمة أى الصلاح وزيادة الخير قال التلمسانى: إنه بخط المصنف رحمه الله تعالى هكذا، ورواه العزفى تلميذ المصنف بالذال العجمة وهو الفطنة، **(والعصمة)** أى الحفظ من الذنوب، وليس المراد بها ما خص به الأنبياء وهى المذكورة فى قوله أسالك العصمة فى الخطرات والسكنات؛ ولذا جوز بعضهم الدعاء بها، ومنعه بعضهم كما فصله ابن حجر فى فتاويه، **(والطهارة)** أى البراءة من الأوزار **(ما بلغ)** أى مبلغا عظيما فما مصدرية أو موصولة **(أنه خير من يونس)** ابن متى، وهذا معمول يظن المنفى؛ **(لأجل ما حكى الله عنه)** تعليل لظنه أى ما قصه فى قصته من لومه على تضجره وعدم صبره على قومه؛ لتماديهم فى غيهم وعدم إجابتهم دعوته صلى الله تعالى عليه وسلم للإيمان، وسوق كلامه مؤذن بأن القائل من غير الأنبياء كما يشهد قوله: **(فإن درجة النبوة)** ورتبتها العالية **(أفضل وأعلى)** عند الله من درجة غيرهم من الأتقياء، وهذا أمر فرضى أو مبنى على عدم العلم بالنهى عن مثله، فلا يرد عليه أنه كيف يكون تقيا وقد صدر منه تنقيص الأنبياء الذى قيل: إنه كفر، وأيضا كيف وصفه بالعصمة وهو غير نبى؟.

(فإن تلك الأقدار) جمع قدر بفتح القاف والدال المهملة أى ما قدره الله عليهم حكمة باهرة، وليس بمعجمة وإن جاز تأويله بأنه بالنسبة لمقاهم ذنب مستقذر؛ فإنه غير مناسب لفظا ومعنى **(لم تحطه عنها)** أى لم تنزل يونس عليه الصلاة والسلام عن درجته **(مقدار حبة خردلة)** التى هى أصغر الحب، والأحسن حبة خردل بدون هاء، **(ولا أدنى)** أى أقل وأصغر من خردلة أى لم ينقصه أصلاً.

(وسنزيد فى القسم الثالث فى هذا بيانا) بإيضاحه وتفصيله **(إن شاء الله تعالى)** ذلك،

(فقد بان لك الغرض) المقصود الذى قصدناه فى هذا الكتاب، **(وسقط بما حررناه)** أى بما قررناه أو لخصناه أو كتبناه، والتحرير التلخيص وإظهار الزبدة؛ لأن أصله جعل الشىء حرا أى خالصا، ومنه حر الوجه لأكرم موضع منه، والحر المقابل للعبد، والتحرير بمعنى الكتابة من الخاص الذى صار عاما، وأصله كتابة ملخصة أو كتابة العتاقة كما فى الكشف (**شبهة المعترض)** الذى اعترض على ما تقدم، ولو قال: من اعترض كان سجعا لكن المصنف رحمه الله تعالى لم يقصده، ولما كان ما تقدم فى ذكر فضائله وأسمائه ﷺ دالة على ذلك عقبه بذلك كما أشار إليه بقوله:

(فصل فى أسمائه)، صلى الله تعالى عليه وسلم (وما تضمنته من فضيلته)

أى ما هو بعض مدلوله أو لازم لمقتضاه حتى كأنه ضمنه، والأسماء جمع اسم، والكلام على كونه من السمة أو السمو أغنانا شهرته عن ذكره، وأما البحث عن كونه عين المسمى أو غيره فبحث لا طائل تحته، فلا وجه لذكره هنا، وقد أفردناه بالتأليف والاسم له معان فيطلق على مقابل الفعل والحرف، وعلى مقابل اللقب والكنية، وعلى مقابل الصفة المشتقة ويكون بمعنى العلم، والظاهر أن المراد به هنا ما شاع إطلاقه عليه ﷺ سواء كان علما أو صفة أو غيرهما، وسواء اختص به وضعا أم لا فهو العلم وما يشبهه، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ولو ادعاء، فلا يرد كثرة أسماء الخمر أو هو أكثرى وهو الظاهر، وفى شرح الترمذى أن للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم ألف اسم كما أن لله تعالى ألف اسم، ونقل مغلطاى أنها تبلغ ثلاثمائة، وقيل: إنها تسعة وتسعون كأسماء الله، ومنها ما هو بلفظ الفعل والمصدر، وأكثرها صفات مادحة كما أشار إليه المصنف بقوله: تضمنته من فضيلته، ولابن دحية تأليف مستقل فى أسمائه صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم إن المصنف رحمه الله تعالى ذكر هنا حديثًا رواه الشيخان عن محمد بن جبير عن أبيه بسند متصل إلا أن المصنف رواه عنه مرسلا؛ لعلو سنده فيه بدرجتين فقال: **(حدثنا أبو عمر أن موسى بن أبى تليد الفقيه)** تليد بفتح المثناة الفوقية وآخره دال مهملة بمعنى قديم العهد لولادته معه، فتاؤه مبدلة من واو وهو ضد الطارف وقد تقدمت ترجمته.

(قال: حدثنا أبو عمر الحافظ) ابن عبد البر، وقد تقدم أيضا قال: **(حدثنا سعيد بن نصر)** تقدمت ترجمته أيضا قال: **(حدثنا قاسم بن أصبغ)** بهمزة مفتوحة وصاد مهملة وموحدة تحتية وغين معجمة، وهو قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن واضح بن عطاء الإمام الحافظ محدث الأندلس أبو محمد الأموى مولاهم القرطبى كان صدرا عالى

الإسناد ثقة، ولذا قطع الرواية فى آخر عمره خوفا من الغلط، ولد سنة سبع وأربعين ومائتين وتوفى بقرطبة فى جمادى الأولى سنة أربعين وثلاثمائة.

(قال: حدثنا محمد بن وضاح) بن بزيغ متولى ملك الأندلس أبو عبد الرحمن بن معاوية الأموى الحافظ محدث الأندلس أبو عبد الله القرطبى، مولده سنة تسع وسبعين ومائة أو سنة مائتين بقرطبة، وتوفى فى المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين قال الذهبى: إنه صدوق، وروى عنه كثير من أهل الأندلس قال: **(حدثنا يحيى بن يحيى)** الليثى عالم الأندلس وراوى الموطأ، وليس له رواية فىالكتب الستة إلا نادرة، وقد تقدم الكلام عليه.

(عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه) ومحمد هو أبو على وقد روى عنه الزهرى، وهو روى عن أبيه جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل، وهو صحابى أسلم بعد الحديبية وروى عنه أبناء محمد ورافع، وروى عنه ابن المسيب، وكان سيدا وقورا توفى سنة تسع وخمسين، وأخرج له الأئمة الستة وأحمد فىمسنده، وهذا الحديث أخرجه مالك فىالموطأ والترمذى فى الشمائل والبخارى، وهو حديث صحيح مسندا.

(قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: لى خمسة أسماء) قدم الجار والمجرور للتقرير والتأكيد، أو للتخصيص باعتبار أنه لم يسم بها أحد قبله، أو لاشتهارها فى الأمم الماضية، فالتخصيص المستفاد من التقديم إضافى لا حقيقى لزيادتها على ذلك.

وقال السيوطى فى كتاب الرياض الأنيقة فى أسماء خير الخليقة: إنه قبل أن يطلعه الله تعالى على بقية أسمائه وقال المصنف، رحمه الله تعالى فيما يأتى: قيل: إنها موجودة فى الكتب القديمة وعند الأمم السالفة، ورد بأن فيها أكثر. فالحق أن مفهوم العدد غير معتبر فلا يفيد الحصر.

وقال ابن عساكر فى كتاب المبهمات: يحتمل أن لفظ العدد ليس من كلام النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أو التخصيص؛ لأن المراد خمسة أسماء فاضلة أو معظمة مشهورة انتهى ولا يخفى ما فيه وأنه مخالف للظاهر.

وقال ابن فارس: إن أسماءه صلى الله تعالىعليه وسلم ألفان وعشرون وقيل: المراد خمسة سمانى بها ربى وباقيها أوصاف.

وأسماؤه صلى الله تعالى عليه وسلم توقيفية، فلا يجوز أن يسمى بما لم يسمه به الله أو يسمى هو به نفسه أو أبوه وجده.

(أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر) أى يزيله حقيقة من جزيرة العرب، وحكمًا من جميع الأرض، وقيل: كما يأتى فى الحديث: يمحو به سيئات من تبعه، كقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: بى، كان الظاهر أن يقول: به، لكنه راعى فيه المعنى كقوله:

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة

والكلام عليه مفصل فى كتب العربية.

(وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى) بتشديد الياء مفتوحة وتخفيفها ساكنة، أى يحشرون على أثرى وبعد نبوتى إذ ليس بعده صلى الله تعالى عليه وسلم نبى كما يأتى تفسيره، وقد روى أن الحاشر الذى يحشر الناس خلفه وعلى ملته دون ملة غيره.

(وأنا العاقب) الآتى عقب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا نبى بعده، وعيسى عليه الصلاة والسلام تقدم أنه يأتى على شريعته.

وقال ابن الأعرابى: العاقب من يعقب غيره فى الخير، ومنه العقب بمعنى الولد، وسيأتى تفصيل معنى الحديث.

(وقد سماه الله فى كتابه) وهو القرآن **(محمدًا وأحمد)** فى قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله: ﴿يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وكونه محكيا عن عيسى عليه الصلاة والسلام لا ينافى كون المسمى له الله؛ ولذا قيل: إن عيسى عليه الصلاة والسلاة إنما أطلقه عليه بإعلام الله وأذن له فالمسمى حقيقة هو الله.

(فمن خصائصه تعالى له) أى الكائنة له إن قلنا بجواز حذف الموصول مع بعض الصلة فهو صفة له، أو هو متعلق به لما فيه من معنى التكريم، وقيل: إنه مفعول له واللام مزيدة للتقوية، والظاهر أنه اسم غير موصوف بالتعدى وضده **(أن ضمن أسماءه)** فاعل ضمن ضمير الله، والضمير المضاف إليه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم **(ثناءه)** مفعول ضمن، وهو مصدر مضاف للفاعل أو للمفعول باعتبار أن الضمير لله أو للرسول أى ثناء الله عليه، **(وطوى أثناء ذكره)** بفتح الهمزة وسكون المثلثة والمد جمع ثنى كقفل وهو ما انعطف من الوادى، ويقال هو فى أثنائه ومثانيه أى داخله، ونصبه على الظرفية، وطوى من قولهم: طوى الثوب إذا عطف بعضه على بعض وهو كناية عن الكتم والإخفاء، فالمعنى أخفى داخل ذكر النبى أى فى أسمائه التى سماه بها **(عظيم شكره)** أى شكره

العظيم، والضمائر لله أو للنبى، فإن كان ضمير شكره للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فإضافته له من إضافة الفاعل أو المفعول أى كونه شاكرا أو مشكورا عظيما؛ لأن أكثرها أوصاف غلبت عليه، أو اختصت به اختصاص الرحمن بالله مع بقاء الوصفية أو أعلام منقولة ملموح أصلها فيفيد المدح، والأعلام وضعت لتعيين الذات لكن المنقولة من الصفات تشعر بمعانيها الأصلية؛ ولذا جاز دخول أل عليها، ومعظم أعلامه كذلك.

(فأما اسمه أحمد فـ) وزنه **(أفعل مبالغة فى صفة الحمد)** مبالغة مرفوع خبر بعد خبر، أو منصوب مفعول له والجار والمجرور صفة، والمبالغة لأنه أفعل تفضيل حذف المفضل عليه قصدا للتعميم نحو الله أكبر أى من كل شيء، ثم نقل ولحظ أصله، فلا يرد عليه أنه علم فكيف يفيد ما ذكر؟ وما قيل من أنه للتفضيل لا للمبالغة والمبالغة لها صيغ مخصوصة، فقد وهم وأطال من غير طائل على عادته.

وقال السخاوى فى سفر السعادة: أحمد اسم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليس بمنقول من المضارع ولا من أفعل التفضيل، فهو كأحمر وأصفر، وهو أبلغ من محمد، وهو كل من تكاملت مناقبه وبلغ النهاية فى الحمد قال الأعشى(1):

إليك أبيت اللَّعْنَ كان كلالها إلى الماجد القَرْمِ الجواد المحمد

انتهى وفيه نظر لا يخفى، وقدمه المصنف رحمه الله تعالى لأنه اسمه صلى الله تعالى عليه وسلم فى الكتب القديمة، وقد سماه به موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام كما نطق به القرآن، وسماه الله به لأنه حمده فى مقام لم يحمده فيه سواه بمثل محامده كما تقدم، وستأتى تتمته.

(ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد)، فهو فى الأصل اسم مفعول من التفعيل فينبيء عن الكثرة ففيه مبالغة أيضا، ولهذه الصيغة معان أخر مذكوره فى كتب التصريف، وفى شرح الهادى أنه مرتجل قال ابن معطى: وهو غلط، وتوجيهه بأنه لم يستعمل فى غير العلمية يرده بيت الأعشى المذكور، وروى عن ابن عباس بسند متصل كما رواه البيهقى فى دلائل النبوة أنه لما ولد صلى الله تعالى عليه وسلم عق عنه عبد المطلب بكبش، وسماه محمدا فقيل له: يا أبا الحارث ما حملك على أن سميته محمدا؟ ولم تسمه باسم آبائه فقال: أردت أن يحمده أهل السماء ويحمده الناس فى الأرض.

وأخرج عنه ابن إسحاق مسندا أن أمه آمنة بنت وهب حدثت أنها أتيت حين حملت

---

(١) البيت من الطويل، وهو للأعشى فى ديوانه (ص٢٣٩)، لسان العرب (١٥٧/٣)، التنبيه والإيضاح (٢٠/٢)، مقاييس اللغة (١٠٠/٢)، تاج العروس (٤١/٨).

به صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض فقولى: أعيذه بالواحد، من شر كل حاسد، وكل بر عاهد، وكل عبد زائد، يرود غير رائد، وروى، فإنه عند المجيد الماجد، حتى أراه قد أتى المشاهد، فإذا وضع فسميه محمدًا فإنه اسمه فى التوراة أحمد يحمده أهل السماء والأرض، واسمه فى الفرقان محمد، فسمته بذلك.

وقال أبوالربيع بن سالم فى سيرته: روى أن عبد المطلب إنما سماه محمدا لرؤيا رآها كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره، لها طرف فىالسماء وطرف فى الأرض وطرف فىالمشرق وطرف فى المغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور، وأهل المشرق والمغرب يتعلقون بها، فقصها فعبرت بمولود من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويتبعه أهل السماء والأرض؛ فلذا سماه محمدا مع ما حدثته به آمنة انتهى.

(فهو صلى الله تعالى عليه وسلم أجل من حمد) بفتح الحاء وكسر الميم والبناء للفاعل أى أجل الحامدين، **(وأفضل من حمد)** بالبناء للمجهول قيل: إنه لف ونشر مرتب، فالأول راجع إلى اسم أحمد، والثانى لمحمد، والتفضيل استفيد من محمد لما فيه من التكثير وكون الله لم يسم به غيره، فكان أفضل من حمد، والحمد مصدر محتمل للحامدية والمحمودية وإن تعين فى محمد الثانى، وجوز ابن القيم فىأحمد أن يكون بمعنى المفعول أى أكثر محمودية، والفرق بينه وبين محمد أنه لزيادة الكيفية، ومحمد لزيادة الكمية، وهذا أبلغ فى مدحه صلى الله تعالى عليه وسلم، ولو أريد الفاعل لقيل حماد بدل أحمد، واعترض عليه بأنه تخصيص من غير مخصص، وبناء اسم التفضيل من المفعول شاذ كأشغل من ذات النحيين، وكون حماد أبلغ من أحمد كما اقتضاه كلامه لا وجه له.

أقول: هو لم يعين ما قاله، وإنما ادعى جوازه وأنه أولى لسلامته من التكرار والترادف الذى هو خلاف الأصل، وترجيح حماد على أحمد ليس لأبلغيته، بل لأنه أكثر وأقيس، وأما كون التفضيل من المفعول شاذا فمسلم، ولكنه سمع من العرب فى قولهم: العود أحمد، وأثبته العلامة الزمخشرى، وأول من قال: العود أحمد، خداش بن حابس التميمى.

وقول المصنف: **(وأكثر الناس حمدا)** أى محمودية بدليل قوله: **(فهو المحمد المحمودين)** والاعتراض عليه بما ورد على ابن القيم ساقط لما سمعته آنفا. **(وأحمد الحامدين)** هو وما بعده بيان لوجه التسمية بهما، ويصح إرجاعه لكل منهما من غير لف ونشر. قال: اسمه أحمد قيل: محمد فى النشأتين، فإنه تعالى لما خلق نوره قبل كل مخلوق حمده بمحامد ألهمه إياها لم يحمده بها غيره، فكان أحمد من دخل تحت كلمة كن فىعالم الخلق والأمر، ولما ظهر للثقلين حمده على ألسنتهم استحق أن يسمى محمدا، فإذا كان يوم القيامة كان

أحمد الخلق فسمى أحمد، فلما عمت شفاعته العظمى حمده الخلق فسمى محمدا، وفيه من التكلف ما لا يخفى ويأتى فيه كلام للسهيلى.

(ومعه لواء الحمد يوم القيامة) تقدم أن اللواء علم الجيش، وهو أكبر من الراية أى أنه تحت أمره أو فى قبضته، وهذا يحتمل أنه على حقيقته ليعلم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم نال هذه المرتبة بتفوقه على كل مخلوق فى كونه حامدًا ومحمودًا، ومعنى لواء الحمد أنه لواء يتبعه كل حامد ومحمود، ويعلم ذلك بإلهام الله أو بنداء الملائكة معه، أو بإعلان الحمد خلفه ونحوه، وأصحاب الحمد حينئذ من لهم الشفاعة وكملة الأنبياء، ويحتمل أنه تمثيل لشهرته صلى الله عليه وسلم فى أهل الموقف وعدم التأويل اسم.

(ليتم له كمال الحمد) مبنى للمفعول أو الفاعل واختار البرهان الأول، وإتمام حمده له باشتهاره وتسليم كل أحد له من غير تردد كما كان فى الدنيا لبعض أهلها، كما أشار إليه بقوله: **(ويشتهر)**، وفى نسخة ويتشهر **(فى تلك العرصات)** بسكون الراء ويجوز فتحها، وعرصة الدار ساحتها وهى البقعة الواسعة التى ليس فيها نبات وجمعها عراص وعرصات، وفى التهذيب: سميت ساحة الدار عرصة؛ لأن الصبيان يعرصون فيها أى يلعبون ويمرحون، والمراد هنا أرض الموقف والمحشر **(بصفة الحمد)** وهو الثناء على الجميل الاختيارى على جهة التعظيم، وقيل: حقيقته إظهار الصفات الكمالية باللسان أو بغيره، وفيه كلام فى شرح الزوراء للجلال الدوانى.

(ويبعثه ربه هناك) أى فى العرصات **(مقاما محمودا كما وعده)** بقوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، ونصب مقاما على المفعولية بتضمين يبعث معنى يعطى، أو على الظرفية لمشابهته للمبهم، أو هو حال على ما فصل فى الكشاف وشروحه، ثم بين محموديته بقوله: **(يحمده فيه الأولون والآخرون)** أى جميع الخلق؛ لأنهم تحت لوائه صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو مقام الشفاعة العظمى حين اعترف جميع الرسل بالعجز، وقيل له: اشفع تشفع **(بشفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم لهم)** فى فصل القضاء كما تقدم.

(ويفتح عليه فيه) أى فى ذلك المقام **(من المحامد)** جمع محمدة بمعنى حمد، أى يلهمه الله محامد عظيمة يحمده بها ثمة، وأصل الفتح ضد الغلق فاستعير للإعطاء والإلهام وتيسير الأمور، كما استعير المغلق للصعب، ومن بيان لمقدر أى أمرًا ونحوه، أو لما بعده إن قلنا بجوازه كما مر، وقوله: **(كما قال عليه الصلاة والسلام)** إشارة إلى وروده فى الحديث كما تقدم **(ما لم يعط غيره)** من الأنبياء، ويعطى مبنى للمجهول، وغيره بالرفع نائب الفاعل.

(وسمى) الله تعالى لعلمه من السياق، أو هو مجهول وهو الأولى **(أمته فى كتب أنبيائه)** التوراة والإنجيل كما ورد فى الأحاديث **(بالحمادين)** أى المبالغين فى الحمد وروى الدارمى عن كعب أنه قال: نجد مكتوبًا فى التوراة: محمد رسول الله مولده بمكة، وهجرته بطيبة، وملكه بالشام، وأمته الحمادون إلى آخره.

(فحقيق أن يسمى محمدًا وأحمد) أى بأن يسمى؛ لأنه يتعدى بالباء وقد يتعدى بعلى كما فى: ﴿**حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ**﴾ [الأعراف: ١٠٥]؛ لما فيه من معنى الوجوب كما فى الحجة لأبى على، وتفريعه على ما قبله لأنه إذا حمد بما لم يحمده غيره، وحمده الأولون والآخرون، وكثر حمد أمته كان جديرًا بذلك.

(ثم فى هذين الاسمين) محمد وأحمد أى فى تسمية الله له بهما قبل وجوده **(من عجائب خصائصه)**، أى من العجائب التى خصه الله بهما، ولم يسبق أحد لمثلها، **(وبدائع آياته)** أى غرائب علامته التى اخترعت، وتفسير البديع بالحسن فيه مسامحة **(فن آخر)** أى نوع آخر غير ما تقدم، **(وهو أن الله جل اسمه)** أى عظم فى ذاته، وفيه مناسبة وإيماء لعظمة اسم نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم إذ قرنه باسمه، وخصه به كما اختص بأسمائه الحسنى **(حمى)** أى منع وصان عن **(أن يسمى بها أحد قبل زمانه)** مع ذكرهما فى الكتب القديمة والأمم السالفة كما مر، وبشر بنبى اسمه أحمد، وإنما صان اسمه ليعلم إذا سمى بهما أنه النبى الموعود به، وعد من الخصائص لأنه بعد الأعلام باسمه منع من التسمية به مع أنهما أعلام منقولة، فلا يرد أن كثيرا من الأعلام المرتجلة للأنبياء غيرهم لم تسبق تسمية غيرهم بها كآدم وشيث ونوح ويحيى قال تعالى: ﴿**لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا**﴾ [مريم: ٧].

(أما) اسمه **(أحمد الذى أتى فى الكتب)** الإلهية السالفة **(وبشرت به الأنبياء)** كعيسى وموسى كما قال تعالى: ﴿**وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ**﴾ [الصف: ٦]، وقال تبع الأول كما نقل فى السير:

ويملك بعدهم رجل عظيم نبى لا يرخص فى الحرام
يسمى أحمد يا ليت أنى أعمر بعد مخرجه بعام

(فمنع الله بحكمته) أى بسبب حكمته، أو منعا ملتبسا بعلمه وحكمته التى استأثر بها أو أظهرها لبعض خلص عباده **(أن يسمى به أحد غيره، ولا يدعى)** مبنى للمجهول بوزن يرمى أى يسمى **(به مدعو قبله)** يسمى قبله.

قال أكثر العلماء: إن هذا هو الصواب، وما نقل من أن الخضر عليه الصلاة والسلام

اسمه أحمد قول مردود واه كما قاله ابن دحية، وأما أحمد بن غجيان بضم الغين المعجمة وسكون الجيم ومثناة تحتية بزنة سفيان، وبفتح الجيم وتشديد الياء فلا أصل له، وقيل: تسمى فى الجاهلية قبل الإسلام بزمان طويل أحمد بن ثمامة الطائى، وأحمد بن دومان البكيلى، وأحمد بن زيد بن خراش السكسكى، ومن القبائل بنو أحمد فى همدان، وبنو أحمد فى بكيلى، وبنو أحمد فى طى، ولم يكن قريبًا من عهده من تسمى به صيانة له وأما بعده فأول من تسمى به أحمد بن تميم الفرهودى أو الفراهيدى أبو الخليل النحوى الزاهد، وببركة هذا الاسم كان له من العلم والتقوى ما لم يكن لغيره، ثم بين حكم صيانته بقوله:

(حتى لا يدخل على ضعيف القلب لبس) أى التباس واشتباه؛ لعدم تميزه، وضعيف القلب من لا عقل له تام ورأى صائب ونظر مفرق بين الحق الباطل، فيتردد فى صدق مدعى النبوة بمجرد شىء سبق له، فيجوز كونه أحمد الموعود به فى الكتب، فضعف القلب كناية عن قلة العقل الذى هو محله، وقوته كناية عن ضده، وإن اشتهر فى الجرأة وعدمها، **(أو شك)** معطوف على لبس، ويجوز أن يراد به هنا ما يقابل الوهم والظن ومطلق التردد وعدم الجزم، ومن ظن تعيينه هنا وتأييده بما لا يجدى ليس بشىء.

(وكذلك محمد) أى مثل أحمد فى عدم التسمية به قبل بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم وجعله مشبها به؛ لأنه لم يسم به أصلا على الأصح **(أيضا)** مصدر آض بمعنى عاد ورجع، ويراد به فى العرف التشبيه فهو تأكيد لقوله: كذلك.

(لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع واشتهر قبيل وجوده صلى الله تعالى عليه وسلم) قبيل فى النسخ مصغر كبعيد لتقليل زمانه وتقريبه، **(وميلاده)** عطف تفسير على وجوده أى ولادته أو زمانها، وقيل: الميلاد وقت الولادة والمولد مكانها، وحملت به صلى الله تعالى عليه وسلم أمه آمنة نهارا، وولد ليلا فى شعب أبى طالب عند الجمرة الوسطى، ووافق مولده يوم عشرين من نيسان سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من التاريخ الأسكندرى، وقيل: كان فى الساعة العاشرة لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، فكان كما قيل: ربيع فى ربيع فى ربيع.

وقيل: ولد فى شعب بنى هاشم بعد الفيل بشهر أو أربعين أو خمسين أو تسعة وخمسين يوما، وقيل غير ذلك، وسيأتى تفصيله إن شاء الله تعالى **(أن نبيا يبعث)** أى يرسل من بعث بمعنى أثار، وقد فصل زمان بعثه وسنه إذ بعث فى السير **(اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك)** الاسم **(رجاء أن يكون)** أى لأجل رجاء أن **يكون الولد المسمى به (أحدهم)** أى أحد أبناءهم المسمى بمحمد **(هو)** أى النبى الموعود

ببعثته، فهو اسم يكون، وأحدهم منصوب خبر مقدم، أو مرفوع اسمها وهو خبرها استعير فيه ضمير الرفع لضمير النصب، والأصل إياه والأول أولى.

و ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، اقتباس لبيان أنه لم يفدهم ذلك إذ ليس كل محمد رسول، ولا كل فاطمة بتول، والآية رادة لهم كما تبطل قول من زعم من الحكماء أن النبوة والرسالة تكتسب بالمجاهدة وتصفية الباطن؛ فإنها موهبة إلهية، وإن اختصت بمن جد فى العبادة والتصفية حتى صار أحسن الناس خلقا وخلقا إلى غير ذلك مما يستعد به لتلقى وحيه، ومشاهدة ملائكته.

وحيث ظرف متصرف هو هنا مفعول به لفعل مقدر أى يعلم؛ لأن أفعل لا ينصب المفعول وإن صح تعلق الجار والظرف به، وليس هو هنا ظرفا لأن علمه تعالى لا يوصف بأنه فى مكان أو زمان لقدمه، وتفصيله فى كتب العربية، ويجوز إفراد رسالته كما قرئ به هنا، وإنما سموا أبناءهم به لما بلغهم من الأحبار والكهان، وروى فى المبشرات وبشروا بقريب زمانه، فكانوا ينتظرونه انتظار المحب لحبيب له سيقدم.

(وهم) أى المسمون باسمه قبل ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم رجاء لكونه المبشر به **(محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسى)** وقال البلاذرى: إنه محمد بن عقبة بن أحيحة، وتردد فيه ابن حجر فى الإصابة، وأحيحة بضم الهمزة وحاء مهملة مفتوحة يليها مثناة تحتية ساكنة، ثم حاء مهملة مفتوحة وهاء، والجلاح بضم الجيم وفتح اللام المخففة ثم ألف وحاء مهملة، والأوسى نسبة للأوس قبيلة الأنصار.

(ومحمد بن مسلمة الأنصارى) بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصارى، ووصف هذا بالأنصارى دون محمد ابن أحيحة وهو من قبيلة الأنصار؛ لأنه لم يسلم، وإنما يقال الأنصارى لمن أسلم منهم؛ ولذا قال الذهبى: من عد محمد بن أحيحة من الصحابة فقد وهم؛ لأنه لم يدرك الإسلام، وإنما هذا أبو عبد الرحمن المدنى حليف بنى عبد الأشهل المولود قبل البعثة باثنين وعشرين سنة، وهو ممن سمى محمدًا فى الجاهلية كما فى الإصابة عن الواقدى من غير تردد فيه، وهو صحابى شهد بدرًا، وكان عمر رضى الله تعالى عنه يعده لكشف المعضلات فى خلافته، ومات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين، وقيل غير ذلك، وهو من قدماء الصحابة، وقول بعض الشراح: إن ذكر المصنف لمحمد بن مسلمة ليس فى محله؛ لأنه بصدد ذكر من سمى محمدا قبل مولده، وهو ولد بعد مولده بنحو عشرين سنة لا وجه له؛ لما سمعته من خلافه مما هو مصحح فى السير نقلا عن الواقدى، وما قاله قول مرجوح، وإن قاله مغلطاى فى سيرته.

(ومحمد بن براء البكرى) نسب لبكر قبيلة مشهورة، وبراء بموحدة تحتية مفتوحة وراء مهملة تليها مدة، وهو ابن ظريف بن عتوارة بن عازب بن لهب بن بكر بن عبد مناف ابن كنانة، واسم أبيه براء رأيته مصححا كذا فى حواشى الحلبى، وفى غيره بداء بفتح الموحدة وتشديد الدال المهملة. قيل: وقد تخفف، وقال البرهان الحلبى: إن محمد بن أحيحة ومحمد بن مسلمة ومحمد بن براء لم يدركوا الإسلام، بل هلكوا فى الجاهلية، فعدهم فيمن أسلم أمر عجيب، فلا يليق بالمصنف وإن كانوا ممن سمى بمحمد قبل البعثة.

(و) كذا **(محمد بن سفيان بن مجاشع)** التميمى فإنه لم يدرك الإسلام، وقد خطىء أبو نعيم فى عده من الصحابة.

(ومحمد بن حمران الجعفى) بضم الجيم نسبة للجعفة قرية معروفة، وحمران بضم الحاء المهملة وسكون الميم وراء مهملة ثم ألف ونون، فى بعض نسخ السير عمران بدله، وهذا أيضا لم يدرك الإسلام كما قاله البرهان.

(ومحمد بن خزاعى السلمى) بضم السين المهملة وفتح اللام وميم وياء نسبة لقبيلة، وخزاعى الخاء وزاء معجمتين وألف وعين مهملة نسبة لخزاعة، وهو من بنى ذكوان، واسم أبيه علقمة، وهو لم يدرك الإسلام أيضا كما قاله البرهان إلا أن هذا لا نعترض به على المصنف؛ لأنه إنما عد من تسمى محمدا قبل الإسلام أسلم أم لا وهم ستة **(لا سابع لهم)**، وهذا على ما اختاره المص، ومنهم من نقص عددهم كالسهيلى فإنه لم يزدهم على ثلاثة، ومنهم من زاد حتى بلغ العشرين كما قاله ابن حجر مع تكرار فى بعضهم، وتردد فى بعض وسيأتى لهم سابع، وقد علمت ما طعن به فى محمد بن مسلمة.

(ويقال: إن أول من تسمى به) أى باسم محمد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم، وفى نسخة بمحمد **(محمد بن سفيان)** بن مجاشع التميمى السابق ذكره.

(واليمن) أى أهله فهو من إطلاق اسم المحل على الحال فيه **(تقول)** وفى نسخة يقولون: لم يسم به أولا هذا **(بل)** الذى سمى أولاً **(محمد بن اليحمد من الأزد)**، وفى نسخة الأزدى نسبة إلى الأزد من اليمين أبوهم أزد ذى الغوت، ويقال أسد، وفى نسخة بعد ما ذكر، ومحمد بن سراه بالسين أيضًا، ومن نسله الأنصار كلهم، وزاد شنوءة عمان والسراة واليحمد.

قال البرهان: إنه فى النسخ بفتح الياء وسكون الحاء وضم الميم، وقال ابن ماكولا: إنه بضم الياء وسكون الحاء المهملة وكسر الميم، وأصحاب الحديث يضمون الميم وفى شرح مسلم للنووى أنه بضم الياء وسكون الحاء وكسر الميم، وكذا فى تقييد المهمل

للغسانى، وهو علم منقول من المضارع، وأل مقارنة لنقله لا داخلة بعد العلمية؛ فإنه شاذ قبلها كقوله[1]:

ما أنت بالحكم الترضى حكومته

فكيف به بعدها؟.

وقال: إن هذا ليس من الستة فيكون سابعًا، وهو ينافى قوله هنا لا سابع لهم، وفى سيرة مغلطاى زيادة محمد بن ربيعة المنقرى، ومحمد بن عثمان السعد. قال: وأظنهما واحدًا، ومحمد الأسيدى، ومحمد بن عتوارة الليثى، ومحمد بن حومان العمرى، ومحمد بن خولة الثمالى، ومحمد بن يزيد بن ربيعة، ومحمد بن أبراويه بن مالك، فزاد تسعة أو ثمانية، وتوقف المصنف رحمه الله تعالى فى واحد منهم، وقد قيل فى بعض هؤلاء: إنه أدرك الإسلام، وكلام المصنف لا ينافى هذا إلا فى قول الأنصارى كما تقدم، والأمر فيه سهل إذ لا مانع من إطلاقه على من لم يسلم لقرابته منهم تسمحًا.

(ثم حمى الله) أى صان ومنع بصرفه الهمة **(كل من تسمى به)** أى بمحمد قبله صلى الله تعالى عليه وسلم **(أن يدعى النبوة)** تقديره من ادعى ادعائها بنفسه بأن يقول: أنا نبى، **(أو يدعيها أحد له)** بأن يقول هو نبى، **(أو يظهر عليه)** بفتح الياء التحتية وضمها مبنى للفاعل، ويجوز بناؤه للمجهول، والأول أظهر، وضمير عليه لمن **(سبب يشكك أحدًا فى أمره)** أى شىء فى ذاته يكون سببا موقعا للناس فى شك فى أنه هو النبى الموعود كنجابته وصفاته الباهرة، كما وقع له صلى الله تعالى عليه وسلم من الإرهاصات والأخلاق الباهرة، أو يجرى على يديه ما يشككهم من سحر ومخرقة، والعطف بأو بعد حمى الذى هو فى معنى النفى والنهى يفيد العموم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٤]، ولو عطف بالواو أوهم أن المحمى عنه المجموع وإن قطع بعض منها.

(حتى تحققت) أى أظهرت وتبينت فى الخارج **(السمتان)** أى الصفتان اللتان هما

---

(١) صدر بيت وعجزه:

ولا أصيل ولا ذى الرأى والجدل

والبيت من البسيط، وهو للفرزدق فى الإنصاف (٥٢١/٢)، جواهر الأدب (ص٣١٩)، خزانة الأدب (٣٢/١)، الدرر (٢٧٤/١)، شرح التصريح (٣٨/١، ١٤٢)، شرح شذور الذهب (ص٢١)، لسان العرب (٩/٦)، المقاصد النحوية (١١١/١)، وليس فى ديوانه، وبلا نسبة فى أوضح المسالك (٢٠/١)، الجنى الدانى (ص٢٠٢)، رصف المبانى (ص٧٥، ١٤٨)، المقرب (٦٠/١)، همع الهوامع (٨٥/١).

المحمدية والأحمدية اللتان هما علتان لموافقة اسمه لمسماه، وفى بعض النسخ السيمتان بياء بعد السين، وهو خطأ كما قال التلمسانى وطغيان من القلم (**له صلى الله عليه وسلم**) متعلق بالفعل أو بالسمتان، وهو تسميته بما هو دال على أنه المبشر به فى الكتب السالفة والأمم الماضية، فادعى الرسالة وشهدت له الكائنات بصدق دعواه، (**ولم ينازع فيهما**) بفتح الزاء المعجمة والبناء للمجهول، أى لم ينازعه أحد فى السمتين.

(**وأما قوله**) صلى الله تعالى عليه وسلم فى هذا الحديث: (**وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر**) بيان لمعناه المراد منه؛ ولذا أتى بقوله بعده (**ففسر فى الحديث**) بالفاء التفسيرية وفسر مبنى للمجهول أى فسره النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بقرينة قوله فى الحديث، وهو صفة له، وقيل: علم منقول منها، وأل للمح الوصفية، ولما ترآى هنا سؤالان أحدهما أنه تقدم فلا حاجة لإعادته كما قيل، وأن المحو معناه الإزالة بالكلية، والكفر موجود فى كثير من الناس والبلدان، أشار إلى دفعهما بقوله: (**ويكون محو الكفر إما من مكة**) بعد الفتح إذ أظهره الله تعالى عليهم، ولم يبق بها منه عين ولا أثر، (**وبلاد العرب**) الظاهر أنه وجه آخر، والمراد بها جزيرة العرب وساحة الإسلام، فإنه لم يبق منه إلا ما تلاشى واضمحل حتى صار كالعدم، وقد كانت مملوءة بالشرك فاستأصله الله على يد خيرته من خلقه.

(**و**) كذلك قوله و(**ما زوى له من الأرض**) إشارة لما ورد فى الحديث من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «زويت لى الأرض مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها»، وأصل الزوى بالزاء المعجمة الجمع، ومنه انزوى الجلد بالنار أى أنه تعالى جمع له جميع الأرض بيد قدرته، وطواها فى قبضة قدرته حتى نظرها كلها، وبشره بأن أمته تملكها كلها حقيقة بعد نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، أو قبله إن قلنا أن ما ملكوه منها أعظمها وأشرفها، وهو الذى ارتضاه المصنف لقربه.

(**ووعد**) أى الله، النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما ورد فى الحديث (**أنه يبلغه**) أى يصل إليه ويجوزه (**ملك أمته**) بضم الميم ويجوز كسرها أى تملكها وسلطانها على الوجه السالف، وقد ورد أنه زوى له جانبا من الأرض، وأخبره بأنه يبلغه ملك أمته، ويمحو ما فيه من الكفر لاضمحلاله حتى يصير ما بقى منه كالعدم، ولما كان محو الكفر بأمره وشرعه وبركته نسب المحو له صلى الله تعالى عليه وسلم، فكأنه الماحى حقيقة، وقد قيل: إنه كله جواب واحد.

وقوله: (**أو يكون المحو عاما**) شاملا لجميع الأرض، وليس المراد بها أرضا مخصوصة (**بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾** [الصف: ٩])، جواب

ثان، فيبقى على عمومه ولا يخص بما مر، فالمراد بالمحو علو الدين وغلبته لغيره من الأديان بنسخها، وبيان ما غير وبدل منها، وعلو أهله على جميع من عداهم بتسلطهم عليهم وقهرهم، وإيقاع الرعب فى قلوبهم كما هو مشاهد قال الله تعالى عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الصف: ٩]، ويوضحه أن المحو لغة إذهاب الأثر، وهو قد يكون مع بقاء العين، وأن ما لا أثر له كالعدم؛ ولذا عبر بالماحى دون المزيل، وما قيل من أن هذا جعله المصنف وجها واحدا، وحمل المحو على إزالة يدهم عن تلك الأراضى، وجعل بعض أهل الأرض كالعبيد بضرب الجزية عليهم، وجعلهم بإزالة تصرفهم كالموتى، وجعل محو آثار غيرهم كمحو ذواتهم، ونسخ أديانهم وكتبهم التى هى بمنزلة أرواحهم، وإبطال شوكتهم وقهرهم كإزالة ذواتهم ونحوها من صحائف الوجود، ففيه مجاز باعتبار وجوه مختلفة.

(وقد ورد تفسيره) أى الماحى بغير ما مر، **(فى الحديث)**، والتفسير المذكور **(أنه الذى محيت سيئات من اتبعه)** بما أنعم الله تعالى به على أمته من المكفرات، وبما قبله من شفاعته لهم فى الدنيا والآخرة، والعفو كالمغفرة موافق للمحو لغة ومعنى، وهذا مروى عن المصنف وقد سقط من بعض النسخ، فإسناده إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مجاز إذ هو سببه، والعافى والغافر حقيقة هو الله تعالى، وهذا من خصائص أمته، وقد فسر قوله تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، بيغفر لأمتك، وقد روى هذا التفسير الذى ذكره المصنف للماحى الحاكم فى مستدركه وأبو نعيم والبيهقى، وقال ابن دحية: إنه حديث مرسل صحيح الإسناد، وقال السيوطى: إنه متصل ولفظه، وأما ماحى فإن الله محى به سيئات من تبعه».

وقال ابن حجر فى شرح الشمائل: معناه أن من آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم يمحى ذنب كفره، وما عمله فيه، قال الله تعالى: **﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾** [الأنفال: ٣٨]، وفى الحديث **(الإسلام يجب ما قبله أو يهدم ما قبله)**.

وخص بهذا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأنه لم يمح أحد الكفر كما محاه إذ جاء على فترة وقد عم الكفر وعبد الحجر، فبلغ مسير النيرين، والمراد بكونه من خصائصه أن الله تعالى لطف بأمته بكثرة المكفرات كثرة لم تكن قبله، فهو مطلق مخصوص لوقوع خلافه فى الآيات والآثار كقول نوح عليه الصلاة والسلام لأمته: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾ [نوح: ١٠].

(وقوله) فى هذا الحديث: **(وأنا الحاشر)** فسره صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله بعد:

(الذى يحشر الناس) جميعهم مؤمنهم وكافرهم لدخولهم كلهم فى شفاعته العظمى لتخليصهم من هول الموقف والمحشر، وتعجيل الحساب؛ لأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، رحمة للعالمين، **(على قدمى)**، بالتخفيف والتشديد، كما مر، وفى رواية: على عقبى.

ولما كان ظاهره أنه يسوق الناس للمحشر، وليس بمراد، فسره بقوله: **(أى على زمانى وعهدى)**، وهما بمعنى؛ لأنه يقال: هذا كان على عهد الخلفاء فى عصرهم، ثم قال: **(أى ليس بعدى نبى، كما قال: وخاتم النبيين)**، فهو إما بتقدير مضاف، أى على أثر قدمى من غير فاصل، أو القدم سواء كان مفردًا أو مثنى ما يتبعه الناس فيه وهو الشريعة. وقال الكرمانى: معناه على أثرى، كما جاء على عقبى، أو على زمانى ووقت قيامى على القدم بظهور علامات الحشر فيه، إذ لا نبى بعده، ويحتمل أن يريد أول محشور؛ لأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أول من تنشق عنه الأرض كما تقدم.

والقدم معروفة، وهى مؤنثة لتصغيرها على قديمة، ويتجوز بها عن معان أُخر كما فى الأساس، فيقال: جعله تحت قدمه، إذا عفا عنه، وله قدم فى كذا، أى تقدم، فنسب له ذلك لتقدمه فيه، وكونه السبب فيه، ثم إنهم يحبسون فى المحشر حتى يشفع لهم، فهو حاشر فى هذا الحشر الثانى إلى مقرهم من جنة أو نار، فيتبعه ﷺ جميع الخلائق، فهو على هذا حاشر حقيقة، وهذا هو المراد فى رواية من روى: قدمىَّ، بالتشديد مثنى، وقول الكرمانى: ويحتمل... إلخ، سبقه إليه الخطابى، وإن كان ظاهره أنه من بنات أفكاره، وارتضاه ابن دحية، وما ذكره المصنف، وإن سبق إليه فيه خفاء، إلا أن يريد أن القدم مجاز عن الأثر كناية أو مجازًا، إلا أنه يتكرر مع قوله العاقب.

وقال السيوطى: إن الله وصف نفسه بالحشر فى قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٢]، فيكون هذا من أسمائه التى سماه بها، فإن سلم ما قاله، كان ما قبله كذلك، وحشر الناس فى وقت نبوته لبقاء ملته؛ لأنها لا تنسخ، وليس بعدها شرع آخر، فلا يرد عليه أن الساعة تقوم وليس على وجه الأرض من يقول: الله، وتقدم أن كونه خاتم النبيين، أى آخرهم، أو من ختموا به على قراءة الفتح، لا ينافيه نزول عيسى، عليه السلام، بعده؛ لأنه ينزل تابعًا له ﷺ عاملاً بشرعه، ولذا يدفن عنده؛ لأنه آخر خلفائه، وقيل: المراد أنه ﷺ آخر من نبىء، وعيسى نبىء قبله، وإن مات بعده، كالخضر وإلياس على قول، وقيل: سمى حاشرًا؛ لأنه حشر بنى النضير من حصونهم، وخرب أرضهم، وهو ضعيف رواية ودراية.

(وسمى عاقبًا؛ لأنه عقب غيره من الأنبياء)، عليهم الصلاة والسلام، أى خلفهم فى

الخير، ومنه عقب الرجل لولده، وفسر بمن لا نبى بعده؛ فإن العاقب الآخر، وقد فسر فى حديث مروى، عن ابن جبير، فهو أصح وأحسن.

(**وفى الصحيح: وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى**)، وقيل: العاقب عند العرب من يكون خلف سيد القوم، فمعناه خليفة الله؛ لأنه أحق بخلافته من جميع الرسل، ومن الغريب ما قيل: إنه اسمه عند أهل النار من أمته؛ لأن الله تعالى ينسيهم اسمه محمدًا، فإذا ذكروه ارتفع عنهم العذاب، وهو ضعيف.

(**وقيل: معنى على قدمى، أنه يحشر الناس بمشاهدتى**)، أى بقربى ومعى بمرأى منى؛ لسبقى للناس فى القيام من القبر، كما قال الله تعالى: ﴿**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة: ١٤٣]، وهذا بناء على أنه من الشهادة بمعنى المشاهدة والمعاينة، والجمهور على أنه الشهادة الحقيقية، كما ورد فى الصحيحين من أن أمته تشهد للرسل بالتبليغ، وهو، صلى الله تعالى عليه وسلم، يشهد لأمته بالصدق، وهو معنى جعلهم أمة وسطًا، أى عدولاً وخيارًا كما مر بيانه، وأخر المصنف، رحمه الله تعالى، هذا وهو متعلق بما قبله من معنى الحاشر؛ إشارة إلى أنهما بمعنى.

(**ومعنى قوله، صلى الله تعالى عليه وسلم: لى خمسة أسماء**)، جواب عن سؤال مقدر تقديره أن له، صلى الله تعالى عليه وسلم، أسماء كثيرة، فجعلها خمسة أو عشرة إن قلنا بمفهوم العدد مخالف للواقع، وإلا فهو زيادة بغير فائدة.

(**قيل: إنها موجودة فى الكتب المتقدمة**) المنزلة على الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، كالتوراة والإنجيل، (**وعند أولى العلم من الأمم السالفة**)، أى السابقة، فتخصيصها بالذكر لهذه الفائدة، ومرضه لما سيأتى من أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، له أسماء أخر فى الكتب القديمة أيضًا، وكون العدد لا مفهوم له لا يدفع السؤال كما توهم، وكونه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لم يقف على هذه الزيادة حتى ذكره بعيد، (**والله أعلم**) بوجه التخصيص فيما ذكر.

(**وقد روى عنه، عليه الصلاة والسلام**) فى حديث رواه أبو نعيم فى الدلائل، وابن مردويه فى تفسيره، من طريق يحيى التيمى، وهو وضاع، عن سيف بن وهيب، وهو ضعيف، عن أبى الطفيل: (**لى عشرة أسماء**)، وقد تقدم أنه لا معارضة بينه وبين غيره من الأحاديث، (**وذكر منها: طه ويس، كما حكاه مكى**)، تقدمت ترجمته، وقد تقدم هذا، وإنما أعاده ليتبعه تفسيره الذى ذكره، وقال أبو بكر بن العربى فى أحكام القرآن: اختلف الناس فى معناه على أربعة أقوال:

الأول: أنه اسم من أسماء الله تعالى، قاله الإمام مالك، وروى عنه أشهب، قال: سألته: هل ينبغي لأحد أن يسمى بياسين؟ قال: ما أراه ينبغى؛ لقوله تعالى: ﴿يسٓ ۝ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: ١، ٢]، أى هذا اسمى ياسين.

الثانى: قال ابن عباس، رضى الله عنهما: يس يا إنسان بالحبشة، ويا طه، ويا رجل، وروى عنه أنه اسم الله تعالى كما قال مالك.

الثالث: أنه كنى به النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، قيل له: يس، أى يا سيد، كما يأتى.

الرابع: أنه من فواتح السور.

وروى عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: (**سمانى الله تعالى فى القرآن بسبعة أسماء: محمد، وأحمد، وطه، ويس، والمزمل، والمدثر، وعبد الله**)، وهذا حديث لم يصح.

وروى أشهب، عن مالك: لا يتسمى أحد بياسين؛ لأنه اسم الله، وهو كلام بديع، وذلك أن العبد يجوز له أن يسمى باسم الرب إذا كان فيه معنى منه، كعالم وقادر، وإنما منع مالك من التسمية بهذا الاسم؛ لأنه من الأسماء التى لا يدرى ما معناها، فربما كان ذلك معنى ينفرد به الرب، فلا ينبغى أن يقدم عليه من لا يعرف؛ لما فيه من الخطر، فاقتضى النظر المنع منه.

فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [الصافات: ١٣٠]، **قلنا:** ذلك مكتوب بهجائه، فتجوز التسمية به، وهذا ليس بمنهجى، وهو الذى تكلم مالك عليه لما فيه من الإشكال. انتهى.

وهو كلام نفيس، إلا أن فيه بحثا؛ لأن تجويزه للتسمية بيس من وجه، ومنعه من آخر، وأنه عند التلفظ لا يعرف منه الهجاء وعدمه، اللهم إلا أن يقال: مراده المنع فى غير ما ورد فى القرآن، فتدبر.

(**وقد قيل فى بعض تفاسير طه: إنه يا طاهر، يا هادى**)، على أنه اسم النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما رواه السيوطى، عن أبى الطفيل، وتقدم أنه قيل: إنه من أسماء الله، وما ذكره السيوطى، رحمه الله، مروى عن الواسطى، وأراد به أن كل حرف منه مروى بعض من اسم، فالطاء من طاهر من كل عيب وذنب، والهاء من هاد إلى كل خير، فهو اسم مركب من اسمى حرفين كما فى ألم، وفى البخارى، عن سعيد بن جبير: معناه يا رجل، بلغة عك، وقيل: معناه اطمئن، وقيل: معناه طأ الأرض، والهاء ضمير

الأرض، وقيل: يا رجل بالسريانية، فعرب، وقيل: هو بالنبطية، وهى لغة أهل سواد العراق، وقيل: معناه بلغة عك يا حبيبى، وقيل: طوبى لمن هدى.

(و) قيل **(فى)** بعض تفاسير **(يس أنه يا سيد حكاه السلمى)** بضم السين وفتح اللام وهو أبو عبد الرحمن كما تقدم فى ترجمته، **(عن الواسطى)** نسبة إلى واسط بلدة معروفة وقد تقدمت ترجمته، **(وجعفر بن محمد)** هو جعفر الصادق الإمام المشهور كما تقدم، وهذا مروى فى أسمائه، عن أبى الطفيل، ورواه البيهقى فى دلائلة مسندا، وقال السهيلى: لو كان من أسمائه لقيل: يا ياسين بالضم، وقال ابن دحية: هذا غير لازم مع أنه روى عن الكلبى أنه قرأه بالضم أيضًا، وقيل: معناه يا إنسان بلغة طى وأصله يا أنيسين، فاقتصر على بعض منه، وقد بسطنا الكلام عليه فى حواشى البيضاوى، وكذا فيما مر أوائل الكتاب، وقيل: معناه يا رجل، وقيل: يا سيد البشر.

(وذكر غيره) أى غير الواسطى أنه روى **(أن النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: لى عشرة أسماء، فذكر الخمسة التى فى الحديث الأول)** الذى سمعته آنفا، **(و)** زاد عليها و**(قال: وأنا رسول الرحمة)** لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، لإنقاذهم من العذاب فى الدنيا والآخرة، فمن اتبعه نجا فى الدنيا من القتل أو من ذلة الكفر والجزية، وفى الآخرة من العذاب المخلد والخزى المؤبد، وأراحهم من التعب فيها؛ فلذا سمى بذلك كما قال: **(ورسول الراحة)**؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم، راحة للمؤمنين فى الدنيا؛ لما رفع عنهم مما كان فى الأمم السالفة من الإصر والمشاق بما فى شريعته من الرخص والتخفيفات، وفى الآخرة راحتهم العظمى لأمنهم وإزالة تعبهم ورفع التكليف عنهم، وراحة للكافرين بترك قتلهم وسبى ذراريهم إذا قبلوا الجزية، فنزلوا فى حرم الإيمان آمنين، وأمنت أمته من عموم الخسف والمسخ، وسترت عليهم معاصيهم، وكان من قبلهم إذا عصى أصبح وقد كتب على باب داره فلان فعل الليلة كذا وكذا، وتسميته، صلى الله تعالى عليه وسلم، بنبى الرحمة رواه ابن ماجه والحاكم مسندا عن أبى هريرة وصححوه، وورد فى بعض طرقه نبى الراحة، وما سبق أنسب بالآية.

(ورسول الملاحم) جمع ملحمة، وهى الحرب والقتال، سميت بذلك لالتحام الأبطال فيها أى ازدحامهم فيها؛ لأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أرسل بالسيف وأمر بالجهاد، ولم يقع لنبى ولا أمته من الجهاد والقتال ما وقع له، صلى الله تعالى عليه وسلم ولأمته، ولا يزالون كذلك حتى يقاتلوا الدجال، وينزل عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، وهذا لا ينافى كونه، صلى الله تعالى عليه وسلم، رحمة؛ لأنه رحمة حقيقة إذ فى قتاله

غنيمة للمسلمين، وهداية بعض الكافرين إلى الإسلام، وأمن دار الإسلام، وغير ذلك مما لا يحصى، والجواب بأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، رحمة لأوليائه حرب لأعدائه مع ما فيه لا يناسب العالمين.

(وأنا المقفى قفيت النبيين) كلاهما بتشديد الفاء، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم﴾ [الحديد: ٢٧]، وهو إما بمعنى التابع الذى جاء على أثرهم، لأن معنى قفا تبع ومنه القافية، وفيه من الفضل أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقف على أحوالهم وشرائعهم، فاختار له الله من كل شيء أحسنه، وكان فى قصصهم له ولأمته عبر وفوائد، أو المراد أنه خاتمهم وآخرهم، ووقع فى بعض النسخ المقتفى بزيادة التاء الفوقية، واقتصر عليه بعض الشراح، ونقله عن الطيبى، ثم قال: إن المقفى ذكره غير الطيبى، ولم يرد به نص صريح، وفيه نظر.

(وأنا قيم) بالقاف ومثناة تحتية بزنة سيد، **(و)** فسره المصنف بقوله: و**(القيم الجامع الكامل)** أى الجامع لمكارم الأخلاق النفيسة الكامل فيها، أو الجامع لشمل الناس بتأليفه بينهم وجمع شتاتهم؛ لأن القيم يكون بمعنى السيد؛ لقيامه بأمر الناس وأمر الدين كما قاله ابن الأشرم لما ولد النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما رواه الآمدى.

بدلت دينا بعد دين قد ندم وكنت فى الدين كأنى فى ظلم

يا قيم الدين أقمنا نستقم

كما ورد فى الحديث أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: أتانى ملك فقال:

أنت قيم وخلقك قيم

أى مستقيم حسن، وفى النهاية القيم القائم بأمور الخلق ومدبر العالم فى جميع أموره، وهو مرادف للقيوم الذى هو من أسمائه تعالى، ولا بعد أن يسمى النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، بشيء من أسماء الله تعالى بمعنى يليق كالقيم إذا كان بمعنى القيوم، كما يسمى بغير ذلك من أسمائه.

والقيم أيضًا من أسماء الله تعالى كما ورد فى الحديث فى قوله، صلى الله تعالى عليه وسلم: **(أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن)**.

وقال ابن دحية: وهو بمعنى القائم كما نقله السيوطى فى الرياض الأنيقة.

(كذا وجدته) أى تسميته، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالقيم فى كتب الحديث، **(ولم أروه)** بطريق من الطرق المعتبرة عند المحدثين إلا أنى وجدته فيما رواه غيره، وهذا عند المحدثين يسمى الوجادة، وله شروط عندهم، وهو مما يستأنس به، وهذا رواه الديلمى

فى مسند الفردوس، وفى النهاية الأثيرية أيضًا كما مر.

(وأرى أن صوابه) بحسب الرواية **(قثم)** بالثاء المثلثة المفتوحة المخففة وضم القاف فرأى أنه تصحف عليهم، وهو معدول عن قاثم ممنوع الصرف كما ذكره ابن فارس وغيره، ورواه ابن إسحاق فى حديث غريب هو قال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: **(أتانى ملك فقال: أنت قثم وخلقك قثم ونفسك مطمئنة)**. قال ابن دحية: فى اشتقاقه معنيان:

أحدهما: من القثم، وهو الإعطاء، يقال: قثم له من العطاء، إذا أعطاه، فسمى، صلى الله تعالى عليه وسلم، بذلك لجوده وعطائه.

والثانى: من القثم، وهو الجمع، يقال للرجل الجامع للخير: قثوم وقثم، وقد كان، صلى الله تعالى عليه وسلم، جامعا للفضائل، وجميع الخير والمناقب، وقد علمت ما فيه.

(كما ذكرناه بعد) بالبناء على الضم أى فيما سيأتى **(عن الحربى)** قال البرهان لهم أبو إسحاق الحربى، وإسحاق بن الحسين الحربى، والثانى ثقة حجة سمع من هودة، وحسين بن محمد وغيرهما، ووثقه الدارقطنى وصحح عليه فى الميزان، وذكر الذهبى أنه مبهم، **(وهو أشبه بالتفسير)** يعنى أنه أقرب شبها بتفسيره المأثور بالجامع، وفيه نظر لأن قثم بالمثلثة بمعنى مجتمع أيضًا كما تقدم آنفا، وقد كان عبد الله أبو النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، يكنى بأبى محمد وأبى قثم، وقالوا: إنه الجامع للخير، أولشمل أمته، ويأتى أن هذا الاسم معروف فى جماعة من أهل البيت، منهم قثم شقيق الحارث عم النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، وابن عبد الملك، وبه سميت محلة بسمرقند دفن فيها وبها مدرسة قثم أيضًا، وقثم بن عبد الله بن العباس.

ثم عاد المصنف إلى ذكر القيم بالتحتية، وأشار إلى ما يصححه فقال: **(ووقع أيضا فى كتب الأنبياء)** المنزلة من السماء كصحف إبراهيم وداود **(قال داود، عليه الصلاة والسلام: اللهم)** أى يا الله وألحقوا الميم فى آخر هذا الاسم إيذانا بجمع أسمائه وصفاته، فالسائل إذا قال: اللهم فكأنه قال: أدعو بأسمائه وصفاته، فأتى بالميم المؤذنة بالجمع فى آخره إيذانا بسؤاله بأسمائه كلها؛ ولذا قال العطاردى: اللهم فيها تسعة وتسعون اسما من أسمائه. وقال النضر: من قال: اللهم فقد دعا الله بجميع أسمائه، ووجه هذا بأن اللهم بمنزلة واو الجمع، فإنها من مخرجها فكأن الداعى بها يقول: يا الله الذى اجتمعت له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وشددت لتكون عوضا عن الواو والنون فى نحو مسلمون.

(ابعث لنا محمدا يقيم السنة) أى الطريقة الشرعية والدين **(بعد الفترة)** أى انقطاع الوحى والرسل، وضمير لنا للناس.

(فقد يكون القيم بمعناه) أى بمعنى المقيم للسنة المأخوذ مما ذكر؛ لدلالته بمادته عليه، فيكون إذا سلم أنه اسم للنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، بهذا المعنى، وقد قالوا: إنه اسمه فى الزبور كما يشير إليه كلام المصنف، وفى التوراة كما نقله السيوطى، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فالسنة سنة الرسل، وهى الشريعة والتوحيد، والفترة ما بين كل رسولين من الزمان، وهو المراد، وقد يخص بما بين عيسى ونبينا، صلى الله تعالى عليهما وسلم، وأصل معناها الضعف وتسمية ترك العبادة فترة منه، فليس معنى أصليا كما توهم، فإن كان ضمير لنا له ولقوله فجملة ابعث الدعائية لتمنى أن يبعث فى زمنه، وقيل: ضمير بمعناه لقثم بالمثلثة، وفى كتاب فضل الصلاة على النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، لابن القيم أن اللهم لا تستعمل إلا فى الطلب نحو اللهم اغفر لى. قلت: وهذا ينافى قوله بعد هذا: إنه يسوغ استعماله فى موضع لا يكون بعده دعاء نحو اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى فتأمله.

(وروى النقاش) تقدمت ترجمته **(عنه، عليه الصلاة والسلام)** أنه قال: **(لى فى القرآن سبعة أسماء)** تقدم المراد بالأسماء، وأنها تشمل الصفات غير الأعلام، ثم ذكرها فقال: **(محمد، وأحمد، ويس، وطه، والمدثر، والمزمل، وعبد الله)** تقدم الكلام على بعضها، وستأتى تتمته ومحالها من القرآن معلومة فى أوئل السور وغيرها، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، واقتصر على هذه لشهرتها، وإلا فقد ورد فيه غيرها كالرسول، والنبى، والخاتم، والرءوف، والرحيم، والصاحب، ومفهوم العدد غير معتبر، وقيل: إنه كان قبل وصف الله له بهذه، أو المراد ما يختص به كما يشعر به تقديم الخبر، والجواب بأن رءوف ورحيم صفتان لا اسمان لتعلق الجار بهما كما فى قوله تعالى: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ثم استفيد كونهما اسمين بعد القرآن غير مسلم لما مر، وقوله: فى القرآن يشير إلى أن له أسماء أخر ليست فيه.

وفى الصحيحين فى فترة الوحى **(بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصرى، فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض، فرعبت منه ورجفت فقلت: زملونى زملونى)**، وفى رواية دثرونى، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدثر: ١، ٢]، والمدثر والمزمل اسمان من الحالة التى كان عليها حين النزول، والمدثر المتلفف فى الدثار وهو الثياب، والمزمل بمعناه وأصله المتدثر، والمتزمل فقلب وأدغم كما هو معلوم من علم التصريف، وقال ابن الورد: إنما نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا

﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر:١] عقيب قوله زملونى؛ لأن هذا التزمل أريد به الدثار من برد يعترى المروع كالمحموم، كما كان يعتريه، صلى الله تعالى عليه وسلم، عند نزول الوحى عليه، فخاطبه بما طلب من تزمله أى يا أيها المتزمل المتدثر دع الدثار، وجد فى الإنذار تأنيسا له من الروع وتنشيطا له على فعل ما أمر به كما تقول لمن أرسلته لأمر فتخوف وتثبط عنه: يا أيها المتخوف امض لأمرك.

وقال السهيلى: فيه ملاطفة لأنه ورد أنا النذير العريان، فوصفه بالإنذار مع الدثار تمليح بالطباق، وهو منزع بديع، وكان تدثره، صلى الله تعالى عليه وسلم، بقطيفة فى بيت خديجة، وذكر عائشة بدل خديجة خطأ؛ لأنه كان بمكة، وعائشة إنما كانت معه بالمدينة.

وقيل: معناه المدثر بالقرآن، **وقيل:** معنى المزمل الحامل لأعباء الرسالة من المزاملة فهو استعارة تصريحية.

وقال السهيلى: ليس المزمل من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وإنما هو مشتق من حالته المتلبس بها حال الخطاب، والعرب تفعله ملاطفة ومعاتبة، كقوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، لعلى، كرم الله وجهه، وقد نام على الأرض: قم يا أبا تراب ملاطفة لما كان بينه وبين فاطمة، رضى الله تعالى عنهما، من المغاضبة.

وما روى عن عائشة، رضى الله تعالى عنها، أنه كان بمنزلها مزملا مرطا طوله أربعة عشر ذراعا نصفه عليها وهى نائمة لا أصل له؛ فإن نزول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١] كان بمكة، ودخوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، على عائشة إنما كان بالمدينة، وقد علمت أن عبد الله سماه الله تعالى به فى آيات، والعبودية أشرف صفاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأصل معناها الخضوع والتذلل، وأن العبد هو الإنسان رقيقا أم لا، وقال المشايخ: العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوفيق والنظر لما صدر منه بعين التقصير، وفى بعض النسخ: **(وفى حديث عن جبير بن مطعم هى)** أى أسماؤه ﷺ **(ست محمد، وأحمد، وخاتم، وحاشر، وعاقب، وماحى)**، وقد علمت معانيها.

(وفى حديث أبى موسى الأشعرى، رضى الله تعالى عنه، أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان يسمى لنا نفسه أسماء فيقول: أنا محمد، وأحمد، والمقفى)، وفى رواية كما تقدم المقتفى، **(والحاشر ونبى التوبة)** هذا الحديث أسنده السيوطى فى الرياض الأنيقة، وقد مر تفسير هذه الأسماء غير الأخير، ومعناه أن توبة أمته مقبولة من غير حرج عليهم حتى تطلع الشمس من مغربها، أو يغرغر، وكانت الأمم السالفة منهم من لا تقبل توبته

أصلا، ومنهم من تقبل توبته بشرط أمور شاقة كما لم تقبل توبة بنى إسرائيل من عبادة العجل إلا بقتل أنفسهم، وهذه الأمة تقبل منهم مطلقا وإن تكررت مع تكرر الذنوب، وبه فسر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، بشرط الندم والعزم على عدم العود ورد حقوق العباد أو استحلالهم ونحوه، كما فصلوه فى محله فهو لا ينافى قبول توبة غير هذه الأمة فى الجملة.

(ونبى الملحمة) تقدم تفسيره، **(ونبى المرحمة والرحمة وكل صحيح إن شاء الله)** رواية ودراية كما تقدم أيضًا.

(ومعنى المقفى هو معنى العاقب) كما مر مفصلا، والأولى تفسير كل منهما بمعنى هربا من التكرار، فمعنى المقفى التابع لهدى النبيين وسننهم، والعاقب الخاتم لباب النبوة والرسالة، وإليه أشار بقوله: **(وقيل:)** معنى المقفى **(المتبع لهدى النبيين، وأما نبى الرحمة والتوبة)** يأتى جواب أما، وقيل: معنى نبى التوبة أنه كثير التوبة والاستغفار لنفسه؛ لقوله، صلى الله تعالى عليه وسلم: **(إنى لأستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة)**.

(والمرحمة والراحة) لأن من رحمه الله تعالى فقد أراحه من العقاب، وإذا أعلمه بذلك أراحه من القلق والضجر، **(فقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٧]) دليل وتفسير لما قبله، وقد تقدم أنه لا ينافى أنه نبى الملحمة، والسيف أى القتال به لما تقدم، وفى شرح السنة أن الأمم السالفة كان من كفر منهم بعد ظهور المعجزات يعذب بالاستئصال فأمر الله تعالى نبيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالجهاد بسيفه ليرتدعوا عن الكفر، فالسيف فيه بقية لهم، ويؤيده نزول ملك الجبال عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ليطبقها عليهم، وإباؤه ذلك رجاء أن يكون من ذريتهم من يعبد الله، ورفع عنهم الإصر وأثابهم الكثير على العمل القليل مع قصر أعمارهم، وقد أثاب الله تعالى الأمم السالفة مع كثرة أعمارهم وأعمالهم بأقل من ذلك، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وفى جعله، صلى الله تعالى عليه وسلم، عين الرحمة وتعميم العالمين بها مبالغة ظاهرة.

(وكما وصفه) أى مثل وصفه الذى وصفه به فى هذه الآية وصفه له فى غيرها **(بأنه يزكيهم)** أى يطهرهم من الأخلاق الذميمة، والآثام المدنسة لهم بمقاله وحاله، وضمير يزكيهم للعالمين، وقيل: لأمته.

(ويعلمهم الكتاب) أى القرآن، **(والحكمة)** أى العلوم النافعة والعقائد الحقة، ومعانى القرآن، وفسرت أيضًا بإصابة الحق قولا وفعلا، ووردت بمعنى القرآن أيضًا، والحكمة

من الله معرفة حقائق الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الناس معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وهو الذى وصف به لقمان ويصح إرادته هنا أيضًا.

(ويهديهم إلى صراط مستقيم) أى يدلهم على طريق لا عوج فيه بالوحى والشريعة يوصلهم إلى سعادة الدارين، **(وبالمؤمنين رؤوف رحيم)** قدم متعلقه للتخصيص، أو للاهتمام والتشريف مع رعاية الفاصلة وموافقة نظم القرآن قصد الاقتباس عن مشكاته، وتقديم الرؤوف كما مر؛ لأنه الشفقة والتلطف بالمنعم عليه، وهو مقدم كما مر، وما قيل من أنه قدم للفاصلة وحقه التأخير بناء على أنه أشد الرحمة تقدم رده.

(وقد قال) النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، أو الله فى غير القرآن إذ لم يقع فيه بهذا اللفظ **(فى صفة أمته أنها أمة مرحومة)** فى الدنيا والآخرة فى الحياة والممات، والأمة أمة الدعوة والإجابة، **(وقد قال تعالى فيهم)** أى فى حقهم وشأنهم: ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ**﴾ [البلد: ١٧]، معطوف على جملة الصلة فى قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ ءَامَنُوا**﴾ [البلد: ١٧]، **(أى يرحم بعضهم بعضا)** أى أوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله، وعن معاصيه، وبالرحمة على خلق الله، **(فبعثه الله)**، وفى نسخة فبعثه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ربه **(رحمة لأمته)** متفرع على ما قبله باعتبار العلم والظهور، وهو فى الحقيقة سبيله ورحمته المختصة بهم ظاهرة، ورحمة مفعول له أو حال من الله، أو من ضمير النبى بمعنى راحمًا لهم **(ورحمة للعالمين ورحيما بهم)** أى جعله عين الرحمة لإرشاده لهم ولطفه بهم، وحمله على ذلك، فلا تكرار فيه مع ما قبله، **(ومترحمًا ومستغفرًا لهم)** أى داعيًا لهم بالرحمة والمغفرة؛ لشفقته، صلى الله تعالى عليه وسلم، عليهم، ففيه حسن ترتيب وإيهام للتأكيد.

(وجعل أمته أمة مرحومة، ووصفها بالرحمة) لإجابة دعائه وتحقيق رجائه لهم، ويجوز أن يكون بيانا لما مر لاعتنائه به وتفضيله، **(وأمرها)** أى الأمة **(عليه الصلاة والسلام، بالتراحم، وأثنى عليهم)** أى أمر أمته بأن يرحم بعضهم بعضا، ثم فسره بقوله: **(وقال)**، عليه الصلاة والسلام: **(إن الله يحب من عباده الرحماء، وقال)**، صلى الله تعالى عليه وسلم: **(الراحمون يرحمهم الرحمن)**، وهذا خبر لفظا مآل معناه الأمر، فلذا أردفه بصريحه بقوله: **(ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء)** بالرفع والجزم، وحديث ارحموا إلخ، صحيح مشهور مسلسل بالأولية.

قيل: ويؤخذ من كونه، صلى الله تعالى عليه وسلم، رحمة أنه لا ينبغى أن يدعى له بالرحمة، فيقال: اللهم ارحم محمدا، ورده العراقى بأن كونه رحمة للعالمين من جملة الرحمة، فهو دليل لهم لا عليهم، وما ورد فى الحديث يتبع، وقيل: إنه مخصوص بالتشهد

لعدم وروده فى غيره، وسيأتى تفصيله فى بحث الصلاة عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وأما رواية نبى الملحمة، فإشارة إلى ما بعث به من القتال والسيف وهى صحيحة) متنا وسندا كما ذكره المحدثون، وظاهرة معنى؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم، فرض عليه القتال، وأحلت له الغنائم، ونصر بالرعب، ووقع له من الحرب والجهاد والنصرة ما لم يتفق لغيره من الرسل، وبقى ذلك فى أمته إلى يوم القيامة، وما أحسن ما قيل:

جمع الشجاعة والخشوع لربه   ما أحسن المحراب فى المحراب

فلاختصاصه بذلك أضيف له.

(وروى حذيفة)، وفى نسخة عن حذيفة، وهذا رواه أحمد، والترمذى فى الشمائل **(مثل حديث أبى موسى)** الأشعرى السابق أى بمعناه ولفظه، **(وفيه: ونبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم)** بالجمع للكثرة إشارة إلى أنه اختص بكثرتها.

(وروى الحربى) تقدم ذكره وأنه متعدد ولم يعينه المصنف، رحمه الله تعالى، ورواه أبو نعيم فى الدلائل عن يونس بن ميسرة.

(وفى حديثه، عليه الصلاة والسلام، أنه) بيان لأنه مرفوع **(قال: أتانى ملك، فقال: أنت قثم)** بالثاء المثلثة كما مر **(أى مجتمع)** أى مجموع فيك كل كمال وخير، فكنى عن ذلك بكونه مجتمع فى ذاته؛ ولذا عقبة بقوله: **(قال: والقثوم الجامع للخير)** كله فى ذاته ولغيره، **(وهذا اسم)** له ﷺ **(هو فى أهل بيته معلوم)**، فسمى به غيره كما تقدم هو وتفسيره.

(وقد جاءت من ألقابه) وهى أسماؤه المنقولة، واللقب ما أشعر بمدح، وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١]، فمخصوص بما فيه ذم مؤذ كما ذكره المفسرون، **(وسماته)** بمعنى صفاته، أو هو عطف تفسيرى، والسمة فى الأصل الوسم والكى، ثم عم لكل علامة واشتهر بمعنى الصفة، أو المراد الصفات الواردة **(فى القرآن)**؛ لأن أكثر ما فيه صفات منزلة منزلة الأعلام **(عدة كثيرة سوى ما ذكرناه)** مما تقدم ذكره، ومنها ما هو حقيقة، ومنها ما هو استعارة **(كالنور والسراج المنير)** كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة: ١٥]، وقال: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]، وفسر بالنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، فإنه نور لا ينطفى، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة: ٣٢]، وهذا بناء على ما اختاره، ومنهم من فسره بالقرآن، ولكل وجهة والذى حققه المشايخ نور الله تعالى مراقدهم كما فى مشكاة الأنوار لحجة

الإسلام أن حقيقة النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره، والعالم مشحون بالأنوار الظاهرة المحسوسة والباطنة المعقولة التى يفيض بعضها على بعض.

قال: والنور الحقيقى هو الله تعالى، فهو نور السموات والأرض، ونور الأنوار.

وقال الأشعرى: إنه نور ليس كالأنوار، والروح النبوية القدسية لمعة من نوره، والملائكة شرر تلك الأنوار، وبهذا صرح فى هياكل النور؛ فلذا سمى النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، نورًا، ولاقتباسه من الأنوار الإلهية سمى سراجًا لما فاض عليه من الأنوار العلوية، فليس الوصف به لغوا ولا مؤكدا، فإن فهمت فنور على نور، فهو فى الأصل استعارة، ثم إن كان سمى به صار حقيقة عرفية.

(والمنذر والنذير) وهما متقاربان معنى، وأصل الإنذار الإعلام بما فيه تخويف. قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحجر: ٨٩]، وفى البخارى: «إنما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوما فقال: يا قوم إنى رأيت الجيش بعينى وأنا النذير العريان، فالنجاة النجاة، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبته طائفة فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعنى واتبع ما جئت به، ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق».

والنذير للمبالغة فى صدقه وجده فى إنذاره، ووصفه بالعريان لأنه أبلغ فى إنذاره، وقيل: كان النذير يتجرد من ثيابه ويلوح بها مع الصباح تأكيدًا لإنذاره.

(والمبشر والبشير) قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، ونحوه من الآيات، وهما من البشارة بكسر الباء وضمها وهو الإخبار بخبر سار، وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، تهكم، وسميت بها لتغييرها بشرة الوجه أى ظاهره، وقيده بعضهم بالخبر الصادق، وبنوا عليه ما لو علق عليه طلاقا أو عتاقا كما بين فى كتب الفقه والأصول، وقيل: إنه يعم الخير والشر حقيقة، وقد مر ذلك كله، وقال السيوطى: إنه من أسماء الله أيضا لقوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ﴾ [التوبة: ٢١]، وفيه نظر.

(والشاهد والشهيد) قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]، ونحوه، والشهادة كما فى الصحاح الخبر القاطع، وأصل معنى الشهادة المعاينة، وسمى به لشهادته على الأمم لتبليغ أنبيائهم لهم، ويشهد على أمته بالإيمان كما ورد فى الحديث، ويأتى أن الشهيد من أسماء الله

تعالى، ومعناه العالم أو الشاهد على عباده يوم القيامة، ثم سمى به النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(والحق المبين) قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الزخرف: ٢٩]، وقال: ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ١٠٨]، ونحوه، وفسرا به، صلى الله تعالى عليه وسلم، والحق والصدق متقاربان، وفرق بينهما الإمام بأن الصدق نسبة الشىء إلى الواقع، والحق نسبة ما فى الواقع إلى الشىء من حق إذا ثبت، وسمى به، صلى الله تعالى عليه وسلم، لحقية نبوته ورسالته وما جاء به، وجعل عين الحق مبالغة، والمبين من أبان ويكون متعديا ولازما بمعنى تبين، فمعناه الظاهر فى نفسه والمظهر لغيره. قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وإن المبين من أسمائه تعالى لتبين ألوهيته وعظمته ولتبيينه لعباده أمر معادهم ومعاشهم وشرائعهم.

(وخاتم النبيين) بكسر التاء اسم فاعل، وبفتحها اسم آلة كطابع، كأنه ختمهم بنفسه، فهو استعارة فى الأصل شاع وصار حقيقة قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، من ختمت الأمر إذا تممته وبلغت آخره، وفى الصحيحين «مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا وأحسنه وأكمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون: هلا وضعت تلك اللبنة، فأنا تلك اللبنة وأنا خاتم النبيين».

وحكمة كونه خاتما ليكون الختم رحمة، ولئلا يطول مكث أمته تحت الأرض، ولئلا تطلع الأمم على أحوال أمته، ولئلا تنسخ شريعته، ولذلك نزل عيسى، عليه السلام، على شريعته كما تقدم.

(والرؤوف الرحيم) تقدم معناهما مفصلا.

(والأمين) فعيل بمعنى مفعول مبالغة، ويكون بمعنى فاعل كقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]، وتسميته به مشهورة قبل البعثة، ووقع فى القرآن فى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [١٩: ٢١]، فى قول بعض المفسرين أن المراد به النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما مر، وإن كان المشهور خلافه، وأنه جبريل، عليه السلام، وقال المصنف: إنه قول أكثر المفسرين كما نقله السيوطى عنه، وقيل: إنا لم نعلمه فى القرآن فى غير هذه، والراجح خلافه إلا أنه وقع فيه بطريق الالتزام؛ لأنه وصف به فيه من هو دونه كقوله تعالى **(فى موسى:** ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧]، وفيه تكلف، وقد سمى به وبالمأمون

فى الجاهلية قال كعب بن زهير:

سقاك بها المأمون كأسا روية فأنهلك المأمون منها وعلكا

ومر أنه لما تشاحنت قريش فيمن يضع الحجر الأسود قالوا: أول من يدخل من هذا الباب يضعه، فدخل رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فلما رأوه قالوا: قد جاء الأمين، وإنه كان مشهورا به قبل البعثة، فكانت توضع عنده الودائع والأمانات.

(وقدم الصدق) كما عده كثير من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وفى البخارى عن زيد بن أسلم فى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]، قال: هو محمد، صلى الله عليه وسلم، ومر الكلام عليه مفصلا فى أول الكتاب.

وعن على كرم الله وجهه كما أخرجه ابن مردويه أنه قال فى تفسيره: هو محمد شفيع، وفيه إشارة إلى وجه التسمية من أنه تبشير بأن يشفع لهم؛ لأن من عادة الشافع تقدمه على من يشفع له، فعلى هذا أنه سماه الله تعالى به، وكذا روى عن أبى سعيد الخدرى، رضى الله تعالى عنه، أن معناه شفيع مصدق، ومر عنه فى كلام المصنف، رحمه الله تعالى، شفيع صدق عند ربهم، ومر فيه عن سهل أن معناه سابقة رحمة أودعها الله تعالى، أى عهد له بها أزلا أنه سيجعله رحمة لهم؛ ولذا عقبه المصنف، رحمه الله، بقوله: **(ورحمة للعالمين)**، فهو كالتفسير له، والقدم واحد الأقدام، ويطلق على التقدم لأنه يكون بها، ويقال: لفلان قدم أى تقدم كما قال ذو الرمة(١):

لكم قدم لا ينكر الناس أنها مع الحسب العادى طمَّتْ على الفخر

وكونه رحمة لجميع العالمين كما فى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقد مر الكلام عليه.

(ونعمة الله)، فهو، صلى الله تعالى عليه وسلم، نعمة لهم، وعن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى: ﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨]، قال: هم كفار قريش، ونعمة الله محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، فسمى نعمة كما سمى رحمة، وذلك حقيقة لمن اتبعه؛ ولذا قال: **(والعروة الوثقى)** قال ابن دحية، وأبو عبد الرحمن السلمى فى قوله تعالى: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، هو محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، والعروة ما يتمسك به من الحبل، والوثقى الوثيقة المتينة فيه استعارة تمثيلية تصريحية؛ لأن من اتبعه لا يقع فى هوة الضلال كما أن من مسك حبلا متينا صعد من

---

(١) البيت من الطويل، وهو لذى الرمة فى ديوانه (ص٩٧٢)، أساس البلاغة (قدم).

حضيض المهالك.

(و) من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(الصراط المستقيم)** ذكره ابن دحية، وقال أبو العالية فى قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، هو رسول الله، ﷺ، وأخرجه ابن أبى حاتم، وسمى به لأنه طريق إلى الله تعالى موصل إليه، وتقدم أن الصراط بالصاد، والسين، والزاء المشمة الطريق المستوى أو الواضح، والمستقيم الذى لا عوج فيه، فاستعير له، صلى الله تعالى عليه وسلم، لأن التابع له واصل لسعادة الدارين ناج، والمنحرف عنه ضال غير مهتد؛ فلذا عقبه بقوله: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ٣]، إشارة لقوله تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وروى عن السلف فى قوله تعالى: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ٣]، أنه محمد ﷺ، وقيل: قلبه وهو بعيد، وقد مر هذا وما قبله فى كلام المصنف، رحمه الله، عن جعفر الصادق فى تفسير ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]، وأن الثاقب بمعنى المضىء المتوهج قال[1]:

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وهو تشبيه بليغ أو استعارة من مطلق النجم، أو من نجم مخصوص وهو زحل، لأنه يهتدى به، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما يهتدى بالنجم، أو لأنه استنارت به ظلمة الجهل، فإن خص بزحل فوجه الشبه الإضاءة مع الرفعة كما قيل.

(والكريم) المتفضل أو العفو أو الكثير الخير أو الملى كما يأتى وكله صحيح فى حقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو سمى به فى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠]، بناء على أنه المراد به، وقيل: المراد جبريل، عليه السلام، كما مر ويأتى والخلاف فى تفسيره مشهور، ولا حاجة لإثباته بهذه الآية لاتصافه، صلى الله تعالى عليه وسلم، به وبمعناه فى الأحاديث الصحيحة.

(والنبى الأمى) قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وهو من لا يقرأ ولا يكتب، وقيل: هو الذى يقرأ ولا يكتب ورجحه السبكى والسيوطى، وفيه أقوال أحدها وثانيها هذان، وقيل: كان يقرأ ويكتب، وقيل: كان لا يقرأ ولا يكتب فى أول أمره، ثم لما زالت الشبهة علمه الله ذلك، وذهب إلى هذا بعض

---

(١) البيت من الطويل، وهو لأبى الطمحان القينى فى الأغانى (٩/١٣)، أمالى المرتضى (٢٥٧/١)، تخليص الشواهد (ص٢٠٢)، خزانة الأدب (٩٥/٨، ٩٦)، ديوان المعانى (٢٢/١)، شرح ديوان الحماسة للمرزوقى (ص١٥٩٨)، كتاب الصناعتين (ص٣٦٠)، لسان العرب (١٤٣/٧)، المقاصد النحوية (٥٦٧/١)، وهو للقيط بن زرارة فى الحيوان (٩٣/٣)، الشعر والشعراء (ص٧١٥).

المحدثين من علماء المغرب ومن تبعهم، وسيأتى تفصيله مع أنه تقدم مرارا، والأمى منسوب إلى الأم كأنه على الحالة التى ولدته أمه عليها، أو إلى أم القرى وهى مكة، أو إلى أمة العرب، وكنى به عما ذكر؛ لأن القراءة والكتابة لم تكن معروفة فيهم، وقيل: منسوبة إلى الأمة لأنه أمة بنفسه، وأمته معجزة له، صلى الله تعالى عليه وسلم، وإن عدت منقصة لغيره؛ لأنه مع ما ظهر منه من العلوم والمعارف اللدنية، ومعرفته بأخبار الأمم السالفة وشرائعهم، وهو لا يقرأ ولا يكتب و لم يدارس و لم يتلقن ممن قرأ وكتب أمر غريب عجيب. والمقصود من القراءة والكتابة ذلك، لأنهما آلة وواسطة له غير مقصودة فى نفسهما، فإذا حصلت له الثمرة المطلوبة منهما استغنى عنهما بخلاف غيره مع ما فى ذلك من الرتبة والاستغناء بكتابته عن ملاقاته، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

وروى أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: لا أريد الخط لئلا يقع ظل القلم على اسم الله تعالى رواه الترمذى و لم يسنده، فجازاه الله تعالى على ذلك أن يرفع ظله عن الأرض، فلا يوطأ وأن لا ترفع الأصوات على صوته، وسيأتى أن من وصفه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالأمية على وجه يشعر بالتنقيص له حكم الساب.

(وداعى الله) أى داعى الناس إلى توحيد الله وطاعته، كما قال الله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤٦]،.و ﴿أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١]، ونحوه، وفى الحديث الصحيح **(إن ربكم فتح دارا وصنع مأدبة فمن أجاب الداعى، رضى عنه السيد ودخل الدار وأكل من المأدبة، فالسيد هو الله، والداعى محمد، والدار الإسلام)**، وقال البخارى: الجنة، وكذا المأدبة.

قال السيوطى: وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه داع فى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، فهو من جملة أسماء الله تعالى التى سماه بها، وقال على لسان الجن: **(أجيبوا داعى الله)**، ففيه دليل على أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، مبعوث إليهم، وقال مقاتل: لم يبعث إلى الجن نبى قبله، وفسر قوله: **(بعثت إلى الأسود والأحمر)** بالإنس والجن كما تقدم، وهو مشكل بسليمان، عليه السلام، وقد يوفق بينهما بأن الله سخر له الجن مع أمره لهم بتوحيد الله تعالى؛ لأنه لايرضى الكفر إلا أنه لم يكلفهم بفروع شريعته، والنبى ﷺ مأمور بدعوتهم وتكليفهم بالعمل بشرعه، و لم يؤمر باستخدامهم وتسخيرهم له كسليمان.

(فى أوصاف كثيرة وسمات جليلة) عظيمة مبجلة أى ورد ما ذكر فى القرآن والآثار

مع صفات أخر كثيرة أطلقت عليه كإطلاق الاسم على مسماه، فجعل الكثير باشتماله على غيره كالظرف المحتوى على مظروف، وسمات جمع سمة وهى العلامة لكن تجوز بها عن مطلق العلامة كالمرسن للأنف، وشاع حتى صار كالحقيقة أو بمنزلتها، ثم تجوز بها عن الصفة وهو المراد هنا، وعبر به للتفنن فى العبارة.

(وجرى منها فى كتب الله المتقدمة أى) وقع منها فى كتب الله المتقدمة على القرآن كالتوراة والإنجيل وغيرهما، و«جرى» حقيقته أسرع من المشى، وفى المائعات بمعنى سال كجرى النهر، ثم شاع عرفًا بمعنى وقع وحدث، فيقال: جرى الماء على كذا، ولذا تلطف الشاعر فى قوله:

وتحدث الماء الزلال مع الصفا فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى

(وكتب أنبيائه) قيل: المراد بها كلمات منقولة، فإن لهم، عليهم الصلاة والسلام، أحاديث دونها أحبارهم زمانهم قبل نسخ أحكامهم، ونقلها المسلمون عنهم ودونوها كالإسرائيليات، وهذا يعلم من مقابلته لما قبله.

(وأحاديث رسوله)، صلى الله تعالى عليه وسلم، الواقع فيها وصفه، أو تسميته لنفسه، أو قالها أصحابه بنقل عنه وبدونه، وهذه كلها تسمى أحاديث أيضًا، **(وإطلاق الأمة)** غير الصحابة، أو المراد الأعم أى تسميتهم له، صلى الله تعالى عليه وسلم، ووصفهم، فإن إطلاق اللفظ بمعنى استعماله سواء كان حقيقة أم لا مشهور ومتعارف، وهو فى الأصل من الإطلاق بمعنى فك الوثاق، ثم نقل عرفا لما ذكر، وأسماؤه، صلى الله عليه وسلم، وإن كانت توقيفية عند بعضهم كأسماء الله تعالى، فما اشتهر فيها وتلقى بالقبول فى حكم المنقول، فإن الأمة لا تجتمع على الضلالة، وقد وقع هذا فى كثير من أسمائه وصفاته.

(جملة شافية) فاعل جرى من شفاء المريض، أى شافية من داء الجهل، أو من شفاء الغليل وهو حر العطش؛ لأنه يروى الظمأ ويثلج الصدر **(كتسميته بالمصطفى والمجتبى)**. وهذا مما أطلقه عليه الأمة، ولم يرد فى كتاب ولا سنة، وهما بمعنى، وفى الصحاح اجتباه بمعنى اصطفاه واختاره، وأصله كما قاله الراغب من جبيت الماء فى الحوض إذا جمعته؛ لجمعه، صلى الله تعالى عليه وسلم، المكارم والصفات الحميدة بفيض إلهى من غير سعى كما قال الله تعالى: ﴿يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]. قال السيوطى: المصطفى من أشهر أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ومثله المختار، وفى مسند الدارمى أن فى التوراة محمد رسول الله عبدى المختار إلى آخره.

(وأبى القاسم) وهذا أشهر كنية له، صلى الله عليه وسلم، ومنها أبو إبراهيم كما يأتى، وأبو المؤمنين، وأبو الأرامل كما ذكره السيوطى، وهذا ورد فى الحديث الصحيح، ففى مسلم عن جابر، رضى الله عنه، أنه، صلى الله عليه وسلم، قال: **(تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى، فإنى أبو القاسم أقسم بينكم)**، ويأتى الكلام فى أوائل القسم الرابع، ومثله ما فى كتاب الذخائر والإغلاق فى أدب النفوس ومكارم الأخلاق أنه كنى به؛ لأنه يقسم الجنة بين أهلها يوم القيامة، والذى جزم به أهل السير أنه كنى بابنه القاسم، وهو أول أولاده، صلى الله تعالى عليه وسلم، من خديجة ولادة ووفاة.

وظاهر النهى فيه تحريم التكنى بكنيته مطلقا، وهو الأصح من مذهب الشافعى، وقيل: إنه جائز بعد موته، صلى الله تعالى عليه وسلم، والنهى مخصوص بحياته، ورجحه النووى، ووجهه أن النهى عن ذلك لئلا يتأذى بإجابة دعوة غيره فيجد المنافقون فرجة لأذاه، وهو يزول بوفاته، صلى الله تعالى عليه وسلم؛ ولذا لم ينه عن اسمه مع منع الله تعالى من ندائه به، وفى قول: يحرم لمن اسمه محمد دون غيره لما روى عن جابر مرفوعا **(من تسمى باسمى فلا يتكن بكنيتى)**، ويأتى بسط ذلك فى القسم المذكور. قال السبكى: وحيث حرمناه فالمحرم التكنية وهو وضع الكنيه لأحد، والتكنى وهو قبول المسمى لذلك، وأما الإطلاق فأمر ثالث إلا أن يكون ذلك الشخص لا يعرف إلا به فيكون عذرًا، واختلفوا فى عمر ابنه القاسم، فقيل: سنتان، وقيل غير ذلك.

(والحبيب)، وحبيب الله تعالى، وهذا ثبت بالحديث الصحيح الذى رواه البيهقى فى الشعب عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، **(اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وموسى نجيًا، واتخذنى حبيبًا وقال: وعزتى وجلالى لأوثرن حبيبى على خليلى ونجيى)**، وقد مر الكلام على المحبة والخلة والفرق بينهما، والكلام على أيهما أفضل، وهذا الحديث صريح فى تفضيل المحبة؛ لأن لها معنيين أحدهما مطلق، وهو فى الخلق مطلق الميل وفى الله إيثاره وتفضيله على غيره، وخاص وهو فى الناس إيثاره على نفسه وغيره، وجعله نصب عينه بحيث لا يفتر عن ذكره وتملكه لقلبه بحيث لا يكون فيه محل لسواه، والخلة المودة والمعاونة مع ميل ما، ولا شك أنها بهذا المعنى أفضل وأعلى، فقول ابن القيم فى كتاب الداء والدواء: ما يظنه بعض الغالطين من أن المحبة أكمل من الخلة فمن جهله، فإن المحبة عامة والخلة خاصة، فإنها نهاية المحبة، فإنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أخبرنا بأنه لم يتخذ خليلاً غير ربه مع إخباره، صلى الله عليه وسلم، بمحبته عائشة وغيرها لم يصادف محزه **(ورسول رب العالمين)** لم ينظم هذا فى سلك ما وقع فى القرآن؛ لأنه وإن ورد فيه كثيرًا إلا أنه لم يقع فيه مضافًا لرب العالمين. قال الأزهرى: الرسول المبلغ لأخبار من بعثه

من قولهم: جاءت الإبل رسلا أى متتابعة، والفرق بينه وبين النبى مشهور.

(والشفيع المشفع) أى المقبول شفاعته، وسمى شافعا أيضًا، وقد تقدم أن له، صلى الله تعالى عليه وسلم، شفاعات سبعة كما تقدم تفصيله.

(والمتقى) والتقى والأتقى لحديث مسلم: **(أنا أتقاكم لله)**، والتقوى لها مراتب مفسرة فى تفسير البيضاوى.

(والمصلح) للخلق بإرشاده وهدايته قال المصنف، رحمه الله: وجد على بعض الحجارة القديمة: محمد تقى مصلح أمين؛ لأنه ألف بين قلوب الناس وأزال ما بينهم من الضغائن كما كان بين العرب والعجم وقبائل العرب، كما قال الله تعالى: ﴿**وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(والطاهر) بالمهملة لطهارته، صلى الله عليه وسلم، من النقائص والأدناس الحسية والمعنوية، حتى ذهب الشافعية إلى طهارة فضلاته كغائطه وبوله ودمه، ورجحه السبكى والبلقينى وأفتوا به كما مر، وقد شربت بوله أم أيمن وشرب جماعة من دمه، ولم ينكره، صلى الله تعالى عليه وسلم، وطهارته من الذنوب والأخلاق الردية كما تقدم.

(والمهيمن) ويأتى أن هذا أسماه به عمه العباس، رضى الله تعالى عنه، فى شعره المشهور الذى مدحه، صلى الله تعالى عليه وسلم، به وقد تقدم روايته له، وفيه:

حتى احْتَوىَ بيتك المهيمن من خندف عَلْيَاءَ تحتها النُّطُقُ[1]

وميمه الأولى مضمومة والثانية مكسورة وروى فتحها أيضا، وهو كما أنه اسم له، صلى الله عليه وسلم، صح أنه من أسماء الله تعالى، ومن أسماء القرآن. قال الله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**﴾ [المائدة: ٤٨]، وفسر فى الآية بمحمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، على أنه حال من كاف إليك، والراجح تفسيره بالقرآن على أنه حال بعد حال من الكتاب، ولذا لم يذكره المصنف فى أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، الواردة فى القرآن، ، وقال ابن قتيبة: إنه من أسماء الله تعالى معناه الشاهد، وقيل: الحفيظ، وقيل: الرقيب، وقيل: القائم على خلقه، وقيل: الأمين، وتبعه المصنف فى بعض ذلك كما يأتى بيانه، وأصله مؤيمن قلبت همزته هاء، وقيل: المهيمن وهو فى أسماء النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالمعنى

(١) البيت من المنسرح، وهو للعباس بن عبد المطلب فى لسان العرب (٣٥٦/١٠)، (نطق)، (٤٣٦/١٣)، (همن)، (٩٠/١٥)، (علا)، تاج العروس (٤٥٨/٤)، وبلا نسبة فى المخصص (١٥/٢)، مقاييس اللغة (٧/٦).

الأول أو الرابع أو الخامس انتهى.

وهو عنده - أى المصنف - مصغر مؤمن على ما سيأتى، وتصغيره للتعظيم، وقد رد هذا وشنع عليه فيه بأن أسماء الله وأسماء النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، والقرآن، بل كل معظم لا يجوز فيها التصغير كما يأتى، ولم يرد مثله، ولذا ارتضى أبو على فى الحجة أنه اسم مكبر ورد بهذه الزنة كالمبيقر والمسيطر، وفتح ميمه يدل على ما قاله، وإذا وصف به القرآن فمعناه رئيس الكتب العالى عليها؛ لحفظه من التغيير والتبديل، وإعجازه ببلاغته ومزاياه، وقيل: معناه المصدق، ويبعده تعديته بعلى إلا أن يقال: إنه لما فيه من معنى العلو وعلى أنه من الأمن ظاهر؛ لأنه أمنهم من الخوف.

(والصادق والمصدوق)، وسمى بالصدق أيضًا، والمصدق اسم فاعل بالتشديد كما ذكره أبو بكر بن عربى، وفى صحيح البخارى: حدثنا رسول الله، وهو الصادق المصدوق قاله ابن مسعود، وقد ورد هذا فى عدة أحاديث رواه السيوطى؛ لأنه صدق الأنبياء والكتب التى قبله، والمصدوق اسم مفعول من صدق المتعدى كما ورد صدق وعده، والصادق من أسماء الله أيضا ورد فى حديث الأسماء كما قاله السيوطى، رحمه الله تعالى.

(والهادى) عده جماعة من أسمائه أخذا من قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الشورى: ٥٢]، وهو من أسماء الله تعالى أيضًا، ويأتى أن الهداية تطلق على خلق الاهتداء ويوصف بها الله تعالى خاصة، وهو المنفى فى قوله: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ [القصص: ٥٦]، على قول، وعلى البيان والدلالة بلطف، وهذه يوصف بها الله تعالى والنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، ويطلق على الداعى، ومنه ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ [الرعد: ٧]، ولا تستعمل إلا فى الخير.

وقوله: **(واهدوهم إلى صراط الجحيم)** تهكم، وهدايته، صلى الله عليه وسلم، لما فيه من صلاح المعاش والمعاد ظاهرة، وقد أشعنا الكلام عليه فى حواشى القاضى.

(وسيد ولد آدم)، وقد ورد إطلاقه عليه فى أحاديث كثيرة صحيحة كما فى حديث الشفاعة: **(انطلقوا إلى سيد ولد آدم)**، وفى الصحيحين: **(أنا سيد الناس يوم القيامة)**، وهو من أسماء الله تعالى أيضًا كما أثبته البيهقى فى كتاب الصفات، فيجوز إطلاقه على الله تعالى وعلى غيره مطلقا، وهو أحد أقوال أربعة، فقيل: يختص بالله مطلقا، وقيل: يختص به معرفا، وقيل: يختص بغيره ولا يجوز إطلاقه عليه، واستدل للأول بأنه لما قال له، صلى الله عليه وسلم، وفد بنى عامر: أنت سيدنا قال: **(السيد هو الله)**، وهو حديث

صحيح كما مر، وتحقيقه أنه على الإطلاق معناه العظيم المحتاج إليه غيره، وهذا مما يوصف به الله وغيره، وأما تخصيصه بغير الله كما روى عن مالك فلأنه لم يثبت عنده إطلاقه على الله تعالى؛ ولأن معناه رئيس القوم الذى يفخر ويعز بأتباعه، وسيد القوم منهم، وهذا لا يليق بالله تعالى؛ ولذا فسر إذا أطلق على الله بما مر، وأما اختصاصه بالله فلأن معناه الملك المتصرف فى أمور غيره، وهذا فى الحقيقة إنما هو لله، وأما التفصيل فلأنه معرفا المعهود بالعظمة وكونه ملجئًا لكل أحد، وهذا مختص به تعالى، وهذا أضعفها.

فإن قلت: إذا صح الأول فما تصنع بالحصر فى حديث «السيد هو الله؟».

قلت: إذا ثبت وصف لشىء وحده أو مع غيره وأريد رده، فللعرب فيه طرق أظهرها أن يؤتى بصريح الحصر كقولك «لا معبود إلا الله» قلبا وإفرادا، أو يعرف الطرفان كالمعبود الله، وهو كالذى قبله معنى إلا أنه قد يختار إيماء لفطنة مخاطبه، فهو أبلغ فى مقامه، أو يجعل من أثبته الزاعم له الصفة عين من هى له فى نفس الأمر، كما يقال للدهرى: الدهر هو الله أى لا دهر ولا تصرف لسوى الله، فأثبت له التصرف ونفاه عما عداه بطريق برهانى، كقوله تعالى: ﴿إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الزخرف: ٨١]، إلى آخره، وهذا نوع أدق من غيره سماه الشيخ التنويع، وذكره سيبويه فى باب الاستثناء، فقوله: السيد هو الله يحتمل إجراؤه على ظاهره، وأن يكون من هذا القبيل، فلا دليل فيه على أنه من أسماء الله تعالى فضلا عن اختصاصه، فاعرفه فإنه من نفائس الذخائر المكنوزة فى دفائن الخواطر. وقد قدمنا ذلك أول الكتاب فى الباب الأول، وإنما أعدناه لطول العهد به، والمراد بولد آدم النوع الإنسانى، وكذا كل جماعة سموا باسم أبيهم جاز إطلاق الأولاد عليه وإطلاقه عليهم كما يقال: تميم له ولأولاده، وكذا يقال بنو تميم لما يشمل تميم وهو القبيلة، وهذا مجاز شاع حتى صار حقيقة عرفية كما فصله القرافى فى كتاب العقد المنظوم، وعده من ألفاظ العموم فمن قال: الولد للواحد والجمع، فإن كان مفردًا ينبغى أن تكون الإضافة للاستغراق بقرينة المقام، أى أنا سيد كل ولد آدم، وإن كان للجميع فالأمر ظاهر، ويلزم من كونه سيد ولد آدم سيادته على آدم إذ فيهم من هو أفضل من آدم كإبراهيم وموسى، عليهما الصلاة والسلام، فقد تكلف بما لا حاجة إليه لعدم وقوفه على ما ذكر ومر فى الحديث: **(أنا سيد ولد آدم يوم القيامة)**، وأنه خص يوم القيامة؛ لأنه يظهر فيه سيادته على سائر المرسلين من غير منازع فيه، وإن كان سيدا فى الدارين كما مر.

(وسيد المرسلين) كما ورد فى أحاديث صحيحة، وإذا كان، صلى الله تعالى عليه

وسلم، أفضل من سائر المرسلين فهو أفضل من سائر النبيين؛ لأن الرسول أفضل من النبى، وإن اختلف فى تفضيل الرسالة والنبوة.

(وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين) جمعهما المصنف، رحمه الله تعالى، لورودهما كذلك فى حديث رواه البزار أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: «ليلة أسرى بى انتهيت إلى قصر من لؤلؤة يتلألأ نورا وأعطيت ثلاثا قيل لى: إنك سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين»، وقد ورد تسميته، صلى الله عليه وسلم، بإمام النبيين وإمام الناس وإمام الخير كما فى الرياض الأنيقة، والأول ذكره ابن سيد الناس فى سيرته، وعن قتادة فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، أن الإمام المراد به النبى، صلى الله عليه وسلم، والإمام فى اللغة المقتدى به، ويطلق على الواحد كقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، وعلى الجمع كقوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، قاله ابن الأنبارى.

وسمى، صلى الله تعالى عليه وسلم، إمام النبيين لأنه أسبقهم فى النبوة الروحانية، ولأنه أمهم فى الإسراء كا مر، وأخرج أحمد والترمذى «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم»، وفى رواية لأحمد «كنت إمام الناس»، ومنها أخذ تسميته، صلى الله تعالى عليه وسلم، به، وإمام المتقين إن أريد به أمته، صلى الله تعالى عليه وسلم، فظاهر، وإن أريد الأعم موافقة لرواية إمام الناس فلاقتداء الأنبياء به، وفى بعض الشروح أن كل متق سواء كان من أمته أو من الأمم السالفة مقتد به؛ لأنهم فى السير الباطنى أشرفوا على المقام المحمدى وآمنوا به واهتدوا بهديه.

وإمام الخير ورد فى حديث رواه ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه، قال: إذا صليتم على رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا له: فعلمنا قال: «قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة، اللهم ابعثه المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون[١]».

وقائد اسم فاعل من القود، وهو تقدمه على من يتبعه باختياره، وهو يقودهم إلى الجنة برضاهم، وفى القاموس القود نقيض السوق، والغر جمع أغر، وأصل الغرة بياض فى جبهة الفرس، فالمراد به مطلق بياض الوجه هنا، والتحجيل بياض فى القوائم، وفى

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٣٥٣)، وابن أبى شيبة (٢/٥٠٨).

الصحيحين: «إن أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء»، وورد بمعناه من طرق كثيرة، وفيه زين لهم، وقد جعل ذلك علامة لهم يعرفون بها بين الأمم يوم القيامة، والتعبير به وبالقود مما هو معروف من صفات الخيل فيه إشارة إلى أنهم جياد سابقون على غيرهم، ففيه استعارة مكنية وتورية كقوله:

النـاس للموت كخيل الطراد والسابق السابق منها الجواد

وبها استدل على أن الوضوء من خصائص هذه الأمة، وقيل: إنه غير مختص بهم، وإنما المختص بهم الغرة والتحجيل لحديث: «هذا وضوئى ووضوء الأنبياء من قبلى»، وأجيب بضعفه واحتمال أن يكون الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، اختصوا به دون أممهم على تقدير صحته بعيد، وكون بياض الغرة أثر الوضوء لا ينافى كونه من أثر السجود، وادعاء أنه غيره فيه نظر. **(وحبيب الله)** تقدم بيانه مفصلا. **(وخليل الرحمن)** تقدم تحقيقه.

(وصاحب الحوض المورود) رواه ابن حبان والحاكم، وقال السيوطى: حديث الحوض مروى عن أكثر من خمسين صحابيا، وتقدم سرد بعضهم فى كلام المصنف، ومنهم أبو برزة الأسلمى وحديثه قال: سمعت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يقول: «إن لى حوضا ما بين أيلة إلى صنعاء عرضه كطوله فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ورق»[(١)]، أى فضة «والآخر من ذهب ماؤه أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأبيض من اللبن، من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة، فيه أباريق عدد نجوم السماء».

وقال القرطبى: ذهب جماعة إلى أن حوضه، صلى الله عليه وسلم، بعد الصراط، والصحيح أن له حوضين أحدهما فى الموقف قبل الصراط، والثانى فى الجنة، وكلاهما يسمى كوثرًا، واختلف هل هو قبل الميزان أوبعده؟، والصحيح أنه قبله، والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون من قبورهم عطاشا، ويزداد عطشهم فى السعى إلى المحشر فيردونه قبل الميزان والصراط، وورد أيضًا تسميته، صلى الله عليه وسلم، بصاحب الكوثر، وسمى به لاختصاصه به، وفى بعض الكتب «لكل نبى حوض»[(٢)]، وتسميته به، صلى الله تعالى عليه وسلم، لعظم حوضه وزيادته، ومثله يحتاج لنقل، والمورود اسم مفعول من الورد بالكسر وهو الذهاب للماء، ويلزمه الشرب عادة؛ فلذا عبر به عنه، وهو وإن كان اسم مفعول لا يدل على المبالغة، فالمراد به كثرة الواردين عليه، ولولاه كان الوصف به لغوًا وقد ورد التصريح به.

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٤/٤٢٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(والشفاعة) أى من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، صاحب الشفاعة، وقد تقدم بيانه.

(و) صاحب **(المقام المحمود)**، وهو مقام الشفاعة العظمى كما مر.

(و) صاحب **(الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة)** الوسيلة السبب الموصل لأمر عظيم، سمى به لأنه سبب لكل خير، وفسر فى الحديث بمنزلة مخصوصة كما ورد فى حديث مسلم السابق: «سلوا الله لى الوسيلة، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون هو»، وأصل الوسيلة كما قال السيوطى القرب من الله والمنزلة عنده، وكونه، صلى الله تعالى عليه وسلم، صاحب فضيلة ودرجة عالية رفيعة حسا ومعنى فى الدنيا والآخرة غنى عن البيان.

(وصاحب التاج) قيل: المراد بالتاج هنا العمامة، ونقل عن المصنف، رحمه الله تعالى، والعمائم تيجان العرب لكونها معروفة عندهم دون غيرهم، فكنى به عن أنه من صميم العرب وأشرفهم حسبا ونسبا، وروري عنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أنه لم يلبس العمامة غيره من الأنبياء، وفى مقدار عمامته وكيفيتها تفصيل فى السير، ولنا فيه رسالة مستقلة، وكان له، صلى الله تعالى عليه وسلم، عمامة تسمى السحاب تحتها قلنسوة، ودخل مكة فى الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء، وهو لا ينافى رواية أنس، رضى الله تعالى عنه، أنه كان على رأسه مغفر، ولبس، صلى الله تعالى عليه وسلم، عمامة حمراء أيضًا، ولم يلبس خضراء أصلاً.

(و) صاحب **(المعراج)**، وهو السلم فهو اسم آلة، وقال السيوطى: هو عروجه وصعوده، صلى الله تعالى عليه وسلم، للسماء، والإسراء سيره من مكة إلى بيت المقدس، فهو مصدر ميمى، فبينهما فرق وإن أطلق كل منهما على الآخر كما مر، وهو الذى تصعد عليه الأرواح والملائكة، ولم يصعد عليه فى الدنيا بجسده أحد غيره، صلى الله تعالى عليه وسلم، فلذا خص بالتسمية به.

(و) سمى أيضًا صاحب **(اللواء)** قال السيوطى: المراد به لواء الحمد الذى تقدم، وقد يحمل على اللواء الذى كان يعقده، صلى الله تعالى عليه وسلم، للحرب، فهو كناية عن القتال. وقال: وهو مما يحمل فى الحرب ليعلم به صاحب الجيش يحمله هو بنفسه، وقد يحمله غيره، وقريب منه الراية، وفرق بينهما.

وفى الترمذى عن ابن عباس، رضى الله عنهما، كانت رايته، صلى الله تعالى عليه وسلم، سوداء ولواؤه أبيض، وقيل: كان مكتوبا عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله،

وأول ما حدثت الرايات فى الإسلام يوم خيبر، وما كانوا يعرفون قبل ذلك إلا الألوية.

(والقضيب) أى من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، صاحب القضيب، وهو السيف كما قاله المصنف، رحمه الله تعالى، وتبعه السيوطى، ويأتى أنه وقع مفسرا به فى الإنجيل حيث قال: معه قضيب من حديد يقاتل به، وأنه يحتمل أن يراد به القضيب الممشوق الذى يمسكه الخلفاء، وفى كتاب البيان للجاحظ أنه كانت له، صلى الله تعالى عليه وسلم، مخصرة وقضيب وعنزة تحمل بين يديه، وهكذا كانت عادة عظماء العرب وخطبائهم، فإذا أريد الأول فهو كناية عن جهاده وكثرة قتاله، وإن كان الثانى فعبارة عن كونه من صميم العرب وخطبائهم، وما قيل من أن المراد به القضيب الذى أعطاه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لبعض الصحابة، فانقلب سيفا كما هو معروف فى معجزاته تكلف ناش من ضيق العطن.

(وراكب البراق والناقة والنجيب) البراق بزنة غراب من المخلوقات العلوية، وروى أن وجهه كوجه الإنسان وجسده كالفرس وقوائمه كالثور وذنبه كالغزال، وليس بذكر ولا أنثى، وسمى به لسرعته أو لبياضه وصفائه، أو لما فيه من قليل سواد من قولهم: شاة برقاء، وركبه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لما أسرى به، واختلف فيه هل ركبه غيره من الأنبياء أم لا؟ وهل ركب معه جبريل أم لا؟ كما تقدم ذلك كله، فإن قلنا: لم يركبه غيره فوجه التسمية به ظاهر، وإن قلنا: ركبه غيره فوجهه أن ركوبه بهذه السرعة وصعوده به إلى السماء مخصوص به على أن وجه التسمية لا يلزم اطراده.

والنجيب الجمل، وقد سمى براكب الجمل أيضا فى الكتب القديمة، كما سمى عيسى، عليه الصلاة والسلام، براكب الحمار؛ ولذا قال النجاشى لما جاءه كتابه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وآمن به: أشهد أن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وسمى به مع ركوبه، صلى الله تعالى عليه وسلم، الفرس والبغل والحمار؛ لأنه كناية عن تواضعه، أو لهجرته عليه، أو كونه من صميم العرب، وكان له، صلى الله تعالى عليه وسلم، جمال ونوق مذكورة فى السير. وقيل: المراد بالنجيب الناقة. وقيل: النجيب اسم فرس له، صلى الله تعالى عليه وسلم، اشتراه من أعرابى، وهو الذى شهد له به خزيمة وهو غريب.

(وصاحب الحجة) وهى الدليل الذى يحج به الخصم، وهو المراد، أو المراد المعجزة وهى بلغت ألفًا وأعظمها القرآن، **(والسلطان)** بضم السين وسكون اللام وقد تضم وهو يذكر ويؤنث، وله معان منها البرهان والملك والنبوة والغلبة، ويصح إرادة كل منها هنا، وسمى صلى الله تعالى عليه وسلم، بهذا فى كتاب شعيا وبعض الكتب القديمة.

(والخاتم) أى صاحب الخاتم بالكسر والفتح، وهو خاتم النبوة الذى كان بين كتفيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كزر الحجلة وبيضة الحمامة، وقيل: إنه كان فيه كتابة الله وحده لا شريك له، أو محمد رسول الله، أو توجه حيث شئت فإنك منصور، وذكره مع السلطان لأنه ورد مقرونًا به فى كتاب شعيا، وقيل: المراد به الخاتم المعروف؛ لأنه لم يعرف فى العرب ولا فى الأنبياء من ختم الكتب سواه، وفيه نظر.

(والعلامة) أى علامة النبوة وهى الخاتم أيضًا، وقد ورد نعته به فى الكتب القديمة، وهو من شواهد نبوته، صلى الله عليه وسلم، الدال على أن الأنبياء ختموا به كما ورد فى حديث، ويجوز أن يراد به مطلق العلامات التى كان أهل الكتاب يعرفونه بها كما يعرفونَ أبناءهم.

(وصاحب الهراوة) بكسر الهاء ثم راء مهملة وألف وواو وتاء تأنيث، وهى العصا. قال فى النهاية: لأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان يمسك بيده القضيب، ويمشى بالعصا بين يديه، وتغرز له ليصلى إليها، وقال الجوهرى: هى العصا الضخمة، وجمعها هراوى كمطايا. وقال المصنف، رحمه الله، كما يأتى أنها العصا الواردة فى حديث الحوض أنه يذود بها الناس عنه.

وقال النووى: إنه ضعيف أو باطل؛ لأن المراد وصفه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بما يعرفه الناس ويعلم أهل الكتاب أنه المبشر به فى كتبهم، فلا وجه لتفسيره بأمر يكون فى الآخرة، فالصواب ما تقدم، ومن سنن الأنبياء حمل العصا تواضعًا.

(والنعلين) أى صاحب النعلين، وقد ورد تسميته، صلى الله تعالى عليه وسلم، بهذا فى الإنجيل، وفى كيفية نعليه كلام مفصل أفرده بعض أهل العصر بالتأليف، وكان له صلى الله تعالى عليه وسلم، نعلان سبتية. بكسر السين أى لا شعر عليها، أو مدبوغة. وما قيل من أنه سمى به لما فيه من مخالفته لأهل الجاهلية من تنعلهم فى رجل واحدة، وقد ورد النهى عنه فى الحديث والأولى تركه.

(ومن أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى الكتب) الإلهية المنزلة على من قبله من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، **(المتوكل)** هو اسمه فى التوراة، ونصها أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل، وهو الذى يكل أمره إلى الله ويعتصم به، والتعلق بالله على كل حال، وقيل: التوكل ترك تدبير النفس، والانخلاع من الحول والقوة، وهو فرع التوحيد، وكان صلى الله عليه وسلم، أرسخ الأنبياء قدمًا فيه، وتوكل العوام مباشرة الأسباب مع الاعتماد على مسببها، وإليه الإشارة بقوله، صلى الله عليه وسلم: «لو توكلتم على الله

حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو بطانا وتروح خماصا»، وتوكل الخواص وهو ترك الأسباب بالكلية.

(والمختار) اسم مفعول من الاختيار، وهو الاصطفاء لأنه خيار من خيار، وفى التوراة عبدى المختار لافظ ولا غليظ.

(ومقيم السنة) سمى به فى التوراة والزبور فى قوله: اللهم ابعث لنا محمدا يقيم السنة بعد الفترة، لن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء. والمراد سنة من قبله من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وطريقتهم بإظهار التوحيد ودعوة الخلق، من قامت السوق نفقت، ففيه استعارة مكنية بجعل ذلك كالأمتعة المرغوب فيها أو معدلها ومسويها.

(والمقدس) بالتشديد اسم مفعول، وفى الرياض الأنيقة معناه المفضل على غيره، وقال ابن دحية: معناه المطهر المنقى من دنس الذنوب والنقائص، من التقديس وهو التطهير، ومن أسماء الله تعالى القدوس أى المنزه عن سمات النقص والحدوث، وقيل تقديسه الصلاة عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وروح القدس) بضمتين وضم وسكون، وهذا سقط من بعض نسخ الشفاء أى الروح المقدسة من النقائص، وروح القدس فى القرآن فسر بجبريل، عليه الصلاة والسلام، والقدس الطهارة أو الله، وإضافة الروح له تشريفية كروح الله عيسى.

(وروح الحق) الحق هو الله، وقال الشيخ ابن عربى فى الفصوص: إنه اسم الله الأعظم، وهو ﷺ مظهره **(وهو)** أى روح القدس وروح الحق **(معنى البارقليط فى الإنجيل)**، فإنه فيه سمى النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، الفارقليط، وفسر بما ذكر، ورأيته مفسرًا به فى شرح الإنجيل للمسيحى الطيب إلا أنه حرفه، وقال: المراد بروح الحق أحد الأقانيم الثلاثة عندهم قاتلهم الله.

(وقال ثعلب) وهو أحمد بن يحيى الشيبانى البغدادى إمام أهل اللغة والعربية المشهور ومولده فى حدود المائتين، ووفاته فى جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين ومائتين فى تفسير له: **(البارقليط الذى يفرق بين الحق والباطل)**. قال ابن دحية وهو اسمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى الكتب المنزلة القديمة، وروى عن ابن عباس أيضًا، وروى بالفاء الفصيحة وبالباء غير صافية، وفى المقتفى للحلبى: الذى أحفظه أنه بموحدة فى أوله وألف وراء مكسورة وقاف ساكنة ثم لام تليها ياء مثناة تحتية ساكنة وطاء مهملة وهو الصحيح، وفى بعض الحواشى أنه روى بفتح الراء وقد تسكن وقاف تفتح مع السكون وتسكن مع الفتح، ومعناه محمد، وفى الرياض الأنيقة معناه الحامد أو الحماد، والذى

عليه أصحاب الإنجيل أن معناه المخلص، وعبارة الإنجيل إنى ذاهب إلى أبى وأبيكم ليبعث إليكم الفارقليط.

وفى شرح هياكل النور للدوانى: أنه بالفاء ثم ألف وراء مكسورة وقاف ساكنة ولام مكسورة ثم طاء مهملة وألف مقصورة، وهو لفظ عبرانى معناه الفارق بين الحق والباطل، والمراد مظهر الولاية التى هى باطن النبوة، والمراد بأبى وأبيكم ربى وربكم، والأوائل يسمون المبادى بالآباء انتهى.

فالحاصل: أنه بباء مشوبة بفاء وآخره ألف، ثم عرب بباء وفاء وحذفت الألف من آخره، ففيه ثلاثة أوجه، وقالوا: حقيقته المخلص كما علمت، وتفسيره بالفارق إلى آخره بيان لحاصل المعنى، ومن كذب جهلة النصارى أن الفارقليط نار تنزل على التلاميذ من السماء بها يفعلون العجائب، وفى ترجمة الإنجيل: إذا أوحشتمونى فاحفظوا وصيتى، وأنا أطلب ليعطيكم فارقليط آخر يكون معكم الدهر كله.

قال بعض أهل العلم بالكتب السالفة: هذا صريح فى أن الله يبعث إليهم من يقوم مقامه فى تبليغ رسالته، وتكون شريعته مؤيدة وليس إلا هو محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهم يختلفون فى معنى الفارقليط، والذى صح عنهم أنه الحكيم الذى يعرف السر، وفى الإنجيل ما يدل على أنه الرسول، فإنه قال: هذا الكلام الذى تسمعونه ليس هو لى بل للأب الذى أرسلنى أكلمكم بهذا وأنا معكم، وأما البارقليط فروح القدس الذى يرسل إلى باسمى، فهو يعلمكم كل شىء ويذكر جميع ما أقول لكم، وهم يزعمون أن روح القدس تفسير للبارقليط كما رأيته فى شرح الإنجيل، وأما الأب فكلمة تعظيم للعلم، وهم يسمون العلماء آباء روحانية، وقوله: يرسل باسمى أى يشهد بصدق رسالتى، وبهذا اتضح لك لفظه ومعناه، وهذا مما انتخبته من كتب عديدة فاحفظه.

(ومن أسمائه، صلى الله عليه وسلم، فى الكتب السالفة: ماذ ماذ، ومعناه طيب طيب) وروى موذ موذ وميذ ميذ، والأول هو الذى صح روايته عند المصنف، والثانى ذكره العزقى وقال: إنه اسمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى صحف إبراهيم، وذكر الثالث وقال: إنه اسمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى التوراة، وهو بميم مفتوحة وألف غير مهموزة وذال معجمة ساكنة كما فى المقتفى، وقال: إنه ينبغى ضم ذاله لأنه اسم غير منصرف للعلمية والعجمة، وتقديره أنت ماذ ماذ أو ياماذ، ونقل الشهاب الحجازى الأديب شيخ السيوطى نقلا عن السهيلى أن ميمه مضمومة وألفه مهموزة بين الواو والألف، وقال: إنه سمعه من بعض أحبارهم، والظاهر أنه تكرار للتأكيد، أو المراد أنه طيب فى نفسه أو فى دنياه، وطيب فى صفاته وآخرته، وكونه اسمًا واحدًا مثل مرمر،

أو مركب خلاف الأصل، وقيل: إن داله مهملة.

وفى شرح رسالة الكندى المنسوب للغزالى أنه سمع ممن أسلم من أحبار اليهود أنه فى التوراة إشارة لمحمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى قوله لإبراهيم: إنى قد استجبت لك فى إسماعيل وأنا أباركه وأعظمه بماذماذ، وهو محمد من طريق العدد؛ لأن فيه ميمين فى مقابلة وباء موحدة وألفين ودالين باثنى عشر، وهو عدد الحاء والدال من محمد، وهذا يقتضى أن داله مهملة وهذا لم يذكره أحد من أرباب الحواشى والشروح، وما قاله التلمسانى من أنه يحتمل أن يكون مأخوذا من الماذى وهو العسل الأبيض لحلاوته فى ذاته وصفاته، أو الماذى بمعنى الدرع اللينة السهلة؛ لأنه حصن حصين للعالمين ليس بشىء؛ لأنه يقتضى أنه عربى و لم يقل به أحد قط.

(وحمطايا) هذا وما قبله رواه أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، وضبطه الشمنى فى حاشيته بفتح الحاء المهملة وفتح الميم المشددة وطاء مهملة مخففة وألفين بينهما مثناة تحتية، وفى الغريبين أنه بكسر الحاء وميم ساكنة تليها ياء مثناة تحتية وألف ثم طاء وألف هكذا حمياطا، وفى المواهب أنه بفتح الحاء وسكون الميم ومثناة تحتية وألف وطاء مهملة وألف بعدها، وقال: إنه بكسر وياء أو نون، وأما معناه فقال أبو عمرو عن بعض الأحبار: إن معناه يمنع من الحرام ويحمى الحرم، أى يمنع ما كان فى الجاهلية من الأنكحة وغيرها من المحرمات، فالحرم بفتحتين أو بضم ثم فتح، وفى الرياض الأنيقة معناه حامى الحرم أو نبى الحرم.

(والخاتم والحاتم حكاه كعب الأحبار) تقدمت ترجمته واختلف الشراح فى ضبطه وروايته، فقيل: هما بالخاء المعجمة إلا أن الأول بفتح التاء والثانى بكسرها، أو بالعكس وهو بعيد لأنه تقدم، فلا وجه لإعادته، وقيل: الأول معجمة والثانى مهملة، وفسر بأنه أحسن الأنبياء خلقا وخلقا كما ذكره، والظاهر أنه من الحتم وهو الإحكام لأحكام القضاء والأحكام ويجمع على حتوم كما قال أمية بن أبى الصلت(١):

عبادك يُخْطِئونَ وأنت رب ... بِكَفَّيْك المنايا والحتوم

والحاتم: القاضى كما فى الصحاح، ووجه الأول أنه جمال الأنبياء كالخاتم الذى يتزين به، فهذا إن كان تفسيرًا للخاتم بالمعجمة، فهو فى قوله: **(وقال ثعلب: فالخاتم الذى ختم الله به الأنبياء، والخاتم أحسن الأنبياء خلقا وخلقا)** يكون إشارة إلى تفسيره

(١) البيت من الوافر، وهو لأمية بن أبى الصلت فى ديوانه (ص٥٤)، لسان العرب (١٢/١١٣)، تاج العروس (حتم)، وبلا نسبة فى المخصص (١٢/٢١٥).

على وجه يسقط به التكرار، وسكت عن الثانى لظهوره، وإن كان الأول هنا بالمعجمة والثانى بالمهملة كما ضبط فى بعض الشروح والحواشى، وهو مروى عن المصنف، ففيه مع التكرار أن تفسير الحاتم بالمهملة بما ذكر ليس معروفا فى اللغة، وإنما معناه ما تقدم حتما إلا أن يتكلف أنه من الحتم بمعنى الخالص، وقد قالوا فيه: إنه مقلوب من المحت ولك أن تقول: إنه من الختامة وهى بقية الطعام كأنه آخر ما بقى من نعم الله تعالى، وقرن بالخاتم وإن تكرر لهذه النكتة والعجب من الشراح إذ لم يتعرضوا لهذا مع ظهوره.

(ويسمى بالسريانية)، وهى لغة آدم عليه الصلاة والسلام، وأول اللغات، ومنها تشعبت سائر اللغات ثم صار أصول اللغات ثلاثا السريانية والعبرانية والعربية، وفى بيان معنى نسبتها كلام لا حاجة إليه هنا، وهى بضم السين وراء ساكنة أو مكسورة، وما قيل: إنه من السر لأن الله تعالى علمها لآدم سرًا بعيد، وقال السيوطى، رحمه الله تعالى: إن سؤال القبر بالسريانية.

(مُشَفّح) بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفاء مفتوحة أو مكسورة مشددة فيهما وروى بالقاف وحاؤه مهملة، وسمى به، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى كتاب شعيا، وقال البرهان: لا أعلم صحته ولا معناه، ونقل بعض أهل العصر عن ابن فورك أن معناه محمد؛ لأنهم يقولون: شفح لاها أى يحمد الله وتبع فيه التلمسانى.

(والمنحمنا) قال البرهان: هو بضم الميم ونون ساكنة ثم حاء مهملة مفتوحة وميم مكسورة ونون مفتوحة مشددة وألف مقصورة، وقال التلمسانى: الميم الثانية مثلثة ومعناه روح القدس، وهو بالسريانية محمد، وبالرومية البرقليطس، ونحو منه فى تذكرة الصفدى، وضبطه بعضهم بفتح الميمين، ونقله السيوطى عن ابن دحية، وقال ابن سيد الناس فى السيرة: معناه محمد، وهو محتمل لأنه اسم له ولكونه بمعناه.

(واسمه فى التوراة أحيد) قال الشمنى هو بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح المثناه التحتية وكسرها ودال مهملة، وقيل: إنه بفتح الحاء المهملة وسكون الياء التحتية، والمحفوظ فتح الهمزة وسكون المهملة وفتح التحتية، وهو غير عربى، وفى الكامل رواية عن ابن عباس، رضى الله عنهما، أنه، صلى الله عليه وسلم، قال: «اسمى فى القرآن محمد، وفى الإنجيل أحمد، وفى التوراة أحيد، وإنما سميت أحيد لأنى أحيد أمتى عن نار جهنم»[1]، وكذا أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق، ويؤيده أنه ضبطه بكسر الحاء مع فتح الهمزة وضمها، وهو عربى من حاد يحيد إذا عدل ومال إن لم يكن من توافق

(١) أورده الذهبى فى الميزان (٧٣٩)، وابن حجر فى لسان الميزان (١٠٩٦/١)، وفى تنزيه الشريعة (٣٣٨/١)، والفوائد المجموعة (٣٥٩).

اللغات، وذكره الماوردى فى تفسيره وضبطه بمد الألف وكسر الحاء كما فى الرياض الأنيقة، وفى الشرح الجديد أن الذى فى النسخ بضم الهمزة وحاء مكسورة مهملة ومثناة تحتية ساكنة، والمشهور فتح الهمزة وسكون الحاء وفتح الياء، وفى نسخة بفتحها وكسر الحاء وسكون الياء، وما قيل أنه من الواحد لانفراده فى ذاته وصفاته فيه ما لا يخفى.

(وروى ذلك ابن سيرين) الإمام الحجة الثقة الزاهد الورع الشائع صيته فى الآفاق أبو بكر محمد بن سيرين الأنصارى، وروى عنه الأئمة الستة، وتوفى بعد مائة وعشر، وهو من أعلم التابعين، رضوان الله عليهم أجمعين، ثم إنه رجع إلى تفسير بعض الأسماء السابقة فقال: **(ومعنى صاحب القضيب أى السيف)** كما تقدم، ومعنى مبتدأ خبره **(وقع ذلك مفسرًا فى الإنجيل قال)** أى الله فى الإنجيل، وكون فاعله ضمير الإنجيل تجوزا تكلف، وفى القاموس القضيب: السيف القاطع كالقاضب سمى به من القضب؛ لأنه اقتطع من الحديد **(معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك)** أى يقاتل بالسيف الأعداء.

ثم أشار إلى معنى آخر فقال: **(وقد يحمل على أنه القضيب الممشوق)** أى قد يفسر به، وهو مجاز من الحمل على الظهر، فيجعل التأويل به كجعله استعارة صارت حقيقة شائعة فيه، وقد للتحقيق، وقد تجعل للتقليل لقلة تفسيره بالنسبة لما قبله، وقضيب فعيل بمعنى فاعل من قضبه بمعنى قطعه، فهو فى السيف بمعنى أنه بالغ فى القطع إلى حد لم يصل إليه سواه، فهو عبارة عن شجاعته وكثرة جهاده وكثرة غزواته وفتوحاته وغنائمه، فإن كان بمعنى العصا فهو بمعنى مفعول؛ لأنه مقطوع من الشجر، وقد مر أنه كان له، صلى الله تعالى عليه وسلم، عصا على عادة العرب فى اتخاذ عظمائهم وخطبائهم عصيا يشيرون بها كما قال الشاعر(١):

فى كَفِّه خَيْزرانٌ ريحهُ عَبِقٌ فى كَفِّ أَرْوَعَ فى عِرْنِينهِ شَمَمٌ

كما فى كتاب العصا للجاحظ وفى القاموس قضيب ممشوق طويل دقيق من المشق، وهو جذب الشىء ليطول، وكان له، صلى الله تعالى عليه وسلم، قضيب يسمى الممشوق، ومحجن يستلم به الركن، وقال ابن الجوزى: كان له صلى الله تعالى عليه وسلم، قضيب، وهو **(الذى كان يمسكه، عليه الصلاة والسلام، وهو الآن عند الخلفاء)**

---

(١) البيت من البسيط، وهو للفرزدق فى ديوانه (١٧٩/٢)، لسان العرب (٢٣٨/٤)، تاج العروس (١٥٩/١١)، وله أو للحزين الكنانى فى لسان العرب (٤٨٦/١٣)، تاج العروس (جنه)، وبلا نسبة فى تهذيب اللغة (١٤٠/٢)، مقاييس اللغة (٤٨٢/١).

يمسكونه تبركًا به، فكان لهم واحدًا بعد واحد.

(وأما الهراوة التى وصف بها) وصفا لغويا فى تسميته صاحب الهراوة، وتقدم تفسيرها فكان، صلى الله تعالى عليه وسلم، يحملها ويتوكأ عليها، وهو من سنن الأنبياء، **(فهى فى اللغة العصا وأراها والله أعلم)** بضم الهمزة أو فتحها بمعنى أظنها أو أعتقدها، أو أن المراد بها هنا فى التسمية **(العصا المذكورة فى حديث الحوض)** الذى قال فيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، (: **أذود الناس عنه بعصاى لأهل اليمن)** أذود بمعنى أطرد وأمنع، وهذا بذال معجمة فى أوله ومهملة فى آخره، وهذا الحديث رواه مسلم فى المناقب هكذا لأهل اليمن أى لأجلهم؛ فإنهم على بعد شقتهم أجابوا دعوته، صلى الله تعالى عليه وسلم، من غير تردد وقتال، فيوردهم الحوض قبل غيرهم ليريحهم كما أراحوه، فالجزاء من جنس العمل، وفيه روايات فروى لأهل اليمن كما ذكر، ومع صحته معنى قالوا: إنه من طغيان القلم، وعن النووى أن هذا التوجيه ضعيف أو باطل؛ لأن المراد تعريفه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بصفة يعرفها الناس ويستدل بها عليه، وأنه المبشر به في الكتب السالفة التى ميز فيها العنوان، فلا وجه لتفسيره بما فى الآخرة مما لم يتيقنوه، ولكن يكفى فى ذلك ذكره ما وقع فى الكتب الإلهية التى لم يقرأها، أو يقول من فسره بهذا إنما أراد تفسيره بأمر مختص به ويصير علما له، وتقدم أنه قيل: الأحسن حمله على العصا التى أعطاها، صلى الله تعالى عليه وسلم، لبعض الصحابة فانقلبت سيفا، فإنه معجزة له، كما قال الصرصرى يمدحه، صلى الله تعالى عليه وسلم:

وعصاه لما مسها بيمينه فضلت عصا صارت إلى ثعبان

يعنى أنها صارت معجزة أقوى من معجزة موسى، عليه الصلاة والسلام، بعصاه.

(وأما التاج فالمراد به العمامة) كما تقدم، **(ولم تكن حينئذ)** أى فى عهد مبعثه وحياته، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(إلا للعرب، والعمائم تيجان العرب)** أى قائمة مقام تيجان العجم المعهودة بينهم، والتاج ما يوضع على الرأس من الذهب المرصع بالجواهر، والعمائم جمع عمامة، وسيأتى الكلام على عمامته ﷺ، ولما لم يقنع فى وصف الحبيب المعمم بما مر.

قال: **(وأوصافه)** أى الأوصاف التى أطلقت عليه، **(وألقابه وسماته)** جمع سمة، وهى العلامة كما تقدم **(فى الكتب كثيرة)**. أراد بها كتب الحديث والسير، أو الكتب الإلهية، **(وفيما ذكرناه منها مقنع إن شاء الله)**. أى فى المقدار الذى ذكره ما يحصل به القناعة عن غيره مما فى الكتب، وفى المصباح مقنع كجعفر ما يقنع به. يعنى أنه اسم مكان

تجوز به عما يقنع به، وقيل: إنه مصدر ميمى من قنع بمعنى رضى، والأول أولى، وفى بعض النسخ هنا زيادة من إلحاق المصنف، وهى: **(وكانت كنيته المشهورة)**، والكنية ما صدر بأب أو أم ونحوه **(أبا القاسم)** اشتهر بها، صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأنه أول أولاده، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما تقدم.

(وروى عن أنس، رضى الله تعالى عنه) رواه أحمد فى مسنده، والبيهقى **(أنه لما ولد له)** أى للنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولده **(إبراهيم)** من مارية القبطية جاريته المشهورة **(جاءه جبريل، عليه الصلاة والسلام، فقال له: السلام عليك يا أبا إبراهيم)**، فكناه به كما كناه بالقاسم، ومما كنى به، صلى الله تعالى عليه وسلم، أبو الأرامل، وأبو المؤمنين، وقرئ فى الشواذ، «وأزواجه أماتهم، وهو أب لهم»، وقيل: إن هذا وأمثاله مما لم يضف للأبناء الحقيقية لقب لا كنية كأبى تراب.

* * *

(فصل فى تشريف الله تعالى له، صلى الله تعالى عليه وسلم)

أى تعظيمه وتفضيله **(بما سماه به من أسمائه)** عز وجل، والباء سببية أو للتعدية، و**(الحسنى)** أى الحسنة الجليلة لدلالتها على معان محمودة، وقال الراغب: الفرق بين الحسن، والحسنة، والحسنى، أن الحسن يقال فى الأعيان، والأحداث، وكذلك الحسنة إذا كانت وصفا لا اسما، فإذا كانت اسما فهى متعارفة فى الأحداث، والحسنى تكون فى الأحداث دون الاعيان انتهى.

(ووصف به من صفات العلى) بالضم جمع عليا ككبر وكبرى، وفى بعض النسخ العليا، وفى المصباح العليا كل مكان مشرف ولا وجه لتخصيصه بالمكان، وقال الراغب: العلى جمع لتأنيث أعلى بمعنى أفضل، وأشرف والصفتان كاشفتان.

(قال القاضى أبو الفضل) هو عياض المصنف، **(رضى الله عنه)**، وهو مما عبر به عن نفسه من غير قصد التمدح لاشتهاره، أو زاده تلاميذه كقوله فى بعض النسخ، وفقه الله، والتوفيق تهيئة الأسباب الموافقة، وهى جملة دعائية معترضة **(: ما أحرى)** بفتح الهمزة وحاء ساكنة مهملة وراء مقصور بمعنى أحق وأولى، وهى صيغة تعجب من زيادة لياقته **(هذا الفصل)** قال البرهان: الفصل ضبط فى الأصل بالرفع، والظاهر نصبه لأن ما تعجبية كما تقول: ما أكرم زيدا كما هو معروف فى النحو **(بفصول الباب الأول)** المعقود لثناء الله عليه، وإظهار عظيم قدره، وهذه التسمية دالة على ذلك كما أشار إليه بقوله:

(لانخراطه فى سلك مضمونه) أى لدخوله فيما تضمنه، ودل عليه من المناقب التى خرست عندها ألسنة الأقلام، وفى السلك استعارة تخييلية ومكنية غير أنهم فسروا الانخراط بالانتظام، وقد تتبعت اللغة وكلام العرب فلم أجد الانخراط بهذا المعنى، بل هو مناف له فإن اخترط السيف إخراجه من غمده، واختراط ورق الشجر إزالته عنه بجمع الكف، ومنه خرط القتاد إلا أنهم استعملوها كثيرًا فى كلام المصنفين الموثوق بهم كالزمخشرى والسكاكى، ولم يزل هذا يختلج فى صدرى، ولم أجد ما يثلجه حتى وجدت ابن عباد قال فى جامع اللغة: خرطت الجواهر جمعتها فى الخريطة، وهى الكيس، فعلمت أن هذا منه غير أنهم تسمحوا فى استعماله، فذكروا السلك مكانه لأنه مثله فى جمع الجواهر، فحمدت الله على ذلك.

(وامتزاجه) أى اختلاطه بحيث لا يتميز أحدهما عن الآخر ومنه المزاج **(بعذب معينها)**، وهو بفتح الميم وكسر العين المهملة بمعنى الجارى مطلقا، أو على وجه الأرض، وأصله معيون فاعل كمبيع فهو من عين الماء وميمه زائدة، وقيل: إن وزنه فعيل ومعناه البعيد مجراه من أمعن فى سيره، والعذب الحلو الذى يتغذى به، وفى تفسيره بالغزير مسامحة، ووجه الاستعارة فيه ظاهر، ثم استدرك الاعتذار عن عدم ذكره فى الباب الأول فقال: **(لكن الله لم يشرح الصدر للهداية إلى استنباطه)** أى لم يفتح الله عليه به أولا بإخراجه فى محله، وأصل الاستنباط إخراج الماء ففيه مع ما قبله مناسبة لطيفة، وفى ذكر الحوض الآتى بعده لطف.

يزيدك وجهه حسنًا إذا ما زدته نظرًا

وقوله: **(ولا أثار)** أى دل دلالة واضحة **(الفكر)** بكسر الفاء وسكون الكاف أو فتحها جمع فكرة **(لاستخراج جوهره والتقاطه)** أى استخراجه من بحاره، وأخذ لقطته، وهذا ناظر لانخراطه فى سلكه، ففيه استعارة ولف ونشر غير مرتب، ففيه درة ودرة **(إلا عند الخوض فى الفصل الذى قبله)** أى لم يهده الله للوقوف عليه إلا عند الشروع فيما قبله، وأصل الخوض الشروع فى المرور فى الماء، فاستعير لمطلق الشروع إلا أنه كما قال الراغب أكثر ما ورد فى القرآن فيما يذم الشروع فيه، **(فرأينا أن نضيفه إليه)** أى إلى الفصل الذى قبله بأن نذكره عقبه لمناسبته له، ومراده أن يجعله كالضيف الذى أنزل عنده؛ فلذا قال: **(ونجمع به شمله)** أى نضمه إليه، والشمل بمعنى المتفرق أى نجمع ما تشتت منه، ويكون بمعنى الجمع فهو من الأضداد.

(فاعلم) خطاب لكل من يصح توجيه الخطاب له كما مر **(أن الله تعالى خص كثيرًا من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، بكرامة)** أى بأمر أكرمه وشرفه به **(خلعها عليهم من**

أسمائه) أى أعطاها لهم وألبسها إياهم، والأصل فى الخلعة أنها ثوب يلقيه الملك على من يكرمه أو يوليه ولاية، وشاع فى عرف الكتاب تسمية الخلعة تشريفًا، وإليه أشار المصنف، رحمه الله تعالى، بقوله فى أول هذا الفصل فى تشريف الله له بما سماه من أسمائه، ففيه لطف لم يتنبهوا له، وفى نسخة عليه بالإفراد، وفى نسخة جعلها بدل خلعها، والصحيح الأول لما عرفته، وفيه استعارة لطيفة بجعل السم خلعة لما فيه من الشهرة وإظهار التكريم.

(كتسمية إسحاق وإسماعيل بعليم وحليم) فى قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨]، يعنى إسحاق، وقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، يعنى إسماعيل، وهذا بناء على أن المبشر به إسحاق، وقيل: هو إسماعيل. قيل: ولهذا جمع المصنف، رحمه الله تعالى، هنا بين إسحاق، وإسماعيل.

(وإبراهيم بحليم) فى قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].

(ونوح بشكور) أى كثير الشكر فى قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، فى الإسراء بناء على إن الضمير له لا لموسى، عليهما الصلاة والسلام، كما تقدم.

(ويحيى، وعيسى ببر) فى قوله: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ [مريم: ١٤]، ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾ [مريم: ٣٢]، وهو صفة مشبهة من البر، والبر خلاف البحر لما فيه من السعة، توسعوا فيه فاشتقوا منه أى التوسع فى فعل الخير، وينسب ذلك تارة إلى الله نحو ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]، وإلى العبد فيقال: بر العبد ربه أى توسع فى طاعته، فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة، وذلك ضربان: ضرب فى الاعتقاد وضرب فى الأعمال، وقد استعمل منه قوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية؛ ولذا لما سئل النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، عن البر تلا هذه الآية، وبر الوالدين التوسع فى الإحسان إليهما، ويستعمل البر فى الصدق لكونه بعض الخير المتوسع فيه، قاله الراغب.

(وموسى بكريم وقوى) فى قوله تعالى: ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: ١٧]، وقوله: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، وفى بعض النسخ بدل كريم كليم، والصحيح الأول لأنه لم يسم به الله، وإن كان الكلام من صفاته.

(ويوسف بحفيظ عليم) أى حافظ كثير العلم، وهذا فى قوله تعالى: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

(وأيوب بصابر) فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ [ص: ٤٤].

(وإسماعيل بصادق الوعد) فى قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤]؛ لشهرته بوفاء ما وعد به من صبره على الذبح ووفائه به، ولا يرد عليه أن فيما ذكر ما هو من كلام الملائكة والأنبياء؛ لأنه تعالى حكاه وأقره، فكان فى الحقيقة وصفا من الله بما ذكر، وإسماعيل هو ابن إبراهيم، عليهما الصلاة والسلام، لا ابن حزقيل عليه السلام فإنه قول غير مشهور.

وما قيل من أن هذه الصفات يوصف بها كل من قامت به، فكل من قام به علم أو حلم يقال له: عليم وحليم مثلا، فلا اختصاص لهذه الأسماء بمن ذكر، والجواب بالفرق بين ثناء الله تعالى وثناء غيره، فالاختصاص من حيث أن الله تعالى وصفهم بها، وفيه غاية الاختصاص، وثناء الله على كثير من المؤمنين بالصبر والصدق أيضًا لا ينافيه؛ لأن الثناء بهذه الصفات على هؤلاء من حيث أن الله تعالى جبلهم عليها، وكذا ما قيل من أن عيسى، عليه الصلاة والسلام، هو الذى وصف نفسه بما ذكر إلا أنه لما كان فى الحال الطفولية والله هو الذى أنطقه على خرق العادة، فالواصف هو الله فى الحقيقة. كلها تكلفات نحن فى غنية عنها؛ فإن المصنف لم يذكر الاختصاص، وإنما قال: إن من أسماء الله تعالى ما سمى به رسله تشريفا لهم وبيانا لتخلقهم بأخلاقه، ولا شك أن الصفات إذا أجريت على الله تعالى فلها معان لا تليق بغيره، ولما كان سمى ببعض منها بعض رسله دل على أنها بمعنى لا يليق بغيرهم أيضا.

وقد قال ابن القيم فى كتاب الفوائد: إن الأسماء التى تطلق على الله تعالى وعلى غيره اختلف فيها، فقيل: إنها حقيقة فى الله مجاز فى غيره، وقيل على العكس، وقيل: إنها مشتركة بينهما وإن كان هذا محتاجا للبسط والبيان.

(كما نطق بذلك الكتاب العزيز) أى كما دل عليه القرآن نصا وتصريحا، فالنطق مجاز عما ذكر كما فى قولهم: نطقت الحال، والعزيز بمعنى الغالب لغيره من الكتب بإعجازه واستيعابه لما ليس فى غيره من الكتب **(من مواضع ذكرهم)** أى مستفادا من مواضع ذكرهم فيه، وإن حكاه عن غيره ففيه إشارة لما تقدم.

(وفضل نبينا محمدًا، صلى الله تعالى عليه وسلم) فى القرآن على غيره ممن ذكر **(بأن حلاه منها فى كتابه العزيز)** الباء سببية متعلقة بفضل، وحلاه بفتح الحاء المهملة وتشديد اللام من الحلية وهى الصفة الظاهرة، أو الحلى التى يتزين بها أى بأن وصفه أو زينه وكرمه بما وصفه وسماه به فى القرآن، **(وعلى ألسنة أنبيائه)** فى الكتب المنزلة عليهم، أو فيما نقل لنا عنهم **(بعدة كثيرة)** بكسر العين وتشديد الدال، أى بعدة أسماء وصفات كثيرة، فميزه بكثرتها؛ لأن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى.

(اجتمع لنا منها جملة) أى أنه جمع منها أسماء متعددة **(بعد إعمال الفكر)** مصدر أعمله أى جعله عاملا فاعلا لما يريده، فكأنه استخدم أفكاره فى النظر فيما يؤخذ منه ويدل عليها، **(وإحضار الذكر)** أى استحضارها وتذكرها، وذاله معجمة مكسورة وجوز ضمها، وتفسير الذكر بالقرآن هنا لا وجه له، والحاصل أنه اجتهد فى جمعها وبذل فيها جهده وطاقته.

(إذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين). قيل: هما رؤوف رحيم فى سورة براءة، **(ولا من تفرغ فيها لتأليف فصلين)** الفراغ خلاف الشغل الحسى والمعنوى. يقال: تفرغ لعمله إذا اشتغل به وترك غيره، وإذ تعليل لما قبله.

(وحررنا منها فى هذا الفصل نحو ثلاثين اسما)، ونحو هنا بمعنى قريب أى يقرب من هذا العدد، فلا يضر زيادة أو نقص قليل منها، كما أن فوق فيما سبق بمعنى أزيد، والتحرير بمعنى الكتابة أو التهذيب والتحقيق كما مر.

(ولعل الله تعالى) أى أرجو من الله تعالى عز وجل الذى ألهمنا أن يتم ما ألهمنا والمراد الدعاء **(كما ألهم إلى ما علّم منها)** ضمن ألهم معنى أرشد وهدى، فعداه بإلى فإنه يتعدى بها وباللام، وعلم بتشديد اللام أى علمنى من هذه الأسماء، **(وحققه)** أى بين حقيقته، أو جعله محققا متيقنا وأطلعه عليه **(يتم)** هذه **(النعمة)**، وهى التعليم والتحقيق **(بإبانة)** أى إظهار **(ما لم يظهره لنا)** حتى نقف عليه، والكاف للتشبيه، وقدم المشبه على المشبه به اهتمامًا به، أو هى للمبادرة كما فى قولهم كما يدخل صلى **(الآن)** مبنى على الفتح والألف واللام لازمة زائدة، أى لم يظهره إلى حين تحرير هذا الفصل، **(ويفتح غلقه)** بفتح الغين المعجمة وفتح اللام والقاف، وهو ما يغلق أى يقفل به كما فى المقتفى وفى بعض الشروح أنه بضمتين، وهو الباب المغلق، ففيه استعارة تصريحية مرشحة، ويجوز أن يكون بفتحة ثم بكسرة بزنة كتف، من قولهم كلام غلق فالاستعارة تبعية فى قوله يفتح.

(فمن أسمائه تعالى الحميد بمعنى المحمود)، فهو فعيل بمعنى مفعول لاستحقاقه الحمد؛ **(لأنه حمد نفسه وحمده عباده)** ببناء الفعل للفاعل فيهما، وذكر الأول توطئة للثانى وبيانا لأنه المحمود الحقيقى، وحمد غيره له إنما هو بإقداره عليه وخلقه لقوة النطق فيه، فكأنه فى الحالين حمد نفسه، وبهذا فسر قوله الحمد لوليه أى لموليه ومعطيه، فليس أحد مستحق الحمد سواه.

(ويكون أيضًا) أى الحميد فى أسمائه كما يكون بمعنى المفعول يكون بمعنى الفاعل، كما قال: **(بمعنى الحامد لنفسه ولأعمال الطاعات)**، والأعمال الصالحة الصادرة من

عباده، وقال الغزالى فى شرح الأسماء الحسنى: إنه يجوز أن يطلق على النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، الحميد؛ لأنه من حمدت جميع أخلاقه وعقائده وأعماله إلا أنه لما لم ينقل لم يذكره المصنف، فأشار إلى أنه ورد إطلاق ما هو بمعناه عليه، فقال: **(وسمى النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، محمدا وأحمد)**، وهما بمعنى حميد على الوجهين، **(فمحمد بمعنى محمود)**؛ لأن كلا منهما اسم مفعول دال على مبالغة فى كونه محمودا، **(وكذا وقع اسمه)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، أى تسميته بمحمود **(فى زبور داود)**، وفى نسخة زبر بكسر الزاء وضمها وضم الباء وسكونها، وهو مصدر أو جمع بجعل كل جزء منه زبورًا بمعنى مزبور، فلا يرد عليه أن هذا لا دليل فيه على تسميته باسم الله تعالى، فلا يناسب ما هو بصدده، ثم أشار إلى المعنى الثانى بقوله: **(وأحمد بمعنى أكبر من حمد)** بالموحده وحمد مبنى للفاعل، **(وأجل من حمد)** بالبناء للمفعول، ففيه لف ونشر.

(وإلى نحو هذا) أى كون اسمه بمعنى ما ذكر **(أشار حسان)** بن ثابت الأنصارى المشهور **(بقوله)** فى شعر له من قصيدة مدح [بها] النبى، صلى الله عليه وسلم:

(وشق له من اسمه ليجله (فذو العرش محمود وهذا محمد)

والشعر هكذا بتمامه[1]:

ألم تر أن الله أرسل أحمدا ... ببرهانه والله أعلى وأمجد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد
نبى أتانا بعد يأس وفترة ... من الدين والأوثان فى الأرض تعبد
فأرسله ضوءًا منيرا وهاديا ... يلوح كما لاح الصقيل المهند[2]

وشق مبنى للفاعل من شق الشىء إذا جعله قطعتين، أى اشتق له، صلى الله تعالى عليه وسلم، من اسمه اسما أجله وعظمه، وهمزة اسمه مقطوعة للضرورة، وإنما قال المصنف، رحمه الله تعالى، نحو، ولم يقل إلى؛ هذا لأن ما فى الشعر أنه مأخوذ من محمود، والمصنف، رحمه الله تعالى، بصدد أخذه من حميد، وزيد فى هذا:

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبى إلى اسمه ... إذا قال فى الذكر المؤذن أشهد

وشق إلخ، والبيت المذكور رواه البخارى فى تاريخه وعزاه لأبى طالب، وهو منقول

---

(١) الأبيات من الطويل، وهى فى ديوان حسان بن ثابت (ص٥٤).

(٢) جاء صدر البيت فى الديوان هكذا:

فأمسى سراجًا مستنيرًا وهاديًا

عن أبى زيد، فحسان، رضى الله تعالى عنه، توارد معه أو ضمنه واستعان به.

(ومن أسمائه تعالى: الرؤوف الرحيم، وهما بمعنى متقارب)؛ لأن الرأفة نوع من الرحمة وقد تقدم تحقيقه، **(و)** قد **(سماه)** الله **(فى كتابه)** أى القرآن **(بذلك)** أى الرؤوف الرحيم، **(فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** [التوبة: ١٢٨]، **ومن أسمائه تعالى الحق المبين، ومعنى الحق الموجود والمتحقق أمره)**، أى المتصف بالوجود الأزلى الأبدى من ذاته لذاته؛ لأنه واجب الوجود، والمتحقق بمعنى المتيقن وجوده لثبوته بالبراهين القاطعة، وأمره بمعنى شأنه وما يجب ثبوته من صفاته وأفعاله، والمتحقق بفتح القاف ويجوز كسرها، وللحق معان أخر.

(وكذلك المبين) اسم فاعل من أبان اللازم؛ لأنه ورد لازمًا ومتعديًا **(أى البين)** الظاهر **(أمره وإلهيته بان وأبان بمعنى واحد)**، فيكون متعديًا ولازمًا، وأبان يكون بمعنى قطع وفصل أيضًا، وبينه على اللزوم وعلى التعدى، **(ويكون بمعنى المبين لعباده أمر دينهم)** فى الدنيا، **(ومعادهم)** فى الآخرة.

(وسمى النبى)، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(بذلك)** أى الحق المبين **(فى كتابه فقال)** تعالى: **﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾** [الزخرف: ٢٩]، بناء على أن المراد بالحق محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، ومبين بمعنى ظاهر لعظم آياته ومعجزاته، فلا وجه لما قيل: إن هذا ليس على وجه التسمية وإنما هو وصف للرسالة، **(وقال)** تعالى: **﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾** [الحجر: ٨٩]، أى المحذر لكم من الله، والمبين لكم أمور دينكم، **(وقال)** تعالى: **﴿قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾** [يونس: ١٠٨]، على أن المراد به محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقيل: المراد به القرآن، **(وقال)** تعالى: **﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾** [الأنعام: ٥]، من الله **(قيل:)** هو **(محمد)** أى المراد به فى هذه الآية، وتكذيبه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بتكذيب رسالته وما جاء به.

(وقيل:) المراد به **(القرآن)** بدليل التكذيب، **(ومعناه)** أى الحق **(هنا ضد الباطل)** من حق بمعنى ثبت، **(والمتحقق صدقه وأمره)** هو تفسير لما قبله أو بمعنى آخر، وفى تفسير البيضاوى الحق الثابت الذى لا يسوغ إنكاره، فعم الأعيان والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة، من قولهم حق الأمر إذا ثبت، ومنه ثوب محقق محكم النسج، **(وهو بالمعنى الأول)** ضمير هو راجع إلى قوله المتحقق صدقه وأمره، والمراد بالمعنى الأول كون الحق اسما لمحمد، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(والمبين) على هذا التفسير **(البين)** الظاهر الذى لا يخفى **(أمره رسالته)**، وهذا على

كونه من بان اللازم، (أو) هو (**المبين**) بتشديد المثناة التحتية المكسورة (**عن الله ما بعثه به**) للخلق كافة، وعداه لتضمنه معنى المبلغ، أو هو حال بتقدير ناقلا، (**كما قال**) تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، من شرائعه وأحكامه، وهذا على أنه من أبان المتعدى.

(**ومن أسمائه تعالى: النور**)، وقد قدمنا ما قاله الغزالى أنه حقيقة فى ذات الله تعالى؛ لأن معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره، وإليه ذهب الحكماء، ويشير إليه قول الأشعرى، رحمه الله تعالى: إنه نور ليس كالأنوار، وما قاله السهيلى فى الفرق بينه وبين الضياء بأنه ذات المنير، والضوء والضياء أشعته المنتشرة عنه؛ ولذا قال: ﴿جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥]؛ لكثرة أشعتها فلا وجه لما يتوهم من أن الظاهر العكس، ولا حاجة لتأويله إذا أطلق على الله فإن أردت فطالع مشكاة الغزالى، والمشهور فيه التأويل كما أشار إليه المصنف بقوله: (**ومعناه ذو النور وخالقه**) عطف تفسير، وهذا تأويل له بتقدير مضاف فيه لما مر، (**أو منور السموات والأرض**)، فعلى الأول هو حقيقة، وعلى هذا هو مجاز كعدل بمعنى عادل؛ لأنه المنعم على أهلهما (**بالأنوار**) الفائضة عليها بواسطة الكواكب ودونها، والنور على هذا بمعناه الحقيقى، (**ومنور قلوب المؤمنين بالهداية**)؛ ولذا ورد تفسيره بالهادى، وهذا على استعارة النور للهداية لما فيها من الدلالة، ثم استعماله بمعنى المنور الهادى، ففيه مجاز على مجاز لاشتهار الأول حتى صار كالحقيقة.

(**وسماه**) أى سمى الله نبيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**نورا، فقال**: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [**المائدة: ١٥**]، **قيل**:) المراد بالنور فى هذه الآية (**محمد**)، صلى الله تعالى عليه وسلم، لظهور آياته، (**وقيل: القرآن**) لإزالته ظلمة الكفر والجهل، ولا يشكل على الأول إفراد الضمير بعده فى قوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ [المائدة: ١٦]، مع تغايرهما وعطفهما بالواو دون أو كما قيل؛ لأن الضمير راجع إليهما معا باعتبار المذكور، أو لأنهما كالشىء الواحد، وهداية أحدهما عين هداية الآخر، وقد صرح الفراء فى تفسيره بجواز مثله جوازًا مطردًا، وبه ورد القرآن فى آيات كثيرة كما بيناه فى السوانح، وأنشد عليه شاهدًا[1]:

رمانى بأمر كنت منه ووالدى ... بريئًا ومن جول الطّوىِّ رمانى

(**وقال فيه**) أى فى وصف النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، وشأنه: ﴿وَسِرَاجًا

(١) البيت من الطويل، وهو لعمرو بن أحمر فى ديوانه (ص١٨٧)، الدرر (٢/٦٢)، شرح أبيات سيبويه (١/٢٤٩)، الكتاب (١/٧٥)، وله أو للأزرق بن طرفة بن العمرد فى لسان العرب (١١/١٣٢).

﴿مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]، فسماه سراجا كما سماه نورًا على نهج الاستعارة أو التشبيه البليغ، ثم بينه بقوله: **(سماه بذلك)** أى بالنور والسراج، وفى نسخة سمى بذلك **(لوضوح أمره)** كالنور الذى لا يخفى، **(وبيان نبوته)** أى كونها بينة ظاهرة، **(وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين به)** وبما جاء به، وهذا ناظر لقوله ومنور قلوب المؤمنين بالهداية، وفيه تبيين لإطلاقه على القرآن ضمنا.

(ومن أسمائه تعالى) التى شرف بها نبيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(الشهيد)** من الشهادة وهى المعاينة والإخبار بما عاينه، أو من الشهود وهو الحضور، **(ومعناه العالم)**؛ لأن من شاهد شيئا علمه علمًا تاما، قال تعالى: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [آل عمران: ٧٠]، أى تعلمون، وفى شرح المواقف: الشهيد القائم بالغائب والحاضر، ويوافقه إطلاق المصنف فلا يرد عليه أنه فسر الأخص بالأعم، وقول الغزالى: إذا اعتبر العلم مطلقًا فهو العليم، وإن أضيف إلى الغيب والأمور الباطنة فهو الشهيد فتدبره.

(وقيل: الشاهد على عباده يوم القيامة) إذ يبين لهم ما صدر منهم فى حياتهم الدنيا إذ لا يخفى عليه خافية، **(وسماه)** أى سمى الله تعالى نبيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(شهيدًا وشاهدًا فقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا﴾ [الأحزاب: ٤٥])** مقبولا شهادتك على أمتك ولهم، وهو حال مقدرة، **(وقال)** تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، إشارة إلى ما رواه مسلم من أن الله يسأل الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام: هل بلغتم؟ فيقولون: نعم فتنكر أممهم فيقول: من يشهد لكم؟ فيقولون: محمد وأمته، فتشهد أمة محمد، ويشهد، عليه الصلاة والسلام، لأمته بصدقهم، وهذا معنى الآية، وهذه الشهادة لهم لا عليهم لكن ضمن شهيدًا معنى رقيب، وقدم الجار لاختصاصه بهذه الشهادة، وفيه فضيلة له، صلى الله تعالى عليه وسلم، فإن الأنبياء يحاسبون يوم القيامة وهو لا يحاسب، وفضيلة لأمته إذ لم ينكروا تبليغه وقد تقدم الكلام على هذه الآية. **(وهو)** أى الشهيد الذى أطلق عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(بمعنى الأول)** أى الشاهد، أو بمعنى الشهيد الأول الذى أطلق على الله تعالى، والأولية على الوجهين لمطلق التقدم، وقيل: وصف اسمه الشاهد بالأولية مع كونه ثانيا لذكر أمته قبل آية اسمه الشهيد.

(ومن أسمائه تعالى) أى من أسماء الله التى سمى بها نبيه **(الكريم، ومعناه الكثير الخير)**، وهو أصل معناه لغة وإن اختص فى عرف اللغة والعرف العام بالسخى الكثير العطاء، وإليه أشار المصنف، رحمه الله تعالى، بقوله:

(وقيل: المفضل) بوزن محسن ومعناه؛ ولذا فسر بمعنى يعطى عفوا بغير وسيلة وسؤال.

(وقيل: العفو) فعول من العفو وهو التجاوز عن سيئات من أساء قيل: وهو أبلغ من الغفور من حيث أن الغفر ستر السيئة، والعفو محوها، وهو فى الأصل القصد لتناول الشىء، فاستعير لقصد إزالة المحو.

(وقيل: العلى) وهو البالغ إلى رتبة فوق كل رتبة، فهو العلى فى ذاته وصفاته، وفسره الغزالى بأنه الذى إذا قدر عفا، وإذا وعد وفا، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء، ولا يبالى كم أعطى، ولا لمن أعطى، وإن رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى، وإذا جفى عاتب وما استقصى، ولا يضيع من لاذ به والتجأ فيغنيه عن الوسائل والشفعاء، فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكلف فهو الكريم المطلق، وذلك هو الله وحده لا يناله غيره إلا باكتساب وتمحل، ومع ذلك لا يستوفى جميع أنواعه؛ ولذا جاز إطلاقه على غيره تعالى كالنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وفى الحديث المروى) الذى رواه ابن ماجه فى سننه **(فى أسمائه تعالى)** أى فى أسماء الله، وهو متعلق بالمروى، أو بمقدر أى عد فى أسمائه **(الأكرم)** أى الزائد على غيره فى صفة الكرم، وهذا يقتضى مشاركته لغيره فى هذه الصفة إن فسرت بمعنى يوجد فيه وفى غيره، فإن فسرت بما تقدم عن الغزالى وهو مختص بالله، فالتفضيل ليس على بابه بل بمعنى الكريم، أو على أصله على طريق التسامح كما فى قوله: ﴿أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

قال ابن عبد السلام فى أماليه: هذا ونحو أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين مشكل؛ لأن أفعل يضاف إلى جنسه، وهذا ليس كذلك لأن خلق الله إيجاده، وهو من غيره بمعنى الكسب وهما متباينان، والرحمة من الله إن حملت على الإرادة صح؛ لأن المعنى أعظم إرادة من سائر المريدين، وإن جعل من مجاز التشبيه وهو أن معاملته تشبه معاملة الراحم صح أيضا؛ لأنه مشترك بينه وبين عباده، فإن أريد إيجاد الرحمة فهو مشكل إذ لا موجد غير الله، وأجاب الآمدى بأن معناه أعظم من يسمى بهذا الاسم، واستشكل بأن التفاضل فى غير ما وضع له اللفظ، ويصح على مذهب المعتزلة؛ لأن الفاعلين عندهم كثير، ثم إنه قيل على المصنف أن إثباته تسمية الله بالأكرم بالحديث غفلة عن تسميته بذلك فى القرآن فى قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق: ٣]، ولك أن تقول أن الذى فى الآية على سبيل التوصيف، والذى ذكره أنه عد فى الحديث فى سلك الأسماء الحسنى، وهو أدل على مراده.

(**وسماه الله تعالى كريما**) أى سمى الله به نبيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**بقوله:** ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [**الحاقة: ٤٠**]) **قيل**) أى قال بعض المفسرين هو فى هذه الآية (**محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقيل: جبريل، عليه الصلاة والسلام**)، وهو قول أكثر المفسرين كما مر؛ لأنه الظاهر من السياق.

(**وقال، صلى الله تعالى عليه وسلم: أنا أكرم ولد آدم**) أى أشرف من سائر الخلق الأنبياء وغيرهم، وقد تقدم مرارا روايته ومعناه، ثم أشار بقوله: (**ومعانى الاسم**) أى الكريم والأكرم (**صحيحة فى حقه، صلى الله تعالى عليه وسلم**) لاتصافه بغاية الكرم إلى أنه لاتصافه بمعناه، والمراد بالاسم ما يطلق عليه سواء كان اسما أو صفة، فسقط ما قيل أن تسميته كريما على سبيل التوصيف لا على طريق الأسماء الأعلام، وقوله: أكرم ولد آدم المراد به تفضيله، صلى الله تعالى عليه وسلم، عليهم لا التسمية بهذا الاسم، بل ينبغى أن يقال باختصاص الأكرم بالله، وهو غفلة عما قررناه، بل هو ناش عن عدم فهم كلام المصنف، رحمه الله تعالى، وفى ذلك إشارة إلى تشريفه بكونه كريما وأكرم.

(**ومن أسمائه تعالى العظيم**)، وهو الذى عظم جسما أو قدرا ورتبة، والمراد الثانى؛ لأنه عز وجل هو العظيم على الإطلاق لبلوغه مرتبة من العظمة لا تحيط بتصورها الأفهام، ولا تتخيلها الأوهام؛ لتنزهه عن أن تحيط العقول بكنه ذاته وصفاته؛ فلذا قال: (**ومعناه الجليل الشان**) بهمزة أو ألف مبدلة منها (**الذى كل شيء دونه**) أى قاصر عن بلوغ رتبته إذ لا كمال يدنو من كماله فى ذاته وصفاته، والعظيم، والجليل، والكبير معانيها متقاربة إلا أنه قيل: إن الكبير هو الكامل فى ذاته، والجليل هو الكامل فى صفاته، والعظيم هو الكامل فيهما. (**قال**) تعالى (**فى**) حق (**النبى، عليه السلام:** ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [**القلم: ٤**]) فقد جمع الله له من محاسن الأخلاق ما لايتصور فى أحد سواه، وإذا وصف خلقه بالعظيم فقد وصفه به فكان من أسمائه، فلا يرد عليه أنه وصف لخلقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لا له فيلبس، ولا أن العظمة مختصة بالله، أونقول: إنه توطئة لقوله: (**ووقع فى أول سفر من التوراة**) بكسر السين، وسكون الفاء، وراء مهملة، وهو الكتاب (**عن إسماعيل**) نبى الله ابن خليل الله، عليهما الصلاة والسلام، وكان الظاهر أن يقول فى حق إسماعيل فكأنه صفة سفر أى سفر فيه ما يصدر عن إسماعيل، عليه الصلاة والسلام، (**وستلد عظيما لأمة عظيمة**)، وفيه مبالغة فى وصفه للعظمة إذ جعل أتباعه عظماء فما بالك به.

وإذا سخر الإله سعيدا   لأناس فإنهم سعداء

(**ومن أسمائه تعالى الجبار**)، وهو صيغة مبالغة على خلاف القياس إذ لم يجئ جبر بل

تجبر، فهو متجبر وجبار متعد ولازم. يقال: جبرت العظم، وجبر جبورا وجبر الفقير، ويتصف به من الناس الشديد العدوان، وله معان فى كلام العرب، والقهار، والمسلط. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ [ق: ٤٥]، كما يأتى، والقوى العظيم الجسم، والمتكبر، والقتال، والنخلة الطويلة، وتجبر النبت طال، وجبره على كذا أكرهه، والجبر خلاف القدر، والجبرية بفتح الباء وسكونها. وقال أبو عبيد: إنه مولد، والمجبر الذى يجبر العظام المكسورة أى يصلحها يقال أجبرت وجبرت وهو أكثر قال:

(قد جبر الدين الإلهُ فجبر)

ويقال: جبرتها أيضًا، ولما ذكرناه من معناه الحقيقى لغة اختلفوا فى تفسيره حيث وقع صفة كما قال المصنف، رحمه الله، **(ومعناه المصلح)** للعالم ولأمور عباده تفضلا به، من جبرت العظم والفقير فهو من صفات الأفعال.

(وقيل: القاهر) فيرجع إلى صفة القدرة الذاتية، فما من مخلوق إلا وهو مقهور فى قبضة تصرفه يفعل ما يريد.

(وقيل: العلى العظيم الشان) من قولهم نخلة جبارة ونبت جبار، أى طويل، فاستعير من العلو الحسى للمعنوى؛ ولذا فسروه بالعالى فوق خلقه، فهو صفة ذاتية.

(وقيل: المتكبر) المتعظم الذى يرى الكل حقيرًا بالإضافة إلى ذاته من قولهم: فيه جبرية وجبروت أى تكبر وعظمة؛ ولذا كان، صلى الله تعالى عليه وسلم، يقول فى سجوده وركوعه: سبحان ذى الملك والملكوت سبحان ذى العزة والجبروت.

(وسمى النبى ﷺ) بالبناء للمجهول أى سماه الله تعالى **(فى كتاب داود)** أى الصحف الإلهية المنزلة عليه ﷺ **(بجبار، فقال)** الله تعالى مخاطبا له، صلى الله تعالى عليه وسلم، لتنزيله منزلة الموجود لتحققه فى علمه الحضورى عنده (: **تقلد أيها الجبار سيفك)** يقال: تقلد السيف إذا جعل حمائله على عاتقه وحمله كالقلادة، وفيه إشارة إلى أنه سيؤمر بالقتال؛ **(فإن ناموسك)** أى الوحى النازل عليك أو عظمتك فى قلوب الناس، وهذا المعنى شائع بين الناس، وأصل معناه كما فى القاموس صاحب السر المطلع على باطن أمرك، أو صاحب سر الخير، وصاحب سر الشر جاسوس، وقترة الصائد وهى شىء يختفى فيه الصائد ليأخذ الصيد، وفى البيان للجاحظ: قال الزبيدى: الناموس دويبة تلسع الإنسان مشتق من نمس الكلام أخفاه، وسمى جبريل، عليه الصلاة والسلام، بالناموس الأكبر؛ لأنه يخفى الكلام حتى يلقيه إلى الرسل، عليهم الصلاة والسلام، انتهى.

(وشرائعك) يحتمل أنه عطف تفسير؛ ولذا وحد الخبر فى قوله **(مقرونة بهيبة يمينك)**

أى بالخوف من سيفك، فكنى بما ذكر عنه أو تجوز باليمين عما فيه، **(ومعناه فى حق النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، أى معنى الجبار الذى هو من أسماء الله إذا أطلق فى وصف النبى ﷺ يقال: كذا ورد فى حق كذا أى أمره وشأنه المتحقق فيه، ولو فسر الجبار فى كتاب داود بالمجاهد القتال الذى هو أحد معانيه بقرينة ما بعده كان أولى من قوله.

(إما لإصلاحه لأمته بالهداية والتعليم) أى إرشادهم لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم وتعليم أمور دينهم، فعلى هذا سمى، صلى الله تعالى عليه وسلم، باسمه الجبار بمعنى المصلح، **(أو لقهر أعدائه)**، وفى نسخة لقهره أعداءه، وهذا إشارة إلى أنه سمى بالمعنى الثانى الذى مر بيانه، **(أو لعلو منزلته على البشر)**، فهو مسمى به باعتبار المعنى الثالث وهو العلى، ولو قال على الخلق كان أحسن، وقيل: إنه يفهم من تفضيله على البشر تفضيله على الجن والملك بالطريق الأولى وفيه نظر، **(وعظيم خطره)** هذا إشارة إلى أنه إما مستعار من العلو الحسى فينزل الرتبى منزلته، ويتخيل فيه أنه ارتفع فى مكان عال، أو علو القدر وهو العظمة، وهذا على هذا الوجه وعلى الأول هو كقول أبى تمام، وقد ذكر علو ممدوحه:

ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة فى السماء

وأصل الخطر ما يعطى فى الرهان للمسابقة، ثم استعير للشرف فيقال: له خطر ورجل خطير، وهو من إضافة الصفة لموصوفها، ولله در الغزالى، رحمه الله تعالى، فى قوله: الجبار من العباد من ارتفع عن الاتباع، ونال درجة الاستتباع، وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق بهيئته وصولته على الاقتداء به، وعلى متابعته فى سمته وسيرته، فيفيد الخلق ولا يستفيد، ويؤثر ولا يتأثر، ويستتبع ولا يتبع، لا يشاهده أحد إلا ويغنى عن ملاحظة نفسه، ويصير مستوفى الهم به غير ملتفت إلى ذاته ولا يطمع أحد فى استدراجه واستتباعه، وإنما حظى بهذا الوصف سيد البشر، صلوات الله وسلامه عليه، حيث قال: **(لو كان موسى حيا ماوسعه إلا اتباعى وأنا سيد ولد آدم ولا فخر)**، وفى كلامه لف ونشر وإيجاز إذ أصل معناه فى حقه، عليه الصلاة والسلام، كمعناه فى حق الله، وإن لم يكن يساويه أو يقاربه ويدانيه، ولما كان المعنى الأخير وهو المتكبر لا يصح فى حق النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، بوجه من الوجوه قال: **(ونفى عنه فى القرآن جبرية التكبر)** بفتح الباء كجبروة، وجبروت، وجبورة، كفروجة الكبر كما قاله القرطبى فى شرح الأسماء الحسنى، وأضافها إلى التكبر احترازا عن الجبرية بمعنى الجبر وهو خلاف القدر وقال القرطبى: الجبرية بفتح الباء خلاف القدرية عن الجوهرى، وحكى عن

الزجاج الجبرية بالإسكان وهو أصوب، وعن أبى عبيد أنه مولد **(التى لا تليق به)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، لما تقدم من تواضعه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولأن الكبرياء والتكبر من صفات الله التى لا تليق بغيره، ومعنى تليق تناسب وتصح **(فقال: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾)** تفسير لقوله ونفى عنه، وتقدم أنه فسر بمسلط، والتكبر هو التعاظم على الغير واستحقاره وهو محرم على كل مخلوق، وبما ذكرناه علم ما فى قول القرطبى فى شرح الأسماء الحسنى أنه يجب على كل مسلم مكلف أن لا يتصف باسم الجبار ولا يتعاطاه، وإنما حظه الاتصاف بنقيضه فإن إطلاقه يأباه إطلاقه عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فينبغى تقييده ببعض معانيه، وقيل: تفسيره بالمسلط أولى لأنه نزل فى حق أهل مكة وإنكارهم لبعثته، فأمره بأن ينذرهم ولا يجبرهم على الإيمان ويتسلط عليهم حتى يسلموا، والآية منسوخة بآية السيف لأنها من سورة قاف وهى مكية، وإنما أمر، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالقتال بالمدينة، وعلى ما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، يكون غير منسوخة.

(ومن أسمائه تعالى: الخبير) وقد ورد فى القرآن معرفًا ومنكرًا، وقال: **﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾** [الملك: ١٤]، من الخبر بالضم وحقيقته استكشاف باطن المخبور حتى يستوى عنده ظاهره وباطنه؛ ولذا قيل للحارث: خابر، ويكون بمعنى المخبر والمختبر، والله تعالى مختبر لعباده قال تعالى: **﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾** [الأنبياء: ٣٥]، فهو من صفات الأفعال، ويكون بمعنى العليم من صفات الذات، وإذا كان بمعنى المخبر رجع إلى صفة الكلام، فقوله: **(ومعناه)** إذا أطلق على الله **(المطلع بكنه الشىء)** أى الواقف على حقائق الأشياء وكنه الشىء بضم فسكون له معان منها الحقيقة كما فى التهذيب. يقال: اكتنهه إذا بلغ كنهه، فقوله فى شرح المفتاح: إنه مولد لا وجه له وتعديه بعلى لأنه بمعنى **(العالم بحقيقته)**، وهى ذاته لا غايته كما قيل.

(وقيل: معناه المختبر) وأصله المجرب والمراد به فى حقه تعالى استدراج عباده حتى يعلم الصابر من غيره، فليزمه الحجة أو يعلم سلوكه المحجة وهو أعلم بهم، وفى بعض النسخ المخبر أى المخبر أنبياءه ورسله بكلامه المنزل عليهم، أو المخبر عباده يوم القيامة بأعمالهم، فإنه لا يعزب عن علمه شىء.

ثم شرع فى بيان تسمية الرسول، صلى الله تعالى عليه وسلم، به فقال: **(قال الله تعالى:)** **﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾** [الأعراف: ٥٤]، **﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾** [الفرقان: ٥٩]، أى عنه،، أو الباء تجريدية والضمير لخلق السموات والأرض والاستواء على العرش المذكور قبله، والخبير

بمعنى العالم، ثم قال المؤلف، رحمه الله تعالى: **(قال القاضى بكر بن العلا)** بفتح الموحدة والعين المهملة، وهو بكر بن محمد بن العلا بن زياد القشيرى من ولد عمران بن الحصين، رضى الله تعالى عنه، توفى فى ليلة السبت لسبع بقين من ربيع الأول سنة أربع وأربعين وثلاثمائة (: **المأمور بالسؤال)** فى الآية **(غير النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم)** من كل من يتأتى منه السؤال، لا النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، لأنه المخاطب، **(والمسئول الخبير هو النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم)**؛ لأنه العالم بحقيقة ما ذكر دون غيره، ففيه دليل على تسميته خبيرًا.

(وقال غيره) أى غير القاضى بكر (: **بل السائل النبى)**، صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأنه المخاطب به، **(والمسئول الله تعالى، فالنبى خبير بالوجهين المذكورين)** أى على التفسيرين، فالباء بمعنى على أو ظرفية. أما الأول فظاهر لإطلاقه عليه؛ ولأنه لو لم يكن خبيرًا لم يؤمر بسؤاله، وأما على الثانى فلأن إذنه له فى السؤال دال على إعلامه به، وقيل: المراد بالوجهين تفسير الخبير بالعالم بالحقيقة وتفسيره بالمختبر.

(قيل: لأنه عالم على غاية من العلم بما أعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته)، أى سمى خبيرًا لما أعلمه الله به من الخفيات والمغيبات التى أطلعه عليها بوحيه، وما جبله عليه من المعرفة العظيمة **(مخبر لأمته بما أذن له فى إعلامهم به)** دون ما لم يؤذن فيه من الأسرار الإلهية، وما بعد قيل ناظر لكونه بمعنى العالم وهذا لكونه بمعنى المخبر، والفرق بين هذا وما قبله لأنه سمى خبيرًا باعتبار ما أجابه به بعد سؤاله وقيل: باعتبار أنه عالم قبل السؤال فتدبر.

(ومن أسمائه تعالى الفتاح) قال الراغب: أصل معنى الفتح إزالة الإغلاق والإشكال، وهو ضربان: أحدهما ما يدرك بالبصر كفتح الباب والقفل والمتاع، والثانى: ما يدرك بالبصيرة كفتح الهم والمشكل، ومنه فتح القضية إذا فصل الحكم فيها، ومنه الفاتح والفتاح للقاضى، وفتح الممالك الظفر بها عنوة، وفتح الله برزقه إذا جاءه من حيث لا يحتسب، **(ومعناه)** فى حق الله **(الحاكم بين عباده)** فى فصل القضاء، أو بإنصاف المظلوم فهو من صفات الأفعال.

(أو فاتح أبواب الرزق والرحمة) لهم بتيسير أرزاقهم وتهيئة أسبابها وفتح أقفال موانعها، والرحمة الإنعام أى المنعم عليهم الرازق لهم. قال تعالى: **﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾** [فاطر: ٢]، وهو استعارة فى الأصل صار حقيقة عرفية.

(والمنغلق من أمورهم عليهم) بالجر عطف على أبواب أى فاتح المنغلق بمعنى ميسر

كل صعب ومسهله، وعليهم متعلق بفاتح أو بالمتعلق.

(أو يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق) الذى هو الله، أو خلاف الباطل أى يزيل أقفال قلوبهم المانعة لهم، أو غشاوة أبصارهم وبصائرهم حتى يعرفوه ويهتدوا بهدايته، ويفتح مضارع معطوف على فاتح، فإن الفعل يعطف على الاسم الصفة لأنهما بمعنى، وفى بعض النسخ بفتح بالباء الجارة، والظاهر الأول، وهذا معطوف على مقدر أى المتعلق بتيسيره أو بفتح إلى آخره.

(ويكون) الفتاح **(أيضا)** كما كان بمعنى الحاكم **(بمعنى الناصر)** المعين؛ لأن من شأن الحاكم نصرة المظلوم، ولخفائه استشهد له بقوله: **(كقوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩])** أى لأنه فسر هكذا: **(إن تستنصروا فقد جاءكم النصر)** من عند الله بخذلان أعداء دينه ونصرته للحق.

(وقيل: معناه مبتدئ الفتح والنصر)؛ لأن الفتح جاء بمعنى البدء، ومنه فاتحة الكتاب لأوله ومبدئه، ومعنى مبتدئ النصر أنه موجده وميسره، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٠]، وقوله: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾ [الأنفال: ١٩]، خطاب من الله لأهل مكة أبى جهل وأضرابه ممن قتل ببدر تعلقوا بأستار الكعبة عند خروجهم من مكة، وقالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفريقين وأكرم الحزبين، فأجابهم الله تعالى متهكما بهم أن قد نصرتم.

(وسمى الله تعالى نبيه محمدا، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالفاتح فى حديث الإسراء الطويل) الذى تقدم ذكره **(من رواية الربيع بن أنس عن أبى العالية وغيره عن أبى هريرة)**، والفاتح بمعنى الفتاح، والمبالغة التى فيه لا تنافى مشاركته له فى أصل معناه كما توهم، وكذا ما قيل من أنه ليس بخاص به ولا على وجه التسمية ونحوه مما لا ينبغى ذكره.

(وفيه) أى فى حديث الإسراء **(من قول الله تعالى)** لنبيه محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، فيما خاطبه به إذ عرج به **(وجعلتك فاتحًا وخاتمًا)** أى أول الأنبياء وآخرهم؛ لما مر من أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، نبئ قبل خلقهم، وقد تقدم بيانه، أو المراد به ما قاله فى شرح قوله: **(وفيه)** أى فى حديث الإسراء **(من قول النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى ثنائه على ربه)** إذ حمده بمحامد لم يلهمها قبل، **(وتعديد مراتبه)** أى مقاماته بين يدى ربه (: **ورفع لى ذكرى)** بجعله قرينًا لذكره كما تقدم، **(وجعلنى فاتحا وخاتما، فيكون الفاتح هنا الحاكم)**، وإنما خصه بذلك؛ لأنه لم يكن لأحد قبل شريعته كشريعته،

(أو الفاتح لأبواب الرحمة على أمته) إذ هداهم إلى ما أرشدهم إلى سعادة الدارين، **(أو الفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والإيمان بالله)** لدعوتهم إلى معرفته تعالى وتوحيده، **(أو الناصر للحق)** والدين القويم بجهاده فى سبيله تعالى، **(أو المبتدئ بهداية الأمة)** لتقديمه ذلك على كل مهم له، **(أو المبدأ المقدم فى الأنبياء)** كما بيناه أولا، والمبدأ بضم الميم وتشديد الدال المهملة وهمزة كما قاله البرهان، فالمقدم تفسير له فإن كانت به رواية فبها، وإلا فيجوز فتح الميم وسكون الباء الموحدة المفتوحة أولا وتخفيف الدال بمعنى الأول.

(والخاتم لهم كما قال: كنت أول الأنبياء فى الخلق)؛ لخلق نور روحه قبلهم، وأخذ عليهم الميثاق فى اتباع من أدركه منهم، **(وآخرهم فى البعث)** باعتبار الزمان، وبما قررناه علمت الجواب عما قيل من أنه لا اختصاص لما ذكر غير الأخيرية إلا أن يقال: إنه وقع على أتم وجه بحيث لا يشاركه فيه غيره، ثم إن المصنف، رحمه الله تعالى، لم يقل: إنه لابد فى أسمائه من اختصاص معانيها به فتدبر.

(ومن أسمائه) أى من أسماء الله التى سمى بها نبيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(فى الحديث)** الصحيح الذى رواه الترمذى وغيره عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، فى تعداد الأسماء الحسنى **(الشكور)**، وفى القرآن ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤]، وللشكر معنيان لغوى وعرفى مشهوران، وأما فى حقه تعالى فـ**(معناه المثيب)** أى المعطى الثواب الجزيل **(على العمل القليل)**، فهو من صفات الأفعال، وهو مجاز؛ لأن حقيقته الثناء المقابل للإحسان، فأطلق على الإنعام المقابل للشكر؛ لأن العمل شكر إذ هو لا يختص باللسان، فهو استعارة أو من إطلاق السبب على المسبب، كقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وهذا قريب مما قيل إنه الذى يجازى على قليل من عمل الطاعة فى أيام قليلة ما لا نهاية له من النعيم المخلد، كما قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، أى فى الحياة الدنيا؛ لأن المغايرة بينهما سهلة خلافا لمن توهم ذلك.

(وقيل: المثنى على المطيعين)، وهذا أنسب بمعنى الشكر الحقيقى وأقرب، وقد أثنى الله على عباده الصالحين كثيرا فى القرآن وكتبه المنزلة، وهو الذى خلق فيهم القدرة على الطاعة ووفقهم لها، كما قال ابن عطاء الله فى حكمه: من نعمه عليك أن خلق فيك ونسب إليك، ومع ذلك يثنى بإحسانه عليك.

فهو إنما أثنى فى الحقيقة على نفسه ثم ذكر ما يدل على أن أسماء الله التى سمى بها رسوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، لا يلزم اختصاصه بها، فقد تشرف بها غيره كما مر

فقال: (**ووصف**) أى الله عز وجل (**نبيه نوحا، عليه الصلاة والسلام، بذلك، فقال**: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [**الإسراء: ٣**]). قيل: ويعلم من وصفه به وصف من هو أفضل منه، وهو محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، فلا ينافى ما هو بصدده من ذكر تسمية نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، بأسمائه، ولا حاجة إليه مع قوله: (**وقد وصف النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، نفسه بذلك فقال**:) فى حديث مشهور تقدم ذكره (**أفلا أكون عبدا شكورًا**)، فان الاستفهام الإنكارى يدل على أنه وصف مقرر له، وما ذكره فى حق نوح، عليه الصلاة والسلام، مبنى على أن الضمير راجع له لقربه، لا لموسى، عليه الصلاة والسلام، كما ذهب إليه بعض المفسرين، (**أى معترفًا بنعم ربى**) مقرًا بها (**عارفًا بقدر ذلك**) مؤديًا لحقه (**مثنيًا عليه**) بلسانى وأركانى (**مجهدًا**) بزنة منعم، أى باذلاً جهدى وطاقتى ومتعبًا (**نفسى فى الزيادة من ذلك**)، أى من الاعتراف والثناء عملاً بقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٧]، من النعم التى شكرتموها وعدًا ممن لا يخلف الميعاد إذ قال لبنى إسرائيل: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٧].

(**ومن أسمائه تعالى العليم، والعلام، وعالم الغيب والشهادة**) أى أحاط علمه بكل شىء مما غاب وخفى، وما حضر وظهر، ودق وجل، وعلمه تعالى لا يشبه علم غيره، وتحقيقه فى علم الكلام.

(**ووصف نبيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالعلم وخصه بمزية منه**) بمزية كمعية بمعنى فضيلة، وقال العلامة فى شرح المفتاح: لا يبنى منه فعل وتبعه بعضهم هنا، وفى الأساس: تمزيته عليه ومر التنبيه على ذلك، وفسر المزية بقوله: (**فقال**: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [**النساء: ١١٣**]) بما خصك به من العلم والمعارف الإلهية والأمور الدينية، وفيه إشارة إلى أن له، صلى الله تعالى عليه وسلم، مزية فى ذلك لم ينلها غيره، ولا ينافيه قوله: (**وقال**) ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، مما لا طريق له سوى الوحى غير المتلو، ولذا أعاد الفعل لتغايرهما، ولما كان هو المعلم لهم وما أعلمهم بعض مما علمه الله لم يشاركوه فى هذه المزية، وإنما ذكر هذه الآية وإن كان ظاهرها ليس مما هو بصدده؛ لأنها تدل على زيادة علمه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأنه معلم لغيره غير متعلم من غير ربه.

(**ومن أسمائه تعالى الأول والآخر**)، وقد سمى به فى القرآن والأحاديث الصحيحة، ومعناه بحسب اللغة وبحسب الاشتقاق وكون فائه واوا أو همزة معلوم فى العربية،

ووزنه أفعل ويكون أول اسم تفضيل وظرفا، وليس هذا محل الكلام فيه، وإنما الكلام فى معناه فى أسماء الله تعالى، فقال ابن العربى: للعلماء فيه عبارات فقيل: الأول الموجود قبل الخلق، فكان ولا شىء قبله ولا معه، قاله ابن عباس، رضى الله عنهما.

وقيل: إنه الذى لا ابتداء له، وقيل: إنه الذى له كل شىء، وبه كل شىء، ومنه كل شىء كما يقال فلان أول هذا الأمر وآخره، وقيل: الأول بصفاته وقيل بمحبته لأوليائه، ومقابله الآخر، فقيل هو الموجود بعد الخلق فلا شىء بعده، وقيل: هو الذى لا انتهاء له، وقيل: الذى يرجع إليه كل شىء.

وقال الضحاك: هو الذى أخر الأواخر أى الذى جعل لكل شىء آخر. وقيل: الآخر بقضائه وقدره.

وقال الغزالى، رحمه الله تعالى: الأول والآخر متناقضان، فالشىء الواحد لا يكون أولاً وآخرا من وجه واحد، فأنت إذا نظرت إلى ترتيب سلسلة الموجودات، فالله تعالى بالإضافة إليها أول؛ لأنها استفادت منه الوجود، وأما هو فموجود بمعنى أنه غير مستفيد لوجوده من غيره، فإذا نظرت إلى ترتيب السلوك ومنازل السائرين فيه إليه، فهو آخر ما يرتقى إليه درجة العارفين.

ولما كان الأول والآخر مع كونهما كالمتضادين يوهم الانتهاء من الطرفين فسروه بما فيه دقة، وإلى هذا أشار المصنف بقول: **(ومعناهما السابق للأشياء)** أى جميع الموجودات **(قبل وجودها)**؛ لأنه الذى أوجدها وأبدعها، **(والباقى بعد فنائها)** ثم صرح بالمقصود من دفع الإبهام فقال: **(وتحقيقه أنه ليس له أول ولا آخر)** ولا ابتداء ولا انتهاء، فلا سابق عليه ولا باقى بعده، فهو واجب الوجود، وجوده عين ذاته لا يتصور انفكاكه عنه، فهو من صفات التنزيه.

وقال القرطبى: إنه الأول بوجوده فى الأزل وقبل الابتداء، والآخر بوجوده فى الأبد وبعد الانتهاء، وعلى هذا يكون من أسماء الذات ويجوز أن يكون من أسماء الأفعال على معنى أول الأول وآخر الآخر فى الوجود، ثم أشار إلى إطلاقه عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بقوله:

(وقال، عليه الصلاة والسلام: كنت أول الأنبياء فى الخلق) يعنى أنه فى عالم الذر والأرواح خلقت روحه ونبئ قبلهم؛ ولذا عبر بالأنبياء دون الرسل كما تقدم بيانه، ولا وجه لتفسيره بأنه كان نورا فى وجه آدم إذ لا يطابق قوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وآخرهم فى البعث)** فهو خاتمهم ونبوته، صلى الله تعالى عليه وسلم، ورسالته لا تنقطع بموته.

(وفسر بهذا) أى بتقدم خلقه وتأخر بعثته **(قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧])** الميثاق هو أن يؤمنوا بالله ويوحدوه، **(فقدم محمدا، صلى الله تعالى عليه وسلم)** فى الذكر لتقدمه فى الخلق بل والبعث، وهذا التفسير رواه قتادة عن الحسن، عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، قال: سئل رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، عن قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ [البقرة: ٦٣]، الآية، فقال: كنت أولهم فى الخلق وآخرهم فى البعث؛ وأما ما روى عن مجاهد من أن هذا فى ظهر آدم، عليه الصلاة والسلام، فتفسير آخر لا وجه لذكره هنا.

(وقد أشار إلى نحو من هذا عمر بن الخطاب، رضى الله عنه) فى قوله كما تقدم لما بكى على النبى ﷺ إذ توفى: بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك أولهم، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٧] الآية، وإنما قال: أشار ونحو؛ لأنه ليس فيه تصريح بتقديم خلقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، إذ التقدم الذكرى ليس صريحا فيه لجواز كونه لشرف رتبته عنده.

(ومنه) أى من قبيل ذكر كونه أولا وآخرا **(قوله: نحن الآخرون)** أى هو ﷺ آخر الأنبياء بعثة وأمته آخر الأمم **(السابقون)**، أى أول من يقضى بينهم ويقضى لهم يوم القيامة قبل الخلائق كما صرح به فى حديث مسلم.

(وقوله)، ﷺ كما تقدم (: **أنا أول من تنشق عنه الأرض)** فى الخروج من القبر للحشر، **(وأول من يدخل الجنة)** هو وأمته كما مر، **(وأول شافع وأول مشفع)** أى مأذون له فى الشفاعة المقبولة، وهذا بيان لإطلاق الأول عليه.

وقوله: **(وهو خاتم النبيين وآخر الرسل، ﷺ)** لبيان إطلاق الآخر عليه أيضًا فعلم منه أنه يقال له ﷺ الأول والآخر كما يقال على الله، وإن كان إطلاقهما على الله بمعنى مختص به كما مر، وإطلاقهما عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بمعنى آخر مقيد بقيود أخر تدل على تغايرهما، فكفاه شرفا تسميته باسم الله ومشاركته فى لفظه، فسقط ما قيل: ليس هذا المعنى بالمعنى الأول قطعا ولا نسبة بينهما، فهو غفلة منه وزلة قدم إذ مثله لا يخفى عليه مثله.

واعلم أنه وقع هنا فى بعض الحواشى أنه سماه بالأول والآخر والظاهر والباطن، وفسر الأول والآخر بما مر، والظاهر بأنه الذى لا يخفى على عاقل وجوده أو القادر، والباطن بالمحجوب عن عباده فى الدنيا أو الذى لا يحاط به أو الذى لا كيفية له، وقيل: الظاهر القريب، والباطن العليم الحكيم، وروى فيه حديثًا، وهو أن جبريل، عليه الصلاة

والسلام، نزل عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال: السلام عليك يا أول، السلام عليك يا آخر، السلام عليك يا ظاهر، السلام عليك يا باطن، فقال: يا جبريل كيف تكون هذه الصفة لمخلوق مثلى وهى صفة للخالق لا تليق إلا به، فقال: إن الله تعالى أمرنى أن أسلم عليك بها، وقد خصك بها دون الأنبياء والمرسلين، وشق لك أسماء من اسمه وصفة من صفته، وسماك بالأول لأنك أول الأنبياء خلقا، وسماك آخرًا لأنك خاتم النبيين، وسماك بالباطن لأنه عز وجل كتب اسمك مع اسمه بالنور الأحمر على ساق العرش قبل أن يخلق أباك آدم بألف عام إلى مالا غاية له ولا نهاية، وأمرنى بالصلاة والسلام عليك، فصليت عليك ألف عام حتى بعثك إليه بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وسماك بالظاهر؛ لأنه أظهر فى عصرك، وأظهر دينك على الدين كله، وفضلك على أهل السموات والأرض، فما منهم أحد إلا وقد صلى عليك، صلى الله تعالى عليك وسلم، فربك محمود وأنت محمد، وربك الأول والآخر والظاهر والباطن، وأنت الأول والآخر والظاهر والباطن، فقال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: الحمد لله الذى فضلنى على جميع النبيين فى اسمى وصفتى انتهى، وهذا مما لم نره لغيره.

(ومن أسمائه تعالى القوى وذو القوة المتين) بالتشديد المحكم قوته، فالمتين أخص من القوى؛ ولذا وصف بها، والقوى وذو القوة ورد إطلاقهما عليه فى القرآن، وأصله قويو فاعل بالقلب، والقوة خلاف الضعف وهى ما يجد به القادر نفسه مستطيعا لتقدير المراد وإن لم يفعله، فهى والقدرة متقاربان، وقديراد بالقوة كثرة الأسباب المعينة كالجند والمال ونحوه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال الخطابى: القوى يكون بمعنى القادر، ومن قوى على شىء قدر عليه، ويكون معناها التام القوة الذى لا يستولى عليه العجز بحال من الأحوال فيما لا يتناهى، وهى مخصوصة بالله؛ ولذا قال تعالى: ﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ١٦٥]، فلا قوة لعبده إلا إذا قواه الله تعالى؛ ولذا تعبدنا بقول: لا حول ولا قوة إلا بالله. كما قيل:

بك أسطو إذا سطوت ولولا ك لما استمسكت قوى أوصالى

(ومعناه القادر) وإن كان بين القوة، والقدرة فرقًا كما أشرنا إليه، ولكنهما متلازمان؛ ولذا فسره به الخطابى، وأباه القرطبى فى شرح الأسماء الحسنى إلا أنه لا خلاف بينهما.

(وقد وصفه الله تعالى) أى وصف الله تعالى نبيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(بذلك فقال)**: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ [التكوير: ١٩، ٢٠] أى ذى مكانة ورتبة علية عند الله.

(قيل:) المراد بذى قوة (**محمد، وقيل: جبريل**)، عليهما الصلاة والسلام، وعليه أكثر المفسرين كما مر، وبه استدل المعتزلة على تفضيل جبريل، ولا دليل فيه كما سيأتى، **ومن أسمائه تعالى**) التى سمى بها رسوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**الصادق المصدوق**) كما رواه ابن ماجه، والمصدوق بمعنى المصدق فيما جاء به، وقد وردا فى أسماء الله الحسنى (**فى الحديث المأثور**) المروى بسند صحيح، (**وورد فى الحديث أيضًا تسميته، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالصادق المصدوق**)، وتقدم لفظه والكلام عليه فى الفصل السابق.

(**ومن أسمائه تعالى الولى**) كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أى الذين يتولى أمرهم ويقوم بنصرتهم، ومن أسمائه أيضًا الوالى وهو بمعناه، (**والمولى**) كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ١١]، (**ومعناهما**) أى المولى والولى (**الناصر**) أى الذى ينصرهم على أعدائهم. (**وقال تعالى:** ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [**المائدة: ٥٥**])، أى ناصركم ولم يقل أولياؤكم لأن نصرتهم واحدة، أو لأن الناصر إنما هو الله وغيره بتبعيته وإعانته كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

(**وقد قال عليه الصلاة والسلام: أنا ولى كل مؤمن**) كما رواه البخارى عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، ورواه أحمد، وأبو داود: (**أنا أولى بكل مؤمن من نفسه**)، وفى البخارى أيضًا «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاء، فعلى قضاؤه، ومن ترك مالا فلورثته»(١)، وكان، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى أول الإسلام يؤتى بالرجل المتوفى، فيسأل هل عليه دين وهل له وفاء، فإن قالوا له: عليه دين ليس له وفاء. قال: صلوا على صاحبكم، وإلا صلى عليه، فلما فتح الله بالفتوح والغنائم، قال، صلى الله تعالى عليه وسلم: «من مات وعليه دين فعلى قضاؤه»، فقيل: إنه كان واجبا عليه، وارتضى إمام الحرمين، والماوردى أنه لم يكن واجبًا عليه، وإنما كان يفعله تكرما، وهل كان، صلى الله تعالى عليه وسلم، يقضيه من الغنائم أو من خالص ماله؟ احتمالان.

(**وقد قال تعالى:** ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [**الأحزاب: ٦**]) أى أحق بهم من أنفسهم؛ فإنه يتولى صلاحهم وينصرهم ويقضى ديونهم كما مر، ويخلصهم مما يكرهون فى الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه البخارى (١٨٧/٨)، والحاكم (٢٧/٢).

(وقال عليه الصلاة والسلام) فى حديث رواه الترمذى وحسنه (: **من كنت مولاه فعلى مولاه)**، والمراد ولاء الإسلام ونصرته كما قال الشافعى، وهذا الحديث ورد فى قصة غدير حم، وقيل: سببه أن أسامه بن زيد، رضى الله تعالى عنهما، قال لعلى، كرم الله وجهه، لست مولاى إنما مولاى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فلما سمعه رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: من كنت ...، إلى آخره، ولا دليل للشيعة فيه على أنه، رضى الله عنه وكرم وجهه، أحق بالخلافة لاسيما والمولى من الولاء وله معان كالنصرة والعتق وغيره، فلا حجة لهم فيه.

(ومن أسمائه تعالى العفو) مبالغة فى العفو عن السيئات وهو محوها وإزالتها؛ ولذا قيل: إنه أبلغ من الغفور لأنه من الغفر وهو الستر، وأما الصفح فمعناه الإعراض وهو دونهما لكنه يطلق على ذلك أيضًا؛ فلذا قال: **(معناه الصفوح)** فلا يرد عليه أنه لا ينبغى تفسيره به.

(وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه)، عليه الصلاة والسلام، **(فى القرآن)** إذ أمره به فيه إذ قال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، فأمره، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالتخلق بذلك، فكان ممتثلا له متخلقا به، فيقتضى الاتصاف به على أبلغ وجه وأتمه إذ كان جبلة له، صلى الله تعالى عليه وسلم، فلا يرد عليه أنه لم يطلق عليه فى القرآن، وإنما أمر به ولو سلم اتصافه به لأنه لا يعصى له أمرًا لا يقتضى كونه على وجه المبالغة التى دل عليها صيغة فعول، والأمر لا يقتضى التكرار على الأصح، **(والتوراة)**، وفى نسخة: والإنجيل.

(وأمره بالعفو فقال) بيان لما فى القرآن (: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ **[الأعراف: ١٩٩]**، **وقال:** ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ **[المائدة: ١٣]**) هذا مبنى على أن العفو فى هذه الآية الصفح، ويدل عليه ماروى أنها لما نزلت قال، صلى الله تعالى عليه وسلم، لجبريل: ما هذا؟ فقال: لا أدرى حتى أسأل ربى، فسأله ثم رجع فقال: إن ربك أمرك أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك، وهذا رواه البغوى، والقرطبى، ونقل بصيغة التمريض، وعليه اعتمد المصنف بقوله: **(وقال له جبريل وقد سأله)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(عن قوله:** ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ **[الأعراف: ١٩٩]**، **قال: أن تعفو عمن ظلمك)** فاختصره، والذى عليه الأكثر أن العفو المال الفاضل عن نفقة العيال كما فى قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ثم نسخت بآية الزكاة فلا شاهد فيها على ما نحن بصدده.

(وقال) هذا بيان لما فى التوراة، وفى بعض النسخ التصريح بقوله **(فى التوراة)**

والإنجيل **(فى الحديث المشهور)** الذى تقدم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح)**، وقد تقدم شرحه، وأن قول النساء لعمر، رضى الله تعالى عنه، فى قصة الحجاب: لأنت أفظ من رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ليس التفضيل فيه على أصله، أو أنه فظ على من يستحق الفظاظة كالكفرة.

(ومن أسمائه تعالى الهادى وهو) الضمير للهداية التى فى ضمن الهادى وذكره لأن تأنيث المصدر غير معتبر، أو لأنه بمعنى أن يهدى كما فى الكشاف **(بمعنى توفيق الله لمن أراد من عباده)** اللام زائدة للتقوية لتعدى التوفيق بنفسه، وأصل معنى الهداية كما قاله الراغب: الدلالة بلطف لما يوصل أو الموصلة على الخلاف المشهور، وهى على أنواع:

الأول: ما يعلم كل مكلف من العقل والعلوم الضرورية.

والثانى: دعاوه إياهم على ألسنة رسله.

الثالث: التوفيق الذى يختص به من اهتدى.

والرابع: الهداية فى الآخرة التى فى قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، والإنسان لا يقدر أن يهدى أحدا إلا بالدعاء؛ لذا نفيت تارة وأثبتت أخرى انتهى.

وإلى أحد أنواعها أشار بما ذكره، وأشار إلى الآخر بقوله: **(وبمعنى الدلالة والدعاء)** أى الدعوة، **(قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥])** أى الجنة، ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥]، أى يرشدهم إلى طريق مستقيم يوصلهم إلى الجنة بما خلقه فيهم من العقل، وأرسل من الرسل، ووفقهم لاتباعهم، وتقدم أن التوفيق خلق قدرة الطاعة فى العبد وضده الخذلان، ومن فسر المعنى بالهداية والتوفيق فقد ضل عن الطريق، وكذا ما بناه عليه من أن تفسير الهداية بما ذكر مبنى على مذهب المعتزلة فى خلق العباد لأفعالهم، وأن ما ذكره المصنف لا تساعده الأصول على غير ذلك من الخلط الناشىء عن عدم معرفته بقدر المصنف، رحمه الله.

(وأصل الجميع) من معانى الهداية، وفيه إشارة إلى أنها معان مختلفة أصلها لغة **(من الميل)**، فمعنى هداه إلى كذا صرفه إليه وأماله عن غيره؛ لأنه من التهادى وهو التمايل، وفى الحديث خرج، صلى الله تعالى عليه وسلم، يتهادى بين اثنين أى يتمايل.

(وقيل:) إنها مأخوذه لغة **(من التقديم)**، ومنه هوادى الوحش للمتقدم منها، والهادية العنق، وهو الذى ارتضاه الراغب، ثم شرع فى بيان إطلاقه على النبى، صلى الله تعالى

عليه وسلم، فقال: **(وقيل فى تفسير طه إنه يا طاهر يا هادى)** على طريق الرمز والاكتفاء بحرفين من الاسمين يدلان على الباقى لما فى قوله:

قلت لها قفى فقالت قاف

أى وقفت، **(ويعنى النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم)** أى يريد الله تعالى بهذين الاسمين نبيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لطهارته من كل دنس وهدايته لخلقه.

(وقال له الله تعالى) خطابا لرسوله، صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الشورى: ٥٢]، أى تدل وتدعو إلى الإسلام والطريق الموصلة إلى سعادة الدارين، وهذا على قراءته مبنيا للفاعل وهى المشهورة، وعلى المجهولة هو لله.

(وقال فيه) أى فى حقه وشأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم: **(وداعيا إلى الله بإذنه)** أى بتيسيره وإرادته، والإذن يستعمل مجازا مشهورا فى ذلك، وأصل الإذن معروف الإجازة، وعبر فى الأولى بقوله له لكونه بصيغة الخطاب، يقال: قال له كذا إذا خاطبه، ولما لم يكن فى الثانية خطابا قال: فيه؛ لأنه فى حقه ووصفه فلا وجه لما قيل: إنه لا وجه لتغاير المتعلقين.

ثم أشار إلى أن معانى الهداية منها ما يختص بالله، ومنها ما يطلق عليه وعلى غيره، فقال: **(والهداية بالمعنى الأول)** وهو التوفيق بخلق الاهتداء **(مختص بالله)**، فإنه لا يقدر عليه سواه؛ ولذا نفى عن النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، بهذا المعنى **(قال تعالى:** ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ**﴾ **[القصص: ٥٦])**، يريد توفيقه، **(وبمعنى الدلالة)** بكسر الدال المهملة وفتحها وهى إراءة الطريق **(تطلق على غيره تعالى)**، كالنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، والمؤمنين العلماء لوقوع الدلالة منهم، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾ نزلت فى أبى طالب عمه لا فى العباس عمه، رضى الله تعالى عنه، كما قيل، وكان، صلى الله تعالى عليه وسلم، حريصا على إسلامه حتى دخل عليه فى مرض موته، وقال له: يا عماه قُل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، وعنده أبو جهل وصناديد قريش، فقالوا له: أترغب عن ملة عبد المطلب، فكان آخر ما قال أنه على ملة عبد المطلب، فنزلت هذه الآية[1]، والشيعة يقولون إنه قالها خفية وشهد بذلك فمات مسلما، وقد رده الحفاظ وقالوا: إنه لم يثبت.

(ومن أسمائه تعالى) التى سماه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بها: **(المؤمن المهيمن. قيل: هما)** فى أسماء الله تعالى **(بمعنى واحد)**، ولفظهما من مادة واحدة؛ لأن الهاء عند هذا

(١) أخرجه البخارى (١١٩/٢)، ومسلم فى الإيمان (٣٩)، وأبو عوانة (١٤/١).

القائل مبدلة من همزته.

(فمعنى المؤمن) على هذا القول **(فى حقه تعالى المصدق وعده)** أى ما وعد به **(عباده)**، فى الدنيا من الثواب ونعيم الآخرة والنصر العزيز فى الدنيا إلى غير ذلك من وعد من لايخلف الميعاد.

(والمصدق قوله الحق) أى الذى صدق ما قاله من الحق كما قال: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [الذاريات: ٢٣]، **(والمصدق لعباده المؤمنين ورسله)** أى يصدق ما قالوه، أو جاعلهم صادقين فى قولهم ملتزمين للصدق فى أقوالهم وعهودهم، كما قال الله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، فعلى الأول اللام غير زائدة، وعلى الثانى مزيدة للتقوى، وتحقيقه أن هذا الاسم سمى الله به نفسه فى القرآن والأحاديث الصحيحة، وأجمعت عليه الأمة وهو من آمن يؤمن إيمانًا فهو مؤمن أى مصدق، فإنه كذلك فى لغة العرب واستعمالهم، وعلى هذا فقيل: معناه مصدق مؤمن عباده، أو الذى لا يخاف ظلما، وقيل: معناه الذى يأمن أولياءه عذابه. قال الشاعر(١):

والمؤمنِ العائِذاتِ الطير تمسحُها رُكْبَانُ مكة بين الغَيْل والسَّند

وقال الحاكم: معناه أنه إذا وعد صدق وعده، وقال الخطابى بعد ما فسره بالمصدق: إنه يحتمل وجوها أحدها أنه يصدق عباده وعده،ويفى بما ضمنه لهم من رزق الدنيا وثواب الآخرة، والآخر: أنه يصدق ظنون عباده المؤمنين ولا يخيب آمالهم كقوله: أنا عند ظن عبدى بى، **(وقيل: الموحد نفسه)** بقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: ١٤]، فصدق ما نطقت به الكائنات وحكته البراهين من توحيده فى ألوهيته، وهذا كله على أنه من الإيمان بمعنى التصديق، وقوله: **(وقيل: المؤمن عباده)** كلهم مؤمنهم وكافرهم **(فى الدنيا من ظلمه)** لتنزهه عنه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، **(والمؤمنين فى الآخرة من عذابه)** معطوف على قوله عباده مفعول مؤمن بوزن منصف بمعنى معطى الأمان، فعلى هذا هو من الأمن ضد الخوف فهو من صفات الأفعال، وعلى الأول صفة ذاتية لأنه راجع للكلام، ثم بعد ما بين معنى المؤمن شرع فى بيان معنى المهيمن على أنه بمعناه فقال: **(وقيل: المهيمن بمعنى الأمين)** فوزنه مفيعل وهمزته مبدلة فيه هاء، وأصله مؤيمن وميمه الأولى مضمومة زائدة، ومعناه الأمين كما ذكر، وفى بعض النسخ بمعنى الأمن وهو من طغيان القلم إلا أن يراد معنى مادته المأخوذ منها، وهو من أسمائه الواردة فى

(١) البيت من البسيط، وهو للنابغة الذبيانى فى ديوانه (ص٢٥)، خزانة الأدب (٧١/٥، ٧٣)، وبلا نسبة فى شرح المفصل (١١/٣)، خزانة الأدب (٣٨٦/٩).

القرآن والحديث، وأجمعت عليه الأمة، وورد إطلاقه على غيره تعالى كما سيأتى فى بيت العباس، وأطلق على أبى بكر أيضًا، رضى الله عنه، فى قول الشاعر[1]:

ألا إن خير الناس بعد نبيه مُهَيْمِنُه التالى على العُرف والنُّكْرِ

ولم ينكره، وقال ابن الحصار: لا نعلم أحدًا سمى به إلا أنه ليس فى الشرع ما يمنعه.

وقوله: **(مصغر منه)** أى مصغر من الأمين، وهو قول ابن قتيبة إلا أنه رد بأنه قول مرغوب عنه؛ لأن أسماء الله تعالى لا يجوز تصغيرها؛ لإيهامه التحقير وإن جاء للتعظيم فى قوله[2]:

دُوَيْهِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الأَنامِلُ

لأنه جاء فيما يجوز تصغيره، فصغروه تلطفا منهم كما قال وتقدم:

ما قلت حبيبى من التحقير بل يعذب اسم الشخص بالتصغير

وأما أسماؤه تعالى وأسماء أنبيائه، عليهم الصلاة والسلام، فلا يجوز ذلك فيها قطعا، وإنما هو اسم فاعل من هيمن فهو مهيمن، والياء فيه كياء ضيغم وحيدر، وليست للتصغير، وقد جاء فى كلامهم ألفاظ على وزنه كمسيطر ومصيطر ومبيطر وهو البيطار، ويقال له بيطر أيضًا، والمديبر بالموحدة من الإدبار، ومجيمر اسم جبل، وهذا البناء من النوادر غير متصرف، ولم يرد له فعل، فلا يقال هيمن هيمنة، وحكى الخطابى عن بعض أهل اللغة الهيمنة بمعنى القيام على الشىء والرعاية له.

وذكره ابن الأنبارى فى الزاهر، ولغرابته اختلفوا فى معناه على أقوال عشر:

الأول: أنه بمعنى الأمين كما ذكره المصنف، رحمه الله، **(فقلبت الهمزة هاء)** لأنها أخف منها كما قالوا فى أراق هراق، وفى إنك هنك، وقول المصنف أنه مصغر منه أى من مادته ونوعه، وإلا فهو من الأمن مصغر مؤمن، ويجوز أن يعود ضمير منه إلى مؤمن، فليس مراده أنه تصغير أمين كما توهمه عبارته إلا أنه لظهوره لم يوضح عبارته، فلا يرد

---

(١) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة فى لسان العرب (٤٣٧/١٣)، تهذيب اللغة (٣٣٤/٦).

(٢) عجز بيت صدره:

وكل أناس سوف تدخل بينهم

والبيت من الطويل، وهو للبيد بن ربيعة فى ديوانه (ص٢٥٦)، جمهرة اللغة (ص٢٣٢)، خزانة الأدب (١٥٩/٦)، الدرر (٢٨٣/٦)، سمط اللآلى (ص١٩٩)، المعانى الكبير (ص٨٥٩، ١٢٠٦)، مغنى اللبيب (١٣٦/١)، المقاصد النحوية (٨/١)، شرح شواهد المغنى (١٥٠/١)، لسان العرب (١٤/٣)، شرح شواهد الشافية (ص٨٥).

عليه ما قيل أنه سهو منه؛ لأن تصغير أمين أُمَيِّن بضم أوله وتشديد يائه، وجعله شاذا لا داعى إليه، وأسماء الله لا تصغر فياؤه زائدة للتكثير ثم ذكر اسما آخر من هذه المادة، فقال: (**وقد قيل: إن قولهم فى الدعاء آمين**) بالمد وقد يقصر اسم فعل كصه ومه. قال الحسن: معناه استجب أو افعل أو لا تخيب وأَمَّن إذا قال: آمين وقائله مجاهد (**إنه اسم من أسماء الله تعالى**) بدل من قوله إن قولهم قيل أصله على هذا أمين بالقصر مبنى على الفتح وأدخلت عليه همزة النداء وأبدلت الثانية ألفا، ورده ابن قرقول بأنه ليس فى أسماء الله اسم مبنى.

وقال الراغب: عن أبى على أن القائل بذلك أراد أنه فيه ضمير الله؛ لأن معناه استجب، وقيل: إنه عبرانى وقيل سريانى وقيل لا يعلم أصله، (**ومعناه معنى المؤمن**) إذا كان اسما لله؛ ولذا قيل: ينبغى تقديمه على هذا والكلام عليه مفصل فى التفاسير.

والقول الثانى: فى المهيمن ما أشار إليه بقوله (**وقيل: المهيمن بمعنى الشاهد**) أى الحاكم أو الذى يشهد على كل نفس بما كسبت.

وقريب منه **الثالث**، وهو الشهيد.

(و) **الرابع** (**الحافظ**) للموجودات عن العدم حتى يريد غيره، أو المحصى لأقوالهم وأفعالهم.

والخامس: أنه بمعنى العلى والمتعالى.

والسادس: الشريف وهو قريب مما قبله.

والسابع: المصدق.

والثامن: الوالى قاله عكرمة.

والتاسع: القاضى قاله ابن الزبير.

والعاشر: الرقيب وفيه كلام فى شرح الأسماء الحسنى للقرطبى، ثم شرع فى ذكر تسمية النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، بذلك فقال: (**والنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، أمين ومهيمن ومؤمن**) أى يسمى بهذه الأسماء الثلاثة التى سمى الله بها، وإن لم تتحد معانيها من كل الوجوه بشهادة حديث: إنى لأمين فى الأرض وأمين فى السماء، وكانت قريش تسميه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قبل البعثة محمد الأمين كما مر وأشار إليه بعد، وسيأتى ذكر المهيمن.

(**وقد سماه الله تعالى أمينا فقال: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١]**) إن لم نقل المراد به جبريل، عليه الصلاة والسلام، كما تقدم أى مطاع أمره وأمين على وحيه وأسراره.

(وكان يعرف بالأمين وشهرته قبل النبوة وبعدها) بين أهل مكة وطوائف العرب.

والفضل ما شهدت به الأعداء

وهذا مؤيد لما قبله؛ لأن شهرته بذلك بتقدير الله تعالى وإظهاره، فلا يرد عليه أنه بصدد تسمية الله تعالى له، صلى الله تعالى عليه وسلم، لا الناس حتى يقال: إنه لما أقره ورضى به دل على أنه بإذن الله تعالى، وسمى بالمأمون أيضًا كما مر فى قول كعب حين كتب لأخيه بجير فى حال جهالته:

سقاك بها المأمون كأسا روية فأنهلك المأمون منها وعلكا

فلما سمعها، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: مأمون. إن شاء الله إن لم نقل: المراد به أبو بكر، رضى الله تعالى عنه، ثم بين تسميته، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالمهيمن بقوله: **(وسماه العباس)** بن عبد المطلب عمه، عليه السلام، **(فى شعره مهيمنا فى قوله)** فى الشعر الذى قدمناه مع شرحه.

(ثم اغتدى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق)

وتقدم شرحه فانظره.

(وقيل: المراد يا أيها المهيمن)، ولولا هذا لم يكن اسما، ومَرَّضَهُ المصنف، رحمه الله تعالى، وتبرأ منه بعزوه لقائله بقوله: **(قاله القتيبى)** عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى البغدادى الإمام المشهور نسبة لقتيبة جده، توفى سنة ست وسبعين ومائتين وتآليفه كثيرة، **(والإمام أبو القاسم القشيرى)** عبد الكريم بن هوازن منسوب لقشير قبيلته، وإنما مرضه؛ لأنه تكلف ضعيف؛ لأن المعرف بأل لا ينادى وتقدير أيها مع تقدير حرف النداء لا يرتضيه نحوى، وأثقل من هذا ما قيل: إن البيت هنا بمعنى العز والشرف كما فى قوله:

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول[1]

وإذا أعزه وشرفه بالمهيمن كان صفة له على أبلغ وجه؛ لأنه صفة الصفة صفة، ومثل هذه الدقة لا يتحملها الكلام، فإنه زهرة لا تحتمل الفرك.

(وقال تعالى) فى وصفه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بأنه مؤمن أى مصدق (﴿**يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ **[التوبة: ٦١]، أى يصدق**)؛ لعلمه بخلوصهم، واللام لتضمينه معنى يذعن ويسلم أو مزيدة، والآية نزلت فى حقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لما قالوا فى حقه أمرا منكرا، وقالوا: إذا بلغه ذلك نحلف ونعتذر؛ فإنه أذن أى يصدق بكل ما

(١) تقدم الاستشهاد به.

يسمعه، فقال تعالى: ﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ﴾ [التوبة: ٦١]، إلخ.

(وقال، صلى الله تعالى عليه وسلم: أنا أمنة لأصحابى) هذا طرف من حديث «النجوم أمنة فى السماء فإذا ذهبت أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابى فإذا ذهبت أتى أصحابى ما يوعدون، وأصحابى أمنة لأمتى فإذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون». يعنى أن النجوم إذا رفعت قرب وقت فنائها وانشقاقها؛ ولذا كثر سقوطها عند بعثته، صلى الله تعالى عليه وسلم، إشارة إلى قرب الساعة، فهو، صلى الله تعالى عليه وسلم، أمان لأصحابه، رضى الله تعالى عنهم، من وقوع بأسهم بينهم ووقوع الفتن، فإذا توفاه الله ابتدأ وقوع ذلك كقصة عثمان، وعلى، والحسين، وأصحابه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أمان للناس من ظهور الفساد فى البر والبحر؛ فإذا ذهبوا بدأ ظهور ذلك، وأمنة بفتح الهمزة وضمها مصدر بمعنى الأمان، أو بزنة المبالغة كرجل عدل فيقع على الواحد وغيره.

قال الراغب: يقال رجل أمنة وآمنة يثق بكل أحد، وأمين ويؤمن به انتهى.

ونحوه فى الأساس، وكونه جمع أمين وهوالحافظ خلاف الظاهر للإخبار به عن الواحد، وإنما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، تأييدا لما قبله لأنه خارج عما هو بصدده من ذكر تسميته، صلى الله تعالى عليه وسلم، بأسماء الله إذ ليس من هذا القبيل.

(ومن أسمائه تعالى) التى أطلقت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم، **(القدوس)** مبالغة من القدس وهو الطهارة والنزاهة باتفاق أهل اللغة، وهو بضم القاف فى الأشهر، وإن كان الأقيس فتحها وهو لغة فيه، وقرئ بها وكل اسم على فعول مفتوح الأول كتنور وسمور إلا السبوح والقدوس، ومنه القدس بفتحتين للسطل، والعامة تقول له قادوس، وظاهر كلام القرطبى فى شرح الأسماء الحسنى أنه سمع والمشهور خلافه.

(ومعناه المنزه عن النقائص المطهر عن سمات الحدوث) أى علاماته وآثاره، فلا يتصف بشىء منها، **(وسمى بيت المقدس به)** أى من هذه المادة بالمعنى المذكور بيت المقدس مخفف بزنة مرجع اسم مكان، أو مصدر ميمى من القدس وهو الطهر، وجاء فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة من التقديس وهو التطهير، وجاء بكسر الدال المشددة اسم فاعل، ويقال له: البيت المقدس بالتوصيف، والأشهر الإضافة قاله الكرمانى وقد تقدم.

(لأنه يتطهر فيه من الذنوب) بزيارته والعبادة فيه، وروى النسائى بإسناد صحيح عن النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، «أن سليمان بن داود، عليهما الصلاة والسلام، لما بنى

بيت المقدس سأل الله تعالى خلالاً ثلاثا: حكما يصادف حكمة، وملكا لا ينبغى لأحد من بعده، وأن لا يأتى بيت المقدس أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه، فأعطى جميع ذلك»[1] انتهى؛ ولذا تشد إليه المطى كما تشد إلى الكعبة ومسجد النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(**ومنه الوادى المقدس**) المسمى طوى، وهو واد بالشام كلم الله فيه موسى، عليه الصلاة والسلام، سمى به؛ لأن الله تعالى قدسه وشرفه بظهور كلامه فيه، وهو من الأرض المقدسة أيضًا، فهو مطهر مبارك وقد فسر المقدس بالمبارك أيضًا.

(و) منه (**روح القدس**) بضمتين وضم فسكون كما مر، وهو جبريل، عليه الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ [النحل: ١٠٢]، لنزوله بما يطهر النفوس من القرآن والحكمة والفيض الإلهى، وهذا هو الأصح، وفيه وجوه أخر.

(**ووقع فى**) بعض (**كتب الأنبياء**) المنزلة من عند الله تعالى عليهم (**فى أسمائه، عليه الصلاة والسلام، المقدس**) هذا هو الصحيح، وما فى بعض النسخ من أنه القدوس من غلط الناسخ، فإنه لا يجوز أن يقال فى حق مخلوق القدوس مطلقا (**أى المطهر من الذنوب**)؛ لعصمة الله تعالى له، صلى الله تعالى عليه وسلم، من التدنس بها ومغفرتها لو فرض وقوع شىء منها يسمى ذنبا بالنسبة له، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**كما قال الله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]**)، وقيل: المراد ما تقدم من ذنوب أمتك وما تأخر منها كما سيأتى بيانه، وخوطب لأنه سبب المغفرة.

(**أو الذى يتطهر به من الذنوب ويتنزه**) ببناء المجهول فيهما، والتنزه البعد؛ ولذا أخره لإشعار التطهير بالوقوع، وقوله: (**باتباعه عنها**) متعلق بيتنزه، والباء سببية؛ لأن من اتبعه، صلى الله تعالى عليه وسلم، واتبع شرعه المطهر لا يرتكب الذنوب، وإن ارتكبها غفرت ببركته، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**كما قال**) الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ**﴾ [الجمعة: ٢]، يطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية، ويعلمهم ما يكفهم عن الآثام.

(**وقال: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [المائدة: ١٦]**) أى من الكفر والمعاصى إلى الإيمان وتقوى الله وطاعته بإرشادهم وتوفيق الله لهم ببركته، صلى الله تعالى عليه وسلم، ففيه استعارة تصريحية، (**أو يكون مقدسا**) الموصوف به النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**بمعنى مطهرا من الأخلاق الدميمة**) بالمعجمة أى المذمومة،

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٢/١٧٦)، والنسائى فى المساجد باب (٦).

(والأصاوف الدنية) الحقيرة التى لا تليق بجنابه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وفى الشرح الجديد هنا ما تركه خير منه.

(ومن أسمائه تعالى العزيز، ومعناه الممتنع) الذى لا ينال ولا يدرك، والعرب تقول: حصن عزيز إذا كان لا يوصل إليه قال الهذلى فى العقاب[1]:

حتى انتهيت إلى فِراش عزيزة سوداء رَوْثة أنفها كالمخصف

كذا قال القرطبى نقلاً فى شرح الأسماء الحسنى، وهذه صفة ذاتية، وقوله: **(الغالب)** القاهر من صفات الأفعال، فكان ينبغى له أن يقول: أو الغالب لأنه معنى آخر صرحوا به فى شرح أسماء الله، والجمع بينهما على أنه مركب من نعت حقيقى ونعت تنزيهى كما قيل خلط وخبط يعرفه من نظر شرح القرطبى لأسماء الله الحسنى، ثم إن إطلاق الغالب على الله لم يأت فى عداد الأسماء، وورد فى قوله: ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ [يوسف: ٢١]، أى الفعال فى مخلوقاته ما يريده أحبوا أو كرهوا، وفى التنزيل: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال الحاكم: الغالب والطالب جرت عادتهم باستعمالهما فى اليمين أى الممتنع أى المهمل؛ فإنه يمهل ولا يهمل، وهو على الإمهال بالغ أمره ﴿إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

(أو الذى لا نظير له) هذا معنى آخر. قال الخطابى: العزة تكون بمعنى نفاسة القدر. يقال منه: عز يعز بكسر العين، فيتناول معنى العزيز على هذا أنه لا يعادله شىء، وأنه لا مثل له انتهى.

وبما سمعته من تفسير العزيز ظهر أن ما قيل إنما انحصر فى فرد كالشمس والقمر داخل فيه، فيحتاج لزيادة قيود أخر ليس بشىء، **(أو المعز لغيره)**، فهو فعيل بمعنى مفعل، وهو عزيز فى العربية؛ ولذا أخره المصنف يعنى به إنه لا عزيز إلا من أعزه، فالعزة له وبيده لا بيد غيره؛ ولذا صح الاستشهاد له بقوله: **(وقال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون: ٨])**، صلى الله تعالى عليه وسلم، والآية نزلت فى حق المنافق ابن أبى بن سلول حيث قال: ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾ [المنافقون: ٨]، يعنى بالأعز نفسه، وبالأذل المسلمين، فرده الله عليه على طريق القول بالموجب، ثم نفاها عنه بتقديم الخبر هنا، فلا يتوهم أن انحصار العزة فى الله لا يقتضى أنه معز بل معزز بالفتح، وقد

---

(١) البيت من الكامل، وهو لأبى كبير الهذلى فى شرح أشعار الهذليين (ص١٠٨٩)، لسان العرب (١٥٧/٢) (روث)، (٣٧٥/٥) (عزز)، (٣٢٧/٦) (فرش)، تهذيب اللغة (١٤٧/٧)، تاج العروس (٢٦٩/٥)، مقاييس اللغة (١٨٦/٢)، المخصص (٢٩/١)، أساس البلاغة (خصف).

جوز فى الاسم الشريف أن يكون المعزز المعظم، وقد يقال: يكفى فى كونه معزا إثبات العزة للرسول، صلى الله تعالى عليه وسلم، والمؤمنين، وأنه محل الاستشهاد **(أى الامتناع وجلالة القدر)** معطوف على ما قبله؛ لأنه بمعنى العزة عدم النظير وتقديره، وبزيادة المصنف لما ذكر اندفع ما تقدم أيضا.

وقال الغزالى: العزيز من العباد من يحتاج إليه فى المهم، وهو الحياة الأخروية، وهو مما يعز وجوده، وهو مرتبة الأنبياء والخلفاء وورثتهم من العلماء المرشدين وذوى العدالة من الحكام؛ ثم ذكر اسما للرسول ووصفه بها الله لا على طريق الاسمية فقال: **(وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة)** الأول بكسر أوله والثانى بفتحه، والبشارة الخبر السار سمى به؛ لأنه يؤثر فى بشرة الوجه، ولذا لو قال لعبيده: من بشرنى بقدوم زيد فهو حر فبشروه على ترتيب عتق الأول، ولو قال: من أخبرنى عتق الجميع كما مر، والنذارة الإعلام بما فيه وعظ وتخويف، وقوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، تهكم كما مر **(فقال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾** [التوبة: **٢١**]، **وقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾** [**آل عمران: ٣٩**])، و ﴿**بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ**﴾ [آل عمران: ٤٥]، ومن يكتفى بوجود المادة يجوز أن يسمى الله مبشرا ومنذرا، ومثله يكفى فى كونه توقيفيا، والأشعرى، رحمه الله تعالى، يقول: لابد من وروده بعينه.

(وسماه الله تعالى: مبشرًا ونذير أو بشيرًا أى مبشرًا لأهل طاعته) بما يسرهم فى الدنيا والآخرة، **(ونذيرًا لأهل معصيته)** بما يسوءهم من العقاب ونحوه.

(ومن أسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم أنهما من أسماء محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم)، وشرف وكرم وتقدم الكلام عليه مفصلا فلا حاجة لإعادته.

(تنبيه) فى فتاوى السبكى، رحمه الله تعالى، فى قوله تعالى فى سورة الإسراء: ﴿**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الإسراء: ١]، أن الضمير فى قوله: إنه يعود على الله تعالى، وقد ورد فى أربعة مواضع من القرآن، وقال بعضهم: إن الضمير هنا يعود على النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، فيكون هذان الاسمان من أسمائه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ومعنى وصفه بهما أنه الكامل فى السمع والبصر اللذين يدرك بهما الآيات التى يريه إياها، وهو نذير والإنذار بالعقل وأعظم الحواس الموصلة إلى العقل السمع والبصر، فعلى هذا وصفه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بذلك لأنه لا أحد أكمل منه فى الإنذار والاستدلال انتهى.

أقول: يعنى أن وصفه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بهما هنا على هذا وقع بطريق الحصر المستفاد من تعريف الطرفين، وسيق للمدح وهو أمر عام، ففسره بما يخصصه به ويصيره مدحا له، ولا حاجة لهذا مع بعده؛ فإنه قد تبين توجيه أظهر منه وهو السميع لكلام الله تعالى من غير واسطة، والناظر إلى نور جماله وجلاله بعين بصره، وهذا مما اختص به، صلى الله تعالى عليه وسلم.

* * *

(فصل قال القاضى أبو الفضل)

عياض المؤلف (**رضى الله عنه: وهاهنا نكتة**)، وفى نسخة وها أنا أذكر نكتة، وها حرف تنبيه والأكثر وقوع اسم الإشارة خبرا عن المبتدأ الواقع بعدها نحو ها أنا ذا أقول، وقد لايؤتى به كما صرحوا به، فمن ظنه لازما واعترض على المصنف، رحمه الله تعالى، لم يصب والنكتة بضم أولها وفتح المثناة الفوقية هى الأمر الدقيق المحتاج إلى فكر وتأمل؛ سميت بها لأن صاحبها كثيرا ما يبحث فى الأرض بقضيب ونحوه وهو بمعنى النكت لغة.

(**أذيل بها هذا الفصل**) أى أختمه بها وأطوله، فيكون كذيل الثوب الذى يطول به، وفى حديث مصعب بن عمير، رضى الله تعالى عنه، أنه كان فى الجاهلية مترفا يدهن بالعنبر، ويذيل يمنة اليمن أى يطيل ذيلها، واليمنة برد من برود اليمن، ففيه استعارة تصريحية تبعية، وإليه أشار بقوله: (**وأختم به هذا القسم**) الذى فيه ذكر الأسماء، (**وأزيح الإشكال بها فيما تقدم**) أى أزيل ما يشكل على سامعه (**عن كل ضعيف الوهم**)، قيل: المراد بالوهم الذهن والإدراك لا القوة الواهمة المعارضة للعقل؛ فإن ضعفها بقوة العقل المزيل للأوهام والإشكال، فقوله (**سقيم الفهم**) كالتفسير له، وسقمه بمعنى قلته، فهو استعارة وتعبيره فى الأول بالضعف، وفى هذا بالسقم تفنن حسن، والوهم بسكون الهاء وفتحها.

(**تخلصه من مهاوى التشبيه**) بكسر الواو جمع مهواة، وهى كالهاوية الحفرة العميقة التى من يقع فيها يصعب طلوعه، ومن إضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء وهى تخييلية ومكنية، والمراد بالتشبيه تشبيه الله وصفاته بغيرها؛ لأن إطلاق بعض الأسماء على الله وعلى غيره يقتضى ذلك.

(**وتزحزحه**) أى تزيله وتبعده قال تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، (**عن شبه التمويه**) أى الشبه بزنة غرر جمع شبهة، وهو ما يلتبس، وأصله ما لا يتميز عن غيره لما بينهما من التشابه والتمويه من الماء، والمراد به زخرفة الكلام الذى لا

حقيقة له وتحسينه حتى يروج على من لا علم عنده، وهو استعارة قال فى الأساس: سرج مموه مطلى بالذهب أو الفضة، وحديث مموه مزخرف، وما أحسن موهة وجهه بهاؤه ورونقه انتهى.

وإنما سمى تمويها لأنه يذاب حتى يصير كالماء، ويقال: موه عليه الخبر أخبره بخلاف ما سأله عنه.

(وهو) عائد على ما يفهم مما تقدم، وهو ما يزيل الإشكال ويزيح الأوهام، والعجب ممن أعاده على ضعيف الوهم وسقيم الفهم **(أن يعتقد أن الله جل اسمه)** أى عظم وتنزه عن الإلحاد فى أسمائه بالتأويلات الباطلة، ولقد أصاب قوله هنا جل اسمه محزه وطبق مفصله **(فى عظمته وكبريائه)** الكبرياء الترفع عن الانقياد، والعظمة جلالة ذاته فى نفسها، ولظهور الأولى ورد فى الحديث: «الكبرياء ردائى والعظمة إزارى من نازعنى فى شىء منهما قصمته»[1]، والفرق بينهما فيه تفصيل ليس هذا محله، والجار والمجرور متعلق بما سيأتى من قوله: لا يشبه إلى آخره، وقيل: إنه حال لازمة من ضمير اسمه أى متصفا بهما وبما بعدهما، وكنى بالظرفية عن تمكنه فيهما من غير تصور ظرفية واستقرار، ففيه استعارة تبعية أو هو ظرف مستقر كأنه لتمكنه وانفراده بأعلى مراتبهما فيهما انتهى. وفيه تكلف.

(وملكوته) أى عظم وعز سلطانه، وهى كما مر صيغة مبالغة من الملك كالجبروت، وقد يقابل بالملك فيراد به عالم الغيب، وبالملك عالم الشهادة، وكلا المعنيين صحيح هنا.

(وحُسنى أسمائه) أى أسماؤه الحسنى، ووصفت بالحسنى لدلالتها على أحسن المعانى وأمدحها، فهى صفة كاشفة لا مخصصة، ومنها ما يختص به كالخالق، وما يطلق عليه وعلى غيره، ولها تقاسيم أخر.

(وعلى صفاته) بضم العين وفتح اللام مقصور جمع عليا، وهى الشريفة الرفيعة، وروى عَلِيّ بفتح العين، وكسر اللام، وتشديد الياء وهما بمعنى **(لا تشبه شيئا من مخلوقاته)** بالتاء الفوقية أى المذكورات من لفظ العظمة وما بعده، وهو خبر أن وما بعده متعلق به أو حال مما قبله وليس معترضا كما قيل.

(ولا تشبه به) مبنى للمجهول بضم الفوقية مشدد الباء الموحدة ويجوز ضبطهما بالتحتية أى معانى أسمائه وصفاته لا تشابه غيرها بوجه من الوجوه، لقدمها وكونها على أعظم رتبة لا يصل إليها غيرها، وهو جواب عن سؤال وشبهة نشأت مما تقدم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٤١٤)، وابن حبان (٤٩)، والحميدى (١١٤٩).

تقديره أن بعض أسمائه تعالى أطلق على نبيه ﷺ وغيره، فيلزم مشاركة عبيده له فيها كما قال، **(وأن ما جاء)** من أسمائه تعالى **(مما أطلقه الشرع)** فى القرآن والأحاديث والكتب الإلهية **(على الخالق وعلى المخلوق)** كشكور وحفيظ وغيره مما تقدم، وأعاد الجار إشارة إلى تغايرهما وإن اتحد لفظهما، **(فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى)** الذى هو مأخذ الاشتقاق من الشكر والحفظ.

قال العلامة ابن القيم فى كتابه بدائع الفوائد: أسماؤه تعالى التى تطلق عليه وعلى غيره كسميع، هل هى حقيقة فيه مجاز فى غيره؟ أو مجاز فيه حقيقة فى غيره؟ أو حقيقة فيهما؟ ثلاثة أقوال، والأسماء الحسنى منها ما هو علم وصفة، والوصف فيها لاينافى العلمية بخلاف العباد، فإنها مشتركة انتهى.

وهو كلام مشكل فإن منها ما هو حقيقة قطعًا كالإله والخالق، ومنها ما هو مجاز كالرحيم فإن الرحمة رقة القلب، وقد صرحوا بأنه أطلق عليه باعتبار غايته إلا أن يقال إنه حقيقة شرعية، فإن تغايرها باعتبار الصفات كالقدم والحدوث لا يستلزم اشتراكها بل كونها مقولة بالتشكيك، فقوله: **(إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق)** لا يتم دليلا على مدعاه، **(فكما أن ذاته لا تشبه الذوات)** أى حقيقته ونفسه ومن ذهب إلى أن الذات لم ترد بهذا المعنى ينكر دخول أل عليه إلا أن الظاهر صحته، ويشهد له قولهم الذوين لملوك اليمن، وقوله تعالى ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨]، **(فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين)**، وكون ذاته لا تشبه شيئا من الذوات هو الحق الذى ذهب إليه الأشعرى وغيره من المتكلمين، خلافا لمن ذهب إلى أنها تشبه غيرها فى الحقيقة، وإن امتازت بالوجوب والألوهية وغيرهما وتفصيله فى الكتب الكلامية.

واعلم أن فى إطلاق لفظ الذات على الله تعالى شرعا ولغة خلاف، فقيل: إنه غير صحيح لأنه مؤنث ذو ودخول أل عليه غير صحيح لغة، وقال السهيلى: ذهب كثير إلى إطلاقها عليه وجواز تعريفها؛ لأنها بمعنى النفس والتأنيث غير مراد، فيقولون: ذات البارى بمعنى حقيقته ويحتجون بما ورد فى الحديث الصحيح: ثلاث كذبات فى ذات الله تعالى، وقول خبيب، رضى الله تعالى عنه[1]:

وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يُبَارِكْ على أوصال شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وقد أثبت ذلك البخارى وأحمد فى مسنده.

---

(١) البيت من الطويل، وهو لخبيب فى لسان العرب (٣٣٦/٨) (مزع)، تهذيب اللغة (١٦١/٢)، تاج العروس (١٩٩/٢٢) (مزع)، وبلا نسبة فى المخصص (١٦٧/٦).

وقال ابن القيم، وابن قدامة: ليست هذه اللفظة كما زعموا فى اللغة والشرع بالاستقراء، ولم يرد إلا مجرورًا بفى والظرفيه غير صحيحة، فهى صفة لمؤنث مقدر، ومعناها طاعة الله وشريعته كما قال النابغة[1]:

مَحَلَّتُهُم ذات الإله ودينهم

ومن فسره بغير ذلك فقد وهم فتدبر.

(إذ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض والأغراض) الأول بعين مهملة، والثانى بغين معجمة أو العكس، ثم راء مهملة وضاد معجمة فيهما، فالأول جمع عرض بفتحتين وهو ما يقابل الجوهر أى لا يقوم بذاته، أو بمعنى كالمرض ويكون بمعناه أيضا، لأن ما يعرض للبدن إن استمر فهو مرض عند الأطباء وإلا فعرض، ويطلق كل منها على الآخر، والثانى هو الأمر الباعث على وجود الفعل وإيجاده، وهذا تعليل لكون ذات الله تعالى وما تعلق بها لا يشبه شيئًا من المخلوقات؛ فإن الخلق وصفاتهم لا تنفك أى لا تفارق الأعراض، والله تعالى منزه عن الأعراض المحسوسة والكيفيات النفسانية؛ لأنها تابعة للمزاج المستلزم للتركيب المستلزم للحدوث المنافى لوجوب الوجود الذاتى خلافا للحكماء والكرامية، وأفعاله تعالى لا تعلل بأغراض، وإن كان لها ثمرات وحكم كثيرة جليلة، وهى تسمى غرضا أيضا ولكنه ليس محل خلاف، وذهب النسفى وبعض المحققين إلى جوازه، والخلاف فيه لفظى فإن العرض إن كان ما يستكمل به الفاعل ويحتاج إليه فهو منفى عنه، وإلا فيجوز إثباته له خلافا للحكماء، وليس هذا محل بسط الكلام فيه وفى كلامه تجنيس.

(وهو تعالى منزه عن ذلك)، فلا يحل به عرض، ولا يفعل لغرض، **(بل لم يزل)** موجودا أزلا وأبدا **(بصفاته وأسمائه)** الدالة على ذاته وصفاته، فهى قديمة. أما صفاته الذاتية فلا كلام فى قدمها، ومنها ما هو عينه، ومنها ما هو غيره، أو لا عينه ولا غيره عند الأشعرى. وأما صفات الأفعال كالإحياء والإماتة والخلق، فاختلف فيها فقيل: إنها قديمة والحادث تعلقها عند الماتريدية، والمصنف، رحمه الله تعالى، تبعهم هنا، وقيل: إنها حادثة إذ هى إضافات تعرض له ولا محذور فيه كما حققه المتكلمون، وصفاته السلبية قديمة أيضا، وأسماؤه على ما ذكره قديمة أيضا؛ لأنه تعالى سمى نفسه بها فى كلامه وهذا بناء على قدم الكلام اللفظى، وهو مذهب السلف وبعض الخلف كالشهرستانى.

---

(١) البيت من الطويل، وهو للنابغة الذبيانى فى ديوانه (ص٤٧)، لسان العرب (١٢٠/١١)، كتاب العين (١٤١/٦)، تهذيب اللغة (٤٨٨/١٠)، جمهرة اللغة (ص٩١، ٤٩٢)، المعانى الكبير (ص٥٤٩)، تاج العروس (حلّ) (حلّ)، وبلا نسبة فى الاشتقاق (ص٣١٤).

(وكفى بهذا) أى يكفى في إثبات ذاته وصفاته وأسمائه لا يشبه شىء فيها **(قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١])**، فإنه صريح فيه سواء قلنا إن مثله كناية عن ذاته كقولهم مثلك لا يبخل والكاف غير زائده، أو قلنا إنها زائدة، وقيل: الفرق بين مثله وكمثله أن الأول يدل على المشابهة من سائر الوجوه، وكمثله يدل على المشابهة بوجه ما.

(ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين) الدر بفتح الدال وتشديد الراء المهملتين أصل معناه اللبن الحليب، ويتجوز به عن الخير والعمل الصالح، واللام فى لله للتعجب، وكذا يستعملوه فيقال: لله دره للثناء عليه والتعجب من محاسنه، ولم يقولوا لله هو لأنه أبلغ بمراتب لتعجبهم من لبن ارتضعه كما يقال لله أبوه وبلده، وأضافوه لله إشارة إلى أنه لا يقدر عليه سواه، وأراد بالعارفين مشايخ الصوفية لما سيحكيه عنهم، فإن العارف مختص فى العرف بأولياء الله تعالى.

(التوحيد إثبات ذات)، وهى ذات الله تعالى **(غير مشبهة للذوات)** جميعها بوجه من الوجوه، **(ولا معطلة من الصفات)** أصل معنى العطل فقد الزينة والشغل، والمراد به النفى هنا أى غير منفى عنها الصفات كما يقوله المعتزلة، هربا من تعدد القدماء، والمحذور تعدد ذوات قدماء لا ذات وصفات، وفيه تشبيه للصفات بالزينة.

(وزاد هذه النكتة)، وهى معنى التوحيد الذى قاله المشايخ **(الواسطى)** تقدمت ترجمته **(بيانا وهى)** أى الزيادة التى زادها فهو عائد على ما فهم مما قبله **(مقصودنا)**، لدلالتها على ما عقد له هذا الفصل، **(فقال: ليس كذاته ذات)** أى ليس كحقيقته حقيقة، فلا يشاركه بوجه من الوجوه إذ لو شاركته لزم أمر آخر يميز ذاته عن ذات غيره، وإلا لاتحدا وهذا يستلزم التركيب والحدوث.

(ولا كاسمه اسم) أى لا يشبه مدلول اسمه مدلول آخر كما مر.

(ولا كفعله فعل)؛ لأنه فى غاية الكمال والإتقان، وليس لغرض ولا عرضا كما مر.

(ولا كصفته صفة)؛ لأنها عظيمة قديمة وغيرها ليس كذلك **(إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ)** فى بعضها كسميع وبصير وحى، فمثل ذلك فى حقه ليس مثله فى غيره، وإن كان اللفظ متحدًا لمناسبة ما ثم وضحه، فقال: **(وجلت الذات القديمة)** أى عظمت وتعالت وتنزهت عن **(أن تكون لها صفة حديثة)** أى محدثة موجودة بعد العدم؛ لأنها إن كانت صفة كمال لزم خلو الذات عنها قبل وجودها، وهو نقص لا يليق بكماله، وإلا استحال اتصافه بها، وهذا مبنى على قدم صفات الأفعال كما تقدم، **(كما استحال أن**

تكون للذات المحدثة صفة قديمة) لامتناع وجود صفة قبل موصوفها، **(وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة)** الماتريدية، فالجماعة إذا أطلق، فالمراد به هؤلاء دون غيرهم من الفرق الضالة المضلة.

(وقد فسر الإمام أبو القاسم القشيرى) تقدمت ترجمته **(قوله هذا)** أى قول الواسطى السابق؛ **(ليزيده بيانا)** وإيضاحا على إيضاح، **(فقال: هذه الحكاية)** أى المحكى المنقول عن الواسطى **(تشتمل)**، وفى نسخة: اشتملت **(على جوامع)** أى أمور جامعة مستوفية **(مسائل التوحيد)**، وهو اعتقاد أن الله تعالى واحد فى ذاته وصفاته لا مثل له ولا ضد ولا ند، ولا شريك له فى ألوهيته واستحقاقه للعباده، **(وكيف تشبه ذاته ذات المحدثات؟)** بفتح الدال المهملة أى الأمور الحادثة **(وهى بوجودها مستغنية)** مستقلة غير محتاجة ومستندة لغيرها؛ لوجوب وجودها وكونه عين ذاتها، وإلا كانت ممكنة، **(وكيف يشبه فعله فعل الخلق)؟** فى حقيقته ولوازمه وكماله، **(وهو)** أى فعله **(لغير جلب)** بفتح الجيم وسكون اللام وفتحها وباء موحدة، وهو التحصيل وأصل معناه السوق **(أنس)** أى استئناس ودفع وحشة؛ لاستغنائه عن الأنيس والجليس **(أو دفع نقص حصل)** أى ليس شىء من أفعاله لنفع له، بل كله لنفع عباده فإنه الغنى المطلق، **(ولا بخواطر وأغراض)**، والباء سببية وفى نسخة لخواطر باللام التعليلية، وأغراض بغين معجمة أى ليس شىء من أفعاله تعالى لخواطر يطرأ عليها وباعث يدعوه لفعله كما تقدم، وفى نسخة ولا بجواهر وأعراض بالمهملة، والصحيح رواية ومعنى الأول، وهذا تحريف من النساخ، وإن احتمل رجوع الجواهر لذاته والأعراض لأفعاله على ما فيه.

وقوله: **(وجد)** ماض للمجهول كما قاله البرهان، ووقع فى مقابلة قوله حصل أى ليس لدفع نقص حاصل ولا لخاطر وغرض موجود، وفى بعض الشروح بكسر الجيم وتشديد الدال، أى ليس فعله باجتهاد وجد منه، والذى غره قوله **(ولا بمباشرة ومعالجة)** إلا أن قوله **(ظهر)** يأباه، فإن الأفعال الثلاثة فيها ضمير عائد على الفعل؛ فإن معناه ليس فعله لدفع نقص حصل له أو لخاطر وغرض وجد فى نفسه، ولا نكد ظهر وقت فعله، وقد وقع كل من الأفعال الثلاثة فى محله، فوصف النقص يحصل لأنه طار عليه، ووصف الخاطر بأنه وجد بغتة فى نفسه كما هو شأنه، كما أن شأن المباشرة كونها محسوسة، فهذا ناش من عدم تأمل كلامه.

والمباشرة: فعل الشىء بنفسه ومزاولته بجوارحه، والفعل ضربان مباشرة وتولد، كأنه يمس بشرته وظاهر بدنه، والمعالجة المباشرة بجد وقوة، يقال: اعتلجوا إذا اقتتلوا أى ليس فعله كفعل غيره بعلاج وإعمال، وإنما هو إرادته من غير شىء من ذلك. ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ

﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

(وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه) المذكورة من جلب نفع ودفع ضر وأعراض ومباشرة ومعالجة.

(و) قال آخر **(من مشايخنا)** جمع شيخ، والشيخ من كبر سنه وفى العرف من تصدر للإفادة، لأنه إنما يحصل باتفاق العمر، وله جموع منها مشايخ على الأصح، وقال بعض أهل اللغة إنه لا أصل له، ولم يسمع فى كلام العرب، ورد بأنه سمع كما فى شرح الفصيح.

(ما توهمتموه بأوهامكم) أى كل شىء واقع فى أوهام الناس أنه حقيقة البارى ليس كما توهمتموه، **(أو أدركتموه بعقولكم)** أى تصورتموه وعلمته عقولكم، **(فهو محدث مثلكم)**؛ لأن الأوهام والعقول مألوفة بإدراك ما تشاهده، فتظن أن الله تعالى جل وعلا مثله، وتقيس الغائب على الشاهد، والله تعالى أجل من أن يحيط به إدراك المدرك للأمور المحدودة المتناهية، وهو تعالى منزه عما يليق به مما ألفته النفس من المدركات، وليس المراد أنه لا تدرك ذاته وصفاته بوجه ما، فإنه معلوم بالنظر الصحيح والبراهين القاطعة، فالمراد أنه لا يدرك كنه ذاته وصفاته ومسمى أسمائه بكنهه، ولم نكلف بهذا، وإنما كلفنا بمعرفة ذاته وصفاته ووحدانيته، وأنه لارب ولا معبود سواه.

(وقال الإمام أبو المعالى الجوينى) إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى النيسابورى أبو المعالى إمام الأئمة عربا وعجما فريد دهره نخبة الفلك ونكتة عطارد صاحب الفضائل والتآليف الجليلة، ولد ثانى عشر المحرم سنة تسع وعشرة وأربعمائة فى خامس وعشرين من ربيع الثانى، وجوين بضم الجيم من نواحى نيسابور، وهو شيخ الغزالى ومفخره **(من اطمأن)** بطاء مهملة ساكنة، وميم وهمزة مفتوحة، ونون مشددة بمعنى سكن بعد انزعاج، أى تقرر وتيقن عنده بعد الشك والشبه **(إلى موجود انتهى إليه فكره)** أى تيقن أمرا موجودًا على وجه معين ارتسم فى ذهنه أنه، **(فهو مشبه)** أى معتقد لتشبيه الله تعالى بغيره مما فى خزانة فكره، وهو خطأ لأنه ليس كمثله شىء، وفكره إنما هو مدركاته المشاهدة فيأتيه التشبيه منها، واحترز بقوله: اطمأن عن الوسوسة فإنها ليست بتشبيه لعدم ركون النفس لها.

(ومن اطمأن إلى النفى المحض) الخالص بأن نفى ذات البارى حقيقة أو حكما كالفلاسفة القائلين: لا يصدر عن الواحد بالذات إلا واحد، **(فهو معطل)** ناف للصانع، وهم الدهرية القائلون بالطبائع إلى غير ذلك مما لا يصدر عن عاقل، **(وإن قطع)** أى جزم

(بموجود) إله واجب الوجود **(اعترف بالعجز عن درك حقيقته)** بسكون الراء وقد تفتح أصل معناه اللحوق، ثم صار بمعنى العلم كالإدراك لوصول العقل إليه، أى عجز عن علم بكنهه، **(فهو موحد)**؛ لأنه عرف الله ووحده واعترف بأنه لا يقدر على معرفته بكنهه، وهو التوحيد الصرف. قال الراغب: وروى عن أبى بكر، رضى الله عنه: أنه قال: يا من غاية معرفته العجز عن معرفته إذ كان غاية معرفته أن يعرف الأشياء، فيعلم أنه ليس شىء منه ولا بمثله، بل هو موجد كل ما أدركته انتهى.

(وما أحسن قول ذى النون المصرى) الزاهد العارف بالله تعالى أبو الفيض، ويقال أبو الفياض، واسمه ثوبان بن إبراهيم الأخميمى، كان أبوه نوبيا توفى، رحمه الله تعالى، سنة خمس وأربعين ومائتين، وكان عالما بالعلوم والخطوط القديمة، وحدث أنه قرأ من خط قديم:

تدبر بالنجوم ولست تدرى ورب النجم يفعل ما يشاء

وله ترجمة فى الميزان.

(حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله فى الأشياء) أى فى إيجادها وإبداعها **(بلا علاج)** أى بلا معالجة ومكابدة واستعمال آلة.

(و) تعلم أن **(صنعه لها بلا مزاج)** المزاج لغة كالمزج الخلط، وما ركب عليه البدن من الطبائع، وعند الأطباء كيفية له من العناصر المتماسة بحيث يكسر سورة كل منهما سورة الآخرة، وهو بالمركبات العنصرية، والمراد أن إيجاده لها لا يحتاج إلى مادة ومعاونة تركبه منها، بل قدرته تعالى العلية أوجدته ابتداء من العدم بعد أن لم تكن بمجرد قوله: كن فيكون، فلا يحتاج إلى شىء من العلل الأربع كما أشار إليه بقوله: **(وعلة كل شىء صنعه)** بمجرده ومجرد قدرته، **(ولا علة لصنعه)** تعينه فى إيجاده إذ أفعاله تعالى لا تعلل بالأغراض، **(وما تصوره وهمك فالله بخلافه)**، فإن ذاته لا تشبه الذوات، وأفعاله لا تشبه أفعال غيره، فهو منزه عن أن تتصوره الأوهام، **(وهذا كلام عجيب نفيس محقق)** من النفاسة وهى الشرف وعلو القدر.

(والفصل الأخير) من كلام ذى النون، وهى الفقرة الثالثة أعنى قوله: وما تصوره وهمك فالله بخلافه **(تفسير لقوله)**، عز وجل، أى بمعنى قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فإن ما لا مثل له لا يرتسم فى الوهم.

(والثانى) أى الفصل الثانى، وهو قوله: وعلة كل شىء صنعه ولا علة لصنعه **(تفسير)** وبيان **(لـ)** معنى **(قوله:** ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]،

فإنه لا علة لفعله حتى يقال له: لم فعلت كذا بخلاف غيره من عبيده المكلفين.

(والثالث) فى العدد، وهو الأول أعنى قوله: حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله فى الأشياء بلا علاج، وصنعه لها بلا مزاج **(تفسير لقوله:** ﴿**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**﴾) [النحل: ٤٠]، وفى كلامه لف ونشر غير مرتب، وهذا تمثيل لسرعة الإيجاد والتسخير.

(ثبتنا الله وإياك على التوحيد) أى على العقيدة الحقة فى اعتقاد وحدانية الله تعالى فى ذاته وانفراده بجميع شئونه **(والإثبات)** أى إثبات ما يليق بذاته لذاته وبصفاته لصفاته، وليس المراد إثبات واجب الوجود المنافى للتعطيل، فإنه معلوم من التوحيد إلا أن يريد مجرد التوكيد، **(والتنزيه)** لذاته وصفاته عما لا يليق بها.

(وجنبنا) أى بعدنا **(طرفى الضلالة والغواية من)** طرفى **(التعطيل والتشبيه)** من بيانية، وأراد بالضلالة التعطيل، وبالغواية ادعاء التشبيه والتجسيم، وجعل للاعتقاد الحق طرفين إفراط وتفريط، والوسط هو الصراط المستقيم والدين القويم، وهذا كله استدلال على أن ما أطلق على الله وعلى غيره ليس لاشتراكهما فى حقيقة المدلول والمسمى، كما مر بيانه مبسوطًا، ولما كانت هذه التسمية تشريفًا وتمييزًا لهم عما عداهم أردفه بما يتم به التمييز، وهو المعجزات فقال:

* * *

(الباب الرابع) [فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات]

من القسم الأول (**فيما أظهره الله على يديه**) ﷺ، ما على اليد هو ما وضع فوقها، فكنى به عما كان مشاهدًا (**من المعجزات**)، وهى الأمور الخارقة للعادة التى يظهرها الله تعالى على يد أنبيائه، عليهم الصلاة والسلام، لإلزام من كذبهم إذ عجزوا عن الإتيان بالمثل، وهذا هو الفرق بينها وبين الكرامة، وليس الفرق أن المعجزة للنبى والكرامة للرسول كما قيل، فإن الكرامة تكون للنبى أيضًا كما أشار إليه المصنف، رحمه الله تعالى، بقوله:

(**وشرفه به من الخصائص والكرامات**) أى ما خصه الله تعالى به وأكرمه مما لم يكن لغيره، والفرق بينها وبين السحر ليس ادعاء النبوة، فإن الساحر قد يدعيها كاذبًا بل إنها أمر إلهى ليس بمزاولة العزائم، ونحوها من تسخير الكواكب كما يدل عليه قوله: أظهره الله، وهى دالة على صدقه فى دعوى النبوة، وما كان قبل البعثة، فهو إرهاص أى تأسيس للنبوة، وأدخلها بعضهم فى المعجزة.

قال الزركشى فى البحر: اختلف فى دلالتها فذهب القشيرى إلى أنها وضعية، وما دل وضعًا يجوز أن يتبدل، واختار الإمام فى الإرشاد، وأبو إسحاق أنها عقلية.

وقال الآمدى فى أبكار الأفكار: الذى ذهب إليه المحققون أن دلالة المعجزة على صدق الرسول ليست دلالة عقلية ولا سمعية، أما الأول فلأن ما يدل عقلا يدل بنفسه ويرتبط بمدلوله لذاته، وقد تقع الخوارق عند تصرم الدنيا مع عدم دلالته على تصديق مدعى النبوة، فإنه لا إرسال ولا رسول إذ ذاك، وأما الثانى فلأن الدلالة السمعية تتوقف على صدقه، فلو توقف صدق الرسول عليها كان دورًا، بل دلالتها على صدقه غير خارج عن الدلالات الوضعية النازلة منزلة قوله الله تعالى: «**صدق عبدى**»، انتهى. وفيه بحث.

(**قال القاضى أبو الفضل**) عياض المؤلف (**رضى الله تعالى عنه: حسب المتأمل**) بسكون السين، أى يكفيه أو كفايته، والمتأمل هو المفكر الناظر نظرًا صحيحًا (**أن كتابنا هذا لم نجمعه**) أى لم نؤلفه (**لمنكر نبوة نبينا**)، صلى الله تعالى عليه وسلم، ممن كفر به، (**ولا لطاعن فى معجزاته**) أى معترض ومعارض معاند فى ثبوت بعضها، وإن كان مظهرًا للإسلام كبعض الزنادقة، وأصل الطعن الرشق بالسنان ونحوه، فاستعير لتعييب الناس

وذمهم. يقال: طعنه يطعنه بالضم والفتح، وقال ابن برى: الأكثر فى طعن السلاح بضم عين المضارع وفى القول فتحها، ونقله بعضهم عن غيره من الأئمة فتأمله، **(فيحتاج)** بالرفع على الاستئناف أو النصب فى جواب النفى بناء على رأى من جوزه مستدلا بقوله:

لم ألق بعدهم حيا فأخبرهم ... إلا يزيدهم حبا إلى هم

وقد منعه بعض النحاة، وهم نحاة المغرب.

(إلى نصب البراهين عليها) أى على إثباتها بالأدلة القاطعة الملزمة لمن أنكرها أو طعن فيها، ونصبها إقامتها وإيضاحها من قولهم: نصب رأيا إذا أشار إليه بأن لا يعدل عنه كما فى الأساس، **(وتحصين حوزتها)** بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الزاء المعجمة، وهى الناحية والجانب، وتحصينها جعلها حصينة محفوظة كأن عليها حصنًا يحميها، وفيه استعارة تمثيلية تخييلية بجعل المنكر كالعدو القاصد لخراب المملكة، ويقال: حمى حوزة وبيضة بلده إذا حفظ جواره وما يلزمه حفظه، **(حتى لا يتوصل المطاعن إليها)** جمع مطعن، وهو الطعن والرد بالأباطيل الفاسدة التى تصدر عن أهل الإلحاد، وضمير إليها للحوزة أو للمعجزة، والأول أولى وأبلغ؛ لأن عدم الوصول إلى الحوزة يستلزم عدم الوصول إليها.

(ونذكر شروط المعجزة والتحدى) بفتح المثناة الفوقية المشددة والحاء المهملة وكسر الدال المهملة المشددة وياء تحتية، وهو طلب المعارضة، وأصله تقابل الحادين فى حداء الإبل **(وحده)** معطوف على يحتاج الداخل فى حيز النفى وحده بمعنى تعريفه منصوب كقوله: **(وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع ورده)**، أى لا نذكر فساده، ورده معطوف على فساد أو ماض معطوف على أبطل، أى لم نجمعه لأجل شىء من ذلك حتى يحتاج إلى ذكر ما يدفعه ويقيم الحجة على بطلانه، كما هو دأب المتكلمين أن يقدموا قبل مباحث إثبات النبوة أو ذكر المعجزات مبحث إبطال قول المنكرين للنسخ، لعدم فرقهم بينه وبين البداء، وهم اليهود الذين تمسكوا بذلك فى إبطال نبوة نبينا محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، ونبوة عيسى، عليه الصلاة والسلام؛ لنقلهم عن التوارة ما يدل على تأبيد شريعة موسى، عليه الصلاة والسلام، مع وقوع النسخ فيها كما فصل فى كتب الأصلين.

(بل ألفناه لأهل ملته) أى إنما ألفناه لأهل ملة نبينا محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، من المؤمنين به **(الملبين لدعوته)** بالباء الموحدة المشددة، أى القائلين له إذ دعاهم ﷺ

للتوحيد والدين الحق: لبيك، وهو عبارة عن إطاعته وتصديقه؛ ولذا قال: **(المصدقين لنبوته)** لإقرارهم واعترافهم بكل ما جاء به، ولا يقال: إن جميع التآليف الإسلامية كذلك، فإنه ليس بشىء، ثم بين الداعى لتأليفه، فقال: **(ليكون تأكيدًا فى محبتهم له)**، ﷺ دفعًا لما عسى إن يقال: إن المؤمنين غير محتاجين له مع اعترافهم وإقرارهم بذلك، فأجاب بأنه مؤكد لمحبتهم له ﷺ **(منماة لأعمالهم)** بالنون من النمو بمعنى الزيادة مصدر، أو اسم محل أى يزيدهم رغبة فى أعمالهم الصالحة، أو يبلغهم الأعمال، أو يبلغ أعمالهم إلى الله تعالى من نميت الحديث إذا بلغته؛ **(وليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم)** بذلك فإنه يزيده أو يثبته فى قلوبهم، وفى تقديمه زيادة الأعمال على زيادة الإيمان إشارة إلى أن زيادته مبنية على دخول الأعمال والقول فى قبول الإيمان الزيادة مقرر فى محله.

(ونيتنا) بالنون والمثناة التحتية المشددة والمثناة الفوقية والنون قبل الألف، أى قصدنا وما عزمنا عليه فى هذا الباب **(أن نثبت فى هذا الباب)** أى نقرر ونكتب وهو بكسر الموحدة مخففة ومشددة رواية من الإفعال أو التفعيل **(أمهات معجزاته)** أى كبارها وعظامها جمع أم، **(ومشاهير آياته)** غاير بينهما تفننا؛ فإن الآيات بمعنى المعجزات أيضًا، أو المراد ما اشتهر من كراماته، صلى الله تعالى عليه وسلم، من غير تحدى غيره، **(ليدل)** ما أثبتناه على عظيم قدره **(عند ربه)** لما أجراه على يديه من عظيم الآيات.

(وأتينا منها) أى ذكرنا من تلك المعجزات **(بالمحقق)** أى بما اشتهر وشاع حتى لم يبق فيه شبهة، **(والصحيح الإسناد)** أى ما صح سنده، وتقدم أن الإسناد هو الإتيان بالسند، وهو عبارة عن الذين نقلوا الحديث منقول من سند الجبل، وهو ما ارتفع من حفل الجبل، وقد يكون الإسناد بمعنى السند وصحته باستيفاء شروطه المذكورة فى كتاب ابن الصلاح وغيره **(وأكثره)** أى أكثر ما أتينا به **(مما بلغ القطع)** أى وصل إلى رتبة القطع بحيث لا يقبل التشكيك كالقرآن **(أو كاد)** أى قارب بلوغ القطع لشهرته وصحته، فهو وإن كان ظنيًا لكنه قوى حتى صار متيقنًا بما حفه من القرائن، وحذف معمولى كاد شائع فى كلام العرب لاسيما فى السجع كما هو فيما نحن فيه.

(وأضفنا إليها) أى ضممنا إلى المعجزات المحققة والمقاربة لها **(بعض ما وقع فى مشاهير كتب الأئمة)** يعنى أئمة الحديث الذين تلقى الأئمة كتبهم بالقبول كدلائل النبوة للبيهقى والسنن وبقية الكتب.

(وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه) أى من نظر بعين الرضاء والإنصاف فى صفاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، التى قدمها المصنف، رحمه الله تعالى، قبل هذا الباب، وهذا تأكيد لما قبله من أن ذكر المعجزات ليس لإثبات نبوته، صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأن

من تأمل صفاته علم أنه غير محتاج فى إثبات نبوته إلى برهان بذكر معجزاته، وإنما ذكرت لمحبتها وتأكيد ذلك كما قال المتنبى:

صفاته لم تزده معرفة   لكننا لذة ذكرناها

(من جميل أثره)، صلى الله تعالى عليه وسلم، بفتحتين وهو بقية الشىء، وما يبقى بعده من آثار فعله كالصدقة الجارية والولد الصالح والعلم النافع مما يرسم فى صحائف الأيام، وقيل: جمع أثرة من آثره يؤثره إيثارًا إذا أعطاه، ومآثر العرب مكارمها ومفاخرها التى تروى وتذكر.

(وحميد سيره) جمع سيرة كسدرة وسدر، وهى الطريقة والسنة المحمودة.

(وبراعة علمه) أى علمه الفائق به على غيره. يقال: برع براعة وبروعا إذا فاق فى علم أو غيره.

(ورجاحة عقله) أى عقله الزائد بحيث لو وزن بغيره رجح عليه، **(وحلمه)** الراجح أيضًا، **(وجملة كماله)** أى جميع كمالاته التى لم تجمع لغيره، **(وجميع خصاله)** جمع خصلة، وهى الصفة الحسنة، وهى مجاز من الخصل، وهى ما يعطى فى الرهان فاستعير لما ذكر كما ذكره فى الأساس، **(وشاهد حاله)** وحكى عما كان يشاهد من حاله، وفى تعبيره بالشاهد لطف؛ لأن فيه إيهام أنه يشهد لمحاسنه وهو بمعنى الحاضر، **(وصواب مقاله)** أى يحكى من كلامه، صلى الله تعالى عليه وسلم، الذى هو صواب كله، وحكم وحكم، والكل بالجر عطف على جملة.

وقوله: **(لم يمتر)** جواب إذا أى لم يشك ويشتبه عليه ويقع له تردد **(فى صحة نبوته)** التى ادعاها وأظهرها، **(وصدق دعوته)** أى صدقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى مدعاه، أو فيما دعا الخلق إليه من دينه وتوحيد ربه، **(وقد كفى هذا غير واحد)** هذا فاعل كفى، وهو إشارة لما ذكر من الجهل وما بعده وغير مفعوله **(فى إسلامه والإيمان به)** أى كفاه ما رآه من أحواله، صلى الله تعالى عليه وسلم، عن طلب برهان وآية على نبوته وصدق رسالته والانقياد لأمره، فأسلم وآمن به وتبعه من غير تلعثم، كأبى بكر، رضى الله تعالى عنه، فإنه كان كلما رآه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قال: «ما خلق الله هذا إلا لأمر عظيم، فلما دعاه للإسلام، قال: هذا الذى كنت أرجو منك».

(فروينا عن الترمذى) الإمام المشهور صاحب السنن، وقدمنا ترجمته، **(وابن قانع)** بقاف ونون مكسورة وعين مهملة بعد ألف، وصحفه بعضهم بنافع بنون وفاء وهو غلط، وهو عبد الباقى بن قانع الإمام الحافظ كما تقدم، **(وغيرهما بأسانيدهم)** جمع

إسناد وجمع وإن كان مصدرًا لنقله إلى الاسمية **(أن عبد الله بن سلام)** الصحابى المشهور، وهو بتخفيف اللام وغيره مشدد اللام، واختلف فى بعضها أيضًا.

(قال: لما قدم رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، المدينة) فى هجرته هو وأبو بكر، رضى الله تعالى عنه، **(جئته لأنظر إليه)** جواب لما يعنى أنه سمع بقدومه، صلى الله تعالى عليه وسلم، من مكة، وقولهم: إنه رسول الله فأتاه ليعرف أمره، وهو من علماء أهل الكتاب صاحب فراسة وذكاء، **(فلما استبنت وجهه)** استفعال من البيان، وهو الوضوح والظهور والسين للمبالغة.

(عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب) أى لاح له من سيماه نو النبوة فى محياه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أن مثله لا يكذب فيما ادعاه، فخلق الله تعالى فيه علما ضروريًا، فصدقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، مع ما كان علمه من صفته فى التوارة والكتب السالفة، وقال، رضى الله تعالى عنه، لليهود: يا معشر يهود اتقوا الله تعالى واقبلوا ما جاءكم به، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله الذى تجدونه عندكم مكتوبًا فى التوراة باسمه وصفته، وإنى أومن به وأصدقه، ثم شرع فى ذكر سنده لما رواه عن الترمذى، ولم يقدمه لئلا يفصل بينه وبين ما استشهد له به، فقال:

(حدثنا به) أى بحديث ابن سلام **(القاضى الشهيد أبو على، رحمه الله تعالى)**، الحافظ المعروف بابن سكرة كما تقدم **(قال: حدثنا أبو الحسين الصيرفى)** بالتصغير، ومن قال: أبو الحسن مكبرًا فهو مخطئ، **(وأبو الفضل بن خيرون)** تقدمت ترجمته **(عن أبى يعلى البغدادى)** بفتح التحتية، وهو المعروف بابن زوح الحرة كما تقدم **(عن أبى على السنجى)** تقدم ضبطه وبيان نسبته.

(عن ابن محبوب) المعروف بالمحبوبى راوى السنن **(عن الترمذى)** كما تقدم قال: **(حدثنا محمد بن بشار)** بفتح الموحدة وتشديد المعجمة كما تقدم قال: **(حدثنا عبد الوهاب الثقفى)** بن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله بن الحكم بن أبى العاص الثقفى الحافظ، وثقه ابن معين، وقيل: إنه اختلط فى آخر عمره، توفى سنة أربع وتسعين ومائة، وأخرج له أصحاب الكتب الستة ترجمته فى الميزان، **(ومحمد بن جعفر)** هو غندر كما تقدم، **(وابن أبى عدى)** محمد بن إبراهيم بن أبى عدى البصرى الثقة، توفى سنة أربع وتسعين ومائة، وروى له أصحاب الكتب الستة.

(ويحيى بن سعيد) بن فروخ أبو سعيد القطان البصرى التميمى الحافظ أحد الأئمة الأعلام، توفى سنة ثمان وتسعين ومائة، وترجمته فى الميزان، **(عن عوف بن أبى جميلة)**

بفتح الجيم وكسر الميم (**الأعرابى**) سمى به لسكناه بدرب الأعراب. قاله ابن دقيق العيد، وهو ثقة ثبت، توفى سنة سبع وأربعين ومائة، وأخرج له أصحاب الكتب الستة كما فى الميزان.

(**عن زرارة بن أبى أوفى**)، وفى نسخة ابن أوفى وهو من خلط الناسخ، وزرارة بضم الزاء المعجمة ورائين مهملتين، وهو مكنى بأبى صاحب قاضى البصرة، ثقة عالم تقى أم فى داره فقرأ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨] فشهق شهقة ومات سنة ثلاث وتسعين، وروى له أصحاب الكتب الستة، (**عن عبد الله بن سلام الحديث**) كما تقدم.

(**وعن أبى رمثة التيمى**) بكسر الراء المهملة وسكون الميم وثاء مثلثة قبل هاء علم منقول من رمثة نوع من النبات، واختلف فى اسمه، فقيل: رفاعة، وقيل: عمارة، وقيل غير ذلك، التيمى، وقيل: التميمى. اختلف فى نسبته لتيم أو تميم، وهما قبيلتان مشهورتان، وقيل: إنه بلدى أيضًا (**أتيت النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، ومعى ابن لى**) حكاية لحاله التى جاءه بها، وإلا فلا دخل له فى القضية، (**فأريته**) أى أرانيه وعرفنى به غيرى بإشارة ونحوها، وهو بضم الهمزة مجهول أراه يريه؛ لأنه لم يكن رآه قبل ذلك، (**فلما رأيته قلت: هذا نبى الله**) أى بمجرد تعلق نظره به اعترف بنبوته، صلى الله تعالى عليه وسلم، لما شاهده من عظمته ونور نبوته، فأوقع الله فى قلبه علما ضروريا بصدقه، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(**وروى مسلم وغيره أن ضمادًا**) بكسر الضاد المعجمة وميم مفتوحة مخففة وألف ودال مهملة، وهو ضماد بن ثعلبة الأزدى نسبة لأزد شنوءة قبيلة مشهورة، وكان صديقًا للنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، قبل البعثة، فلما قدم مكة وسمعهم يقولون فيه ما قالوه تابعه وأسلم فى أول الإسلام، وكان عاقلاً يتطبب ويرقى. ذكره ابن عبد البر فى الصحابة وفى الصحابة شخص آخر يسمى ضمادًا وله وفادة، ولا ثالث لهما.

(**لما وفد عليه**) أى لما قدم على النبى ﷺ وهو بمكة فى ابتداء الإسلام، وقد تقدم أن الوفود القدوم على العظماء من مكان بعيد قصدًا، وكان راقيًا يرقى الناس فى الجاهلية، فلما سمعهم يقولون: إن محمدًا مجنون وفد عليه، وقال: يا محمد إنى راق فهل بك من شىء فأرقيك، فأجابه، صلى الله تعالى عليه وسلم، دفعًا لما قاله مما نسبوه إليه كما بينه بقوله:

(**فقال له النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم: إن الحمد لله**) جوزوا فى إن كسر الهمزة وتشديد النون وفتح الهمزة مع التخفيف، وهو ظاهر، والحمد وكون جملته إنشائية أو

خبرية مشهور، وحسن تأكيده سؤاله له وطلبه أن يرقيه لتوهمه صدقهم فيما قالوه، فأجابه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وصدر كلامه بحمد الله إشارة إلى أن الله أنعم عليه بنبوته، ففيه رد لما زعموه على أبلغ وجه.

ثم قال: **(نحمده ونستعينه)** فأردف الجملة الاسمية بفعلية مضارعية؛ لأنه قصد بالأولى أن الحمد ثابت ومستحق له بالاستحقاقين بقطع النظر عن الحامدين، والجملة محتملة للخبرية والإنشائية، ثم أردفها بجملة أخرى لإنشاء حمده بنفسه لما أنعم الله به عليه من جلائل النعم التى أجلها نعم النبوة المؤيدة بالمعجزات الباهرات، ولذا قطعها عما قبلها وأتى بها مضارعية لتدل على الاستمرار التجددى، وأسنده لضمير المتكلم مع الغير إشارة إلى أنه لا يقدر وحده على وفاء حق حمده؛ فإن كان الضمير له وحده فليس لتعظيم نفسه، بل لتعظيم الحمد والمحمود، ونستعينه بمعنى نطلب المعونة والمساعدة منه على أداء حق حمده أو على جميع أمورنا التى من جملتها الحمد، وفيه اقتداء بما أرشدنا إليه من أن الطالب للشىء يقدم عليه حمد الله وتعظيمه كما فى سورة الفاتحة؛ ولذا أردفه بقوله: **(من يهده الله)** إشارة إلى أنه طلب منه الهداية إلى الطريق المستقيم كما فى قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، ومن شرطية جوابها قوله: **(فلا مضل له)**، أى لا يقدر أحد على إضلاله، **(ومن يضلل فلا هادى له)**، وفيه تعريض بمن تعرض له، صلى الله تعالى عليه وسلم، بإسناده له ما لا يليق به، وأن الله بيده الهداية والضلال.

(وأشهد) أعلم وأذعن وأعتقد **(أن لا إله إلا الله)** أى لا معبود بحق سوى واجب الوجود المستحق لجميع المحامد **(وحده لا شريك له)** فى ألوهيته وجميع شئونه، وهو مؤكد لما قبله لتضمنه للحصر المقدم عليه، **(وأن محمدًا عبده ورسوله)** أرسله لهداية خلقه وإرشادهم لتوحيده، وفيه دعوة أى اعتراف بأنه عبده، وجواب لما قوله: **(قال له:)** ضماد المذكور لما سمع ما قاله، صلى الله تعالى عليه وسلم **(أعد على كلماتك هؤلاء)** المذكورة من قوله الحمد لله إلى آخره، وإنما طلب إعادتها ليتأملها ويفهم ما أراده، وهؤلاء وأولئك إشارة إلى جمع المذكر والمؤنث من العقلاء وغيرهم كما قال الشاعر:

ذم المنازل بعد منزلة اللِّوَى والعيش بعد أولئك الأيام[1]

---

(١) البيت من الكامل، وهو لجرير فى ديوانه (ص٩٩٠)، تخليص الشواهد (ص١٢٣)، خزانة الأدب (٤٣٠/٥)، شرح التصريح (١٢٨/١)، شرح شواهد الشافية (ص١٦٧)، شرح المفصل (١٢٩/٩)، لسان العرب (٤٣٧/١٥)، المقاصد النحوية (٤٠٨/١)، وبلا نسبة فى أوضح المسالك (١٣٤/١)، شرح الأشمونى (٦٣/١)، شرح ابن عقيل (ص٧٢)، المقتضب (١٨٥/١).

فالمشار إليه هنا الكلمات.

(فقد بلغت قاموس البحر) أى اشتهرت مقالتك هذه فى جميع أقطار الأرض شرقًا وغربًا، وقاموس البحر وسطه أو لجته أو قعره كما فى كتب اللغة من قمسه إذا غمسه، ووزنه فاعول، وهذه أشهر الروايات وأصحها، وفيه روايات أخر فروى تاعوس بمثناة فوقية وعين وسين مهملتين بينهما واو ساكنة، وروى قاعوس، وروى فاعوس بفاء بدل القاف، ورواه أبو داود قاموس، أو قابوس، على الشك فى الميم والباء الموحدة، وروى ناعوس بالنون أيضًا، وقيل: إن الكل تصحيف ما عدا قاموس وفاعوس كما قاله ابن قرقول. يقال: قال فلان قولا بلغ قاموس البحر أى سمعه كل ذى روح حتى دواب البحر، وهو مبالغة فى شيوعه، وروى قاعوس من القعس، وهو خروج الصدر وبروزه، وقيل: إنه تعجب ممن لم يسمعها و لم يصدق بها من العقلاء مع بلوغها هذا المبلغ.

(هات) بكسر التاء اسم فعل معناه أعط **(يدك أبايعك)** بالجزم فى جواب الأمر، ووجه استشهاد المصنف به أنه بمجرد رؤيته وسماع كلامه، صلى الله تعالى عليه وسلم، آمن به من غير تردد، وليس فى كلامه ما يدل على صدق مدعاه، ولكنه لما رأى نور وجهه الشريف وحسن بهجته آمن به.

(وقال جامع بن شداد) فى حديث رواه عنه البيهقى، وهو أبو ضمرة الأسدى الكوفى، والحديث روى عن صفوان وغيره، وأخرج له أبو داود والنسائى، وتوفى سنة ثمان، أو سبع عشرة، أو عشرين ومائة (: **كان رجل منا يقال له: طارق)** بن عبد الله المحاربى، وهو صحابى، كما أشار إليه بقوله: **(فأخبر أنه رأى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالمدينة)** كما قال ابن شداد وغيره، وله رواية عنه، وقال ابن حبان: إنما رآه بمكة بذى المجاز، وهو سوق بينه وبين عرفة فرسخ، وهو مخالف لما قاله المصنف.

(فقال) له، صلى الله تعالى عليه وسلم، ولمن لقيه معه (: **هل معكم شىء تبيعونه؟)** إنما سألهم لأنهم أعراب، وإنما يقدم مثلهم للبيع والشراء. **(قلنا: هذا البعير، قال: بكم؟)** تبيعونه **(قلنا: بكذا وكذا وسقا من تمر)** بكسر الواو وفتحها، وهو ستون صاعًا مما يكال، **(فأخذ بخطامه)** بخاء معجمة وطاء مهملة وميم، وهو كالزمام وزنا ومعنى أى رسنه الذى يقاد به، والباء مزيدة أى أخذه ليجره ويذهب به، **(وسار)** أى ذهب من عندنا بالبعير، **(فقلنا)** أى قال بعضنا لبعض: **(بعنا)** بغيرنا **(من رجل لا ندرى من هو)** حتى نطالبه بالثمن، والوسق المبهم فى الحديث كان ستون صاعا كما ورد التصريح به فى رواية أخرى، وقوله: من هو؟ مفعول ندرى، والمعنى لا ندرى جواب هذا السؤال، وعدى البيع بمن وهو متعد بنفسه إما بناء على مذهب الأخفش من جواز زيادة من فى

الإثبات، وقال النووى: إنه لغة فيه فيتعدى بنفسه وبمن كأنكح وزوج، فإنه يقال: أنكحه وزوجه وأنكح وزوج منه، وقد وقع هذا فى كثير من الأحاديث فلا عبرة بقول من عده من لحن الفقهاء، وفى مسلم: لو بعت من أخيك، وفى البخارى: نبيعه من الصواغين، إلى غير ذلك مما لا يحصى.

(تنبيه) قوله: وسقا منصوب لأنه تمييز، وكذا مركبة من كافة التشبيه واسم الإشارة ثم كنى به عن العدد وغيره، وتكون مفردة ومكررة بعطف ودونه، وذهب البصريون إلى أن تمييزها لا يكون إلا مفردا منصوبا، وذهب الكوفيون إلى أنها بحسب ما يكنى بها عنه كناية عن ثلاثة إلى عشرة، وكذا كذا عبد كناية عن مائة فصاعدا، وكذا كذا عبدًا كناية عن أحد عشر وأخواته، وكذا كذا عبد كناية عن واحد وعشرين إلى تسعة وتسعين، وكذا عبدا كناية عن عشرين وأخواته وتفصيله فى شروح التسهيل، وقد أفرده بالتصنيف ابن هشام وغيره.

(ومعنا ظعينة) جملة حالية، والمراد بالظعينة المرأة من الظعن وهو الارتحال؛ ولذا قيل: إن حقيقته امرأة فى هودج على جمل، ثم تجوز به عما ذكر، وللهودج بلا امرأة، وللجمل نفسه وهو بظاء معجمة وعين مهملة، وسميت المرأة ظعينة لظعنها مع زوجها.

(فقالت) أى المرأة لما سمعت كلامهم (: **أنا ضامنة لثمن البعير)** أى أعطيه لكم من عندى إن لم يجئ لكم منه، وإنما أرادت أنها واثقة بأنه لابد أن يجىء به لما وقع فى قلبها من أن مثله ﷺ لا يغدر ولا يخلف بفراسة منها حين شاهدته؛ ولذا قالت: **(رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر)**. هذا استئناف بيان لوجه ضمانهما لمن لم تعرفه بأنها رأت فى وجهه ﷺ نورًا، وحسن سيماه تدل على أنه ليس ممن يصدر منه شر، وشبهت وجهه الشريف بالقمر عند كماله وزيادة نوره على عادتهم فى تشبيه الوجه الحسن به، وإلا فمن أين للبدر مثل نوره وحسنه، ولقد أجاد بعض الظرفاء فى قوله:

بلا غيبة للبدر وجهك أجمل   وما أنا فيما قلته متجمل

لكنما الشىء بالشىء يذكر

كما قيل:

ظبى إذا ما بدا محياه   أقول ربى وربك الله

وقد هجا ابن الرومى البدر، فقال[1]:

لو أراد الأديب أن يهجو البد   ر رماه بالخطة الشنعاء

---

(١) الأبيات من الخفيف، وهى فى ديوان ابن الرومى (ص١٣٥)، نهاية الأرب (١/٥٦).

قال يا بدر أنت تغرر بالسا ... رى وتغرى بزورة الحسناء
كلف فى شحوب وجهك يحكى ... نمشا فوق وجنة برصاء
يعتريك المحاق فى كل شهر ... فترى كالقلامة الجحناء
ويليك النقصان فى آخر الشهر ... فيمحوك من أديم السماء

(لا يخيس بكم) أى حسن صورته، صلى الله تعالى عليه وسلم، يدل على حسن سيرته، فمثله لا يصدر عنه ما ظننتموه. يقال: خاس يخيس ويخوس إذا غدر وكذب، فنكث عهده وأخلف وعده، وهو بخاء معجمة وسين مهملة.

(فأصبحنا) أى مضى بعد أخذه، صلى الله تعالى عليه وسلم، البعير يوم وليلة، ثم دخلنا فى صبيحة يوم بعده، **(فجاء رجل)** من أتباعه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذا الرجل لا يعرف اسمه **(بتمر، فقال: أنا رسول رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، إليكم)** ثم استأنف جواب سؤال مقدر أو مطوى، كأنهم قالوا: ما فعل أو ما يقول؟ فقال: **(يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر)** الذى جاء به، **(وتكتالوا)** أى تكيلوا منه ثمن البعير **(حتى تستوفوا)** أى تأخذوا الثمن من التمر الذى جاء به وافيا كاملا غير ما أكلتموه، فإنه هبة منه لكم، وفيه من المكارم وحسن المعاملة ما لايخفى، وفى الحديث «خياركم أحسنكم قضاء».

(و) ورد **(فى)** حديث رواه ابن إسحاق فى **(خبر الجلندى)** وقصته، **(وهو)** أى الجلندى **(ملك عمان)** وسلطانها فى عهد النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، وفى القاموس جلندا بضم أوله وفتح ثانيه، وهو اللام المخففة ممدودا، وبضم ثانيه فيقصر، ووهم الجوهرى فقصره مع فتح ثانيه. قال الأعشى[1]:

وجلندا فى عمان مقيما ... ثم قيسا فى حضرموت المنيف

ولا حجة له فيما ذكره لاحتمال أنه ضرورة كما قاله تلميذه البرهان الحلبى، وفى شرح المفصل لابن الحاجب: الأولى أن لا تدخل عليه الألف واللام، ومعناه القوى المتحمل من الجلادة كما قاله المعرى فى رسالة الغفران، وعمان بفتح العين المهملة، وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام، وبالضم والتخفيف صقع عند البحرين.

وفى الشروح نقلا عن الذهبى: أن له شعرًا يدل على إسلامه، وهذا يدل على عدم جزمه به، والذى نقله النويرى فى تاريخه الجزم به، وأنه، صلى الله تعالى عليه وسلم،

---

(١) البيت من الخفيف، وهو للأعشى فى ديوانه (ص٣٦٥)، جمهرة اللغة (ص٣٥٤)، تاج العروس (٥١٣/٧) (جلد)، وصدره بلا نسبة فى لسان العرب (١٢٨/٣) جلد.

بعث عمرو بن العاص فى سنة ثمان من الهجرة إلى جيفر، وعبد ابنى الجلندى، وهما من الأزد، والملك منهما جيفر وكتب إليهما كتابا، فلما قدم عمان عمد إلى عبد وكان أعلمهما وأحسنهما خلقا، وقال: إنى رسول رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، إليك وإلى أخيك، فقال: أخى مقدم على فى السن وهو الملك وأنا أوصلك إليه، فمكث ببابه أياما ثم دعانى، فدخلت عليه ودفعت إليه الكتاب ففض ختمه وقرأه، ثم دفعه إلى أخيه فقرأه، فقال: دعنى يومى هذا وارجع إلى غدا، فلما رجعت إليه قال: إنى فكرت فيما دعوتنى إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلا ما فى يدى، فقلت: إنى خارج فلما أيقن بمخرجى أرسل إلى وأجاب إلى الإسلام هو وأخوه، وصدقا بالنبى ﷺ وخليا بينى وبين الصدقة والحكم بينهم، فلم أزل مقيما بينهم حتى بلغنى وفاة رسول الله ﷺ انتهى.

وهذا يدل على أن ملك عمان ابن الجلندى لا هو إلا أن يقال: كل من ملك عمان يسمى جلندى، وأما ما فى بعض الشروح من أن فى بعض النسخ ملك غشان بتشديد الشين كشداد اسم قبيلة، ولعل تلك القبيلة سكنت تلك البلدة، وكان الجلندى ملكها فمما لا يعول عليه؛ لمخالفته الرواية والنسخ الصحيحة، وهو الذى صححه السهيلى والشراح كلهم. (**لما بلغه أن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يدعوه إلى الإسلام**) كما سمعته مفصلا.

(**قال الجلندى: والله لقد دلنى على هذا النبى الأمى**) الذى لا يقرأ ولا يكتب، ووصفه به لشهرته، صلى الله تعالى عليه وسلم، به فى الكتب القديمة، ولأنه مدح له كما تقدم (**أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به**) أى أول عامل بما أمر به، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**ولا ينهى عن شىء إلا كان أول تارك له**) كما قال ﷺ: (**إنى لأتقاكم لله وأخشاكم له**) وهو كما قيل[1]:

---

(١) البيت من الكامل، وهو لأبى الأسود الدؤلى فى ديوانه (ص٤٠٤)، الأزهية (ص٢٣٤)، شرح التصريح (٢/٢٣٨)، شرح شذور الذهب (ص٣١٠)، همع الهوامع (٢/١٣)، وللمتوكل الليثى فى الأغانى (١٢/١٥٦)، حماسة البحترى (ص١١٧)، العقد الفريد (٢/٣١١)، المؤتلف والمختلف (ص١٧٩)، وللأخطل فى الرد على النحاة (ص١٢٧)، شرح المفصل (٧/٢٤)، الكتاب (٣/٤٢)، ولحسان بن ثابت فى شرح أبيات سيبويه (٢/١٨٨)، وبلا نسبة فى الأشباه والنظائر (٦/٢٩٤)، أمالى ابن الحاجب (٢/٨٦٤)، أوضح المسالك (٤/١٨١)، جواهر الأدب (ص١٦٨)، الجنى الدانى (ص١٥٧)، رصف المبانى (ص٤٢٤)، لسان العرب (١٥/٤٨٩)، مغنى اللبيب (٢/٣٦١)، المقتضب (٢/٢٦)، شرح ابن عقيل (ص٥٧٣).

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت ذميم

وقوله أنه إلى آخره اسم تأويلا، وهو فاعل دل.

(وأنه يغلب) أعداءه وينتصر عليهم وهو مبنى للفاعل، **(فلا يبطر)** أى لا يطغى ويغتر ويظهر الفرح، وهو خفة مذمومة، وبطر من باب علم، **(ويُغلب)** بالبناء للمفعول أى يغلب أحيانا؛ فإن الحرب سجال كما جرت به عادة الله فى أيامه، **(فلا يضجر)** أى يقلق ويجزع، بل يصبر ويتحمل ما أصابه فى سبيل الله احتسابا لأجره، ورضاء بما قدره الله تعالى كما هو عادة الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، **(ويفى بالعهد)** فإذا عاهد رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أحدا لا ينكث عهده، كما قال الله تعالى: ﴿**وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ**﴾ [الإسراء: ٣٤].

(وينجز الموعد) أى يعجل ما وعد به لكرمه، فالموعود اسم مفعول، ويجوز أن يكون مصدرًا، فإنه جاء على مفعول إلا أنه نادر، **(وأشهد أنه نبى)** لما تحققه من أخلاقه وكمال صفاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذا شاهد لما عقد له الفصل من أن من تأمل صفاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، صدق بنبوته، وإن لم يشاهد معجزته.

(وقال نفطويه) إبراهيم بن محمد الإمام الجليل بن عرفة بن سليمان الأزدى، الواسطى، النحوى، المفسر، الأديب، وقد تقدمت ترجمته، وضبط اسمه بفتح أوله وواوه وسكون يائه، وأن المحدثين يضمون ما قبل الواو ويسكنونها كما مر، **(فى قوله تعالى:** ﴿**مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**﴾ [النور: ٣٥]: **هذا مثل ضربه الله لنبيه، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، هذا بناء على الوقف على قوله تعالى: ﴿**ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ**﴾ [النور: ٣٥]، وأن معنى قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ نُورِهِۦ**﴾، وأن الضمير فى قوله تعالى: ﴿**مَثَلُ نُورِهِۦ**﴾ لمحمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأن المشكاة هو أو صدره، والمصباح علمه، والزجاجة قلبه، والزيتونة نبوته، والمعنى أن نبوته تظهر وإن لم يبد معجزة وبرهانا عليها، وقد تقدم ذكر المصنف لهذه الآية، وأن هذا أحد تفاسيرها وأنه بعيد، وإنما أعاد هنا لما فيها على هذا من دلالتها على المقصود من أن المتأمل يشهد ويصدق نبوته، وإن لم يقم برهانا عليها، فلا تكرار فى كلامه كما توهم وهو على هذا تشبيه تمثيلى وهو ظاهر.

(يقول) الله تعالى: **(يكاد منظره)** أى ما يتعلق به النظر من ذاته ﷺ وصفاته **(يدل على نبوته، وإن لم يتل قرآنا)** أى وإن لم يظهر ﷺ معجزة، وخص القرآن لأنه أعظم

معجزاته وتلاوة القرآن معلومة، وروى: وإن لم يقل قرآنا، ثم استشهد له بما يدل على معناه فقال: (**كما قال ابن رواحة**)، رضى الله عنه، وهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصارى الصحابى أحد شعراء رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقد شهد معه المشاهد إلا الفتح، فإنه مات شهيدًا بمؤتة سنة ثمان من الهجرة، وهو أحد الأمراء الثلاثة بها وهم زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب، ومما روى من مدحه ﷺ قوله:

(لو لم يكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر)

ومبينة بكسر الياء المشددة اسم فاعل وبفتحها اسم مفعول، ومنظره مرآه وظاهره، وفى رواية كانت بداهته، وهذا على نهج قوله: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه»، أى مما يترتب الجواب فيه على وجود الشرط وعدمه، وهو على فقد الشرط أولى، ويجوز أن يبقى على حاله؛ لأنه عند ظهور الآيات لا يحتاج إلى الاستدلال بظاهر الحال، فلا إشكال فيه أصلا، وأصل ينبيك ينبؤك بالهمزة، فأبدلت ياء وأسكنت على حد قراءة باريكم، وفى جعل المنظر مخبرًا من البلاغة ما لايخفى.

(**وقد آن أن نأخذ**) أى نشرع (**فى ذكر النبوة والوحى والرسالة**) يقال: أخذ فى القراءة أى شرع فيها، وأصل الأخذ التناول باليد، ثم تجوز به عن معان منها هذا، وآن بمعنى قرب أوانه، (**وبعده**) أى بعد ذكرها نشرع (**فى معجزة القرآن، وما فيه من برهان ودلالة**) أى دليل قاطع على نبوته، وهى بفتح الدال وكسرها مصدر ويستعمل بمعنى الدليل.

* * *

(فصل)

(**اعلم**) أمر بالعلم اهتماما بما بعده، والخطاب عام لكل من وقف على كتابه أو لمن سأله تأليفه كما تقدم (**أن الله جل اسمه**) أى عظم وعظمت أسماؤه، وجلالة اسمه تدل على جلالته بالطريق الأولى (**قادر على خلق المعرفة**)، وهى العلم بالجزئيات، ويكون بمعنى مطلق العلم أيضا، (**والعلم بذاته**) علما يقينيا وإن لم يكن بالكنه والحقيقة، (**وأسمائه وصفاته**) الذاتية وغيرها، (**وجميع تكليفاته**) التى ألزمهم بها من الأمور الشرعية والعبادات (**ابتداء**) فسره بقوله: (**دون واسطة**) يتوسط بينه وبينهم فى إعلامهم وتعليمهم ما ذكر (**لو شاء كما حكى عن سنته**) أى عادته تعالى وطريقته.

(**فى بعض الأنبياء**)، عليهم الصلاة والسلام، إذ عرفهم بعض الأمور السابقة بدون واسطة بأن أوقع ذلك فى قلوبهم، وكشفه لهم، أو ألهمهم، أو أراهم ذلك فى مناماتهم

الصادقة، وهذا مما شاع وذاع وملأ الأسماع. وكون كل علم منقسم إلى نظرى وضرورى المراد به غير علوم الأنبياء كما صرحوا به، وفى الكشاف جرت العادة بأن كل علم نظرى كسبى، ثم فى قدرة الله تعالى إحداث علم وإحداث القدرة عليه من غير تقدم نظر.

قال بعضهم: كعلوم الأنبياء التى ليست ضرورية ولا نظرية، فيخلق فيهم العلم بلا تقدم نظر؛ لئلا يكونوا زمان النظر شاكين، وذلك لا يصح عليهم فى التوحيد، ولو كان ضروريا لم يكن عليه أجر، فجمع بين كونه مقدورا لينالوا الأجر، وعدم تقدم النظر ليتنفى الريب، وهذا هو الذى ارتضاه المحققون. فما نقل عن بعض مشايخ الصوفية أن علوم الأنبياء جميعها ضرورية غير مسلم.

(**وذكره بعض أهل التفسير فى قوله**: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١]، بناء على على أن الوحى يشمل الإلهام ونحوه، وليس المراد به ما كان بواسطة الملك فقط.

(**وجائز أن يوصل**) الله معطوف على قوله أولا قادر (**إليهم جميع ذلك**) المذكور من العلوم السالفة (**بواسطة يبلغهم**) صفة واسطة بالفوقية أو التحتية، أى يوصله بكلام يدل عليه، (**وتكون تلك الواسطة إما من غير البشر كالملائكة مع الأنبياء**)، عليهم الصلاة والسلام، سواء رأوهم متمثلين بصورة غير صورتهم، أو على صورتهم الأصلية كما وقع لنبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، أو لم يروهم كما كان يأتيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، الوحى أحيانا كصلصلة الجرس، وليس رؤية الملك مخصوصًا بالأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، بل قد يراه غيرهم من خلص عباده كمريم، (**أو من جنسهم كالأنبياء مع الأمم**) الذين يبلغونهم عن الله ما أمرهم بتبليغه.

(**ولا مانع لهذا**) المذكور بقسميه (**من دليل العقل**) أى من دليل هو العقل، فالإضافة بيانية أو هى حقيقية يعنى أنه غير مستحيل خلافا للبراهمة الذين جعلوه مستحيلا لا لذاته، فمنعوا إرسال الرسل كفرًا وضلالاً عما نطقت به الكتب الإلهية، ودلت عليه الأدلة العقلية، كما بين فى الكتب الكلامية كما أشار إليه بقوله: (**وإذا جاز هذا ولم يستحل**) أى لم يعد محالاً عقلاً، (**وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم**) الظاهرة المحققة، (**وجب تصديقهم فى جميع ما أتوا به**) عن الله وبلغوه لأممهم؛ (**لأن المعجزة مع التحدى من النبى**) أى إظهار النبى معجزة له وطلبه ممن أنكر نبوته الإتيان بما يماثلها؛ لأن معنى التحدى هو الطلب المذكور؛ لأنه مأخوذ من حدى الإبل إذا تغنى لها لينشطها، ومن دأبهم فيه أن يتقابل شخصان يتناوبان ذلك، فهو من النبى (**قائم مقام**

قول الله) الذى أقدره على ذلك وأمره به (: **صدق عبدى)** ورسولى فيما ادعاه لما معه من البرهان الذى لا يقدر عليه أحد من جنسه، **(فأطيعوه واتبعوه)** فى كل ما يأمركم به؛ لأنه من عند الله.

(وشاهد على صدقه) فى كل ما قاله وهو معطوف على قوله قائم خبران، وقد تقدم الكلام على دلالة المعجزة وأنها سمعية أو وضعية، والفرق بينها وبين الكرامة والسحر، **(وهذا)** الكلام **(كاف)** فيما قصدناه، **(والتطويل فيه خارج عن الغرض)** الذى صنف الكتاب لأجله، **(فمن أراد تتبعه)** أى الوقوف عليه **(وجده مستوفى)** خبر من أو جوابها أى يقف عليه بتمامه وتفصيله **(فى مصنفات أئمتنا، رحمهم الله تعالى)** وعلمائنا، وفى نسخة فى «كتب أئمتنا».

(والنبوة فى لغة من همزه) إشارة إلى أن فيه لغتين الهمز وتركه إلا أن الهمز هو الأصل كما ذهب إليه كثير من اللغويين والنحاة، وإن كان ترك الهمز هو الأكثر؛ ولذا قيل: إنه لغة رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأنه أنكر على من قال له: يا نبىء الله بالهمز، ويأتى الكلام عليه **(مأخوذ من النبأ وهو الخبر)**؛ لإنبائه وإخباره عن الله تعالى.

وقال الراغب: النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن فلا يقال له نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، ويكون صادقًا فالخبر أعم منه.

(وقد لا تهمز) بالتاء الفوقية والبناء للمجهول أى النبوة، ويجوز قراءته بالمثناة التحتية باعتبار اللفظ **(على هذا التاويل)** أى تفسيره بالنبأ **(تسهيلا)** أى تبدل همزته واوا تخفيفا؛ لكثرة الاستعمال فتبدل من جنس الحركة التى قبلها وهى الضمة، والتسهيل عند القراء بمعنى جعل الهمزة بينها وبين الحرف الذى منه حركتها وليس بمراد هنا.

(والمعنى) أى معنى النبى المفهوم من الكلام على هذا القول **(أن الله أطلعه على غيبه)** أى أعلمه وأخبره بمغيباته، **(وأعلمه أنه نبيه)** الموحى إليه، **(فيكون نبيا منبئا)** بصيغة المفعول مشدد الباء الموحدة، ويجوز تخفيفها أى يكون من أطلعه وأعلمه نبيا بمعنى منبئا، **(فهو فعيل بمعنى مفعول، أو يكون)** معناه **(مخبرا)** بكسر الباء اسم فاعل **(عما بعثه الله به، ومنبئا)** اسم فاعل بتشديد الباء وتخفيفها **(عما أطلعه الله عليه)** من علمه ومغيباته، فهو **(فعيل بمعنى فاعل)** على هذا.

(ويكون عند من لم يهمزه) أى يقول بأن أصله الهمز من النبأ مأخوذ **(من النبوة)** مصدر بزنة سلوة فى الأصل نقل وشاع بمعنى المرتفع، **(وهو)** ذكره باعتبار اللفظ أى نظرًا للخبر أى **(ما ارتفع من الأرض)** **فهو** كالربوة لفظا ومعنى، ثم بين المراد منه بقوله:

(معناه أن له) عند الله وفى الواقع **(رتبة شريفة ومكانة نبيهة)** أى عالية مشهورة، والنبيه ضد الخامل لتنبه سعده من نومة الخمول والمكانة كالرتبة تختص بالمنازل المعنوية، فجعل علوه معنى بظهوره كعلوه حسا **(عند مولاه)** وربه الذى تولى أموره **(منيفة)** عالية لا يصعد لها سواه، وهو على هذا أيضًا فعيل بمعنى مفعول؛ لأنه أى النبى مرفوع على غيره، أو بمعنى فاعل؛ لأنه مرتفع لما له من رفيع الدرجات.

(فالوصفان) أى وصفه بالنبى بمعنى المخبر أو بمعنى المرتفع **(مؤتلفان)** أى متوافقان بحسب المعنى؛ لأن من بعثه الله وأطلعه على ما لم يطلع عليه غيره له منزلة عالية، ومن له مقام عال يطلع على ذلك، أو المراد بالوصفين فعيل بمعنى فاعل أو مفعول، والذى ارتضاه سيبويه أنه مهموز كالذرء والبرية التزم تخفيفه فى الأكثر وكلاهما لغة، وبهما قرئ فى السبع كما يأتى، وقرأ نافع بالهمز فى جميع القرآن إلا فى موضعين: ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، والخلاف إنما هو فى أيهما أصل؛ ولذا قدم المصنف، رحمه الله تعالى، المهموز.

(وأما الرسول فهو المرسل) اسم مفعول من أرسله إذا بعثه لأمر وتبليغ رسالة، **(ولم يأت فعول)** بفتح أوله اسم مفعول من الأفعال **(بمعنى مفعل)** بضم الميم وفتح العين المهملة **(فى اللغة)** أى لغة العرب وكلماتهم، ويجوز أن يراد به علم اللغة وكتبها **(إلا نادرا)** أى إلا فى ألفاظ قليلة. قال السمين فى الدر المصون فعول بمعنى مفعول قليل جاء منه ركوب وحلوب بمعنى المركوب والمحلوب، والرسول بمعنى المرسل انتهى.

وكلام المصنف، رحمه الله تعالى، يقتضى أن النادر فعول بمعنى مفعل من المزيد، وكلام العرب أنه قليل بمعنى المفعول مطلقا؛ فإن الغالب فيه معنى الفاعل كصبور وشكور إلا أنه إن قيل أن الرسول فى الأصل مصدر بمعنى الرسالة لم يكن مما نحن فيه، بل مجاز للمبالغة كالدرهم ضرب الأمير، أى مضروبه، وقد ورد فى قول كثير بهذا المعنى وهو قوله[1]:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ... بِسِرٍّ ولا أرسلتهم برسول

أى برسالة فما قيل: إن فيه شيئا ليس بشىء.

(وإرساله أمر الله له بالإبلاغ إلى من أرسل إليه)، أى تبليغهم شريعته ودينه بنفسه أو بواسطة، **(واشتقاقه من)** الإرسال بمعنى **(التتابع)** أى التوالى والتكرار؛ لتبليغه فالمناسبة

---

(١) البيت من الطويل، وهو لكثير فى ديوانه (ص١١٠)، لسان العرب (١١/٢٨٣) (رسل)، وبلا نسبة فى تهذيب اللغة (١٢/٣٩١)، ديوان الأدب (١/٣٩٥)، تاج العروس (رسل).

بينهما ظاهرة، **(ومنه قولهم: جاء الناس أرسالا)** بفتح الهمزة جمع رسل بفتحتين أى فرقة بعد فرقة متتابعين يتبع بعضهم بعضا كما بينه بقوله: **(إذا تبع بعضهم بعضا)** كما ورد فى الحديث أنهم صلوا عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، أرسالا يتبع بعضهم بعضا، ثم بين وجه اشتقاقه بقوله: **(فكأنه)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(ألزم تكرير التبليغ)** مرة بعد أخرى إلى أمته.

(وألزمت الأمة اتباعه) فرقة بعد فرقة وأمة بعد أمة لعموم رسالته، فالتكرار والتتابع إما فى نفس تبليغه أو باعتبار اتباعه وأمته، ولو عطفه بأو كما فى نسخة كان أحسن فما قيل من أن فى كلامه بحثًا؛ لأنه مأخوذ من جهة المعنى والاشتقاق من الألفاظ، وأن قولهم: جاء الناس أرسالاً ليس مصدر أرسلته لاختلاف المعنى كلام ناش من عدم فهم كلام المصنف، رحمه الله تعالى، وفيه خلط وخبط لا يخفى على من له بصيرة.

(واختلف العلماء) فى جواب قولهم: **(هل النبى والرسول بمعنى؟)** واحد فهما مترادفان، **(أو بمعنيين)** فهما متغايران غير مترادفين، وفى نسخة أم بمعنيين؛ ولذا قيل: إن أو أحسن هنا وفيه كلام فى المغنى وشروحه ليس هذا محله، **(فقيل: هما سواء)** أى متساويان أو مترادفان؛ لأن الأول التساوى فى الماصدق دون المفهوم كالإنسان والناطق، والثانى التساوى فيهما، فعبارته شاملة لهما إلا أن ما بعده أقرب إلى الأول، فمعناهما كل من أوحى إليه بشرع.

(وأصله من الإنباء وهو الإعلام) والإرسال فيه إعلام أيضًا؛ لأنه إنما أرسل لذلك، فهما متساويان واختلف مفهومهما وترك بيانه للعلم به مما قبله، ولا يرد عليه أن الإعلام أعم لأنه قد يعلمهم بما لم يرسل به من نبوته، وكذا قوله: إن الآية لا تدل على ما ذكر فإنه من تلقى الركبان.

(واستدلوا) على تساويهما **(بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢])**؛ لأنه علق فعل الإرسال بهما فإذا أرسل النبى لزم أن يكون الرسول نبيا والنبى رسولا، وإليه أشار بقوله: **(فقد أثبت لهما معا الإرسال قال)** المستدل: **(ولا يكون النبى إلا رسولا ولا الرسول إلا نبيا)**، وقيل عليه: إن الآية إنما تدل على أن النبى أعم من الرسول فإنها ترق من ذكر الأخص إلى ذكر الأعم، والحديث الآتى الناطق بزيادة عدد الأنبياء على عدد الرسل يأباه، وإعادة النفى تقتضى المغايرة فما ذكر ممنوع.

(وقيل: هما مفترقان من وجه)، فبينهما عموم وخصوص وجهى، فكل رسول نبى

وليس كل نبى رسولا، فمآله إلى موجبة كلية وسالبة جزئية كما سيأتى بيانه، والمشهور أنه على هذا من أوحى إليه بأمر إلهى أمر بتبليغه أم لا، والرسول من أوحى إليه بذلك وأمر بالتبليغ، وقيل: إنه من كانت له شريعة ناسخة لغيرها، وقيل: من أنزل عليه كتاب وإلى هذا أشار المصنف، رحمه الله تعالى، بقوله: **(إذ قد اجتمعا)** أى النبوة والرسالة **(فى النبوة التى هى الاطلاع)** بتشديد الطاء وتخفيفها أى سكونها **(على الغيب)**. أراد به ما لم يعلمه من أوامر الله تعالى وتشريعه له ما يختص به أو به وبغيره.

(والإعلام) من الله تعالى **(بخواص النبوة)**، أى ما يختص بالنبوة الشاملة للرسالة كالعصمة والوحى بواسطة الملك، أو بدونها كما وقع لموسى، عليه الصلاة والسلام، إذ كلمه الله تعالى قبل إرساله، **(أو الرفعة بمعرفة ذلك)** المذكور من الاطلاع والإعلام، وفى نسخة لمعرفة باللام بدل الباء السببية، **(وحوز درجتها)** أى درجة النبوة العلية، والحوز بحاء مهملة مفتوحة وواو ساكنة وزاء معجمة، وهى حيازتها وتحصليها، وقوله الاطّلاع والإعلام إشارة إلى أنها من النبئ المهموز، وما بعده إلى أنه من النبوة الواوى وهى الرفعة كما تقدم، ولا تكلف فى شيء من كلامه كما توهم.

(وافترقا) أى النبوة والرسالة **(فى زيادة الرسالة)** أى الأمر بالتبليغ المعتبر **(فى الرسول)** دون النبى، **(وهو)** أى الرسالة وذكره مراعاة للخبر، وهو **(الأمر بالإنذار والإعلام)** بما أمر بتبليغه، وهذا القيد المخصوص هو الذى حصل به الافتراق فى ما صدق عليه النبى، ولا مخالفة بينه وبين ما قاله المنطقيون كما قيل؛ لأنهم اعتبروا ذلك فى ما صدقا عليه لا فى المفهوم، وهذا كلام ناش من قلة التدبر، **(كما قلنا)** إشارة إلى ما قرره أولاً.

(وحجتهم) أى دليل القائلين بأن بينهما العموم والخصوص من وجه، وليسا مترادفين مأخوذة **(من الآية نفسها)** التى استدل بها من ذهب إلى القول، فهى عليهم لا لهم **(التفريق بين الاسمين)** يعنى النبى والرسول، فإن العطف وإعادة النفى يدل على تغايرهما، **(ولو كانا شيئًا واحدًا لما حسن تكرارهما فى الكلام البليغ)**، وليس المقام مقام إطناب ولا تأكيد إذ لو كان كذلك حسن التكرار كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣، ٤] ونحوه.

(قالوا: والمعنى) أن معنى الآية على هذا **(وما أرسلنا قبلك)** أى أوحينا وأعلمنا **(من رسول إلى أمة)** أمر بتبليغهم ما أرسل به، وفى بعض النسخ من نبى، والأولى أوفق بالنظم وأظهر، **(أو نبى ليس بمرسل إلى أحد)**، فافترقا على هذا التفسير افتراقًا ظاهرًا، وفى كلامه نوع خفاء أراد بعضهم أن يصلحه فأفسده، وفى الآية ترق لأنه ترقى فى النفى بذكر العام بعد الخاص، وفى الإثبات ترقى به على العكس كما تقول: ما فى

الدار إنسان ولا حيوان، ولو عكسته كان ذكر الإنسان بعده لغوًا، فإن قلت: الذى استدل به أولاً تعلق أرسلنا بهما، فإنه يقتضى أن النبى مرسل أيضًا، وما ذكره المصنف لا يدفعه. قلت: وجه دفعه بما ذكر أنه لما اقتضى هذا العطف التغاير لزم تأويل أرسلنا بمعنى يشملهما، أى ما أرسلنا ملائكتنا بوحينا لأحد من نبى أو رسول؛ لأن أرسل متعد بنفسه أو هو من قبيل[1]:

وزججن الحواجب والعيونا

ومن زائدة بعد النفى أى ما أرسلنا ولا نبأنا نبيًا فتأمل.

(**وقد ذهب بعضهم**) مجاز من الذهاب، وهو الخروج من مكان إلى آخر. قال فى الأساس: ذهب فلان إلى قول أبى حنيفة إذا أخذ به واتخذه مذهبا. (**إلى أن الرسول من جاء بشرع مبتدأ**)، ولم يكن مقرر الشرع غيره، فشرعه لم يسبق إليه ومبتدأ بفتح التاء صفة شرع ويجوز كسرها على أنه حال من ضمير جاء والأول أولى، (**ومن لم يأت به**) أى بشرع مبتدأ لم يسبق إليه (**نبى غير رسول، وَإِنْ أُمِرَ بالإبلاغ والإنذار**) فبينهما عموم من وجه آخر.

(**والصحيح والذى عليه الجماء الغفير**) بمد الجماء وفى نسخة الجم والمعنى واحد أى الجماعة الكثيرة، والجم بفتح الجيم وتشديد الميم، والغفير بغين معجمة وفاء، وفى الصحاح الجماء الغفير: جماعة الناس يقال: جاؤا جماء غفيرا يمد ويقصر، والجماء الغفير بالمد، وجم الغفير، والجم الغفير، أى جميعا، وأل زائدة، والغفير صفة لازمة للجماء لا يفرد بدونها من الغفر وهو الستر، كأنهم لكثرتهم ستروا وجه الأرض، ومعناه جاءوا جميعا بجملتهم شريفهم ووضيعهم، وهو اسم ينصب كالمصدر، كجاءوا جميعًا وقاطبة، والجم الكثير. ونصبه لأنه اسم وضع موضع المصدر، وقيل: إنه مصدر ولا يلزم نصبه عند الكسائى، وعليه يتمشى كلام المصنف، رحمه الله تعالى، لا على من ألزمه النصب، وليس المراد الجميع بل الأكثر حتى يستشكلها، ويجاب بأنه لم يعتد بغيرهم وصيرهم كالعدم.

(**أن كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا**)، وهو صادق القولين الأخيرين فبينهما عموم وخصوص وجهى؛ لأنه يشترط فى الرسول دون النبى أن يؤمر بالتبليغ، أو يكون له شرع جديد، أو أنزل عليه كتاب، والأول هو المشهور؛ ولذا قال المحدثون إذا ورد فى الحديث ذكر أحدهما، أو قال: قال رسوله أو نبيه لا يجوز له أن يبدله من يرويه، وقيل

---

(١) تقدم الاستشهاد به.

إنه لا يلزم ولكنه أولى، وهذا فى غير الأذكار فإنها توقيفية؛ ولذا ورد فى حديث أن بعضهم قال فى بعض الأدعية: آمنت بكتابك الذى أنزلت ورسولك الذى أرسلت، فقال له، صلى الله تعالى عليه وسلم: قل: ونبيك الذى أرسلت. كما فى شرح مسلم، وفيه بحث.

وقيل: الرسول أعم يشمل رسل الملائكة كجبريل، عليه الصلاة والسلام، لكن الكلام إنما هو فى رسل البشر.

وقال صاحب القاموس فى كتاب الصلاة: إن النبى من أوحى إليه بأمر يختص به فى نفسه حتى لا يجوز لغيره أن يتبعه، فإن أمر بتبليغ ما أمر به لأمة مخصوصة أو لجميع الناس فهو رسول، فإن لم يكن له حكم مختص به فهو رسول لا نبى، وإن كان مع التبليغ له ما يختص به كنبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، فهو نبى ورسول، فعلى هذا بينهما عموم وخصوص مطلق، وليس كل رسول نبيا. وقال: إنه الحق الذى لا شك فيه، وهو مخالف لكلام المصنف، رحمه الله تعالى.

واعلم أن النبى إن كان من النبأ فهو مهموز، وإن كان من النبوة فغير مهموز كما تقدم، وكلاهما جائز، وبهما قرئ فى السبعة، وأما قوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، لأعرابى قال له: يا نبيء الله أى بالهمزة: لست بنبيء الله ولكنى نبى الله؛ لأن نبأ فى لغة بمعنى خرج من أرضه وطرد، فلإيهامه ذلك منعه.

وورد أيضًا لا تنبئوا باسمى فإنما أنا نبى الله، ومعنى لا تنبئوا لا تهمزوا، وليس فى هذا ما يقتضى منعه على الإطلاق كما قاله ابن سيده.

(وأول الرسل آدم وآخرهم محمد، صلى الله تعالى عليهما وسلم)، ولا ينافى هذا ما فى البخارى فى حديث الشفاعة من أنهم يقولون لنوح، عليه الصلاة والسلام: أنت أول الرسل إلى أهل الأرض؛ لأنهم لم يقولوا: إنه أول الرسل مطلقا، بل أول الرسل إلى أهل الأرض فى عصره؛ ولذا قال فى الدعاء عليهم: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وآدم، عليه الصلاة والسلام، إنما أرسل إلى بنيه، وهم مؤمنون به، وإدريس وشيث، عليهما الصلاة والسلام، لم تعم رسالتهما، وهذا لا ينافى اختصاص نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، بعموم الرسالة إلى آخر الزمان، فلم تختص بعصر ولا بقوم، وعمت رسالته الإنس، والجن، والملك، كما تقدم.

(وفى حديث أبى ذر) الذى رواه أحمد فى مسنده، وابن حبان، والحاكم فى مستدركه، وسيأتى بطوله **(عنه)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(أن الأنبياء مائة ألف**

وأربعة وعشرون ألف نبى)، وقد قال الحاكم فى مستدركه: إنه طعن فى بعض رواته، وقيل: إنه منكر، وقال القرطبى: إنه أصح حديث ورد فى عدد الأنبياء والرسل، عليهم الصلاة والسلام، وقيل: إن أصحابه، عليهم الصلاة والسلام، كانوا بهذه العدة أيضًا عند وفاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وعن كعب الأحبار: إنهم ألفى ألف ومائتى ألف، وعن مقاتل: إنهم ألف ألف وأربعمائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، وقد عرفت أن الأول أصح ما فى الباب.

(وذكر أن الرسل منهم) أى من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، **(ثلاثمائة وثلاثة عشر أولهم آدم، عليه الصلاة والسلام)**، وقيل: أربعة عشر كعدد أصحاب طالوت، ويوافقه أن أحرف اسم نبينا بالجمل الكبير ثلاثمائة وأربعة عشر، إذ فيه ثلاث ميمات لأن الحرف المشدد بحرفين، ولفظ ميم ثلاثة أحرف فجملتها مائتان وسبعون، ولفظ دال بخمسة وثلاثين، ولفظ حا بتسعة، ففى اسمه الكريم إشارة إلى أن جميع الكمالات الموجودة فى المرسل موجودة فيه ﷺ وزيادة واحد على القول الأول. والحديث الأول طويل أورده الحاكم فى مستدركه كما مر. ونقل البرهان ما فى بعض رواته من الكلام وطويناه لأنه لا ثمرة له هنا.

(فقد بان لك معنى النبوة والرسالة) على الأقوال الثلاثة من الترادف والعموم والخصوص من وجه، أو مطلقا كما فصلناه، **(وليستا)** أى النبوة والرسالة **(ذاتا للنبى عند المحققين)**، أى ليستا أمرا ذاتيا فى الرسول جبلة طبعه الله عليها كالعقل وغيره من الغرائز، وليست النبوة مكتسبة برياضة وتصفية باطن كما ذهب إليه الحكماء، وإنما هى أمر طارئ عليه بإرادة الله تعالى وفضله، والله تعالى أعلم حيث يجعل رسالته.

(ولا صفة ذات) أى ليست صفة قائمة بذاته موجودة فيه ﷺ قبل الوحى إليه **(خلافا للكرامية)**، فهؤلاء قالوا: إنهما أمران غير الوحى وأمر الله له بتبليغ شريعته، فصاحبهما متصف بهما وإن لم يوح إليه.

أقول: إن أراد هؤلاء أن الله تعالى خلق له نفسا قدسية، وأودع فيها قوى يستعد بها لتلقى الوحى والعلم بربه، وإن سمى النبوة هذا وإن أطلقوها على ما يترتب عليها، وأنه ركب فيه نورا كان يشاهد فى آبائه وينقل فى أصلابهم، وذلك من نعم الله أيضًا كإيجادنا ابتداء، فالأمر فيه سهل، وإلا فهو لغو من القول، والكرامية بتشديد الراء وتخفيفها على القولين وفتح الكاف وكسرها على التخفيف.

قال فى المغرب: أخبرنى صديقى الثقة ابن خولة أن عبد العزيز العرجى ذكر فى

تاريخه هذا الرجل، وهو محمد بن كرام الذى نسب إليه الكرامية، فقال: كرام بوزن حذام وقطام، وقيل: إنه كرام على لفظ جمع كريم، وهو الجارى على ألسنة أهل سجستان وهى بلدته كما قال فيه البستى، رحمه الله:

إن الذين لجهلهم لم يقتدوا بمحمد بن كرام غير كرام
الفقه فقه أبى حنيفة وحده والدين دين محمد بن كرام

فهم منسوبون لمحمد بن كرام بفتح الكاف وتشديد الراء كما قال السمعانى، وقال لأن والده كان يحفظ كرما أو يعمل فيه، وكذا صححه فى الميزان.

وقال ابن الصلاح: إنه لا معدل عنه، وكذا صححه ابن ماكولا والذهبى، وأنكره ابن الهيصم وهو من أهل مذهبه ادعى أنه أدرى كما مر عن البستى، وإنما هو مخفف الراء مع فتح الكاف بمعنى كرم أو كرامة، وبكسرها على لفظ الجمع، وكان صاحب مذهب العقائد وغيرها، وله رواية فى الحديث، وكان يجوز الكذب على النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى الترغيب والترهيب؛ لأنه له لا عليه، فعليه ما عليه، ومات فى القدس فى صفر سنة خمس وخمسين ومائتين.

(فى تطويل لهم) فى بيان مقالتهم وتأييدها، **(وتهويل)** أى تخويف وتقريع لمن عدل عن مذهبهم فى هذا **(ليس عليه تعويل)** أى هو مع ذلك ساقط ضعيف لا يعتمد عليه ولا يلتفت إليه، ويجوز أن يريد بالتهويل تزيين الباطل وزخرفته، ففى القاموس التهويل الألوان المختلفة وزينة النصارى، وهذا أقرب لتسمية المصنف.

(وأما الوحى فأصله) أى معناه الحقيقى الذى وضع له أولا **(الإسراع)**، وفى الحديث «إذا أردت أمرًا فتدبر عاقبته، فإن كان شرًا فَانْتَهِ، وإن كان خيرا فتوحه»[1]، أى أسرع فيه، والهاء للسكت. وقال الأعشى[2]:

مثل ريح المسك ذاك ريحها صبها الساقى إذا قيل تَوَحْ

ويقال أوحى بمعنى أومأ أو تكلم بكلام خفى.

(فلما كان النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمى) أى ما يأتيه من ربه **(وحيا)** أى متلقى بسرعة، فأطلق عليه المصدر مبالغة، ثم صار حقيقة فى كل ما يوحى إليه **(وسميت الأنواع الإلهاميات وحيا)** كقوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ**﴾ [النحل: ٦٨]، **(تشبيها بالوحى إلى النبى)** فى سرعة وقوعها فى القلب، فهو

---

(١) أورده الزبيدى فى الإتحاف (١٦٦/٨)، وعزاه لابن المبارك.

(٢) البيت من الرمل، وهو للأعشى فى ديوانه (٢٩١)، أساس البلاغة (ص٤٩٤) (وحى).

استعارة تحقيقية والإلهام إلقاء أمر فى الروع باعث على الفعل أو الترك.

(وسمى الخط وحيا) على الاستعارة التحقيقية أيضًا أو المجاز المرسل؛ **(لسرعة حركة يد كاتبه)** هو وجه الشبه بينهما **(ووحى الحاجب والملحظ)** هو فى أصل مؤخر العين، ثم أطلق على النظر فيقال: لحظه بعينه وهو هنا مستعار **(لسرعة إشارتهما)** أى حركتهما بسرعة للإشارة بهما.

(ومنه) أى من إطلاق الوحى على الإشارة **(قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾** [مريم: ١١]، **أى أومأ)** بهمزة فى آخره، وقد استعمل منقوصا أيضًا بالألف كأوحى لفظا ومعنى، **(ورمز)** بتخفيف الميم أى أشار بالعين أو بالشفة.

(وقيل) معناه هنا **(كتب)**؛ لأن الوحى يكون بمعنى الكتابة كما تقدم، **(ومنه قولهم)** أى قول العرب (: **الوحاء الوحاء)** بفتح الواو والمد والقصر، ويقال: الوحاك بكاف الخطاب أيضًا كما فى الأساس، وهو منصوب بفعل مقدر للإغراء **(أى السرعة)** والعجلة.

(وقيل: أصل الوحى) لغة **(السر والإخفاء ومنه)** أى من كونه بمعنى الإخفاء **(سمى الإلهام وحيا)**؛ لخفائه، وهو أظهر مما تقدم من أن معناه السرعة.

(ومنه) أى من هذا القبيل **(قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾** [الأنعام: ١٢١])، أى من يوالوهم ويصادقونهم من المشركين **(أى يوسوسون فى صدروهم)** أى يلقون فى قلوبهم، والمراد بالشياطين مردة الجن، والمراد بأوليائهم كفرة قريش، أو مردة الإنس من مجوس هجر وفارس، والوسوسة كالإلهام الإلقاء فى القلب إلا أن الأول يختص بالخير، وهذا بغيره؛ ولذا أتبعه بقوله: **(ومنه)** قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، **(أى ألقى)** ببناء المجهول **(فى قلبها)** مناما وإلهاما. وقيل: إنه وحى حقيقى كالوحى للأنبياء، عليهم الصلاة والسلام.

(وقد قيل ذلك) التفسير السابق **(فى قوله تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾** [الشورى: ٥١] **أى ما يلقيه فى قلبه دون واسطة)**، والذى رجحوه فى هذه الآية، أن المراد بالوحى فيها المشافهه بكلام الله تعالى لنبينا ﷺ ليلة المعراج، وكلامه لموسى، عليه الصلاة والسلام، وحديث أبى ذر المشار إليه هو هذا.

قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، جالس، فجلست إليه، فقلت: بأبى أنت وأمى أمرتنى بالصلاة، فأى الصلاة؟ وقال: «الصلاة خير موضوع استكثر منه أو أقل»، قال: فقلت: فأى الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله، وجهاد فى

سبيل الله»، فقلت: أى المؤمنين أكمل إيمانًا؟ قال: «أحسنهم خلقًا»، فقلت: أى المسلمين أسلم؟ قال: «من سلم المؤمنين من يده ولسانه»، فقلت: أى الهجرة أفضل؟ فقال: «هجر السيئات»، فقلت: أى الصلاة أفضل؟ قال: «طول القنوت»، قلت: أى الليل أفضل؟ قال: «جوف الليل الغابر»، قلت: أى الصلاة أفضل؟ قال: «فرض مجزى عند الله، وعند الله أضعاف كثيرة»، قلت: أى الصدقة أفضل؟ قال: «جهد من مقل يصير إلى فقير»، قلت: فأى الرقاب أفضل؟ قال: «أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها»، قلت: فأى الجهاد أفضل؟ قال: «من هرق دمه وعقر جواده»، قلت: فأى شيء أعظم مما أنزل الله عليك؟ قال: «آية الكرسى، يا أبا ذر، ما السموات السبع والأرضون السبع فى الكرسى إلا كحلقة ملقاة فى فلاة من الأرض، وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلاة على الحلقة»، قلت: بأبى أنت وأمى فكم الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا»، قلت: فكم الرسل من ذلك؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير»، قلت: فمن أولهم؟ قال: «آدم»، قلت: نبى مرسل؟ قال: «نعم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، ثم سواه»، قال: «يا أبا ذر أربعة سريانيون، آدم، وشيث، وأخنوخ، وهو إدريس، وهو أول من خط بالقلم، ونوح، وأربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيكم، يعنى نفسه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وإبراهيم، وسائرهم من بنى إسرائيل، فأول الأنبياء آدم وآخرهم أنا، وأول أنبياء بنى إسرائيل موسى وآخرهم عيسى»، قلت: فكم كتاب أنزله الله تعالى؟ قال: «مائة كتاب وأربعة كتب: أنزل على شيث ابن آدم خمسين صحيفة، وأنزل على أخنوخ ثلاثين صحيفة، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن»، قلت: فما كان فى صحف إبراهيم؟ قال: «كانت أمثالا كلها، منها: أيها المغرور المسلط، إنى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض، ولكن لتردَّ عنى دعوة المظلوم، فإنى لا أردها، وفيها: على العاقل ما لم يكن مغلوبًا على عقله أن لا يكون ظاعنًا إلا فى ثلاث: تزود لمعاد، وحرفة لمعاش، ولذة فى غير محرم»[(١)].

* * *

(فصل)

(اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام **(معجزة هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها)** العجز عند العرب أن لا يقدر على ما يريده. يقال: عجز بفتح الجيم، يعجز بكسرها، ويقال أيضًا بكسر الجيم فى الماضى، وفتحها فى المضارع

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٢٤٣).

كما حكاه الأصمعى وغيره، ويقال: عجزه كذا إذا فاته، وقيل: المعجز فى الحقيقة هو الله خالق العجز فيمن تحدى فلم يقدر على المثل، فإن من خرجت عن مقدورهم لا يتصور فيهم العجز لعدم قدرتهم، وما لهم عليه قدرة لا يتصور عجزهم عنه أيضا، فإن العجز يقارن المعجوز عنه فلو عجزوا وجدت المعارضة منهم و لم توجد، فالمعنى مجازًا امتناع المعارضة وانتفاء القدرة، وحقيقته أن الإعجاز إثبات عجز المرسل إليهم، فاستعير لإظهار العجز وأسند لسببه الذى هو إظهار الخوارق، وجعل اسمًا له، فالتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية أو للمبالغة كتاء علامة، وفيه بحث لا يخفى.

(وهى) المعجزة **(على ضربين)** أى هى اسم شامل لنوعين مقدور وغير مقدور.

(ضرب هو من نوع قدرة البشر) أى مقدورهم الذى يمكنهم الإتيان بما يماثله من نوعه، **(فعجزوا عنه)** الفاء فصيحة أى فطلب منهم فعجزوا عنه، **(فتعجيزهم عنه)** أى جعلهم عاجزين، والمصدر مضاف لمفعوله أى تعجيز الله إياهم **(فعل الله دل على صدق نبيه)**، أى خلق العجز فيهم ومنعهم عما من شأنهم القدرة عليه، فهو فى قوة قول الله تعالى: صدق عبدى فيما ادعاه، والعادة جارية بأن يقع بعده علم ضرورى بصدقه، **(كصرفهم عن تمنى الموت)** أى منع الله اليهود عن تمنى الموت لما قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، فكذبهم الله تعالى وألزمهم بقوله: ﴿**قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ**﴾ [البقرة: ٩٤]، أى قل لهم يا محمد إن كنتم أحباب الله تعالى، والجنة مختصة بكم فاطلبوا الموت، فإن من أحب الله أحب لقاءه، ومن كانت داره الجنة يبادر لدخولها، فلم يتمنه أحد منهم ولو بلسانه لصرف الله لهم عن ذلك؛ ولذا ورد ولو تمنوه لم يبق على وجه الأرض يهودى، وسيأتى بيان هذا مطولا فى محله، وهذا أعظم حجة على صدقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما قاله المفسرون، وهذا وإن كان تركا وعدما متضمن لمعنى وجودى وهو السكوت، والخوف ونحوه، فسقط ما قيل: إن المعجزة فعل خارق، وليس هذا من قبيل الأفعال.

(وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأى بعضهم) القائل بأن إعجازه بالصرفة أى بصرف من العرب الفصحاء عن معارضته مع تحديه لهم، وتقريعهم بذلك على رؤوس الأشهاد حتى عدلوا عن مجادلة الحروف إلى مجالدة السروف كما هو مشهور معروف، وهذا مذهب النظام وبعض المعتزلة والشيعة، فقيل: صرفهم بأن لم يكن دواعى وبواعث لذلك، وقيل: سلبهم المعارف المركوزة فى طبائعهم من معرفة فنون البلاغة وأساليبها على القولين المشهورين فى الصرفة، والذى عليه الجمهور المحققون أن إعجازه إنما هو بما

تضمنه من الفصاحة والبلاغة، وغرابة الأساليب، وبلاغة التراكيب وجزالتها، وأنواع البديع، ومطابقة المقامات، وبدائع الفواتح والمقاطع، وروائع الاستعارات إلى غير ذلك مما خرج عن طوق البشر، وبلغ إلى ذروة لاتصل إليها خطى الأفكار مع حلاوة وطلاوة تعين السامع إلى غير ذلك مما قرروه.

وقيل: إعجازه بما فيه من المغيبات، وقيل: بجميع ذلك، والأقوال معروفة مقررة فى الأصول والمعانى وغيرها من كتب السلف، **(ونحوه)** مما نوعه مقدور لهم.

(وضرب) من المعجزة **(هو خارج عن قدرتهم)** إذ تحداهم به، **(فلم يقدروا على الإتيان بمثله كإحياء الموتى)** الذى وقع لإبراهيم ولعيسى، عليهما السلام، فما قيل أن ما كان بدعاء عيسى، عليه السلام، معجزة له إنما كان من الله لأمته بشهادة ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠]، لا جه له، وهذا أيضًا مما وقع لنبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، فيما وقع لأبويه على الصحيح.

(وقلب العصا حية) معجزة لموسى، صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى نبينا وسلم، وسيأتى أنه ما من معجزة لنبى من الأنبياء إلا ولنبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، مثلها وزيادة.

(وإخراج ناقة من صخرة) بلا واسطة وأسباب معتادة معجزة لصالح، عليه الصلاة والسلام، لما اقترح عليه جندع بن عمرو سيد قومه أن يخرج لهم من صخرة اسمها كاتبة ناقة عشراء، فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج بولدها، فانصدعت عن ناقة عشراء وهم ينظرون، ثم نتجت مثلها فى العظم، فآمن جندع فى جمع من قومه، وتمادى غيرهم فى الكفر حتى عقروا الناقة فأخذتهم الرجفة.

(وكلام الشجرة)، وفى نسخة الشجر، وهذا مما وقع لنبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، ومثله حنين الجذع المشهور.

(ونبع الماء من الأصابع) أى من بين أصابعه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذا مما وقع له ﷺ أيضًا كما سيأتى، ولله در البوصيرى فى قصيدة عارض بها بانت سعاد حيث قال[1]:

ومنبع الماء عذب من أصابعه وذاك صنع به فينا جرى النيل

(وانشقاق القمر) معجزة له، صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى صار فلقتين يشاهده الناس، وقد ثبت هذا فى الأحاديث الصحيحة، وروى من طرق متعددة خرجها

(١) البيت من البسيط، وهو فى ديوان البوصيرى (ص١٥٥).

السيوطى، وبه فسر قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، ولعل النوبة تقضى لفصيله، وهذا النوع كله وأمثاله **(مما لا يمكن أن يفعله أحد إلا الله)** عز وجل، **(فيكون)** إجراء **(ذلك)** الذى لا يفعله إلا الله **(على يد النبى)** أى وقوعه من نبى من أنبيائه بحسب الظاهر فعله، وهو فى الحقيقة **(من فعل الله تعالى)** الذى أظهره على يده بقدرته، **(وتحدّيه)** بتشديد الدال مصدر مضاف للفاعل، وهو ضمير النبى، ويجوز عوده على الله لأمره به، وهو طلب المعارضة والإتيان بمثله كما تقدم، وهو مبتدأ.

وقوله: **(من يكذبه)** مفعوله قوله: **(أن يأتى بمثله)** بتقدير الجار، أى لأن يأتى بمثله، أو بدل من تحديه أو خبر، وقوله: **(تعجيز له)** خبر بعد خبر أى يظهر عجزه عن ذلك.

(واعلم أن المعجزات) جمع معجزة، وقيل: جمع معجز لأنه لما لم يعقل **(التى ظهرت على يد نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم)**، وصدرت منه، **(ودلائل نبوته وبراهين صدقه)** عطف تفسير له كانشقاق القمر ونحوه مما تقدم مما لا يحصى **(من هذين النوعين معًا)** خبر أن أى بعضها مقدور وبعضها غير مقدور كالقرآن ونحوه.

(وهو) أى نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(أكثر الأنبياء معجزة)** منصوب على التمييز، أى معجزاته أكثر من معجزات سائر الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، **(وأبهرهم آية)** تمييز، والآية المعجزة لأنها علامة للنبوة، وأبهر أفعل تفضيل من بهر بمعنى ظهر أو غلب. يقال: بهر القمر فهو باهر إذا ملأ الأرض، ومن ذلك قول عمر بن أبى ربيعة:

ثم قالوا تحبها قلت بهرًا ... عدد الرمل والحصى والتراب[(١)]

وفيه وجوه ذكرها الأدباء، فالمعنى أن معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، أكثر وأظهر وأقوى، **(وأظهرهم برهان)** هذا أعم مما تقدم؛ لأن البرهان وهو الدليل القاطع أعم من المعجزة، ويجوز أن يريد المعجزة أيضًا، **(كما سنبينه)** فى آخر هذا الباب، وفى قوله: أكثر وأظهر ما يدل على أن سائر الأنبياء أتت بدلائل ومعجزات وبراهين، ومعجزات نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم، وبراهينه أقوى وأظهر، وأنها تسمى بذلك كما تسمى به آيات نبينا، وقد أطلق عليها آية وبرهان إلا أنه لم يطلق عليها فى القرآن معجزة. قيل: ولا فى السنة.

---

(١) البيت من الخفيف، وهو فى ديوان عمر بن أبى ربيعة (ص٤٣١)، الأغانى (٨٧/١)، لسان العرب (٨٢/٤) (بهر)، مغنى اللبيب (ص١٥)، جمهرة اللغة (ص٣٣١)، أمالى المرتضى (٢٨٩/٢)، شرح أبيات سيبويه (٢٦٧/١)، الدرر (٦٣/٣)، شرح المفصل (١٢١/١)، شرح شواهد المغنى (ص٣٩).

والمعجزة مخصوصة بالأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وخوارق الأولياء تسمى كرامة، وقد يطلق عليها، وأطلق عليها المعجزة أيضًا الإمام أحمد بن حنبل وأباه غيره.

(وهى) أى معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(فى كثرتها لا يحيط بها ضبط)** أى لا يحيط بها حصر وعدد أو حفظ؛ لأن الناس يطلقونه على هذا تجوزا من الضبط بمعنى الأخذ باليد، والحفظ بمعنى الصيانة، وأما إطلاقهم الضابط على القاعدة الكلية فمولد من كلام المصنفين، ووجه التجوز فيه إحاطته بأفراده؛ ففى كلامه استعارة مكنية وتخييلية، ولم يتعرض له فى الأساس.

ثم بين ذلك بقوله: **(فإن واحدًا منها)** أى معجزة واحدة من جملة معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وهو القرآن)**، فإنه بجملته معجزة وكذا آياته وسوره قال الإمام مجد الدين فى نهاية العقول: التحدى وقع مرة بالقرآن كقوله تعالى: ﴿**قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ**﴾ [الإسراء: ٨٨]، ومرة بعشر سور كقوله تعالى: ﴿**بِعَشْرِ سُوَرٍ**﴾ [هود: ١٣]، ومرة بسورة كقوله تعالى: ﴿**فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ**﴾ [البقرة: ٢٣]، ومرة بآية كقوله: ﴿**فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ**﴾ [الطور: ٣٤]، وذلك نهاية التحدى، وهو كقول الرجل لمن يفاخره: هات قوما كقومى، هات كنصفهم، هات كربعهم، هات كواحد منهم انتهى.

وإلى هذا أشار المصنف، رحمه الله تعالى، بقوله: **(لا يحصى)** أى لا يعد ويضبط، وكانوا يعدون ما كثر بالحصى، ثم استعمل فى مطلق العدد، ولذا قال الأعشى[1]:

ولست بالأكثر منهم حصى ... وإنما العدة للكاثر

(عدد معجزاته) أى معجزات القرآن **(بألف ولا ألفين)** لما فى كل آية من الإعجاز، **(ولا أكثر)** من ذلك لما فى ألفاظه من البلاغة وفنونها، كالتوكيد والتلميح والتشبيه والاستعارة والإيجاز وحسن الفواتح والخواتم والفواصل إلى غير ذلك مما لا يحصى؛ **(لأن النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، قد تحدى بسورة منه)** أى طلب مثلها من بلغاء قريش، **(فعجز عنها)** فاعل عجز من تحداه المعلوم مما قبله، أو هو مبنى للمجهول وهو أولى.

---

(١) البيت من السريع، وهو للأعشى فى ديوانه (ص١٩٣)، الاشتقاق (ص٦٥)، أوضح المسالك (٣/٢٩٥)، خزانة الأدب (١/١٨٥)، الخصائص (١/١٨٥ - ٣/٢٣٦)، شرح التصريح (٢/١٠٤)، شرح شواهد الإيضاح (ص٣٥١)، شرح شواهد المغنى (٢/٩٠٢)، شرح المفصل (٦/١٠٠، ١٠٣)، لسان العرب (٥/١٣٢)، مغنى اللبيب (٢/٥٧٢)، المقاصد النحوية (٤/٣٨)، نوادر أبى زيد (ص٢٥)، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة (ص٤٢٢)، خزانة الأدب (٢/١١)، شرح الأشمونى (٢/٣٨٦)، شرح ابن عقيل (ص٤٦٥).

(قال أهل العلم) بالقرآن وبلاغته: **(وأقصر سورة)** من القرآن، وهو منون أو هو جمع مضاف لضميره ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] سميت بجزئها هذا كما تسمى سورة الكوثر لذكره فيها؛ لأنها ثلاث آيات، وسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] كذلك، وسورة النصر إلا أن حروف هذه أقل منهما **(فكل آية)** طويلة من القرآن بعدد حروفها ومقدارها، **(أو آيات منه)** أى القرآن **(بعددها)** أى بعدد الكوثر آيات وحروفا وكلمات، **(وقدرها معجزة)** للبلغاء عن معارضتها لما فيها من البلاغة، وهذا بيان أقل مراتب الإعجاز فيه، ومنه يعلم كثرته، **(ثم فيها نفسها)** أى فى سورة الكوثر **(معجزات)** كثيرة **(على ما سنفصله)** نبينه تفصيلا **(فيم انطوى)** أى اشتمل القرآن **(عليه من المعجزات)** التى لا تحصى ولا تحصر.

(ثم معجزاته ﷺ على قسمين) أى علم، واستقر انقسامها انقسام الكلى إلى جزئياته، فشبه استقرارها باعتلاء الراكب على مركوبه؛ لأنها إما أن تعلم علما يقينيا قطعيا أو لا، فالأول **(قسم منها علم قطعًا ونقل إلينا تواترًا كالقرآن، فلا مرية)** بكسر الميم وضمها، وسكون الراء المهملة ومثناة تحتية، وهى الشك والتردد كما تقدم بيانه، **(ولا خلاف بمجىء النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، به)** الباء الأولى بمعنى فى، والثانية صلة المجىء، **(و)** لا خلاف ولا مرية فى **(ظهوره من قبله)** بكسر القاف وفتح الباء الموحدة، ومعناه جهته وجانبه كما سيأتى فى قوله: من قبل الله على ما فيه، **(واستدلاله)** أى استدلال النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، على صدقه ونبوته **(بحجته)** الإضافة بيانية أى بحجة هى القرآن، **(وإن أنكر هذا)** المذكور الذى لامرية فيه **(معاند جاحد)** أى منكر له عنادا مع علمه به، **(فهو كإنكاره وجود محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى الدنيا)**، وهو سفسطة وإنكار للمحسوسات التى لا تسمع، ولا يصدر من عاقل، **(وإنما جاء اعتراض الجاحدين)** إشارة إلى أن إنكارهم لما علموا خلافه **(فى الحجة به)** أى الاحتجاج به، وأنه كلام الله كقول المشركين: هذا سحر مبين، وأساطير الأولين، وما أنزل الله على بشر من شىء إلى غير ذلك.

(فهو) أى القرآن **(فى نفسه)** أى فى كلامه المفرد، **(وجميع ما تضمنه)** واشتمل عليه **(من معجز)** أى من كل أمر معجز كالبلاغة والإخبار عن المغيبات **(معلوم ضرورة)** علما ضروريا لمن كان من أهل البلاغة؛ ولذا قال الوليد بن المغيرة لما سمعه: إن له حلاوة، وعليه طلاوة، وأسفله مغدق، وأعلاه مثمر، وما هو من كلام البشر كما يأتى بيانه.

والفضل ما شهدت به الأعداء

(فوجه إعجازه معلوم ضرورة) عند أهل اللسان لا عند كل أحد؛ لما فيه من فنون

البلاغة **(ونظرًا)** أى استدلالا عند غيرهم، أو لافتقار بعض وجوهه إليه، **(كما سنشرحه)** ونبينه قريبا.

(قال بعض أئمتنا) أى علماء الحديث والتفسير لا المالكية إذا لا اختصاص لما ذكر بمذهب (: **ويجرى هذا المجرى)** بفتح الميم اسم مكان أو مصدر ميمى، أى يقارب ما تقدم ويشبهه؛ لأن ما جرى فى مجرى شىء ساواه **(على الجملة)** أى إجمالا من غير تفصيل لوجه المشابهة، وفاعل يجرى **(أنه قد جرى على يديه)** أى صدر منه **(صلى الله تعالى عليه وسلم، آيات وخوارق عادات)** عطف تفسيرى، أو من عطف الخاص على العام، والأول أولى **(إن لم يبلغ)** أى يصل **(واحد منها معينا)** اسم مفعول حال من النكرة لوصفها، ولو رفع كان أولى **(القطع)** والجزم مفعول يبلغ، **(فيبلغه جميعها)** أى مجموعها، وهذا يسمى التواتر المعنوى كشجاعة على وزهد الحسن البصرى، فإن كل حال من أحوال هؤلاء لم يبلغ مبلغ التواتر، ومجموعها إجمالا بلغ ذلك بحيث لم يبق شبهة فيه كتذليله الجبائرة مما شاهدوه من خوارق عاداته وانقياد الملوك له وغير ذلك، **(فلا مرية فى جريان معانيها على يديه)** مشهورة ناطقة بتصديقه شاهدة برسالته، **(ولا يختلف مؤمن ولا كافر)** من الأمم السالفة **(أنه)** أى نبيهم قد **(جرت على يديه عجائب)** أى أمور خارقة للعادة حيرت أبصارهم وألبابهم حتى يتعجب المتعجب منها، **(وإنما)** وقع **(خلاف المعاند فى كونها)** أى تلك العجائب صادرة **(من قبل الله)** بكسر القاف، وفتح الباء، أى من المبدأ الفياض المبدع البدائع، **(وقد قدمنا)** أولا **(كونها)** بيان كون العجائب **(من قبل الله، وأن ذلك بمثابة قوله)** أى الله عز وجل لرسوله: **(صدقت)** فى نبوتك وما ادعيته، ومعنى مثابته منزلته وفى حكمه مفعلة من أثابه كذا إذا عوضه، ومنه الثواب بالثاء المثلثة لجزاء الطاعة، والجاحد العنيد يزعم تارة أنه سحر وكهانة وأن ما سمع من كلام الشجر والجماد كلام جن سخرها إلى غير ذلك من الخرافات التى صاروا إليها، فأصبحوا بها سخرة. إذا عرفت هذا.

(فقد علم وقوع مثل هذا) الذى وقع للأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، والأمم السالفة مما علمه كل مؤمن وكافر وبر وفاجر **(أيضًا)**، كما وقع لأولئك **(من نبينا محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، ضرورة)** أى علم علما ضروريًا متواترًا تواترًا معنويًا؛ **(لاتفاق معانيها)** أى لتوافقها كلها فى معنى واحد، **(كما يعلم ضرورة جود حاتم)** الطائى وشهرته تغنى عن ذكره، فأخباره فى الجود مشهورة أيضًا، وكان فى الجاهلية قريبًا من مبعثه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأدرك ابنه عدى الإسلام، وكان من كبار الصحابة، رضى الله تعالى عنهم.

(وشجاعة عنترة) بالهاء، ويقال له عنتر أيضًا، وهو عنترة بن معاوية بن شداد القيسى، وهو علم منقول من عنتر وهو نوع من الذباب أزرق، ونونه اختلف فى زيادتها، وهو من فرسان العرب وفصحائهم المشهورين.

(وحلم أحنف) بن قيس التميمى أدرك الإسلام وأسلم، لكنه لم ير النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو من كبار التابعين، وأحنف بفتح الهمزة وسكون الحاء المهملة معناه مائل الرجل، وله كلمات من الحكم مشهورة فى كتب، وعنه فى الحلم حكايات عجيبة، وكان من المعمرين.

ثم وضح ذلك على طريق اللف والنشر المرتب فقال: **(لاتفاق الأخبار الواردة)** أى المروية **(عن كل واحد منهم)**، ثم أبدل من قوله عن كل واحد قوله: **(على كرم هذا)** يعنى حاتما، **(وشجاعة هذا)** يعنى عنترة، **(وحلم هذا)** يعنى أحنف وأشار بهذا لقرب ذكرهم وحضورهم فى الذهن، **(وإن كان كل خبر)** من أخبار هؤلاء الثلاثة **(بنفسه)** أى وحده **(لا يوجب العلم)** القطعى.

(ولا يقطع بصحته)؛ لعدم تواتره بانفراده، وإنما المتواتر ما يحصل من مجموعها كالكرم والشجاعة والعلم، والحاصل أن ما جرى على يديه، صلى الله تعالى عليه وسلم، تواتر تواترًا معنويًا لا لفظيًا حقيقيًا، والمعنوى هو حصول العلم القطعى من مجموع أمور جزئية، وأخبار واردة مستفيضة، كما إذا أخبر واحد بأن حاتما أعطاه دينارًا، وآخر بأنه أعطاه بعيرًا، وآخر بأنه وهبه غنمًا، وآخر بأنه كساه، وآخر بأنه ذبح له فرسه، فقد اتفقوا كلهم على مطلق الإعطاء، والتواتر الحقيقى أن يخبر جماعة عن جماعة إلى آخره يؤمن تواطؤهم على الكذب فى خبر واحد متفق اللفظ والمعنى، وكلاهما يفيد علمًا ضروريًا عند سماعه من غير حاجة إلى نظر واستدلال بشروط مقررة فى الأصول خلافًا لإمام الحرمين والرازى؛ فإنه عندهما يفيد علمًا نظريًا لتوقفه على مقدمات أخر، ولا يشترط فيه عدد مخصوص والإسلام.

(والقسم الثانى) من المعجزات **(ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع)** عطف تفسيرى، أى لم يصل إلى مرتبته، **(وهو على نوعين نوع مشتهر منتشر)** أى له شهرة وشيوع بين الناس، ويسميه المحدثون مشهورًا ومستفيضا **(رواه العدد)** الكثير، **(وشاع الخبر به عند المحدثين)** الحفاظ الذين رووه، وهو لا يبلغ رتبة المتواتر المفيد للعلم الضرورى ولا النظرى، وذهب بعض الأصوليين إلى أنه يفيد العلم القطعى. وقيل: إنه يفيد العلم النظرى، والمشهور أنه يفيد الظن، ولابد أن تكون شهرته عن أصل ورواية، فإن اشتهر لا عن أصل، وهو المسمى بالمشهور على الألسنة لم يعتد به المحدثون ما لم يعلم أصله،

فإن علم ذلك تقوى بشهرته فى الجملة، **(والرواة ونقلة السير)** جمع ناقل بفتحتين ككاتب وكتبة، والسير جمع سيرة كما مر وهى أخبار المغازى، **(والأخبار)** عطف تفسيرى، **(كنبع الماء من بين الأصابع)** أى أصابعه، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وتكثير الطعام)** الذى رواه أنس وغيره كحنين الجذع، وكلام الضب والذراع الذى رواه الشيخان وغيرهما.

(ونوع منه) لم يشتهر ولم ينتشر بل **(اختص به)** رواية **(الواحد والاثنان، ورواه العدد اليسير)** أى القليل، **(ولم يشتهر اشتهار غيره)** كالقسم الأول، والنوع الأول من القسم الثانى، ويسمى عزيزا وهو لا يفيد العلم إلا بقرينة كما فى جمع الجوامع، وقيل: لا يفيده مطلقا، وقال أحمد: إنه يفيد العلم مع عدالة راويه لوجوب العمل به، ولو لم يفده لم يجب العمل به، وله أدلة مذكورة مع الجواب عنها فى الأصول، **(لكنه إذا جمع إلى مثله)** من أحاديث المعجزات **(اتفقا فى المعنى)** من أصل الإعجاز وثبوته، كما أشار إليه بقوله: **(على الإتيان)** أى إتيان النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(بالمعجز كما قدمنا)** من جريانها على يد، وانضمام بعضها إلى بعض المقوى له.

(قال القاضى أبو الفضل) عياض المصنف **(رضى الله تعالى عنه: وأنا أقول صدعا بالحق)** تقديم المسند لإفادة التقوية، ويجوز إرادة الحصر لانفراده بعبارته المخصوصة، ومجموع ما قاله، وقوله صدعا أى صادعا صدعا فهو حال، أو مفعول لأجله، أو مطلق لمقدر أو لأقول؛ لأنه بمعناه كقوله: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، مستعار من صدع الزجاج ونحوه من الأجرام الصلبة؛ لإظهار الحق والجهر به كأنه يصدع قلبه، أو يصدع شبهته ويبطلها، أو من انصداع الفجر لظهوره، ويقال للفجر: صديع لهذا (: **إن كثيرًا من هذه الآيات)** والمعجزات **(المأثورة عنه)** أى المروية عن النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(معلومة بالقطع)**؛ لتواترها حقيقة أو معنى.

(أما انشقاق القمر) أى معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، بانشقاق القمر له بمكة حين سأله كفار قريش آية غير ما جاء به أولاً فأراهم ذلك، فهى ظاهرة باهرة، **(فالقرآن نص بوقوعه)** أى صرح به فى قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وقرئ وقد انشق أى اقترب، وقد حصل من آيات اقترابها انشقاقه، ولتضمنه معنى صرح عداه بالباء، وإلا فهو متعد بعلى، فقد تواتر ذلك لفظًا على القراءة المشهورة، ومجيئه بقد يأتى تأويله بأن معناه أنه سينشق إذا قامت القيامة، والتعبير عنه بالماضى لتحقيق وقوعه، فهو استعارة تبعية وقرينتها اقترانها بلفظ الساعة، فلا يرد عليه أنه ليس معه قرينة تصححه كما توهم إلا أنه لا يدفع كونه خلاف الظاهر، **(وأخبر بوجوده)** فى

هذه الآية، وقراءة انشق تؤيد التأويل فقد تعارضا، ويرجح الأول أنه الأصل والمتبادر منه، (**ولا يعدل عن ظاهر**) بالتنوين، أى عن ظاهر القرآن (**إلا بدليل**) قوى يقتضى العدول عنه وتأويله بما تقدم، وقولهم: إنه لو وقع شاهده الناس كلهم يرده أنه آية ليلية قد تخفى على بعض الناس، (**وجاء برفع احتماله صحيح الأخبار**) أى احتمال خلاف الظاهر ورد فى الأخبار الصحيحة ما يرفعه ويدفعه كما سيأتى (**من طرق كثيرة**) تؤيد حمل الآية على ظاهرها، لاسيما وقد روى فى الصحيحين.

وقد قال خاتمة الحفاظ ابن حجر: إن ما روى فى الصحيحين يفيد علمًا نظريًا وإن لم يتواتر، وقد صرح بهذا قبله أبو إسحاق الإسفرائنى والحميدى وأبو الفضل بن طاهر، فإن احتف به قرائن وورد من طرق أخر زاد قوة، وبلغ العلم المستفاد مرتبة تقرب من القطعى، ثم أشار إلى أنه لا يتلفت لخلاف من خالف فى مثل هذه المطالب، فقال: (**فلا يوهن**) بالتخفيف والتشديد أى يضعف (**عزمنا**) أى ما عزمنا عليه، وقصدناه جزمًا من إثبات هذه المعجزات، وحمل النصوص الواردة بها على ظاهرها من غير تأويل (**خلاف أخرق**) بالإضافة أى مخالفة أحمق، وأصله الذى لا يحسن العمل بيده كأنه يخرق ما يريد زيفه.

وقال الثعالبى فى فقه اللغة فى أنواع الحمق: أولها أحمق، ثم أبله، فإن كان معه عدم الرفق فهو أخرق، فالحاصل أن المخالف فى مثله جاهل لا دراية له ولا معرفة بالأحاديث، ثم وصف ذلك المخالف بقوله: (**منحل عرى الدين**)، فهو بالجر صفة أخرق، أى هو مع جهله قليل الدين ضعيفه؛ لعدوله عن ظاهر النصوص وتشبثه بأذيال الشبه، وعرى بضم العين وفتح الراء المهملتين وألف مقصورة جمع عروة، وهى ما يعقد فى الحبل ليتمسك به. وقال الراغب: العرا مقصور الناحية، ومنه العروة هو ما يتمسك به قال الله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وهو على طريق التمثيل، انتهى.

فإن شبه الدين بالعروة، فهو من إضافة المشبه للمشبه به كلجين الماء، وإن شبه بالحبل للتوصل به لما يعلو كما فى الحديث: «كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض»، فإن الحبل مستعار فى كلام العرب، كقوله: إنى بحبلك واصل حبلى، فهو استعارة مكنية وتخييلية، والمراد أنه غير متمسك بالدين.

(**ولا يلتفت إلى سخافة مبتدع**) الالتفات الانحراف للنظر إلى شىء، ثم صار كالنظر كناية عن الرعاية بلطف وإحسان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧]، والسخافة أصلها عدم إحكام النسج، ثم تجوز به عن قلة العقل،

فيقال: هو سخيف العقل لمن عقله وفكره غير قوى، والمبتدع مرتكب البدع وهو المحدث على خلاف الشرع.

وقوله: (**يلقى الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين**) إشارة إلى ما هو من شأن أهل البدع من إلقائهم الشبه والمشككات على ضعفاء العقول من المؤمنين، وخصهم بذلك لأن غيرهم لا يقبل مثل هذه الآراء الواهية، وأما ضعيف العقل فقد يأخذ بأقوالهم فيتبعهم ويفتتن، (**بل يرغم بهذا أنفه**) أى يرد ما قاله ويظهر جهده وسخافة عقله حتى يفتضح ويذل ويخزى؛ لأن أصله أن يلصق أنفه بالرغام وهو التراب، فتجوز به عن الإذلال والتسخير وكنى به هنا عما فسرناه به، وهذا إشارة إلى ما ذكر من النقول الصحيحة التى لا تصرف عن ظاهرها بغير دليل.

(**وينبذ بالعراء سخفه**) النبذ بنون وموحدة وذال معجمة يقال نبذه ينبذه كضربه يضربه إذا طرحه وألقاه، والعراء بالمد المكان الخالى الذى لا سترة فيه، وبالقصر الناحية ويقال عراه إذا قصده، وسخفه قلة عقله ودينه، ونبذ سخفه بالعراء أى ألقاه فى مكان خال عن الناس، وهو عبارة عن إبطاله بالكلية، وهذا أبلغ من عدم الالتفات الذى هو معنى الإعراض وعدم الاعتداد بالشىء، فهذا ترق؛ لأن الأول يكون مع استماعه وحضوره عنده، وهذا إبعاد له لرميه بالفلاة، ولا تكرار فى كلامه، وتفسيره بإهماله مهمل لا يلتفت إليه، وحاصله أن انشقاق القمر فى الآية على ظاهره؛ لوروده فى الأحاديث الصحيحة من طرق متعددة، فمن حمله على أن المراد أنه سينشق إذا قامت القيامة يوم تشقق السماء لم يأت بشىء، وإن ارتضاه جمع؛ لأنه لو وقع شاع وزاع وملأ الأسماع؛ لأنه آية عظيمة، وقيل: معناه ظهر الأمر؛ لأن العرب تضرب المثل بالقمر لما وضح كما قال التسترى فى لامية العرب:

فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وأرجل

وقيل: معناه انشقاق الظلم عنه بطلوعه كما يقال: انفلق الصبح وانشق كما قال النابغة:

فلما أدبروا ولهم دوى دعانا عند شق الصبح داعى

والداعى لهم على هذا عدم الوقوف على ما ورد فى السنة، وإلفهم لأقوال الحكماء الذاهبين إلى امتناع الخرق والالتئام فى الأجرام الفلكية، ونحوه من الخرافات الفلسفية.

(**وكذلك قصة نبع الماء**) من بين أصابعه، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**وتكثير الطعام**) القليل ببركة وضع يده الشريفة فيه. (**رواها**) أى القصة (**الثقات**) من حفاظ المحدثين،

(والعدد الكثير عن الجم الغفير) تقدم معناه مفصلا ويأتى أيضًا مع زيادة **(عن عدد الكثير من الصحابة)**، كالشيخين عن أنس، رضى الله عنه، والبخارى، عن ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه، قيل: استعمل الجم الغفير مجرورا بالحرف، والذى فى كتب العربية أنه لازم النصب، وجوز بعضهم رفعه كما تقدم ولا وجه له؛ لأن من لم يقل بلزوم نصبه يجوز جره أيضًا إذ لا مانع منه.

(ومنها) أى رواية قصة تكثير الماء والطعام **(ما رواه الكافة عن الكافة)** أى ما رواه جماعة عن جماعة، ومثل هذه العبارة من تعريف كافة وجره وقع فى كلام كثير من العلماء والفصحاء، وقد خطأهم فيه الحريرى فى درة الغواص، وتبعه صاحب القاموس وغيره بناء على أنه يلزم تنكيرها ونصبها، وقد صرح به كثير من النحاة.

قال فى القاموس: لا يقال: جاءت الكافة؛ لأنه لا يدخلها أل ولا تضاف، ووهم الجوهرى، وقد بسطنا الكلام عليه فى شرح الدرة، وبينا أنه مردود رواية ودراية، فإنه سمع فى كلام العرب، فإن أردت معرفة ذلك فانظره، **(متصلاً عن من حدث بها)**، أى بتلك القصة، **(من جملة الصحابة وأخبارهم)**، بفتح الهمزة وكسرها مرفوع معطوف على قوله ما رواه، **(أن ذلك)**، بفتح الهمزة، أى بأن إلى آخره، ويجوز كسرها، **(كان فى موطن)**، بمعنى محل، فأصله محل التوطن.

(اجتماع الكثير منهم فى يوم الخندق) بالمدينة، وهو بفتح الخاء المعجمة، وسكون النون، وفتح الدال المهملة، وقاف، وهو فارسى معرب كنده بمعنى الحفر، والمراد غزوة الخندق، وتسمى غزوة الأحزاب؛ لاجتماع أحزاب المشركين واليهود بها حول المدينة، فأمر النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، بحفر خندق حول المدينة، أشار عليه سلمان الفارسى، رضى الله تعالى عنه، ولم يكن ذلك معروفًا عند العرب، وإنما هو من مكائد الفرس، وكان ذلك فى شوال، وقيل: فى ذى القعدة سنة أربع أو خمس من الهجرة النبوية، وقد فصلوها فى السير.

(وفى غزوة بواط)، بضم الباء وفتحها، وهو اسم جبل من جبال جهينة، بينه وبين المدينة أربعة برد بقرب رضوى، وهو جبل أيضًا، وهى التى ظفر فيها النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، بعير قريش سنة اثنين، ولم يكن بها حرب أيضًا، وبواط قيل: فيه الصرف وعدمه، والظاهر الأول، وأشار بالأول إلى قصة جابر، رضى الله تعالى عنه، لما دعا رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، لعناق ذبحها مع صاع من شعير خبزه، فأتاه، صلى الله تعالى عليه وسلم، ومعه ناس كثير، وكان دعاه وحده، فأكلوا وشبعوا، وفضل ذلك الطعام، وكانوا نحو ألف، وبالثانى إلى قصة بواط، وهى أنه وضع عنده،

صلى الله تعالى عليه وسلم، ماء قليل للوضوء، فقال لجابر: «ادع الناس»، فلما أتوا وضع يده الشريفة فى الماء، فنبع الماء من بين أصابعه حتى توضئوا كلهم، كما سيأتى.

(وعمرة الحديبية)، بالجر عطف على المجرور بفى قبله، والحديبية مصغر كدويهية اسم مكان، أو بئر فيه قريبة من مكة، سميت بشجرة حدباء فيها، وهى التى وقع تحتها بيعة الرضوان، وهى بتخفيف الياء الثانية على الصحيح وشددها بعضهم، وإليه ذهب كثير من المحدثين، وكانت فى سنة ست، والآية التى كانت فيها أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، خرج من المدينة معتمرًا، فلما وصل إليها صده المشركون عن البيت، وكان بين يديه ركوة، فتوضأ منها وماء البئر قليل جدًّا نزعه الناس، وشكوا العطش إلى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فنزع سهمًا من كنانته وأعطاه لناجية بن عميرة، فغرزه فى البئر، فجاش ماؤها، وجاءت جارية من الأنصار معها دلو، فأقبلت به على ناجية وهو فى القليب، وقالت منشدة:

يا أيها الماتح دلوى دونكا إنى رأيت الناس يحمدونكا

يثنون خيرًا ويمجدونكا أرجوك للخير كما يرجونكا

إلى آخر ما فصل فى السير، وسيأتى بتمامه.

(وغزوة تبوك)، فى السنة التاسعة من هجرته، عليه الصلاة والسلام، أو السابعة، وهو اسم موضع بين الشام والمدينة غير مصروف، سميت بعين ماء بها، أمرهم رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، أن لا يمسوا ماءها، فسبق رجلان بسهمين جعلاهما فيها ليكثر ماؤها، فزجرهما رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال لهما: «مازلتما تبوكانها»، أى تحفرانها، ليخرج ماؤها، وأشار المصنف إلى آية فيها، رواها أبو هريرة، رضى الله تعالى عنه، وهى أن الناس أصابتهم مجاعة، فقال عمر، رضى الله تعالى عنه: يا رسول الله، ادع بفضل الأزواد، فدعا بنطع وبسطه، ودعا بفضل أزوادهم، فجعل الرجل يجىء بكف من ذرة، والآخر بكف من تمر، والآخر بكف من شعير، فجمع ذلك وبرك عليه، ثم قال: «خذوا»، فأخذوا فى أوعيتهم حتى ما بقى فى العسكر وعاء إلا ملئوه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة، وعقد المصنف، رحمه الله تعالى، لكل آية فصلاً كما سيأتى.

(وأمثالها من محافل المسلمين)، مجرور معطوف على موطن، والضمير للغزوات المذكورة، والمحافل جمع محفل، من حقل القوم، إذا اجتمعوا وكثروا، وقيل: المحفل مجمع الرجال، والمأتم مجمع النساء، والنادى مجمع الناس فى الشتاء ودار الندوة، والمصطبة مجمع

الغرباء، وقيل: محل اجتماعهم لأمورهم، والمجلس مقر الناس فى بيوتهم، والخان محل المسافرين، والحانوت محل البيع والشراء، وقد يخص بمحل بيع الخمر.

(**ومجتمع العساكر**)، أى محمل اجتماعهم، وهو المعركة، والعساكر جمع عسكر، وهو الجيش، والجمع الكثير مطلقًا من الرجال والخيل، وقيل: إنه معرب.

(**ولم يؤثر**)، بالبناء للمجهول، أى لم ينقل من أثره إذا نقله، ومنه الأثر بمعنى الخبر، وقد يخص بغير الحديث، (**عن أحد من الصحابة مخالفة للراوى**)، نائب الفاعل، (**فيما حكاه**)، الراوى من الأمور والآيات المذكورة، (**ولا**) نقل عن أحد (**إنكار لما ذكر عنهم**)، وذكر مبنى للمجهول نائب فاعله، (**أنهم رأوه كما رآه**)، أى لم ينقل إنكار أنهم رأوا من النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما رآه منهم الآخر، بل سكتوا حين سمعوا من بعض الرواة أنه شاهد بعض آياته، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق**)؛ لأنه فى محله إقرار، (**إذ هم المنزهون عن السكوت على باطل**)، يسمعه من غيره، ولا يصرح له بإنكاره، وكون السكوت كالنطق ليس على إطلاقه كما ذكره الفقهاء وأهل الأصول، ولذا قالوا: السكوت فى محل الحاجة بيان.

(و) المنزهون عن (**المداهنة فى كذب**)، فإن الصحابة كلهم عدول لا يخشون فى الله لومة لائم، والمداهنة الملاءمة والمطاوعة، إلا أن الفرق بينها وبين المداراة، أن المداراة فى الحق والمداهنة فى غيره، ولذا جعلت من الغش، قال الله تعالى: (﴿**أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ**﴾) [الواقعة: ٨١]، وهى استعارة من الدهن؛ للين كلام صاحبها وجانبه، وهى مذمومة؛ لأنها نفاق، (**وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم**)، أى الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، ليسوا ممن يطمع ويرغب فى دنيا غيره، ولا يخافون أحدًا عدل عن الحق؛ لصلابة دينهم، فلا يدهنون؛ لأن الحامل على المداهنة هذان الأمران، فليس عندهم ما يمنعهم من الإنكار على من كذب.

(**ولو كان**)، الأحسن أن يقول: فلو بالفاء لترتبه على ما قبله، (**ما سمعوه منكرًا عندهم**)، أى فى اعتقادهم، (**وغير معروف لديهم**)، إذ لم يبلغهم عن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، مثله (**لأنكروه**) على قائله تنزهًا عن الإقرار على الباطل وما يخالف الظاهر، وأما احتمال أن غيرهم سمع ما لم يسمعه وحمل قائله على الصلاح فغير مناف هنا؛ لأن الصحابة، رضى الله عنهم، فى العصر الأول كان عندهم حرص على معرفة أحواله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأقواله؛لتوفر دواعيهم على نقلها والعمل بها، والمعجزات المتحدى بها لغرابتها وعظمها ليس مما يخفى مثله، نعم بعد عصرهم يجوز هذا؛ لأن خبر الآحاد مقبول، فتدبر. (**كما أنكر بعضهم**)، أى بعض الصحابة، (**على**

بعض) منهم **(أشياء رواها من السنن)**، أى سنن النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، جمع سنة بمعنى طريقه، والمراد الأحاديث النبوية، **(والسير)** جمع سيرة، وهى أحوال الغزاة.

(وحروف القرآن)، أى قراءته المتعددة، فإن كل وجه من القراءة يطلق عليه حرف، وبه فسر حديث: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»[1]، أى لغات ووجوه منقولة على المعنى المشهور من معانيه، وفى السنن الستة أن عمر، رضى الله تعالى عنه، أنكر على هشام بن حكيم قراءة قرأ بها فى سورة الفرقان لم يسمعها، فجاء به إلى النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال: سمعت هذا يقرأ بغير ما أقرأتنيها، فقال: «اقرأ يا هشام»، فقرأ، فقال: «هكذا أنزلت»، ثم قال: «اقرأ يا عمر»، فقرأ، فقال له: «هكذا أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه»، وفيه بيان لحكمته، وكما وقع بين عمر وابن عباس، رضى الله عنهم، فى إنكاره عليه ما قاله فى نكاح المتعة، وأمثاله كثيرة فى كتب الحديث.

(وخطأ بعضهم بعضًا ووهمه فى ذلك)، يعنى أن بعض الصحابة نسب بعضهم إلى الخطأ والوهم، إذا ذكر أمرًا لم يكن معروفًا عندهم مما يتعلق بسنن النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، وسيره، أو بالقراءات، وغير ذلك مما يتوقف على النقل، ولا يقال بالرأى، فإنهم لا مداهنة عندهم ولا مداراة فى الحق، ألا ترى أن عمر، رضى الله تعالى عنه، مع جلالته لما قبل الحجر الأسود، وقال: إنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولكن رأيت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يقبلك فقبلتك، فسمعه على، كرم الله وجهه، فقال له: لا تقل كذا، فإن الله تعالى لما أخذ العهد على ذرات بنى آدم أودع كتاب العهد فيه، وقال: من قبله فقد وفى بالعهد، فيشهد له الحجر بذلك يوم القيامة، فدعا له عمر، وقال: لاعدمناك يا أبا الحسن، والوهم والخطأ هنا بمعنى، وروى: وهنه بالنون من الوهن، وهو الضعف فى الرأى، **(مما هو معلوم)**، بيان لذلك.

(فهذا النوع كله)، من المعجزات المروية بطريق الآحاد، ولم يشتهر اشتهارًا يقرب من التواتر، **(يلحق)**، بفتح أوله وضمه، **(بالقطعى)**، أى يعد من قبيل المقطوع به، **(من معجزاته كما بيناه)**، من نقل بعض الصحابة له نقلاً صحيحًا، وسكوت غيرهم عليه ممن بلغه، فهو كالإجماع السكوتى.

(وأيضًا) لنا وجه يؤيد كونها كالقطعى، **(فإن أمثال)** هذه **(الأخبار)**، المتعلقة بالمعجزات الثابتة فى عصر الصحابة لو لم تكن صحيحة، وكانت من الأخبار، **(التى لا**

(١) أخرجه أحمد (٢/٢٣٢)، وابن حبان (١٧٧٩، ١٧٨٠)، والطبرانى فى الكبير (٣/١٨٥، ١٠/١٢٥).

أصل لها) رواية **(وبنيت على باطل)**، بأن كانت كذبًا محضًا تبطل وتضمحل، إذ **(لابد مع مرور الأزمان)**، عليها نقلها فى عصر بعد عصر، **(وتداول الناس)**، أى تلقى الناس لها فيما بينهم عصرًا بعد عصر. قال الراغب: يقال: تداول القوم كذا، إذا تناولوه وأخذه بعضهم من بعض. قال الله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١٤٠].

(وأهل البحث)، أى التفتيش عنها، والمراد علماء الحديث الذين يبحثون عن رواة الحديث صحة وسقمًا، **(من انكشاف ضعفها)**، أى ظهوره، **(وخمول ذكرها)**، بأن تنسى ولا يشتهر لها ذكر؛ لكونها لا أصل لها، **(كما يشاهد)**، بالمثناة التحتية أو الفوقية، ويجوز قراءته بالنون أن يعرف ويتحقق، **(فى كثير من الأخبار الكاذبة)**، التى ظهرت فى بعض الأزمنة، ثم تبين كذبها وصارت كأن لم تكن شيئًا مذكورًا، كأخبار مسيلمة الكذاب وأضرابه، **(والأراجيف الطارئة)**، أى الأكاذيب التى حدثت فى بعض السنين الخالية.

والأراجيف جمع إرجاف بكسر الهمزة وفتحها، وقيل: إنه جمع رجفة من الرجف، وهو الاضطراب والتحرك بحركات متوالية، ولذا سمى البحر رجافًا لاضطراب أمواجه، وقال بعض الشعراء فيمن أصابته رعشة فى يده:

ما كان من رجاف كفك منكر   فالبحر من أسمائه الرجاف

وهى هنا بمعنى الأخبار السيئة التى تشيع بين الناس، ثم تنسى لظهور كذبها. والطارئة بالهمزة والياء التحتية من طرأ إذا حدث وتجدد.

(وأعلام نبينا، صلى الله تعالى عليه وسلم)، بفتح الهمزة جمع علم بمعنى علامة أو راية كبيرة، والمراد معجزاته المعلومة المشهورة، **(هذه الواردة)**، أى المروية **(من طريق الآحاد)** بالمد، أى التى رويت آحادًا ولم تتواتر، **(لا تزداد مع مرور الأزمان إلا ظهورًا)**، ولو كانت غير صحيحة ازدادت خفاء وضعفًا، **(ومع تداول الفرق)**، أى تكلم الناس بها فرقة بعد فرقة، وهو بكسر الفاء وفتح الراء، جمع فرقة، **(وكثرة طعن العدو)**، من أعداء الدين الكفرة، والطعن القدح والدخل بالمعارضة، **(وحرصه على توهينها)**، أى تضعيفها، وفى نسخة بدل حرصه: حضه، بضاد معجمة، أى حثه وتحريضه، **(وتضعيف أصلها)**، بالإنكار والعناد وادعاء أنها سحر وافتراء، **(واجتهاد الملحد)**، أى بذل طاقته وقوته، والملحد العادل عن الحق من الزنادقة، والإلحاد الميل عن الاستقامة، وألحد ولحد فى دين الله: حاد عنه وعدل، وعن ابن عباس فى قوله تعالى: (﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا**﴾) [فصلت: ٤٠]: هو تبديل الكلام ووضعه فى غير موضعه، وفى نسخة: بإجهاد،

بدون تاء، من أجهد، أى إتعابه نفسه وكدها.

(على إطفاء نورها)، أى إبطالها، فشبه المعجزات بسراج منير ونار على علم فى الظهور، والتحقق على طريق الاستعارة المكنية، وأضاف الإطفاء إليها على طريق التخييل، وعدى الاجتهاد بعلى مشاكلة لما قبله، أو ضمنه بمعنى الملازمة والانكباب، فهم كما قال الله تعالى: (﴿**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ**﴾) [التوبة: ٣٢]، ومن حكم أهل الهند أن الرجل ذو المروءة والعقل ليكون خامل المنزلة غامض الأمر، فما تبرح به مروءته وعقله حتى يستبين ويعرف كالشعلة من النار التى يصونها صاحبها، وتأبى إلا ارتفاعًا، ومنه أخذ ابن الرومى قوله[1]:

كالذى طأطأ الشهاب ليخفى ... وهو أدنى له إلى التضريم

ومنه أخذ الإرجائى قوله:

ما لشأنك يلتظى من غرور ... وله آخر ترقب قمعه
كلما رام منه للرأس رفعا ... زاد خفضًا كأنه نار شمعه

وأحسن من هذا كله قوله فى بعض الحساد:

رام بالذل أن ينكس قدرى ... حاسد زادنى سنا وسناء
قلت إن الشهاب شعلة نار ... كلما نكسوه زاد ضياء

وقوله: **(إلا قوة وقبولا)**، معطوف على قوله: إلا ظهورًا، كما أن قوله: ومع تداول الفرق معطوف على قوله: مع مرور الأزمان، وفى نسخة: الزمان، وقوته بظهور حقيقته وتيقنه، وهو مقابل لما فى ضده من التضعيف والقبول بإذعان العقول السليمة له، وهو مقابل لطعن الطاعنين وإنكارهم **(ولا للطاعن)**، أى المنقص الذى يعيبها ويسعى فى إبطالها، والجار والمجرور حال من المستثنى بعده بعدما كان صفة، وعداه بعلى فى قوله: **(عليها)**؛ لأنه ضمنه معنى المتعدى عليها؛ لأنه يتعدى بفى، وقوله: **(إلا حسرة)**، وهو التأسف والتندم على مهم فاته وأيس منه، **(وغليلا)**، بالغين المعجمة، وأصله حرارة وتلهف فى الجوف من شدة العطش، والمراد به هنا مجازًا الحقد المضمر، والحسد معطوف عليه، وإن لم يشاركه فى متعلقه إلا بتأويل، فتدبر.

(وكذلك)، أى كأعلامه، بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد، **(إخباره)**، بكسر الهمزة مصدر أخبر، **(عن الغيوب)**، جمع غيب، وهو ما خفى علمه عن الناس، كالدجال، والمهدى، ودابة الأرض، وغير ذلك مما أخبر به بعض الصحابة، رضى الله تعالى عنهم،

---

(١) البيت من المنسرح، وهو فى ديوان ابن الرومى (ص٢٣٦٣).

(وإنباؤه)، بوزن إخباره ومعناه، **(بما يكون)**، فى المستقبل من أشراط الساعة، ومما يقع بين أمته، عليه الصلاة والسلام، من الفتن وغيرها، **(و)** ما **(كان)** فى الماضى، كأحوال الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، والأمم السالفة، ونحوه مما لا يعلم إلا بوحى، أو حفظ الكتب الإلهية التى لم يقرأها و لم ير من عرفها، **(معلوم)** أنه **(من آياته)** ومعجزاته الخارقة للعادة، أما الأول فظاهر، وأما الثانى؛ فلأنه عليه الصلاة والسلام، أمى ولا يخالط من علم ذلك[1].

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة ... فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

(على الجملة بالضرورة)، أى معلوم بعلم ضرورى بمجموعه وإجماله، وإن لم يكن كل فرد كذلك، **(وهذا حق)**، أى أمر محقق متيقن، **(لا غطاء عليه)** ظاهر منكشف من غير لبس وشبهة فيه.

(وقد قال به)، أى اعتقده وصرح به، يقال: قال كذا، إذا نطق به، وقال به، إذا ذهب إليه واختاره، **(من أئمتنا)** المقتدى بهم من الأشعرية أو المالكية، **(القاضى)** أبو بكر الباقلانى الأصولى المالكى؛ لأنه المراد به إذا أطلق، وبه صرح صاحب المقتفى هنا، قال: والمراد بقوله: **(والأستاذ أبو بكر)** بن فورك كما تقدم من كلام المصنف، وقيل: المراد بالأول أبو بكر بن العربى شارح الترمذى، وبالثانى أبو بكر الباقلانى أو العكس، والأول مالكى، والثانى عده المصنف من المالكية، وعده السبكى فى طبقاته من الشافعية. وقال التلمسانى: إن المراد بالثانى أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى الطرطوشى، والأستاذ بضم الهمزة وآخره ذال معجمة، معناه الماهر، وهو معرب فارسية بالدال المهملة، والمولدون يريدون به الطواشى، وقد بسطنا الكلام عليه فى كتابنا شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل، **(وغيرهما)** من الأئمة، أى ذهب هؤلاء كلهم إلى أنها معلومة بعلم ضرورى قطعى، فهى متواترة بحسب المعنى، وإن لم تتواتر مفرداتها.

(وما عندى أوجب قول القائل)، وفى نسخة: تأخير ما عن عندى، وهى نافية، ومعنى عندى فى اعتقادى وحكمى وهو متعلق بأوجب، **(أن هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد)**، أى من قبيل خبر الآحاد التى لا توجب العمل، وأوجب بمعنى اقتضى واستلزم وألجأ، أى لم يلجئه لذلك، **(إلا قلة مطالعته للأخبار)**، النبوية ومطالعتها الاطلاع عليها، **(وروايتها وشغله)**، بضم أوله، أى اشتغاله، **(بغير ذلك من المعارف)**، غير الأحاديث من العربية، والأمور والعلوم العقلية، وفيه تأدب مع العلماء، وعدم المجاهرة بالقدح فيهم.

---

(١) تقدم الاستشهاد به.

(وإلا)، أى لو لم نقل بقلة اطلاعهم لاشتغالهم بما ذكر، **(فمن اعتنى)**، أى كانت له عناية واشتغال، **(بطرق النقل)**، أى الأمور النقلية السماعية، **(وطالع الأحاديث والسير)** النبوية بأن درسها وقرأها، **(لم يرتب)**، أى لم يحصل عنده ريبة وشك، **(فى صحة هذه القصص المشهورة)** عند المحدثين والحفاظ، **(على الوجه الذى ذكرناه)**، من جمع طرقها، وضم بعضها لبعض حتى تقوى وتصير متواترة بحسب المعنى. قيل: وقوله: لم يرتب، قاض برد اعتراضه على من قال: إنها آحاد، إذ لم يرد به مجموعها، بل جميع أفرادها وفيه نظر.

ثم أشار إلى دفع شبهة هى أنه لو كانت الآحاد تصل رتبة التواتر بالاعتناء بالنقول ومطالعة الأحاديث كانت متواترة معنى عند غيره، فقال: **(ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر)** الحقيقى **(عند واحد، ولا يحصل عند آخر)**، فبالطريق الأولى التواتر المعنوى، وقد قيل بمثل هذا فى البسملة، وجمع به بين الخلاف وبين الأئمة، فإن إثباتها فى أوائل السور وإسقاطها قراءتان متواترتان من السبعة، كما قاله ابن حجر ومن تبعه، وإن خفى على كثير، **(فإن أكثر الناس يعلمون بالخبر)** المتواتر **(كون بغداد موجودة)**، وهى المدينة المشهورة بدار السلام، إما لسلامة أهلها من فساد وتغير المزاج، أو لأن نهرها يسمى السلام، وهى فارسية معربة، ومعناها محل البساتين؛ لأن باغ معناه بستان، وقيل: بغ اسم صنم، وداد معناه العطية، أى عطية الصنم، ولذا كره بعضهم تسميتها بذلك، وفيها ست لغات: إهمال الدالين، وإعجامهما، وإهمال الأول وإعجام الثانى، وعكسه، وبغدان بالنون مع الإهمال، وزاد يعقوب إبدال الباء ميمًا مع الدال والنون والإهمال، والإعجام والإهمال أصح وقالوا: بغدين أيضًا.

(وأنها مدينة عظيمة ودار الإمامة والخلافة)، بكسر أولهما وهما بمعنى، والخلافة هى الولاية العامة؛ لأنه خليفة رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فهى السلطنة بحق، وسميت إمامة؛ لأن الإمامة والخطبة فى عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين لازمة له لا يقوم بها غيره إلا بطريق النيابة عنه، كالقضاء والحكومة، ولذا احتاجت لتقليد السلطان ونحوه، ومعنى دارها مقرها ومحلها، وأول من بنى بغداد هذه أبو جعفر المنصور المعروف بالدوانيقى ثانى خلفاء بنى العباس، **(وآحاد)** بالمد، جمع واحد، **(لا يعلمون اسمها)**؛ لعدم سماعه، **(فضلاً عن وصفها)**، من كونها دار الخلافة منتزهة عظيمة البناء، وفضلاً منصوب بالمصدرية يفيد أولوية ما بعدها، والكلام فيها مبسوط فى العربية مشهور.

ثم ذكر مثالاً آخر فى الشرعيات، فقال: **(وهكذا)**، أى مثل أمر بغداد، **(يعلم الفقهاء من أصحاب مالك)**، المقلدين لمذهبه، فتجوز بالصحبة عما ذكر تجوزًا مشهورًا،

(بالضرورة)، أى بالعلم الضرورى البديهى، لا الاضطرارى لتواتره عندهم، فقوله: **(وتواتر النقل عنه)**، كالمفسر له، **(أن مذهبه إيجاب أم القرآن)**، أى الفاتحة وجه التسمية مشهور، **(فى الصلاة للمنفرد والإمام)**، دون المأموم، فإن قراءة إمامه قراءة له، وإن لم يسمعها، ولا فرق بين الصلاة الجهرية وغيرها، وكذا مذهب أبى حنيفة، رضى الله تعالى عنه، كما فصل فى كتب الفقه، **(وإجزاء النية)**، أى نية صوم رمضان كله، **(فى أول ليلة من رمضان عما سواه)**، الضمير راجع لأول، فلا يحتاج فى بقية الشهر إلى نية أخرى اكتفاء بتلك النية، والإجزاء بمعنى الكفاية والإغناء، وقيل: معناه سقوط القضاء، ورده الأصفهانى فى شرح المحصول، والفرق بينه وبين الصحة مفصل فى كتب أصول الفقه.

(وأن الشافعى، رضى الله عنه، يرى)، من الرأى بمعنى المذهب، **(تجديد النية كل ليلة)**، قبيل الفجر، فمذهبه أن النية واجبة فى كل ليلة لا مندوبة، وهذا معلوم بالضرورة عند الفقهاء؛ لتواتره عند الصحابة وغيرهم؛ لأن صوم كل يوم عبادة مستقلة، فيفتقر إلى نية جديدة؛ لحديث: **(إنما الأعمال بالنيات)**، والمراد الأعمال الشرعية، أى إنما صحتها، وغيره يقدر إنما كمالها كما بين فى محله، **(والاقتصار على مسح بعض الرأس)**، أى ويعلم ضرورة أن الاقتصار على مسح بعض الرأس يجزئ عند الشافعى؛ لتواتر نقل ذلك عنه خلافًا لمالك، فإنه يجب عنده مسح الرأس كله احتياطًا.

(وأن مذهبهما)، أى مالك والشافعى، **(القصاص)**، أى وجوبه **(فى القتل بالمحدد)**، اسم مفعول مشدد الدال، وهو حديد له حد جارح كالسيف ونحوه، **(وغيره)**، مما لا حد له كالعصا والحجر والشجر، **(وإيجاب النية فى الوضوء)**، فهى واجبة عندهما؛ لأنه عبادة، فلابد من النية فيه؛ ليكون قربة ولتتميز العبادة عن العادة بإخلاص العمل بالنية، **(واشتراط الولى)**، وهو من تكون له ولاية شرعية على المنكوحة كالأب والسيد، **(فى النكاح)**، أى فى صحته وانعقاده، كما فصل فى كتب الفقه.

(وأن أبا حنيفة) النعمان بن ثابت الإمام المشهور شهرته تغنى عن ذكر ترجمته، **(يخالفهما فى هذه المسائل)**، فلا يوجب القصاص فى غير المحدد، بل الدية، ولا يوجب النية فى الوضوء، وخالف فيه بعض الحنفية كما فى الأسرار للدبوسى، ولا يشترط فى النكاح الولى كما فصلوه، يعنى أن مذهبه يخالف مذهبهما فى هذه المسائل، فإنه لم يرهما حتى يخالفهما، والفقهاء يستعملون مثل هذه العبارة كثيرًا فى كتبهم، فيقولون: خالف فلان فى كذا فلانًا، وإن تقدم عصره عليه.

(وغيرهم)، أى غير الفقهاء وأصحاب المذاهب، **(ممن لم يشتغل بمذاهبهم)**، أى مذهب الفقهاء ومن ذكر من الأئمة، **(ولا روى أقوالهم)**، ممن قلدهم واشتغل بكتبهم، **(لا يعرف**

هذا)، إلا الأمر الذى وقع فيه الخلاف منهم، **(من مذاهبهم)** وأقوالهم، **(فضلاً عما سواه)**، أى سوى هذا من دقائق المذاهب ومسائلها الغريبة.

(وعند ذكرنا آحاد هذه المعجزات نزيد الكلام فيها بيانًا)، بتفصيلها وذكر ما يتعلق بها من الفوائد، **(إن شاء الله تعالى)** ذلك.

* * *

(فصل فى إعجاز القرآن)

أى فى بيان إعجازه، والقرآن بالهمزة، وقد تسهل وتبدل ووزنه فعلان على الصحيح، وتقدم بيان الإعجاز، وهو جعل غيره عاجزًا عن معارضته والإتيان بمثله.

(اعلم وفقنا الله وإياك)، أى رزقنا التوفيق، والجملة دعائية، وتصديره باعلم تنبيهًا له على ما بعده أمر مهم يلزم علمه، **(أن كتاب الله العزيز)**، بفتح الهمزة، وهو وما بعده ساد مسد مفعولى اعلم، وتقدم أن العزيز بمعنى القوى الغالب، وبمعنى الذى لا نظير له، ويجوز فيه الجر والنصب على أنه صفة الله، أو الكتاب، ولك أن ترفعه قطعًا، والكتاب المراد به القرآن لغلبته فيه، وله معنيان الكلام النفسى وما بين الدفتين، وكلاهما قديم عند بعض المحققين كالشهرستانى، والكلام فيه مشهور، والمراد الثانى؛ لأنه هو المتصف بالإعجاز، **(منطو)**، أى مشتمل ومحتو، افتعال من الطى، وهو معروف، **(على وجوه من الإعجاز كثيرة)**، أى أنواع يعرف بها إعجازه وكونه لا يقدر عليه البشر.

(وتحصيلها)، أى محصلها إجمالاً، فالمراد بالمصدر اسم المفعول مبالغة كالدرهم ضرب الأمير، أى مضروبه، والضمير للوجوه، **(من جهة ضبط أنواعها)**، أى حصرها وجعلها مضبوطة محفوظة، **(فى أربعة أوجه)**، خبر تحصيل، أو متعلق بقوله: ضبط.

(أولها: حسن تأليفه)، أى نظم كلماته مؤتلفة متوافقة، **(والتئام كلمه)**، عطف تفسير، أى كونها متناسبة بحسب الدلالة بحسب مقتضى مقاماتها، والكلم اسم جنس جمعى لكلمة كتمر وتمرة، لا جمع ولا اسم جمع على الأصح، **(وفصاحته)**، قدمها على البلاغة لتوقفها عليها بمعناها المشهور فى كتب المعنى، **(ووجوه إعجازه)**، أى قلة لفظه وكثرة معانيه، ووجوهه معروفة فى المعانى، **(وبلاغته الخارقة عادة العرب)**، عادة بالنصب مفعول خارقة، بمعنى خارجة عن عادتهم، كما يقال: خرق الإجماع، إذا خالفه وخرج عنه.

ثم بين ذلك، فقال: **(وذلك)**، أى ما ذكر من عادتهم؛ **(لأنهم)**، أى العرب **(كانوا أرباب هذا الشأن)**، هو الأمر العظيم، والمراد به البلاغة، وجعلهم أربابها، أى أصحابها

المالكون لها الذين بيدهم أزمتها، وهو مبالغة فى اتصافهم بالفصاحة والبلاغة، **(وفرسان الكلام)**، جمع فارس، أو جمع فرس الذى هو جمعه، والفرس يكون أيضًا جمع فارسى بمعنى عجمى، كما فى شرح شواهد الإيضاح، ومنه قولهم: لغة الفرس، فشبه الكلام الذين تمكنوا من التصرف فيه بجواد علوه، وتسابقوا به فى ميادين البلاغة والرهان، وفازوا بقصب السبق فيه، **(قد خصوا من البلاغة والحكم)**، أى خصهم الله تعالى من دون الناس ببلاغة كلامهم المخصوصة بلغاتهم، وربما تضمنه من الحكم، أى المعانى المحكمة المتقنة وما يحث على مكارم الأخلاق، ومحاسن الصفات، وفيه كلام تقدم.

(بما لم يخص به غيرهم)، قيل: كان الظاهر أن يقول: بما لم يوجد فى غيرهم، لكنه عبر به ليشاكل ما قبله، ولأن نفى الوجود يفهم من اختصاصهم به دون غيرهم، فلا يقال: إنه لا يلزم من نفى الاختصاص نفى الوجود وهو المقصود، وفيه بحث، **(من الأمم)**، أى جمع الأمم السالفة واللاحقة، **(وأوتوا)**، بالبناء للمجهول، أى أعطاهم الله **(من ذرابة اللسان)**، المراد الجارحة المعروفة والكلام نفسه، والذرابة بذال معجمة وراء مهملة وموحدة، أصل معناها حدة السيف والسنان ونحوه، وقيل: هى أن تسقى السم، والذراب السم، فاستعير لطلاقة اللسان مع الخلو عن اللكنة، قال[1]:

أرحنى واسترح منِّى فإنى ... ثقيل محملى ذَربٌ لسانى

وهذا أمر محمود، وقد يكون بمعنى كونه سليطًا صخابًا، فيكون ذمًا كالحدة، قال الله تعالى: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩]، **(ما لم يؤت إنسان)**، أى لم يؤته غيرهم من الأمم، لكنه أتى بما ذكر لقصد السجع والخطابة، كقوله: **(ومن فصل الخطاب)**، أى الخطاب البين الفاصل عند المحاجة الذى لا لبس فيه ولا خفاء كما تقدم، **(ما يقيد الألباب)**، جمع لب، وهو العقل، ويقيدها بمعنى يحيرها إذا سمعته حتى كأنها قيدت ومنعت عن الحركة لدهشتها من حسنه وبراعته.

(جعل الله لهم ذلك)، المذكور الذى خصوا به، **(طبعًا وخلقة)**، مركوز فى طبائعهم لا بتكلف وتعلم وتقليد لغيرهم، **(وفيهم غريزة)**، أى جبلة وسجية مركوزة فيهم، **(وقوة)**، المراد بالقوة مقابل الفعل، وليس بمعنى الشدة، وهذا استعمال مولد، وهو قريب من الطبيعة أيضًا، وتكرار الألفاظ المتقاربة لا بأس به هنا؛ لأنه مقام خطابة، أو المراد بالقوة القدرة، أى هذا أمر طبعهم الله عليه، وجعل لهم زيادة قدرة فيه، فلذا عقبه بقوله: **(يأتون منه على البديهة بالعجب)**، أصل معنى البديهة الفجاءة، ولذا قيل لكل كلام من غير

(١) البيت من الوافر، وهو بلا نسبة فى لسان العرب (٣٨٦/١) (ذرب)، تاج العروس (٤٣١/٢)، مجمل اللغة (٣٤٠/٢)، مقاييس اللغة (٣٥٣/٢)، أساس البلاغة (ص٢٩٥).

إتعاب فكر ونظر: بديهة، فيقال: أجاب على البديهة وله بدائع بداهة، وهذا معلوم فى بداهة العقول، ولحقه فى بداهة جريه، والعجب بمعنى الأمر الذى يعد عجيبًا لحسنه وجزالة معناه، فكأنه لم يعهد، فما قيل: إنه غير صحيح هنا لا وجه له.

(ويدلون به)، بضم المثناة التحتية وسكون الدال المهملة وباللام من أدلى دلوه فى البئر، إذا أنزله لأخذ الماء، ثم عبر به عن مطلق التوصل كما قال عمر، رضى الله تعالى عنه، لما استسقى بالعباس، رضى الله تعالى عنه: وقد دلونا إليك مستشفعين، أى توسلنا.

(إلى كل سبب)، أى طريق ووسيلة إلى حصول مهمات أمورهم، كإلزام الخصوم، وجلب محبة القلوب، واستعطاف الملوك والرؤساء، فإذا ذكروا هذه الوسائل عبروا عنها بعبارات بليغة رائقة تسحر السامعين، وتقود بعنان البيان سواد القلوب والخواطر، وفى قوله: سبب هنا تورية؛ لأنه فى الأصل بمعنى الحبل، فذكره بعد الإدلاء فيه لطف، وقيل: المراد أقبلنا وسقنا من الدلو، وهو السوق والرفق، وقيل: المراد بالسبب الطلب العالى الشبيه بأسباب السموات، أى نواحيها، كأنه شبه ذلك الطلب فى عزة نيله بنواحى السماء، والعرب كانوا يصلون إلى هاتيك المطالب بما نالوه من القرائح الزكية، ولعل المراد بالأسباب مقتضيات الأحوال، وقد بين ذلك بقوله: **(فيخطبون)**، إلى آخره. انتهى.

ولا يخفى أنه لا يلائم ما نحن فيه، **(بديهًا)**، أى ينشئون الخطب بمقتضى طبائعهم بديهة من غير تكلف، **(فى المقامات)**، أى محافل الناس ومجامعهم على رؤوس الأشهاد بديهة من غير تصنع جمع مقام أو مقامة، يقال: قام بين يدى الأمير بمقامة حسنة، إذا تكلم بعظة ونحوها، وكانوا يخطبون قيامًا، فلذا سميت مقامة، ثم أطلقت على نفس الكلام المقول فيها كمقامات البديع والحريرى وغيرهما.

(وشديد الخطب) أى الأمر العظيم الشأن الذى من شأنه أن يقع فيه المخاطبات والمنازعات، فكان لكل قوم خطيب يقوم بينهم يحثهم على مهماتهم، وقيل: إن الخطب الشأن عظم أو صغر وسبب الأمر، ولا يناسب المقام والتكلم بكلام بليغ ارتجالا يدل على سجية وغريزة قوية.

(ويرتجزون به) أى ينشدون رجزا فى تلك المقامات بديعة يعدونه كالخطب؛ ولذا ذهب بعضهم إلى أنه ليس بشعر **(بين الطعن والضرب)** كما ينشدون فى أنديتهم، وهذا كقول على، رضى الله عنه، لما بارز مرحبا بخيبر:

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة   كليث غابات كريه المنظرة

أكيلكم بالسيف كيل السندرة

وأمثاله مما لا يحصى.

(ويمدحون) من يستحق المدح فى مقاماتهم بديهة بأبلغ الأشعار، **(ويقدحون)** أى يذمون ويهجون يقال: قدح فى عرضه إذا عابه، ومن فسره بقوله: أى يقدحون أفكارهم، فيستخرجون معجز الكلام فى أحسن نظام لم يصب محز الكلام، **(ويتوسلون)** بما ذكر من بليغ الكلام نظمًا ونثرًا.

(ويتوصلون) عطف تفسير أى بالمذكور إلى مطالبهم العالية.

(ويرفعون) من مدحوه بمدائحهم حتى يرتقى لمرتبة لم يكن له بشهرة مدحه، فيصير نابه الذكر بعد أن كان خاملا كما وقع للمحلق لما نزل عنده الأعشى ضيفا، فنحر له وسقاه وعنده بنات لم يرغب أحد فى تزوجهن، فمدحه بقصيدة قافية مشهورة، فلم يمض زمن حتى خطبوا بناته ورغبوا فيهن.

(ويضعون) مقدار من ذموه بقدحهم حتى يصير سبة بينهم، ففيه لف ونشر.

(فيأتون من ذلك) المذكور كله **(بالسحر الحلال)** السحر فى الأصل الفطنة وكل ما دق، ثم إنه يشبه به الكلام البليغ الذى تلذ به النفوس وتنجذب له القلوب، ومنه «إن من البيان لسحرًا»[1]، فهو تشبيه بليغ، والسحر معناه الحقيقى معروف وهو قبيح محرم، فوصفه بالحلال بيان للمعنى المراد منه وتجريد للتشبيه، والسحر حق واقع، وهو بأمور يعرفها أهلها سيأتى الكلام عليها عند قوله: وقولهم ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤].

(ويطوقون) بالتشديد من الطوق، وهو ما يجعل فى العنق من ذهب ونحوه **(من أوصافهم)** البديعة البليغة، وفيه استعارة مكنية وتخييلية أى من وصفهم لغيرهم بمدحهم **(أجمل من سمط اللآل)** أجمل بمعنى أزين وأحسن. وسمط بكسر فسكون المراد به جنسه لعمومه بالإضافة، فمن قال: صوابه سموطة لم يصب، وهو السلك ما دام فيه الخرز، وإلا فهو خيط. وقال البرهان: السمط الخيط مادام فيه الخرز، وإلا فهو سلك، وتبعه الأنطاكى ونسبه للجوهرى، وقال: إن غيره قال: إن السمط للجوهر، والسلك للخرز، والنظام للإبر، وفيه نظر، وفصله عقد المدائح على اللآلى؛ لأنه لا يفنى ولا يقاومه ثمن لعزته، وأصل اللآل اللآلئ بهمزة فى آخره فأبدلها ياء لسكونها وقفا، ثم عامله معاملة المعتل فى الوقف فأسقطها كالعاص.

---

(١) أخرجه أحمد (١/٢٦٩، ٣٠٣، ٣٠٩، ٢/١٦، ٥٩، ٦٢، ٣/٤٧٠)، وأبو داود (٥٠١١)، وعبد الرزاق (٢٠٢٠٩)، وابن حبان (٢٠٠٩)، والحاكم (٣/٦١٣).

(فيخدعون الألباب) الخداع هو المكر وإظهار أمر على خلافه لمن تريد به أمرًا مكروها، والألباب جمع لب وهو العقل كما مر، والمراد أنهم يستميلون العقول حتى تنقاد لهم، ففيه استعارة مكنية وتخييلية، وتقدير ذوى العقول يذهب برونق الكلام.

(ويذللون الصعاب) أى يسهلون بفصاحتهم الأمور الصعبة، فإن كان من الذل بالكسر، والذال معجمة من الأرض الذلول، وهى التى يسهل المشى فيها ففيه استعارة تبعية، وكذا إن كان من الذل بضمها، والمراد على كليهما أنهم يجعلونها مطيعة لهم، ويجوز أن تكون مكنية وتخييلية على أن الصعاب جمع صعبة، وهى الناقة التى لا تنقاد.

(ويذهبون الإحن) بكسر الهمزة وفتح الحاء المهملة جمع إحنة بكسر فسكون وهى الحقد.

(ويهيجون الدِّمن) بضم أوله، وفتح ثانيه، وكسر المثناة التحتية المشددة، ويجوز كسر الهاء مع سكون الياء أى يحركونها ويظهرونها. والدمن بكسر الدال المهملة، وفتح الميم والنون جمع دمنة، وهى فى الأصل ما فى مبارك الإبل من بعرها المتلبد بما عليه من أبوالها، استعير للحقد المضمر المجتمع فى الباطن، وهى استعارة بليغة شائعة فى كلامهم. قال الشاعر(١):

أرعى الأمانة لا أخون ولا أرى   أبدًا أدمن عرصة الإخوان

وكون المراد به آثار السكان فى الديار، والمعنى أنهم يندبون الأطلال وسكانها فيهيجون الأشواق بذكرها وإن سلم من التكرار بعيد هنا فلا يغتر بما قيل.

(ويجرئون الجبان) بالتشديد والهمز من الجرأة وهى الإقدام والشجاعة، والجبان ضد الشجاع أى يجعلونه شجاعا بعد جبنه.

(ويبسطون يد الجعد البنان) بإضافة الجعد إلى البنان، والبنان الأصابع وعقدها وبسطها مدها وإذهاب جعودتها وهى انقباضها، والجعد إذا أضيف إلى اليد أو البنان كان للذم بمعنى البخيل اللئيم، فإن أطلق كان بمعنى الجواد الكريم، والجعودة ضد السبوطة وهى الانبساط، والمعنى أنهم بفصاحتهم يصيرون البخيل كريما. قال أبو عبيد: الجعد فى صفة الرجال يكون مدحا ويكون ذما ففى المدح معناه شديد الخلق مدبر للأمور، أو أن شعره جعد غير سبط؛ لأن السبوطة أكثر فى العجم، وفى الذم معناه القصير أو البخيل.

(١) البيت من الكامل، وهو لكعب بن زهير فى ديوانه (ص٢١٥)، لسان العرب (١٣/١٥٩) (دمن)، تهذيب اللغة (١٤/١٤٦)، تاج العروس (دمن)، أساس البلاغة (ص٢٨٤).

(ويصيرون الناقص كاملا) بحثه على اكتساب الكمال حتى يصير التطبع طبعًا، وأن كانت الطباع يعسر تغيرها وتبدلها.

(ويتركون النبيه) الشريف المشهور **(خاملاً)** أى خامل الذكر متروكا بعد شهرته بسبب ذمهم له وتنقيصه بالهجاء ونحوه.

ثم قسمهم فقال: **(منهم)** أى من العرب **(البدوى)** وهم سكان البادية النازلون فى الأخبية والدارات وهو بالياء الموحدة والدال المهملة المفتوحتين الذين لا يسكنون القرى والأمصار، ويسمى ساكنها حضرا وحاضرة لحضور بعضهم لبعض فيها، والنسبة للبادية أو للبدو بالسكون على خلاف القياس، ويقال: بداوى بفتح أوله وكسره أو هو نسبة للبدا كالفتى بمعنى البادية أيضًا **(ذو اللفظ الجزل)** أى صاحب اللفظ المحكم القاطع الفاصل، ويكون الجزل بمعنى الكثير أيضًا ومنه الثواب الجزيل، **(والقول الفصل)** بالصاد المهملة أى الفاصل بين الحق والباطل. قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [الطارق: ١٣، ١٤]، وأصل معنى الفصل الحجز، ومنه فصول الكتب، **(والكلام الفخم)** أى المفخم المعظم لشهامتهم وعدم مداراتهم أو الممتلىء المعانى الرائقة. يقال: وجه فخم إذا كان له جمال ومهابة، أوهو من التفخيم ضد الترقيق؛ لاعتيادهم بإخراج الحروف من حاق مخارجها والجهر بها لقوله: **(والطبع الجهورى)**، أى طبعوا على جهر الصوت وعلوه، ومنه الحروف المجهورة. قال فى القاموس جهر ككرم، وفخم الصوت ارتفع، وكلام جهر ومجهر وجهورى عال.

وفى الحديث: **(نادى بصوت جهورى)**، وفى نسخة: «جوهرى» نسبة للجوهر، وهو الخالص النقى أو القدم الجرى، فإن كان من الجوهر المعروف كالياقوت والزمرد ونحوه فهو استعارة للنفيس. وفى القاموس: الجوهر كل حجر يستخرج منه شىء ينتفع به، ومن الشىء ما وضعت عليه جبلته والجرى المقدم انتهى، والواو زائدة، وقيل: إنه بمعناه المعروف معرب، والعرب تمدح بالجهر بالكلام، وتعبر به عن البهاء والحسن كما قال الأعرابى[1]:

جهير الرواء جهير الكلام   جهير العطاس جهير النعم

وهذا أشبه بطريقة المصنف، رحمه الله تعالى، فى فصاحته.

(والمنزع القوى) مفعل من النزع، وهو الجذب والأخذ. ونزع الماء من البئر أخرجه، ونزع القوس جذبه، وهو مصدر ميمى أو اسم مكان، والأول أظهر أى يأتون بنوع من

---

(١) البيت من المتقارب، وهو بلا نسبة فى أساس البلاغة (ص١٤٤) (جهر).

الكلام يستخرجونه من بين أنواع الكلام بطبائعهم السليمة بحيث إذا سمعه السامع شفى غليله.

(ومنهم الحضرى) نسبة إلى الحضر بفتحتين مقابل البدو، وهو الحاضرة أيضًا، والحضارة سكنى الحضر وهى الأمصار والقرى **(ذو البلاغة البارعة)** أى الفائقة من برع أقرانه إذا فاقهم برقة طبعه وتهذيب كلامه.

(والألفاظ الناصعة) أى الخالصة من الألفاظ الوحشية الغربية السالمة من الركاكة.

(والكلمات الجامعة) للمعانى الكثيرة فى الألفاظ القليلةالموجزة.

(والطبع السهل) اللين المنقاد بسهولة؛ لسلامة ذوقه وانسجام كلامه الذى هو أرق من النسيم يكاد من عذوبة الألفاظ تشربه مسامع الحفاظ، فيدخل الأذن بلا إذن.

(والتصرف فى القول القليل الكلفة)، فيخرج من نوع لنوع من غير تكلف لكونه سجية له، والقليل صفة للتصرف أو للقول، فلا يورد فى كلامه ما يعسر فهمه على السامع لغرابته أو تعقيده، **(الكثير الرونق)** أى الحسن والإضافة من رونق السيف وهو ماؤه وحسنه كما قال البحترى:

وبديع كأنه الزهر الضاحـ ـك فى رونق الربيع الجديد
مشرق فى جوانب السمع ما يخـ ـلقه عوده على المستعيد

(الرقيق الحاشية) أصل الحاشية طرف البرد والثوب، ورقة حاشيته عبارة عن رقته وحسن نسجه، والكلام يشبه بالحلل والبرود والتكلم بالنسج. وفى الأساس من المجاز عيش رقيق الحواشى، وكلام رقيق الحواشى، وهو عبارة عن سهولته وسلاسته بأن يكون لفظه رشيقًا عذبًا وفخمًا سهلاً، ومعناه ظاهرًا مكشوفًا وقريبًا معروفًا.

(وكلا البابين) أى كلا القسمين من كلام البدوى والحضرى فى مقامه ومحله وعند أهله، **(فلهما فى البلاغة الحجة البالغة)**. قيل: إن فى الكلام تقديرا، وأصله وأما كلا البابين إلى آخره، فالفاء واقعة فى جواب أما المقدرة، ولا يخفى أنه ركيك ولو حذفها كان أولى، ولو قيل: كلا مبتدأ خبره مقدر تقديره وكلاهما مما اختصوا به أو مما له شأن عظيم، وما بعده مبنى عليه كان أحسن؛ لأن أما حذفها من غير عديل ليس سهلا، والحجة البرهان والدليل من حجه إذا خصمه ولزمه، والبالغة بمعنى الواصلة والأفصح إفراد ضمير كلا رعاية للفظه ومعناه، وإن جاز تثنيته، وقد جمع بينهما القائل فى قوله:

كلاهما حين جدَّ الجرىُ بينهما قد أقلعا وكلا أنفيهما رابى[(١)]

---

(١) البيت من البسيط، وهو للفرزدق فى أسرار العربية (ص٢٨٧)، الدرر (١/١٢٢)، تخليص=

(والقوة الدامغة) أى الغالبة لغيرها من سائر اللغات، وأصل الدمغ الضرب على الدماغ فأريد به ما ذكر من الغلبة والقهر. يقال: دمغ الحق الباطل أى أبطله، ودمغت فلانا قهرته.

(والقدح الفالج) بكسر القاف، وسكون الدال، والحاء المهملتين واحد قداح الميسر، وهو سهم بغير ريش، وقداح الميسر التى كانوا يقامرون بها فى الجاهلية، ولها أسماء مشهورة، ومنها ما له نصيب زائد، ومنها ما لا نصيب له، والفالج بالفاء واللام والجيم بمعنى الفائز، يقال: فلج أمره أى فاز وسعد، أى لهذه اللغة شرف وفوز عند سامعها. وقيل: المراد ما تنتجه الأفكار وإصابة الآراء وجودة الأنظار، وهو أمر لا تعلق له بنفس الكلام والكلام فيه.

(والمهيع الناهج) بفتح الميم، وسكون الهاء، وفتح المثناة التحتية، وهى الطريق الواسع، والناهج بمعنى البين الواضح المسلوك، وأصله السالك فتجوز به عن السلوك كماء دافق بمعنى مدفوق، وعيشة راضية، وأراد به سعة لغتهم وظهور دلالتها.

(لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم) قيل: كان الأحسن الظاهر أن يقول: لا يشك ببناء المجهول ليكون أبلغ، وهذا من عدم معرفته بمقاصده، فإن هذا هو المناسب لما هو بصدده، فإن البليغ الفائق إذا كان هذا حاله كان له إقدام على المعارضة عند التحدى، فلله دره ما أدق نظره، والمراد أنهم يعلمون ما جبلوا عليه من البلاغة والقدرة على إيراد كل كلام بليغ فى مقامه على ما يقتضيه حاله وسبكه فى قوالبه ونظره لأساليبه المطاوعة له ومعرفته بذلك.

(والبلاغة ملك قيادهم) بكسر القاف، وهو حبل تقاد به الدابة أى والبلاغة مملوكة لهم منقادة، وأصله ملكهم وفى قيادهم، فعدل عنه لما ذكره؛ لأنه أبلغ ففيه استعارة فى الملك والقياد، وهى إضافية على حد قوله ﴿مَكْرُ ٱلَّيْلِ﴾ [سبأ: ٣٣]، يعنى أنهم متصرفون فى أفانينها من غير تكلف.

(قد حووا فنونها) أى جمعوا وحازوا أنواع البلاغة وأقسامها، والفنون جمع فن.

(واستنبطوا عيونها) أى استخرجوا خيارها ومحاسنها، وأصل معنى الاستنباط

=الشواهد (ص٦٦)، الخصائص (٣/٣١٤)، نوادر أبى زيد (ص١٦٢)، شرح التصريح (٢/٤٣)، ولم أقف عليه فى ديوانه، وهو للفرزدق أو لجرير فى لسان العرب (٩/١٥٦)، وبلا نسبة فى الإنصاف (ص٤٤٧)، خزانة الأدب (١/١٣١)، الخصائص (٢/٤٢١)، شرح الأشمونى (١/٣٣)، شرح المفصل (١/٥٤)، مغنى اللبيب (ص٢٠٤)، همع الهوامع (١/٤١)، شرح شواهد الإيضاح (ص١٧١).

استخراج الماء من الآبار والعيون النابعة، فعيون هنا فى موقعها وفيها تورية لإيهامه لعيون الماء، والمراد خيارها لأن عين كل شيء خياره، وليس من إطلاق اسم الجزء على الكل كما توهم.

(ودخلوا من كل باب من أبوابها) أى سهل عليهم الوصول إلى مقاصدهم بأى عبارة أرادوها كالحقيقة والمجاز والكناية، وبسط الكلام فى مقام، وإيجازه فى مقام، والتصريح والإخفاء، وفيه استعارة مكنية وتخييلية بجعل مقاماتها قصورًا واسعة لها أبواب متعددة؛ ولذا عقبه بقوله: **(وعلوا صرحا)**، وهو البيت العالى المزخرف بناؤه والبيت المنفرد، وعلوا بتخفيف اللام بمعنى صعدوا ويجوز تشديدها.

(لبلوغ أسبابها) جمع سبب، وهو كل ما يتوصل به لشيء آخر كالحبل والسلم، وهو علة للعلو أى علوًا قصر البلاغة ليصلوا إلى ما فيه من الأسباب الموصلة لمهماتهم ومطالبهم النفيسة، كمن يدخل قصرًا ليقابل الملك فينال عند لقائه إنعامه وإحسانه، وفيه إيماء لقوله تعالى: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ [غافر: ٣٦]، الآية، فما قيل إن الأحسن أن يقول: صرح أسبابها. تركه أحسن منه لأن معناه أنهم علوا ذروة البلاغة، فوصلوا بها لكل ما أرادوه، فعبروا بعباراتهم لمقاصدهم، واللام لام العاقبة هنا، وفيه استعارة مكنية تخييلية لتشبيه مرتبة الإعجاز التى عجزوا عنها بسماء لم يصلوا إليها.

(فقالوا) أى تكلموا بكلامهم البليغ **(فى الخطير)** أى فى الأمر العظيم الذى له خطر أى شرف ومزية على غيره، **(والمهين)** بفتح الميم أى الحقير من المهانة وهى الحقارة.

(وتفننوا) أى أتوا بكل فن من فنون الكلام متصرفين **(فى الغث)** بفتح الغين المعجمة، وتشديد المثلثة، وأصله اللحم المهزول الذى يكره تناوله، فاستعير للأمر القبيح والفاسد، **(و)** ضده **(السمين)**، وفى حديث أم زرع «زوجى لحم جمل غث»(١)، وفى المثل «غثك خير من سمين غيرك»، وقد علمت أن فقالوا فى أكثر النسخ بالقاف من القول، وفى بعضها فغالوا بالغين المعجمة، وفتح اللام أى زادوا، والأول رواية الأنطاكى، وفسره التلمسانى بإنشاد المدائح والهجاء والمدح والذم أو الجد والهزل وله وجه.

(وتقاولوا) تفاعل من القول أى أداروا الكلام بينهم **(فى القل والكثر)** بضم أولهما، وأجاز البرهان كسرهما أى القليل والكثير مدحًا وذمًا وجدًا وهزلاً. قيل: وفيه ثقل، ولو قال: فى الكثير والنزر كان أحسن وأخف وأنسب بقوله: **(وتساجلوا فى النظم والنثر)**، والتساجل تفاعل من السجل بالفتح وهو الدلو الكبير، وسجلت الماء صببته، ثم

---

(١) أخرجه البخارى (٧/٣٥)، ومسلم فى فضائل الصحابة (٩٢).

لما كانوا يتناوبون فى سقى الماء استعاروا المساجلة للعطاء وللمفاخرة كما قال[1]:

من يساجلنى يساجل ماجدا   يملأ الدلو إلى عقد الكرب

وقيل: الحرب سجال أى تارة يغلب وتارة يغلب كما قيل:

فيومًا علينا ويومًا لنا   ويومًا نساء ويومًا نسر

فالمراد أنهم تناوبوا وتفاخروا وتعارضوا فى عد المآثر كما هو متعارف عندهم، وليس المراد به المبارزة بأن يدعو أحدهما الآخر للقتال، فيبرز من الصف كما قيل، فإنه لا وجه له هنا، وهى جائزة لفعل الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، لها ومنعها بعضهم شرعا؛ لما فيها من المخاطرة. والنظم والنثر غنى عن البيان.

(فما راعهم) أى بينما هم كذلك فجاءهم أمر بغتة لم يكن لهم علم به، ولم يطرق مسامعهم مثله. وفى الأساس: ماراعنى إلا مجيئك أى ما شعرت إلا به، وهو من الروع بمعنى الخوف والفزع **(إلا رسول كريم)** بعث بين أظهرهم، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(بكتاب عزيز)** لا نظير له شريف ومنيع بحماية الله، وهو استثناء مفرغ من عام مقدر، أى لم يفجأهم ويفزعهم شىء سوى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، جاءهم من الله أتاهم بخلاف هواهم وعكس مناهم؛ إذ كانوا يتوهمون أن رتبتهم فى البلاغة لا يفوقها كلام، فأتاهم بكتاب أخرس شقاشقهم، وأصم أسماعهم، والباء للمصاحبة أى مؤيد بكلام معجز.

(لا يأتيه الباطل) أى لا يأتيه باطل وأمر فاسد بحسب العقل والشرع، أو ما يبطله كالنسخ والطعن المقبول **(من بين يديه)**، أى قدامه وفى مقابلته، **(ولا من خلفه)** أى وراء ظهره، والمراد من جهة من الجهات، فلا يجد سبيلا يوصله إليه، وما وقع فيه من المطاعن اضحمل وانمحق حتى صار كالعدم؛ ولذا قال تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١].

﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، محكم لمصنوعاته وتدبيره لجميع مخلوقاته ﴿حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، محمود يحمده جميع الكائنات بلسان القال والحال.

(أحكمت آياته) أى نظمت نظما محكما لا يعتريه فساد ولا خلل، ومنعها الله تعالى وحفظها من التبديل والتحريف الذى وقع فى غيره من الكتب، فهو من أحكمت الدابة

---

(١) البيت من الرمل، وهو للفضل بن عباس بن عتبة فى لسان العرب (٣٢٦/١١، ٣٢٧)، (سجل)، تهذيب اللغة (٥٨٦/١٠)، تاج العروس (١٣٤/٤) (كرب)، (١٩٣/١١) (سجل)، جمهرة اللغة (٥٨٦/١٠)، وبلا نسبة فى كتاب العين (٣٦٠/٥)، ديوان الأدب (٣٩٠/٢).

إذا وضعت فى فمها حكمة تمنعها الجماح، أو جعلت حكيمة لاشتمالها على أمهات الحكم النظرية والعملية من حكم بالضم إذا صار حكيما، وآيات القرآن جمع آية، وهى جملة كلمات من القرآن لها ابتداء ومقطع.

(وفصلت كلماته) أى فصل وبين ما فيها من الفوائد الجليلة كالعقائد الحقة والأحكام الشريفة والمواعظ والأخبار الصادقة، أو جعلت سورا، أو نزلت نجمًا نجمًا، أو فرقت بين الحق والباطل وجمعت الوعد والوعيد.

(وبهرت) أى غلبت وأدهشت **(بلاغته العقول)** جميعها؛ لغرابة أسلوبها وحسن بديعها الذى أعجز البلغاء.

(وظهرت فصاحته) أى اتضحت كالشمس وسط النهار، أو علت وارتفعت مرتبة إعجازها **(على كل مقول)** أى كل كلام نظمًا ونثرًا.

(وتظافر) بالظاء المشالة كما فى أكثر النسخ تفاعل من الظفر، وهو الفوز ونيل الأمانى **(إيجازه)** أى قلة ألفاظه الوافية بأداء المعانى من غير خلل، **(وإعجازه)** أى كونه فى أعلى مراتب البلاغة المعجزة للبشر، فالمعنى أن الإيجاز أخذ من الإعجاز ما يليق به، والإعجاز استوفى من الإيجاز ما يحق له، ففيه مع المبالغة استعارة مكنية وتخييلية، فمن قال: إنه لم يجد فى كتب اللغة ما يفسره به فقد قصر، وفى بعض النسخ بالضاد المعجمة أخت الصاد المهملة بمعنى تعاونا وتقويا على منع معارضته والإتيان بمثله، من ضفر الحبل والشعر إذا جمع بعضه على بعض ليتقوى، وهو مجاز مستعمل يقال: تضافر القوم إذا تجمعوا وتعاونوا، وقيل: إنه بالطاء المهملة من الطفرة بمعنى الوثوب، أى وثب كل منهما، والمراد أنهما بلغا الغاية فى بابهما، والأوجه الثلاثة معانيها متقاربة، فلا وجه لتصويب بعضها دون بعض.

(وتظاهرت حقيقته ومجازه) أى عضد كل منهما الآخر وقواه لما صار له ظهيرا ومستندا؛ لما بينهما من العلاقة، أو تشابها فى الظهور لوضوح معانيه وظهور قرائنه، لا كما يكون فى بعض المجازات من الخفاء والتعقيد.

(وتبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه) أى تشابهت وتساوت أوائله وأواخره من قولهم: فلان يبارى فلانا إذا فعل مثله، والتبارى يكون بمعنى التسابق فى الجرى، فالمعنى أن مطلعه وهو مبدؤه ومقطعه وهو منتهاه وغايته، كفواتح السور والآيات وخواتمها يجارى كل منهما الآخر ويسابقه؛ ليحوز قصب السبق من الفصاحة وصحة المعانى، وهو عبارة عن تشابههما.

(وحوت كل البيان) أى ما ينبغى بيانه وإظهاره **(جوامعه)** أى جوامع كلمه التى جمعت المعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة **(وبدائعه)** أى ما ابتدع فيه مما لم يسبق مثله فى كتاب، وكلام الله تعالى مما لا يقبل تحريفًا ولا يخشى تصحيفًا، وكفى بالدهر ممليا وبالذوق مستمليًا.

(واعتدل) أى استقام من غير إفراط ولا تفريط **(مع إيجازه)** وعدم تطويل لفظه **(حسنُ نظمه)** أى تناسب كلماته لفظًا ومعنى، وقلما يكون إيجاز كذلك، وهذا من أدلة إعجازه، وليس هذا مكررا مع قوله حوت كل البيان جوامعه وبدائعه كما توهم.

(وانطبق) أى وافق **(على كثرة فوائده)** أى معانيها التى تفيدها **(مختارُ لفظه)** أى لفظه المهذب الذى كأنه انتخب ونقى، وهذا من جوه الإعجاز أيضًا؛ لأن اللفظ الذى يفيد معانى كثيرة من الفصحاء يحتاج غالبا إلى ترك ألفاظ غير منقحة.

(وهم) أى فصحاء العرب من كل باد وحاضر **(أفسح ما كانوا فى هذا الباب مجالا)** أى أوسع. يقال: فسحت مجلسه فتفسح فيه، ومنه فسحت له أن يفعل كذا، أى وسعت له فهو فى فسحة مرة، وما كانوا بمعنى أكوانهم فما مصدرية، وإضافة أفعل للمصدر على التجوز كأخطب ما يكون الأمير قائما، والمجال محل الجولان وهو الحركة، والجملة حالية من ضمير راعهم، ومجالا تمييز عن النسبة محول عن الفاعل، والمراد بالباب جنس البلاغة وجعله بابا لوصولهم به إلى مقاصدهم، أى جاءهم، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالكتاب المجيد، ومجالهم فى غاية الاتساع، وتفسير المجال بالاتساع وإن كان ينبىء عنه فيه تكلف.

(وأشهر) أى أعظم شهرة، وفى نسخة وأشهرهم بالإضافة لضمير الناس **(فى الخطابة)** بفتح الخاء أى إنشاء الكلام فى المحافل، وقوله: **(رجالاً)** تمييز كالذى قبله، وأشهر معطوف على خبرهم أى ورجالهم أشهر من غيرهم فى هذا، وليس المراد بالرجال مطلق الذكور، بل الأشراف كما يقال: رجالات قريش لأشرافهم، ليس هذا منافيا لقوله: خصوا بالبلاغة والحكم بما لم يخص به أحد من الأمم؛ لأن اسم التفضيل يقتضى مشاركة غيرهم لهم فيما كان مختصا بهم؛ لأن اختصاصهم بما ذكر على ظاهره، والتفضيل مجازى بأن يكون على طريق الفرض كما فى حديث: «ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل منكن»[1]، إذ الخطاب لجنس النساء، أو نقول: إنه على حد قوله: الخل أحلى من العسل، أى أنه فى حموضته أقوى من العسل فى حلاوته،

(١) أخرجه البخارى (١/٨٣، ٢/١٤٩)، ومسلم فى الإيمان (٣٢)، وابن ماجه (٤٠٠٣)، وابن أبى عاصم (٢/٤٦٣).

ولاسم التفضيل استعلامات أخر ذكروها فى المطولات.

(وأكثر فى السجع)، وهو الكلام المنثور الذى له فواصل مقفاة كالشعر، وهو منقول من سجع الحمام لكونه على وتيرة واحدة؛ ولذا لا يجوز إطلاقه على القرآن، **(والشعر)** وهو الكلام الموزون المقفى بالقصد **(ارتجالا)** أى تكلما به من غير فكر وروية، وهو فى الأصل الانتصاب والقيام على الأرجل، فأطلق على التكلم قائما؛ لأنه كان عادة لهم، ثم نقل لما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه وفى كتاب بدائع البداية أنه فى الأصل الانتصاب بسهولة، ومنه شعر رجل، وقيل: هو من ارتجال البئر وهو أن ينزلها برجليه من غير حبل، كالبديهة وهو من بدهه بمعنى بداه كما قالوا: مدحه ومدهه إلا أن الارتجال أسرع من البديهة، وبعده التروية انتهى.

وفى نسخة وأكثر فى الشعر والسجع سجالا، والمراد بالسجال هنا المحاورة، وأصل معناه الدلو كما تقدم، وقيل: المراد به المفاخرة.

(وأوسع فى الغريب) المراد به ما يستغرب من الكنايات، والمجازات البديعة لتصرفهم فى الكلام، وقيل: المراد به ما يحتاج إلى تنقير وتفتيش من كتب اللغة، وهو بالنسبة إلينا.

فإن قلت: هذا مما يخل بالفصاحة وسياق الكلام لمدحهم.

قلتُ: قال ابن هلال فى كتاب الصناعتين: إنه ليس مخلا بها لمن كانت لغته من الأعراب، والقح من العرب العرباء، فإطلاق أهل المعانى غير صحيح، ولم أر من نبه عليه.

(واللغة مقالاً) اللغة معناه الكلام. لكل قوم لغة تكون اسما لعلم مدون يبين فيه معناها، والمراد هنا الأول، والمقال مصدر ميمى بمعنى القول يعنى أن لغة العرب أكثر من سائر اللغات ألفاظًا، فقلما يكون معنى إلا وله أسماء مترادفة حتى أنه يوجد فى كلامهم ما له مائة اسم فأكثر، وقد أفردوه بالتأليف، وهذا كناية عن كونهم أقدر على الكلام من غيرهم؛ فإذا أعجزهم القرآن فغيرهم يعلم عجزه بالطريق الأولى، وعطف اللغة على الغريب من عطف العام على الخاص.

(بلغتهم التى بها يتحاورون) الجار والمجرور صفة كتاب أو حال منه، والتحاور إدارة الكلام والمراجعة فيه سؤالاً وجوابًا من الحور وهو التردد، والضمير للعرب، وقيل لقريش؛ لأن القرآن نزل بلغتهم ، فإن كان ما قبله كذلك فلا إشكال فى كلامه.

(ومنازعهم) بفتح الميم والنون وزاء معجمة وعين مهملة جمع منزع بالفتح مجرور بالعطف على لغتهم من النزع، وهو كما مر الجذب والأخذ، والمنزع مصدر بمعنى

النزع، واسم مكان، ويكون اسما للسهم الذى يرمى به. يقال: رماه بمنزع، أى: سهم بعيد المرمى قال[1]:

فهو كالمنزع المريش من الشـو حط مالت به يمين المغالى

قاله فى الأساس. قيل: وهو المراد هنا لمناسبته لقوله: **(التى عنها يتناضلون)** بالضاد المعجمة أى: يترامون بالسهام. يقال: ناضلته وخرجوا يتناضلون وينتضلون، ونضلت من الكنانة سهما اخترته، ومن المجاز ناضل عن قومه إذا دافع وحاج، والمناضلة المفاخرة، فشبه الكلام الدائر بينهم فى المخاصمة والمفاخرة بالسهام، وأثبت له المناضلة تخييلاً، وقيل: المنزع هنا اسم مكان، والمعنى أنهم يتغالبون فى كلامهم نظمًا ونثرًا فى حال المنازعة وهى المجاذبة فى الأعيان والمعانى، وهو بعيد، وأبعد منه ما قيل: إن المنزع ما يرجع إليه الرجل من رأيه وطريقته، أى: أتاهم الكتاب بما هو ديدنهم الذى لا يتركونه فأكبوا على مدافعته.

(صارخًا بهم فى كل حين) حال من الكتاب أو الرسول من الصراخ وهو الصياح والنداء بصوت شديد يسمع من بعيد، أى مصرخا بدعوته فى كل وقت يتلو القرآن عليهم ويبكتهم ويدعوهم لمعارضته.

(ومقرعا) بضم الميم وفتح القاف وتشديد الراء المهملة وبعين مهملة أى معيرًا وموبخًا لهم، من القرع وهو الضرب ومنه القرعة **(لهم بضعًا وعشرين عاما)** سنة، وهو بكسر الباء الموحدة وضاد معجمة ساكنة وعين مهملة، وهو من الثلاث إلى التسع من كسور العدد، ويقال: بضعة أيضا فى لغة قليلة، وفيه أقوال أخر فى القاموس هذا أصحها، ويستعمل مع العشرة وما فوقها إلى تسعين، ولايختص ببعض العقود منها، وهذه المدة مدة دعوته ﷺ من بعثته إلى وفاته، وقد اختلف فيها مع أنه بعث على رأس الأربعين، وحياته بعده قيل: عشرون، وقيل: ثلاث وعشرون وهو الأصح، وقيل: خمس وعشرون؛ ولذا قال: بضعا من غير تعيين العام والسنة بمعنى، وقد تختص الثانية بالشمسية والأولى بالقمرية؛ ولذا اختاره لأن بها حسابهم؛ ولأنها قد يعبر بها عن الشدة والقحط.

واعلم أن البضع ليس كصريح العدد فى أنه يذكر مع المؤنت ويؤنث مع المذكر، وما

---

(١) البيت من الخفيف، وهو لعبيد بن الأبرص فى ديوانه (ص١٠٩)، وللأعشى فى لسان العرب (٣٥١/٨) (نزع)، تاج العروس (٢٤٣/٢٢)، وليس فى ديوانه، وبلا نسبة فى أساس البلاغة (نزع)، كتاب العين (٣٥٨/١).

نقله فى القاموس عن مبرمان يرده ما فى الحديث «الإيمان بضعة وسبعون شعبة»، فلا يرد على المصنف أن الصواب أن يقول: بضعة وعشرون كما قيل، ولا حاجة للتأويل.

(على رؤوس الملأ أجمعين) الرؤوس جمع رأس، وهو العضو المعروف الشريف السيد، والملأ الجماعة، وقد يخص بالأشراف، ويقال: كلمه على رؤوس الناس، وعلى رؤوس الأشهاد إذا صرح بما يريده وأشاعه؛ لأن من يريد ذلك يقوم فى المحافل مستعليا على رؤوسهم، أى أنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، لم يزل مظهرًا لدعوته مدة بعثته، منذرًا لهم قائمًا عليهم بين أظهرهم والجار متعلق بقوله: مقرعا أو تنازعه مقرعا وصارخا.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ هذا حال أيضًا أى قائلاً وتاليًا لهم: أم يقولون إلخ، و لم يعطفه رعاية لنظم القرآن، فيكون اقتباسًا من مشكاة أنواره، والافتراء كالاختلاف الكذب، والاستفهام إنكارى توبيخى.

﴿قُلْ﴾ إن كان الأمر كما زعمتم ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [يونس: ٣٨]، فى النظم والبلاغة، فإنه نزل بلغتكم وأنتم فصحاء، ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ [يونس ٣٨]، أى كل من قدرتم على دعوته ليعينكم على افتراء كلام يضاهيه ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، أى غير الله تعالى، فإنه القادر على كل شىء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، فى قولكم إنه افتراء، وهذا توبيخ وتقريع بتعجيزهم عن أقل مراتبه، وليس مقابلا للسجعة الأولى كما قيل، ثم إنه أتى بآية أخرى فى معناها فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ [البقرة: ٢٣]، فى شك وشبهة ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣]، أى نزل منجما بحسب الوقائع، ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، إلى قوله: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤]، وقوله: من مثله صفة سورة أى سورة كائنة من مثله، والضمير لما نزلنا، ومن للتبعيض أو للتبيين وزائدة عند الأخفش، أى سورة مماثلة للقرآن فى البلاغة وحسن النظم، أو لعبدنا، ومن للابتداء أى بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرًا أميًا لم يقرأ الكتب و لم يتعلم العلوم، أو صلة فأتوا والضمير للعبد، وهذه الآية أبلغ مما قبلها للدلالة على عجزهم فى المستقبل بقوله: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [البقرة: ٢٤]، والكلام على الآيات مما كفانا المفسرون مؤنته.

(و ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٨٨])، نظمًا وبلاغة (﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ الآية)، وهو جواب قسم مقدر؛ ولذا لم يجزم و لم يذكر الملائكة؛ لأن إتيانهم بمثله لا ينافى إعجازه فتأمل.

(و ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [هود: ١٣]) أى محض كذب واختلاق

منكم، وخص الكذب بالذكر لقوله: **(وذلك)** أى طلب الإتيان بالمفترى تهكما وتقريعا **(أن المفترى)** اسم مفعول **(أسهل)** تلفيقًا، **(ووضع الباطل أقرب)** تناولا، وأروج تنميقا ومع ذلك لم يقدروا عليه، **(واللفظ إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب)**؛ لأنه يلاحظ فيه ما فى الواقع ونفس الأمر، ثم يؤتى باللفظ على طبقه وترتيبه بحيث لا يخرج عنه، **(والمختلَق)** بفتح اللام اسم مفعول بمعنى الكذب المفترى، كما قال تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت: ١٧]، وهو من الخلق بمعنى التقدير؛ لأنه أمر مقدر فى النفس من غير نظر للواقع، وقيل: إنه من الخلق وهو الثوب البالى؛ لأن الحق يزيد كل يوم جدة، والكذب يزداد بلى.

(على الاختيار أقرب) المراد بالاختيار ضد الإلجاء والاضطرار، فإن الصادق مضطر إلى اتباع الحق، وقد يضيق عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب؛ فإنه يجد برا واسعا كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٥]، وقيل: هاهنا بحث وهو أن التحدى بقوله: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ [البقرة: ٢٣]، إلى آخره إن كان الإتيان بما هو واقع على وجه الحق فهو غير ممكن قطعا، وإن كان بالإتيان بمثله وعلى صورته لفظا، فلا يخرج عن كونه مفترى، وحينئذ يستوى الأمران، والذى دار فى خلدى أن ذكر مفتريات لمشاكلة قوله: افتراه تهكما وتقريعا، لا لما قاله المصنف، رحمه الله تعالى، وليس بشىء لأنا نختار الثانى، وبقولهم أنهم لعجزهم لا يستويان، وهو فى غاية الظهور فتدبر، وضمن أقرب معنى أهون؛ ولذا عداه بعلى كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، ولولا ذلك عداه بإلى أو اللام.

(ولذا) أى لكون المختلق أسهل وأقرب من الحق الصحيح عبارة **(قيل)** أى قال الأدباء، ومن لهم دربة فى صناعة الصياغة للكلام: **(فلان)** أى المنشىء لرسائل الملوك ونحوه ممن يقول الحكم والمواعظ من الفصحاء **(يكتب كما يقال له)**، أى كتب فى شأن أمر واقع لرسالته، ففتق أكمام الكلام عن زُهر المعانى الزاهية الزاهرة حتى يفوح عبيرها فى نادى البراهة، **(وفلان)** ممن ينشىء المقامات **(يكتب كما يريد)** من كل ما يطرأ على خاطره من غير نظر لصدقه وكذبه، فإذا صعب عليه التعبير عن معنى عدل عنه لغيره، فهو يكتب كما يريد لا كما يراد، وهذا إشارة كما حكى عن بديع الزمان أنه رتب له راتب بين كتبة الديوان، فلم يقدر على كتابة الرسائل، فلما أخبر الصاحب بذلك قال: دعوه فإنه يكتب كما يريد لا كما يراد، وحكى مثله عن الحريرى أيضًا.

(وللأول) الذى يكتب كما يقال له **(على الثانى)**، وهو الذى يكتب كما يريد، والمراد بالكتابة هنا مطلق الكلام وإن لم يكتب **(فضل)** أى زيادة شرف ورتبة، **(وبينهما**

شأو) أى مسافة ومدى **(بعيد)**، والشأو بفتح الشين المعجمة، وسكون الهمزة وقد تبدل ألفا، وبالواو بمعنى السبق والغاية والأمد، فتجوز به عن المسافة، ثم كنى به عن التفاوت الزائد.

(فلم يزل، صلى الله تعالى عليه وسلم، يقرعهم) أى يعيرهم ويعيبهم ويشنع عليهم لما تحداهم بالقرآن **(أشد التقريع)**؛ لإنذارهم بالهلاك والعذاب الأليم.

(ويوبخهم غاية التوبيخ) هو بمعنى ما قبله لكن المقام مقام إطناب وخطاب يحسن فيه مثله.

(ويسفه أحلامهم) أى يصفهم بالسفه، وهو قلة العقل وخفته، والسفه الخفة، والأحلام جمع حلم بضمتين وضم فسكون وهو العقل.

(ويحط أعلامهم) بحاء مهملة مضمومة، وأعلام جمع علم بفتحتين، وهى الراية الكبيرة والجبل، والسيد، والاسم المختص، والكل محتمل هنا أى ينكس راياتهم، ويهد جبالهم، ويذل ساداتهم، ويزرى بألبائهم، والمعنى على كل حال أنه يحقرهم ويقهرهم بطعنة فيهم وإظهار ضلالهم وسوء حالهم.

(ويشتت نظامهم) أى يفرق جمعهم ويبطل آراءهم بجداله وجلاده، والنظام ما ينتظما به الدرر ونحوها، والتشتيت التفريق كما مر فاستعير لما ذكر.

(ويذم آلهتهم) أى أصنامهم التى عبدوها فى الجاهلية **(وآباءهم)** الذين اقتدوا بهم فى الكفر، وقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، والآباء بالمد جمع أب.

(ويستبيح أرضهم وديارهم) أى يجعلها مباحة للمسلمين باستيلائهم عليها وإجلائهم عنها، **(وأموالهم)** ما ملكوه من الأثاث والمواشى وغيرها، **(وهم فى كل هذا)** المذكور من التوبيخ والتسفيه وما بعده إلى استباحة الأموال والديار **(ناكصون)**. يقال: نكص على عقبيه إذا أحجم وتأخر، فاستعير للإعراض عن معارضته فيما فعله وما أتى به للقرآن **(عن معارضته)** والإتيان بمثله، والجملة حالية من الضمير قبلها **(محجمون عن مماثلته)** أى عن الإتيان بشىء مماثل أقصر سورة منه لما تحداهم، وأحجم كنكص بمعنى تأخر، وهو كناية عن عدم القدرة. يقال: حجمته فأحجم، وهو من النوادر كمثل كببته فأكب.

(يخادعون أنفسهم) أى يمنون أنفسهم أمانى كاذبة، ويؤملون آمالاً فارغة، ويمكرون مكرا يعود عليهم بالوبال، فكأنهم بذلك خادعوا أنفسهم فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا

﴿يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩]، وتحقيقه فى الكشاف وشروحه **(بالتشغيب)**، وهو تهييج الشر والفتن. من الشغب بفتح الغين المعجمة وسكونها، **(والتكذيب)** أى بادعائهم كذب رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فيما جاء به من الحق الذى لا مرية فيه، وقيل: هو من قولهم كذبته نفسه إذا خيلت له آمالا تحثه على اتباع الباطل، وهو تعسف لا وجه له، والذى غره قوله: **(الإغراء بالافتراء)** هكذا فى النسخ الصحيحة بغين معجمة، وراء مهملة ومدة، وفى بعضها الاغتراء افتعال منه، وقال التلمسانى: صوابه الإغراء بغير تاء، وهو المولع بالحث والتحريض قال تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ﴾ [المائدة: ١٤]، أى ألزمناها. أقول: قال بعضهم: أصله من الغراء الذى يلصق به، وعلى هذا فالاعتراض ساقط لما فى القاموس من أنه يقال: اغتراه إذا ألصقه، والمصنف أجل من أن يوهم فى اللغة، فإنه قدوة فيها ولا حاجة إلى أنه لمشاكلة الافتراء، والافتراء الكذب كما تقدم، وصيغة الافتعال تفيد مبالغة ليست فى المجرد كما قرره فى قوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(وقولهم) بالجر معطوف على التكذيب: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤]، أى ينقل ويروى عن السحرة كأهل بابل وغيرهم، وسبب نزول هذه الآية أن الوليد لما سمع منه، صلى الله تعالى عليه وسلم، حم السجدة قال: سمعت من محمد كلامًا ليس بكلام إنس ولا جن، وإنه ليعلو ولا يعلى. فقيل: قد صبأ الوليد. فقال ابن أخيه أبو جهل لعنه الله: أنا أكفيكموه، فجلس عنده حزينا وكلمه بكلام أحماه، فقال لهم: تزعمون أن محمدا مجنون هل رأيتموه يخنق، وزعمتم أنه كاهن هل رأيتموه يكهن، وأنه شاعر هل رأيتموه قال شعرا؟ قالوا: لا. فقال: ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين المرء وأهله وولده؟ فاهتز النادى فرحا ويأتى ذلك كله مبسوطا.

واعلم أن السحر كما نقله الأكفانى فى إرشاده قد صنف فيه كتب كثيرة أكبرها غاية الحكيم للمجريطى، وهو حقيقى وغير حقيقى، يقال له: الأخذ بالعيون، وإلى القسمين الإشارة بقوله: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وقوله: ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، ولما خفيت أسبابه اختلفت طرقه، فطريقة الهند تصفية النفس وتجريدها؛ لأنهم رأوه أفعالا تصدر عن النفس، وطريق النبط عمل أشياء مناسبة للغرض المطلوب مضافة لرقية وعزيمة ودخنة فى وقت مناسب، وتلك الأشياء تماثيل وتصاوير وعقد ينفثون فيها، وكتابة تدفن أو تعلق فى الهواء، وتحرق، والعزائم تضرع للكواكب المؤثرة عندهم، وطريق اليونان تسخير روحانية الأفلاك والكواكب دون أجرامها فى وقت خاص، وطريق القبط والعبرانيين والعرب

الاعتماد على أسماء وعزائم مجهولة، كأنهم يخاطبون بها حاضرًا؛ لاعتقاد أنها تصدر عن الجن بتسخير الملائكة لها.

وأنواعه ثلاثة: الاستخدام والاستنزال والاستحضار، وتكون يقظة بتوسط تلبس الروح ببدن منفعل ينطق بلسانه كصبى وامرأة حال غيبته عن الحس، ويختص باسم الاستحضار فإن كان منامًا اختص باسم الجليان. انتهى ملخصًا.

(وسحر مستمر) أى دائم باق لما رواه من تتابع الوحى غضا طريًا، أو محكم متقن، وأصله من مر الحبل وهو فتل مرائره وهى طاقاته، أو ذاهب غير قار من المرور، أو مستبشع مر المذاق.

(وإفك افتراه) أى كذب اخترعه واختلقه، والإفك أسوأ الكذب، **(وأساطير الأولين)** أى شيء أخذه مما سطره الأولون وزخرفوه، وهو جمع سطر، أى صنف من الكتابة على خلاف القياس. وقال المبرد: إنه جمع أسطورة كأرجوحة وأراجيح على القياس، أوله مفرد مقدر كأسطارة وأسطيرة، وقائل هذا هو النضر بن الحارث بن كلدة، وفيه نزلت الآية وقتل يوم بدر.

(والمباهتة) بالجر عطفا على التكذيب، وهى بمعنى البهتان، وهى الكذب الذى يبهت ويدهش سامعه، وكذا قوله: **(والرضاء بالدنية)** بالهمزة وتبدل فتدغم، ومعناه الخصلة الحقيرة الخسيسة المنحطة التى لا يرضى بها من له عقل ومروءة، وفسرها بقوله: **(كقولهم ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة: ٨٨])**، لأن ظاهره الوصف بالحماقة وعدم الفهم، وهو أمر مذموم لا يرتضيه العقل، وهو جمع أغلف، أى فى غلاف. يقال: سيف أغلف فهى بمعنى فى أكنة جمع كنان بزنة كتاب غطاء، ومعناها مغطاة، وغلام أغلف بمعنى أقلف، والغلفة القلفة، وقيل: إنه جمع غلاف وأصله غلف بضم اللام ككتب، وبه قرىء، ثم خفف بالسكون أى هى أوعية للعلم مملوءة به، فلا تحتاج للتعلم منك، وعلى الأول معناه لا نفهم ما تقول ولا يصل إلينا، وهذا هو الملائم لكلام المصنف، ولقوله:

(و ﴿فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥])، وهو القرآن والإيمان، ﴿ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت: ٥]، أى صمم، وأصل معناه الثقل والحمل، ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥]، أى مانع عن وصول ما تقوله لنا، وفى من إشارة إلى أنه مبتدأ، وأنه استوعب المسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فراغ، وهو تمثيلى لنبو قلوبهم عن إدراكها ما دعاهم له، ومج أسماعهم له، وامتناع مواصلتهم وموافقتهم له.

(و) قال الذين كفروا: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [فصلت: ٢٦]، أى لا تصغوا

وتنصتوا له، ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]، بفتح الغين المعجمة وضمها من لغى يلغى ويلغو، والأول أصح وهو المقروء به، والمراد هنا رفع الأصوات بأى كلام كان حتى يشوش على قارئه، فيقطع قراءته أو يمنع من استماعه، ولغو الكلام ما لا يعتد به، وهو من اللغا وهى أصوات الطيور. يقال: لغى لغوا ولغا كل، وقد يسمى كلام قبيح لغوا قال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ [مريم: ٦٢]، أى قبيحًا كما قاله الراغب، وإنما فعلوا هذا لعجزهم عن معارضته.

﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، قارئه بقطع قراءته، فغلبتهم إنما هى بالجهل والسفه كما هو شأن العاجز المعاند، ومثله دنية لا ترضى.

(والادعاء) مجرور كالذى قبله **(مع العجز بقولهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١])**، وهذه وقاحة لفرط عنادهم ومكابرة، ولو استطاعوه ما منعهم أن يشاءوا، وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشرين سنة، ثم قارعهم بالسيوف، فلم يقدروا مع استنكافهم من أن يغلبوا خصوصا فى الفصاحة. وقائل هذا هو النضر بن الحارث أيضًا، لكنه أسنده إلى الجميع كإسناد فعل الرئيس إلى المرءوسين، أو على حد قولهم: بنوا فلان قتلوا قتيلاً، والقاتل واحد منهم.

(وقد قال لهم الله تعالى) مكذبا لهم: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٤]، فنفى قدرتهم فى المستقبل، فلو قدروا لحميتهم فعلوا، و لم يقل: فلن تأتوا بسورة من مثله لما فيه من الكناية والإيجاز، **(فما فعلوا ولا قدروا)** نفى الفعل ظاهر، والقدرة فى الإنسان قوة غير محسوسة، فنفيها يعلم من أنهم وبخوا وعيروا، فلم ينطقوا ببنت شفة مع شدة غيرتهم واشتعال نار حميتهم، **(ومن تعاطى ذلك)** أى فعله وتكلم بما توهمه معارضه، وأصل معناه المناولة **(من سخفائهم)** ممن له طيش وقلة عقل.

(كمسيلمة) تصغير مسلمة فلامه مكسورة وميمه مضمومة، والعامة تفتح لامه وهو خطأ منهم، والضمير للعرب، وهو كذاب يضرب به المثل فيقال: أكذب من مسيلمة، وهو ابن حبيب اليمنى من بنى حنيفة قبيلة، وهذا لقبه، واسمه هارون، ويقال له: أبو ثمامة، وكان وفد على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، و لم يسلم حتى قتله خالد بن الوليد فى خلافة أبى بكر، رضى الله عنه، وقيل: قتله وحشى قاتل حمزة، رضى الله تعالى عنه، وكان له حيل ونيرنجات يوهم أنها معجزات، وأرسل للنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، مكتوبًا صورته:

من مسيلمة رسول الله، سلام عليك أما بعد: فإنى قد أشركت معك بأن لنا نصف

الأرض ولقريش نصفها، ولكن قريشًا يعتدون علينا. فأجابه رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وكتب إليه: من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. انتهى.

ومن هذيانه الذى زعم أنه وحى نزل عليه: والزارعات زرعًا، والحاصدات حصدًا، والطاحنات طحنًا والخابزات خبزًا، والثاردات ثردًا. ضفدع بنت ضفدعين، إلى كم تنعين لا الماء تكدرين، ولا الشراب تمنعين. إلى غير ذلك مما تمجه الأسماع وتستقبحه الطباع.

(فكشف عواره) فى نسخة بدون فاء، وإثباتها أحسن، أى أظهر بما قاله من الكلام السخيف الركيك عيبه وحماقته، وهو بضم العين المهملة بزنة غراب على الأفصح، وآخره راء مهملة، وبفتح العين أيضًا، وقيل: إنها الأفصح **(لجميعهم)** أى العرب ممن سمعه، وقد نقل صاحب الدلائل منه كلامًا كثيرًا وشرحه، ولا حاجة لتسويد وجه الصحف به، والعوار مأخوذ من عور العين، وفيه إشارة إلى ما نقل من أنه مسح عين من استشفى بمسحه فابيضت عينه.

(وسلبهم الله) أى أخذ منهم، والضمير لمن وجمع نظرا لمعناه **(ما ألفوه)** أى اعتادوه بطباعهم **(من فصيح كلامهم)** بيان لما، أى لما أرادوا المعارضة لم يقدروا على كلام مثل كلامهم قبله، وليس هذا قولا بالصرفة كما توهم؛ لأن من فعل هذا ليس له صرفة، وهذه الجملة معطوفة على جملة ما فعلوا، وليست الواو للمعية ولا حالية كما قيل **(وإلا)** أى وإن لم يسلبهم الله فصاحتهم المألوفة.

(فلم يخف على أهل الميز) بفتح الميم وسكون التحتية والزاء المعجمة، أى التمييز والعقل، وزاد الفاء فى الجواب لأنه ماض لفظًا ومعنى، أو بتقدير المبتدأ، أى فهم لم يخف إلى آخره، ووجهه دفع توهم كون الاستثنائية، فاندفع ما قيل: إن الصواب إسقاطها لصحة مباشرته للشرط. يقال: مازه يميزه إذا ميزه، أى لو نظر تلك الجمل ومازها ظهر أنه كلام ما راق وما زهى **(أنه ليس من نمط فصاحتهم)** بفتحتين ونون وميم وطاء مهملة، أى من نوع الفصاحة وعلى طريقتها التى اعتادها، فإنه معجز خارج عن طوق البشر، وضمير إنه للقرآن يقال: عندى متاع من هذا النمط، وهذا أبلغ من ليس فصيحًا؛ لأنه نفى عنه كونه من جنسه، **(ولا جنس بلاغتهم)** لركاكته وقباحته، **(بل ولوا عنه مدبرين)** إضراب عن مثله ومدبرين، أى معرضين حال مؤكدة لولوا بمعنى رجعوا وأعرضوا، **(وأتوا مذعنين)** بذال معجمة وعين مهملة، أى منقادين مسلمين، والإذعان الانقياد، وأما إطلاقه على العلم فى قولهم: إذعان النسبة تصديق فمولد ليس

من كلامهم **(من بين مهتد)** أى مصدق بحقيقته وإعجازه، لهداية الله تعالى له، **(وبين مفتون)** متحير فى أمره منكر لإعجازه، وفيه لف ونشر مشوش.

(ولهذا) أى لكونه ليس من نمط كلامهم **(لما سمع الوليد بن المغيرة من النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم،** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] **الآية)** لما سأله أن يقرأ عليه شيئًا من القرآن لينظر فى أمره، وقرأ هذه الآية عليه دون غيرها لمناسبتها له؛ لأنه من أقاربه وفيها عظة له وتنبيه، وهو من رؤساء عقلائهم، فرجا بذلك أن يهديه الله للإسلام.

قال السيوطى: وهذا الحديث رواه البيهقى عن عكرمة مرسلاً، وفى المقتفى فى الإحياء فى آداب تلاوة القرآن حديث: إن خالد بن عقبة جاء إلى رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال: اقرأ على، فقرأ عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠] الآية، فقال: أعد فأعاد، فقال: إن له لحلاوة إلى آخر ما ذكره المصنف هنا، وكذا ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب بغير إسناد.

ورواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد إلا أنه قال: إن الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة كما قاله المصنف، رحمه الله تعالى، وكذا ذكر ابن إسحاق فى سيرته، فإن صح فهما قضيتان والوليد والد خالد بن الوليد، والمغيرة بضم الميم وكسر الغين المعجمة هو ابن عبد الله المخزومى، وباقى نسبه معروف مات كافرًا وترجمته معروفة.

(قال) لما سمع ما تلاه عليه النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم: **(والله إن له)** أى لما تلا **(حلاوة)** أى عذوبة فصاحة عند من له ذوق، فهو استعارة لما يستلذه السمع، **(وإن عليه لطلاوة)** بضم الطاء، ويجوز فتحها لغة ومشاكلة وتكسر أيضًا، فهو مثلث ومعناها الحسن والقبول والرونق، وجاء بمعنى السحر أيضًا، وهو استعارة كالذى قبله، وأكد بالقسم وإن والاسمية، وقدم الخبر للحصر إشارة إلى أنه لا يشبه غيره من الكلام.

(وإن أسفله لمغدق) بلام التوكيد وضم الميم وسكون الغين المعجمة وكسر الدال المهملة، كما فى النسخ كلها من الغدق بفتحتين وهو كثرة الماء، ورواه ابن إسحاق وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة، والعذق فيه بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة هو النخلة التى أصلها ثابت، ورواه ابن هشام لغدق بفتح المعجمة وكسر المهملة من الغدق بفتحتين. قال السهيلى: ورواية ابن إسحاق أفصح لأنها استعارة تامة فيها آخر الكلام يشبه أوله، والجناة بفتح الجيم والنون الثمرة.

(وأعلاه لمثمر) أى له ثمر طيب كثير، والجملة الثانية بتمامها استعارة تمثيلية، والمراد أنه كلام أصله قوى ليس من جنس كلام البشر، ومعانيه مفيدة مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة، وهو كقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، أو استعارتان تمثيليتان، وأراد بأسفله ما تضمنه من المعانى كما يقال: تحت هذا الكلام معان غزيرة، وإن أراد بأعلاه ما ينتجه من الفوائد والعوائد التى تظهر من فهم معانيه وتيقنها، فشبه الكلام لفصاحته وبلاغته بشجرة شربت عروقها ماء غزيرًا فاهتزت وربت وأينعت ثمرتها وكثرت وعذبت، ويجوز أن تكون مكنية وتخييلية.

قلت: اختلاف الروايات يدل على تعدد القضية، ثم بنى على هذا قوله: **(ما هذا بقول بشر)**؛ لأنه لا يشبه كلامهم بوجه من الوجوه، وفى نسخة: ما يقول هذا بشر بصيغة المضارع أى ليس من كلام البشر لحلاوة نظمه وبديع أسلوبه وبلاغة معانيه وجزالة مبانيه، يعنى أنه ليس مفترى مختلقا، وخص البشر لأنهم المعروفون بالبلاغة، وإلا فهو معجز للجن أيضًا مع أن فى هذا الخبر التصريح بذلك حيث قال: وليس بشعر فما فيكم رجل أعلم بالشعر منى، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده منى، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذى يقول شيئًا من هذا، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته كما رواه البيهقى فى الدلائل، ثم إنه روى الفربرى أن القارئ على الوليد عثمان بن مظعون لا النبى ﷺ كما رواه المصنف، رحمه الله تعالى، فإن عثمان، رضى الله تعالى عنه، قال: ما أسلمت ابتداء إلا حياء من النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى نزلت: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠] الآية، وأنا عنده فاستقر الإيمان فى قلبى، فقرأتها على الوليد ابن المغيرة، فقال: يا ابن أخى أعد إلى آخر الحديث، وهذا يؤيد ما سبق من تعدد القضية.

(وحكى أبو عبيد) القاسم بن سلاّم بتشديد اللام الإمام فى الفقه والحديث واللغة البغدادى الحبر الهمام الجليل، أخذ عن الشافعى وغيره، وكان عبدًا روميًا لرجل من هراة، وأحواله وترجمته معروفة، توفى سنة أربع أوثلاث وعشرين ومائتين **(أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤])**، أى اجهر بما أمرت بتبليغه، ولا تبال بما يقولونه، وما موصولة أو مصدرية، وأصل معنى الصدع التفريق والتمييز، فاستعير لما ذكر لتفريقه بين الحق والباطل، وما قيل من أنه لا يجوز أن تكون مصدرية؛ لأنه بمعنى أمرك وهو مصدر مبنى للمفعول، والصحيح عدم جوازه، ولا موصولة؛ لأنه يحتاج لتقدير العائد أى تؤمر به، ولا يجوز إلا إذا جر بما جر به

الموصول، واتحدا متعلقا والأول متعلق باصدع والثانى بتؤمر سهو من قائله، وإن سبقه إليه بعض المعربين؛ لأن الخلاف فى المصدر الصريح لا فى أن والفعل كما فى هذه الآية، ولأنه إنما حذف العائد بعد حذف الجار ونصبه.

(فسجد) الأعرابى لما أدهشه من بلاغته، **(وقال: سجدت لفصاحته)** إذ ليست آية سجدة، وإنما هزه العجب لفصاحته حتى ذل ومرغ وجهه فى التراب، وكان هذا معروفا فى مثله حتى قال بعضهم: للشعر سجدت، وليس المعنى سجدت لله لأجل فصاحته كما توهم، وضمير فصاحته للكلام المقروء لا لقارئه كما توهم؛ لأنه لا يناسب المقام.

(وسمع) أعرابى **(آخر رجلاً يقرأ)** قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗا﴾ [يوسف: ٨٠]، أى لما يئسوا من يوسف، عليه الصلاة والسلام، وزيدت السين والتاء للمبالغة فى اليأس، وخلصوا بمعنى اعتزلوا وانفردوا، ونجيا بمعنى متناجين فى تدبير أمره، وهو يطلق على الواحد المذكر وغيره، **(فقال: أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام)**؛ لإعجاز بلاغته وخروجها عن طوق البشر، فإنك إذا وزنت قولك لما لم يطعهم يوسف، عليه الصلاة والسلام، ولم يجبهم ذهبوا وتشاوروا فيما يقولون بعد هذا، وكيف يرجعون لأبيهم بهذا النظم عرفت بالذوق أنه لا مناسبة بينهما، ولولا خوف السآمة فصلنا وجوه البلاغة فيها.

(وحكى أن عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، كان يوما نائما بالمسجد) أى مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة، والظاهر أن مراده بقوله نائما مضطجعا لينام، فإنه يستعمل كثيرًا بهذا المعنى لقوله: **(وعلى رأسه قائم)** أى فى جانب رأسه رجل منتصب القامة، وليس المراد أنه واطئ لرأسه، وهو حقيقة عرفية فى مثله، والجملة حالية، والضمير لعمر، رضى الله تعالى عنه، وفى نسخ فإذا هو بقائم على رأسه، فإذا فجائية والباء للملابسة **(يتشهد شهادة الحق)** أى يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، **(فاستخبره)** أى طلب عمر، رضى الله تعالى عنه، منه الإخبار عن سبب تشهده وعن حاله.

(فأعلمه) ذلك الرجل المتشهد **(أنه من بطارقة الروم)** بطارقة جمع بطريق بكسر الراء معرب بترك، ومعناه الرئيس وقائد الجيش، وقد تكلمت به العرب قديمًا قال الجواليقى فى كتاب المعرب: البطريق بلغة الروم وهو القائد للجيش، وجمعه بطارقة وقد تكلموا به، ولما سمعت العرب بأن البطارقة أهل رياسة وصفوا الرئيس به يريدون المدح، قال أبو

ذؤيب[1]:

هم رجعوا بالعرج والقوم شهد هوازن تحدوها حماة بطارق

وهذا يقتضى أن بطريق هو المعرب وهو المعروف، وقال ابن خالويه فى كتابه: ليس البطرك معرب بطريق عربته العرب قديمًا قال[2]:

يعلو الظواهر فرد لا أليف له كبطرك قد مشى فى غيط كتان

وهذا مما يتعجب منه فحرره، والروم جيل من الناس معروفون سموا باسم جدهم روم ابن عيصو بن إسحاق وكان أصفر، فلذا قيل لهم بنو الأصفر، والواحد رومى، وقول الجوهرى رامى غلط منه.

(**ممن يحسن كلام العرب وغيرها**) من العبرانية والسريانية والرومية، وإنما قال هذا توطئة لأنه يفهم القرآن والإنجيل، ويقدر على النظر فى معانيهما؛ ولذا قال: (**وأنه سمع رجلا من أسارى المسلمين**) بضم الهمزة وفتحها جمع أسير، وأصله من الأسر وهو الشد بالقيد، ثم عم لكل من أسر وصار فى يد عدوه (**يقرأ آية من كتابكم**) أيها المسلمون يعنى القرآن، (**فتأملتها**) أى نظرت بفكرى فى معناها.

(**فإذا قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى ابن مريم**)، عليه الصلاة والسلام، فى الإنجيل (**من أحوال الدنيا والآخرة**) بيان لما أى من الأحوال التى تلزم العبد فى الدنيا التى هى سبب للفوز والنجاح فى الآخرة، (**وهى**) أى الآية التى سمعها (**قوله**) عز وجل: ﴿**وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ**﴾ [النور: ٥٢] فى أمره مما فرض وسن ونهيه عن غيره، (﴿**وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ**﴾) [النور: ٥٢] أى يخافه ويتجنب ما يستوجب عقوبته، (﴿**فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ**﴾) [النور: ٥٢] بسعادة الدارين، وقوله جمع بالبناء للمفعول، ويجوز بناؤه للفاعل ويقرأ بالإفراد فاعله ضمير رجل، وقيل: إنه روى يقرءون بضمير الجمع للأسارى وهو محتاج للتكلف.

(**وحكى الأصمعى**) بصاد مهملة ساكنة وميم مفتوحة وعين مهملة، وهو عبد الملك ابن قريب بالتصغير ابن أصمع وهو لقب جده، ومعناه صغير الأذن، وهو إمام اللغة والنحو والأدب والنوادر، ولد بالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائة، وتوفى بها سنة عشر

---

(١) البيت من الطويل، وهو لأبى ذؤيب فى شرح أشعار الهذليين (ص١٥٨)، لسان العرب (٢٢/١٠) (بطرق)، تاج العروس (٨٥/٢٥) (بطرق).

(٢) البيت من البسيط، وهو للراعى النميرى فى ديوانه (ص٢٦٢)، لسان العرب (٤٠١/١٠)، تهذيب اللغة (٤٣٠/١٠)، تهذيب اللغة (بطرك).

ومائتين (**أنه سمع جارية**) أى امرأة شابة من العرب تتكلم بكلام فصيح، (**فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك**) تعجب من فصاحة لسانها وبالغ فى تعجبه، فإنها تقال لمن أتى بأمر بديع غريب، وهى فى الأصل جملة دعائية يراد بها شدة الاستحسان كأنه ممن يستحق أن يحسد ويدعى عليه.

(**فقالت: أو يعد**) بفتح الهمزة الاستفهامية والواو العاطفة والهمزة مقدمة من تأخير أو داخلة على مقدر معطوف عليه، ويعد بالياء التحتيه مجهول، أو الفوقية معلوم (**هذا**) الكلام (**فصاحة**) أى فصيحا (**بعد قول الله؟**)، أى مع فصاحة القرآن لا يقال لكلام غيره: إنه فصيح لمن سمعه؛ فإنه أزرى بكل فصاحة فصيرها كالعدم، كالمتاع النفيس إذا نشر بجنب ما هو أعظم نفاسة منه، فإنه يعد غير نفيس كما قيل:

ولا قبح فيها غير أن جمالها يصير كل الغانيات قباحا

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص: ٧]، أى ألهمناها أو أريناها مناما ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [**القصص: ٧] الآية**)، أى ﴿**فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ**﴾ [القصص: ٧]، (**فجمع فى آية واحدة بين أمرين**) أرضعيه وألقيه، (**ونهيين**) لا تخافى ولا تحزنى، (**وخبرين**) أوحينا وخفت عليه، (**وبشارتين**) رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين، والمراد بالفصاحة هنا البلاغة فإنها تطلق عليها كما ذكره الشيخ عبد القاهر.

(**فهذا**) أى الجمع بين ما ذكر فى آية واحدة (**نوع من إعجازه**) أى القرآن، (**منفرد بذاته**) أى مستقل بنفسه غير محتاج لغيره، (**غير مضاف لغيره**) أى غير تابع لنوع غيره من البلاغة (**على التحقيق**) لما فى الواقع عند من عرفه، (**والصحيح من القولين**) بالجر معطوف على التحقيق، والظاهر أن مراده بالقولين هنا كما قاله بعضهم: القول بأن إعجاز القرآن هل هو بمجموع بلاغته وأسلوب نظمه؟ أو هو متحقق بكل واحد منهما على حدته وانفراده بدون إضافة أحدهما إلى الآخر؟ فإن كلا منهما خارق للعادة خارج عن طوق البشر، وهذا هو المتبادر من سياقه.

وقيل: المراد بالقولين: القول بأن إعجازه ببلاغته التى لا يرتقى أحد إلى مرتبتها، والقول بأنه معجز بغير ذلك كالصرفة والإخبار بالمغيبات، ولا شك فى أن من يقول بإعجازه لبلاغته وأسلوبه يقول أيضا أنه بالنظر لمعناه أيضًا، إذ لا يمكن قطع النظر عنه كما قاله العلامة الزركشى فى برهانه؛ إذ قال: أكثر المحققين على أن الإعجاز من جهة البلاغة لكن تعذر الإحاطة بتفصيلها فإن أجناس الكلم مختلفة، ومراتب البيان متفاوتة،

فمنها البليغ الرصين الجذل، والفصيح القريب السهل، والجائز الطلق الرسيل، فهذه أقسامها المحمودة، والأول أعلاها والثانى أوسطها والثالث أدناها، وقد حازت بلاغة القرآن من كل شعبة، فانتظم له نمط جمع الفخامة والعذوبة، وهما كالمتضادين؛ لأن العذوبة نتاج السهولة، والمتانة والجزالة يعالجان الزعورة، فكان اجتماعهما فضيلة خص بها القرآن ليكون آية بينة، وإنما تعذرت على البشر؛ لأن علمهم لا يحيط بجميع اللغة العربية وظروف معانيها، وأفهامهم لا تدرك جميع معانيها ووجوه نظمها، فيتخيروا أحسنها حتى يأتوا بمثله، وإنما يقوم الكلام بلفظ حامل معنى عليه قائم ورباط له ناظم، فإذا تأملت القرآن وجدته استوفى ذلك كله ورقى لأعلى درجاته، وهذا لايتيسر لغير العليم القدير، فإنما صار معجزًا؛ لأنه جاء بأحسن الألفاظ، وأبدع النظم والتأليف، وأصح المعانى من الدعاء للتوحيد وطاعة الرب المجيد والتحليل والتحريم والعظة والتقويم، والإرشاد إلى محاسن الأخلاق والزجر عن مساويها، واضعا كل شىء فى موضعه بحيث لا ترى محلا أولى من محل، مودعا فيه مثلات أخبار القرون الماضية، منبئًا بالحوادث المستقبلة أزمانها جامعًا للحجج والمحتج له المؤكدة للزوم ما دعا له، ولا شك أن استيفاء هذه الأمور متسقًا أحسن نسق لا يمكن لغيره عز وجل.

(**وكون القرآن من قبل النبى ﷺ**) بكسر القاف وفتح الباء الموحدة واللام أى من عنده قال تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ [المعارج: ٣٦]، ويستعار للقوة والقدرة على المقابلة أى المجازاة، فيقال: لا قبل لى بكذا، ومنه قوله: ﴿بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ [النمل: ٣٧]، والمراد كونه بلغته فقوله: (**وأنه أتى به**) عطف تفسير، فليس المراد أنه كلامه، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**معلوم ضرورة**)؛ لتواتر وتوفر الداعى على نقله.

(**و**) كذا (**عجز العرب عن الإتيان به**) أى بمثله (**معلوم ضرورة**) لمشاهدتهم له.

(**و**) كذا (**كونه**)، صلى الله تعالى عليه وسلم، (**متحديًا به**) أى طالبًا منهم الإتيان بمثله (**معلوم ضرورة**) لسماعهم له.

(**و**) كذا (**كونه فى فصاحته**) فى سببية مستعارة استعارة تبعية بتشبيه السبب بالظرف المتمكن فيه (**خارقًا للعادة**)، أى مخالفًا لعادة فصحاء العرب فى كلامهم الفصيح، من قولهم: خرق الصف إذا تجاوزه وتعداه (**معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة**) أى أنواعها ومقاماتها المقتضية لها؛ لعجزهم عن معارضته، وقد طلب منهم ذلك مرارًا لا تحصى، وهم أحرص الناس على ذلك.

(**وسبيل من ليس من أهلها**) أى طريق من ليس من أهل الفصاحة الجبلية الموصلة

لمعرفة إعجازه كالمولدين والعجم **(علم ذلك)** أى الإعجاز، واسم الاشارة قائم مقام الضمير **(بعجز المنكرين من أهلها)** لإعجازه، وأنه ليس من كلام البشر إذا تحدوا **(عن معارضته)** والإتيان بمثله، وعن متعلق بعجز، **(واعتراف)** هو فى الأصل افتعال من المعرفة صار بمعنى الإقرار بما عرفوه، فقوله:

(المقرين) بأنه كلام الله المعجز من إقامة الظاهر مقام الضمير **(بإعجاز بلاغته)** لهم ولغيرهم عن أن يزفوا ببنت شفة إلا من غلب عليه السفه، وتعلق هذا بما نحن بصدده أظهر من الشمس، وإنكاره مكابرة، وقوله: سبيل مبتدأ، وعلم بزنة مسك خبره مصدر علم يعلم، والمبتدأ معرفة بإضافته لمن الموصولة، والخبر بإضافته لاسم الإشارة، ولأرباب الحواشي هنا خبط يتعجب منه، فمنهم من قال: علم مجرور بدل من من الموصولة وذلك مفعوله، وبعجز إلى آخره خبره أى سبيل علم من ليس أهلا لذلك، أى كونه خارقًا للعادة وهو بعجز إلى آخره.

وأعجب منه قولهم: إن علم بفتح العين وسكون اللام بمعنى علامة، من علمت شفته إذا انشقت فهو أعلم، وبعجز متعلق بمقدر، وقيل: علم فعل ماض مبنى للمجهول أو للمعلوم، وهو تخليط لا داعى له، ثم ذكر آيات استوضح بها ما قدمه فقال: **(وأنت إذا تأملت)** أى أمعنت النظر ودققته، كمن ينظر لما له فيه أمل، وأنت فاعل فعل مقدر يفسره ما بعده على حد قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الإنشقاق: ١] إن منعنا دخولها على الجمل الاسمية.

(قوله تعالى: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ [البقرة: ١٧٩]) وما أودع فيه من البدائع والروائع مع لطائف الإيجاز وأنوار الإعجاز الساطعة من مشكاته، ورسوخ عروقه فى الفصاحة، وحلاوة ثمرات بلاغته في الذوق، وما اشتمل عليه من بديع البديع كالإعراب بجعل القتل الذى هو ضد الحياة ظرفًا لها؛ لأن من علم أنه إذا قتل اقتص منه كف عنه، فكان سببًا لحياة من يهم بقتله، وهو أوجز مما عدوه من أفصح كلامهم، وهو قولهم: القتل أنفى للقتل مع ما فيه من التكرار، والقتل مطلقا لا ينفيه، ففى القصاص تصريح بالمعنى المراد إذ القتل قد يكون ظلما، وفيه كلام وفوائد كثيرة فى شروح الكشاف والمفتاح، والثمرة تدل على الشجرة، ولا أقول البعرة تدل على البعير؛ لما فيه من نجاسة سوء الأدب.

(وقوله: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ﴾) [سبأ: ٥١]، من حلول الأجل، أو من بعثهم من القبور، أو فى يوم بدر ﴿فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ [سبأ: ٥١]، أى من ظهر الأرض إلى بطنها، أو من الموقف إلى النار، أو من صحراء بدر إلى قليبها، ففى هذه الآية

من الإيجاز والبلاغة وعذوبة الألفاظ ما يعرفه من له بصيرة.

(وقوله) تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، أى ادفع سيئة من أساء إليك بالحسنة التى هى أحسن من كل شىء حسن، أو بأحسن ما يمكن دفعه، ولا حاجة إلى القول بأن أحسن بمعنى حسن، وعدل عنه للمبالغة، فانظر ما فى هذه الآية من الإيجاز بحذف مفعول ادفع، وهو السيئة لأنه لا يدفع الحسن، ولطف المعنى وما تضمنه من المبالغة ومكارم الأخلاق، وهذا كقولهم: أحسن إلى من أساء كفى المسىء فعله، وفى طى ذكر السيئة نكتة سنية، وأما دعوى المناسبة للمقام بما فيها من دفع السائل وتكلف المناسبة بينها وبين قوله:

(وقوله) تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ [هود: ٤٤]، فبعيدة بمراحل وتكلف من غير طائل، وفى هذه الآية من البلاغة المعجزة مع الإيجاز أنه ناداهما كما ينادى العقلاء، وأمرهما بما يؤمرون به تمثيل لباهر قدرته وعظمته؛ لانقيادهما لما أراد كالمأمور المطيع المبادر للامتثال حذرا من سطوة آمره، والبلع استعارة للجفاف، والإقلاع الإمساك، وفيها لطائف أخر مفصلة فى شرح المفتاح **(الآية)**، وتمامها ﴿**وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدًا للقوم الظالمين**﴾ [هود: ٤٤].

(وقوله) تعالى: ﴿فَكُلًّا﴾ [العنكبوت: ٤٠]، ممن ذكر قبله من المكذبين ﴿أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، أى عاقبناه به، ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا﴾ [العنكبوت: ٤٠]، أى ريحا عاصفة فيها حصباء وهى الحجارة الصغيرة، أو ملكا رماهم بها وهم قوم لوط، عليه الصلاة والسلام، **(الآية)**، وتمامها: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، والأول قوم ثمود ومدين، والثانى قارون، والثالث قوم نوح وفرعون، وفى الآية من وجوه البلاغة الإجمال والتفصيل وحسن السبك والنظم، والإعلام بأحوال من مضى للاعتبار، والإيجاز والانسجام الرائق.

(وأشباهها) أى ما يضاهى ما ذكر فى البلاغة ووجوه الإعجاز **(من الآى)** اسم جنس جمعى ككلم وكلمة، أو اسم جمع وهو منصوب معطوف على مفعول تأملت، ثم أضرب بيانًا لأنه لا ينحصر فى آيات مخصوصة مشيرًا إلى وجوه من الإعجاز فيها، فقال:

(بل أكثر القرآن)، وجواب إذا قوله: **(حققت ما بينته)** لك آنفا **(من إيجاز ألفاظها**

وكثرة معانيها) مع لطائف ودقائق، (و) لطائف **(ديباجة عبارتها)** قيل: معنى الديباج نوع من الحرير له وبر، يقال: فلان يلبس الديباج ويركب الهملاج، وقيل: إنه معرب فأصله ديبا زيد فيه الجيم، كما يقال فى قولون: وهو من الأمراض قولنج، ثم استعير فقالوا: دبج المطر الأرض إذا زينها بالنبات والرياض، وفلان يصون ديباجتاه أى خداه، وفى ضده يبتذلهما، ومنه أخذ ديباجة الكتاب والقصيدة لأوله، والحواميم ديباج القرآن أى رياضه التى يرتع فيها القارئ، فالمراد حسن عبارته، ففيه استعارة مكنية وتخييلية شبهت العبارة بحمى، وأثبت له الديباج بمعنى الرياض والنبات ثم كنى به عما مر.

(وحسن تأليف حروفها) حيث كانت سالمة من التنافر والثقل، (و) حسن **(تلاؤم كلماتها)** بالهمزة وقد تبدل ياء، فيقال: تلايم وملايمة أى مناسبة وموافقة، وأما إبدالها واوًا فهو خطأ من رسم الهمزة بالواو؛ لأن الملاومة مفاعلة من اللوم فقراءة بعض المحدثين له بالواو لحن، يعنى ليس فيه تعقيد ولا ضعف تأليف وتنافر كلمات.

(وأن تحت كل لفظة منها جملا كثيرة) أى فيها معان كثيرة وفوائد غزيرة، وجعل ما يدل عليه تحته تجوزًا، **(وفصولا جمة)** أى أنواعًا كثيرة من محاسن الكلام، كما يقال: جعل الكلام فصلا فصلا، والجم الكثير، وغاير بينهما تفننا كقوله: **(وعلومًا زواخر)** بزاء وخاء معجمتين ثم راء مهملة، أى علومًا كثيرة كالبحار الزواخر، من زخر البحر إذا كثر ماؤه وارتفعت أمواجه، ففيه مكنية وتخييلية، ويجوز أن يكون تشبيهًا بليغًا واستعارة مصرحة، وزواخر ممنوع من الصرف، وما فى بعض النسخ من تنوينه للتناسب لا وجه له **(ملئت الدواوين)** أى امتلأت كتبُ التفسير وغيره من الفنون **(من بعض ما استفيد منها)** بالبناء للمجهول، أى أخذه كل باحث عنه بحسب فهمه، وإذا ملأها بعضه فكله لا يمكن حصره ولا يحويه كتاب، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ [الكهف: ١٠٩]، ودواوين جمع ديوان وهو الكتاب، وقد تقدم الكلام عليه.

(وكثرت المقالات) أى كلام الأئمة والمصنفين **(فى المستنبطات عنها)** أى فى المعانى والأحكام المستخرجة بطريق الإشارة والدلالات الالتزامية، وهو من قولهم: استنبط الماء من البئر إذا استخرجه، فما استفيد هو ما دل عليه صريحًا وما استنبط غيره، **(ثم هو)** أى القرآن، وعطفه بثم لتراخى رتبته عما قبله **(فى سرد القصص الطوال)** أى ذكرها فى أثنائه مستعار من سرد الدرع لنسجه، **(وأخبار القرون السوالف)** معطوف على القصص جمع قصة، والمراد بالقرون السوالف الأمم المتقدمة على عصر النبوة من سلف بمعنى تقدم، والقرن مدة من الزمان مختلف فيها والمراد أهله.

(التى يضعف فى عادة الفصحاء عندهـا الكـلام) صفـة للقصـص والأخبـار، أى أنـها لطولها إذا أريد ذكرها بتمامها يصعب على الفصيح حكايتها، ويضعف نطقها عن أدائها وإجمالها لمن لا يعلمها لا تفيده فائدة يعتد بها، وليس المراد أنه واقـع فـى الخـارج يعجـز الفصيح عن مطابقة حكايته له، **(ويذهب ماء البيان)** أى رونقه وحسنه؛ لأنـه لطولـه قـد لا تتناسـب كلماتـه ويشـق نظامـه، ولا يحكـم ارتباطـه، والبيـان إيضـاح المعـانى، وهـو معطوف على يضعف الصلة، ففيه عائد مقدر كالذى قبله **(آية لمتأمله)** أى علامة بينة لمن تأمل نظمه وسرده القصص والأخبار، وآية خبر المبتدأ الـذى هـو هـو، أو مبتـدأ مؤخـر والجار والمجرور خبر مقدم، والجملة خبر هو، والرابط الألف واللام القائمة مقام الضمـير الذى هو فى سرد قصصه آية لمن تأمله حق التأمل.

وقوله: **(من ربط الكلام)** صفة لآية ومن بيانية، أو متعلق بمقدر أى يظـهر كونـه آيـة دالة على إعجازه من ارتباط الكلام **(بعضه ببعض)** بالجر بدل من الكلام، أى مـن كـون أجزائه إلى غاية التناسب حتى كأن كل كلمة مرتبطة بأختـها، **(والتئـام سـرده)** بـالهمزة والياء أى مناسبة كلماته المسرودة، أى المتابعة كحلق الدرع الداخل بعضـها فـى بعـض مع فصاحتـها وحسـن تأليفـها، **(وتنـاصف وجوهـه)** المـراد بـالوجوه أنـواع بلاغتـه مـن الاستعارة والكناية، وتناصف تفاعل من النصفـة والإنصـاف، يقـال: أعضـاؤه متناصفـة حسنا أى لا ينقص حسن بعضها عن بعض، وهو من بليغ الكلام الذى لا يعرفه إلا مـن ذاق حلاوة العربية، كما أشار إليه المبرد، رحمه الله تعالى، فى الكامل، قال الشاعر:

لمـا عرضت إلى تنـاصـف وجههـا غرض الـمحب إلى الحبيب الأول

وأصل معنى الإنصاف المواساة ونحوها، كأنك تعطيه نصفا وتأخذ نصفا، ومن ظـن عدم تغاير هذه المعانى فقد وهم.

(كقصة يوسف، عليه الصلاة والسـلام، على طولـها) قصـها الله تعـالى علـى أعجـب ترتيب وأبدع تـهذيب بحيـث لم ينصـب مـاء بيانـها، ولم ينحـل عقـد نظامـها، مرتبطـة الهوادى بالأعجاز على أصح وجه وأوضح نهج، **(ثم إذا ترددت)** أى إذا كررت **(قصته)** المذكورة فى القرآن، من قولهم: فلان يتردد على فلان إذا كان يكثر الإتيان إليـه كقـول بعضهم:

إن كنـت لـم أكثر زيـادة حبكـم فمحبتـــى لكـــم بغيـــر تـــردد

أى ما كرر من قصص القرآن ليـس تكـرارًا مخـلا إذ قـد **(اختلفـت العبـارات عنـها)**، **فذكرت** فى كل مكان لمعنى ضربت له مثلا غير المكان الآخر، وحكيت بعبارات مختلفة

النظم والألفاظ، وإن كان المعنى واحدًا **(على كثرة ترددها)** وتكرارها، والجـار والمجـرور حال من ضمير عنها، وهذا من عظيم قـدرة قائلـها، ويحكـى عـن ابـن عبـاد، رحمـه الله تعالى، أنه مات له ولد فاشتد حزنه على فقده، فلما صلوا على جنازته فـى محفـل عظيـم قام الناس لتعزيته، فلم يُعِدْ عبارة للمعزين له مع كثرتهم وكونه فى حالة حزن وألم حتى تعجب الحاضرون ممن بلاغته.

(حتى تكاد كل واحدة) من القصص المكـررة **(تنسـى فـى البيـان صاحبتـها)** يعنـى أن سامعها كأنه إنما سمعـها الآن، ولم يسـبق لهـا ذكـر قبـل ذلـك؛ لأن العبـارة غـير الأولى والسياق، ومناسبة المقام تفيد فوائد أخر، وتجدد لمن سمعها حظًا عظيمًا للعبارة المغايرة لما تقدمها، وعبر بكاد لأنها لم تنس حقيقة، **(وتناصف فى الحسن وجه مقابلتها)**؛ لتفاوتهما باعتبار المقامات المحكية فيها، كقصة آدم وحواء وموسى، عليهم الصـلاة والسـلام، مـع بنى إسرائيل، **(ولا نفور للنفوس من ترديدها)** وتكريرها، وهذا إشـارة إلى الجـواب عمـا قاله بعض الطاعنين فى القرآن بأن فيه مكررات كثيرة، وهو مما ينفر الطبع السـليم، **(ولا معاداة لمعادها)** أى لا تعادى الطبـاع المكـررة المعـاد فـى القـرآن مـن قصصـه كمـا قـال الشاعر:

طبع النفـوس معـــاداة المعـــادات

وفيه تمليح لما ذكر وتجنيس لطيف.

* * *

(فصل)

(الوجه الثانى) من وجوه إعجاز القرآن **(من إعجازه صورة نظمه العجيب والأسـلوب الغريب)** أشار بالأسلوب والصورة إلى رشاقة عبارته وفخامة معانية، وهذا باعتبار نظمـه وطريقه الوارد فيها، فإنه مع الرغبـة لا يشـبه الشـعر ولا الخطـب ولا غيرهمـا ممـا كـان عادتهم ومحاوراتهم قرى الأسماع بموائد عوائده، وبـهذا اضمحـل مـا قيـل: إنـه بحسـب المعنى راجع للأول؛ لأن حسن تأليفه والتئام كلمه راجـع لصـورة نظمـه، فـإن قيـل: إن قوله: **(المخالف لأساليب كلام العرب)** منزه عنه، قلت: لا لأن قوله: الخارق للعادة بمعناه انتهى.

والأساليب جمع أسلوب وهو الفن والنوع، وفى كلامه إشارة إلى أن الإعجـاز ليـس مداره على الألفاظ، ولذا عبر بالنظم دون اللفظ، قال عبد القاهر: النظم توخـى المعـانى على حسب الأغراض التى صيغ لها الكلام، لا تواليها فـى النطق وضـم بعضـها لبعـض

كيفما اتفق، **(ومناهج نظمها ونثرها)** مجرور معطوف على أساليب أى مخالف لمناهجها جمع منهج، وهو الطريق، أى لا يشبه كلامهم المنظوم وهو الشعر ولا المنثور من الخطب وغيرها **(الذى جاء عليه)** صفة نظم، أى النظم الذى جاء عليه من عند الله تعالى واردًا على أسلوبه العجيب الذى لا يشبه كلام البشر.

(ووقفت مقاطع آيه) جمع آية مضاف لضمير القرآن، وفى نسخة آياته، والمقاطع جمع مقطع، وهو آخر الكلام الذى يقف عليه القارئ وقفًا تامًا أو كافيًا، وإسناد الوقف إليها مجازى، والواقف إنما هو القارئ، وهو بمعنى انتهت ووصلت؛ ولذا عداه بإلى وهو معطوف على الصلة، **(وانتهت فواصل كلماته إليه)**، وفى بعض النسخ: ووقفت مطالع آيه عليه، والفواصل جمع فاصلة وهى الكلمة الأخيرة من الفقرة ونحوها، والضمير للموصول بتقدير مضاف إلى آخره قالوا: لا يقال فى القرآن إنه سجع، وإنما يقال فواصل لقوله: ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت: ٣].

(ولم يوجد) أى لم يسمع كلام بليغ **(قبله ولا بعده نظير له)** يماثله فى بلاغته وعلو مرتبته وغرابة أسلوبه.

(ولا استطاع) وقدر **(أحد مماثلة شىء منه)** بأن يأتى بكلام ما يشبهه فى الجزالة والبلاغة، **(بل حارت فيه عقولهم)**، فوقعوا فى الحيرة، فالعناد يمنعهم من الاعتراف، وظهور إعجازه يكذبهم فى قولهم: إنه مفترى أو سحر أو نحوه مما لا يقبله الطبع.

(وتدلهت به دونه أحلامهم) بفتح الدال المهملة واللام المشددة أى دهشت وتحيرت فى شأنه، فهو مما قبله، وفى نسخة تولهت بواو بدل الدال من الوله وهو الحيرة أيضًا، والأحسن أن يقصر التدله بذهاب العقل من الهوى، فيكون ترقى من حيرته إلى ذهابه، ودونه بمعنى ما لم يبلغ منزلته، كما فى قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ﴾ [آل عمران: ١١٨]، والأحلام جمع حلم وهو بمعنى العقل، وله معان أخر يعنى أن عقولهم لم تصل إليه إذ تحيرت فيما هو أقل منه، فكيف به.

(ولم يهتدوا إلى مثله) أى لم يسمعوا به فى فصحائهم، ولم يقدروا على الإتيان بشىء يماثله أو يقرب منه **(فى جنس كلامهم)** الذى يقدرون عليه، وتفى به قواهم البشرية، **(من نثر)** كالخطب والرسائل، **(أو نظم)** من القصائد والفقر، **(أو سجع)** وهو الكلام المقفى غير المنظوم، وهو يطلق على مجموع هذا، وعلى الكلمات الأخيرة من النثر، ويطلق على الإتيان به ونفس التوافق الواقع فيه.

(أو رجز) وهو نوع من الشعر معروف، وأفرده بالذكر مع دخوله فى النظم؛ لأنه

خلافه فى عدم التزامهم رويًا واحدًا، فعد نوعًا مستقلا من الكلام أفرد باسم يخصه، ولم يعده بعضهم من الشعر حتى سمى قائله: راجزًا لا شاعرًا، **(أو شعر)** لو لم يذكره كان أحسن؛ لأنه مكرر مع النظم.

(ولما سمع كلامه، صلى الله تعالى عليه وسلم، الوليد بن المغيرة) تقدم ضبطه وأنه أبو خالد، وكان من صناديد قريش وعقلائهم وفصحائهم إلا أن الله لم يهده إلى الإسلام كما مر، واسم ولده خالد، رضى الله تعالى عنه، سيف الله، **(وقرأ عليه القرآن)** أى أسمع الوليدَ رسولُ الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بعضَ القرآن رجاء إسلامه **(رق)** قلبه ومال طبعه إلى الاعتراف به والإسلام، وأصل الرقة ضد الغلظة فتجوز به عن الملائمة والميل، كما قال ابن سعيد المغربى:

قد طال شوقى إلى ثغور ملأى من الشهد والرحيق
عنها أخذت الذى تراه يعذب من شعرى الرقيق

(فجاءه أبو جهل)، لعنه الله تعالى، لما بلغه ميله إلى كلام رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ليصده عنه، وكان ابن أخيه واسمه عمرو بن هشام **(منكرا عليه)** بميله له واستحسانه لما قرأه، صلى الله تعالى عليه وسلم، عليه، وهو حال من فاعل جاء، **(فقال)** الوليد ردًا لأنكار أبى جهل عليه: **(والله ما منكم)** يا معشر قريش **(أحد أعلم بالأشعار منى)** إنكارًا لقولهم: إنه شاعر، **(والله ما يشبه الذى يقوله)** محمد، صلى الله تعالى عليه وسلم، من القرآن **(شيئًا من هذا)** الشعر الذى ينشد، وأشار إليه بالقرب لشهرته وحضوره فى الذهن كالمشاهد المحسوس.

(وفى خبره الآخر) أى فى خبر آخر عن الوليد رواه البيهقى عن ابن عباس، رضى الله عنهما، **(وحين جمع)** الوليد **(قريشًا)** يعنى أشرافهم ورؤساءهم **(عند حضور الموسم)** مفعل من الوسم، وهو العلامة، والمراد موسم الحجاج وهو زمان اجتماعهم؛ لأنها معالم كانوا يجتمعون فيها بمكة، وحضوره مجىء زمانه أو مجىء أهله، ولما كان يجتمع به جميع قبائل العرب من كل فج خشى أن يسمعوا بأثر النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، فيتبعوه، فجمعهم وحدهم ليتشاوروا ويروا رأيا فيما يصد الناس عنه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما أشار إلى بيان ذلك بقوله:

(وقال: إن وفود العرب) جمع وفد وهم كما مر الجماعة الذين يقدمون من بلادهم إلى مكة من غير أهلها، وأصل معنى الوفد الأشراف **(ترد)** أى يقدمون من غير البلاد، وأصل الورود الذهاب للماء، **(فأجمعوا فيه)** أى فى النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم،

وأمره، أى دبروا وتداركوا **(رأيا)** أى أمرًا يعتقدون له فائدة ونتيجة، وأجمعوا بقطع الهمزة من الإجماع يقال: أجمعت كذا وكذا وأجمعت عليه، وأكثر ما يقال فيما يكون جمعًا يتوصل إليه بالكفر نحو: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١]، ويقال: أجمع المسلمون على كذا إذا اجتمعت آراؤهم عليه، ويجوز أن تكون همزته همزة وصل أيضًا؛ لأنه يقال: جمع له رأيا أيضًا، وبه فسر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] أى جمعوا آراءهم وتدبيرهم كما قال الراغب: ولا عبرة بإنكار الحريرى فى الدرة لصحته كما بيناه فى شرحها.

(لا يكذب بعضكم بعضًا) أى اتفقوا على أمر قبل قدومهم حتى لا يحصل افتراق كلمة واختلاف فى شأنهم، **(فقالوا: نقول:)** هو **(كاهن)**، وهو الذى يخبر عن المغيبات، ويدعى معرفة الأسرار، وكانوا فى العرب كثيرًا كشق وسطيح، وكان لهم كلام مسجع مصنع، فمنهم من له جنى يخبره ويلقى إليه الأخبار، ومنهم من يدعى معرفة ذلك بأسباب وأمور يأخذها من كلام السائل وفعله وحاله، ويقال له عراف، وأكثرها أمور ظنية تخطىء، وتصيب أحيانًا.

(فقال) الوليد لهم: **(والله ما هو بكاهن)** أى حاله لا تشبه حال الكهان، وكلامه لا يشبه كلامهم المسجع الذى كانوا يلفقونه وينمقونه، وفيه أكاذيب باطلة، فليس هذا رأيا مقبولا يروج عند العقلاء، **(ما هو بزمزمته ولا سجعه)** الضمير للنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، والباء للملابسة، أى ليس معروفًا بزمزمته، أو لكلامه المفهوم من السياق أى وما كلامه مشبها بزمزمته، والزمزمة صوت خفى لا يكاد يفهم، وكان للكهان زمزمة مرقى يحضرون بها الجن، وزمزمة المجوس قراءتهم، وكلام الكهان كان مسجعًا، ولذا كره النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، قول القائل فى الجنين: كيف ندى من لا أكل، ولا شرب ولا استهل، ومثل ذلك بطل.

وقال: هذا من إخوان الكهان، وهذا لا يدل على كراهة السجع مطلقًا، فينافى كلامه، صلى الله تعالى عليه وسلم، به أحيانًا.

فلما لم يرض الوليد هذا الرأى فيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(قالوا:)** نقول هو **(مجنون)** أى رجل اختلط عقله فاختل كلامه وفعله، وذلك بإصابة الجن له وهو المعروف عند الأطباء، وأصله من جنه وأجنه إذا ستره لاستتار عقله، ومنه الجان والجنين.

(قال) الوليد ردًا لرأيهم هذا: **(ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته)**، أى لا يشبه حاله حال المجانين، والخنق بفتح الخاء المعجمة وسكون النون مصدر، وهو الإختناق،

والجنون يقال له: خنق بكسر النون وفتحها، والوسوسة بفتح الواو مصدر، وهو شيء يلقى فى القلب أو فى السمع بصوت خفى، وقد يحدث المرء به نفسه؛ ولذا سمى حديث النفس.

(**قالوا: فنقول: شاعر، قال:**) أى الوليد: (**ما هو بشاعر**) أى ليس كلامه بشعر لا وزنا ولا معنى إذ الشعر مدح وهجو وتشبيب، وليس فيما سمعوا منه، صلى الله تعالى عليه وسلم، شيء من ذلك، (**قد عرفت الشعر كله**) بأنواعه وأوزانه ومعانية، ثم فصل بعضًا منه بقول: (**رجزه**) هو نوع من الشعر معروف يسمى بالرجز، ويقال للقصيدة منه أرجوزة وجمعها أراجيز، وسمى رجزا لاضطرابه فى وزنه واختلاف أوزانه واختلاف قوافيه، (**وهزجه**) بفتحتين ومعجمتين، وهو اسم لبحر من بحور الشعر معروف، وبه فسر هنا، ولكن الذى قالوا: إن أسماء البحور منقولات اصطلاحية نقلها الخليل بن أحمد، فهى منقولة من الهزج لنوع مضطرب من الأغانى، ولو قيل: إنه اسم لضرب من الشعر كانت العرب تتغنى به كان أقرب وأنسب بقوله:

(**وقريضه**) لأنه ليس اسم بحر من بحور العروض؛ لأنه فى اللغة بمعنى الشعر مطلقا من قرضه بمعنى قطعه فعيل بمعنى مفعول؛ لأن الشاعر يقتطع نوعا مخصوصًا من الكلام لغرض له، فالظاهر أن المراد به ما يقابل القصائد وهى المقطوعات، وقرض الشعر ملكة يقتدر بها على نظمه، وفى العرف معرفة محاسن الشعر وقبيحه.

(**ومبسوطه**) أى مطولات قصائده مطلقا المقابلة لما قبله، فيتناول جميع أنواعه من الطويل والبسيط وغيره، فمن فسره ببحر البسيط، وقال: زيادة الميم فيه لمشاكلة قوله: (**ومقبوضه**) فقد تكلف ما لا دليل عليه، وكأن المراد بمقبوضه مختصر أوزانه المسمى فى العروض بالمجزوء والمنهوك، وليس المراد مصطلح العروضيين وهو المحذوف ثانى السبب الخفيف الذى هو خامس كمفاعيلن الذى حذفت ياؤه فصار مفاعلن؛ لأن هذا اصطلاح أحدثه المولدون لا تعرفه العرب قديمًا، وقوله: رجزه وما عطف عليه منصوب بدلا من الشعر لا من كله؛ لأنه توكيد لا يصح البدل منه، لا لأنه لا يقع مفعولا كما توهم.

(**قالوا: فنقول:**) هو (**ساحر؟ قال**)، أى الوليد: (**ما هو بساحر**) أنكره لما يعلمه من أن الساحر هو الذى يستعين على ما يأتى من خارق العادة بأمر علوى، أو بعزائم يسخر بها الجن، أو بطلمسات يستخرج بها السفلى بالعلوى، والناس جميعهم يعلمون أنه، ﷺ، ليس كذلك؛ ولذا قال: (**ولا نفثه ولا عقده**) بفتح العين المهملة وسكون القاف أو بضم ففتح جمع عقدة، والنفث النفخ مع ريق، والعقد عقد حبال أو شعر مضفور ونحوه

كما يعرفه السحرة مما يؤثر أمورًا خارقة للعادة فى الخارج عنه، وكنى به عن أنه ليس عمل مما يعمله السحرة، فقد تربى، صلى الله تعالى عليه وسلم، بين أظهرهم، ولم ير أحد منه ذلك؛ فلذا خطأهم الوليد فى وصفهم له، صلى الله تعالى عليه وسلم، وبين لهم أن تدبيرهم الباطل لا يروج على عاقل كما قيل:

يا سطوة الله حلى عقد ما ربطوا وشتتى شمل أقوام بنا اختلطوا
الله أكبر سيف الله قاطعهم وكلما قد علوا فى ذمهم هبطوا

(**قالوا: فما نقول؟**) بالنون أو بالمثناة الفوقية أى نحن أو أنت يا وليد، وما رأيك؟ (**قال: ما أنتم بقائلين من هذا**) أى مثل هذه الآراء (**شيئًا**) فى حقه (**إلا وأنا أعرف أنه باطل**) ليس بمقبول عندى، ولا عند العقلاء الذين يعرفونه، وتقديم الضمير لتقوية الحكم؛ لأنه يقدم لتقوية الكلام أو للحصر لتعسفه اعتقاد بعض جهلتهم فيه، والجملة حالية مستثناة يجوز اقترانها بالواو وعدمه، (**وأن أقرب القول**) فى حقه وإن كان الكل مفترى (**أنه ساحر**) بفتح الهمزة وكسرها كما فى كل ما وقع بعد أفعل تفضيل مضاف للقول على أن المصدر خبر أن، والجملة المحكية لا تحتاج لرابط لأنها عين المبتدأ هنا، وهذا رجل عاقل ختم الله تعالى على قلبه وسمعه، ونسجت عناكب الضلالة على بصره، ثم بين وجه أقربيته بحسب النظرة الحمقى بقوله:

(**فإنه سحر**) أى كالسحر ووجه المشابهة أنه (**يفرق بين المرء وابنه**) بالباء الموحدة والنون أو الياء المثناة التحتية، ومعناهما ظاهر، (**والمرء وأخيه**)، وفى نسخة بين المرء وأبيه وأخيه، (**والمرء وزوجه**) أى امرأته، وفيه لغتان هذه وزوجته بتاء التأنيث، (**والمرء وعشيرته**) أى أقاربه الأدنون المعاشرين له، وقد كان ذلك فإن من ذاق حلاوة الإسلام ترك ما عداه لأجله، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما كان مشاهدًا فى الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، ومنهم من ترك ملكه كنيرز بن النجاشى كما فى سيرة ابن هشام، والتوفيق بين هذا وبين ما حكاه الزمخشرى عن الوليد هذا من أنه قال لهم: ما هو إلا سحر أما رأيتموه يفرق بين المرء إلى آخره، وما حكاه عنه من قوله:

(**إن هذا إلا سحر يؤثر**) كما تقدم أنه أراد ما هنا من أنه كالساحر فيما ذكر، لكنه ساقه فى معرض الجزم وليروج عندهم، أو أنه قال مرة ثم راجع عقله فرجع عنه، وهو الأوفق بما فى الآية ومناسبة ما ذكر لما هو بصدده فى غاية الظهور، فالقول بأن الأنسب أن يذكر ما حكى عنه من أنه قال لبنى مخزوم: والله قد سمعت محمدًا يقول كلامًا ما هو بقول [بشر] إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى كما تقدم ولا وجه له.

(فتفرقوا) من المجلس الذى جمعهم للمشاورة فيه، **(وجلسوا على السبل)** بضمتين جمع سبيل، وهو الطريق ليخبروا الوافدين بما قالوه حتى لا يتبعوه، صلى الله تعالى عليه وسلم، و**(يحذرون الناس)** منه حتى لا يصدقوه، فيقولون لكل من رأوه: محمد شأنه كذا وكذا فاحذروه لايفتنكم عن دينكم، والجملة الأولى معطوفة أو حالية بتقدير قد، وكذا الثانية من ضمير تفرقوا، وهما حالان متداخلتان، فقالوا ذلك لكل من قدم للحج، ففشا أمره، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى قبائل العرب، وخشى أبو طالب من ذلك، ومن تعييب النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، لآلهتهم وسبها أن يقع منهم ما يحرضهم على ضرره، فقال فى قصيدته اللامية الطويلة المشهورة يمدحه ﷺ، ويذكر حسن حاله، وما هو عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، فيها فمنها قوله:

لعمرى لقد كلفت وجدًا بأحمد وإخوته دأب المحب المواصل

إلى آخرها، ولولا خوف الإطالة أوردتها لما فيه من مدحه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وبيان حقيقته وتقيده بحميته.

(فأنزل الله تعالى فى الوليد) وقصته المذكورة التى هى سبب النزول، وهذا من إقامة الظاهر مقام الضمير للتسجيل عليه بذم الله تعالى له: (﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]، **الآيات)**، أى دعنى معه، فأنا أكفيه من كيد أعدائه، وإن كان وحيدًا منفردًا عن أهله وعترته لتركهم له، أو لا نظير له وتمام النظم: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ١٢ - ٢٣]، والكلام على هذه الآيات مفصل فى التفسير، والمقام لا يسعه.

(وقال عتبة بن ربيعة) بن عبد شمس بن عبد مناف والد هند أم معاوية، رضى الله تعالى عنهما، وهذا قتله عبيدة بن الحارث فى غزوة بدر كافرا **(حين سمع القرآن: يا قوم لقد علمتم أنى لم أترك شيئًا إلا وقد علمته وقرأته وقلته)** هذا عبارة عن أنه عنده علم بالكتب المنزلة لقراءته بعضها، وأنه قرأ القصص السالفة، وقال الشعر، وله سعة علم بالبلاغة وليس ظاهره بمراد إذ لا يمكن لمثله ما ادعاه.

(والله لقد سمعت قولا) يعنى به القرآن العظيم الذى سمع رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، يتلوه، **(والله ما سمعت مثله قط)** هو للاستغراق فى الماضى، **(ما هو بالشعر)**

الباء زائدة أى ليس بشعر ولا يشبهه كما مر، **(ولا بالسحر ولا بالكهانة)** أى ليس يشبه كلام السحرة والكهنة المسجع المتكلف، ولم يكن فى قائله شىء من أعمال السحرة المعهودة، والكهانة مصدر كهن يكهن بكسر الكاف وفتحها، كالكتابة والقسامة كما قاله الشريشى فى شرح المقامات.

(وقال النضر) بفتح النون المشددة وسكون الضاد المعجمة علم منقول من النضارة بمعنى الحسن **(ابن الحارث)** بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار الذى قتله النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، بالصفراء صبرًا، وقصته مذكورة فى السير **(نحوه)**، أى مثل ما قاله عتبة والوليد فى اعترافه بالقرآن، وأنه لا يشبه كلام البشر.

(وفى حديث إسلام أبى ذر) الغفارى الصحابى، رضى الله تعالى عنه، وهو جندب ابن جنادة كما مر، وغفارة قبيلة من العرب مشهورة، وغفار قبيلة من كنانة، وهو غفار ابن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن خزيمة، وحديثه رواه مسلم وغيره، ووصفه البيهقى فى دلائل النبوة، وأسنده إلى عبد الله بن الصامت وهو حديث طويل، وكان إسلامه بمكة رابع أربعة؛ فلذا كان يقول: كنت رابع الإسلام، وقوله: **(وصف أخاه أنيسا)** بالصغير ووصف ماض والجملة حالية بتقدير قد.

(فقال) تفسير لوصفه المذكور: **(والله ما سمعت بأشعر من أخى أنيس لقد ناقض)** بقاف وضاد معجمة من المناقضة مفاعلة من النقض، وهو هدم البناء وحل طاقات الحبل، ثم صارت بمعنى كون الكلام له معنى لا يمكن اجتماعه من نقيضه، كزيد قائم وزيد ليس بقائم، وهذا اصطلاح المنطقيين، وعند العرب نقائض الشعر فى الجاهلية أنه إذا قال أحدهم شعرًا ذكر فيه افتخارًا بآبائه وشرفهم على قوم غيره، أو ذكر فيه هجاء غيره ومثالبه ونقيض حسبه وآله، فيعارضه غيره بشعر يذكر فيه ضد ما قاله، فيسمى ذلك مناقضة، ويقال للقصائد: نقائض، ومنه نقائض جرير والفرزدق لقصائد من الطرفين جمعت وشرحت، وفى الأساس يقال: فى كلامه تناقض، وهذا مناقضه ونقيضه، وتناقض القولان والشاعران، وناقض أحدهما الآخر: يقول قصيدة فينقض صاحبه عليه، وهذه القصيدة نقيضة قصيدة فلان، وهما نقائض، ومنه نقائض جرير والفرزدق، انتهى.

وفسره فى الشرح الجديد بما فى النهاية من أن المناقضة مفاعلة من نقض البناء وهو هدمه، أى ينقض قولهم وينقضون قوله، وأراد به المراجعة والمراودة انتهى، وهو تفسير لا يفى بالمقصود لما عرفته.

(اثنا عشر شاعرًا فى الجاهلية) أى عارضهم فى قصائدهم، فأتى بمثلها، وهذا يدل على فصاحته ومعرفته بالشعر وقدرته على إنشائه، وزمان الجاهلية كان فيه الشعراء الفحول كثيرًا، وذكر هذا تمهيدًا لما سيأتى من إنكاره عليهم فى قولهم: إن النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، شاعر **(أنا أحدهم)** ذكره اعترافا بقوة شاعريته، **(وأنه)** أى أخاه أنيسا **(انطلق إلى مكة)** أى ذهب إليها بعد ما كان فى غنم لهما ترعى، فقال لأخيه: إن لى صاحبًا بمكة فاكفنى أمر الغنم حتى آتيك، فانطلق حتى أتى مكة فأبطأ على أبى ذر، ثم أتاه فقال: ما حبسك؟ قال: رأيت رجلا يزعم أنه على دينك إلى آخر القصة التى ذكرها البيهقى، وأشار إلى بعض منها المصنف بقوله: **(وجاء بخبر النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى)** أخيه **(أبى ذر)**، وكان أسلم بمكة قبل أخيه، وأسلم أخوه بعده فهما صحابيان.

(قلت) له بعدما أخبرنى **(فما يقول الناس)** فيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(قال:)** يقولون: **(شاعر كاهن ساحر)**، أى بعضهم يقول هذا، وبعضهم يقول هذا، ثم أشار إلى بطلان ما قالوا بقوله: **(لقد سمعت قول الكهنة)** جمع كاهن مثل كاتب وكتبة، **(فما هو)** أى النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، أو كلامه متلبس **(بقولهم، ولقد وضعته)** بالضاد المعجمة المفتوحة والعين المهملة الساكنة أى وضعت قوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(على أقراء الشعر)** يعنى أنه قابله وقاسه بالشعر ونزله عليه؛ لينظر هل فيه ما يشبهه، وهو مجاز من قولهم وضع النعل على النعل أى طابقه به لينظر هل هو مساو له، والأقراء بفتح الهمزة والمد جمع قلة أريد به الكثرة هنا، قال فى القاموس: من أقرأ الشعر أنواعه وأنحاؤه أى أمثاله، فهو جمع قرء بالضم، وقيل: إنه جمع قرء بالفتح وهو طرفه وأنواعه وبحوره، وقال الزمخشرى: إنه قوافيه التى يختم بها كأقراء الطهر التى ينقطع عندها الدم واحدها قرء فتحًا وكسرًا وضمًا، فهو مقاطع آياته وحدودها.

(فلم يلتئم) بالهمز من الملائمة أى لم أره مناسبا ولا موافقًا لفظا ولا معنى، وأين الثريا من الثرى؛ ولذا قال الفقهاء، رحمهم الله تعالى: لا تكتب فيه البسملة، وأجازها بعضهم مع الكراهة، قال: وهذا فى مدح النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، ونحوه من التوحيد ومنظومات العلوم، أما الهجاء فينبغى أن لا يختلف فى عدم كتابتها فيه كما قاله التلمسانى، **(وما يلتئم)** أى يتيسر ويتفق **(على لسان أحد بعدى أنه شعر)** بفتح همزة أنه أى لا يتم لأحد غيرى أن يقول: إنه شعر؛ لأنه ليس أحد بأعلم بالشعر وأقدر عليه منى، فلو أمكن لأحد أن ينزله على الشعر ويعارضه به كنت فعلت، فحيث لم يتيسر لى لا يتيسر لغيرى، والمراد إبطال كونه سحرًا وكهانة؛ فلذا عقبه بقوله: **(وإنه)** أى النبى،

صلى الله تعالى عليه وسلم، **(لصادق)** فى قوله: إنه كلام معجز من عند الله، **(وإنهم)** أى الكفرة.

(لكاذبون) فى جميع ما قالوه ونسبوه له من الأباطيل، وتتمة الخبر أنه قال لأنيس: هل أنت كاف حتى أنطلق فأنظر؟ قال: نعم، وكن على حذر من أهل مكة، فانطلقت حتى أتيت مكة، فقلت لرجل: أين هذا الذى تدعونه الصابئ، فأشار إليه فمال على أهل الوادى يرجمونى حتى خرجت مغشيًا على، ثم أتيت زمزم فشربت منها وغسلت الدم، ودخلت تحت أستار الكعبة، ولبثت نحوه ثلاثين ليلة، وما لى طعام إلا ماء زمزم، فشبعت وما وجدت جوعًا، فبينما أنا فى ليلة وامرأتان تطوفان وتدعوان إسافا ونائلة، فلما رأيانى ولتا وانطلقتا، فاستقبلهما أبو بكر ورسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، هابطين من الجبل، فقالا: ما لكما؟ قالتا: صابئ بين الكعبة وأستارها، فجاء رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأبو بكر فاستلما الحجر وطافا، ثم صليا فأتيته وحييته بتحية الإسلام، وكنت أول من حياه بها فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فمن أنت؟ قلت: من غفار، فرفع رأسه ثم قال: متى كنت ههنا؟ قلت: منذ ثلاثين ليلة ويومًا، قال: ما كان طعامك؟ قلت: ما كان لى طعام إلا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطنى، فقال: إنها مباركة إنها طعام طعم وشفاء سقم، فقال أبو بكر: يا رسول الله ائذن لى فى طعامك الليلة، فانطلقت معهما حتى فتح أبو بكر بابه، وجعل يفيض لى من زبيب الطائف، فكان ذلك أول طعام أكلت بمكة، ثم أتيت رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: إنى وجهت لأرض ذات نخل ما أحسبها إلا يثرب، فهل أنت تبلغ عنى قومك لعل الله ينفعهم بك ويؤاجرك، فانطلقت حتى أتيت أخى أنيسًا فقال لى: ما صنعت؟ قلت: أسلمت، فقال: ما بى رغبة عن دينك فإنى أسلمت وصدقت، ثم أتيت أمى فقالت مثله، ثم احتملت وأتيت قومى فأسلم نصفهم قبل أن يقدم رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، المدينة، وكان يؤمنا حناف هو سيد قومنا فلما قدم رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، المدينة أسلم بقية قومى، وجاءت أسلم فقالوا: يا رسول الله، نسلم على الذى أسلم عليه إخواننا، فقال رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم: «غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله»، وهذا خبر إسلامه باختصار.

(والأخبار فى هذا) الذى ذكر من اعتراف البلغاء بإعجازه وانقياد من هداه الله تعالى منهم للإيمان به **(صحيحة كثيرة)** مع اختلاف أنواعها ورواياتها.

(والإعجاز) لجميع الخلق بتعجيزهم عن الإتيان بمثله **(بكل واحد من النوعين)** الذين ذكرهما، والنوع الأول منهما **(الإيجاز والبلاغة بذاتها)** إشارة إلى قوله فى أول هذا

الفصل أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب، وحاصله أن إعجازه من نفس جوهر كلامه بكونه فى أعلى طبقات البلاغة والفصاحة بحيث يسلم عن ضعف التأليف وتنافر الحروف والكلمات، وإيجازه، ورعاية معان ووجوه يقتضيها المقام، وتضمن نكات يعجز عنها طاقة البشر منها.

والنوع الثانى ما أشار إليه بقوله: (**أو الأسلوب الغريب بذاته**) يعنى كونه على نمط لا يشبه كلامهم المنظوم ولا المنثور؛ فإنه ليس بشعر ولا سجع ولا خطب، وإن وقع فيه من غير تكلف سجع أحيانا ونظم حتى ذهب الخطيب فى تكملة العمدة أن النظم الواقع فيه مقصود كالأبيات وأشعارها التى تقع فى أثناء الإنشاء نادرًا، ولا يسمى بها الكلام شعرًا لأنه لم يقصد بالذات، وهو قول غريب، وقوله بالذات بمعنى فقط، وتغاير النوعين ظاهر وإن لم يفرق بينهما بعض الشراح، وقال: إن فى النوعين تداخلا إذ لا يتصور كونه أسلوبًا غريبًا دون البلاغة إلى آخر ما ذكره مما لا طائل تحته.

(**إذ كل واحد منها**) بضمير الواحدة المؤنثة الراجع للبلاغة، وفى نسخة: منهما مثنى والضمير للنوعين، وقيل: الأولى أولى، وكل مبتدأ خبره (**نوع أعجاز على التحقيق**) غير محتاج إلى الآخر، ثم بين إعجازه بقوله: (**لم يقدر العرب على الإتيان بواحد منها**)، وفى نسخة منهما كما تقدم (**خارج عن قدرتها**)؛ لأنه (**مباين**) أى مخالف (**لفصاحتها وكلامها**)؛ لما فيه من وجوه البلاغة التى لاتحيط بها قدرهم ولم تألف طباعهم مع انسجامه وعذوبة ألفاظه.

(**وإلى هذا**) القول الدال على أن كل واحد منهما نوع مستقل من الإعجاز كاف فى إثباته (**ذهب غير واحد**) أى جماعة كثيرة (**من أئمة المحققين**) العارفين بالبلاغة ووجوه الإعجاز يعنى أن منهم من قال: بلاغته بأسلوبه الغريب ونظمه العجيب الذى لا يشبه كلام البشر، ولا يطيقه القوى والقدر مع أنه بلغهم وكلماته التى يعرفونها، كما قيل فى معنى الحروف فى أوائل السور نحو «ألم»، و»ألمر»، يعنى أنه كلام مركب من هذه الحروف التى تركب منها كلامهم، فلم يأتوا بمثله.

(**وذهب بعض المقتدى بهم**) اسم مفعول بوزن المصطفى (**إلى أن الإعجاز فى مجموع البلاغة والأسلوب**) لا بكل واحد منهما وحده، (**وأتى على ذلك**) القول الذى اختاره، وضمن أتى معنى استدل، فعداه بعلى (**بقول تمجه**) بضم الميم، وجوز بعضهم فتحها أى ترميه ولا تعتد به (**الأسماع**) بفتح الهمزة جمع سمع بمعنى الاستماع، وبمعنى جارحة السمع، يقال: مج الماء من فيه إذا طرحه، ففيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيه الأذن بالفم، والكلام بالماء فى الرقة والعذوبة وتبريد الحرارة، كما قال بعض أهل العصر:

يكـــاد مـن عـــذوبة الألفـــاظ تشـــربه مســـــامع الحفـــــاظ

وقال الغزى:

وتغيـــر المعتـــاد يحسن بعضـــه للـــورد خـــد بالأنـــوف يقبـــل

(وتنفر عنه القلوب) من النفار وهو الذهاب بسرعة، فكأن القلوب تهرب منـه لعـدم قبولها له، وهو عبارة عن كونه قولا ضعيفًا مردودًا، ولذا قال فى الأول: إنه قول الأئمـة المحققين، وأشار بالمقتدى بهم إلى أن هذا القول له وجه أيضًا ليس كالقول بالصرفة.

(والصحيح ما قدمناه) من أن كل واحد منهما وجه فى الإعجاز كاف فيه، **(والعلـم بهذا كله)** أى العلم بإيجـازه وبلاغتـه وأسـاليبه العجيبـة علـى القولـين **(ضـرورة وقطعًا)** بنصبهما أى من سمعه قطع بما عنده من العلم الضرورى فى أنه فى أعلى طبقات الكلام، أو هو مما يدرك بالذوق ولا يدرك بالوصف كالملاحـة، والطريـق لـه تتبع كـلام البلغـاء وخدمة علم البلاغة الذى يورثه علمًا ضروريًا؛ ولذا قال: **(ومن تفنن فى علـوم البلاغـة)** أى عرف فنونها ومارسها حتى حصل له ملكة يعـرف بـها خـواص الـتراكيب ووجـوه إيرادها فى طرقها المختلفة فى الوضوح وأنواع محاسنها البديعة، وهو من علمـى المعـانى والبيان وتوابعهما.

(وأرهف) أى سن وحدد ودقق من قولهم: أرهف السيف فهو مرهـف إذا سنه ودق حده **(خاطره ولسانه)** أى فكره ونطقه بحيث يسهل عليه تصوره والتعبير عنـه، وأصـل الخاطر المعنى الذى يخطر على القلب الذى هو محل العقل والفهم، ويراد به نفـس الفـهم والعقل، فإرهافه بممارسته حتى يتمكن من علمه، واللسان الجارحة ويراد به نفس الكلام، فشبه ذلك بالسيف المسنون فى سرعة نفوذه ودقته، وأرهف فعل ماض فاعله **(أدب هذه الصناعة)** أى صناعة البلاغـة، وعلـم المعـانى والبيـان، وأدب بـوزن طلـب يكـون بمعنـى الظرف والحسن والعلم، يقال: أدبه فأحسن تأديبه أى علمـه، وأصلـه مـن المأدبـة وهـى الطعام الذى يدعى له كما قيل: الأدب مأدبة ما لأحـد فيـها مأدبـة، ويصـح إرادة كـل واحد هنا وأقربها الأخير، وأما إطلاق الأدب على علمى النظم والنثر فمولـد وإن قـرب من معناه الأصلى، وأصل الصناعة معرفة ما يزاول بالجوارح كالخياطة ثم شاع فى معنى العلم **(لم يخف عليه ما قلنا)** أى جميع ما تقدم، وأن كلا منهما نوع مستقل.

(وقد اختلف أئمة أهل السنة فى وجه عجزهم عنه)، أى فى سببه ومنشأه الذى يوجه عجز الفصحاء عن معارضته، **(فأكثرهم يقول)** أى قال وعـبر بـه لحكايـة الحـال الماضيـة حتى كأنها حاضرة: **(إنه)** وجه إعجازه ناش **(مما جمع فى قـوة جزالتـه)** الجزالـة الغلظـة

والصلابة والقوة يقال: حطب جزل، ثم يطلق على الكثرة فيقال: عطاؤه جزيل، فاستعير هنا لإحكام نظمه وعدم ركاكته، وأضاف إليه القوة إشارة إلى أنه فى أعلى مراتب الإحكام حتى لايتطرق إليه خلل أصلا، ولايختلف نظمه.

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ولاحاجة لتفسيره بالقوة، ويقال: للقوة قوة، ويصح إضافتها إليها.

(ونصاعة ألفاظه) بفتح النون والصاد والعين المهملتين أى وضوحها وخلوصها، ومنه أبيض ناصع، وقيل: الجزالة القطع، ومنه القضاء الجزل أى القاطع للشك، ونصاعته بياضه، وهو تكلف لاداعى إليه، وكونه إشارة إلى المحسنات البديعة لاوجه له.

(وحسن نظمه وإيجازه) لسلاسته وانسجامه، **(وبديع تأليفه)** وتراكيب كلماته المؤتلفة المتواخية، **(وأسلوبه)** طريق بلاغته أى لايسلكها كلام غيره، وقوله: مما جمع مقدم من تأخير متعلق بقوله: **(لايصح أن يكون فى مقدور البشر)** مقدور اسم مفعول، أو مصدر على وزن مفعول بمعنى القدرة، أى لايمكنهم القدرة على مثله لما جمعه مما لا تطيقه قدرتهم، **(وأنه من باب الخوارق)** أى من جنسها ونوعها. يقال: هذا من باب هذا وبابته أى من جنسه **(الممتنعة عن أقدار الخلق عليها)** أى التى لايقدرون عليها، كأنها امتنعت منهم وأبت مطاوعتهم، وهو من بليغ الكلام.

(كإحياء الموتى) بفتح الميم جمع ميت، وهذا مما وقع لعيسى، عليه الصلاة و السلام، وإبراهيم الخليل، صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وقلب العصا)** حية كما وقع لموسى، عليه الصلاة والسلام، وسيفًا حديدًا كما وقع لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم، وأطلقه المصنف، رحمه الله تعالى ليشملهما، فيكون فيه ذكر لمعجزة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو المناسب لقوله :**(وتسبيح الحصا)** فى كفه، صلى الله تعالى عليه وسلم، كما ثبت فى معجزاته.

ثم ذكر مذهبا آخر فقال: **(وذهب الشيخ أبوالحسن)** الأشعرى إمام أهل السنة، وقد تقدم بعض من ترجمته **(إلى أنه)** أى القرآن المعجز **(مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر)**، أنه فرد من أفراد الكلام البليغ داخل فيه مندرج فى جنسه، ومثله قولهم: الحيوان جنس تحته الإنسان والفرس، وهو تجوز معروف، **(ويقدرهم الله عليه)** عطف تفسير لما قبله على مذهبه من خلق الأفعال، **(ولكنه لم يكن هذا)** فيما مضى، **(ولا يكون)** فى الحال والمستقبل، **(فمنعهم الله عن هذا)** أى عن معارضته والإتيان بمثله، وهذا هو القول بالصرفة، وفيه اختلاف أيضًا، فقيل: معناه أن فيهم قدرة على التكلم بمثله، وعندهم علم

بوجوه البلاغة وأساليبها حالة التحدى، لكن الله صرف دواعيهم عن ذلك مع توفر أسبابها من التقريع والتبكيت وتكرير الطلب، وهو قول النظام والأستاذ من أهل السنة، وقيل: بل سلبهم الله عند التحدى القدرة والعلم بعلوم البلاغة، فإذا أرادوا ذلك لم يقدروا عليه، وتسمية التحدى صرفة بحسب ظاهر حالهم وما علم من اقتدارهم، وهذا مذهب المرتضى علم الهدى من الشيعة، ونقل عن الأشعرى إلا أنه لم يشتهر عنه، وكلام المصنف محتمل للوجهين، فإن قلنا: هذا إشارة إلى الإتيان بمثله فهو المذهب الأول، وإن قلنا: الاقتدار فهو الثانى، وحمله بعضهم على الثانى، وقال: يحتمل أن يكون المراد بأبى الحسن رجل آخر غير الأشعرى، ولا حاجة لمثله من التكلف.

(وعلى الطريقتين) بل الطرق من إعجازه ببلاغته وأسلوبه والصرفة، **(فعجز العرب عنه ثابت)** محقق مع كمال بلاغتهم، وفرط تهالكهم، ونفخ عنادهم لإطفاء نوره، وما زاده إلا اشتعالا وإضاءة.

(وإقامة الحجة عليهم) بتكليفهم بأقل قليل منه **(بما يصح)** أى يمكن وينبغى، فإنه ورد بهذا المعنى فى اللغة **(أن يكون فى مقدورهم)** على مذهب الأشعرى، **(وتحديهم)** مصدر مضاف لمفعوله، أى طلب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، من العرب الفصحاء **(أن يأتوا بمثله)** أى مثل القرآن فى البلاغة، وعجز العرب مبتدأ خبره ثابت وإقامة مبتدأ خبره **(قاطع)** بعجزهم عما لاريب فيه.

(وهو) أى ما ذكر أو التحدى بما هو مقدورهم **(أبلغ فى التعجيز)** بغيره مما لا يقدرون كإحياء الموتى، **(و أحرى)** أفعل تفضيل بحاء وراء مهملتين بمعنى أحق وأولى **(بالتقريع)** وهو التوبيخ والتعيير، من القرع بالحصا وهو الضرب، **(والاحتجاج بمجىء بشر مثلهم)** من جنسهم وأهل لغتهم **(بشىء ليس من قدرة البشر لازم)** على القول الأول من إعجازه بمادته وصورته.

(وهو) أى المذكور من عدم قدرتهم **(أبهر آية)** أى أظهرها وأغلبها لسائر الآيات الباهرة؛ لارتفاع شأنه وعلوه فى مرتبة لا يدنو منها كلام بليغ كما مر تفصيله، **(وأقمع دلالة)** بالنصب على التمييز والجر على الإضافة، والدلالة بكسر الدال مصدر أو بمعنى الدليل، وأقمع من قمعه إذا قهره وردعه وأذله بعجزهم عن معارضته.

(وعلى كل حال) من الأحوال السابقة أى سواء قلنا بأنه معجز ببلاغته، أو بالصرف عن معارضته، فقد عجزوا، **(فما أتوا فى ذلك بمقال)** أى لم يسمع منهم كلام عارضوه به، ولو صدر منهم ذلك شاع وذاع، **(بل صبروا على الجلاء)** بفتح الجيم والمد، وهو

ترك الوطن والمال، **(والقتل)** لفرط عنادهم وعدم انقيادهم، **(وتجرعوا)** أى شربوا جرعة بعد جرعة **(كأسات)** جمع كأس، وهو ما يشرب به الخمر ونفس الخمر **(الصغار والذل)** بفتح الصاد المهملة وهو المذلة، فالعطف تفسيرى، وفيه استعارة تصريحية أو مكنية أى صبروا على التحقير والإهانة وتجرعوا غصصها.

(وكانوا من شموخ الآنُف) بفتح الهمزة والمد وضم النون جمع أنف كذا ضبطوه، ويجوز فتح الهمزة وسكون النون بالإفراد، والشموخ بضم الشين المعجمة مصدر شمخ إذا ارتفع، وهو كناية عن غاية التكبر، والجملة حالية بتقدير قد **(وإباءه الضيم)** بكسر الهمزة والموحدة والمد مصدر أبى إذا امتنع مما يكرهه، والضيم الذل والتحقير **(بحيث لا يؤثرون)** بالمثلثة أى لا يرضون **(ذلك)** أى الذل والضيم **(اختيارًا)** أى باختيارهم وعدم جبرهم وقهرهم، **(ولا يرضونه إلا اضطرارًا)** أى قسرًا وإلجاء، وهو عطف تفسير لما قبله، ونصبهما على التمييز أو المفعول المطلق.

(وإلا) مركب من إن الشرطية ولا النافية، أى وإن لم يكن الأمر كما ذكر، **(فالمعارضة)** للقرآن بالإتيان بما يماثله **(لو كانت من قدرهم)** بضم القاف وفتح الدال المهملة جمع قدرة، أى لو كانت المعارضة مقدورة لهم، **(والشغل بها أهون عليهم)** جملة حالية أى اشتغالهم بمعارضته أسهل عليهم من الصبر على ما ذكر، **(و أسرع بالنجح)** بضم النون وسكون الجيم وحاء مهملة، وهو الظفر والفوز بمطلوبهم، وهو إبطال الحجة عليهم.

(وقطع العذر) أى قطع ما اعتذروا به عن عدم المعارضة من الأعذار الفاسدة، **(وإفحام الخصم)** أى إسكاته عما قرعهم به **(لديهم)** أى عندهم، وهو متعلق بجميع ما قبله من أهون وأسرع وقطع وإفحام.

(وهم من هم قدرة) تمييز، والجملة حالية، وليس قدرة حال بمعنى مقتدرين كما قيل لتكلفه، وهم مبتدأ أول، ومن استفهامية وهم الثانى خبره أو بالعكس على المذهبين، والجملة خبرهم، أى وهم أى شيء هم، أى أمر عظيم لا يقدر قدره ولا يعلم كنهه، وهو أبلغ المدح كقولهم: زيد وما زيد كقوله تعالى: ﴿ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٢]، وهو مشهور كما فى كلام العرب والعجم، وقد يقال: هم هم بدون من، أى هم القوم المعروفون بالبلاغة وشهامة النفس وإباءة الضيم الذين لا يعادلهم فيه أحد، فناهيك بما أوقعهم فى حضيض الذل ومزقهم الصبا والدبور أيدى سبا **(على الكلام)** متعلق بقدرة.

(وقدوة) أى مقتدى بهم، وهو منصوب رواية ودراية معطوف على قدرة **(فى المعرفة به)**، أى بمعرفة الكلام وصياغته؛ لسلامة فطرتهم وصفاء قريحتهم؛ **(لجميع الأنام)** متعلق بقدوة، وأتى به للقافية، أى هم فى كل ذلك أئمة مقتدى بهم لا تبعا لغيرهم، فكيف عجوزا ورضوا بما رضوا، ثم إنه لما ذكر شمم أنفهم وتكبرهم ربما توهم متوهم أن تركهم للمعارضة؛ لعدم تنزلهم وعدم مبالاتهم فدفعه بقول: **(وما منعهم)** أحد **(إلا من جهد)** ماض بزنة ضرب، فالاستثناء مفرغ من عام مقدر.

(جهده) بفتح الجيم وضمها الطاقة والمشقة، وقيل: الجهد بالفتح المشقة وبالضم الوسع، وقيل: الجهد بالضم ما يجهد الإنسان فيه أى يجتهد فيه ويتعب نفسه، كقوله تعالى: ﴿لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، فالمعنى أنهم بذلوا ما عندهم فى الطلب، فلم يقدروا على شيء منه، **(واستنفد ما عنده)** بالدال المهملة، أى استفرغ ما فى طاقته وقوته **(فى إخفاء ظهوره)** أى القرآن أو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وإطفاء نوره) ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون، **(فما جلوا)**، أى أظهروا من جلاء العروس على المنصة بزينتها؛ لذكر البنات بعده **(فى ذلك)**، أى ما اجتهدوا فيه وحاولوه **(خبيئة)** بفتح الخاء المعجمة وكسر الباء الموحدة وسكون المثناة التحتية والهمزة والهاء فعيلة بمعنى مفعولة، أى مخبأة فى ضمائرهم ومستورة خلف أستار سرائرهم **(من بنات شفاههم)**، أى كلمة يتلفظون بها شبهت بالبنت، والشفة بالأم لظهورها منها، وهى استعارة مشهورة مكنية أو مصرحة.

(ولا أتوا بنطفة) بضم النون وسكون الطاء المهملة والفاء، وهى الماء الصافى من نطف بمعنى صب، والناطف السائل، والمراد القطرة القليلة، وفى بعض النسخ نقطة بالقاف مقدمة على الطاء، وتسمى اللؤلؤة نطفة أيضًا كما قاله الراغب.

والنطفة تطلق على قليل الماء وعلى كثيره كما جاء فى الحديث: **(فجاء رجل بنطفة فى إداوة)**، وهو المراد هنا **(من معين مياههم)**، المعين الماء الجارى ظاهرًا، والميم زائدة من العين، وقيل: إنها أصلية من معن بمعنى سار فى الأرض، ومياه جمع ماء، أصله موه، أى لم يقدروا على شيء مما طلب منهم، وهو استعارة مصرحة مرشحة أو مكنية، أى مع ماهم من موارد فصاحتهم وجارى كلامهم، لم يجدوا قطرة من عذب قطرته **(مع طول الأمد)**، أى اتساع زمن التحدى.

(وكثرة العدد) من فصحائهم، **(وتظاهر)**، أى تعاون ومساعدة **(الوالد وما ولد)**، أى الكبير والصغير، وهذا دفع للشبه وإزالة الأعذار إذ لو ضاق الزمان وقل الإخوان كان

لهم معذرة ما، **(بل أبلسوا)** بالبناء للفاعل وفتح الهمزة، يقال: أبلس إذا أيس، قيل: ومنه إبليس ليأسه من رحمة الله تعالى، ولو كان اسمه عزازيل، ويكون بمعنى الانكسار والحزن والمراد الأول، **(فما نبسوا)** بنون وباء موحدة مفتوحة مخففة وورد تشديدها كما فى قوله:

إن كنت غير صائد فنبس

ومعناه نطقوا، قيل: هو مختص بالنفى وأورد البيت المذكور، وقد يقال: المخصوص بالنفى المخفف فتدبر، **(ومنعوا)** بالبناء للمجهول **(فانقطعوا)** عن المعارضة؛ لعجزهم، وقد يقال: هذا إشارة إلى القولين، فأبلسوا فما نبسوا يشير لعجز طاقتهم عن بلاغته، ومنعوا أى منعهم الله إيماء للصرفة.

وفى الإرشاد لإمام الحرمين، فإن قيل: إن العرب لم تترك المعارضة للعجز، بل لعدم الاكترات به.

قيل: هذا ركيك من القول لا يخطر ببال عاقل، وقد كانوا إذا قال شاعر شعرًا فى حقهم هاموا المعارضة، فكيف وقد وبخوا أشد توبيخ، وحقرت أصنامهم، وسفهت أحلامهم، وقوتلوا حتى نكست أعلامهم، وقد مر ما نبهناك عليه من إشارة المصنف، رحمه الله تعالى، لهذا وجوابه، والإضراب لتوكيد نفى المعارضة، كما يقال: ما تكلم زيد بل سكت عجزًا.

(فهذا نوعان من إعجازه) الإشارة إلى إعجازه بنفس كلامه وخواص تراكيبه وبصورة نظمه وأسلوبه، ولم يلتفت للصرفة لضعف القول بها عنده كما تقدم، فإنهم أفسدوه بأن قوله: ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ﴾ [الإسراء: ٨٨]، إلخ دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرتهم، ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم؛ لأنه حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى، وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع أن الإجماع منعقد على إضافة الإعجاز للقرآن، والقول بالصرفة يلزمه إضافته إلى الله تعالى لا إلى القرآن، وحينئذ يلزمه زوال الإعجاز بزوال زمان التحدى، وفيه خرق لإجماع الأمة إذ معجزة الرسول العظمى باقية، ولا معجزة له باقية أظهر من القرآن، ويلزم الصرفة أيضًا أنه لا فضيلة للقرآن على غيره.

فإن قلت: القول بعجزهم مع بقاء قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين، وهو محال.

قلت: معنى قدرتهم أن هممهم توجهت إلى المحاكات لظنها القدرة عليها، فعجزت، وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا لمعارضته أصلا؛ لقطعهم من نفوسهم بعجزها، وأنه لا

قدرة لها عليه ألبتة.

فإن قلت: توجه الهمم إليها مع العجز عنها فى نفس الأمر لا يسمى قدرة.

قلت: ممنوع بل تسمى قدرة باعتبار العرف، وقطع النظر عن الغايات، ولا شك فى أن أهل البلاغة لا يقطعون سبب القدرة عن المحاكات ابتداء، بل بعد الاختبار فتأمله؛ لتعلم سقوط ما قيل: كيف يخاطبون بالتحدى مع القطع بعجزهم عنه؟ ونظير ذلك خطاب الله من علم منه عدم الإيمان، والإيمان كأبى جهل وأبى لهب نظرًا لقدرتهما عليه باعتبار الظاهر وإعراضًا عن النظر للغايات.

* * *

(فصل)

(**الوجه الثالث من وجوه الإعجاز**) أى إعجاز القرآن الكريم بوجه آخر غير الوجهين السالفين، أو غير الوجوه الثلاثة (**ما انطوى عليه**) أى اشتمل عليه ووقع فى ضمنه (**من الإخبار**) بكسر الهمزة مصدر (**بالمغيبات**) بفتح الياء المثناة التحتية المشددة جمع غيب أو مغيبة اسم مفعول، وهو شامل لما سبق مما لم يدركه هو ولا أهل عصره، وما سيقع بعد ذلك مما لا يعلمه إلا الله، والمراد هنا الثانى؛ لأن الأول يمكن الوقوف عليه؛ فلذا عطف عليه قوله: (**وما لم يكن ولم يقع**)، فمن فسره بما كان ووقع من القرون الماضية بناء على أن الأصل فى العطف التغاير، فقد خالف كلامه الآتى من جميع ما مثل به، وإن كان صحيحًا فى نفسه لاندارجه فيها.

(**فوجد**) بعد ذلك مطابقًا لخبره ومصدقًا له، وعبر عنه بالماضى وإن كان مستقبلاً بالنسبة لما قبله (**على الوجه الذى أخبر**) به فى هذه الآية، (**كقوله تعالى**) فى سورة الفتح: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧]، اللام داخلة على جواب قسم مقدر للتأكيد والتحقيق ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الفتح: ٢٧]، علقه بالمشيئة مع تحققه تعليمًا للعباد، أو تلويحًا بعدم دخول بعضهم لموته أو غيبته، أو حكاية لما قاله ملك الرؤيا أو النبى ﷺ، ﴿ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، حال من فاعل لتدخلن، والشرط اعتراض؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم، رأى وهو بالمدينة قبل عام الحديبية أنه دخله مع أصحابه وأخبرهم بذلك، فظنوه أنه فى ذلك العام، فلما صدهم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك، فأخبرهم الله بأنه سيقع بعد ذلك وكان كما أخبر.

(**وقوله تعالى:** ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾) [الروم: ٣]، فأخبر الله تعالى أن الروم تغلب فارس بعد مدة أقل من عشرين سنة، وكان كما أخبر الله به فى كتابه،

وذلك أن الروم كانوا أهل كتاب، وفارس لا كتاب لهم كالمشركين، فكان المشركون كلما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس ويفرحون بذلك تفاؤلاً بغلبتهم للمسلمين، فبعث كسرى جيشًا إلى الروم فالتقيا بأذرعات وبصرى، فغلبت فارس الروم ففرح المشركون، وشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأخبر أبو بكر، رضى الله تعالى عنه، المشركين بذلك، وقال: ستظهر الروم على فارس فلا تفرحوا، وقد أخبر الله تعالى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم، بذلك، فقال له أمية بن خلف: كذبت، فقال: بل أنت كذبت يا عدو الله، فقال: اجعل بينى وبينك أجلاً على عشر قلائص يأخذها الصادق منا فراهنه على ذلك لثلاث سنين، وأخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال له: مد الأجل وزد فى الرهان، فإن الله قال فى بضع سنين: وهى من الثلاث إلى التسع، فجعل القلائص مائة إلى تسع سنين ففعل، فوقع ذلك بعد سبع سنين، فأخذ القلائص أبو بكر، رضى الله عنه، فقال له ﷺ: «تصدق بها، وكان هذا قبل تحريم القمار، وإنما أمره بالتصدق بها؛ لأنه قد علم خبثها؛ لأنه ستحرم، أو شكرًا لله على تصديق مقالته وتكذيب مقالتهم.

(وقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾) [الفتح: ٢٨]، هذا وعد من الله تعالى بأن دين رسول الله سيظهر ويغلب سائر الأديان، وتقهر أمته صلى الله تعالى عليه وسلم، جميع الأمم، فإن العزة لله ولرسوله، وكان كما قال من غير شبهة، وكم شاهدنا من تأييد الله لجنده ونصرهم مع ما للكفرة من الكثرة فى المال والجند.

(وقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ [النور: ٥٥] الآية)، أى ليجعلنهم خلفاء فى أرضه مالكين لها منصورين على أعدائهم، وهذه الآية وإن كانت عامة المراد بها: غلبة المسلمين لأهل الردة فى خلافة أبى بكر الصديق، رضى الله تعالى عنه.

(وقوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [النصر: ١]، إلى آخرها)، أى إلى آخر السورة، وهذه الآية، وإن كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة ناعية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ولما نزلت وتلاها رسول الله ﷺ عليهم بكى العباس، رضى الله عنه، فقال: ما يبكيك يا عم؟ فقال: نعيت إليك نفسك، فقال: إنه كما تقول، وعبر بالمجىء إيماء إلى أن المقدرات متوجهة من الأزل إلى أوقاتها المعينة لها مترقبة القدوم، وفيه من البلاغة ما لا يخفى، ثم أشار إلى تفسير ما ذكر بقوله: **(فكان جميع هذا كما قال)** الله عز وجل مطابقًا لما أخبر به، والإشارة إلى ما تقدم من المغيبات المخبر بها، وكان بمعنى تحقق ووقع بعد الإخبار به، ثم فصله على اللف والنشر، بقوله: **(فغلبت الروم)** وهم

جيل من الناس معلومون (**فارس**)، وهم الفرس، أي قوم العجم، ويطلق على بلادهم أيضًا، وهو لفظ معرب، فإن أريد الثاني قدر أهل، وقد تقدم بيانه وهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث (**في بضع سنين**) أي سبع سنين كما مر، أي في رأس سبع سنين وآخرها، والرأس يطلق على ذلك مع الزمان، ويكون بمعنى الأول أيضًا، (**ودخل الناس في الإسلام أفواجًا**)، أي جماعات كثيرة بعد جماعات كثيرة، وفوجًا بعد فوج لما أعز الله الدين ونشر أعلامه في الخافقين، وهذا إشارة لما في سورة النصر السالفة.

(**فما مات النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام، واستخلف الله المؤمنين في الأرض**) أي جعلهم خلفاء لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بعده، وأخر هذه الآية عن ذكر سورة النصر؛ لأن الاستخلاف وقع بعد ذلك الدخول، وإن تقدمت فيما ذكر قبله، وهذا مبني على عموم الذين آمنوا في قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [النور: ٥٥]، الآية لجميع الأمة، وعدم اختصاصها بأبي بكر الصديق، رضي الله تعالى عنه، كما تقدم.

(**ومكن فيها**) أي في الأرض (**دينهم**)، وهو دين الإسلام، أي جعله متمكنًا قارًا لا يزول إلى يوم القيامة، يقال: مكنته ومكنت له فتمكن، وهو في الأصل التمكن من المكان.

(**وملكهم إياها**) أي الأرض لأن أشرف المعمور منها في أيديهم، وباقيها في انقياد لهم، فهم بالقوة كالمالكين لها، أو أنه باعتبار ما سيكون بعد نزول عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، إلى الأرض على دينه معدودًا من أمته صلى الله تعالى عليه وسلم، ولذا قال: (**من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب**)، أي أبعد مكان من جانب المشرق إلى أبعده من جانب المغرب، وقدم المشارق اقتداء بالكتاب والسنة أو لشرفه؛ لأنه محل الرسل، وفيه الأراضي المقدسة، وقد وقع للأدباء مفاخرة بينهما، فقال محيي الدين بن سحنون:

من أين للغرب فضل ... إلا لمن يتغالى
والشمس تفقد فيه ... والبدر يلغى هلالا
دلائل النقص فيه ... فكيف يحوى الكمالا

وقال:

فلا تبخس الشرق حقا وخذ ... من الوصف فيه على ما اتفق
مهب الصبا ومفيد الضياء ... ووجه الزمان وثغر الفلق

وعارضه الوداعي، رحمه الله تعالى، فقال:

الغـرب خـير وعنـد سـاكنه أمانـة أوجبـت تقدمـه
والشـرق مـن نيريـه عندهـم يـودع دينـاره ودرهمـه

ثم أنصف من قال:

حـوى كـل من الأفقـين فضـلا يقربـه الغبـى مـع النبيـه
فهـذا مطلـع الأنـوار منـه وهـذا منبـع الإيـواء فيـه

وهذه لمحة أدبية ونفحة مسكية أحمضنا بها.

(كما قال، عليه الصلاة والسلام)، فى حديث صحيح رواه مسلم عن ثوبان، رضى الله تعالى عنه: **(زويت لى الأرض)** بزاء معجمة وواو وياء مبنى للمجهول، أى جمعت وطويت، **(فأريت)** مبنى للمجهول من المزيد، أى أرانى الله **(مشارقها ومغاربها)**، أى جميع أماكنها وبلدانها، **(وسيبلغ ملك)** بضم الميم **(أمتى ما زوى لى منها)**، وجمع بمرأى عينى، وما زوى منها هو المشارق والمغارب السالفة، وتوهم بعضهم أنه غيره، وأن أول الحديث مخالف لآخره، ثم جمع بينهما بأن المراد بما زوى المعمور منها، وما من شأنه أن يملك، فكأنه قال: جميعها، وفيه ما لا يخفى، وقدم المصنف، رحمه الله تعالى، خبر الله على الحديث رعاية للأدب بتقديم الأصل الأشرف.

(وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ **)** [الحجر: ٩]، فأخبر بأنه تعالى تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير فى سائر الزمان بدلالة الاسمية المؤكدة، **(فكان كذلك)** فى المستقبل كما أخبر، فلا مبدل لكلماته بخلاف سائر الكتب، فإنه تعالى وكل حفظها للأمم المنزلة عليهم، فقال: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]، أى طلب حفظه منهم، فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صارت لا يوثق بما نقل منها، والمراد بالذكر القرآن **(لا يكاد يعد)** بالبناء للمجهول، أى لا يعد لكثرته.

(من سعى)، أى اجتهد **(فى تغييره وتبديل محكمه)**، ويكاد بمعنى يقرب، ونفى القرب من العدد أبلغ من نفى العدد، وقال: تبديل محكمه دون تبديله إرشادًا للمانع من تبديله، وقوله: **(من الملحدة)** بيان لمن أى من الطائفة الملحدة من الإلحاد وهو الميل كما مر؛ سموا بذلك لعدولهم عن ظواهر الشريعة وتأويلها بأمور سخيفة، ويسمون باطنية وهم الإسماعيلية، وزعم بعضهم أن مصحف عثمان، رضى الله تعالى عنه، نقص منه بعض القرآن كما ذكره القرطبى فى أول تفسيره.

(والمعطلة) الذين نفوا الصانع وتستروا بزى الإسلام خوفًا من القتل، وسعوا فى نقض الدين وتزيين ما يروج على بعض العقول القاصرة.

(لاسيما القرامطة) هم طائفة من الملحدين أيضًا، قال السمعانى فى الأنساب: القرمطى بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم والطاء المهملة نسبة لطائفة خبيثة، وهم من أهل هجر والحسا، وأصلهم رجل من سواد الكوفة يقال له: قرمط، وقيل: حمدان ابن قرمط، وسبب ظهورهم أن جماعة من أولاد بهرام جور ذكروا آباءهم وجدودهم وما كانوا فيه من العز والملك، وزوال ذلك بدولة الإسلام فى أيام أبى مسلم الخراسانى، ونقله الخلافة المروانية، وهو من الموالى، وهم من أولاد الملوك، فاتفقوا على رفع الإسلام وقالوا: ينبغى أن نفرقهم ونفسد الرعايا عليهم، فقسموا الدنيا أربعة أقسام لكل ربع رجل منهم، واحد ذهب إلى الكوفة فأول من أجابه حماد بن قرمط، فأعانه على الدعوة، وقيل: إنما سموا قرامطة؛ لأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، رأى عامرًا يمشى، وهو من أهل المدينة، فقال: إنه ليقرمط فى مشيه، انتهى.

أى يقارب خطاه، ومنه الخط المقرمط، وعلى هذا فهو عربى، وقيل: إنه معرب وأن جدهم كان يسمى كرمد فغيروه وعربوه، وكان رجلاً أحمر العينين من سواد الكوفة، فالكاف عجمية فى الأصل من الكرمية، وهى الحرارة.

وكان ظهوره فى سنة ثمان وسبعين ومائتين، فلم يزل يظهر الصلاح حتى اجتمع عليه الخلق، فزعم أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، بشر به، وأنه الإمام المنتظر، فابتدع مقالات وزعم أنه انتقل إليه كلمة المسيح، وجعل الصلاة ركعتين بعد الصبح، وركعتين بعد المغرب، والصوم يومين بالنيروز والمهرجان، فكانت له وقائع وحروب ودعاة وخلفاء مذكورة فى التواريخ حتى ظهر منهم سليمان بن الحسن الجبائى، فعاث فى البلاد وأفسد، وقصد مكة فدخلها يوم التروية سنة سبع عشرة وثلاثمائة فى خلافة المقتدر، فقتل الحجاج ورماهم بزمزم، وقلع باب الكعبة وأخذ كسوتها وأخذ الحجر الأسود، فبقى عندهم سنين، ثم ردوه مكسورًا فنصب فى محله، وقد كان بذلهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا، ولم يزالوا كذلك حتى أخذوا الشام وغيرها حتى قاتلهم جوهر القائد فهزمهم، وقتل منهم خلقًا كثيرًا، وكانت مدة خروجهم ستًا وثمانين سنة، وكانوا يحرفون القرآن ويتأولونه بتأويلات فاسدة لم تقبلها العقول، وما بعد سيما تجوز فيه وجوه الإعراب الثلاثة كما تقدم بيانه.

(فأجمعوا كيدهم) بقطع الهمزة، والمراد بالكيد الحيلة والمكر فى تحريف القرآن، **(وحولهم وقوتهم)**، أى أعملوا حيلهم وبذلوا قوتهم وقدرتهم فى أن يحرفوا القرآن **(اليوم)** منصوب على الظرفية، قيل: بتقدير أعد اليوم، أو بنزع الخافض أى إلى هذا اليوم، والمراد مطلق الزمان والوقت الحاضر فى زمن المصنف **(نيفا)** بكسر الياء المشددة

وسكونها بعد نون مفتوحة، ومعناه الزيادة أى مدة تزيد **(على خمسمائة عام)**، وهى مدة سعى هؤلاء فيما ذكر.

(فما قدروا) فى هذه المدة الطويلة **(على إطفاء شىء من نوره)** تمثيل لحالهم فى سعيهم فى تحريف القرآن بمن أراد إطفاء نور عظيم منتشر فى الآفاق، **(ولا على تغيير كلمة من كلامه)** تفسير لما قبله بجعل كلام الله نورًا، **(ولا تشكيك المسلمين فى حرف من حروفه)** فضلاً عن كلمة من كلامه فهو ترق، **(والحمد لله)** على هذه المنة العظيمة، وهى حفظ الله تعالى لكلامه وبقاء رونق نظامه، وخيبة سعى من سعى فى إطفائه وافتضاح جهلة أعدائه.

(ومنه)، أى مما أخبر به من المغيبات المعجزة **(قوله)**، عز وجل: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، نزلت بمكة، فلم يدر الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، ما المراد بها حتى كان يوم بدر بعد سبع سنين من نزولها، فلبس صلى الله تعالى عليه وسلم، درعه وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، قال ابن عمر، رضى الله تعالى عنهما: فعلمت المراد منها، أى سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين أدبارهم، أى يجعلون المسلمين متولين على أدبارهم بالطعن والضرب، فعبر عن شدة انهزامهم بأبلغ عبارة، ففيها إعجاز لفظًا ومعنى.

(وقوله: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤] الآية)، أى ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]، وفيها من الإخبار عن الغيب أن ناسًا من اليمن وبنى خزاعة أسلموا وبقوا بمكة بعد الهجرة، فلقوا من المشركين أذى شديدًا، فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: «اصبروا وأبشروا بفرج قريب»، فنزلت هذه الآية، فكان بعدها ما أوقع الله تعالى بهم من القتل ونصرة المؤمنين التى شفيت بها صدورهم وخرابهم بالسبى والجلاء وسلب نعمهم.

(وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ﴾ الآية) [التوبة: ٣٣]، فيها إخبار بالغيب من ظهور دينه على سائر الأديان على رغم أنفهم، وقد تقدم الكلام على هذه الآية.

(وقوله: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾) [آل عمران: ١١١]، أى لا يقدرون عليكم إلا بأذية يسيرة كالطعن فيهن وتهديدهم، ﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ﴾ [آل عمران: ١١١] الآية، أى ﴿يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١]، فأخبر أنهم كلما قاتلونا

غلبوا، وكانت عاقبة النصر لنا عليهم، والأمور بخواتيمها، والحرب سجال، **(فكان كل ذلك)**، أى وقع كل ما أخبر الله تعالى به قبل على طبق خبره من هزيمة جموعهم، وتعذيبهم بما يشفى صدور المؤمنين، وإظهار دينه، وتولية الدبر كل من قاتل منهم.

(و) مما فى القرآن من المغيبات **(ما فيه)** أى القرآن **(من كشف أسرار المنافقين)**، أى إظهار ما أخفاه المنافقون فى قلوبهم مما لا يعلمه إلا الله تعالى مما أنزله فى حقهم فى سورة المنافقين، **(و)** كشف أسرار **(اليهود ومقالهم)**، أى إظهار ما قالوه فيما بينهم، وهم يظنون أنه لايشعر به غيرهم.

(وكذبهم فى حلفهم) أى كذب المنافقين وقسمهم عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، على مقالتهم أنها صادقة، والله يعلم إنهم لكاذبون كما ذكر فى سورة المنافقين، ومثله كثير فى القرآن.

(وتقريعهم بذلك)، أى توبيخ الله تعالى لهم بسبب ما قالوه وحلفهم بأيمان فاجرة، ثم مثل لما ذكر فقال: **(كقوله)** عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ [المجادلة: ٨]، أى قول اليهود فيما بينهم وفى خلوة تناجيهم ﴿لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ [المجادلة: ٨]، أى هلا يعذبنا الله بقولنا فى حق محمد لو كان نبيًا دعا علينا حتى نعذب، أو بما كانوا يقولون هم والمنافقون فيما بينهم فى حق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، والمسلمين، فأخبر الله تعالى بذلك وفضح سرائرهم، وزاد بقوله: ﴿حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨].

(وقوله تعالى: ﴿يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ﴾ الآية) [آل عمران: ١٥٤]، يعنى: أنهم يسرون فى ضمائرهم غير ما يظهرونه لك إذا أتوك، وهذا بيان لحال المنافقين ومكرهم، والذى أخفوه قولهم يوم أحد، وقد غشيهم النعاس، ولم يكن لهم هَمٌّ غير تخليص أنفسهم من القتل، وقال بعضهم لبعض فى خلوة من المؤمنين: ﴿لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآية، فأعلم الله رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، بذلك، فأخبرهم بما قالوه وهو من جملة المغيبات.

(وقوله) عز وجل: **(﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ الآية)** [المائدة: ٤١]، أى ﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ [المائدة: ٤١].

(وقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ﴾) [النساء: ٤٦]، دعا عليهم بالصمم أو

بالموت، أو لا نسمع ما دعينا إليه، فأخبره الله تعالى بتحريفهم كتابهم ومقالتهم وعدم إطاعتهم، وهو من الإخبار بالغيب الدال على إعجاز القرآن، وهذا فى حق اليهود، وفى الآية كلام مفصل فى التفاسير واحتمالات أخر ووجوه من الإعراب ليس هذا محل تفصيلها.

وقوله فى هذه الآية: ﴿وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنًا فِى ٱلدِّينِۚ﴾، أى بالتكذيب والاستهزاء والسخرية، فهذا إخبار بالغيب عما كان اليهود يقصدونه من التحقير ويبرزون سبه فى صورة التوقير، فيقولون: راعنا وصفًا له صلى الله تعالى عليه وسلم، بالرعونة موهمين التماس نظره ورعايته لهم مكرًا منهم وليا بألسنتهم وكلامهم.

(وقد قال) الله تعالى حال كونه **(مبينا)** بالياء أى مظهرًا **(ما قدره الله)** وقضى به **(واعتقده المؤمنون)** من الظفر بإحدى الطائفتين العير أو النفير **(يوم بدر)**، أى فى وقعتها؛ لأن اليوم يطلق على ذلك فى قولهم: أيام العرب كما تقدم، وهو من المغيبات التى أخبرهم بها بقوله: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ﴾ [الأنفال: ٧]، بدل مما قبله، ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ﴾ [الأنفال: ٧]، الشوكة مستعارة من الشوك المعروف للقوة والحدة بكثرة السلاح والرجال، ومنه شاكى وشاك السلاح للرجل المستعد للحرب بآلاته، وهذا إخبار للمؤمنين بأمر وقع فى أنفسهم ودوه وأحبوه، وهو مغيب على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، أعلمه به جبريل، عليه الصلاة والسلام، فلما تلاه عليهم زاد إيمانهم بإعجاز القرآن، وذلك أن المسلمين لما علموا بقدوم عير المشركين بما لهم من التجارة، وأحبوا الخروج إليها علم الكفار بذلك، فخرج أبو جهل بمقاتلة مكة وهم النفير، ولما علم أبو سفيان بخروج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، لذلك أخذ بالعير إلى جانب ساحل البحر، فقيل لأبى جهل: ارجع بالناس فأبى، وسار بمن معه إلى بدر، فوعد الله تعالى نبيه، صلى الله تعالى عليه وسلم، بأحد الأمرين الظفر بالعير أو قتل النفير، وكانت الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، يودون فى أنفسهم أخذ العير؛ لما فيها من المال وقلة ما عندهم من السلاح والرجال، فقدر الله تعالى أنهم يلقون العدو ليقطع دابر الكافرين، فقتل صناديدهم وأيد الله المؤمنين وأعز الدين.

(ومنه)، أى من إخباره بالغيب فى كلامه المعجز **(قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾)** [الحجر: ٩٥]، وهم خمسة من الكفار أو سبعة كانوا يؤذونه صلى الله تعالى عليه وسلم، أشد الأذى ويسخرون به، فأخبره الله تعالى بهلاكهم سريعًا وكفايته أمرهم قبل وقوعه، فكان كما قال، وهذا من جملة المغيبات التى أخبر بها رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم، كالذى قبله؛ ولذا جعلهما فى قرن كما أشار إليه بقوله فى سبب نزول هذه الآية كما رواه الطبرانى فى الأوسط.

(ولما نزلت) هذه الآية عليه ﷺ **(بشر بذلك أصحابه)**، أى بهلاكهم لما كان عندهم من الألم من شدتهم، فأخبرهم **(بأن الله كفاه إياهم)** بإهلاكهم، **(وكان المستهزؤون نفرًا بمكة)** من أهلها **(ينفرون الناس عنه)** ﷺ بطعنهم واستهزائهم.

(ويؤذونه فهلكوا)، وهم الأسود بن عبد يغوث، والأسود بن عبد المطلب، والوليد ابن المغيرة، والعاص بن وائل السهمى، وعدى بن قيس، وقيل: منهم الحارث بن عيطلة، وفكيهة بن عامر الفهرى، والحارث بن الطلاطلة ذكرهما الماوردى فى أعلام النبوة.

وروى أن جبريل أخبره صلى الله تعالى عليه وسلم، بهلاكهم وكيفيته، وقد مروا به رجلاً رجلاً، وكيفية هلاكهم مفصل فى السير.

وعن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، أنهم هلكوا فى ليلة واحدة، والذى ذكره غيره أنهم هلكوا فى أيام متقاربة بعد ما دعا عليهم بفناء البيت، فأجاب الله تعالى دعوته، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأنزل عليه الآية كما قال فى الهمزية:

وكفاه المستهزئين وكم سا ... ء نبيًا من قومه استهزاء
فرماهم بدعوة من فنا البيـ ... ـت وفيها للظالمين فناء
خمسة كلهم أصيبوا بداء ... والردا من جنوده الأدواء

(و) من الإخبار بالغيب **(قوله:** ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ **)** [المائدة: ٦٧]، أى يحفظك من جميع الناس الذين يريدون بك سوءًا، وكان الصحابة يحرسون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فى أسفاره، فلما نزلت منعهم من الحراسة، ومر أن هذا لا ينافى ما أصابه صلى الله تعالى عليه وسلم، بأحد؛ لأن الآية نزلت بعدها، أو المراد حفظه من القتل كما فصله الخيضرى فى خصائصه، **(فكان كذلك)** أى محفوظًا معصومًا كما أخبر الله تعالى، وكان هنا تامة، وكذلك أى وقع ووجد كما أخبر به، أو ناقصة وكذلك خبرها.

وقوله: **(على كثرة من رام)** أى قصد **(ضره)** مفعوله، وفسره بقوله: **(وقصد قتله)** إشارة إلى صحة ما تقدم عن الخيضرى من أن العصمة إنما هى عن القتل، لا عن غيره من أنواع الأذى كما مر.

(والأخبار بذلك معروفة صحيحة) كما فى صحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله قال: غزونا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، قبل نجد، فأدركنا رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم، فى واد كثير العضاه، فنزل تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها، وتفرق الناس فى الوادى يستظلون بالشجر، فأتاه رجل وهو ﷺ نائم فأخذ السيف، فاستيقظ وهو قائم على رأسه، والسيف مصلت فى يده، فقال له: من يمنعك منى؟ قال: الله، ثم قال ذلك ثانيًا، فقال: الله، فشام السيف، قال: وها هو جالس ثم لم يعرض له رسول الله ﷺ، وكان ملك قومه، فانصرف حين عفا عنه، وقال: والله لا أكون فى قوم هم حرب لك[1]. ومثله كثير.

* * *

(فصل)

(الوجه الرابع) من وجوه الإعجاز القرآنية **(ما أنبأ به)** أى ما أخبر الله به **(من أخبار القرون السالفة)** هو جمع قرن، وهم أهل كل عصر وزمان من الاقتران لاقتران زمانهم وأحوالهم، فقيل: هو أربعون سنة، وقيل: ثمانون، وقيل: مائة، وقيل: هو مطلق الزمان، أى أخبار الأمم والملل المتقدمة والبلاد البعيدة مما لا يطلع عليه إلا من تتبع التواريخ، أو ساح فى أقطار الأرض وقد عمر عمرًا طويلاً، وكلا الأمرين منتف فى حقه ﷺ، **(والأمم البائدة)** أى الهالكة الذين أفناهم الموت وطحنتهم رحى الدهر حتى اندرست آثارهم، **(والشرائع الداثرة)** بدال مهملة وثاء مثلثة من دثر إذا اندرس ولم يبق له أثر، والدثور ورد بمعنى النسيان، فالمراد معرفته بالشرائع القديمة التى نسيت ونسخت أحكامها من تدثر بثيابه إذا تلفف بها، وفى تعبيره نوع من البلاغة تسمى التفنن؛ لأن السالفة والبائدة والداثرة متغايرة اللفظ متقاربة المعانى.

(مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة) بيان لما كقوله من أخبار على حد قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ [البقرة: ٢٥]، على ما حقق فى شروح الكشاف **(إلا الفذ)** الفذ هو الفرد والشاذ، وهما بمعنى وكلاهما بذال معجمة، وفى الحديث لا تدع شاذة ولا فاذة.

(من أحبار أهل الكتاب) أحبار جمع حبر بكسر الحاء المهملة وفتحها وسكون الموحدة وراء مهملة، ومعناه العالم الحافظ الواسع علمه، والعرف يخصه بعلماء أهل الكتاب، ومنه كعب الأحبار للتابعى المشهور، ويقال له: كعب الحبر ووجه إطلاقه أنه من الحبر، وهو المداد الذى يكتب به، وإليه نسب كعب المذكور، أو لأنه يحبر الكلام ويزينه، وفى المصباح الحبر بالكسر المداد الذى يكتب به، وإليه نسب كعب فقيل: كعب الحبر لكثرة كتابته بالحبر حكاه الأزهرى، وعن الفراء: الحبر العالم، والجمع أحبار

(١) أخرجه أحمد (٣/٣٦٥، ٣٩٠)، والبيهقى (٩/٦٧)، وسعيد بن منصور (٢٥٠٤).

مثل حمل وأحمال، ويقال: [حبر] الأحبار أيضًا، أى عالم العلماء، وكذا فى تهذيب الأسماء للنووى، وحينئذ فلا عبرة بقوله فى القاموس: كعب الحبر بالفتح ويكسر، ولا تقل كعب الأحبار.

(**الذى قطع عمره فى تعلم ذلك**) أى تعلم أخبار من سلف وشرائعهم، فإذا كان لا يعلمه إلا من قرأه ودرسه طول عمره، وأما من كان أميًا فى أمة لم يقارن من له علم بذلك، فعلمه به وإخباره مفصلاً أمر خارق للعادة فى حقه محال لا لذاته بل لذاته.

(**فيورده**) متفرع على قوله: أنبأ أى إذا أخبر به النبى ﷺ، فى الوحى المتلو المنزل عليه يورده أى يذكره (**النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، على وجهه**) حال من الفاعل أو صفة مصدر مقدر، أى إيرادًا كائنًا على وجهه، أى على أتم حال يليق به، وينبغى له، كما يقال: دبر الأمر على وجهه كما فى الأساس (**ويأتى به على نصه**)، أى فى غاية مرتبة من كماله ورفعته يقال: بلغ الشىء نصه، أى نهايته كما فى الأساس؛ لأن معنى نص رفع، ومنه المنصة، وفيه توريه لأن عبارة القرآن تسمى نصًا، (**فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه**)، أى من يعلم تلك الأخبار والشرائع إذا سمعها ممن لم يسمع بها علم صحة كلامه وصدقه فيما قاله.

(**وأن مثله**)، أى مثل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، أو مثل هذا الكلام (**لم ينله**)، أى لم يصل إليه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، (**بتعليم**)، أى من البشر، بل بوحى من الله تعالى، (**وقد علموا**) أى علم الناس المسلمين والمشركين (**أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، أمى**)، أى لا يعرف القراءة ولا الكتابة، فقوله: (**لا يقرأ ولا يكتب**) صفة له مفسرة وموضحة، وقول النحاة: الجملة المفسرة لا محل لها من الإعراب ليس على إطلاقه، ولما كان هذا لا يكفى لاحتمال أن يسمعه ممن قرأ وكتب قال: (**ولا يشتغل بمدارسة**)، أى بحفظ وتلق من الأفواه.

(**ولا مثافنة**) بضم الميم وتليها مثلثة ثم ألف وفاء ونون، أى مداومة طلب ومجالسة تحتك فيها الركب بالركب حتى يؤثر فيها الاحتكاك، وهو عبارة عن كثرة الجلوس مع أهل العلم بالأخبار والشرائع للتعلم منهم، وهو مجاز من ثفن البعير إذا برك، والثفناء ركبه التى يبرك عليها حتى يغلظ من حك الأرض، كثفنته على كذا إذا أعنته، وكان يقال لابن عباس: ذو الثفنات لطول جلوسه فى طلب العلم، أو لكثرة سجوده حتى يصير فى جبهته أثر السجود، وهذا أبلغ مما قبله، وهو الصحيح الموافق لدأب المصنف فى بلاغته.

وما قيل: من أنه بمثلثة وقاف وموحدة من ثقب رأيه إذا نفذ، وذهن ثاقب، وأن الأول بمعنى التعب من ثفنت يد الرجل بكسر الفاء إذا غلظت من كثرة العمل، فهو من تحريف الكتبة الذى لا يلتفت إليه من له علم بكلام العرب، وإن نقله عن بعض الشراح، وقد تقدم أن النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، كان أميًّا لا يقرأ الخط ولا يكتبه، وأنه من معجزاته، ورد ما قيل: إنه مخصوص بأول أمره، وأنه كتب بيده الشريفة عام الحديبية، فكان ذلك معجزة له أخرى، وقد شنع على قائله علماء الأندلس، ونسبوه للزندقة كما مر مبسوطًا غير مرة.

(ولم يغب عنهم) أى لم يغب، ﷺ عن قومه غيبة يحتمل أنه تعلم فيها ما أخبرهم به، **(ولا جهل حَالَهُ أحَدٌ منهم)** من ولادته، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى وفاته حتى يتوهم تعلمه ذلك من أهل الكتاب.

(وقد كان أهل الكتاب) أى أحبار اليهود والنصارى **(كثيرًا ما يسألونه)** أى فى كثير من الأحيان، فهو منصوب على الظرفية وما مزيدة لتأكيد معنى الكثرة، أو هو صفة مصدر مقدر أى يسألونه **(صلى الله تعالى عليه وسلم)**، سؤالاً كثيرًا **(عن هذا)** أى عن خبر من تقدم من الأمم السالفة، **(فينزل عليه)** عقب سؤالهم جوابًا لهم **(من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرًا)** المراد بالذكر القرآن المذكر لهم، **(كقصص)** مصدر بالفتح أو جمع قصة بالكسر أى سير **(الأنبياء مع قومهم)**، فيذكره، صلى الله تعالى عليه وسلم، لهم مفصلاً بأبلغ عبارة وألطف إشارة، **(وخبر موسى والخضر)** بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين، ويجوز سكون ثانيه مع فتح أوله وكسره، وهو ما قصه الله تعالى فى سورة الكهف، وموسى هو ابن عمران الكليم على الأصح، لا نبى آخر كما يزعمه أهل الكتاب.

والخضر هو بليا بن ملكان على أقوال فى الاختلاف فى اسمه، وقد اختلف أيضًا فى نبوته ورسالته، وأنه هل هو حى إلى الآن أو مات قبل تمام المائة الأولى أو قبل زمانه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأكثر علماء الصوفية على أنه حى إلى الآن إلا أن الله تعالى أخفاه عنا، وقد أطبق أكثر الصالحين على ذلك وأنهم يلاقونه ويتحدثون معه، وأنه يحج فى كل سنة وليس فى ذلك دليل قاطع، ولكن حسن الظن يصدق ما قالوه، والأكثر أنه ولى ولا نبى، ومن الغريب ما قيل: إنه ملك، وقيل: إنه لا يموت إلا فى آخر الزمان حين يرتفع القرآن. وفى صحيح مسلم فى حديث الدجال أنه يقتل رجلا يحييه. قال إبراهيم ابن سفيان راوى كتاب مسلم: يقال: إنه الخضر، وكذلك قال معمر فى مسنده وسمى خضرًا؛ لأنه إذا جلس على أرض اخضرت له، أو لأنه إذا صلى اخضر ما حوله.

وفى جامع الأصول عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، قال: قال، صلى الله تعالى عليه وسلم: «إنما سمى بذلك؛ لأنه جلس على فروة بيضاء فاخضرت تحته». وفى صحيح البخارى من حديث همام بن منبه، عن أبى هريرة مرفوعًا: «إنما سمى الخضر لأنه جلس على فروة، فإذا هى تهتز من خلفه خضراء»[1]. والفروة الأرض اليابسة أو الحشيش اليابس. قال ابن فارس: الفروة كل نبات مجتمع إذا يبس، وقال الخطابى: الفروة وجه الأرض أنبتت واخضرت بعد أن كانت جردًا.

(**ويوسف وإخوته**) وهو وأسماء إخوته والخلاف فى كونهم أنبياء أم لا سيأتى مفصلاً، وقد كان اليهود سألوه، صلى الله تعالى عليه وسلم، عنها فأنزل الله عليه السورة (**وأصحاب الكهف**) ومعناه المغارة لأنهم وجدوا بها، واختلف فى مكانها، ولهم أسماء يونانية اختلف فى ضبطها، وكانوا فروا من ملك يسمى دقيانوس، وقصتهم مفصلة فى التفاسير.

وسبب نزولها أن قريشًا بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط إلى أحبار اليهود ليسألوهم عن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، وأمره؛ لأنهم عندهم على [علم] من الكتاب الأول فقدموا المدينة قبل الهجرة، وسألوهم عن ذلك، فقال لهم الأحبار: سلوه عن ثلاث فإن أخبركم عنها فهو نبى مرسل، وإلا فهو متقول، سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان أمرهم العجيب؟ وعن رجل طاف مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ما هى؟ فإن هم يبينها فهو نبى مرسل على ما يأتى، فسألوه عن ذلك، فقال: «أخبركم غدًا، ولم يقل إن شاء الله، فانقطع الوحى أيامًا اختلف فى عددها، فأرجف بذلك كفار مكة، وحزن رسول الله، صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم أنزل الله عليه ما قصه فى سورة الكهف.

(**وذى القرنين**) اختلف فيه وفى اسمه، وسبب تسميته، فقيل: يونانى اسمه هرديس، وقيل: حميرى اسمه الصعب بن ذى مرائد، وفى خطبة لقس بن ساعدة:

ابن الصعب ذو القرنين، ملك الخافقين، وأذل الثقلين، وعمر ألفين، ثم كان كلحظة عين.

وهو الإسكندر، وسمى ذا القرنين، فقيل: لأنه عمر مدة قرنين ، وقيل: لأنه ضرب على قرنى رأسه، وقيل: لذؤابتين له، والقرن الشعر، وقيل غير ذلك.

---

(١) أخرجه البخارى (٤/١٩٠)، والترمذى (٣١٥١)، وابن حبان (٢٠٩٢)، والطبرانى فى الكبير (١٢/٢٠٩).

(ولقمان وابنه) وهو لقمان بن عنقاء بن مروان كان وليًا صالحًا، وقيل: إنه نبى، والأصح خلافه. وقيل: إنه نوبى من أهل إيليا، واسم ابنه فاران عند ابن قتيبة.

(وأشباه ذلك من الأنبياء والقصص) والأخبار المذكورة فى القرآن عمن مضى من الأمم السالفة.

(وبدء الخلق)، أى ابتداء خلق الله للدنيا وما جرى فى ذلك مما لا يطلع عليه إلا من قرأ الكتب ودرسها، وخلقه للسموات والأرض.

(وما فى التوراة والإنجيل) من أحكام الشرائع والتوحيد، **(والزبور وصحف إبراهيم وموسى)** من المواعظ والأذكار، وذكره لبدء الخلق لما تضمنه من الأخبار عما سلف أيضًا من أخبار الأمم، فلا يرد عليه ما قيل من أن بدء الخلق إخبار عن فعل الله تعالى، وهو جدير بإلحاقه بالإخبار بالغيب **(مما صدقه فيه العلماء بها)** أى الأحبار من أهل الكتاب حين ذكر لهم، **(ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها)** لكونها مطابقة للواقع، ولما عندهم مما لم يمكن إنكاره، **(بل أذعنوا لذلك)** فأقروا به، واعترفوا منقادين له.

(فمن موفق) اسم مفعول من التوفيق، أى الذين سمعوا ما قصه، صلى الله عليه وسلم عليهم، وعرفوا حقيقته منهم من وفقه الله تعالى، فهداه و**(آمن)** بالمد فعل ماض مفتوح الآخر **(بما سبق له من خير)**، أى بسبب ما سبق له فى علم الله الأزلى، وحكم بأنه سعيد، فسبق فعل ماض بسين مهملة وباء موحدة وقاف، والخير هو إحسان الله وإنعامه عليه بهدايته، ويجوز كسر سينه قبل ياء مثناة تحتية ماض مجهول ساقه، أى بما ساقه الله تعالى له، وأوصله إليه من الخير.

(ومن شقى معاند حاسد) أى أشقاه الله تعالى، حتى حمله العناد والحسد على عدم الانقياد لما علم حقيقته، كما حمل الحسد إبليس لعنه الله تعالى، على ضلاله لما كتب له من الشقاوة الأزلية، فلم يصدق ولم يؤمن.

(ومع هذا) العناد والحسد الذى أظهروه، **(فلم يحك)** بالبناء للمجهول ونائب فاعله أنه أنكر الواقع بعد سطور، وهو بالفاء التفريعية تفصيل وتبيين لقوله: لم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها، والمقام مقام إطناب وخطابة، فلا وجه للاعتراض عليه بأنه لا موقع له بعد ما تقدم، أى لم يذكر **(عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له)** ﷺ، أى هم مع أنهم أشد الناس عداوة له، وعلى بمعنى مع، كقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:٨]، أى على حب الخير لشديد.

(وحصرهم على تكذيبه)، أى على شىء من كلامه يقدرون على نسبته إلى الكذب

فيه، **(وطول احتجاجه)**، عليه الصلاة والسلام، **(عليهم)** أى إقامة الحجة عليهم **(بما فى كتبهم)** المنزلة على أنبيائهم ، عليهم الصلاة والسلام.

(وتقريعهم) أى توبيخهم وتفضيحهم **(بما انطوت عليه مصاحفهم)** جمع مصحف بتثليث الميم، كما نقل عن ثعلب، والفتح غريب من أصحف إذا جمع على الصحف، فهى بمعنى الصحف هنا.

(وكثرة سؤالهم له، عليه الصلاة والسلام)، عما لا يعلمه إلا من له تبحر فى العلم منهم، **(وتعنيتهم إياه)** تفعيل من العنت، وهو المشقة والتعب، أى تكليفهم بما هو شاق **(عن أخبار أنبيائهم)** متعلق بسؤالهم.

(وأسرار علومهم) أى الأمور الخفية الدقيقة من علومهم، **(ومستودعات سيرهم)**، أى سؤالهم عما أودع فى مصاحفهم من سير أنبيائهم.

(وإعلامه لهم مكتوم شرائعهم)، وفى نسخة: بمكتوم بدل مكتوم، أى إخباره، صلى الله تعالى عليه وسلم، لمن سأله منهم على أمور مكتومة مخفية عندهم ستروها عن غيرهم، **(ومضمنات كتبهم)**، أى ما تضمنتها كتبهم من الأحكام وغيرها، **(مثل سؤالهم عن الروح)** فى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان كما تقدم بيانه.

(وذى القرنين وأصحاب الكهف وعيسى) لما قال علماء اليهود للمشركين: سلوه عنها، فإن سكت أو أجاب عن الجميع فليس بنبى، وإن أجاب عن الأولين وسكت عن الروح، ووكل علمها إلى الله، فإنه كذلك فى التوراة فهو نبى مرسل.

(وحكم الرجم)، أى سؤالهم له صلى الله تعالى عليه وسلم، عن حكم الرجم للزانى المحصن الذى أنكروه، فبينه لهم صلى الله تعالى عليه وسلم، كما فى التوراة.

(وما حرم إسرائيل على نفسه) إسرائيل هو يعقوب، عليه الصلاة والسلام، ومعناه صفوة الله، وكان اليهود سألوه امتحانًا له عما حرم على نفسه، فقال: لحوم الإبل، وألبانها، والعرق وما فيه عرق، فصدقوه؛ لأنه كان سكن البدو خوفًا من أخيه العيص، ثم نذر أنه إن دخل بيت المقدس سليمًا من الأمراض والآفات، أن يذبح آخر أولاده وأعزهم عليه، فلما سار وقرب منه بعث الله ملكًا وكز فخذه، فمرض بعرق النساء حتى كان من وجعه ما كان، وذلك لئلا يلزمه ذبح ولده، فحرم على نفسه ما مر؛ لأنه يضر عرق النساء، وكان ذلك باجتهاد منه، والأنبياء يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح، ويعقوب مات بمصر، فحمله يوسف، عليهما الصلاة والسلام، فدفنه عند أبيه بوصية منه.

(و) سألوه أيضًا عن **(ما حرم عليهم)**، أى على بنى إسرائيل **(من الأنعام من الطيبات)** من المآكل **(كانت أحلت لهم)**، أى جعلها الله حلالاً لهم، **(فحرمت عليهم ببغيهم)**، أى حرمت عليهم عقوبة بسبب ظلمهم يشير إلى قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ**﴾ [الأنعام: ١٤٦]، الآية، فحرم الله تعالى عليهم ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم، والطيور، كالإبل والنعام، والأوز والبط، وقيل: كل ذى مخلب من الطيور وكل ذى حافر من الدواب، وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكليتين إلا ما التصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون، وفصلوه فى سورة الأنعام، وقوله: **(ببغيهم)** أى بقتل أنبيائهم، وأخذهم أموال الناس بالباطل، فقالوا: إن الله لم يحرم علينا شيئًا، فنزلت هذه الآيات بتكذيبهم حتى افتضحوا وأذعنوا.

(و) مثل **(قوله)** تعالى: (﴿**ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ**﴾ **[الفتح: ٢٩]، الآية)** الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿**سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ**﴾، إلى آخر ما ذكر فى سورة الفتح، فأخبرهم الله تعالى على لسان رسوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بما فى كتبهم.

(وغير ذلك من أمورهم التى نزل بها القرآن) مما لا يعلم مثله إلا بوحى، **(فأجابهم)** عما سألوه **(وعرفهم)** بما كتموه **(بما أوحى إليه من ذلك)** السابق ذكره كله.

(أنه أنكر ذلك أو كذبه) بفتح همزة أن، والمصدر المسبوك منها، ومما دخلت عليه نائب فاعل لم يحك، وهو ظاهر، ثم أضرب عن ذلك إضرابًا انتقاليا على سبيل الترقى، فقال: **(بل أكثرهم صرح)** أى تكلم بكلام صريح ناطق **(بصحة نبوته)**، أى قال: إنه صلى الله تعالى عليه وسلم، صادق فى دعوى النبوة، وأن له نبوة صحيحة.

(وصدق مقالته)، أى صدق كل ما قاله ﷺ مما ادعاه، ومما نقله عن كتبهم، وصدق مصدر مضاف للفاعل ومقالته مجرور، أو فعل ماض مشدد الدال ومقالته منصوب مفعوله.

(واعترف بعناده وحسده إياه) فأقر بأن جحده لما قاله صلى الله تعالى عليه وسلم، محض عناد وحسد، وإفراد ضمير حسده رعاية لإفراد لفظ أكثر، وروى بضمير الجمع رعاية لمعناه، وليس حسده فعلاً ماضيًا لقوله: إياه فإنه يأباه.

(كأهل نجران) بفتح النون وسكون الجيم، وراء مهملة قبل ألف ونون، وهم قوم من نصارى العرب منزلهم بين مكة واليمن على سبع مراحل من مكة، سموا نجران بنجران ابن زيد بن سبأ وسيأتى الكلام عليهم.

(وابن صوريا) بضم الصاد وراء مهملتين وواو ساكنة قبل الراء ومثناة تحتية مقصور، وجوز البرهان مده، وهو عبد الله بن صوريا، وهو حبر من أحبار اليهود الذين كانوا بالمدينة، وهو الذى وضع يده على آية الرجم، وهو لفظ عبرانى، واختلف فى إسلامه، فقيل: إنه أسلم، وقيل: مات على كفره.

(وابنى أخطب) تثنية ابن، وأخطب بزنة أفعل التفضيل بخاء معجمة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة، وموحدة علم لأبيهما، وهما حيى بضم الحاء المهملة وفتح الياء المثناة التحتية يليها ياء مشددة، وأبو ياسر، وهما يهوديان من يهود المدينة معروفان ماتا على كفرهما، وحيى هذا هو أبو صفية أم المؤمنين، رضى الله تعالى عنها، قالت: كان عمى أبو ياسر أحسن رأيًا من أبى، كان يقول: السمت تجده فى كتبنا، فيقول: نعم هو هو، فيقول له: فما فى نفسك منه؟ فيقول: معاداته، **(وغيرهم)** من أحبار اليهود والنصارى.

(ومن باهت فى ذلك بعض المباهتة)، أى لم يقر بحقية ما جاء به، صلى الله تعالى عليه وسلم، وادعى أنه كذب مكابرة منه، يقال: بهته وباهته إذا كذبه ونسبه للبهتان:

ومنكر طيب المسك كذبه الشذاء

وقوله: بعض المباهتة أى فى بعض أموره التى يمكن المكابرة فيها، وفيه إشارة إلى أن من أخباره صلى الله تعالى عليه وسلم، ما لا يمكن إنكاره من أحد من العقلاء، وقد علمت أنه يقال: بهته بكذا وباهته كما فى الأساس، ومن أنكره فقد أتى ببهتان من عنده.

(وادعى أن فيما عندهم) من كتبهم **(من ذلك لما حكاه)** متعلق بقوله: **(مخالفة)** بالنصب اسم أن، ومن الموصولة فى قوله: من باهت مبتدأ خبره، **(دُعِيَ)** بالبناء للمجهول، أى دعاه الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، بإذن ربه **(إلى إقامة حجته)** أى إلى دليل بالإتيان بنص من كتبهم يخالف ما أخبرهم به، **(وكشف دعوته)** أى بيان ما ادعاه.

(فقيل له): أى قال الله له صلى الله تعالى عليه وسلم: قل هم: ﴿**فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٣]، إلى قوله: ﴿**ٱلظَّـٰلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٩٤]، يعنى قوله تعالى: ﴿**فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ**﴾.

وسبب نزولها أن اليهود قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم: تزعم أنك على ملة إبراهيم وأنت تأكل لحم الإبل ولبنها، وذلك يحرم فى شرعه، وقيل: إن المسلمين، قالوا

لهم: إنما حرمت عليكم الطيبات ببغيكم، فقالوا: إنها كانت محرمة قبل ذلك، فأمروا بإبراز التوراة حتى يتلى ما فيها من تحريم ذلك، فلم يجدوا ذلك فيها وافتضحوا، وقيل: إنهم أتوا برجل وامرأة زنيا، فقال لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم: كيف تفعلون؟ فقالوا: نجمعهما ونضربهما، فقال لهم: إن الذى فى التوراة رجمهما، فأنكروه، فقال لهم: كذبتم ائتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فأتوا بها وقرءوا حكم الزانى فيها، فوضع القارئ يده على آية الرجم، وقرأ ما قبلها وما بعدها، فانتزعت من يده ووجد فيها الرجم فرجما، **(فقرع ووبخ)** أى قرعهم الله وعيرهم بتكذيبهم وافترائهم على الله صريحًا وتلويحًا وجعلهم ظالمين(١).

(ودعا إلى إحضار ممكن غير ممتنع) وهو أمرهم بالإتيان بالتوراة، وهى حاضرة بين أيديهم، فصاروا قسمين، **(فمن معترف بما جحده)**، وأنكره من أحكام التوراة.

(ومتواقح) بضم الميم ومثناة فوقية مفتوحة وقاف مكسورة وحاء مهملة، أى متكلف للوقاحة، وهى قلة الحياء وصلابة الوجه حتى لا يبالى بافتضاحه، والمراد به ابن صوريا الذى وضع يده على آية الرجم.

فقال له ابن سلام: ارفع يدك يا أعور كما أشار إليه بقوله: **(يلقى على فضيحته)** أى ما يفضحه ويجعله سخرة بين الناس **(من كتابه)**، أى من الكتاب الذى معه **(يده)**، أى يضعها عليه، وعلى الآية التى فيها ما يخالف دعواه ويكذبه.

(ولم يؤثر) بالبناء للمجهول بمعنى ينقل معطوف على قوله: فلم يحك المتقدم ونائب فاعله **(أن واحدًا منهم)**، أى من أهل الكتابين.

(أظهر خلاف قوله) صلى الله تعالى عليه وسلم، **(من كتبه)**، أى من الكتب التى عندهم مما أنزل على أنبيائهم، **(ولا أبدى)** أى أظهر نقلاً، **(صحيحًا ولا سقيمًا)**، أى محرفًا لفظه: أو مأولاً معناه **(من صحفه)** جمع صحيفة، وهى الكتاب.

(قال الله تعالى) بيانًا لما كانوا عليه فى هذا الأمر: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [المائدة: ١٥]، كصفته صلى الله تعالى عليه وسلم، وقصة الرجم، وبشارة الكتب ببعثه، صلى الله تعالى عليه وسلم، وشأنه، ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ [المائدة: ١٥]، حلمه وستره عليهم رجاء هدايتهم بتوفيق الله **(الآيتين)**، وهما: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ

---

(١) أخرجه البخارى (٦/٤٧)، والطبرانى فى الكبير (١٢/٣٨٠).

جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

* * *

(فصل)

(هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة) فى غاية الظهور **(لانزاع فيها)**، أى لا ينازع أحد من العقلاء فى كونها ثابتة معجزة، **(ولا مرية)** بكسر الميم وضمها كما مر، بمعنى شبهة وشك فى ذلك، وهى عامة فى جميع الآيات، وفى جميع الأخبار الواقعة فيها، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٢،٣].

(ومن الوجوه البينة فى إعجازه من غير هذه الوجوه) الأربعة **(آى)** جمع آية، أو اسم جنس جمعى كتمر وتمرة، وليس كل مايفرق بينه وبين واحده بالتاء اسم جنس جمعى، كما فصله البدر بن مالك فى باب الجمع من شرح الألفية، والآية جملة من القرآن لها مبدأ ومقطع كما مر.

(وردت بتعجيز قوم)، أى جاء فيها إظهار عجز طائفة مخصوصة من الناس **(فى قضايا)** جمع قضية، وهى الحادثة والواقعة فى حكم قضاه الله تعالى وقدره، **(وإعلامهم أنهم لا يفعلونها)** الإعلام بكسر الهمزة مصدر أعلم، مجرور معطوف على تعجيز، والضمير للقضايا، **(فما فعلوا ولا قدروا على ذلك)** المذكور من تلك القضايا، ونفى القدرة أبلغ من نفى العلم، **(كقوله)** عز وجل **(لليهود)** لما ادعوا دعاوى باطلة كقولهم: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]، فكذبهم وألزمهم الحجة، فقال خطابًا له ﷺ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ [البقرة: ٩٤]، وهى الجنة: ﴿عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾، أى خاصة بكم، وهو حال من الدار الآخرة، والخطاب لأهل الكتاب ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ أى باقيهم من المؤمنين وغيرهم، ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، فى قولكم أنكم من أهل الجنة، وأنها مخصوصة بكم؛ لأن من تيقن دخول الجنة اشتاق لها وأحب التخلص من هذه الدار، وأكدارها، ومن أحب لقاء الله أحب لقاءه.

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥]، فنفى عنهم تمنى الموت فى جميع الأزمنة المستقبلة بقوله: لن وأبدًا، وما قدمته أيديهم الكفر بالله وتحريفهم التوراة، فما فى هذه الآية من المعجزات؛ لأنه إخبار بالغيب، وهو كما أخبر إذ لو تمناه أحد

منهم مع توفر الدواعى على نقله اشتهر، والتمنى وإن كان من أعمال القلب الخفية، كما يأتى، فالنطق به وقولهم: تمنينا مما لا يخفى، ولو تمنوه ماتوا، فهم لحرصهم على الحياة وخوفهم لن يتمنوه، وقد صرفهم الله تعالى على ذلك معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم.

وقد استشكل ما قاله المصنف هنا بأن ما ذكره هنا داخل فى الوجوه السابقة، فإن قوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، مثل قوله: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣]، إلى قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٤]، لإعلامهم بأنهم لا يفعلون لعجزهم وعدم قدرتهم، فهو داخل فى النوع المتقدم؛ لأنه إخبار عما استأثر الله بعلمه فى المستقبل، فجعله أدنى منه غير مسلم، وقد سوى بينهما فى الكشاف.

والجواب عنه: أن ما تقدم أمر معجز فى نفسه فى سائر الأزمنة بخلاف ما نحن فيه، فإن قول أحدهم: ليتنى أموت ونحوه أمر ممكن لهم ولغيرهم، وإعجازه إنما هو بمجرد الإخبار عن عدم وقوعه، فهو مغاير لما قبله وأدنى منه بمراتب.

(قال أبو إسحاق الزجاج) فى تفسيره المسمى بمعانى القرآن: وهو تفسير جليل يعتمد عليه الزمخشرى فى كشافه، وهو مأخذه كما مر، وهو العلامة فى فنون العربية التى تلقاها عن المبرد، واسمه إبراهيم بن السرى بن سهل بن الزجاج نسبة لصنعته، توفى سنة إحدى عشر وثلاثمائة، يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة، كما تقدم.

(فى هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة) أى رسالة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم؛ **(لأنه قال لهم: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ﴾** [البقرة: ٩٥]، **وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبدًا، فلم يتمنه واحد منهم)**، وفى نسخة: أحد منهم.

وفى الكشاف: **فإن قلت:** التمنى من أعمال القلوب، وهو سر لا يطلع عليه أحد، فمن أين علمت أنهم لن يتمنوه؟.

قلت: ليس التمنى من أعمال القلوب، وإنما هو قول الإنسان بلسانه: ليت لى كذا، وليت كلمة تمن، ومحال أن يقع التحدى بما فى الضمائر والقلوب، ولو كان بالقلوب لقالوا: قد تمنينا بقلوبنا، و لم ينقل أنهم قالوه.

وفى حواشيه للقطب: أنه استدلال على أن التمنى ليس من أفعال القلوب؛ لأن التحدى إنما يكون بأمر ظاهر، وفيه أن التحدى إنما يكون بإظهار المعجزة لإلزام من لم يقبل الدعوى، والتمنى ليس بمعجز فهو كقول الخصم: احلف لى إن كنت صادقًا، ويمكن أن يقال: التحدى هنا بطلب دفع المعجزة، فإن إخباره بأنهم لن يتمنوه أبدًا

معجزة طلب دفعها بتمنيهم، والدفع لا يكون إلا بأمر ظاهر، وهو كلام حسن منعه قول من لم يصل إلى العنقود.

(وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)، فى حديث رواه البيهقى من طريق الكلبى عن أبى صالح، عن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما، بهذا اللفظ الآتى، وأحمد فى مسنده عن ابن عباس مرفوعًا بسند جيد بلفظ: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا».

(والذى نفسى بيده) أقسم بالله قسمًا مناسبا للمقسم عليه، فإن معناه أن روحه بيد الله إن شاء أرسلها فتحيى، وإن شاء أمسكها فتموت، وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، كثيرًا ما يقسم به، **(لا يقولها)**، أى كلمة التمنى المفهومة من السياق **(رجل منهم)**، أى واحد من بنى إسرائيل، والرجل على ظاهره، والمراد ما يعم المرأة **(إلا غص بريقه)** غص بضم الغين المعجمة وفتح الصاد المشددة أو بفتحهما، وفاعله ضمير الرجل، وعليه اقتصر بعضهم، ولا ينافى الأول كونه لازمًا كما توهم، والغصة ما تقف فى الحلق فتمنع النفس حتى تهلكه، يقال: غص بالطعام وشرق بالشراب وسجى بالعظم وحرض بالريق، وقد يستعمل كل منهما مكان الآخر، والريق رطوبة الفم، وغصص الدهر مصائبه، وهو كناية عن سرعة وقوع الموت بهم كما فى النهاية، وإليه أشار إليه بقوله: **(يعنى يموت مكانه)** أى فى مكانه الذى غص فيه، فلا يمهل لانتقاله لفراشه، **(فصرفهم الله عن تمنيه)** مصدر مضاف لمفعوله، وهو ضمير الموت، **(وجزعهم)** بفتح الجيم وتشديد الزاء المعجمة وفتحها وفتح العين المهملة.

وفى نسخة: فى جزعهم وكونه جرعهم براء مهملة غلط **(ليظهر صدق رسوله)** صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وصحة ما أوحى إليه)** ثم بينه بقوله: **(إذ لم يتمنه أحد منهم)**؛ لخوف الموت لتيقن صدق خبره، **(وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا)** على تكذيبه بأن يتمنوا ولا يموتوا، والجملة حالية بتقدير قد، **(ولكن الله)** بالتخفيف والتشديد **(يفعل ما يريد)** من تمنيهم وعدمه، **(فظهرت بذلك)**، أى بصرفهم عما هم أحرص عليه **(معجزته وبانت حجته)** بصدق خبره عن الغيب.

(قال أبو محمد الأصيلى) تقدم الكلام عليه وعلى نسبته: **(من أعجب أمرهم)**، أى اليهود **(أنه)** الضمير للشأن **(لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم)** أى من حين **(أمر الله بذلك نبيه ﷺ)** بقوله: «قل لهم: فتمنوا الموت»، **(يقدم عليه)**، أى على تمنى الموت، **(ولا يجيب إليه)** أى إلى قوله: «تمنوا الموت»، أو إلى قول أحد تمنى الموت لشدة خوفهم، ولما جبلهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة، كما قال: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة:٩٦].

(وهذا) المذكور من امتناعهم عن التمنى **(موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم)**، أى كل من أراد أن يعرفه إذا ذكره لهم ظهر به ما فى طباعهم، والامتحان هو التجربة، وإنما ذكره دفعًا لما يقال: التمنى أمر خفى فقد يقال: إنه موجود و لم يطلع عليه.

(وكذلك آية المباهلة) أى مثل قصة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فى بنى إسرائيل قصة المباهلة فى نصارى نجران؛ لأن فيها تكليفًا بالتكلم بأمر لو قالوه هلكوا، وقد أخبره الله تعالى به قبل وقوعه، فكان كما أخبر و لم يجبه أحد منهم إلى ما دعاهم إليه، كما لم تتمن اليهود الموت، فهو **(من هذا المعنى)** يعنى أنهما متقاربان كما قررناه آنفًا، وأصل معنى المباهلة كما حققه الراغب من البهل، وهو الإهمال كإرسال البعير وَكَحَلٍّ صرار الناقة، يقال: أبلهت فلانًا إذا خليتة وإرادته، ومنه الابتهال، وهو تضرع الدعاء، قال: ومن فسره باللعن فلما فيه من الاسترسال فيه، قال الشاعر:

نظر الدهر إليهم فابتهل

أى استرسل إليهم فأفناهم، انتهى.

وفيه رد على بعض أهل اللغة إذ ظن أن حقيقته الملاعنة، ويؤيده ظاهر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١].

(حيث وفد عليه) الوفد هو: القادم من غير أهل الديار كما مر، وحيث هنا للزمان، أى لما قدموا عليه من ديارهم، **(أساقفة نجران)** جمع أسقف بضم الهمزة والقاف وبينهما سين مهملة وآخره فاء مشددة، وهو رئيس النصارى فى دينهم وقاضيهم وإمامهم، قيل: سمى به لانحنائه وخضوعه، ونجران بفتح النون وإسكان الجيم بلدة كانوا فيها، وهى بين مكة واليمن على سبع مراحلٍ من مكة، قدموا منها على رسول الله ﷺ وهم ستون راكبًا، منهم أربعة عشر رجلاً رؤساؤهم، ومنهم ثلاثة نفر بيدهم كل أمرهم، وأميرهم اسمه العاقب كما يأتى، وذو رأيهم كالوزير اسمه المسيح، وثمالهم السيد، وصاحب رحلهم الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل أسقفهم وإمامهم، وقصتهم مشهورة فى الإسلام.

(وأبوا الإسلام)، أى امتنعوا أن يسلموا؛ لادعائهم حقية دينهم وعدم نسخه، **(فأنزل الله عليه)**، صلى الله تعالى عليه وسلم، فى حقهم (**آية المباهلة بقوله:** ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ **الآية**) [آل عمران:٦١]، وتمامها ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١]، ومعنى ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾، أى ليدع بعضنا

بعضا، فإن الإنسان لا يدع نفسه، وكيفيتها كما قصه الله تعالى أن يجمع كل من المتخاصمين أهله، ثم يتوجه كل منهما إلى الله تعالى، ويقول: اللهم إن هذا يقول كذا وكذا، وأنا أقول: كذا وكذا، اللهم فاجعل لعنتك على الكاذب منا، فإن عذاب الله يحل بمن كذب من غير بطء، وهذا لم ينسخ، فإن سلطان العلماء العز بن عبد السلام، أسند إليه بعض أهله شيئًا لم يقله، فقال: أباهله إلى الله، ففعل فلم يمض سنة حتى هلك من باهله، وإنما جمع الأهل تخويفًا لهم بحلول العذاب من الله بهم أجمعين، ومن قال هنا: معنى البهلة بالضم والفتح اللعنة لم يصب كما مر عن الراغب، وهذا مما نحن فيه من وجه، ومن قال: الأسقف مشتق من السقف كما قاله ابن السكيت والهاء للعجمة، ففى كلامه تناقض.

(**فامتنعوا منها**) أى من المباهلة خافوا لما شاهدوه من الهلاك على أنفسهم بدعائه ﷺ، (**ورضوا بأداء الجزية**)، وهو الخراج الموظف على الناس، ويطلق على ما يعين على الأراضى فاختاروها مع ما فيها من المذلة، وكانوا قالوا له صلى الله تعالى عليه وسلم: مالك تشتم نبينا فتقول: عبد الله، فقال: هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانًا من غير أب، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩].... إلخ، ثم دعاهم للمباهلة.

(**وذلك أن العاقب عظيمهم قال لهم: قد علمتم أنه نبى وأنه ما لاعن قوما نبى قط فبقى كبيرهم ولا صغيرهم**)، أى هلكوا جميعًا لإجابة دعائه عليهم، ثم قال لهم: إن أبيتم إلا الإقامة على دينكم فصالحوه وانصرفوا إلى دياركم.

وروى أن القائل لهذا منهم، هو السيد الذى كان يسمى شرحبيل، فقال لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أسلموا يكن لكم وعليكم ما للمسلمين وعليهم، فأبوا فقال: نقاتلكم، فقالوا: ما لنا طاقة بحربك، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدى إليك كل عام ألفى حلة ألفا فى صفر وألفًا فى رجب، فصالحهم صلى الله تعالى عليه وسلم، على ذلك، وقال: لو تلاعنوا مسخوا قردة وخنازير، واضطرم عليهم الوادى نارًا، وفيه دليل على مشروعية الملاعنة.

قال فى المواهب: وقد جربته وأنه لا يمضى على الكاذب سنة كما سمعته، وقد علمت أن هؤلاء امتنعوا من الملاعنة كما امتنع اليهود من تمنى الموت؛ ولذا أورده المصنف، رحمه الله تعالى، هنا.

(**ومثله قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾**) [البقرة:٢٣]، إلى قوله:

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ [البقرة:٢٤]، أى مثل قوله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ [آل عمران:٦١]، **(فأخبرهم)** الله تعالى فى هذه الآية، **(أنهم لا يفعلون)** فى المستقبل أبدًا، وهو ما دل عليه الجملة المعترضة بين الشرط وجزائه، وهى قوله: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾، **(كما كان)** فى الماضى الدال عليه، ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾؛ فإن عجزهم عن معارضة القرآن أمر محقق وواقع، وإنما أتى بإن الشرطية وكان مقتضى المقام إذا باعتبار ما عندهم من الشك فى قدرتهم تهكمًا بهم.

(وهذه الآية) أى قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ [البقرة:٢٣]، إلى آخره، **(أدخل فى باب الإخبار بالغيب)** أى اندراجها فيه أظهر وأوضح؛ لتحقق النفى فى المستقبل بالنفى فى الماضى الذى علم من التحدى بخلاف آية تمنى الموت، وآية المباهلة؛ لعدم تقدم شىء من نوعها، وقيل: لأن فيها تصريحًا بنفى فعلهم فى المستقبل بخلاف آية المباهلة، فإن فيها إشعارًا بالعجز عن المباهلة فى الحال، والإشعار بالنفى فى المستقبل الذى هو من الإخبار بالغيب من لوازمها لا من صريحها، وفيه بحث.

(ولكن فيها من التعجيز ما فى التى قبلها) أى فى آية سورة البقرة التى فيها تعجيزهم عن الإتيان بمثل سورة ما من مثله عن تعجيزهم كتعجيزهم عن المباهلة، وفيه نظر لأنهم لم يعجزوا عن المباهلة، وإنما خافوا من عاقبتها فأحجموا عنها، ولو أرادوها لم يكن عندهم مانع منها فتدبره.

* * *

(فصل)

(ومنها) أى من وجوه أعجاز القرآن وجه غير الوجوه الأربعة التى تقدمت **(الروعة)** بفتح الراء والعين المهملتين المرة من الروع، وهو الفزع والخوف الذى يطرأ عند سماعه لجلالته وهيبته، كما وقع لسيدنا عمر، رضى الله تعالى عنه، ومنه لما سمع أول سورة طه، فأسلم من غير تردد لما وقع فى قلبه عند سماعه **(التى تلحق قلوب سامعيه)** أصله تلحق قلوب السامعين له، فحذفت نونه لإضافتة لضمير القرآن، **(وأسماعهم)** بالنصب معطوف على قلوب مفعول تلحق، وهو جمع سمع بمعنى الحاسة، وفيه تسمع لأن الفزع لا يلحق السمع، وإنما يلحق القلب بواسطته، وهو كقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ [البقرة:٢٨٢]، أى لتذكر إحداهما الأخرى إذا ضلت كما حقق فى الكشاف وشروحه، وإنما عطف عليه لفيد أن هذه الروعة تلحق من يفهمه ومن لا يفهمه مؤمنًا كان أو كافرًا، فما قيل: إن فى عد هذا وجهًا مستقلاً من وجوه الإعجاز؛ نظرًا لأنه معنى زائد عن النظر مشروط بتدبره، وهو فى المؤمن واضح، وأما فى الكافر

فليقر به ليس بسديد لمن ألقى السمع وهو شهيد.

وقوله: **(عند سماعه)** يأباه والضمير للقرآن، **(والهيبة)** بالرفع معطوف على الروعة، ومعناه الخوف يقال: هابه إذا خافه كما فى القاموس، وهو قريب من الروعة.

والتحقيق أنهما ليسا بمعنى واحد كما فى عروس الأفراح قال: ربما يتوهم أن الروع والمهابة واحد، وليس كذلك، بل الروع الفزع والمهابة الإجلال، قال[1]:

أهابك إجلالاً وما بك قدرة على ولكن ملء عين حبيبها

وقال الشريف فى قول السكاكى: إدخال الروعة وتربية المهابة: والمهابة يراد بها عرفا الحالة التى تكون فى قلوب الناظرين إلى الملوك، وتربيتها تقويتها، والروعة الخوف الذى يتجدد بمخاطبتهم، انتهى.

(التى تعتريهم)، أى تطرأ عليهم وتغشاهم **(عند تلاوته)** وقراءته، والأول ناظر للسامع، والثانى: للقارئ نفسه، أو هما بمعنى؛ **(لقوة حاله)** أى لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والإنذار، وهذا ناظر للروعة عند من فهمه، **(وأنافة خطره)**، أى علو مرتبته على غيره من الكلام الذى يهابه سامعه، فهو ناظر للهيبة ويمكن كل منهما لكل منهما.

(وهى)، أى الروعة والهيبة، وإفراد الضمير؛ لأنها شىء واحد أو كالواحد **(على المكذبين به أعظم)** منها على المؤمنين؛ لشدة خوفهم منه كما قيل: الخائن خائف والمؤمن وإن هابه، فهو متلذذ به مطمئن قلبه ببشائره، **(حتى كانوا)** أى المكذبون **(يستثقلون سماعه)**؛ لصعوبة ما فيه عليهم، **(ويزيدهم)** سماعه **(نفورًا)** عن الحق والإصغاء إليه.

(كما قال تعالى): ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء:٤٦]، أى ولّوا معرضين عنه لعدم ذكر آلهتهم فيه.

(ويودون) أى يحبون **(انقطاعه)**، أى قطع تلاوته عندهم؛ **(لكراهتهم له)** لخبث طبائعهم كما تضر رياح الورد بالجعل؛ **(ولهذا)** المذكور من محبة انقطاعه وكراهتهم له **(قال صلى الله تعالى عليه وسلم)**، فى الحديث الذى رواه الديلمى وغيره عن الحكم بن عمير، وسيأتى بتمامه: **(إن القرآن صعب)** فى نفسه بمعنى أنه لا يقدر أحد على محاكاته

---

(١) البيت من الطويل، وهو للمجنون فى ديوانه (ص٥٨)، ولنصيب بن رباح فى ديوانه (ص٦٨)، تخليص الشواهد (ص٢٠١)، شرح التصريح (١/١٧٦)، سمط اللآلى (ص٤٠١)، المقاصد النحوية (١/٥٣٧)، وبلا نسبة فى أوضح المسالك (١/٢١٥)، شرح الأشمونى (١/١٠١)، شرح ابن عقيل (ص١٢٣)، شرح عمدة الحافظ (ص١٧٣).

وضبط ألفاظه وحفظها بسهولة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، **(مستصعب)** بفتح العين وكسرها أى يعسر فهمه وتفسيره بالرأى، ولا يمكن تغييره وتحريفه؛ لأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لأنه ليس من جنس كلام البشر **(على من كرهه)** من الكفار والمنافقين.

(وهو)، أى القرآن **(الحكم)** بفتحتين أى الحاكم الفاصل بين الحق والباطل بما تضمنه من الأحكام، والبر والفاجر بما نصب فيه من الأدلة الدالة على حقيته؛ ولذا قيل له: فرقان، وهذا فى حق غير المؤمن.

(وأما المؤمن) معادلة لأما مقدرة معلومة مما قبله، أى أما غير المؤمن فلا يزال صعبًا عليه لكراهته له، وأما المؤمن **(فلا تزال روعته به)** بفتح الراء، أى فزعه وخوفه من زواجره ومواعظه وهيبة منزله الحاصلة بسببه، **(وهيبته إياه)** الضمير الأول للمؤمن، والثانى للقرآن أو بالعكس **(مع تلاوته)**، أى قراءته، من تلاه إذا تبعه، أو هو بمعناه اللغوى أى اتباعه لأوامره ونواهيه، والتلاوة فى العرف تختص بالقرآن، وقيل: لا تختص به **(توليه)** أى تعطيه من أولاه معروفا إذا أعطاه، فهو بضم المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر اللام المخففة **(انجذابًا)** بنون وجيم وذال معجمة وموحدة من جذبه إذا أماله لجهته بشدة، أى يستميل قلبه وسمعه لمحبته له، وشبه الشىء منجذب إليه.

(وتكسبه) بضم التاء الفوقية وسكون الكاف **(هشاشةً)** بفتح الهاء والشين المعجمة، أى مسرة وخفة ولينًا؛ لما فيه من البشائر السارة والمعانى اللذيذة التى تجعله فى نشاط؛ **(لميل قلبه إليه وتصديقه به)**، فهو دائمًا يرتع فكره منه فى روضات أنيقة، فإذا عرف من يناجى وأنه جليس الرحمن سر ونشط، ثم استشهد لهذا بقوله: **(قال الله تعالى:** ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾) [الزمر:٢٣]، أى يعرض لجلود أبدانهم قشعريرة، أى قيام من الخوف من هيبته، فإذا تأمله وتدبره لان قلبه وجلده؛ لأنسه وسروره به؛ ولذا ترى بعض الصالحين إذا تلى القرآن تواجدوا وصاحوا، وقد يتعدى ذلك إلى الغشى وشق الثياب ونحوه، ومثله لا ينكر، ومن لم يذق لا يعرف، ولا يأبى هذا أنه لم يقع من الصحابة، رضى الله تعالى عنهم؛ لأن مقامهم مقام تمكين، وقد بسط هذا فى الإحياء، فإن أردته فارجع إليه، وعدى تلين بإلى لما فيه من معنى الميل، وذكر الجلود فى الأول وضم إليها القلوب فى الثانى إشارة إلى أن الأول قبل التدبر التام، فإذا تدبر ذلك وقر فى قلبه وزالت تلك الحالة الظاهرة عنه.

(وقال) تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ [الحشر:٢١]، الآية يعنى: ﴿لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ، وهذا

تمثيل لما فيه من الروعة التى تهد الجبال، فما بالك بالرجال، والآية مبينة فى التفاسير فلا حاجة للتطويل بذكر ما فيها.

(ويدل على أن هذا) أى ما يحدث للقلوب والأسماع من الروعة والمهابة **(شىء خص به)** القرآن دون غيره من الكلام **(أنه)** أمر **(يعترى)** أى يطرأ ويحدث **(من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره)** ممن لا يمارس كتبه ويقرؤها حتى يقف على دقائقه ولطائفه، فعلم من هذا أن تأثر السامع به لسر فيه وأمر ربانى، ولذا كان يثاب قارئه وسامعه وإن لم يفهمه بخلاف غيره.

(كما روى عن نصرانى) ليس من شأنه فهم القرآن ولا الوقوف على تفسيره، ففيه إيضاح لما قبله **(أنه مر بقارئ)** يتلو القرآن جهرًا، **(فوقف)** ليسمع قراءته وهو **(يبكى، فقيل: مم بكيت؟)**، وإنما سئل عن سبب بكائه؛ لأنه لا يصدق به ولا يفهمه، **(فقال: للشجا والنظم)** الشجا بفتح الشين المعجمة والجيم مقصور يقال: شجى يشجى شجا، وهو شجى إذا حزن أو طرب أو غضب، والثانى أنسب هنا كما قاله البرهان، والمراد بالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه، فأثر ذلك فى نفسه وهو لا يفهمه حتى أبكاه.

وسمع بعض العرب بخراسان مغنية حسنة الصوت تغنى بالفارسية، فشوقه ذلك وأشجاه وقال:

ومسمعة يحار السمع فيها ... ولا يفهمه لا يصمم صداها
ولم أفهم معانيها ولكن ... ورت كبدى فلم أفهم شجاها
فكنت كأننى أعمى معنى ... يحب الغانيات ولا يراها

ولم يذكر المصنف، رحمه الله تعالى، أن ذلك القارئ قرأ بصوت حسن حتى يكون تأثره وطربه لنغماته، وهو أبلغ وأدل على ما قصده.

(وهذه الروعة) الحاصلة عند سماع القرآن لمن لم يتدبره **(قد اعترت جماعة)** وحصلت لهم **(قبل الإسلام)**، أى قبل إسلامهم **(وبعده)**.

ثم فصل حال من اعترته الروعة قبل إسلامه لكنه تسمح فى العبارة؛ لأن القبلية تقتضى عروض الإسلام، فلا ينافى قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٣]، وكذلك قوله بعده فعبارته لا تخلو من المسامحة، وكان الظاهر أن يقول اعترت جماعة منهم من أسلم ومنهم من بقى على كفره بقوله: **(فمنهم من أسلم لها)**، أى لهذه الروعة **(لأول وهلة)** بفتح الواو وسكون الهاء، وهى المرة من الوهل وهو الفزع، يقال: وهل منه وإليه إذا فزع، ثم قيل: أول وهلة لأول ما يقرع السمع ويقع فى الوهم والفكر، وهو المراد

كما أشار إليه فى الأساس، وأسلم بمعنى أقر واعترف، **(وآمن به)** أى صدق بقلبه.

(ومنهم من كفر) أى دام على كفره؛ لإصراره على عناده لحماقته وجاهليته.

(فحكى فى) الحديث **(الصحيح)** الذى رواه الشيخان مسندًا **(عن جبير بن مطعم)** بن عدى بن نوفل بن عبد مناف الصحابى، رضى الله تعالى عنه، وقد تقدمت ترجمته وأنه أسلم فى فتح خيبر أو فتح مكة أنه **(قال: سمعت رسول الله)**، وفى نسخة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، **(يقرأ فى)** صلاة **(المغرب)**، وذلك قبل إسلامه **(بالطور)**، أى بسورة الطور، **(فلما بلغ هذه الآية ﴿مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾**) [الطور:٣٥]، أى من غير خالق لهم، كما تقول الدهرية: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾، لأنفسهم بشهادة قوله بعده: ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الطور:٣٦].

وقرأ: **(إلى قوله: ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾**) [الطور:٣٧]، أى المدبرون للأشياء كما يريدون وبينهما: ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ [الطور:٣٦، ٣٧]، يقال: مصيطر، ومسيطر للسيد المالك، **(كاد قلبى أن يطير للإسلام)**، أى حدث عندى فزع وخوف شديد ظننت أن قلبى ذاب وفنى حتى لم يبق معى، وطيران القلب يراد به نار شدة الخوف، وهو المراد هنا؛ لأن القلب متحرك دائمًا لحرارته، فإذا زالت الحرارة الغريزية لخوف أو شدة شوق وحب زاد خفقانه، فيشبه حينئذ بطائر يخفق جناحه كما قال القائل:

كأن قطاة علقت بين أضلعى   لأن فؤادى دائم الخفقان

وقلت:

عجبًا لقلبى طائر فزعا   وعليه ناحل أضلعى قفص

وعليه قول العرب: أفزع روعه كما حقق فى كتب اللغة.

(وفى رواية) أخرى غير رواية الشيخين: **(وذلك أول ما وقر الإيمان فى قلبى)** وقر بالقاف بزنه ضرب بمعنى سكن وثبت، وذلك أنه كان مشركًا فى أسارى بدر أو فى فداء أساراها، فلما سمع الآية وفهمها علم ما فيها من برهان الإيمان القاطع لعرق الكفر؛ لدلالتها على أنه لا خالق يستحق العبادة إلا الله، فسكن قلبه بعد اضطرابه حتى كاد يطير، وهذه رواية البخارى أيضًا فى المغازى، وفى رواية فصدع قلبى، وفيه دليل على صحة رواية مسلم ما تحمل حال كفره، وفيه بيان لروعة القرآن لمن سمعه وأن تلك الروعة سبب لإسلامه.

(وعن عتبة بن ربيعة) هو أبو الوليد بن عبد شمس بن عبد مناف المشهور، وهو ممن

قتل كافرًا ببدر، فلا يتوهم إسلامه بقول المصنف، رحمه الله تعالى، عن عتبة هنا، وهذا الحديث رواه ابن إسحاق فى سيره والبغوى فى تفسيره (**أنه كلم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، فيما جاء به من خلاف قومه**) يشير لما فى السير من أن أبا جهل، لعنه الله تعالى، قال لقريش: قد التبس علينا أمر محمد، فلو أتاه منا من كلمه، فذهب إليه عتبة وكان ذا رأى وحزم، وقال له: يا محمد أنت خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب؟، فلم تشتم آلهتنا وتسفه أحلامنا وتضللنا؟ وأنت منا بسطة قومنا، فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء وكنت رئيسنا، وإن كان بك الباءة زوجناك من تختار من بنات قريش، وإن كنت تريد المال جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا مالاً، وإن كان لك رئى لا تستطيع رده طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا، أو كما قال، والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم، يسمع كلامه حتى فرغ، فقال له: أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: اسمع منى ما أقول(١).

(**فتلا عليهم**) أى على الوليد ومن معه، أو من علم أنه سيبلغه ما تلاه عليه، وفى نسخة عليه بالإفراد من سورة ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت:١، ٣]، إلى قوله: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فصلت:١٣]، أى الصاعقة التى أهلكت قوم هود وقوم صالح، (**فأمسك عتبة على فيه**) أى وضع يده على فم النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، حتى يقطع كلامه وما تلاه عليه من هذه السورة؛ لخوفه من وقوع ما أنذرهم به، وفى نسخة فأمسك عتبة بيده على فى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، (**وناشده الرحم أن يكف**) أى سأله مقسما عليه بالرحم، وهى القرابة القريبة المقتضية للرحمة والتعطف عليهم من حلول ما ذكره من العقاب بهم، يقال: ناشدته ونشدته إذا أقسمت عليه قسم استعطاف.

(**وفى رواية**) أخرى لابن إسحاق فى سيرته عن كعب القرظى: (**فجعل النبى ﷺ يقرأ**) قال الراغب: جعل لفظ عام فى الأفعال كلها أعم من فعل وصنع وأخواتهما، وتأتى على أوجه، فتجرى مجرى صار وطفق، فلا تتعدى، تقول: جعل زيد يقول كذا إلخ، فالمعنى انطلق فى قراءة السورة، وقوله: لا تتعدى أى هى من أفعال الشروع، والفعل خبرها لا مفعولها، والشروع لا ينافى الاستمرار كما توهم، (**وعتبة مصغ**) اسم فاعل معتل بوزن منذر، أى مستمع لقراءته منصت لها (**ملق بيديه خلف ظهره**)؛

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة (٧٦/١)، وأورده ابن حجر فى المطالب العالية (٤٢٨٥)، والسيوطى فى الدر المنثور (٣٥٨/٥).

لاعتماده عليهما، فقوله: **(معتمد عليها)** كالتفسير له **(حتى انتهى)** أى وصل **(إلى)** آية **(السجدة، فسجد)** صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وقام عتبة)** من عنده **(لا يدرى بم يراجعه)**، أى يكلمه بعد تلاوته لروعته التى أدهشته بما سمعه منه صلى الله تعالى عليه وسلم، **(ورجع إلى أهله)**، أى دخل عتبة منزله، ولم يقابل أحدًا ممن كان ينتظر خبره، **(ولم يخرج)** من بيته **(إلى قومه)**، واستمر فى بيته **(حتى أتوه)** ليسألوه عن انقطاعه عنهم ما سببه، **(فاعتذر لهم)** عن عدم خروجه لهم، وإخباره بما جرى له معه صلى الله تعالى عليه وسلم، **(وقال)** فيما اعتذر لهم به: **(والله لقد كلمنى)** النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، **(بكلام)**، والله **(ما سمعت أذناى بمثله قط)** أى مماثل له فى حسنه وجزالته وتأثيره فى القلوب، **(فما دريت ما أقول له)**، ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وفيه دليل لما نحن فيه من الروعة والهيبة لمن بقى على كفره ممن أضله الله على علم، وفى رواية لما رأوه قالوا: والله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائى أنى سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة، يا معشر قريش أطيعونى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعته نبأ عظيم، فإن تصبه العرب كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به، فقالوا: سحرك والله يا أبا الوليد، قال: هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم.

(وقد حكى) بالبناء للمجهول **(عن غير واحد)**، أى عن كثير، وغير الواحد شامل للقليل وللكثير، ولكنه خص عرفًا بهذا كما مر، **(ممن رام معارضته)**، أى قصد أن يأتى بكلام يماثله فى البلاغة **(أنه اعترته)**، أى حدثت له وأصابته **(روعة وهيبة)** حين تلاه وسمعه **(كف بها)**، أى بتلك الروعة والفزع **(عن ذلك)** أى المذكور من روم المعارضة.

ثم ذكر بعض من سخف عقله ممن هم بذلك فقال: **(فحكى أن ابن المقفع طلب ذلك ورامه)**، أى قصد معارضة القرآن والكلام بما يماثله، وفى المقتفى للبرهان الحلبى المقفع بضم الميم وفتح القاف والفاء المشددة قبل العين المهملة، ولم يتعرض ابن ماكولا لبيان حركة الفاء، وهى مضبوطة فى النسخ بالكسر، والذى أحفظه الفتح، وذكر ابن ماكولا شخصًا يقال له: مروان بن المقفع، فليحرر هل هو هذا أم لا؟ انتهى، وهو غريب من مثل هذا الحافظ فإنه بالفتح من غير شبهة، قال فى القاموس: مقفع اليدين كمعظم متشنجهما، ومروان بن المقفع تابعى، وأبو عبد الله بن المقفع فصيح بليغ، وكان اسمه روزبة أو دازبة بن داود حسس قبل إسلامه، وكنيته أبو عمرو، ولقب أبوه بالمقفع

فتقفعت يداه، أي تشنجتا، وهذا مما يعرفه الخاصة والعامة إلا أن التلمساني، قال في حواشيه: المقفع اليابس اليدين والرجلين من برد.

وقال ابن مكي في تثقيف اللسان: إن الصواب فيه المقفع بكسر الفاء؛ لأنه كان يعمل القفاع جمع قفعة، وهي شيء يشبه الزنبيل بلا عروة من خوص وليس بالكبير، وقيل: إنه كاتب المنصور، وهو أول من هذب المنطق، وقتله سفيان المهلبي لما ولي البصرة وحضره أهلها وفيهم ابن المقفع، فذكر عنده الوطيس فلم يعرفه، وسأل عنه من حضر فضحك ابن المقفع، ثم انصرفوا فأمر ابن المقفع بالجلوس حتى خلا المجلس، فأمر بتنور عظيم وأمر بأن يسجر، وأمر بطرحه فيه فاحترق كما في مشكاة أنوار الخلفاء، وكان ابن المقفع من جملة قوم زنادقة كانوا يجتمعون لذكر مطاعن القرآن وصياغة هذيان يعارضونه بها كما أشار إليه المصنف، رحمه الله تعالى، بقوله: (**وشرع فيه**) أي في المعارضة، وذكره لأن تأنيث المصادر غير معتبر لتأويله بأن والفعل، (**فمر بصبي يقرأ: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾** [هود:٤٤] **فرجع**)، وقد تقدم بيان بلاغتها وما فيها من الإعجاز على ما في المفتاح وشروحه.

(**فمحى**) جميع (**ما عمل**) يعني غسله وأبطل ما في صحفه لما رآها لا مناسبة بينها وبين شيء من الكتاب العزيز، (**وقال: أشهد**)، أي أقر وأعترف، أو أعلم كل أحد (**إن هذا لا يعارض**)، أي لا يقدر أحد على الإتيان بمثله.

(**وما هو من كلام البشر**) لظهور إعجازه، (**وكان أفصح أهل وقته**)، فليس ممن قال ذلك بغير علم لمعرفته بصناعة الصياغة، والمراد بوقته زمانه وعصره الموجود فيه.

(**فائدة**): قال أبو الفرج ابن الجوزي: نقلت من خط أبي الوفاء علي بن عقيل الحنبلي صاحب الفنون قال: وجدت في تعاليق محقق من أهل العلم أن سبعة مات كل منهم، وله ست وثلاثون سنة، فعجبت من قصر أعمارهم مع بلوغ كل واحد منهم الغاية فيما كان فيه، وانتهى إليهم، فمنهم الإسكندر ذو القرنين، وأبو مسلم صاحب الدولة العباسية، وابن المقفع صاحب الخطابة والفصاحة، وسيبويه صاحب التصانيف والتقدم في علم العربية، وأبو تمام الطائي وما بلغ في الشعر وعلومه، وإبراهيم النظام المتعمق في علم الكلام، وابن الراوندي، وما انتهى إليه من التوغل في المخازي، فهؤلاء السبعة لم يجاوز أحد منها ستا وثلاثين سنة، بل اتفقوا على هذا القدر من العمر، انتهى.

قلت: فلينظر الزركشي، فإنه لم يجاوز الأربعين، فإنه مات في ست وثلاثين، فيضم إليهم، وكذا شيخ الإسلام تقي الدين السبكي، فانظر إلى مؤلفاته التي زادت على أكثر

من ثلاثين ما بين مبسوط، ومختصر مات عن خمسة وعشرين سنة، فيضم إليهم.

(وكان يحيى بن الحكم) بفتح الحاء المهملة وكاف مفتوحة بعدها، وقيل: إنما هو الحكيم بوزن الطبيب كما ذكره الذهبى، وقال: إنه من شعراء المائة الثانية توفى بعد مائة وخمسين، ولست على ثقة منه.

وذكره ابن خلكان فى تاريخه، وقال: إنه من شعراء الأندلس، وذكره فى الذخيرة أيضًا، **(الغزال)** بمعجمتين وزاؤه مشددة، وقيل: إنها مخففة عند الذهبى أيضًا فى كتاب المشتبه، فعلى الأول هو وصف منسوب لصنعة الغزل، وعلى الثانى: هو علم منقول من اسم الحيوان، وهو بكرى قرطبى الدار، كان فى زمن هشام بن الحكم، أقول: الذى ذكره ابن حبان فى المقتبس تاريخ الأندلس أنه يحيى بن الحكم البكرى الجيانى، لقب بالغزال فى صغره لحسنه.

وكان فى المائة الثالثة: حكيم الأندلس وشاعرها وله شعر فى غاية الحسن، وارتحل لمصر، ثم عاد للأندلس وعمر، أى بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة، وأرسل رسولاً لبلاد الفرنج، فأعجب ملكها فنادمه وسألته امرأته عن سنه، فقال: عشرين سنة فقالت له: فما هذا الشيب؟ فقال: أما رأيت مهرًا ولد أشهب فضحكت، وإلى هذا يشير بقوله فى قصيدة:

قالت أرى فوديه قد نورا ... دعابة توجب أن أدعبا
قلت لها ما باله إنه ... قد ينتج المهر كذا أشهبا

قال: وحكى أنه أراد أن يعارض سورة الإخلاص، فعرضت له حالة أوجبت توبته، وهو ما ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، الآتى **(بليغ الأندلس فى زمنه)** أى معروف بالبلاغة وفصاحة النظم والنثر فى عصره، والأندلس بفتح الهمزة وضم الدال وفتحها وضم اللام ليس إلا، وهى معربة لم تتكلم بها العرب قديمًا، وإنما عرفتها فى الإسلام، قال ياقوت فى معجمه: اشتهر على الألسنة أنها تلزمها أل، وقد وردت بدونها فى قول بعض العرب:

سألت القوم عن أنس فقالوا ... بأندلس وأندلس بعيد

وهى بلغاتها لا نظير لها سواء قلنا: فعلل أو فنعلل، والظاهر أن الهمزة زائدة لأن بعدها أربعة أحرف، ولو كانت عربية جاز أن يقال: وزنها انفعل.

فإن قلت: قال سيبويه: انقحل الشيخ المسن، ولا يعرف ما فى أوله زيادتان مما ليس جاريًا على الفعل.

قلت: هو العربى البحت، وهى تجاه تونس أرض تحتوى على بلاد، وليست جزيرة إلا أن البحر يحيط بها من ثلاث جهات هى أكثرها، فلذا سماها بعضهم جزيرة.

(فحكى) بالبناء للمجهول **(أنه رام شيئًا من هذا)** أى معارضة القرآن، ونسج كلامًا على منواله فى الفصاحة، **(فنظر فى سورة الإخلاص)** التى هى أقصر سورة أى تدبر فى نظمها ليأتى من عنده بمثلها، وسميت سورة الإخلاص لاشتمالها على ما يجب إخلاص اعتقاده من التوحيد لذات الله وصفاته؛ **(ليحذو على مثالها)** من حذوته بحاء مهملة وذال معجمة إذا قمت بحذائه أى مقابلته، وحذا النعل بالنعل إذا قطعها بمقدارها وقالبها، فالمعنى ليقول مثلها.

وفى الحديث: **(«لتركبن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل»)**، أى تعملون مثل أعمالهم من غير زيادة ونقص، فهو استعارة تمثيلية، **(وينسج بزعمه)** بزاء معجمة مثلثة، وهو الظن وأكثر ما يستعمل فى الكذب، فإن الزعم مطية الكذب **(على منوالها)** هو بمعنى ما قبله، والمنوال بكسر الميم خشبة ينسج عليها الثياب، فهو استعارة تخييلية ومكنية بتشبيه التكلم والكلام ببرود تنسج، وأثبت لها ماله من النسج والمنوال، أو هى تمثيلية أو تبعية وهو أمر سهل.

(قال)، أى ابن الحكم: **(فاعترتنى)** أى عرض لى فى حال النظر **(خشية)** أى خوف وتعظيم له، **(ورقة)** أى رقة قلب وخشوع أو ضعف ولين **(حملته)** التفات إذ الظاهر حملتنى، والحمل الإلجاء والقسر **(على التوبة)** مما كنت هممت به، والندامة على ما عزم عليه، **(والإنابة)**، أى الرجوع عنه، وفى نسخة والأوبة، وتركه لذلك لعلمه بأنه أمر لا يقدر عليه البشر.

* * *

(فصل)

(ومن وجوه إعجازه المعدودة) أى الذى عده العلماء منها إشارة إلى أنه مسبوق بذكره، **(كونه آية)** ومعجزة **(باقية)** فسره بقوله: **(لا تعدم ما بقيت الدنيا)** أى مدة بقائها إلى قيام الساعة وما ورد فى حديث حذيفة من أنه تأتى ليلة يرفع فيها القرآن لا يبقى فى الأرض منه آية هو بعد نزول عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، وظهور يأجوج ومأجوج، وهو فى حكم الساعة، ووجود الدنيا حينئذ، والعدم سواء، وبقاؤه ببقاء تلاوته محفوظًا من النسخ والتبديل والتغيير، وهذا فصل يتميز به عن سائر الكتب الإلهية فضلاً عن غيرها، وما قيل من أن عد هذا من وجوه الإعجاز لا وجه له، فإنه لا تعلق له بالنظم المعجز ساقط، فإن بقاءه كما ذكر من لوازم إعجازه بعدم مشابهته لكلام البشر

حتى يؤتى بأمثاله أو يدخل فيه ما ليس منه، أو نقول إنه من جملة ما أخبر الله به عنه، فهو من عينه وهذا أنسب بقوله: **(مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال:** ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾) [الحجر:٩]، والمراد بالذكر القرآن، وضمير له له لا له صلى الله تعالى عليه وسلم، فلما تولى حفظه بعظمته وجلال ذاته ولم يكله لغيره كغيره المقول فيه بما استحفظوا من كتاب الله كما تقدم، تأبد وتأيد حفظه لبقاء حافظه ورفعة نعمة حفظه.

(قال: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت:٤٢] **الآية)**، فلا يجد إليه سبيلاً من جهة من الجهات ما يبطله، ولا يكون قبله ولا بعده ما يكذبه أو ينسخه.

(وسائر معجزات الأنبياء) والرسل عليهم الصلاة والسلام، أى بقيتها غيره **(انقضت)**، أى مضت وذهبت **(بانقضاء أوقاتها)**، أى بعد عصرهم وزمن وجودهم انعدمت، **(فلم يبق إلا خبرها)** أى الأخبار المأثورة عنها دون ذواتها ونفسها كعصا موسى، وناقة صالح، وانفلاق البحر، وغيرها، مما هو مذكور فى السير كما قيل[1].

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثًا حسنًا لمن وعى

(والقرآن العزيز)، أى المنيع المحمى بحماية من قاله **(الباهرة آياته)**، أى الغالبة لغيرها والظاهرة، وآياته بمعنى أنواع معجزاته السالفة أو كل آية متلوة منه، فقوله: **(الظاهرة معجزاته)** على الأول توضيح وتوكيد وعلى الثانى بيان وتأسيس باقية **(على ما كان عليه اليوم)**، أى إلى يومنا هذا، فتعريف اليوم للتعريف الحضورى، كهذا الآن والجار والمجرور خبر المبتدأ، وهو القرآن، والمراد باليوم عصر المؤلف كما أشار إليه بقوله: **(مدة خمسمائة عام وخمسين وثلاثين سنة)** وروى سبع بدل خمس، والصواب الأول؛ لأنه روى أن تأليفه للشفاء كان فى أيام قضائه فى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة.

قال التلمسانى: هكذا نقله الثقات عن أبى عبد الله بن مرزوق ولم أسمعه منه، انتهى.

(لأول نزوله إلى وقتنا هذا) أى من ابتداء الوحى ونزول القرآن على نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم، إلى وقت تأليف المصنف، رحمه الله، لهذا الكتاب، فاللام بمعنى من نحو سمعت له صريحًا أى منه، كما ذكره النحاة ويدل عليه مقابلته بإلى **(حجته قاهرة)** المراد بالحجة نفس القرآن، أى هو حجة غالبة لمن كفر به، أو المراد ما فيه من الحجج والأدلة.

(ومعارضته ممتنعة) أى الإتيان بمثله لا يمكن ولم يقع **(والأعصار كلها طافحة)** الأعصار جمع عصر بفتح فسكون لا ضم وسكون؛ لأن جمع الجمع غير قياسى، وطافحة بطاء وحاء مهملتين بينهما ألف وفاء من طفح إذا فاض وتدفق **(بأهل البيان)** متعلق بطافحة،

(١) تقدم الاستشهاد به.

فإن كان مجازًا مرسلاً بمعنى ممتلئة فظاهر، وإن كان استعارة تخييلية، فعلى أن البيان مشبه بالماء على طريق الكناية، والمعنى ببيان أهل الكتاب، والمراد العارفون بإيراد التراكيب البليغة على حسب مقاماتها.

(**وحملة علم اللسان**) حملة جمع حامل ككاتب وكتبة، وهو الحافظ للسان بمعنى اللغة العربية، (**وأئمة البلاغة**)، أى العلماء بعلم البلاغة من المعانى والبيان، وقرض الشعر وغيره من العلوم الأدبية، (**أو فرسان الكلام**) الذين لهم فطرة مجبولة على القدرة على التكلم بكلام بليغ نظمًا ونثرًا وفيه استعارة مكنية وتخييلية إذ شبه الكلام بجواد فاره، والمتكلم برجل عارف برياضته والسبق به وأثبته له.

(**وجهابذة البراعة**) أى أساتذة الفصاحة الفائقة فى بابها جمع جهبذ بكسر الجيم والباء، وبينهما هاء ساكنة وآخره ذال معجمة يقال: رجل جهبذ، أى عالم نحرير، وهو لفظ معرب وأصل معنى الجهبذ النقاد البصير والسمسار الخبير فاستعير لما ذكر كذا قالوا، والذى عندى فى هذه التراكيب الخمسة أن المراد بها أهل اللسان العارفون به بجبلة نقادة وطبيعة وقادة والعلماء بعلوم العربية واللغة، فالمراد بأهل البيان الفصحاء وبالجملة علماء اللغة، وبالأئمة البلغاء الخطباء من العرب العرباء وبالفرسان الشعراء، وأهل الإنشاء المحدثين وبالجهابذة العلماء بقرض الشعر وإنشاء النثر، فلا تكرار فى كلامه، وإن كان فى مقام خطابة يحمد فيه البسط والإسهاب، ولذا كان هؤلاء فرقتان مهتد لا يكد طبعه فى العناد وضد.

(**والملحد فيهم كثير**) الملحد اسم فاعل من ألحد عن الحق إذا مال، ومنه لحد القبر، والإلحاد كما قال الراغب: ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب والأول ينافى الإيمان، ويبطله، والثانى: يوهن عراه ويحل عقدته.

(**والمعادى للشرع عتيد**) أى مهيأ حاضر باذل جهده فى عداوته، واعتد وأعد متقاربان لفظًا ومعنى، أى مع كثرة من يريد المعارضة، (**فما منهم من أتى بشىء**) من الكلام (**يؤثر**)، أى يحفظ وينقل (**فى معارضته**) والإتيان بما يماثله (**ولا ألف كلمتين فى مناقضته**) المناقضة التكلم بما يخالفه ويبطله ومنه نقائض جرير كما تقدم وهى المراجعة والمحاورة.

(**ولا قدر فيه على مطعن صحيح**) أى لم يعبه ولم يعترض عليه باعتراض يسمع منه، وقد فعل ذلك بعض الزنادقة، فافتضح وصار سخرة كما بين فى مطاعن القرآن التى ذكرها السلف، (**ولا قدح**) القدح ذكر المعايب يقال: قدح فى نسبه وعرضه إذا ذمه

وقدح الزناد ضربه لأجل النار، والمراد الأول، لكن فيه تورية بالثانى، لقوله: (**المتكلف من ذهنه فى ذلك إلا بزند شحيح**) والمتكلف، وهو الذى يفعل ما يحسنه بكلفة منه، والذهن قوة الفكر، وذلك إشارة إلى القدح والطعن، والشحيح البخيل، استعارة للزند الذى لا يخرج منه شرر منيرة، أى لم يفده قدحه شيئًا غير الخيبة، يقال: زند شحيح إذا كان لا يورى ولله در المصنف، رحمه الله تعالى، ما ألطف صنعه، ومن لم يذق حلاوة كلامه، قال: لو قال، ولا ضرب المتكلف بسيف ذهنه إلا ارتد وهو جريح، وحسن استعارته كون الذهن يوصف بالتوقد والاشتعال كما قيل:

ويكاد يحرقه توقد ذهنه لولا مياه الجود فيه والندا

لكن لا تعدم الحسناء ذامًّا فما أبلغ السكوت فى محله (**بل المأثور**) والمنقول (**عن كل من رام ذلك**)، أى قصد الطعن فيه بذكر ما يؤدى ذكاة حمقه (**إلقاؤه فى العجز بيديه**) الإلقاء بالقاف بمعنى الرمى ومفعوله محذوف، أى إلقاؤه نفسه ورميها فى مهالك العجز، ومهاويه، فشبه العجز ببئر ونحوه مما يهلك الواقع فيه وبيديه متعلق به، أى هو الرامى والطارح لنفسه، وقيل: معناه ألقى نفسه بهما فى العجز وللزومه له جعله ظرفًا له، وهو معنى ركيك.

وقول التلمسانى: إنه إلغاؤه بالغين المعجمة من لغو الكلام الذى يحسن السكوت عنه لا عليه، (**والنكوص على عقبيه**) المأثور الرجوع عما قاله باعتراف بعجزه، يقال: نكص على عقبيه، وهما مؤخر الرجل إذا رجع القهقرى.

وقال الراغب: النكوص الإحجام عن الشىء، وفى القاموس، نكص على عقبيه رجع عما كان عليه من خير، فهو خاص بالرجوع عن الخير، ووهم الجوهرى فى إطلاقه، وقيل عليه: إن قلت: معارضة القرآن شر، فكيف يكون الرجوع عنها نكوصًا على العقبين، قلت: هو مبنى على زعمه، أو هو تهكم به، كما أطلق على رجوع الشيطان يوم بدر عن إعانة قريش على النبى ﷺ، فى قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ**﴾ [الأنفال:٤٨]، وعلى أن الأصح جواز إطلاقه على خلافه أقول، هذا استعارة من رجوع القهقرى؛ لأنه بمعنى الرجوع على العقبين حقيقة، فيتجوز به عن العود إلى حاله الأول مطلقًا شرًا كان أو خيرًا، فالحق ما قاله الجوهرى.

* * *

(فصل)

(**وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدى الأمة**) ضبطه بفتح لام مقلد؛ ليناسب ما قبله،

وقيل: إنه بكسرها، والمراد بالأول المجتهدين ولك أن تقول: إنه إشارة إلى ضعف أقوالهم، **(فى إعجازه وجوهًا كثيرة منها أن قارئه لا يمله)** أى لا يسأم طبعه من كثرة قراءته، ولو أعاده مرارًا كثيرة مع أن الطباع جبلت على معاداة المعادات، **(وسامعه لا يمجه)**، أى لا يكره تكراره على مسامعه يقال: مج الشراب، ونحوه إذا رماه من فيه، فالمج حقيقته طرح المائع من الفم، فإن كان غير مائع، يقال لفظه: فأقيم الأُذن مقام الفم، واللفظ مقام الماء لرقته ولطفه، وهى استعارة لطيفة، كما قال الغزى، فيما تقدم:

وتغير المعتاد يحسن بعضه   للورد خد بالأنوف يقبل

فاستعير لتركه استعارة تبعية أو مكنية وتخييلية، فكأنه كالنفس الذى يكرره لا يمل منه؛ لأنه مادة الحياة، كما قال المعرى:

ردى حديثك ما أمللت مستمعًا   ومن يمل من الأنفاس ترديدًا

ومجه يمجه، بضم ميم المضارع كقتله يقتله، فهو من باب قتل **(بل الإكباب على تلاوته)**، أى ملازمة قراءته وتكراره، فهو مجاز من الإكباب، وهو الوقوع على الوجه كما قال: ﴿**أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ**﴾ [الملك:٢٢]، وفى اختياره على الوقوع إشارة إلى توجهه إليه قال لبيد:

ينوح الهالكى على يديه   مكبًا يجتلى نقب الفصال

(يزيد حلاوة)، أى ترداد قراءته تزيده حلاوة، ففيه ترق من عدم الملل إلى زيادة حلاوته وأصاب به المحز؛ لأن ما يمج يكون مرًا، أو مالحًا يكرهه الطبع، وهو كقول الشاطبى، رحمه الله تعالى:

وخير جليس لا يمل حديثه   وترداده يزداد فيه تجملاً

(وترديده)، أى إعادته وتكريره، **(يوجب له محبة)** لزيادة حلاوته وحسنه **(لا يزال)** كلما كرر **(غضا)**، أى جديدًا، وهو مجاز من غض الصوت والطرف، قال: جارية شبت شبابًا غضا، **(طريا)**، أى رطبًا ناعمًا، فلا تتغير بهجته ونضارته.

قال الشاطبى، رحمه الله تعالى:

وأخلق به إذا ليس يخلق جده   جديدًا مواليه على الجد مقبلاً

فكأنه فى كل مرة قريب عهد بالنزول **(وغيره من الكلام ولو بلغ من الحسن والبلاغة مبلغه)**، أى لو فرض أن بعض كلام البشر وصل إلى رتبته فى البلاغة، **(يمل)** بالبناء للمجهول، أى يمل قارئه وسامعه **(مع الترديد)**، أى مع التكرير مرارًا **(ويعادى إذا أعيد)** أى يكره ويثقل وتنفر منه النفس، كما تنفر ممن يعاديها، وهذا على فرض المحال وإلا

فقد تقدم أنه لا يوجد مثله ولا ما يقرب منه:

وأين الثريا عن يد المتناول

(وكتابنا) معاشر الأمة المحمدية النازل إلينا بواسطة نبينا ﷺ، وهو القرآن **(مستلذ به فى الخلوات)**، أى يجد قارئه لذة، إذا اختلى بقراءته، وخص الخلوة؛ لأنها محل اجتماع الحواس واطمئنان القلوب بذكر الله تعالى، فهو فيها أعظم لذة، وإن كان له لذة أيضًا بقراءته بين الناس أيضًا.

(ويؤنس) بالبناء للمجهول، أى يجد به أنسًا يدفع وحشته **(فى الأزمات)** جمع أزمة، وهى الشدة كما فى حديث: «اشتدى أزمة تنفرجى»[1].

ولام خلوات، وزاء أزمات ساكنتان فى المفرد والجمع؛ لأنه إذا جمع على فعلات يسكن فى الأسماء، ويحرك فى الصفات كما بين فى التصريف، والضمير فى كتابنا لجماعة المؤمنين لا للتعظيم؛ لأنه لا يناسب المقام، قيل: ولو قال: كتابنا يستأنس به فى الخلوات، ويستعان به على الأزمات كان أحسن، وما قصده المصنف أعلى مما قاله؛ لأن الخلوة أنسب باللذة وقرينتها؛ لأن المرء يستلذ الخلوة بمن يحبه، ولذة الأحمق مكشوفة، يسعى بها كل عدو رقيب، والشدائد لا تجد فيها رفيقًا يعين عليها، ويدفع كربها والمعالى قليلة الرفقاء، ولكل وجهة.

(وسواه من الكتب) سوى إذا ضم أوله أو كسر، وإذا فتح مد، والرواية على القصر، وهو بمعنى غير لكنه تفنن، فعبر فى الأول بغير، وفى هذا بسوى والظاهر أن المراد بالكتب الكتب المنزلة قبله كالزبور.

(لا يوجد فيها ذلك) أى اللذة والإنس المذكورين، **(حتى أحدث أصحابها)** أى اخترعوا، وألفوا والمراد بأصحابها من يقرؤها **(لها لحونًا)** أى للكتب التى يدرسونها واللحون جمع لحن واحد الألحان الأغانى والنغمات التى تزين بها الأصوات وتوزن بضروب الموسيقى على مقاماتها وشعبها مما هو معروف عندهم يقال: لحن فى قراءته إذا طرب.

وللحن معان منها هذا والإيماء والرمز، وإن اشتهر فى خطأ الإعراب، والمراد به هنا ترجيع الأصوات للتطريب والغناء تحسينًا للقراءة، والشعر، وفى الحديث: (**«اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين»**) يعنى: اليهود

---

(١) أورده الذهبى فى الميزان (٢٠١٣)، وابن حجر فى لسان الميزان (١٢١٤/٢)، والعجلونى فى كشف الخفا (١٤٦/١).

والنصارى يقرءون كتبهم بنحو من ذلك، وهكذا يفعل أهل مصر بقراءتهم فى مجامع الناس المعروفة بالجوق، وهى مما حرمه الفقهاء، وشددوا النكير على فاعله، وهو لا ينافى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: («**ليس منا من لم يتغن بالقرآن على أحد المعنيين**»)، فإن المراد به ألحان العرب المذكورة من غير تمطيط وتغيير كما فصل فى أدب القارئ.

(**وطرقًا**) جمع طريق، وهى ما يجرى على قانون الموسيقى وضروبها الموزونة (**يستجلبون**)، أى يطلبون وجودها، أو يجلبونها لهم ولمن يسمعهم (**بتلك اللحون**) والنغمات (**تنشيطهم**)، أى وجود نشاطهم وطربهم (**على قراءتها**)، أى على تطويل قراءتها وزيادتها أو على أن يقرأها غيرهم، كقراءتهم، إن أريد باللحون تغنى القارئ نفسه، ويحتمل أن يريد بما أحدثوه ما يكون مع القارئ من آلات الطرب كالمزامير، وما يسمى أرغنون من أوتار كثيرة تضرب مع القراءة ويأتلف بعضها ببعض حتى كان القارئ على نغماته على قرين الآية:

يملى على عود له أنغامه   وتراه يفرك أذنه إن قصرا

(**ولهذا**)، أى لما اختص به القرآن من عدم ملل قارئه وما بعده (**وصف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، القرآن**) فى حديث رواه الترمذى عن على كرم الله وجهه، بدون قوله الآتى، هو الذى لم تنته الجن، إلخ، (**بأنه لا يخلق**) بفتح الياء وضم اللام، أى لا يبلى ولا يتغير حاله بمرور الزمان ويجوز فتحها وضم أوله وكسر ثالثة من أخلق بمعنى خلق؛ لأنه ورد متعديا ولازمًا فلامه مثلثة بمعنى واحد (**على كثرة الرد**) بمعنى مع، والرد كالترديد بمعنى كثرة التكرار فى قراءته ورده ورddه، بمعنى كرره وكثرة التكرار فى العادة تؤثر وتفنى ما كرر كالثوب إذا تكرر لبسه كما قيل:

أما ترى الحبل بتكراره   فى الصخرة الصماء قد أثرا

وفيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيهه ببرد رقيق يلبس ليتجمل به، والمراد به إما الملل منه، فهو بمعنى ما تقدم من أن قارئه لا يمله وكل مكرر يمل ولا يتغير بتحريف ونسخ، ولا ينسى، وقد ورد أن بعضهم كرر آية واحدة طول ليله.

(**ولا تنقضى عبره**) بكسر العين المهملة، وفتح الباء الموحدة جمع عبرة بسكونها، والمراد بها عجائبه، أو مواعظه التى يعمل بها، ويعتبر، وهو عبارة عن كثرتها وبقائها، والثانى أولى؛ لئلا يتكرر مع قوله، (**ولا تفنى عجائبه**)، أى لكثرتها لا تنفد، وتنتهى جمع عجيبة، وهى ما يتعجب منه، فكلما أعدت النظر فيها ظهر لك ما هو أغرب وأعجب مما عرفته أولاً.

(هو الفصل) أى الحد الفاصل بين الحق والباطل، يقال: كلام فصل أى حق مبين محكم أو المفصول المتميز عن غيره، فهو فعل بمعنى فاعل أو مفعول، **(ليس بالهزل)** كما قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [الطارق:١٤]، أى ليس فيه لعب، ولا كلام سخيف، وهو فى الأصل من الهزال ضد السمن، فهو كله سمين لاغث فيه لما فيه من الأوامر والنواهى التى يهابها سامعها، **(لا تشبع منه العلماء)** أى لا تستغنى عنه، ولا تزال تستنبط منه معانى وفوائد فى كل حين، وفى الحديث: «**منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا**» فشبهه بمأكول به قوام حياته إلا أن كل مأكول يشبع آكله، إذا امتلأ منه جوفه، وهذا مخالف لذلك، ففيه استعارة تبعية أو مكنية وتخييلية، فموائد فوائده ممدودة وألوان لذائذه غير مقطوعة ولا ممنوعة.

(ولا تزيغ به الأهواء) بفتح المثناة الفوقية، وزاء وغين معجمتين بينهما تحتية ساكنة من زاغ إذا مال وعدل عن منهجه والأهواء بالمد، جمع هوى وهو ما تهواه وتشتهيه الأنفس من الضلال، أى لا يضل من اتبعه ويميل إلى هوى نفسه الأمارة، **(ولا تلتبس به الألسنة)** جمع لسان، وهو الجارحة المعروفة شاع فى الكلام واللغات، فالمعنى أنه لا يشبه غيره من الكلام، فلا يمكن اختلاطه به، وإدخاله فيه؛ لأن أسلوبه ونظمه لا يشبه غيره، فالمراد أنه لا يمكن أن يدس فيه دسيسة، وقيل: المعنى أنه لا يعسر قراءته على المؤمنين، وهو بعيد؛ لأنه افتعال من اللبس، وهو الاشتباه.

وقوله: **(هو الذى لم تنته الجن حين سمعته أن قالوا)**: أصل معنى انتهى بلغ النهاية، وهى آخر الشىء وغايته ويكون بمعنى كف وترك وهذا هو المراد هنا، أى لم تكف الجن عن هذه المقالة، ومن لم يترك شيئًا بادر إليه، وأقبل عليه، ولذا قيل معناه: لم يلبثوا، وأن مصدرية بفتح الهمزة ومحله نصب أو جر بتقدير عن، وما قيل: إنه فى معنى العلة، أى لم ينتهوا عن القول من أجل قولهم لقومهم، إذا رجعوا إليهم فى خلط وخبط: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن:١]، أى عجيبًا فى بلاغته وعلو رتبته وبركته وعزته ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ أى يدل على الصواب من الإيمان والتوحيد، وهو تبكيت لقريش إذ مكثوا سنين مع معرفتهم بالفصاحة لم يفهموه وهؤلاء الجن بمجرد سماعهم من غير توقف آمنوا به.

وقال البرهان: كانوا سبعة، شاطر، وماصر، ومنشئ، وماشى، والأحقب وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد فى مناقب عمر بن عبد العزيز، قال: بينما هو يمشى بفلاة إذا هو بحية ميتة فكفنها بفضل ردائه، ودفنها، فإذا قائل يقول: يا سرق أشهد بالله، لقد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، يقول: «ستموت بأرض فلاة، ويدفنك

رجل صالح»، فقال عمر، رضى الله عنه: «من أنت رحمك الله؟، قال: رجل من الجن الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، لم يبق منهم إلا أنا وسرق، وهذا سرق قد مات».

وعن ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه، أنه كان فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، يمشون فرفع لهم إعصار عظيم، ثم انقشع، فإذا حية قتيل فعمد رجل منا إلى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها، فلما جن الليل، إذا امرأتان تسألان: أيكم دفن عمرو بن جابر؟، فقلنا: ما ندرى من عمرو، فقالتا: إن كنتم ابتغيتم الأجر، فقد وجدتموه إن فسقة الجن اقتتلوا مع مؤمنيهم، فقتل عمرو، وهو الحية التى رأيتموها، وهو ممن استمع القرآن من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

قال الذهبى: الذى دفنه بالعرج صفوان بن المعطل، وهو من الصحابة وسماه عمرو ابن طارق، ومن لقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، مؤمنًا منهم عد من الصحابة والاعتراض بأنه ينبغى أن يعد منهم الملائكة أيضًا كجبريل وميكائيل، رده الذهبى بأنه أرسل إليهم، ولم يرسل للملائكة وبيانه يحتاج لتفصيل ليس هذا محله ومشى شيخنا الرملى على مقتضى كلام الذهبى تبعًا لوالده، والمعتمد خلافه، وإرساله صلى الله تعالى عليه وسلم، عام لكل الخلق حتى الملائكة وهؤلاء من جن نصيبين بلدة بالجزيرة لا باليمن كما قيل: والكلام على الجن مبسوط فى كتاب لقط المرجان فى أحكام الجان، وسيأتى بيانه فى الكلام على نطق الشجر.

(ومنها)، أى من وجوه إعجازه التى ذكرها بعضهم **(جمعه لعلوم ومعارف)** أى علوم كلية كانت فى الأمم السالفة كعلم النجوم ودقائقه وعلم الطب كما فى قوله: ﴿**لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ**﴾ [يس: ٤٠]، وقوله: ﴿**وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟**﴾ [الأعراف: ٣١]، والمعارف الجزئية كالإخبار عن قصة يوسف، عليه الصلاة والسلام، وتفصيلها مما لا يعرفه إلا من شاهدها، ومن ذلك ما قيل أن قوله تعالى: ﴿**إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ**﴾ [المرسلات: ٣٠]، أنه إشارة إلى شكل المثلث وبعض أحكامه المذكورة فى الهندسة، وفيه إشارة إلى أنه لا يفهم تفسيره إلا من تضلع من جميع العلوم **(لم تعهد العرب)** بالبناء للمفعول، أى لم تعرف فى عهدها وزمانها **(عامة)**، أى جميع العرب وعامة منصوب على الحال لإفادة العموم مثل كافة وطرا.

(ولا محمد ﷺ قبل نبوته) ونزول الوحى بها عليه، **(خاصة)** أى لم يعرف له صلى الله تعالى عليه وسلم، بخصوصه علم بها قل البعثة، أما بعدها فقد أطلعه الله تعالى على علوم الأولين والآخرين، **(بمعرفتها)** متعلق بتعهد والضمير للعلوم والمعارف، **(ولا القيام بها)**

ومداومته عليها، **(ولا يحيط بها أحد من علماء الأمم)**، أى لم يحط علم أحد من علماء السلف كالحكماء والأحبار من أهل الكتاب بشىء منها.

(ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم) أى لم يدون قبله حتى يقال: إنه أخذ علمه منها، وفسر ما ذكره بقوله، **(فجمع فيه من بيان علم الشرائع)** جمع مبنى للمجهول، أى جمع الله تعالى فى كلامه ما ذكر، والشرائع جمع شريعة، وهى والملة والدين بمعنى متحد الماصدق متغاير المفهوم، وهى وضع إلهى سائق إلى ما فيه الخير فى الدارين منقولة من الشريعة، وهى موردة الماء إذ الطريق الواسع كالشارع.

(والتنبيه على طرق الحجج العقليات) أى تنبيه الناس وإرشادهم إلى نصب الأدلة العقلية وكيفية إلزام الخصم بها كما فى قصة إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، ونظره للكواكب لإقامة الحجة على وجود الصانع، وكما فى قوله: **﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾** [الأنبياء:٢٢]، وغيره مما لا يحصى كما يأتى بيانه.

(والراد على فرق الأمم) الضالة ممن عبد الكواكب وغيرهم، **(ببراهين قوية)** محكمة الإلزام جارية على قانون المناظرة والجدل وآداب البحث، **(وأدلة بينة)** ظاهرة **(سهلة الألفاظ)** يفهمها كل من سمعها:

تكاد من عذوبة الألفاظ تشربها مسامع الحفاظ

كما مر.

(موجزة المقاصد) قليلة ألفاظها الدالة على معانيها المهمة الكثيرة، فليس فيها اختصار مخل ولا عبارة مغلقة، **(رام المتحذلقون بعد)** بالبناء على الضم، أى بعد الوقوف عليها، والمتحذلقون بزنة اسم الفاعل بحاء مهملة وذال معجمة، ولام وقاف وهو مدعى الحذق، وهو سرعة الفهم أى قصد مدعى الذكاء فى العلم وإقامة البراهين يقال: حذلق إذا أظهر الحذق وادعى أكثر مما عنده كتحذلق، فهو مأخوذ من الحذق ولامه زائدة.

(أن ينصبوا أدلة مثلها) نصب الدليل وإقامته ذكره فى مقام المخاصمة **(فلم يقدروا عليها)**، أى لم يكن لهم قدرة على الإتيان بمثل أدلته وبراهينه **(كقوله: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾)** [يس:٨١]، رد على منكرى الحشر والمعاد الجسمانى، أى من قدر على اختراع مثل هذه الأجرام العظيمة من العدم **﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ﴾** [يس:٨١]، أى مثل هذه الأجسام الحقيرة الصغيرة، ويعيدها وهو أهون عليه كما قال تعالى: **﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾** [غافر:٥٧]، فهذه حجة ظاهرة.

(و) قولـه: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس:٧٩]، أى من أوجدها من عدم محض قادر على إعادتها وأحيائها بطريق الأولى، وفى هذا أيضًا حجة باهرة.

(و) منها قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ﴾، أى فى السماء والأرض ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، فلو تعددت الآلهة فسد نظام العالم، وبطل وفيها برهان قوى قطعى، وليس إقناعيًا كما فى شرح العقائد، ويسمى برهان التمانع، وفى بيانه وإعرابه كلام مفصل لا يسعه هذا المقام، وقد أفرده بالتأليف خاتمة المحققين مصلح الدين اللازى، فحسبك من القلادة ما أحاط بعنق التقليد، فإن لكل مقام مقالا **(إلى ما حواه)** أى: مضموما ما ذكر من البراهين إلى ما اشتمل القرآن عليه **(من علوم السير)** جمع سيرة، وهى الطريقة والأخلاق الحميدة، ويخص فى العرف بالغزوات، وأخبار الجهاد، ولكل وجهة هنا **(وأنباء الأمم)** أى: أخبار من مضى منهم، **(والمواعظ والحكم)** أى: أمور الترغيب والترهيب وجوامع الكلم المحكمة المرشدة لتكميل النفوس بالملكات الفاضلة، **(وأخبار الدار الآخرة)** من الجنة والنار والحشر وأهوال الموقف وغير ذلك **(ومحاسن الآداب)** جمع أدب وهو الأوصاف المحمودة التى يشرف صاحبها **(والشيم)** بشين معجمة ومثناة تحتية ويهمز أيضا بزنة عنب جمع شيمة وهى الطبيعة وأهل مصر تستعملها بمعنى دارات الماء كقول القيراطى، رحمه الله تعالى:

لك يا نيل مصرنا كرم أخجل الديم
أنت فينا حقيقة ظاهر الوصف والشيم

وهى لغة عامية لا أصل لها **(قال الله جل اسمه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨])** [الأنعام:٣٦]، أى لم نترك شيئًا يحتاج إليه إلا بيناه فى القرآن بناء على أن المراد بالكتاب القرآن لا اللوح المحفوظ كما قيل والتفريط الترك المخل ضد الإفراط، وهو يتعدى بفى من غير تضمين معنى أغفلنا كما توهم والمعنى أنه مشتمل على جميع ما يحتاج إليه إجمالا تصريحا وتلويحا كما بينه المفسرون ومن زائدة بعد النفى فى المفعول الذى تعدى إليه بتضمين ترك ونحوه.

ثم أردفه بآية تؤيد أن المراد بالكتاب القرآن فقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ﴾ [النحل: ٨٩]، يا محمد ﴿ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ أى: مبينا لكل شىء يحتاج إليه وهو بكسر التاء مصدر على خلاف القياس بمعنى مبين ولا ثانى له غير تلقاء على كلام فيه ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم:٥٨]، ضرب المثل معلوم أى آتينا لكل أمر مهم بمثال يوضحه لما فى ضرب الأمثال من الفوائد المهمة **(وقال: صلى الله تعالى عليه وسلم)** فى حديث رواه الترمذى عن على، رضى الله تعالى عنه، تقدم بعض منه، وأورد

بقيته هنا مع زيادة فيه **(إن الله أنزل القرآن)** من اللوح المحفوظ منجمـا بحسب المصالح. وأنزل ونزل يستعمل كل منهما بمعنى الآخر، فإذا جمع بينهما أو قامت قرينة أريد بالإنزال الدفعى وبالتنزيل التدريجى كما فصلوه **(آمرا)** بالمد حال من الفاعل أو المفعول على الإسناد المجازى.

(وزاجرًا) أى: مانعًا وكافيًا وناهيًا والزجر الطرد بصوت يستعمل تارة فى الطرد وأخرى فى الصوت كما قاله الراغب **(وسنة خالية)** أى: طريقة متبعة مستقيمة لمن كان قبلكم من الأمم من خلا بمعنى ذهب ومضى ويكون بمعنى تفرغ **(ومثلا مضروبا)** جعله عين المثل مبالغة لكثرة اشتماله على الأمثال كغيره من الكتب الإلهية وهى مقرره لما مثل له لتنزيل المعقول منزلة المحسوس.

قال البيضاوى: ولأمر ما أكثر الله والأنبياء والحكماء فى كلامهم من الأمثال، وقوله: **(فيه نبؤكم)**، بالرفع كالمعطوف عليه إن كان نائب فاعل مضروبًا، فهو بتقدير مضاف أى: مثل نبئكم، وإن كان مبتدأ ففيه خبر مقدم والجملة حالية وتغيير الأسلوب يحتاج لنكتة فكأنها الإشارة إلى أنها حال أخرى غير مختصة بالقرآن كالتى قبلها، والنبأ الخبر عن أمر عظيم والخطاب للأمة، وقيل للصحابة، رضوان الله تعالى عليهم، **(وخبر ما كان قبلكم)**، عبر بالخبر تفننا وإشارة لشرف هذه الأمة، وما شامل لمن يعقل تغليبا للأكثر أو لصفات من يعقل كقوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [النساء:٣٦].

(ونبأ ما بعدكم)، أى: ما بعد النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، وصحابه، رضى الله تعالى عنهم، أو لما يقع بعدهم من الفتن وأشراط الساعة وغير ذلك إلى يوم القيامة **(وحكم ما بينكم)** أى: بيان للأحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر هذه الأمة المحمدية، وهو بضم الحاء المهملة وسكون الكاف.

(لا يخلقه طول الرد) تقدم معناه وأنه بضم أوله وفتحه من الثلاثى والمزيد، أى: لا يبليه ويفنيه تكرار تلاوته، **(ولاتنقضى عجائبه، هو الحق ليس بالهزل)** تقدم تفسيره، **(من قال به صدق)** أى: من اختار ما فيه وحكم به فقد أتى بأمر صادق لاريب فيه، وفى القاموس قال به غلب، ومنه سبحان من تعطف بالعز وقال به، وهذا لايناسب قوله صدق، **(ومن حكم به عدل)** أى: قضى بما فيه من الأحكام فهو عادل فإنه حكم الله ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، **(ومن خاصم به)** أى: خاصم بحجة وأدلة مأخوذة منه.

(فلج) أى: غلب وفاز بالنصر على من خاصمه، وهو بفتح الفاء واللام وبجيم يقال:

فلج إذا فاز وظفر بالغلبة، **(ومن قسم به قسط)** قسم بفتح القاف والسين المخففة أى: من تولى قسمة أمر فقسمها بما فى كتاب الله كقسمة المواريث والغنائم وغيرها عدل. يقال: قسط إذا جار وأقسط بالهمزة إذا عدل، فهو مقسط فالهمزة للسلب كأشكيته إذا أزلت شكايته، وهو مأخوذ من القسط وهو الميزان كالقسطاس وفى الحديث **(إن الله يخفض القسط ويرفعه)**، وهو تمثيل ويقال قسط إذا عدل أيضا فهو من الأضداد.

(ومن عمل به أجر) بالبناء للمفعول أى: حاز الأجر والثواب الجزيل **(ومن تمسك به هدى إلى صراط مستقيم)**، هو كقوله تعالى: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦]، ففيه استعارة مكنية وتخييلية هنا بتنزيل المعقول منزلة المحسوس؛ لإيصاله لمن اقتدى به إلى الطريق الحق، وهو الصراط المستقيم الذى لا عوج فيه ولا ضلالة، **(ومن طلب الهدى من غيره)** كعقله وأقوال غيره **(أضله الله)** أى: جعله شقيًا ضالاً؛ لعدوله عن الطريق الحق، **(ومن حكم بـ)** حكم **(غيره قصمه الله)** أى: قتله وأهلكه هلاكًا شديدًا، وأصل معنى القصم القطع بإبانة وانفصال، فاستعير لما ذكر ويجوز فى هذه الجملة أن تكون خبرية ودعائية إنشائية.

(هو الذكر الحكيم) الذى بمعنى القرآن، والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها أو سمى باسم قائله أى: الحكيم قائله، ففعيل بمعنى فاعل أى الذى يحكم الأشياء ويتقنها أو الحاكم لهم وعليهم، أو المحكم الذى لا خلل فيه، **(والنور المبين)** الواضح البين الذى تهتدى بأنواره العقول إلى الخروج من ظلمة الجهل والضلالة، **(والصراط المستقيم)** أى: الموصل إلى السعادة الأبدية، فيصل الناس به ومنه إلى المقصد الأسنى كما تصل من الطريق إلى ما تريد من الدار ومنازلها.

(وحبل الله المتين) أى: عهده وأمانه الذى يؤمن العذاب وكل ما يكره ويشق على النفس ويتوصل به إلى ما ينجيه ويوصله لمطالبه، والمتين بمعنى القوى المحكم، يقال: متن إذا صلب.

(والشفاء النافع) إما أن يراد بالشفاء ظاهره؛ لأنه يسترقى به فيشفى من بعض الأمراض، أو يراد به مطلق النفع على طريق المجاز كالمستفز، أو على طريقة الاستعارة بأن يشبه الجهل بالداء، ويجعل ما يزيله كالدواء والعلاج النافع الذى لاسقم بعده؛ لنفعه فى الدنيا والآخرة.

(عصمة لمن تمسك به) بكسر العين وسكون الصاد المهملتين فعلة من العصم وهو الإمساك، والاعتصام التمسك ويجوز ضم عينه أيضا، والأكثر الأفصح الكسر، وتجىء

العصمة بمعنى السوار ومنه المعصم؛ لأنه محلها، والمراد أنه حام ومانع لمن اتبعه وعمل به عن ارتكاب الفاحشة والزلل.

(ونجاة لمن اتبعه) أى: منج له ومخلص مما يخشاه **(لايعوج)** بفتح أوله وتشديد جيمه ورفعه، أى: ليس فيه خلل لفظا ولامعنى كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف:١]، والعوج بفتحتين الميل والانعطاف المدرك بالبصر، وبكسر أوله ما يدرك بالبصيرة **(فيقوم)** بالنصب فى جواب النفى أى: لايحتاج إلى تقويم يزيل عوجه، فليس كسائر الكلام المحتاج للإصلاح، **(ولا يزيغ)** بمعجمتين بوزن نصير أى: لايميل عن الحق والصواب، **(فيستعتب)** بالنصب أى: لايستحق العتاب واللوم؛ لعدم خروجه عن الاستقامة، والعتب مخاطبة إدلال وموجدة ففيه استعارة مكنية وتخييلية، وفى رواية الترمذى ولاتزيغ به الأهواء أى: تميله، **(ولاتنقضى عجائبه ولايخلق على كثرة الرد)** تقدم بيانه، **(ونحوه)** أى: نحوه هذا الحديث المروى عن على، كرم الله وجهه، ما رواه الحاكم **(عن ابن مسعود وقال)** أى: ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه، **(فيه: ولا يختلف)** أى: لايقع فيه ما يخالف بعضه بعضا مع طوله وبعد عهده، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

(ولا يتشان) بفتح الياء التحتية والتاء الفوقية والشين المعجمة وألف بعدها نون مشددة تفاعل من الشن، وهى القربة البالية فهو مستعار للبلاء والفناء بمعنى قوله فى الرواية الأخرى: «لا يخلق على كثرة الرد»، وفى رواية لايتفه ولايتشان، والتفه الحقارة وشيء تفه حقير كذا هو فى أكثر الروايات وصححوه، وفى نسخة ولايتشانأ بياء تحتية مفتوحة أو مضمومة وتاء فوقية مفتوحة وشين معجمة وألف بعدها نون وهمزة من الشنيء، وهو البغض والعداوة، فاستعير لتنافر الكلمات وعدم تناسبها حتى كان بينها عداوة، ولتخالف معانيه فهو كقوله: ولايختلف معنى، وهو معنى ظاهر مكشوف، فما قيل: الصواب هو الأول إن أرادوا بحسب الرواية فمسلم، وإن أرادوا بحسب الدراية فلا وجه له. **(فيه نبأ الأولين والآخرين)** تقدم بيانه بما يغنى عن إعادته.

(وفى الحديث) الذى رواه ابن الضريس فى فضائل القرآن عن كعب الأحبار أنه قال فى التوراة: وأنزلت على محمد، فذكره، وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف عن مغيث بن سمى مرسلاً: أنزلت على توراة إلخ **(قال الله عز وجل، لمحمد، صلى الله تعالى عليه وسلم: إنى منزل عليك توراة)** أى كتابا سماويا شبيها بالتوراة؛ لكثرة ما اشتمل عليه من الأحكام والمواعظ والوعد والوعيد والأمثال والحكم والعقائد اليقينية، فإطلاق التوراة عليه استعارة تصريحية، أو مجازًا مرسلاً، أو حقيقة إن قلنا: إنه عبرانى معناه كتاب، وإنما

عبر به لشهرته وعظم شأنه فإنه أجل كتاب نزل قبل القرآن، ولشهرته بين اليهود من أهل الكتاب الذين هم أقرب إليه وهو حديث قدسى، نزل عليه، صلى الله تعالى عليه وسلم، قبل الوحى أو فى ابتداء أمره.

(حديثة) أى: قريبة عهد بالنزول، وهو كقوله ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ [الشعراء: ٥]، فلا دليل فيه لمن يقول بحدوث القرآن، ولما كان كلام الله تعالى يسمى نورًا وشفاء قال **(تفتح بها أعينا عميا)** أى: ترشد بها من كان فى ضلالة كالأعمى؛ لعدم اهتدائه للحق، **(وآذانا صما)** أى: وتسمع بها آذانا لاتسمع الحق فتقبله، **(وقلوبا غلفا)** لايصل إليها ما يهديها إلى السعادة كأنها فى غلاف وغشاء مانع عن وصول الحق إليها وعن الفهم، وقد تقدم بيانه فسمى إزالة المانع مطلقا فتحا، أو هو من قبيل قوله[1]:

متقلـــدًا سيفًـــا ورمحًـــا

(فيها) أى فى التوراة يعنى القرآن **(ينابيع العلم)** جمع ينبوع، وهى العين التى ينبع منها الماء الجارى، فشبه العلم النابع بالماء الذى تحيى به النفوس على طريق الاستعارة المكنية، وأثبت له الينبوع على طريق التخييل.

(وفهم الحكمة) أى: ما يفهم الحكم، وهى المواعظ وكل كلام محكم نافع جعل الفهم كأنه فيها مبالغة، لكونها ينبوعه ومعدنه، **(وربيع القلوب)** الربيع يكون بمعنى الخصب والمطر، أى فيها ما تحيى به القلوب وتنمو وتخصب وتمرح وتسرح وتتنزه وتفرح، ففيه استعارة لطيفه.

(وعن كعب) ابن ماتع المعروف بكعب الأحبار كما تقدم **(عليكم بالقرآن)** اسم فعل بمعنى الزموا وتمسكوا، يقال: عليك كذا وبكذا، فالمراد ملازمة تلاوته وتدبر معانيه.

(فإنه فهم العقول) أى: مفهم للعقول ما يخفى عليها، فهو مصدر بمعنى اسم فاعل مبالغة، لا بمعنى مفعول كنسيج بمعنى منسوج، فإنه ركيك كما يرشد إليه قوله بعده: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

(ونور الحكمة) أى: منورها أو هو كلجين الماء، أى: فيه حكم يشرق نورها ويتلألأ

---

(١) عجز بيت وصدره:

يـــا ليـــت زوجـــك قـــد غـــدا

والبيت من مجزوء الكامل، وهو بلا نسبة فى الإنصاف (٦١٢/٢)، الأشباه والنظائر (١٠٨/٢ - ٢٣٨/٦)، أمالى المرتضى (٥٤/١)، الخصائص (٤٣١/٢)، لسان العرب (٤٢٢/١)، المقتضب (٥١/٢)، شرح شواهد الإيضاح (ص١٨٢)، شرح المفصل (٥٠/٢).

وضوحا ويهتدى بها.

(وقـــال الله تعـــالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦]**)** يعنى أنه بين فيه لأهل الكتاب مااشتبه عليهم واختلفوا فيه مما لم يعرفوه من كتابهم، ففيه إشارة إلى أن القرآن أجمع للأحكام من غيره من الكتب المنزلة قبله وأوضح.

(وقال) تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى﴾ [آل عمران:١٣٨] الآية، أى: لجميع الناس **(من أهل الكتاب)** وغيرهم وموعظة للمتقين، والآيتان مما يؤيد ما قاله كعب، ثم وضح ما قاله وفسره بقوله: **(فجمع فيه)** أى: فى القرآن **(مع وجازة ألفاظه)** أى: اختصارها وقلة ألفاظه مع كثرة معانيه، **(وجوامع كلمه)** معنى جوامع الكلم أنهاالكلام الجامع للمعانى الجمة فى ألفاظ قليلة واضحة، وتطلق على القرآن كما فى حديث «أوتيت جوامع الكلم» **(أضعاف ما فى الكتب قبله)** مفعول جمع، أى، جمع ما يزيد على سائر الكتب مثله أو مثليه **(التى ألفاظها على الضعف منه مرات)**، أى: مع زيادة ألفاظها عليه بأمثاله جمع من المعانى ما يزيد على أمثاله معانيه، وضعف الشيء يكون بمعنى مثليه وأمثاله، والتضعيف الزيادة مطلقًا، وفيه كلام لأهل اللغة ليس هذا محله.

(ومنها) أى: من وجوه الإعجاز التى ذكروها **(جمعه فيه)** أى: جمع الله فى القرآن **(بين الدليل والمدلول)** الدليل هو الدال المرشد، أى: ما يمكن التوصل بالنظر فيه إلى مطلوب خبرى، والمدلول هو المطلوب بالدليل هنا، وإن كان بمعنى المعنى مطلقا، ثم بين معنى الجمع المذكور بقوله: **(وذلك)** أى: الجمع بينهما **(أنه احتج)** بالبناء للمجهول فهو بضم أوله وثالثه، أى أن الله أقام فيه الحجة على ما أراد إثباته والإلزام به لمن أقيمت عليه الحجة.

(بنظم القرآن) أى: بنظامه البديع المعجز **(وحسن رصفه)** براء وصاد مهملتين وفاء لا بواو كما فى بعض النسخ وهو من رصف البناء وهو ضم بعضه إلى بعض، فالمراد حسن نظمه وتأليفه كما يؤلف البناء شيئا بعد شىء، حتى يتم ويكمل فى غاية الإحكام، وضمير أنه لله أو للقرآن، **(وإيجازه وبلاغته)**، وفى نسخة إعجازه، أى كونه فى أعلى طبقات البلاغة المعجزة لكل بليغ **(وأثناء هذه البلاغة)** بالنصب على الظرفية خبر مقدم **أى:** فى خلالها، وأثناء بالمد على وزن أفعال جمع ثنا بالضم والقصر، وهو ما أثنى ودخل بعضه فى بعض كما أشار إليه ابن هشام اللخمى فى شرح الدريدية كما مر.

وهذا هو الدليل السابق ذكره، ثم ذكر المدلول فقال: **(أمره ونهيه ووعده ووعيده)**

وغير ذلك من المقاصد العظيمة التى أرادها الله تعالى، **(فالتالى له)** أى القارىء بفهم وتدبر لمعانية **(يفهم موضع الحجة والتكليف)** بالجر والنصب **(من كلام واحد وسورة منفردة)** عن غيرها مما هو حجة، أو محتج عليه يعنى أن كل مقدار معجز منه دال على مقصد من مقاصده يكون دالا على مطلوب ومدعى، وعبارته الدالة عليه برهان مصدق له لإعجازها.

وقيل: المعنى أنه وقع فيه الجمع المذكور كما فى قوله فى سورة الواقعة لما حكى كلام منكرى المعاد وهو ﴿أَئِذَا مِتْنَا﴾ [الواقعة:٤٧] إلخ، عقبه بما قطع عرق شبهتهم بقوله ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة:٥٨] إلى آخره، وقيل أنه كقوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]، أنه حجة لتحريم التأفيف، ومكلف باجتنابه، وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، حجة لوجوب الصلاة والأضحية، وأنه مكلف بهما وهذا كلام لامحصل له ومحل يحتاج للتحرير.

(ومنها) أى: من وجوه إعجازه **(أن جعله فى حيز)** يقال: تحيز وتحوز تفعيل، وهذه المادة معناها فى كلام العرب يتضمن العدول من جهة أخرى من الحيز، وهو فناء الدار ومرافقها، ثم قيل لكل ناحية، فالمستقر فى موضعه كالجبل لايقال له متحيز، ويراد بالمتحيز عند غير العرب ما يحيط به حيز موجود، وهو أعم من هذا، والمتكلمون يريدون به أعم من هذا، وهو كل ما أشير إليه سواء كان له حيز أو لا، فالعالم كله متحيز كما قاله ابن تيمية.

(المنظوم الذى لم يعهد) أى: المؤلف الواقع على طريقة لاتشابه شيئا من كلامهم المنظوم، لاشعرا ولا خطبة ولا رسالة مع كونه واضح الدلالة بلسانهم.

وهذا إنما يعرفه من له معرفة بكلام العرب نظمه ونثره وسجعه، كما بينه فى كتاب الإبانة، ثم قال: فإن قلت وما هذه المباينة العظيمة التى بين القرآن وبين سائر كلام العرب، وجميع المنظوم والأوزان حتى صار لأجلها معجزا باهرا؟، قلت: هى ما فى القرآن من البلاغة التى لايقدر أشد أهل البلاغة واللسن تقدما فى البيان أن يأتى بمثلها، أو ما يقاربها، **(ولم يكن فى حيز المنثور)** أى: لم يشبه أقسام منثورهم من السجع الملتزم فيه حروف كحروف روى الشعر، ولا خطابة لمقاطع فصول الخطب ومواضع استراحاتها، لا لاشتماله على الفواصل كما توهم.

(لأن المنظوم أسهل على النفوس) أى: الكلام المتسق نظمه وتأليفه على نهج واحد، والمفضل عليه المنثور بالمعنى السابق، **(وأوعى للقلوب)** **جمع قلب** أى: أدخل فى وعائه

وهو القوة الحافظة له، وفى الحديث بعد ذكر الأنبياء الذين رآهم فى السماء أوعيت منهم، أى: أدخلته فى وعاء قلبى فهو اسم تفضيل من المبنى للفاعل على القياس، واللام داخلة على الفاعل كما يقال هو أوعى لى، ولاقلب فيه، والصواب: والقلوب أوعى له كما توهم.

(وأسمح فى الآذان) بسين وحاء مهملتين أى: أسهل مستعار من السماحة، وليس من أسمح المزيد كما قيل، وليس أيضا بخاء معجمة من السماخ وهو الصماخ، أى: منفذ الأذن كما توهم، **(وأحلى على الأفهام)** أى: يستعذبه الذوق السليم فيجد له لذة وحلاوة، **(فالناس إليه أميل)** أى: أكثر ميلا ومحبة كما قال التسترى:

فإنى إلى قوم سواكم لا أميل

(والأهواء إليه أسرع) جمع هوى وهو ميل النفس وانجذابها، أى ميل القلوب نحوه، أشد من ميلها لغيره.

(ومنها) أى: من وجوه إعجازه **(تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه)** أى: من يريد تعلمه **(وتقريبه على متحفظيه)**، أى: تسهيل حفظه لمن يريده **(قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ **)** [القمر:١٧]، فى الكشاف معنى الآية سهلناه للإذكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية، وصرفنا فيه من الوعد والوعيد، وقيل: معناها سهلناه للحفظ وأعنا من أراد حفظه، ويجوز أن يكون معنى يسرناه هيئناه، من يسر ناقته للسفر إذا رحلها، وفرسه للغزو إذا أسرجه وألجمه كما قال:

وقمت إليها باللجام ميسرا   هنالك يجزينى الذى كنت أصنع

وعلى الوجه الثانى بنى المصنف استشهاده بالآية.

(وسائر الأمم) التى قبل هذه الأمة من أهل الكتابين وغيرهم **(لايحفظ كتبها الواحد منهم)**، أى:لايوجد فيها واحد يحفظ كتابهم المنزل على أنبيائهم، إلا نادرًا، وروى عن ابن جبير أن بنى إسرائيل لم يكن فيهم من يحفظ التوراة، فكانوا لايقرءونها إلا نظروا فى صحفها غير موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير، فقيل: إنها رفعها الله تعالى، وقيل: إنها حرقت فجاء عزير وتلاها عليهم كما أنزلت من حفظه، فافتتنوا به وقالوا: إنه ابن الله، وقد من الله تعالى على هذه الأمة بأن يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة لاتحصى إلى الآن.

(فكيف الجماء) منهم أى فإذا لم يتيسر ذلك لواحد منهم إلا نادرًا كيف يتيسر للكثير، والجماء بفتح الميم المشددة والمد بعد جيم مفتوحة من الجموم وهو الاجتماع

والكثرة التى لاتعد، وفى بعض النسخ: فكيف الجم بدون مد، وكلاهما صحيح رواية ودراية، وفى الأساس عدد جم وحبك حباجما، وجاؤوا جمًا غفيرًا والجماء الغفير اشتق من جمة الشعر، وقيل: من أن الصواب الجم؛ لأنه لايتلفظ بالجماء إلا موصوفا نحو جاؤوا الجماء الغفير لا أصل له.

وذلك إنما هو إذا كان منصوبًا كما ذكره أهل العربية (**على مرور السنين عليهم**)، أى: مع طول أعمارهم وامتداد أزمنتهم لم يتيسر لهم حفظ كتبهم.

(**والقرآن ميسر حفظه للغلمان**)، أى: لغلمان هذه الأمة وأطفالهم فى مكتبهم (**فى أقرب مدة**)، أى: فى زمن قليل كسنة ونحوها، كما شاهدناه، وغلمان بكسر الغين المعجمة، وهو من حين يولد إلى أن يشب.

(**ومنها**) أى: من وجوه الإعجاز عند بعضهم (**مشاكلة بعض أجزائه بعضًا**) أى: مشابهة بعضه لبعض، قال الراغب: المشاكلة فى الهيئة والصورة، والند فى الجنسية، والشبة فى الكيف والشكل الدال، وهو فى الحقيقة الأنس الذى بين المتماثلين فى الطريقة.

ومن هذا قيل: الناس أشكال وآلاف، وأصل المشاكلة من الشكل أى: تقييد الدابة بالشكال ومنه شكل الكتاب (**وحسن ائتلاف أنواعها**) أى: مناسبة أنواع تلك الأجزاء، فتكون كلماته متناسبة، وجمله المركبة أيضا بينها ألفة وحسن مناسبة تامة (**والتئام أقسامها**) بهمزة ويجوز إبدالها ياء أيضًا، أى: توافقها وانضمام كل قسم إلى مشاكله، (**وحسن التخلص من قصة إلى أخرى**)، وهو أن يوافق مطلع السابقة مبدؤ اللاحقة، حتى يصير كالقصة الواحدة (**والخروج من باب إلى غيره**)، أى: الانتقال من نوع من الكلام إلى نوع آخر، وفى ذكر الخروج مع الباب لطف ظاهر (**على اختلاف معانيه**) الضمير للقرآن، وعلى بمعنى مع أى: تراء مع اختلاف مقاصده لايخرج عن المناسبة التامة جمله وتفاصيله، وهذا يعلم من كتاب المناسبات، وقد صنف فيه كتب أجلها مناسبات البقاعى، وحسن التخلص مما اعتنى به البلغاء والشعراء كقوله:

يقول فى فرس صحبى وقد أخذت   منى السرى وخطى المهرية القود
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا   فقلت كلا ولكن مطلع الجود

والانتقال من غير مناسبة يسمى اقتضابا.

(**وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهى وخبر واستخبار**) أى استفهام وهو أحد أقسام الإنشاء المقابل للخبر، وعدى الانقسام بعلى والمعروف تعديته بإلى إلى أقسامه،

وإنما يتعدى بعلى لمن يعطى تلك الأقسام، فتقول: النقد ينقسم إلى دراهم ودنانير، وتقول قسمته على الفقراء والمساكين، فإذا استعمل أحدهما فى مكان الآخر وأراد الكلام كان تجوزًا لنكتة، وهى هنا جعل المقسم الكلى كأنه أمر خارج قسم على أفراده أو أنواعه، فنال كلا حصة منه؛ لوجوده فى ضمنه، فلا يحسن ذلك فى كل محل، ولا من كل قائل.

(**ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد**)، كقوله ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٤٥]، ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤]، وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، (**وتقرير**) لبعض ما شرع أولا، (**وترغيب وترهيب**) بوعد من اتقى بالنعيم المخلد وأن من كفر فى سواء الجحيم منضمًا ما ذكر (**إلى غير ذلك من فوائده**) كضرب الأمثال. وذكر القصص للعبرة بها (**دون خلل**) أى: أمر يخل به وينقصه (**يتخلل فصوله**) أى: يكون فى أثناء فصوله، والفصل عبارة عن جمل من الكلام مستقلة، وقيل: إنه بمعنى الفاصلة وهى الكلمة مما يضاهى السجع، (**والكلام الفصيح**) من كلام البشر (**إذا اعتوره**)، أى ورد عليه وطرأ وتداوله (**مثل هذا**) أى: تضمن أنواعا من المقاصد كوعد ووعيد وعبرة، وتخلل فصوله التى ينشئها المتكلم الفصيح (**ضعفت قوته**)؛ لأنه يكل خاطر قائله بتعدد أنواع المقاصد، فينزل عن مرتبتها التى ساقها فى أوله (**ولانت جزالته**) أى: صلابته وشدته تنقلب لضدها، (**وقل رونقه**) أى: صفاؤه ونضارته.

(**وتقلقلت ألفاظه**) أى: اضطربت، والقلقلة فى الأصل الحركة بعنف، ويقال: تقلقل فى البلاد إذا طال سفره، فاستعير لتنافر الكلام الطويل، (**فتأمل**) أى: تدبر وأطل النظر والفكر (**أول**) سورة ﴿صٓ﴾ ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِي ٱلذِّكْرِ﴾ [ص: ١] إلى آخره.

(**وما جمع فيها**) بالبناء للفاعل أو المفعول، وأنث ضمير أول لأنه بمعنى الفاتحة، أو لاكتسابه التأنيث مما أضيف إليه من اسم السورة (**من أخبار الكفار**) أى: كفار قريش من تعجبهم بأن جاءهم نذير منهم وقولهم إنه ساحر كذاب وغيره.

(**وشقاقهم**) أى: عداوتهم لله ورسوله، صلى الله تعالى عليه وسلم، بقوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص: ٢].

(**وتقريعهم**) وتوبيخهم (**بإهلاك للقرون من قبلهم**) بقوله: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ [ص: ٣].

(**وما ذكر**) فيها (**من تكذيبهم بمحمد، صلى الله تعالى عليه وسلم**) فى قولهم: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٧]، (**وتعجبهم مما أوتى به**)، فى

قوله: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص:٨] إلى آخره.

(**والخبر عن اجتماع ملئهم على الكفر**) الخبر هنا بمعنى الإخبار، والملأ جماعة الأشراف والرؤساء وذلك أنه لما أسلم عمر، رضى الله تعالى عنه، شق عليهم إسلامه، فاجتمعوا عند أبى طالب، وقالوا له: أنت شيخنا وكبيرنا، وقد رأيت ما فعل هؤلاء السفهاء فاقض بيننا وبين ابن أخيك، فجاء بهم له، صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال له: يا محمد هؤلاء قومك يسألونك القصد، فلا تمل عليهم كل الميل؛ فقال لهم: ما تسألونى؟ قالوا: دعنا وآلهتنا وندعك وإلهك؛ فقال: أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتموه أتعطونى أنتم كلمة واحدة تدين لكم بها العرب والعجم قالوا: نعم، وعشرا، قال: قولوا لا إله إلا الله، فقالوا ﴿ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ [ص: ٦].

(**وما ظهر من الحسد فى كلامهم**) أى: ماظهر فى كلامهم مما يدل على حسدهم له، صلى الله تعالى عليه وسلم، على ما آتاه الله فى قولهم: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ [ص:٨]، ممادل على اعترافهم وتيقنهم بصدقه، صلى الله تعالى عليه وسلم، إلا أن الحسد أخرس ألسنتهم وأعمى قلوبهم.

(**وتعجيزهم**) حيث قال: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ﴾ [ص: ٩، ١٠]، فإنهم لما أنكروا اختصاصه، صلى الله تعالى عليه وسلم، من بينهم بالنبوة بين لهم أنها رحمة منه يصيب بها من يشاء ممن ارتضاه من عباده، فلا مانع لما أراد فإنهم لايملكون خزائنه والتصرف فيها حتى يضعوا النبوة فى صناديدهم، فإن أنكروا ذلك فليصعدوا إلى السماء، وينزلوا الوحى لمن أرادوه، وفى هذا غاية التهكم بهم، وإظهار عجزهم وقصورهم.

(**وتوهينهم**) أى: إظهار ضعفهم ووهن كيدهم وتحقيرهم بقوله: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [ص: ١١]، أى هؤلاء الذين كذبوك وتحزبوا عليك جند ذوو حقارة لاقدرة لهم على التصرف فى الأمور الربانية، فلا تكترث بهم.

(**ووعيدهم بخزى الدنيا**) بهزيمتهم (**والآخرة**) بذوقهم العذاب فيها، (**وتكذيبهم الأمم قبلهم**)، أى: وعيدهم بذكر من كذب من الأمم قبلهم، (**وإهلاك الله لهم**) بقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ﴾ [ص:١٢]، إلى قوله ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص:١٤].

(**ووعيد هؤلاء**) يعنى كفار قريش الذين كذبوه كما كذب الأمم رسلهم، فيحل بهم ما حل بهم (**مثل مصابهم**) منصوب بقوله وعيدهم، (**وتصبير النبى، صلى الله تعالى عليه وسلم، على إيذائهم**) أى: أمره بالصبر بقوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل:١٠]، إلى

آخره.

(وتسليته بكل ما تقدم ذكره) من بيان ما آل إليه أمرهم وأن له، صلى الله تعالى عليه وسلم، فيمن تقدمه من الرسل أسوة **(ثم أخذ)** أى: شرع بعد تصبيره وتسليته **(فى ذكر داود عليه الصلاة والسلام)** بقوله: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾ [ص:١٧] إلى آخره، قيل: لما فى قصته من تقطيع المعصية بذكر ما صدر منه من خلاف الأولى الذى صدر منه، فعوتب عليه، ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ۩﴾ [ص: ٢٤]. فما بالك بغيره فهذا وجه ذكره هنا، فتدبر.

(وقصص الأنبياء) بفتح القاف وكسرها كسليمان وأيوب وإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام بقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ [ص: ٣٤] إلى آخره، فذكرهم الله تعالى، مثنيا عليهم **(كل هذا)** المذكور فى أول سورة ﴿صٓ﴾ مذكور **(فى أوجز كلام وأحسن نظام)** على أتم ارتباط من غير خلل يزيل رونقه ويقل ماء فصاحته.

(ومنه) أى: من إعجاز القرآن وفى بعض النسخ ومنها، ويحتمل أن يريد مما ذكر فى أول سورة ﴿صٓ﴾ **(الجمل الكثيرة)** من المعانى؛ لقوله: **(التى انطوت عليها)** واشتملت **(الكلمات القليلة)** بالنسبة لمعانيها، وفى القلة والكثرة طباق البديع، وقيل عليه أن محصل هذا أنه إيجاز، وقد تقدم ذكره غير مرة فلا حاجة لإعادته وعده وجهًا مستقلا ولذا استدركه بقوله: **(وهذا كله)** أى ما ذكر هنا.

(وكثير مما ذكرنا) فى هذا الفصل من أوله إلى هنا **(أنه ذكر فى إعجاز القرآن)** مضافا **(إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها إذ أكثرها داخل فى باب بلاغته)**، أشار بقوله أكثرها إلى أن منها مالا يدخل فى البلاغة كتسهيل حفظه، وإن كان يرجع إليه بوجه بعيد، وإلا لم يعده الأئمة من وجوه الإعجاز، **(فلا يجب أن يعد فنا منفردًا فى إعجازه)** بل يجعل من توابعه أو ثمراته **(إلا فى باب تفصيل فنون البلاغة)** فيعد فنا منها كمشاكلة أجزائه وحسن التخلص، فإنه فن منفرد من البلاغة لامن الإعجاز، فإنه لايتوقف عليه إذ من المعجز ما لا يكون فيه ذلك، كسورة الإخلاص مثلاً.

(وكذلك) أى: من مثل المذكور **(كثير مما قدمناه ذكرها عنهم)** أى: عن الأئمة **(بعد فى خواصه وفضائله لا إعجازه)** لأنه لامدخل له فيه **(وحقيقة الإعجاز)** عند من لم يقل بالصرفة إنما هى **(الوجوه الأربعة)** التى قدمها المصنف، رحمه الله تعالى، أولا كما قال: **(التى ذكرنا فليعتمد عليها)** فى تحقيق الإعجاز ويستند إليها من أراد تحقيقه **(وما بعدها)** مما ذكر فى هذا الكتاب، فإنما هو **(من خواص القرآن)** التى لاتوجد فى كلام غيره،

(وعجائبه التي لاتنقضى) أى: لاتعد ولا تتناهى **(وبالله التوفيق)** أى: ما التوفيق والهداية للوقوف على عجائبه التى لاتتناهى إلا من الله وعنايته. وفى بعض النسخ «والله الموفق».
وفى حديث قدسى: «من شغله القرآن عن دعائى ومسألتى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين» اللهم فاجعله ربيع قلبى، وشفاء همى وغمى، ثم عقب معجزة القرآن التى هى أعظم معجزاته، صلى الله تعالى عليه وسلم، بمعجزة أخرى عظيمة مناسبة له فى أنها سماوية ومعجزة علية، فقال:

(فصل فى انشقاق القمر وحبس الشمس)

أى فى ذكر معجزته صلى الله تعالى عليه وسلم بشق القمر له وجعله فلقتين، وفى منع الشمس عن مسيرها للغروب كما سيأتى بيانه، وهذا كان عقب قصة الإسراء، وفى معناه رد الشمس الآتى فى قصة على.

واقتصر فى الترجمة على هذا؛ لأنهما فى المعنى سواء ولما سيأتى.

قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١]: قدم اقتراب الساعة عليها، تخويفًا لمنكرى ذلك، وإثباتًا له، وتقريرًا فى نفوس المؤمنين بها، إذ تشقق السموات فيها، فالقادر على ذلك الفعال لما يريد. كيف لا يقدر على شق القمر؟.

واقتربت بمعنى صارت قريبة من بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم، كما ورد فى الحديث: «بعثت أنا والساعة كهاتين»[(١)]، وأشار بأصبعه الوسطى والسبابة؛ لأن التفاوت بينهما مقدار سَبْع[(٢)]، وبعثته صلى الله تعالى عليه وسلم فى الألف السابعة على ما اشتهر عند المحدثين وغيرهم، وإنما كانت الساعة قريبة؛ لأن عمر الدنيا على المشهور سبعة آلاف وكسور[(٣)]، وقيل: أكثر من ذلك، وقد بعث نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى آخرها ألفًا، وحيث لم تبق إلا صبابة، وقوله: انشق القمر: أى وقع شقه، وجعله فلقتين فى الزمن الماضى بمكة معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم، إذ قال المشركون له: أرنا آية وهذا ما عليه جمهور المفسرين.

---

(١) أخرجه البخارى (١٣١/٨، ١٣٢)، ومسلم فى الفتن (١٣٥)، والنسائى (١٨٩/٣)، والترمذى (٢٢١٤)، وابن ماجه (٤٥، ٤٠٤٠)، وأحمد (١٢٤/٣، ١٣٠، ١٣١، ٢٣٧)، والبيهقى فى الكبرى (٢٠٦/٣، ٢١٣)، والطبرانى فى الكبير (٢٢٧/٢).

(٢) أى أن النبى ، فرج بين إصبعيه إشارة إلى العدد (سبع ٧) ولعل هذا فيه نظر إذ هل كانوا يعرفون تلك الأعداد بتلك الرموز؟.

(٣) كل ما قيل فى هذا لا يصح ويخالف صريح القرآن: ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾. و لم يرد فى القرآن ولا فى صحيح السنة ما يدل على عمر الدنيا.

وقيل: إن المعنى أنه سينشق فى المستقبل إذا قامت القيامة، وعبر بالماضى؛ لتحققه، ورده جماعة وقالوا: إنه مبنى على قول الفلاسفة أن الأجرام العلوية لا تقبل الخرق والالتئام، ويكذبه القرآن.

وقوله: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن:٣٧]، وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر:٢] أى دائم أو محكم من أمر الحبل إذا أحكم فتله، وقد ثبت انشقاق القمر له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الصحيحين، وأخبر به جماعة من الصحابة وإلى بيان ذلك أشار بقوله: (أخبر الله تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضى وإعراض الكفرة عن آياته) ومعجزاته التى لا يمكن البشر الإتيان بمثلها.

(وأجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه): فى الماضى، وقال السبكى، رحمه الله تعالى: إنه متواتر لا يجوز إنكاره، وردّوا قول الماوردى: إن الجمهور على خلافه، وتأويل **(ينشق)** بمعنى سينشق؛ فإنه لو وقع لم يبق أحد إلا رآه، ولم يعتد المصنف رحمه الله تعالى، بهذه المقالة، وهى لاتخرق إجماع السلف من أهل السنة، ومثله ليس من أهل التفسير، بل من أهل التأويل عنده إلا أن بعضهم نظر فى حكايته الإجماع بأن السجاوندى والنسفى قالا فى تفسيريهما: إنه منقول عن الحسن البصرى، وكذا قال أبو الليث فى تفسيره: إن معناه سينشق وعزاه بعضهم للجمهور ومن الغريب ما حكى عن بعض شراح المدونة أن فلقة منه نزلت لجنبه، وخرجت من كمه صلى الله تعالى عليه وسلم، ولما أرسل أبو بكر بن الطيب رسولا لملك الروم بقسطنطينية، وقيل له: إنه أجل علماء الإسلام أحضر بعض بطارقته لمناظرته، فقال له: تزعمون أن القمر انشق لنبيكم، فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم؟ فقال له: وهل بينكم وبين المائدة أخوة ونسب إذ رأيتموها ولم ترها اليهود ويونان والمجوس الذين أنكروها وهم فى جواركم؟ فأفحم ولم يفه بشىء[(١)].

(أخبرنا الحسين بن محمد): هو أبو على الغسانى الجيانى تقدم مفصلا ترجمته.

(الحافظ من كتابه): لا بقراءته عليه قال: **(حدثنا سراج بن عبد الله الأصيلى)** السابق ترجمته، وفى نسخه أخبرنا فى جميع ما يأتى قال: **(حدثنا المروزى)** تقدم مع بيان نسبته قال: **(حدثنا الفربرى)** تقدم بيانه وضبط نسبته، قال **(حدثنا البخارى)** الإمام المشهور، قال: **(حدثنا مسدد)**: عبد الملك بن عبد العزيز الأسدى، ومسدَّد بوزن اسم المفعول: لقب له كمسرهد وهو مُسدَّد بن مسرهد بن مسربل بن مغربل بن مرعبل بن أرندل بن

---

(١) لم يَفُهْ بشىء: أى لم يتكلم بشىء.

سرندل بن عرندل بن ماثيل بن المستورد محدث البصرة، وقال أبو نعيم: لو كان فى أول هذه النسبة بسم الله الرحمن الرحيم كانت رقية للعقرب، وهو إمام حافظ روى عنه أصحاب الكتب الستة، وتو فى سنة ثمان وعشرين ومائتين.

قال: **(حدثنا يحيى)** بن سعيد بن أبان الأموى الحافظ، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وتوفى سنة أربع وتسعين ومائة، وسنه ثمانون وترجمته فى الميزان.

(عن شعبة) بن الحجاج العتكى الحافظ أمير المؤمنين فى الحديث كما تقدم.

(وسفيان) بن عيينة أبو محمد الهلالى الكوفى أحد الأعلام الذى أخرج له الستة، وتوفى سنة ثمان وتسعين ومائة كما تقدم.

(عن الأعمش): سليمان بن مهران السابق ترجمته.

(عن إبراهيم) النخعى السابق ترجمته **(عن أبى معمر)** الأزدى الكوفى وهو بفتح الميمين وسكون العين.

(عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه، قال: انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم): أى فى زمانه وحياته: والعهد يأتى بهذا المعنى كما فى القاموس وغيره، وذكره للرد على من يقول: إنه سيكون بعده يوم القيامة **(فِرْقتين)** بكسر الفار وسكون الراء المهملة: بمعنى قطعتين، والمراد نصفين، وانتصابه على المصدرية من معنى انشق، كقعد جلوسا أو بتقدير افترق.

(فرقةً فوق الجبل وفرقةً دونه) بالنصب بدل من فرقتين، والجبل حراء أو أبوقبيس، وفوق يجوز رفعه ونصبه، ودونه بمعنى فى مقابلته منفصلا عنه لا تحته، كما قيل؛ لما سيأتى.

(فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: اشهدوا) إنما قال ذلك؛ لأن المشركين اجتمعوا إليه صلى الله تعالى عليه وسلم، فقالوا: إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين، فقال لهم: إن فعلت تؤمنوا؟ قالوا: نعم، فسأل ربه أن يعطيه ما قالوا، فانشق القمر فرقتين، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادى: يا فلان يا فلان اشهدوا، وذلك بمكة قبل الهجرة، رواه ابن الجوزى فى الوفاء عن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما.

وقاله لأنه وقع ليلا فى وقت الغفلة: أى اشهدوا على معجزتى ونبوتى ووقوع ما طلبوه؛ لأنهم أهل بهتان وجحد، وفى صحيح مسلم أنه انشق مرتين، قال ابن القيم فى كتاب إغاثة اللهفان: المرات يراد بها الأفعال تارة والأعيان أخرى، وأكثر ما تستعمل فى الأفعال، وأما فى الأعيان فكقوله فى الحديث: **(انشق القمر مرتين)**: أى فلقتين، ولما

خفى هذا على بعضهم، زعم أن الانشقاق وقع مرتين، ويأتى ما فيه عن قريب.

(وفى رواية مجاهد) التى رويت عن ابن مسعود فى الصحيحين **(ونحن مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)** جملة حالية تفيد أنه شاهد ذلك و لم يسمعه من غيره.

(وفى بعض طرق الأعمش) كما رواه أحمد فى مسنده بزيادة قوله: **(بمنىً)**: منون وغير منون اسم بقعة معلومة سميت بها؛ لكثرة ما يمنى بها من الدم: أى يراق، ويقال لها المنازل أيضًا، ويقال: نزلوا إذا أتوا منى قال: أنازلة أسماء أم غير نازلة؟ قاله ابن هشام اللخمى فى شرح المقصورة.

واختلفت الروايات فى محل الانشقاق. فقيل: بمكة. وقيل: بمنى. وفى أخرى: رئى حراء بينهما. وقيل: شقة منه على أبى قبيس وأخرى على السويداء.

والذين طلبوا ذلك منه صلى الله تعالى عليه وسلم: الوليد بن المغيرة، وأبو جهل، والعاص بن وائل، والعاص بن هشام، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن عبد المطلب، ونظراؤهم.

وهذه الروايات فى محله لا تنافى بينها؛ لأن كل راءٍ يرى القمر بإزاء مكان رؤيته.

(ورواه أيضًا عن ابن مسعود الأسود) بين يزيد بن قيس بن عبد الله بن علقمة بن سلامان، و لم يعينه المصنف، رحمه الله، لشهرته وهو من كبار التابعين معروف بالرواية عن ابن مسعود، وهو من المعروفين بالزهد وكثرة العبادة، توفى سنة خمس وسبعين.

(وقال): أى ابن مسعود: **(حتى رأيت الجبل)**: يعنى جبل حراء على ما تقدم.

(بين فرجتى القمر): أى فلقتيه وقطعتيه؛ لبعد ما بينهما وهى[1] بضم الفاء وفتحها، والضم أولى، لأن فعلة بالفتح للمرة وبالكسر للهيئة وبالضم للمقدار الحاصل، كالغرفة للمغروف، والفرجة الفضاء ما بين الشيئين، فتجوَّز به عن المنفرج نفسه، إذ الظاهر بين القطعتين المنفرجتين، وقصة أبى عمرو مع الحجاج فى قراءته غرفة وسماعه من العرب:

ربما ضاقت النفوس من الأمـ ـر له فرجة كحل العقال

مشهورة.

(ورواه) أى ما ذكر **(عنه)**: أى عن ابن مسعود، كما ذكره البيهقى فى الدلائل **(مسروق)** بن الأجدع الهمدانى الكوفى من كبار التابعين، تقدمت ترجمته وأنه توفى سنة ثلاث وستين، **(أنه)** أى الشق أو ابن مسعود **(كان بمكة، وزاد فقال كفار قريش:**

(١) أى كلمة (فرجة).

سحركم ابن أبى كبشة): يعنون النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، قال ابن حجر: هو أحد أجداد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم.

فقيل: هو جد وهب جد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لأمه.

وقيل عليه: إن أم وهب اسمها عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال، ولم يقل أحد من النسابين أن الأوقص يكنى بأبى كبشة.

وقيل: هو جد عبد المطلب لأمه، وتعقب أيضًا بأن أم عبد المطلب: سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجى، ولم يقل أحد أن عمرًا يكنى بأبى كبشة أيضًا.

وقيل: إنه أبوه من الرضاعة وهو الحرث بن عبد العزى، وله بنت تسمى كبشة كنى بها، وذكر ابن حبيب أن له صلى الله تعالى عليه وسلم أجدادا من قبل أبيه وأمه تكنوا بذلك، وإنما قالوه؛ لأن من عادتهم إذا بغضوا أحدًا نسبوه لجد غامض له.

وفى النهاية أنه رجل من خزاعة خالف قريشًا فى عبادة الأوثان وعبد الشعرى العبور، فلما خالفهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يرض آلهتهم شبهوه به فى ذلك.

وفى القاموس أنها كنية وهب بن عبد مناف، أو كنية عمرو والد حليمة السعدية مرضعته صلى الله تعالى عليه وسلم.

وعلى كل حال أرادوا به تنقيصه فزاده ذلك شرفًا. **(فقال رجل منهم)** أى من كفار قريش، قيل: إنه أبو جهل: **(إن محمدًا إن كان سحر القمر)** حين شقه أو خيل لكم شقه **(فإنه لا يبلغ)**: أى لا يصل شىء **(من سحره أن يسحر الأرض كلها)**: أى أهلها كلهم، **(فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر)**: غير مكة **(هل رأوْه)**: أى القمر أو شقه أو الأمر الذى وقع، وفى نسخة هل رأوا هذا؟.

(فأتوا) أى أتوا من قدم على أهل مكة من غيرها.

(فسألوا) أى سألوهم هل رأوا ذلك **(فأخبروهم)** لما سألوهم **(أنهم رأوا مثل ذلك)**: أى مثل رؤيتهم، فالتشبيه بين الرؤيتين والمرئى واحد وهو القمر المنشق.

(وحكى السمرقندى) تقدم ترجمته، **(عن الضحاك نحوه)**: أى مثل الحديث الذى ذكره أولاً.

(وقال): أى الضحاك فيما رأوه **(فقال أبو جهل)** لقريش لما شاهدوا انشقاق القمر بعد ما سألوه **(فابعثوا إلى أهل الآفاق)**: بالمد جمع أفق بضمتين أو بضم فسكون، وهو هنا بمعنى الناحية وما ظهر من الفلك، ومطلع الشمس كما بينه علماء الهيئة وهو الأفق

المرئى، والأفق الغير المرئى له أحكام أخر، والمعنى أرسلوا ناسًا لمن جاوركم من البلاد ليسألوا من بها؛ **(حتى تنظروا)**: أى تعرفوا **(أرأوا ذلك أم لا؟)** الهمزة استفهامية وفى نسخة: هل رأوا وشاهدوا مثل مارآه أهل مكة أم لم يروه لأنهم خيل لهم أمر لم يقع؟ وفى نسخة: حتى ننظر: بنونين **(فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه)** أى القمر حالة كونه **(منشقًا)**، والفاء فصيحة أى فسألوهم فأخبروا **(فقالوا، يعنى الكفار: هذا سحر مستمر)**، أى دائم باق غير ذاهب على حاله إلى غير النهاية من المرور، أو محكم قوى من إمرار الحبل، وهو شدة فتله.

وقال أبو عبيدة: معناه باطل، وهو بعيد بحسب اللغة، وإنما قالوا: إنه مستمر؛ لأن هذا إشارة إلى ما صدر قبله من الآيات المتتابعة يقفو بعضها أثر بعض كما أشار إليه القاضى، ولولا هذا لم يتأت ما قالوه، فإن انشقاقه لم يستمر بعد الليلة التى وقع فيها، وهذا يكون إشارة للشخص وللنوع كما حققه النحاة.

(ورواه أيضًا عن ابن مسعود علقمة) بن قيس بن مالك النخعى الفقية الكبير التابعى الجليل، ولد فى حياة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفى سنة اثنين وستين، والرواية عنه مشهورة فى الكتب الستة **(فهؤلاء الأربعة)**: يعنى مجاهدا والأسود ومسروقًا وعلقمة كلهم رووا هذا الحديث، **(عن عبد الله)** بن مسعود، رضى الله عنه.

ثم ذكر له طريقا آخر فقال: **(وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود)** وقدم حديث ابن مسعود وجعل رواية غيره كالمتابعة له؛ لأنه لم يرو حديث الانشقاق رواية إسنادها فى غاية الصحة واعتمدها الأئمة غيره، وهى مما اتفق عليه الشيخان وأحمد بن حنبل، وابن الصلاح وغيره رجحوا ما اتفق عليه الشيخان على غيره، وقال: إنه مقطوع بصحته.

(منهم): أى ممن رواه غير ابن مسعود وأعاد ضمير الجمع نظرًا لمعناه: **(أنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلى وجبير بن مطعم، رضى الله عنهم)**، وهذه الروايات كلها فى الكتب الستة وغيرها مخرجة، فرواية أنس وابن عباس فى الصحيحين، ورواية ابن عمر فى صحيح مسلم والترمذى، ورواية حذيفة بن اليمان فى الدلائل وغيرها، ورواية ابن مطعم بكسر العين فى مسند أحمد والبيهقى؛ ولذا قال: **(فقال على)** كرم الله وجهه **(من رواية أبى حذيفة الأرحبى)**، واسمه سلمة بن صهيف على الأصح نسب لأرحب: حىّ من همدان بهمزة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وحاء مهملة مفتوحة وباء موحدة قبل ياء النسبة، وهو من الثقات المشهورين.

(انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)، والجملة حالية وضمير نحن لعلى ومن كان معه، لا لمن تقدم.

(وعن أنس): خادمه صلى الله تعالى عليه وسلم، وحديثه من مرسل الصحابة؛ لأن الحادثة وقعت وهو لم يسلم إذ ذاك، وهذا من مرجحات حديث ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه، **(سأل أهل مكة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم آية)** معجزة غير ما رأوه، وفى الرواية المتقدمة أنهم سألوه أن يشق لهم القمر **(فاراهم انشقاق القمر فِرقتين)** بكسر الفاء وسكون الراء، وفى رواية فلقتين باللام بدلها، وهما بمعنى قطعتين ونصفين كما مر.

(حتى رأوا حراء ما بينهما) أى بين القطعتين، وما زائدة للتأكيد وفى نسخة حذفها وحراء بكسر الحاء وفتح الراء المهملتين وهمزة ممدودة، وتفتح حاؤه مع القصر، وهو جبل بمكة معروف كان صلى الله تعالى عليه وسلم يتعبد فيه، كذا قاله التلمسانى وقال: إنه يذكر ويؤنث ويحرك ولا يحرك (١)، وهذا مما ذكره غيره من أهل اللغة.

إذا عرفت هذا فما قاله الخطابى من أنهم يغلطون فى حراء ثلاث غلطات: يفتحون حاؤه وهى مكسورة ويقصرونه وهو ممدود ويميلونه وهو لا يمال، شىء لا أصل له، إلا قلة النظر فى كتب اللغة.

(رواه عن أنس قتادة وفى رواية معمر وغيره عن قتادة عنه): أى عن أنس **(أراهم القمر مرتين انشقاقه)** بالنصب بدل من القمر بدل اشتمال، وفى تقديم مرتين فى هذه الرواية دليل على ما قلناه سابقا من أن التعدد فى الإراءة، لا فى الانشقاق، وأنه مرتين كما ذهب إليه من نظر لظاهر هذه الرواية، وأن ما قيل من أن أصل المرات فى الأزمان والأفعال، وأنها قد تكون فى الأعيان والأول أكثر، وهذا من قبيل الثانى فمعناه ومعنى فرقتين وفلقتين واحد، وأن هذا خفى على من قال: إن الانشقاق وقع مرتين، وهو لم يقع إلا مرة بلا اختلاف فيه، ودعوى الحافظ العراقى فى منظومته الإجماع على تعدده سهو منه وغفلة عما ذكر، كدعواه تواتره فيها.

وما قيل من أنه كان مرة بمكة ومرة بحراء وهو على ثلاثة أميال من مكة فى طريق الذاهب لمنى وأنه يدل على تعدد الأزمان، وإلا لزم التناقض فى هذه الروايات وهى كلها صحيحة، ولا يمكن عادة أن يكون الناس الذين رأوه فى ذلك الوقت فى هذه الأمكنة الثلاثة، وقد قالوا: ونحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهذا مما يقطع

---

(١) أى ينصرف ولا ينصرف.

بتعدد الأزمنة والأمكنة ليس بشيء، فإنهم إذا رأوه بمكة شاهدوا وقوع فلقة منه خلف حراء، وأخرى أمامه من تعدد النظر لسعته من الأفق وإن لم يكونوا ثمة كما مر، ولا يخفى بعد كون من ذكر من كبار الكفرة معه ليلا بحراء وغيره من جبال مكة وبراريها، فالذى تحرر فى الجمع بين هذه الروايات أنه تباعد ما بين الفلقتين جدا؛ ليكون أظهر فى دفع الإنكار، فإنه لو تقارب لقال هؤلاء الحول العقول: إنه من غلط الحس فلما أشهدهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على ذلك أشار مرة إلى فلقة منه وقال: اشهد يا فلان ويا فلان ثم أراهم مرة أخرى فلقة أخرى، وقال: اشهدوا، وكل هذا كان بمكة ليلاً والقمر فى وسط السماء بحذاء حراء وبحذاء غيرها من الجبال والأماكن البعيدة، فلا تعدد فى الشق ولا تدافع بين الروايات، ولا يطعن فى شيء منها، وهذا إن شاء الله مما لا ينبغى العدول عنه، فإن القول بأن المرات فى الأعيان لا صحة له فى اللغة، واستعمال الناس.

فلو قطع إنسان بطيخة قطعتين دفعة واحدة وقال: قطعتها مرتين كذبه من سمعه واستهزأ به فعليك بالنظر الحديد وأن تطرح من جبذ فكره على التقليد.

(فنزلت: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾)[القمر:١] مؤيدًا لمعجزته صلى الله تعالى عليه وسلم، وبهذا تقوى الحديث وصار كالمتواتر.

وتأويله بأنه سينشق إذا قامت القيامة يأباه قوله بعده: (﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾) [القمر:٢] كما لا يخفى على من له نظر سديد.

(ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد) فرواه عن أبيه عن جده، وجبير الثانى روى عنه أبو داود حديثًا واحدًا، قال البرهان: ولا أعلم له تخريجًا ولا توثيقا، ورد بأن ابن حبان ذكره فى كتاب الثقات.

(ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن عبد الله بن عتبة) الإمام الجليل القدر أحد الفقهاء السبعة وهو ثقة مأمون، خرج له أصحاب الكتب الستة وتوفى سنة ثمان وتسعين ومائة.

(ورواه عن ابن عمر مجاهد) بن جبير وقدمنا ترجمته.

(ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن السلمى) بضم السين وفتح اللام وهو أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن حبيب الإمام المشهور مقرئ الكوفة وحافظ السنة، توفى سنة ثلاث وسبعين تقريبًا وخرج له الأئمة الستة، رحمهم الله تعالى.

(ومسلم بن أبى عمران الأزدى) البصرى هو أبو عبد الله المعروف بالبطين نسب للأزد بسكون الزاء المعجمة ويقال لها أسد بالسين أيضًا: اسم قبيلة عظيمة، والأزد اسم

جدهم الأعلى، وهم حى باليمن وإليهم ينتهى نسب الأنصار.

(وأكثر طرق هذه الأحاديث صحيحة): الطرق: هى الأسانيد والرواة، تسمى طرقًا لوصول الحديث إلينا منها، وعبر بالأكثر إشارة إلى أن فى بعضها ضعفا، وقيل: مراده بالصحيح هنا: ما يقابل الحسن، فكلها صحيحة مع التفاوت فيها، **(والآية مصرحة)** بما فى الأحاديث من الانشقاق وفيه إشارة لما قلناه من أن فيها ما يمنع التأويل الذى جوزه بعضهم.

(ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول): أصل معنى الخذل ترك النصرة والإعانة، ثم قيل لكل من لم يكن على الحق وطريق الهداية، والمراد به من أنكر هذا بقصد الطعن فى المعجزة، لا من أوّل الآية بخلافه، فإنه ذهب إليه بعض المفسرين كما مر، إلا أنه أيضًا لا ينبغى القول به أيضًا، **(بأنه لو كان هذا)** الانشقاق **(لم يخف على أهل الأرض)** كلهم؛ **(إذ هو شىء ظاهر لجميعهم)**: تعليل لقوله: لم يخف.

(إذ لم ينقل إلينا عن أهل الأرض أنهم رصدوه تلك الليلة): أى ترقبوه ونظروا إلى مطلعه، والرصد الترقب ومنه أخذ الرصد المعروف عند المنجمين، فهو منقول منه وليس بمعنى لغوى.

(فلم يروه انشق) رأى هنا بصرية، وانشق حال: أى وقد انشق، ولا يلزم أن يعرفوا أنه سينشق فى تلك الليلة، فيرصدوه كما قيل بل يكفى فيه سماعهم له من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيرصدوا ما وعدهم به؛ ليعرفوا حال خبره وهو ظاهر، وإذ الثانية تعليل لعدم الالتفات.

ثم أجاب بجواب آخر على ما فرض تسليم ما ذكر فقال: **(ولو نُقل)** بالبناء للمجهول **(إلينا)** أنهم رصدوه، فلم يروه انشق **(عمن لا يجوز تمالؤهم على الكذب)**: أى طائفة من أهل الأرض لا يجوز اجتماعهم على الكذب فى خبرهم؛ **(لكثرتهم)**، من الملأ: وهم الجماعة المجتمعون المتفقون على أمر واحد لأنهم يملئون مكان اجتماعهم.

(لما) اللام جواب لو، و«ما» نافية فميمها مخففة **(كانت علينا به حجة)**: أى لم يكن ما أجمعوا عليه حجة ودليلا يقوم على عدم وقوعه، فعلينا مقدم من تأخير متعلق بحجة لتوسعهم فى الظرف.

(إذ ليس القمر فى حد واحد) الحد: الوصف المميز للشىء مأخوذ من الحد بمعنى الحاجز، ومنه حدود الدار أى ليس القمر على حال واحد، **(لجميع أهل الأرض)**: أى عند جميعهم؛ لاختلاف أحواله باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض، فقد يطلع

فى ليلة فى بعض البلاد دون بعض كما بينه علماء الهيئة، فقد يكون ليلة انشقاقه طالعا بمكة دون غيرها، فلو قال غيرهم: لم نره انشق فى تلك الليلة لم يكذبوا؛ ولذا قال المصنف: **(فقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين)**؛ ولهذا لو شهد أهل بلد برؤية هلال رمضان لم يلزم غيرهم صومه كما قرره الفقهاء.

(وقد يكون مر): أى القمر **(من قوم بضد ما هو من مقابلتهم من أقطار الأرض)** جمع قُطر بضم فسكون وهو الناحية كالطلوع فى بعضها والخفاء فى بعض.

(أو يحُول) بالحاء المهملة أى يكون حائلا مانعا من رؤيته **(بين قوم وبينه سحاب أو جبال)** شاهقة، فلا يرونه مع رؤية غيرهم له؛ **(ولهذا)** أى لكونه ليس على حال واحد فى جميع أقطار الأرض **(نجد الكسوفات فى بعض)** من البلاد **(دون بعض)** منها، والكسوف معروف وهو كون جرم القمر غير مضىء مسود لحيلولة الأرض بيننا وبينه كما بين فى محله.

(وفى بعضها جزئية وفى بعضها كلية) والكسوف الجزئى: كسوف جزء منه، والكلى: كسوف جميع جرمه، نسبة للجزء وللكل.

(وفى بعضها لا يعرفها إلا المدعون لعلمها): أى فى بعض البلاد يعرف الكسوفات بعض الناس الذين يعرفون علم الهيئة دون غيرهم ممن لا يعرفونه، كالكسوف تحت الأرض فإنه يقع كثيرًا عندهم، ويترتب عليه أحكامه، وغيرهم لا يعرفها بل لا يقدر على تصورها، وعبر بالادعاء إشارة إلى أن مثله ليس بثابت عند علماء الشريعة، وليس المراد به اختلاف المطالع كما قيل، وما ذكره المصنف بناء على أن الكسوف يكون فى القمر، فلا يرد عليه ما قيل من أن الصواب أن يقال: الخسوف، قال الراغب: الخسوف للقمر، والكسوف للشمس. وقال بعضهم: الكسوف فيهما إذا زال بعض ضوئهما والخسوف إذا ذهب كله، يقال: خسفه الله وخسف هو انتهى، وقد يستعمل كل منهما بمعنى الآخر مطلقا وعليه الاستعمال فى عرف التخاطب، وعليه مشى المصنف، رحمه الله تعالى، فلا اعتراض عليه وله تفصيل ليس هذا محله.

(ذلك تقدير العزيز العليم) أى سير القمر وأحواله من الكسوف وغيره كله بقدرة الله العلى العظيم الغالب بقدرته على كل مقدور، المحيط علمه بكل معلوم، لا كما يقول الفلاسفة: إنه بقوة فلكية لأحكام نجومية لا يمكن تخلفها، وقيل: إنه وقع فى أصل الحكيم بدل العليم وأن صوابه العليم لأنه الموافق للتلاوة، واعتذر له بأنه لم يرد الاقتباس من القرآن، ولذا لم يقل: قال الله تعالى، والذى رأيناه فى جميع النسخ العليم.

(وآية القمر كانت ليلا): أى الآية والمعجزة بانشقاق القمر وقعت فى الليل.

قال الخطابى: الحكمة فى ذلك أن من طلبها من قريش طلبها ليلاً فأراد الله تعالى وقوعها ليلاً، ولو أراد وقوعها نهارا لتكون محسوسة لكل أحد فعل ذلك، ولكن الله جرت عادته بإهلاك كل أمة أتاها نبيها بآية عامة يدركها الحس إن لم يؤمنوا بها، فخص الله تعالى هذه الأمة برحمته فجعل آية نبيها صلى الله تعالى عليه وسلم على حال لا يقتضى إهلاكها.

(والعادة من الناس بالليل): أى فيه **(الهدوء والسكون)** عطف تفسير أى النوم وعدم الحركة كما قال: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا﴾ [الأنعام: ٩٦]، والهدوء بهمزة بعد الواو ويجوز إبدالها واوًا وإدغامها، **(وإيجاف الأبواب)** أى إغلاقها، بكسر الهمزة وسكون المثناة التحتية وجيم وفاء، وأصل معناه الإسراع فى السير، واستعمل فى الإغلاق؛ لأنه مما يسارع إليه عند الحاجة لا سيما ليلا، وهو تجوز سائغ شائع، فما قيل: إنه لم يوجد فى كتب اللغة فلعله هنا وجف: بمعنى اضطرب، والهمزة فيه للسلب لأن بغلق الأبواب يزول الاضطراب تكلف لا داعى له، ومن يغلق بابه ولا يخرج من بيته لا يرى القمر فكنى به عن ذلك، **(وقطع التصرف)** والنظر لشىء فضلا عن رصد النجوم، وكل هذا مبالغة فى أن هذا أمر لا يستبعد.

(ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئًا إلا من رصد ذلك): أى إلا من تقيد بالنظر إليه وترقبه ليلا، **(واهتبل به)**: أى بذل جهده واعتنى به غاية الاعتناء، من قول العرب: اهتبل الصيد: إذا طلبه من مظانه، وهو متعد بنفسه، وعداه المصنف، رحمه الله تعالى؛ بالباء لأنه ضمنه معنى الاعتناء.

(ولذلك) أى لكونه أمرًا ليليًا فى زمان غفلة ونوم **(ما يكون الكسوف القمرى كثيرًا فى البلاد)** ما زائدة لتحقيق الكلام، وقيد بالقمرى بناء على شمول الكسوف للشمس والقمر، واحترز عن الشمس لظهوره، **(وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر)** بالبناء للمجهول أى يخبره الناس العارفون بوقوعه، **(وكثيرًا ما)** منصوب على الظرفيه أو المصدرية وما زائدة للتأكيد، **(يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار)**: بيان لعجائب وجمع النور، وهو على ظاهره، لأنه قد يحدث فى الجو نور زائد على ما عهد، أو المراد به شعل نارية كذوات الأذناب التى تمتد فى الأفق بعض الليالى، وينسب لها أمور تذكر فى كتب الملاحم.

(ونجوم طوالع عظام تظهر فى الأحيان بالليل فى السماء ولا علم عند أحد منها) لأنها

تسير تحت الأرض حتى تقطع درجات فى دائرتها، وتصل إلى ما فوق الأرض فتظهر بعد الخفاء وهو مشاهد كثيرًا مفصل فى فنه.

(وخرج الطحاوى) بالخاء المعجمة المفتوحة وتشديد الراء المهملة المفتوحة قبل الجيم، والتخريج: نقل حديث بسنده من الكتب المعتمدة ومسانيد الأئمة المحدثين وبيان صحته وغيرها.

والطحاوى بفتح الطاء والحاء المهملتين وألف وواو بعدها ياء نسبة، منسوب لطحا قرية من قرى مصر، وهو الإمام الجليل القدر، المحدث أبو جعفر أحمد بن محمد بن مسلمة بن عبد الملك بن سلمة بن سليم الأزدى ثم المصرى الحنفى، لا المالكى كما قيل، ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين، وتوفى ليلة الخميس مستهل ذى القعدة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وكان أولاً شافعيا من تلامذة المزنى، ثم تحنف وانتهت إليه رياسة الحنفية بمصر وله تآليف جليلة.

(فى مشكل الحديث) هو كتاب جليل له فى الحديث اشتهر بالآثار، **(عن أسماء بنت عميس)**: مصغر وهى زوجة أبى بكر الصديق، رضى الله تعالى عنهما، وترجمتها مشهورة، وكانت أولاً زوجة جعفر بن أبى طالب **(من طريقين)** وسندين مختلفين فى روايته هذا الحديث عنها، ورواه الطبرانى بأسانيد مختلفة، رجال أكثرها ثقات، وهذا الحديث فى رد الشمس أو حبسها لعلى، رضى الله تعالى عنه، كما سيأتى، قال ابن الجوزى: إنه موضوع بلا شك ورواياته مضطربة، وفى رواته رجال متهمون بالكذب والوضع كأحمد بن داود، فإن الدارقطنى وابن حبان قالا: إنه كذاب متروك الحديث وضاع، وعمار بن مطر متروك أيضًا ذكره الذهبى فى الميزان، وذكر كلام الناس فيه، وأنه روى حديث رد الشمس، وتعقبه بما روى عن أبى هريرة، رضى الله عنه، أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «لم ترد الشمس إلا على يوشع بن نون»[1]، وفى طريقه الثانى: فضيل بن مرزوق، وقد ضعفه يحيى، وقال ابن حبان: إنه يروى الموضوعات وهذا الحديث باطل.

قال ابن الجوزى: ولا أتهم فيه إلا ابن عقبة فإنه رافضى يحدث بمثالب الصحابة، وقد رواه ابن مردويه من حديث داود بن فراهيج، عن أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، قال: نام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حجر على، ولم يكن أى على صلى العصر حتى غربت الشمس فذكر نحوه، وداود ضعيف ضعفه شعبة.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/٣٢٥)، والخطيب فى تاريخه (٧/٣٥).

قال ابن الجوزى: ومن غفلة واضعه أنه نظر إلى فضيلة و لم يتلمح إلى عدم الفائدة فيها، فإن صلاة العصر بعد غيبوبة الشمس صارت قضاء، ورجوع الشمس لا يعيدها أداء، وقد ذكر ابن تيمية الحديث فى كتاب رد الروافض بطرقه، وما فيه وأطال فيه، قلت: طالعته ورأيت ما ذكره فيه: من أن ذلك كان مرتين، وأنشد فيه شعرًا للحميرى **(أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كان يوحى إليه)** مرة بالصهباء **(ورأسه)** الشريف **(فى حجر على)**: جملة حالية، والحجر مثلث الحاء المهملة قبل جيم ساكنة وراء مهملة بمعنى الحضن، وهو معروف، والأظهر أن المراد أنها كانت موضوعة على ركبته وهو نائم، **(فلم يصل)** على، رضى الله تعالى عنه، **(العصر حتى غربت الشمس)**، وغابت فانتبه، **(فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لعلى: (أصليت يا على؟))** بهمزة الاستفهام، وفى نسخة هل صليت؟ **(فقال: لا)**، أى لم أصلها، **(فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك)**؛ لأنه لم يزعج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من منامه، وانتظر يقظته، **(فاردد عليه الشمس)** أى أعدها لمكانها الذى غربت منه ليصلى الصلاة فى وقتها، يقال: اردد بالفك ورد بالإدغام، وهو دعاء، وقد سمعت ما قاله ابن الجوزى أنه لا فائدة فيه بعد ما صارت قضاء ويأتى ما فيه.

(مشرقها): أى فى محل شروقها، وفى رواية شرقها وهذا فى بعض النسخ، وهو بفتح الراء وسكونها، وهو بدل من الشمس، أو منصوب على الظرفية، ومعناه ضوؤها أو ارتفاعها على الحيطان، أو انبساطها على الأرض، وقيل: إنها إنما حبست ومنعت من الحركة حتى يؤدى الصلاة فى وقتها، وينافيه قوله: **(فقالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الأرض والجبال، وذلك بالصهباء)**: فى القاموس قلعة بقرب خيبر، وكذا قاله غيره ففى قوله: **(فى خيبر)** مسامحة، أو فيه مضاف مقدر أى فى قربها، وخيبر بوزن ضيغم أرض بقرب المدينة فيها قلاع وقرى، كان بها مساكن اليهود، ثم خربت وإليه الإشارة بقوله فى الهمزية:

ردت الشمس والشروق عليه لعلى حتى يتم الأداء
ثم ولت لها صرير وهذا لفراق له الوصال دواء

(قال) أى الطحاوى: **(وهذان الحديثان ثابتان)** رواية، **(ورواتهما)** أى أكثرهما **(ثقات)**، جعلهما حديثين، والمذكور حديث واحد تسمحًا؛ لأنه روى من طريقين كما ذكره، واعترض عليه بعض الشراح، وقال: إنه موضوع، ورجاله مطعون فيهم كذابون ووضاعون، ولم يرد أن الحق خلافه والذى غره كلام ابن الجوزى السابق و لم يقف على أن كتابه أكثره مردود، وقد قال خاتمة الحفاظ السيوطى وكذا السخاوى: إن ابن

الجوزى فى موضوعاته تحاملاً كثيرًا حتى أدرج فيه كثيرًا من الأحاديث الصحيحة كما أشار إليه ابن الصلاح.

وهذا الحديث صححه المصنف، رحمه الله تعالى، وأشار إلى أن تعدد طرقه شاهد صدق على صحته، وقد صححه قبله كثير من الأئمة كالطحاوى، وأخرجه ابن شاهين، وابن منده، وابن مردويه، والطبرانى فى معجمه، وقال: إنه حسن، وحكاه العراقى فى التقريب، ولفظه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا فى حاجة، فرجع وقد صلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم العصر فوضع رأسه فى حجر على فنام، ولم يحركه حتى غابت الشمس، فقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «اللهم إن عبدك عليا إنما احتبس نفسه على نبيه، فرد عليه الشمس»[1]، إلى آخره، وإنكار ابن الجوزى فائدة ردها مع القضاء لا وجه له، فإنها فائتة بعذر مانع عن الأداء، وهو عدم تشويشه على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذه فضيلة أى فضيلة، فلما عادت الشمس حاز فضيلة الأداء أيضًا.

وقد قال ابن حجر فى شرح الإرشاد: لو غربت الشمس ثم عادت عاد الوقت أيضًا لهذا الحديث، وأما حديث أن الشمس لم ترد إلا ليوشع حين قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغيب الشمس، ويدخل السبت، فلا يحل له قتالهم، فدعى الله تعالى فرد الشمس، حتى فرغ من قتالهم، فقد أجيب عنه بأنه قاله قبل قصة خيبر، أو المراد أنها لم ترد لأحد من الأمم السالفة، فالحصر إضافى، مع أنه نقل ابن حجر عن المصنف، رحمه الله تعالى، فى الإكمال: أن الشمس حبست لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فى الخندق، حين شغل عن صلاة العصر حتى أدركها أداء، وما روى أنه قضاها بعد ما غربت الشمس، لعله كان فى يوم آخر، وفى تفسير البغوى والكواشى والثعلبى: أن الشمس ردت لسليمان أيضًا، وروى عن على، وضمير ﴿رُدُّوهَا﴾ [ص: ٣٣] عائد على الشمس فى الآية، لعلمها وإن لم يجر لها ذكر، وأقول: إن السيوطى صنف فى هذا الحديث رسالة مستقلة سماها كشف اللبس عن حديث رد الشمس، وقال: إنه سبق لأبى الحسن الفضلى أورد طرقه بأسانيد كثيرة، وصححه بما لا مزيد عليه، ونازع ابن الجوزى فى بعض من طعن فيه من رجاله، والحاجة التى أرسل صلى الله تعالى عليه وسلم لها عليا قسمة غنائم خيبر، وما ذكره من الحديث المعارض له لا يعارضه وهو أنه لم يكن لنبى معجزة إلا وكان لنبينا مثلها، وهذه المعجزة كانت ليوشع وسليمان.

---

(١) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢٩٧/٨)، وعزاه للطبرانى، والسيوطى فى اللآلى (١٧٥/١)، والزبيدى فى الإتحاف (١٩١/٧).

ومن غريب طرقه ما رواه الطبراني في الكبير عن أسماء أيضًا قالت: «اشتغل علي، رضي الله تعالى عنه، مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قسمة الغنائم يوم خيبر، حتى غابت الشمس، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: يا علي أصليت العصر؟، قال: لا يا رسول الله فتوضأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجلس في المسجد، فتكلم بكلمتين، أو ثلاثة كأنها من كلام الحبشة، فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر، فقام علي فتوضأ، وصلى العصر ثم تكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمثل ما تكلم به من قبل ذلك، فرجعت الشمس إلى مغربها فسمعت لها صريرًا كالمنشار في الخشبة، وطلعت الكواكب»[١]، انتهى.

وإذا صح الحديث علم منه أن الصلاة ليست بقضاء بل يتعين بهذا الدعاء الأداء، وإلا لم يكن له فائدة فما أورده وارد عليه ولا حاجة إلى أن يقال: إنه من خصائصه، فإنه لا يقع مثله حتى يقاس عليه، وقد يقال نظيره على القول باختلاف المطالع ما لو صام أول يوم من رمضان ببلده ثم سافر وأفطر ووصل لبلد فيها الشهر ناقص، وعلم أنه تم ببلدته، فهل يلزمه قضاؤه تماما أما لا؟.

(**وحكى الطحاوي عن أحمد بن صالح**) هو أبو جعفر الطبي الحافظ الثقة روى عنه أصحاب السنن وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائتين، وله ترجمة في الميزان (**كان يقول: لا ينبغي لمن سبيله العلم**): أي لمن طريقته، ودأبه الاشتغال بالعلم ومعرفة الحديث، فجعل نفس العلم طريقا لأنه يصل به صاحبه إلى سعادة الدارين (**التخلف عن حفظ حديث أسماء**) بنت عميس الذي روته في رد الشمس؛ (**لأنه من علامات النبوة**) أي من الآيات الدالة على نبوته؛ لأنه معجزة عظيمة، وهذا مؤيد لصحته، فإن أحمد هذا من أكابر أئمة الحديث الثقات، ويكفي في توثيقه أن البخاري روى عنه في صحيحه، فلا يلتفت إلى من ضعفه وطعن في روايته، وبهذا أيضًا سقط ما قاله ابن تيمية وابن الجوزي من أن هذا الحديث موضوع، فإنه مجازفة منهما، وما قيل من أن هذه الحكاية لا موقع لها بعد نصهم على وضع الحديث، وأن كونه من علامات النبوة لا يقتضي تخصيصه بالحفظ خلط وخبط لا يعبأ به بعد ما سمعت.

(**وروى يونس بن بكير**) بالتصغير وهو أبو بكر الشيباني الإمام الثقة، وقول أبي داود: إنه ليس بحجة مردود فإن ابن معين وثقه وقال: إنه صدوق، توفي سنة تسع وتسعين ومائة وله ترجمة في الميزان، (**في زيادة المغازي روايته عن ابن إسحاق**) محمد بن يسار صاحب السيرة وروايته مفعول روى، (**لما أسرى برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم**

(١) أورده ابن كثير في البداية والنهاية (٦/٩٧).

وأخبر قومه) من قريش بعد إسرائه **(بالرفقة والعلامة التى فى العير)** بكسر العين المهملة، وهى الإبل، والرفقة: جمع رفيق مثلث الراء، أى أخبرهم بقافلتهم ومن فيها من الجماعة المترافقين.

والعلامة هى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه يقدمها جمل أورق على ما فصل واشتهر فى السير ويأتى بعضه قريبا.

(وقالوا: متى تجىء؟): جواب لما أى فى أى يوم تصل لمكة؟ وسؤالهم لامتحانه صلى الله تعالى عليه وسلم.

(قال: يوم الأربعاء) بتثليث الباء والمد: أى تجىء يوم الأربعاء.

(فلما كان ذلك اليوم) بالرفع والنصب والأول أولى؛ لأنه نعت فاعل كان التامة، بمعنى وجد، **(أشرفت قريش)** بشين معجمة وراء مهملة، أى قامت على شرف، وهو المكان المرتفع، وقوله: **(ينتظرون)**: حال أو مستأنف، أى يترقبون قدوم عيرهم، وقافلتهم فى اليوم الموعود، **(وقد ولى النهار)**: أى قارب ذلك اليوم، وهو يوم الأربعاء أن يتم ويدخل الليل بغروب الشمس فيه، **(ولم تجئ)** العير وتصل إليهم فى المكان الذى وقفوا فيه لانتظارها.

(فدعا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم): أى سأل ربه وتضرع له أن يمد ذلك اليوم حتى تجىء العير قبل انقضائه، **(فزيد له فى النهار ساعة و)** ذلك أنه **(حبست له الشمس)** ساعة: أى أمسكها الله بقدرته، وعوقها عن سيرها المعتاد مقدار ساعة، حتى قدمت العير قبل غروبها فى ذلك اليوم، وقد تقدم أنها حبست له صلى الله تعالى عليه وسلم فى الخندق أيضًا.

وفى سيرة مغلطاى نقلاً عن الخطيب فى كتاب النجوم: أنها حبست لداود، عليه الصلاة والسلام، أيضًا، وقال: إنه رواية ضعيفة، وذكر البغوى وغيره فى سورة ص أنها حبست لسليمان، عليه الصلاة والسلام، حين عرض الجياد كما مر آنفًا.

(تنبيه): الذى ذكر هنا من حبس الشمس، وأن العير قدمت بعد العصر قبيل الغروب، ينافيه ما ورد من أنها قدمت صباحا، وعليه اقتصر المفسرون كالزمخشرى والبيضاوى فى أول سورة الإسراء وهو أنه صلى الله تعالى عليه وسلم لما رجع من الإسراء قعد حزينا؛ لعلمه بتكذيبهم له فمر به أبو جهل عدو الله وقال له مُستهزءًا: هل استفدت من شىء؟ قال: «نعم أسرى بى الليلة إلى بيت المقدس، قال: وأصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم، قال: أتحدث قومك بهذا؟ قال: نعم. فنادى هلموا فانقضوا إليه

حتى جلسوا إليهما، فقال: حدثهم بما حدثتنى به، فقصه عليهم، فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا للكذب على زعمهم، وارتد ناس، وسعى بعضهم إلى أبى بكر، رضى الله تعالى عنه، وقال له: هل لك فى صاحبك يزعم أنه أسرى به؟ الخ قال: قد صدق وإنى لأصدقه فيما هو أعظم من ذلك من أخبار السماء فسمى لذلك الصديق»[(١)].

وكان فيهم من رأى المسجد الأقصى فقالوا له: هل تستطيع أن تنعته لنا؟ قال: نعم، فنعته لهم ثم التبس عليه بعض أمره، فجئ بالمسجد الأقصى، ووضع دون دار عقيل، فنظره فنعته لهم فقالوا: أصاب، ثم قالوا له أخبرنا عن عيرنا، هل لقيتها؟ قال: نعم مررت على عير بنى فلان بالروحاء وقد ضلوا بعيرًا لهم وطلبوه، وفى رحالهم قدح ماء وعطشت فشربته، فسألوهم هل وجدوا ماء فى قدح؟ قالوا: نعم، وهذه آية، قال: ومرت بعير بنى فلان وفلان راكب قعودا نفر فوقع وانكسر؟ قالوا: نعم وهذه آية، قالوا: فأخبرنا عن عيرنا، قال مررت بها بالتنعيم، قالوا: أخبرنا عن عدتها وأحمالها وهيآتها ومن فيها، قال: كنت فى شغل عن ذلك، ثم مثلت له فنعت ذلك لهم، وقال: يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس. قالوا: نعم. وهذه آية أخرى، ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية، وقالوا: لقد قضى محمد بيننا وبينه، حتى أتوا كدا، فجلسوا ينتظرون طلوع الشمس كى يكذبونه، فقال قائل منهم: هذه الشمس قد طلعت.

وقال آخر: هذه الإبل قد طلعت يقدمها بعير أورق فرأوا فيها كل ما ذكره، فقالوا: إنْ هذا إلا سحر مبين. انتهى مع طى لبعض ألفاظه، وهذا منافٍ لما رواه المصنف رحمه الله تعالى، والعجب من بعضهم إذ أورد هذا هنا، ولم ينتبه لما قلنا.

فوالله ما أدرى أأحلام نائم ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

(لطيفة) من الاتفاقات الحسنة أن المظفر الواعظ ذكر يومًا قريب الغروب فضائل علىّ كرم الله وجهه ورد الشمس له، والسماء مغيمة غيمًا مطبقًا، فظنوا أن الشمس غربت وهموا بالانصراف، فأضحت السماء، ولاحت الشمس صافية الإشراق، فأشار إليهم بالجلوس وأنشد ارتجالا:

لا تغربى يا شمس حتى ينتهى مدحى لآل المصطفى ولنجله
واثنى عنانك إذ أردت ثناهم أنسيب إذ كان الوقوف لأجله

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (٣٠٥/١٤).

إن كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لخيله ولرجله

* * *

(فصل فى نبع الماء من بين أصابعه)
[وتكثيره ببركته]

أى خروجه من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم معجزة له، يقال: نبع ينبع نبعًا ونبوعًا، من باب نصر وعلم وضرب، ومنه: الينبوع لعين الماء، وهو مصدر مضاف لفاعله.

(وتكثيره ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم) أى تكثير الماء ببركة وضع يده الشريفة فيه، وهو نبع أيضًا وإن لم يشاهده الناس.

وقد كان هذا مرات كثيرة، ورويت بطرق متعددة فى الصحيحين وغيرهما، ففى بعضها أتى بقدح، وفى بعضها جفنه، وفى بعضها ميضأة، وهى إناء معدة للوضوء، وفى بعضها مزادة والماء قليل، فكفى جماعة كثيرة، وفى بعضها كانوا خمسمائة، وفى بعضها ثمانمائة، وفى بعضها خمسمائة، وألف إلى غير ذلك مما اعتنوا بجمعه فى المعجزات.

وهذه المعجزة أعظم من معجزة موسى، عليه الصلاة والسلام، إذ نبع له الماء من الحجر؛ لأنه معتاد (﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾) [البقرة:٧٤] الآية، وأما خروجه من لحم ودم فلم يعهد كما قال الشاعر:

إن كان موسى سقى الأسباط من حجر فإن فى الكف معنى ليس فى الحجر

ولله در البوصيرى فى قوله فى لاميته[(١)]:

ومنبع الماء عذبا من أصابعه وذى أياد عليها قد جرى النيل

قالوا: وهذا الماء أفضل من ماء زمزم والكوثر.

ويحتمل قوله: وتكثيره أن لا يكون عطف تفسير، بل من عطف الأعم على الأخص ليشمل ما كان بدعائه، وتفل ريقه فيه وهو الأظهر.

والبركة: اليمن وأصل معناه: زيادة الخير، فهو مناسب هنا جدا.

(أما الأحاديث فى هذا فكثيرة جدًا): أى كثيرة عظيمة تفوت الحصر، وهو مصدر لازم النصب والتنكير، وفيه إيماء إلى أنها لا تدرك إلا بغاية الجد والاجتهاد فيها.

---

(١) تقدم الاستشهاد به.

وقال النووى، رحمه الله تعالى: إنها بلغت مرتبة التواتر.

(روى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم جماعة من الصحابة) بفتح الصاد مصدر فى الأصل كالصحبة ثم جمعا للصحابى، **(منهم أنس، وجابر، وابن مسعود)**، رضى الله تعالى عليهم.

وأشار بمن التبعيضية إلى أنه روى عن كثير غير هؤلاء كبلال، وابن عباس، رضى الله تعالى عنهما؛ لأنه وقع بين الجم الغفير منهم فى الحديبية وغيرها، كما قال أولاً: إن أحاديثه كثيرة جدًا فلا حاجة لما قيل: إن الكثرة باعتبار المخرجين لها فى كتبهم من أئمة الحديث، حتى صار متواترا تواترا معنويًا، وإنما نص على رواية هؤلاء؛ لقوة صحتها برواية الإمام مالك والشيخين لها.

(حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه، رحمه الله تعالى، بقراءتى عليه) هو ابن أحمد الفاسى اللواتى نسبة للواتة بفتح اللام والواو المخففة تليها مثناة فوقية، وهو شيخ المصنف، رحمه الله تعالى، قال: **(حدثنا)** القاضى **(عيسى بن سهل)**: ضد الصعب، وتقدمت ترجمته، قال: **(حدثنا أبو القاسم)** خاتم بن محمد، كما تقدم فى ترجمته قال: **(حدثنا أبو عمر بن الفخار)**: بفتح الفاء وتشديد الخاء لقب بمعنى كثير الفخر، ونوع من الأوانى تجعل من الطين ولذا قيل:

لا يفخرن امرؤ بذات يد فالكسر يدنو لكل فخار

وقيل على المصنف، رحمه الله تعالى: إن الصواب أبو عبد الله بن الفخار، قال ابن رشد: أبو عمر الذى يروى عن أبى عيسى ليس بابن الفخار، وإنما هو ابن القطان الفقيه، وهو أبو عمر أحمد بن محمد بن عيسى القرطبى، المتوفى سنة ستين وأربعمائة.

وبقراءته على أبى عيسى سمع الموطأ يونس بن المعتب لكن ابن أبى حاتم لم يذكر الرواية عنه، وإنما يروى عن عبد الله محمد بن عمر بن الفخار المتوفى سنة تسع عشرة وأربعمائة، ففى كلام المصنف، رحمه الله تعالى، سهو من وجهين إذ سماه أبو عمر، وهو أبو عبد الله، وفى قوله قال: **(حدثنا أبو عيسى)** قال: **(حدثنا يحيى)** إذ أسقط راويًا بين أبى عيسى ويحيى وهو عبيد الله أبو مروان.

وقد ذكر المصنف، رحمه الله تعالى، على الصواب فى غير هذا المحل فيما مر، وفيما سيأتى.

وأبو عيسى هذا هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن كثير صاحب مالك، وراوى الموطأ عنه، وليس من قبيل الانقطاع لتصريحه بصيغة التحديث، اللهم إلا أن يقال: إنه جعل

اتصاله فى غير هذا المحل قرينة على تقديره هنا، فليتأمل.

قال أبو محمد القرطبى: صوابه حدثنا عيسى، حدثنا عبيد الله إلخ، وصوابه: أبو عيسى بالكنية لا عيسى بالاسم؛ لأن أبا عيسى إنما تحمل، عن عبيد الله بن يحيى، عن أبيه يحيى.

وأبو عيسى هو يحيى بن عبد الله بالتكبير ابن يحيى، سمع عم أبيه عبيد الله بالتصغير ابن يحيى، وقد تقدم على الصواب فى فصل الحلم والاحتمال ويأتى أيضًا كذلك فى فصل كنيتة.

قال: (**حدثنا مالك**) إمام دار الهجرة المشهور (**عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة**) الإمام المشهور الفقيه وأنس عمه، توفى سنة اثنين وثلاثين ومائة (**عن أنس بن مالك**) قال، فيما رواه مالك فى موطئه عنه، والشيخان عنه: (**رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم**)، وقد (**حانت صلاة العصر**)، بمهملة ونون: أى قربت، أو دخل وقتها، وهو مأخوذ من الحين بمعنى الوقت، (**فالتمس الناس الوَضوء**) بفتح الواو، وهو الماء الذى يتوضأ به، ويجوز ضمها. والالتماس افتعال من اللمس بمعنى المس، ثم صار حقيقة فى مطلق الطلب (**فلم يجدوه فأتى**) بالبناء للمجهول (**بوضوء**): تقديره بإناء وضوء بقرينة قوله: (**فوضع يده فيه**).

وفى مسلم: بقدح زجاج (**وأمر الناس أن يتوضئوا منه قال**): أى أنس (**فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس من عند آخرهم**)، أى جميعهم، وتقدم معنى ينبع وأنه بتثليث الباء، وقد قالوا: إنه يحتمل أن الماء خرج من أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم، حقيقة وهو الظاهر.

ويحتمل أنه كثر من غير نبع منها، وإنما وضع يده فيه سترًا عن الناس؛ حتى لا يروه فيفتتن بعضهم به، وتأدبًا مع الله الذى لا يُوجِدُ المعدوم سواه.

وأصابع جمع أصبع، وفيه عشر لغات: تثليث الهمزة مع تثليث الباء، والعاشرة أصبوع، قال ابن مالك، رحمه الله تعالى:

تثليث با أصبع مع ضم همزته والفتح والكسر والأصبوع قد كملا

وعند مثلث العين والأفصح الكسر، وهى ظرف مكان يلزم النصب على الظرفية، أو الجر بمن، ويتجوز بها عن العلم وغيره من معانيه.

وقوله: من عند آخرهم لفظ مسموع من فصحاء العرب قديمًا، وقال النووى: إنه لغة لبعضهم، وعندهم من للغاية بمعنى إلى، ولم يأت على الأصل؛ لأن إلى عنده لحن

عندهم، ونقله عن سيبويه.

وقيل: بل هى هنا ابتدائية لابتداء الغاية إذ لم تسمع بمعنى إلى، وأنه كناية عن الاستيعاب والشمول، والمعنى: توضئوا كلهم بحيث لو قيل: إن ابتداء وضوئهم كان من آخرهم صدق قائله.

أقول: سمع أيضًا: من آخرهم بدون عند كما فى الكشاف فى أول البقرة، وما ذكره ركيك جدًا، فالصواب، أن يقال: إنه كناية، كما قال، وتوجيهه أن ماء الوضوء كأنه مأخوذ ومبذول من آخرهم، والمعروف أنه لا يبذل إلا ما فضل عن حاجته، فكأنهم بذلوه لأولهم ولمن بعدهم، وما قاله النووى أسهل وأظهر، وقد نقل أنه لغة فى شرح مسلم، وهى عبارة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، ولشراح الكشاف فيه كلام فيها.

(ورواه أيضًا)، أى كالرواية السابقة **(عن أنس)**، رضى الله عنه، **(قتادة)** كما فى صحيح مسلم.

(قال)، أى أنس: فى هذه الرواية فأتى **(بإناء فيه ماء)**.

الإناء بكسر الهمزة مفرد، وتقدم أن آنية جمعه، وليس مفردًا كما يتوهم.

(يغمر أصابعه) بالغين المعجمة وميم وراء مهملة: هو ما يسترها، ومنه استعير الغمرة للشدة، **(أو لا يكاد يغمرها)**: يعنى أنه قليل لا يغطيها.

وتقدم أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، فعله تسترًا وتأدبًا مع الله تعالى الذى لا يوجد المعدوم سواه.

وكاد للمقاربة ونفيها أبلغ من نفى الفعل الذى هو خبرها، والكلام عليها مشهور فلا حاجة لتكثير السواد به هنا كما فعله بعضهم.

(قال): أى قتادة لأنس، رضى الله تعالى عنه: **(كم كنتم؟)** معاشر الناس الذين توضئوا من ذلك الماء.

(قال: زهاء) بضم الزاء المعجمة والمد، ويقال أيضًا لهاء باللام: أى مقدار **(ثلاثمائة)** رجل، وأصل الزهاء: العدد الذى يقدر بالتخمين، فقد ينقص أو يزيد بمقدار يسير، يقال: زهوت القوم إذا حذرتهم وقدرتهم من غير عد حقيقى، وليس من الزهو بمعنى الفخر والعجب.

(وفى رواية عنه)، أى عن أنس، رضى الله تعالى عنه، **(وهم بالزوراء عند السوق)**، الزوراء: مكان مرتفع قريب من مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، بالمدينة، وثمة سوقها.

(ورواه) أى حديث نبع الماء **(أيضًا حميد)** بالتصغير، وهو المعروف بالطويل، واختلفوا فى اسمه. فقيل: تير، وقيل: تبرويه. وقيل: طرخان، وقيل غير ذلك، وهو أبو عبيدة مولى طلحة الطلحات الخزاعى أو الدارمى، مات وهو قائم يصلى سنة اثنين وأربعين ومائة وهو ثقة، أخرج له الأئمة الستة إلا أنه نسب للتدليس، وترجمته فى الميزان.

(وثابت والحسن) بن أبى الحسن البصرى كما تقدم **(عن أنس)**.

وتفرد البخارى عن مسلم بالرواية الأولى والثالثة واتفقا على الثانية.

(وفى رواية حميد قلت: كم كانوا؟ قال:) كانوا **(ثمانين ونحوه عن ثابت عنه)**، أى عن أنس، **(وعنه أيضًا)**، أى عن أنس **(وهم نحو من سبعين رجلاً)**، وفى مسلم عنه أيضًا بين الستين إلى الثمانين، وحمل اختلاف الرواية عنه على أنهما كانا قضيتين فى وقتين، ووقعتا حال حدث عنهما، وإذا كان الأمر على التقريب والتخمين، فلا إشكال أيضًا.

(وأما ابن مسعود ففى الصحيح)، أى الحديث الصحيح أو صحيح البخارى **(عنه)** أى عن ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه، **(من رواية علقمة)** تقدم ترجمته **(بينا نحن مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)**: أى كانوا مجتمعين عنده.

وبين ظرف والألف فيه إشباع كافة عن الإضافة كما ذكره النحاة، وفى نسخة: بينما وهى كبينا فيما ذكر، وتقع بعدها الجملة الاسمية والفعلية، وقد يتلقى بإذ وإذا والأصمعى يستفصح تركهما كما هنا.

(وليس معنا ماء فقال لنا: اطلبوا من معه فضل ماء)، أى بقية من ماء كان أو زيادة منه على حاجته، وقد مر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم، إنما طلبه تسترًا لئلا يتوهم أنه موجد له من العدم دون الله، وهو الواجد الموجد لكل فتأدب بذلك مع الله، لو شاء لأوجده بدعائه وطلبه له من الله تعالى، ولو شاء لأوجده ابتداء من غير شىء.

(فأتى بماء) بالبناء للمجهول، والفاء فصيحة، أى فطلبوا الماء فوجده بعضهم وأتى به **(فصبه فى إناء)** أى صبه وسكبه فى إناء آخر مكشوف، وكأنه أتى به فى مزادة لا تدخلها اليد، **(ثم وضع كفه فيه)**: أى فى الإناء الثانى، والعطف بثم، لما بينهما من تراخ يسير بدعائه، أى فدعا الله تعالى، ثم إلى آخره.

(فجعل ينبع) بتثليث الموحدة كما مر، وجعل بمعنى صار وليس الإسناد مجازيًا كما قيل **(من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم)**، وهذه القصة هى المتقدمة، وإنما أعادها إشارة إلى تعدد طرقها الدالة على ذلك، ويحتمل أنها غيرها.

(وفى الصحيح)، أى صحيح البخارى، أو المراد فى الحديث الصحيح له ولغيره **(عن**

سالم بن أبى الجعد) الأشجعى الكوفى، وهو من كبار التابعين الثقات روى عن ابن عباس وغيره، توفى سنة مائة وله ترجمة مفصلة فى الميزان.

(عن جابر، رضى الله تعالى عنه: عطش الناس يوم الحديبية): وهو يوم معروف بمكان معروف بين مكة والطائف، وهو مصغر وياؤه مخففة على الأفصح فيه الفتح، ويجوز تشديدها كما تقدم.

(ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، بين يديه) أى عنده فى مكان قريب منه **(ركوة)** بتليث الراء المهملة وكاف وواو، والأفصح فيه الفتح، وجمعه ركاء بالكسر والمد، وهى إناء للماء من جلد كالإبريق **(فتوضأ)** صلى الله تعالى عليه وسلم، **(منها وأقبل الناس نحوه)**: أى جاءوا له ﷺ، **(وقالوا له: ليس عندنا ماء إلا ما فى ركوتك)** جملة حالية والاستثناء متصل.

(فوضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يَده فى الركوة فجعل الماء يفور): أى ينبع ويرتفع لزيادته **(من بين أصابعه كأمثال العيون)**: أى كان بين كل أصبعين من أصابعه الشريفة عين ماء نابعة.

(وفيه) أى فى حديث سالم هذا **(فقلت)** لجابر، رضى الله تعالى عنه، **(كم كنتم؟)**: معاشر الصحابة **(قال: لو كنا مائة ألف لكفانا)** ذلك الماء لما شاهد من فورانه الدال على عدم انقطاعه.

(كنا خمس عشرة مائة) يعنى ألفًا وخمسمائة رجل، وهم أصحاب الشجرة وبيعة الرضوان، وقد اختلف فى عددهم وهذه رواية مشهورة، ولذا اقتصر عليها المصنف، رحمه الله تعالى.

وقيل: كانوا ألفًا وأربعمائة، وصحح هذه الرواية البيهقى. **وقيل**: كانوا ألفًا وستمائة. **وقيل**: ألفًا وخمسمائة وأربعون. **وقيل**: وخمسة وعشرون. **وقيل**: وثمانون. **وقيل**: وثلاثمائة.

وجمع ابن دحية، رحمه الله، بين الروايات بأنه كان حزرًا وتخمينًا، لا تحقيقًا وتحديدًا ورواية سبعمائة وَهْم من راويها.

(وروى مثله) بالبناء للمجهول، أى مثل حديث سالم المذكور **(عن أنس عن جابر)** صحح فى النسخ بدون عاطف بينهما، فإن صح هذا، فليس رواية أنس عن جابر، رضى الله تعالى عنه، فى الكتب الستة كما قاله البرهانى الحلبى.

(وفيه) أى فى هذا الحديث **(أنه كان بالحديبية)** كما فى الرواية التى قبله.

(وفى رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه) أى عن جابر، رضى الله تعالى عنه، والوليد هذا ولد فى حياته صلى الله تعالى عليه وسلم وتوفى فى خلافة عبد الملك بن مروان، وهو ثقة لكنه قليل الحديث وأخرج له الشيخان والترمذى وابن ماجه، وهو يروى عن أبيه **(فى حديث مسلم الطويل)**: صفة للحديث.

(فى ذكر غزوة بواط) بضم الباء الموحدة، وفتح الواو المخففة، وألف، وطاء مهملة، وهى ثانى غزواته، وهى مفصلة فى مسلم وغيره، ويجوز فتح بائه أيضًا وهى اسم لجبال لجهينة على أبراد من المدينة، فهى بقرب الينبع، وكانت فى ربيع الأول سنة اثنين وفى هذا الحديث معجزات له صلى الله تعالى عليه وسلم.

(قال: قال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: يا جابر ناد الوضوء) ناد أمر من النداء محذوف الآخر المعتل، والوضوء بفتح الواو وهو منصوب بمقدر، ومفعول ناد مقدر أيضًا أى ناد الناس، وقل لهم: أعطوا أو ناولوا الوضوء، وهو الماء الذى يتوضأ به، وفيه حث لهم عليه.

(وذكر الحديث بطوله) وفيه أن رجلاً من الأنصار يبرد لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماء فى سقاء، فلما أخبره أنه نادى فلم يجد الماء، قال له: انطلق إلى فلان الأنصارى، فانظر هل فى أشجائه من شىء؟ قال: فانطلقت إليه وأخبره بماء عنده، **(وأنه لم يجد)** عند الأنصارى **(إلا قطرة)** أراد ماء قليلا جدا **(فى عزلاء شجب)** بالإضافة أى فم قربة بالية وعزلاء بفتح العين المهملة، وسكون الزاء المعجمة، ولام بعدها مدة وهمزة، وهو فم الرواية ومصب الماء منها، وجمعه عزالى بفتح اللام وكسرها، وشجب بفتح الشين المعجمة قيل أو كسرها وسكون الجيم وباء موحدة: ما قدم من القرب أو أعواد تعلق عليها القرب ونحوها، وجمعه شجب وأشجاب وأصل معناه: الهلاك، **(فأتى به)** بالبناء للمفعول، ويجوز بناؤه للفاعل، والرواية الأولى وضمير به للمذكور **(النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فغمزه)** بفتح الغين المعجمة والميم والزاء المعجمة، أى وضع يده عليه وكبسه بها، والغمز هنا كالذى فى قوله[1]:

وكنت إذا غمزت قناة قوم   كسرت كعوبها أو تستقيما

---

(١) البيت من الوافر، وهو لزياد بن الأعجم فى ديوانه (ص١٠١)، الأزهية (ص١٢٢)، شرح أبيات سيبويه (١٦٩/٢)، شرح التصريح (٢٣٧/٢)، شرح شواهد المغنى (٢٠٥/١)، شرح شواهد الإيضاح (ص٢٥٤)، لسان العرب (٣٨٩/٥)، الكتاب (٤٨/٣)، المقاصد النحوية (٣٨٥/٤)، المقتضب (٩٢/٢)، وبلا نسبة فى شرح الأشمونى (٥٥٨/٣)، شرح المفصل (١٥/٥)، شرح ابن عقيل (ص٥٦٩)، مغنى اللبيب (٦٦/١)، المقرب (٢٦٣/١)، أوضح المسالك (١٧٢/٤).

والغمز بالغين الإشارة بها معنى آخر.

(وتكلم بشيء لا أدرى ما هو)، وفى الحديث أنه صلى الله تعالى عليه وسلم جعل يتكلم بشيء لا أدرى ما هو، فكأنه سر من أسرار الله تكلم به بالسريانية ونحوها؛ ليخفى على غيره وقد تقدم حكاية مثله فى رد الشمس المتقدم.

(وقال: ناد بجفنة الركب): الجفنة كالقصعة لفظا ومعنى، وهى التى تشبع عشرة فأكثر ودونها الصحفة، ثم المأكلة.

والركب، بفتح ثم سكون: اسم جمع لراكب، والمراد الناس وأن يكونوا راكبين بالفعل، وهذا وقع فى رواية لقتادة، والذى فى مسلم ناد بجفنة، فكأنه لم يكن معهم إلا جفنة واحدة، وضمن ناد معنى ائت بها، بدليل قوله:

(فأتيت بها) بالبناء للمفعول كما قاله البرهان وغيره، ويجوز البناء للفاعل وقيل مفعوله محذوف: أى ناد القوم ليأتوا بجفنتهم، أو هى مُنَزَّلَةٌ مَنْزِلَةَ من يعقل، لا أن الله تعالى خلق فيها إدراكا حتى تنادى هى فتأتى بنفسها، ويكون ذلك معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ لأنه لم ينقل لنا مثله.

(فوضعتها بين يديه وذكر) جابر، رضى الله تعالى عنه، **(أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بسط يده)** بالسين والطاء، وبهما قرئ أى وضع يده الشريفة **(فى الجفنة)** مبسوطة ليكون أبرك.

(وفرق أصابعه وصب جابر عليه) ما كان فى القربة من الماء **(وقال)** أى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم: **(بسم الله)** أتبرك وأطلب نبع الماء، ويحتمل القسم لصحة نيته بذلك، واقتصر عليه؛ لأنه المأثور فى سائر الأفعال لا لبيان أنه يجزى بدون الرحمن الرحيم كما قيل.

ولو قلنا: فاعل قال بسم الله جابر كان أوفق بما فى الرواية من أنه وضع يده فى قعر الجفنة، وقال: خذ يا جابر صب على، وقل بسم الله فصببت عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقلت: بسم الله، فلا يقال: كيف استبد جابر بالصب من غير إذن؟ وأن المصنف، رحمه الله تعالى، غير الرواية ونسب لجابر ما لم يقله.

فيجاب بأن كمال جابر وما علم من آداب الصحابة رضى الله تعالى عنهم معه صلى الله تعالى عليه وسلم قرينة على ما ذكر.

(قال) جابر، رضى الله تعالى عنه: **(فرأيت الماء يفور)** أى يزيد ويرتفع حتى يتدفق، من فار القدر إذا غلا ما فيه **(من بين أصابعه)** صلى الله تعالى عليه وآله وسلم **(ثم فارت**

الجفنة) أى فار ماؤهـا، ففيه مضاف مقدر، أو الإسناد مجازى للمبالغة فى فورانه، **(واستدارت)** أى دار ماؤها لأن الماء إذا زاد بسرعة يرى كأنه يدور، وليس المراد أن الجفنة نفسها استدارت؛ لعظم الأمر فإنه لا محصل له.

(حتى امتلأت وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا) أى أخذ كل منهم من الماء ما يكفيه ودوابه، وشربوا حتى ذهب عطشهم، والرى مقابل العطش.

وفيما رواه المصنف، رحمه الله، بعض مخالفة لما فى صحيح مسلم بحسب اللفظ دون المعنى، كقوله: ودارت وفى بعض نسخه: فارت الجفنة ثم فارت بالتكرار.

(فقلت: هل بقى أحد له حاجة)؟ أى قال جابر: فقلت إلى آخره، وهل هنا قيل: إنها نافية كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: **(هل ترك لنا عقيل من دار؟)** ويجوز أن تكون استفهامية.

وقوله: **(فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده من الجفنة)** الفاء فيه فصيحة أى فقال: لا فرفع إلى آخره، وحديث جابر هذا ليس فى شىء من الكتب الستة غير مسلم، **(وهى ملأى)** بوزن سكرى أى مملوءة بالماء لم ينقص شيئًا بما أخذوه.

(وعن الشعبى): هو من كبار التابعين فحديثه هذا مرسل، والمرسل يستدل به عند مالك، والمصنف، رحمه الله تعالى، مالكى المذهب.

(أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) بالبناء للمجهول أى أتاه بعض الصحابة **(بإداوة)** بكسر الهمزة وفتح الدال المهملة وألف وواو وهاء وجمعها أداوى وهى إناء صغير للماء من جلد؛ ولذا أضافها لقوله: **(ماء فى بعض أسفاره، وقيل: ما معنا يا رسول الله ماء غيرها فسكبها فى ركوة)**: أى صبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنفسه أو أمر بصبها، **(ووضع أصبعه)** بالإفراد، وقد تقدم لغات الأصبع وأنها عشرة.

(وسطها) بفتح السين وسكونها وهو منصوب على الظرفية أى وضعه فى وسط مائها، وفى الفرق بين الوسط مسكنا ومحركا كلام فى كتب العربية ليس هذا محله، وبيناه فى شرح الدرة، وتقدم فيما مر ما فيه الكفاية.

(وغمسها فى الماء): تفسير لما قبله، والغمس بغين معجمة الإدخال.

(وجعل الناس يجيئون ويتوضئون) جعل هنا بمعنى صار وطفق نحو: جعل زيد يقول كذا، وهو أحد معانيه الخمسة. **(ثم يقومون)** بعد الوضوء.

(قال الترمذى): أبو عيسى إمام أهل السنة المشهور صاحب الجامع وغيره.

(وفى الباب): أى فى هذا الباب الذى ذكر فيه معجزاته ونبع الماء، **(عن عمران بن**

حُصَين) بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين أى روى عنه مثله.

(ومثل هذا) الأمر المعجز المروى فى هذا الحديث **(فى هذه المواطن)** جمع موطن، وهو موضع التوطن، وهو هنا بمعنى المجالس **(الحفلة)** بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء واللام والهاء: أى الكثيرة الناس، **(والجموع الكثيرة)** أى جموع الناس الكثيرة فى مثل هذه المحافل **(لا تتطرق التهمة)** بضم المثناة الفوقية وفتح الهاء ويجوز تسكينها وهاؤه مبدلة من الواو.

والتهمة ما يتوهم ويظن فى شىء على خلاف الواقع، وقيل: التسكين غلط وهو ظاهر ما فى القاموس والصحاح، ولا يكون إلا اسما لما يتهم به، وقيل: إنه بالسكون مصدر وبالفتح اسم كما فى شرح المفتاح لابن كمال، وفيه نظر.

ويتطرق بمعنى يصل وأصل معناه يجد طريقا **(إلى المحدَّث به)** بفتح الدال المهملة المشددة وكسرها؛ **(لأنهم كانوا أسرع شىء إلى تكذيبه)** أى تكذيب المخبر عنه والخبر لوقوعه بين ناس كثيرين لا يمكن تواطؤهم على الكذب **(لما جبلت عليه النفوس من ذلك)** أى الإسراع إلى التكذيب **(ولأنهم)** أى من حضر تلك المحافل **(كانوا ممن لا يسكت على باطل)** فلا يقرونه على ما قاله إذا كذب فيهم، وهم عرفوا خلافه ولا يخافون فى الله لومة لائم.

(وهؤلاء) المذكورون من الصحابة وغيرهم **(قد رووا هذا)** الحديث الذى فيه نبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم **(وأشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له)** أى قالوا: إنه وقع فى محافل ناس لا يحصون كثرة، فلا يمكن كونه كذبا، وحضور الجماء الغفير كجاؤا الجماء الغفير: أى كلهم شريفهم ووضيعهم بحيث لم يتخلف منهم أحد، وفيه لغات واستعمالات كثيرة ذكرها فى القاموس، وليس هذا محل تفصيلها، **(ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم)** أى لم يقل أحد أن ما نقلوه من هذه المعجزة أنها لا أصل لها ونحوه **(أنهم فعلوه وشاهدوه)** بفتح همزة أن بدل من ماحدثوا وما فعلوه، كوضوئهم وتقديمهم الإداوة وصب الماء وغيره مما تقدم، وما شاهدوه من نبع الماء وتدفقه وكثرته.

(فصار) ما ذكر من كثرة من نقله من عدول الصحابة وعدم إنكار غيره **(كتصديق جميعهم له)** أى لذلك الخبر، والحديث، فيتواتر تواترًا معنويًا وأمرًا مجمعًا عليه، وفى نسخة لهم.

* * *

(فصل)

(ومما يشبه هذا) أى من المعجزات المشبهة لنبع الماء من بين أصابعه صلى الله تعالى عليه وسلم.

(من معجزاته): بيان لما أو حال من اسم الإشارة **(تفجير الماء ببركته)** صلى الله تعالى عليه وسلم.

والتفجير: الشق الواسع، يقال: فجر الأرض فانفجرت وتفجرت، ومنه الفجر بمعنى الصبح فإضافته للماء إضافة مجازية من إضافة ما للمحل إلى الحال، قال عز وجل: (﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾) [القمر:١٢].

أو التفجير مجاز بمعنى الإخراج، وهو شائع فيه وقوله: ببركته: أى بيمنه وجوده فى مكان أخرج منه الماء.

والبركة الخير الدائم وهى فى الأصل من البرك وهو الموضع الذى يضعه البعير على الأرض إذا برك، ومنه البركة وهو الموضع الذى يحبس فيه الماء، وقوله تبارك وتعالى ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ [المؤمنون: ٣٩] أى كثير الخير، وتبارك الله بمعنى زاد خيره الذى أفاضه على عباده، وهو لا ينصرف ولا يستعمل فى غير الله.

(وابتعاثه): وهو افتعال من البعث، وهو الإثارة والإخراج للماء حتى يجرى **(بمسه ودعوته)** أى بلمسه لمحله ودعائه فيه، وأخر هذا عن نبعه من بين أصابعه؛ لأن الأول أقوى فى المعجزة لاحتمال هذا لكونه من الاتفاقيات كغيره من الماء الجارى، وفى بعض النسخ انبعاثه من الانفعال بالنون، وهما بمعنى واحد مطاوع بعثه فانبعث وابتعث، كانشوى واشتوى وجعل هذا مشبها بذاك لما تقدم.

(مما روى مالك فى الموطأ) ومسلم فى صحيحه وعزاه المصنف للموطأ دونه؛ لأن روايته له أعلى سندا عنده، أو لترجيح روايته **(عن معاذ بن جبل)** الصحابى المشهور، رضى الله تعالى عنه، **(فى قصة غزوة تبوك)** بفتح المثناة الفوقية: اسم مكان بين الشام والمدينة غزاه صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة مبينة فى السير.

(وأنهم) أى الجيش الذين كانوا معه صلى الله تعالى عليه وسلم **(زردوا العين)** تعريفها للعهد: أى عينا بتبوك نزلوا عليها فى سفرهم هذا، **(وهى تبض)** مضارع بض بزنة رد بموحدة وضاد معجمة مشددة، من بض الماء: إذا سال سيلانا قليلا، ويجوز أن يكون بصاد مهملة من بص إذا لمع وبرق، وهو رواية فيه، وهو كناية عن قلة الماء، ولذا قال: **(بشىء من ماء مثل الشراك)** بكسر الشين المعجمة وفتح الراء المهملة وألف وكاف:

وهو سير النعل الذى يكون على وجهه، وشبهه به لقلته وضعف جريانه، وليس بمعنى أخدود فى الأرض، كما قيل.

(فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع) الماء الذى غرفوه **(فى شىء)** من الأوانى التى كانت معهم، وليس فيه قلب وأن الأصل: غرفوا فى شىء حتى اجتمع ماء كثير كما توهم.

(ثم غسل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه وجهه ويديه) ضمير فيه للشىء بمعنى الإناء، أو للماء وكان الظاهر منه، ولكنه لمشاكلة قوله: **(وأعاده فيها)** أى فى العين التى غرفوا منها، وضمير أعاده للماء لا للوجه كما توهم.

(فجرت بماء كثير): أى جرى من تلك العين ماء كثير، **(فاستقى الناس)**: أى شربوا وسقوا دوابهم.

(قال) معاذ بن جبل، رضى الله تعالى عنه، **(فى حديث ابن إسحاق)** صاحب السير فيما رواه عن معاذ فى سيرته **(فانخرق)** بنون وخاء معجمة وراء مهملة وقاف: أى انفجر انفجارًا بشدة **(من الماء ماله حس كحس الصواعق)** الحس بحاء وسين مهملتين: بمعنى الصوت المحسوس بحاسة السمع، وهو مجاز مشهور، يقال: لمشيه حس: أى يسمع حركته، والصواعق يكون معها أصوات شديدة من الصعقة وهى الصيحة، وهو من تشبيه المحسوس بالمحسوس، وهذا كان فى رجعته صلى الله تعالى عليه وسلم من تبوك كما قال ابن إسحاق، ثم انصرف قافلاً من تبوك إلى المدينة، وكان فى الطريق ما يخرج من وشل ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له: وادى المشقق فذكر القصة.

(ثم قال) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد جرى الاستقاء: **(يوُشِك)** بضم الياء المثناة التحتية وواو وشين معجمة مكسورة وكاف: مضارع أوشك، وفتح شينه لغة ردية كما فى القاموس وغيره، ومعناه يقرب ويسرع من غير بطء **(يا معاذ إن طالت بك حياة)** أى إن أطال الله عمرك، ورأيت هذا المكان **(أن ترى)** بعينك، وهو فاعل يوشك وأن بالفتح مصدرية **(ما هاهنا)** ما موصولة أى الذى هاهنا وهو إشارة للمكان **(قد مُلِئَ)** بالبناء للمجهول **(جِنانا)** منصوب على التمييز وهو بكسر الجيم: جمع جَنة بفتحها، وهى البستان أى يكثر ماؤه ويخصب أرضه فيكون بساتين ذات ثمار وشجر كثيرة، والحديث طويل اقتصر المصنف منه على بعضه المراد منه اختصارًا.

(وفى حديث البراء) ابن عازب بفتح الباء الموحدة كما تقدم.

(وسلمة بن الأكوع) أفعل من الكوع بفتحتين وهو اعوجاج اليد وحديث البراء فى

صحيح البخارى، وحديث سلمة بفتحتين فى مسلم **(وحديثه)** أى حديث سلمة الذى رواه مسلم **(أتم)** من حديث البراء كما سيأتى **(فى قصة الحديبية)** التى قدمناها وفيها بيعة الرضوان.

(وهم أربع عشرة مائة) رجل من الصحابة كما تقدم.

(وبئرها) أى وماء بئرها **(لا تروى)** بضم المثناة الفوقية **(خمسين شاة)** الشاة معروفة وروى إشاء بهمزة مكسورة فى أوله مفتوحة فى آخره: وهى النخلة الصغيرة.

(فنزحناها) أى أخرجنا جميع ما فيها من الماء بطينة، **(فلم يترك فيها قطرة)** من مائها.

(فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جَبَاها) بفتح الجيم والباء الموحدة مقصور، وهو فم البئر وما حولها، وبالكسر ما جمع فيها من الماء، ويروى شفاها بشين معجمة وهما بمعنى هنا.

(قال البراء: وأتى) بالبناء للمفعول **(بدلو منها)** أى من تلك البئر أى بماء دلو مما نزحوه منها **(فبصق)** أى ألقى ريقه **(ودعا)** بعد بصاقه، أو هو شك من الراوى هل بصق فيها أو دعا الله لتكثير مائها كما أشار إليه بقوله: **(وقال سلمة)** راوى الحديث **(إما دعا وإما بصق فيها)** بكسر همزة إما فيهما بيان للشك فى الرواية وفى نسخة فإما دعا إلى آخره، وضمير فيها راجع للبئر لا للدلو كما قيل.

(فجاشت) البئر أى فار ماؤها حتى ارتفع لفمها، من جاشت القدر: إذا غلت **(فرووا أنفسهم وركابهم)**: أى شربوا منها حتى ارتووا وسقوا ركابهم حتى رويت.

والركاب بكسر الراء المهملة الإبل جمع لا واحد له من لفظه.

وقد علم أن حديث البراء رواه البخارى ولفظه قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أربع عشر مائة، والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأتاها، فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ فتمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا نحن وركابنا: أى صرفتنا ونحن وإبلنا رواء، و لم يحتج للمقام بها لأجل الماء، وأن حديث سلمة فى صحيح مسلم، وهو أنه قال: قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن أربع عشر مائة وعليها خمسون شاة لا نرويها، قال: فقعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على جباء الركية فإما دعا وإما بصق فيها، قال: فجاشت فسقينا واستقينا، قال: ثم إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعانا للبيعة فى أصل الشجرة، فبايعته أول

الناس ثم بايع حتى إذا كان فى وسط النهار قال: بايع يا سلمة، فقلت: قد بايعتك يا رسول الله فى أول الناس، قال: وأيضًا، ورآنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعزل: أى ليس معى سلاحا فأعطانى جحفة أو درقة ثم بايع حتى كان فى آخر الناس، قال: ألا تبايعنى يا سلمة؟ قلت: قد بايعتك يا رسول الله أول الناس وأوسط الناس. قال: وأيضًا، فبايعته الثالثة... الحديث.

ومنه تعلم ما قدمه المصنف من أن حديث سلمة أتم لما فيه من تفصيل القصة، وأنه كان عليها من يستقى للشاء حين قدموا، ولذكره كيفية المبايعة، وما جرى له معه صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وفى غير هذه الروايتين) كذا فى أكثر النسخ بتوحيد هذه وفى بعضها هاتين الروايتين.

قيل: وهو الصواب لتثنية المشار إليه، ووجه الأول بأنه وَحَّدَ اسم الإشارة لاتحاد الروايتين معنى؛ لأن القصة فيهما واحدة، لكنه لا يخلو من التكلف.

والروايتان رواية البراء ورواية سلمة **(فى هذه القصة)**: أى قصة الحديبية **(من طريق ابن شهاب)** الزهرى وقد تقدمت ترجمته مرارا **(فى الحديبية)** تفسير قصة **(فأخرج سهما من كنانته)**: هى ما يوضع فيه السهام؛ لأنها تكنها أى تسترها **(فوُضع)** بالبناء للمجهول، وفى بعض النسخ فوضعه أى أمر بوضعه **(فى قعر قليب ليس فيها ماء)**:

القليب: البئر المحفورة من غير بناء، فإن بنيت فهى طوى ويذكر ويؤنث، وهو مخالف للرواية السابقة أنه كان ماء قليل والذى وضع السهم البراء، وقيل: ناجية على ما يأتى.

(فرَوِىَ الناس) بفتح الراء المهملة والمثناة التحتية بينهما واو مكسورة: أى شبعوهم ودوابهم لقوله: **(حتى ضربوا بعطن)** هو بفتح العين والطاء المهملتين ونون: محل تبرك فيه الإبل عند الماء بعد شربها؛ لتعود لعلل بعد نهل، وضربوا: بمعنى أقاموا من ضرب الخيمة إذا نصبها، يقال: ضربت الإبل بعطن إذا بركت: يعنى أنهم لما رأوا كثرة الماء نزلوا عنده.

وهذا الحديث رواه البيهقى مسندًا لمروان بن الحكم والمسور بن مخرمة قال فيه: خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لزيارة البيت لا يريد حربا فذكر الحديث وفيه أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال: أيها الناس: انزلوا، فقالوا: ما بالوادى ماء ننزل عليه، **فأ**خرج سهما من كنانته أعطاه رجلاً من أصحابه، فقال: انزل للقليب واغرزه فيه ففعل **فجاش** الماء، حتى ضرب الناس بعطن.

وفيه أن الذى نزل فى البئر خلاد الغفارى دلاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعمامة.

وقيل: هو ناجية السلمى وكان البراء بن عازب، رضى الله تعالى عنه، يقول: أنا الذى نزلت، كذا فى دلائل النبوة.

(**وعن أبى قتادة**): هو الحارث بن ربعى، وقيل: النعمان بن ربعى، وقيل: اسمه عمرو.

وهذا الحديث رواه البيهقى أيضًا فلذا عطفه، فقال: (**وذكر أن الناس شكوا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم العطش فى بعض أسفاره**)؛ لأنه كان يومًا شديد الحر، (**فدعا بالميضأة**) بكسر الميم وياء منقلبة عن واو؛ لأنها آلة الوضوء وهى مقصورة وزنها مفعلة، وقد تمد فوزنها مفعالة، ودعا بمعنى طلب مطهرة ماء الوضوء فأتى بها.

(**فجعلها فى ضبنه**) بكسر الضاد المعجمة وسكون الباء الموحدة والنون، وهو ما تحت الإبط قريب من الحضن، يقال: أضبنته إذا جعلته فى ضبنك، وبه سمى العيال كما فى الغريبين، والمراد أنه أمسكها وضمها إليه.

(**ثم التقم فمها**) أى أدخل فمها فى فيه كما تدخل اللقمة، (**فالله أعلم**): أى قال الراوى: إنى لا أعلم.

(**نفث فيها أم لا؟**) أى أنفث فى تلك الميضأة أم لا؟.

والنفث بنون وفاء وثاء مثلثة: نفخ لطيف بغير ريق كالنفخ وأقل من التفل.

(**فشرب الناس**) من تلك الميضأة (**حتى رووا**): أى حصل لهم الرى المزيل للعطش، (**وملئوا كل إناء معهم**) مما فضل عن شربهم، (**فخيل**) بالبناء للمجهول (**إلىَّ أنها كما أخذها منى**) أى مثل ما أخذها منى لم تنقص شيئًا مما كان فيها حين أخذها منى، وإنما قال: خيل؛ لأنه بالحدس إذ لم يتحقق مقدار ما كان فيها.

(**وكانوا اثنين وسبعين رجلاً وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبرى**) محمد بن جرير الإمام المشهور (**حديث أبى قتادة**) المذكور (**على غير ما ذكره أهل الصحيح**) أى فيه مخالفة لما رواه أصحاب الحديث المعتنون بتصحيحه (**وأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم خرج بهم**) أى بهؤلاء المذكورين من الصحابة، رضى الله تعالى عنهم، (**ممدًّا الأهل موتة**) بضم الميم وسكون الواو، وجوز بعضهم همزها ساكنة ثم مثناة فوقية، وهى أرض من البلقا وقربة بين تبوك وحوران من الشام، وممدا بمعنى مقويًا ومعينا.

(**عندما بلغه قتل الأمراء**) ما مصدرية، والأمراء: جمع أمير، وهو زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة، وذلك

أنه صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل حارث بن عمير الأزدى بكتاب إلى ملك بصرى، فلما نزل بموتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقتله، ولم يقتل رسول له قبله فأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف، وأرسلهم لقتال شرحبيل، وقال: إن قتل زيد فأميركم جعفر فإن قتل جعفر فأميركم عبد الله بن رواحة، فإن قتل فليرض المسلمون برجل منهم، وعقد للسرية لواء دفعه لزيد وأوصاهم كما ذكره أهل السير، فلما التقوا قتل زيد ثم جعفر ثم عبد الله كما أخبرهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فدفعت الراية لخالد بن الوليد... إلى آخر الحديث.

وفيه معجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم من إخباره بالغيب كما أشار إليه بقوله: **(وذكر)** أى ابن جرير **(حديثا طويلا فيه معجزات وآيات للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم)** كما ذكر، وما شاهده من جعفر وطيرانه فى الجنة بجناحين، وغير ذلك مما فضله الله تعالى به وعظم قدره.

(وفيه إعلامهم أنهم يفتقدون الماء فى غد وذكر) ابن جرير **(حديث الميضأة)** السابق.

(قال: والقوم زهاء ثلاثمائة): أى قريب من ذلك بطريق الحزر والتخمين، كما تقدم آنفًا **(و فى كتاب مسلم أنه)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(قال لأبى قتادة)** وقد رأى معه ميضأته: **(احفظ على)** وفى نسخة علينا **(ميضأتك)** هذه، وأمسكها عندك **(فإنه)** ضمير شأن **(سيكون لها نبأ)** أى خبر عظيم، وقصة عجيبة فى أمر مائها وكفايته القوم، وما يظهر بها من المعجزة العظيمة، **(وذكره نحوه)**: أى مثل ما تقدم.

(ومن ذلك): أى من قبيل المعجزة السابقة فى تفجير الماء **(حديث عمران بن حصين حين أصاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه عطش فى بعض أسفارهم فوجه رجلين من أصحابه)**: أى أرسلهما لجهة من الجهات **(وأعلمهما أنهما يجدان امرأة بمكان كذا)**: الرجلان عمران بن حصين الراوى وعلى بن أبى طالب، كرم الله وجهه.

وقيل: إنهما على والزبير بن العوام، وفى البيهقى أن عليا خرج فى نفر من أصحابه.

ولم يسم أحد هذه المرأة إلا أنه وقع فى السير أنها أسلمت، ولم يذكروا اسم المكان إلا أن فى حديث أنه بروضة خاخ إن كانت القصة واحدة.

(معها بعير) قال أهل اللغة: إنه يطلق على الذكر والأنثى.

(وعليه مزادتان) المزادة بفتح الميم: ظرف من جلد يحمل فيه الماء كالقربة، وهو من الزيادة، ؛ لأنه زيد فيه جلد لا من الزاد كما توهمه بعضهم، فقالوا: تثنية المزود.

(الحديث فوجداها) أى المرأة **(وأتيا بها إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل فى**

إناء من مزادتيها): أى جعل ماء من مائها فى إناء عنده، أى وضع فيه ماء المزادتين، **(وقال فيه)**: أى فى الماء الموضوع فى الإناء **(ما شاء الله أن يقول)** المراد دعاؤه، وذكر اسم الله عليه ونحوه، مما لم يسموه ولذا أبهموه **(ثم أعاد الماء)** الذى أخذه فى إنائه من المزادتين، فرده بعده ما دعا له **(فى المزادتين)** اللتين للمرأة.

(ثم فتحت عزاليهما) ببناء الفعل للمجهول، وعزاليهما بكسر اللام: جمع عزلاء وهو فم القربة كما تقدم، والتأنيث والجمع وليس للقربة إلا فم واحد، قيل: لأنها كانت تتعدد فى قربهم عزلاء وإن من أسفل، وعزلاء وإن من فوق، وما كان من أسفل يخص باسم العزلاء، والأحسن أن الجمع قد يطلق على الواحد وليس على حد قوله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]؛ لاختصاصه بما إذا كان المضاف مثنى، وإنما جنى على مائها؛ لأنها كانت حربية والضرورة العطش، وقد قيل: إن هذه المرأة أسلمت لما شاهدت هذه المعجزة العظيمة منه صلى الله تعالى عليه وسلم.

(وأمر) صلى الله تعالى عليه وسلم **(الناس)** أن يملئوا منه **(فملئوا أسقيتهم)** جمع سقاء وهو إناء من جلد يوضع فيه الماء **(حتى لم يدعوا شيئًا)** من أوانيهم **(إلا ملئوه)** ماء.

(قال عمران) بن حصين، رضى الله عنه: **(و)** أنا **(يخيل إلى)** بالبناء للمجهول **(أنهما لم يزدادا إلا امتلاء)**، فالجملة حالية بتقدير مبتدأ أى حال كونى وقع فى مخيلتى أن المزادتين بعد أخذ الناس منهما الماء أنهما لم ينقصا بل زادا عما كانا عليه.

(ثم أمر) صلى الله تعالى عليه وسلم أن يعطوها من زادهم شيئًا بدلا مما أخذ من مائها؛ تفضلا منه فإن ماءها لم ينقص، **(فجمع)** بالبناء للمفعول أى جمع الناس **(للمرأة من الأزواد حتى ملئوا ثوبها)**، وحملوه على بعيرها.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم للمرأة: **(اذهبى فإنا لم ناخذ من مائك شيئًا ولكن الله سقانا)** من فضله.

واختلفت الروايات هنا ففى بعضها ما ذكره المصنف فقط، وفى بعضها أنهم ملئوا أسقيتم وسقوا إبلهم وأنه أمرهم بذلك، واستعماله صلى الله تعالى عليه وسلم من ماء القربة التى للكافرة لا ينافى النهى منه عن استعمال أوانيهم، وأنهم نجس وأمره بغسلها إذا اضطروا لاستعمالها لاختصاصه بما يحتمل النجاسة، كقدورهم وأوانيهم التى يضعون فيها الخمر والخنزير، وقرب الماء لا يتوهم فيها ذلك **(الحديث بطوله)** أى اقرأ الحديث بطوله وتمامه إن أردت الوقوف عليه، وفيه إشارة إلى أنه حديث طويل مروى فى كتب الحديث كالبخارى وغيره، لاشتماله على رجوعها لقومها وذكرها لهم القصة بتمامها،

وتعجبها مما رأته من المعجزة له صلى الله تعالى عليه وسلم لكن المصنف اقتصر على محل الشاهد منه.

(**وعن سلمة بن الأكوع**) رضى الله تعالى عنه، تقدم بيانه أنه قال: (**قال نبى الله صلى الله تعالى عليه وسلم**)فى يوم من الأيام: (**هل من وَضوء؟**) بفتح الواو كما تقدم، وأنه الماء الذى يتوضؤ به، وبالضم نفس الفعل، ومن زائدة فى المبتدأ المقدر خبره: أى هل معكم وضوء؟ وسوغ الابتداء بالنكرة وقوعه بعد الاستفهام.

(**فجاء رجل بإداوة**) بكسر الهمزة ودال مهملة أى إناء من جلد صغير (**فيها نطفة**) أى ماء قليل، وقد تطلق على غيره لتنزيله منزلته لنكتة، وأصل معناها القطرة، ومنه نطفة الرجل لمنيه، (**فأفرغها فى قدح**) أى صبها فى إناء، (**فتوضأنا كلنا**) بالرفع توكيد لضمير الفاعل.

(**نُدَغْفِقُهُ دغفقة**) مفعول مطلق وندغفقة بضم النون وفتح الدال المهملة وسكون الغين المعجمة ثم فاء مكسورة وقاف: أى نصبه صبا كثيرًا من قولهم: عيش دغفق أى واسع.

(**أربع عشر مائة**) من الرجال وأربع بالرفع خبر مبتدأ مقدر: أى ونحن أربع إلى آخره أو بدل من ضمير ندغفقه، أو توضأنا لأنه بيان لعدد من توضأ وكثرتهم مع قلة الماء وصغر الإناء، ونصبه على الحالية عن أحد الضمائر.

(**وفى حديث عمر**) بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، الذى رواه البيهقى والبزار وابن خزيمة فى مسنده بسند صحيح، (**فى جيش العسرة**) بضم العين فسكون السين المهملتين: وهى غزوة تبوك الواقعة فى سنة تسع من الهجرة، وسميت بذلك لأنها اتفقت فى زمان كانت النفقة والزاد فى غاية القلة عندهم؛ ولذا لم يورِّ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فيها، كما كانت عادته فى أسفاره.

ولعثمان بن عفان، رضى الله تعالى عنه، فيها اليد البيضاء؛ لما جهزهم بماله كما بين فى السير. وتسمى الفاضحة لافتضاح المنافقين فيها، والعسرة هى الشدة والضيق.

(**وذكر**) عمر بن الخطاب، رضى الله تعالى عنه، (**ما أصابهم**) أى جيش العسرة (**من العطش**) لقلة الماء، (**حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه**): هو ما فى كرشه، (**فيشربه**) أى يشرب ما عصره منه مع تغيره وقلته، وهم كانوا يفعلون ذلك فى ضرورتهم، (**فرغب أبو بكر**)، رضى الله تعالى عنه، (**إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم**) والرغبة طلب ما يحبه، ويتعدى للمطلوب بفى، فيقال: رغب فى كذا، ولضده بعن فيقال: رغب عنه، ويكون بمعنى التضرع فيتعدى بإلى لمن طلب منه: أى تضرع وتذلل.

(فى الدعاء): أى فى دعائه صلى الله تعالى عليه وسلم وتوجهه لربه؛ ليزيل ما بالناس من البأس الذى علمه منهم، **(فرفع يديه)** نحو السماء التى جعلها الله تعالى قبلة للدعاء، ورفع اليدين نحوها سنة كمسح الوجه بهما بعده، كما ذكره ابن حجر أى ودعا ربه وتضرع إليه، كما ورد أنه طفق يهتف بربه: أى يدعوه ويناشده فى سرعة إجابته، **(فلم يرجعهما)** بفتح الياء أى لم يرد يديه من دعائه، ويرجع متعد كما فى قوله تعالى: (﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٨٣]) ويكون لازما أيضًا.

(حتى قالت السماء) أى غيمت وظهر فيها سحاب من قولهم: قال كذا إذا تهيأ له واستعد كما فى القاموس، وفى بعض الحواشى يقال: قالت السماء: إذا أرعدت وغيمت، وتفسيرها بأمطرت لا يناسب قوله: **(فانسكبت)** أى انسكب ماؤها فالإسناد مجازى، وكون السماء بمعنى المطر بعيد هنا، وكذا كونه استخداما كقوله:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

(فملئوا ما معهم من آنية) جمع إناء كأوان، وبعضهم ظنه مفردًا وهو وهم كما مر، والإناء معروف.

(ولم يجاوز العسكر) فى يجاوز ضمير مستتر راجع للسماء، بمعنى السحاب أو المطر المعلوم من السياق، وهذه معجزة أخرى.

(وعن عمرو بن شعيب) بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص السهمى الصحابى المشهور.

وفى الاحتجاج بعمرو هذا اختلاف وأقوال، والأكثر على الاحتجاج به، وهو يروى عن أبيه وغيره، وأخرج له أربعة من أصحاب السنن، وهذا الحديث ليس فيها، وتوفى سنة ثمان عشرة ومائة ودفن بالطائف.

(أن أبا طالب قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو رديفه) أى راكب خلفه وضمير هو للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وضمير رديفه لأبى طالب، **(بذى المجاز)** بفتح الميم والجيم وألف ثم زاء معجمة، وذى بمعنى صاحب: أى محل الجواز.

وذو المجاز: اسم سوق تقرب عرفة كانوا يجتمعون فيه فى الجاهلية كما كانوا يجتمعون بعكاظ.

وهذا الحديث رواه ابن سعد عن إسحاق بن الأزرق عن عبد الله بن عون عن عمرو.

(عطشت وليس عندى ماء فنزل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم) عن الدابة التى

أردف عليها (**وضرب بقدمه الأرض فخرج الماء فقال**) صلى الله تعالى عليه وسلم لأبى طالب: (**اشرب**).

قيل: هذا كان قبل البعثه، قيل: و لم يذكره على سبيل الاحتجاج؛ لأن أبا طالب كافر لا يستدل بقوله.

(**والحديث فى هذا الباب**): أى باب نبع الماء وخروجه ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم (**كثير، ومنه الإجابة بدعاء الاستسقاء**): أى دعاؤه صلى الله تعالى عليه وسلم بطلب السقيا، وإيجاد الماء عند الحاجة له، وما جانسه أى شابه الاستسقاء من السماء، كما ذكر هنا وهو مأخوذ من الجنس وهو معروف.

* * *

(فصل)

مناسب لما قبله؛ لأن الأكل والشرب توءمان.

(**ومن معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه**) النافعين عند الحاجة، وبدأه بحديث رواه مسلم فى صحيحه بسند صحيح، وهو:

(**حدثنا القاضى الشهيد أبو على، رحمه الله**)، هو الحافظ ابن سكرة، وتقدمت ترجمته قال: (**حدثنا العذرى**) قال: (**حدثنا الرازى**)، تقدمت ترجمتهما وبيان نسبتهما قال: (**حدثنا الجلودى**) تقدمت ترجمته ونسبته، وأنه يجوز ضم الجيم وفتحها قال: (**حدثنا ابن سفيان**) هو إبراهيم بن محمد بن سفيان راوى صحيح مسلم وقد تقدمت ترجمته قال: (**حدثنا مسلم بن الحجاج**) صاحب الصحيح المشهور كما تقدم قال: (**حدثنا سلمة بن شبيب**) أبو عبد الرحمن النيسابورى الحافظ الثقة أخرج له أصحاب السنن، وتوفى سنة سبع وأربعين ومائتين، قال: (**حدثنا الحسن بن أعين**) أفعل تفضيل من العين، وهو الحسن بن أعين بن محمد الحرانى الثقة قال: (**حدثنا معقل**) بفتح الميم وسكون المهملة والقاف المكسورة، (**عن أبى الزبير**) محمد بن مسلم الثقة وترجمته مشهورة، (**عن جابر**) الصحابى المشهور، رضى الله تعالى عنه، (**أن رجلاً أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يستطعمه**): أى يطلب منه طعاما له ولأهله؛ لشدة احتياجه، وهذا الرجل لم يعرفوا اسمه؛ لأنه من أهل البادية، والطعام ما يؤكل وبه قوام البدن، ويطلق على غيره مجازًا.

(**فأطعمه**) أى أعطاه؛ لأن الإطعام يكون بمعنى الإعطاء كثيرًا حتى أنه لكثرته يستعمل فيما لم يكن مأكولا، فيقال: أطعمه السلطان بلدة، وهو مجاز مرسل أو استعارة.

(**شطر وسق شعير**) الشطر هنا بمعنى النصف، وهو أصله ويكون بمعنى البعض مطلقا،

وبمعنى الجهة كقوله تعالى: (﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤])، والمراد جهته، والوسق بفتح الواو وكسرها وسكون السين المهملة وقاف: بمعنى الحمل، فيقال: وسق بعير أى حمله، ثم خص وصار حقيقة عرفية فى ستين صاعًا بصاعه صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو ثلاث مائة وعشرون رطلاً حجازية، وأربع مائة وثمانون رطلاً عراقية، على الاختلاف فى قدر الصاع والمد، فشطره ثلاثون صاعًا، وعلى الأول مائة وستون رطلاً، وعلى الثانى مائتان وأربعون رطلاً، والكلام فى المقادير الشرعية مفصل فى كتب الفروع.

(فما زال يأكل منه وامرأته) بالرفع معطوف على الضمير المستتر فى يأكل من غير فصل مؤكد كـ(﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]) وهو الأفصح، وقد يعطف بفاصل من غير ضمير كما هنا فإنه فصله بقوله: منه، وهو فصيح أيضًا، وقد يعطف من غير فاصل أصلاً كما فى قول على، كرم الله وجهه: كنت وأبو بكر وعمر لكنه قليل.

(وضيفه) أى من ينزل عليه من غير أهله، وهو يطلق على الواحد وغيره، وقد يختص بالمفرد فيقال: ضيف وضيفان وضيوف: أى لم يزالوا يأكلون منه، وهو باق بحاله من غير نقص؛ لأنه لا يزال يكثر ببركة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو محل استشهاد المصنف وفى نسخة وضيف.

(حتى كاله) غاية لأكله أى استمر أكلهم منه من غير نقص شىء منه إلى أن كاله فظهر نقصه بعد الكيل بما يأخذه منه، فكانت البركة فى ترك كيله حتى لو لم يكله لم ينفد، وترك الكيل والعد فيه بركة لما فيه من الاتكال على الله، وهو أكثر بركة، وهكذا جرت عادة الله، وأما ما ورد فى الحديث من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه»: فهو بالنسبة لمن كان يخشى خيانة فيه، وقيل: المراد كيلوا ما تخرجونه للنفقة منه؛ لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل، بشرط أن يبقى الباقى مجهولا غير مكيل، وقيل: إنه إنما كان كذلك لإفشائه سرا من أسرار الله تعالى ينبغى كتمه.

(فأتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبره) بتكثير ما أعطاه له صلى الله تعالى عليه وسلم ببركته **(فقال: لو لم تكله لأكلتم منه)** أى لاستمر أكلكم منه إلى غير النهاية، **(ولقام بكم)** أى لكفاكم مدة حياتكم وكان فيه قوام لكم من غير نقص، وهذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث، وكان استعان به صلى الله تعالى عليه وسلم فى نكاحه، فأنكحه امرأة فطلب منه طعاما يقوم به وبزوجته، ولم يكن عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شىء، فبعث أبا رافع وأبا أيوب الأنصاريين بدرعه، فرهناه عند يهودى فى شطر وسق من شعير، ودفعه إليه، قال: فأكلنا منه سنة وبعض سنة، ثم كِلْناه فوجدناه كما أدخلناه.

(ومن ذلك) أى تكثير الطعام ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم **(حديث أبى طلحة المشهور)** فى قصته التى رواها الشيخان عن أنس، رضى الله تعالى عنه -، وهو زيد بن سهل بن الأسود الأنصارى الصحابى، رضى الله تعالى عنه، توفى سنة إحدى وثلاثين، وقيل غير ذلك، والمشهور بمعنى أنه كثرت روايته فى كتب الحديث وتعددت طرقه، ويحتمل أن يريد بالمشهور معناه المعروف فى مصطلح الحديث.

(وإطعامه صلى الله تعالى عليه وسلم) مرفوع عُطف على حديث **(ثمانين أو سبعين رجلاً)**، وجزم مسلم بالثمانين.

(من أقراص من شعير) جمع قرص وهو رغيف صغير **(أتى بها أنس)** بن مالك وفى نسخة جاء وهو عم أبى طلحة **(تحت يده أى إبطه)** بكسر الهمزة والباء وتسكينها، والإبط: ما تحت المنكب، وفسره به لأن اليد تشمله وغيره، والإبط يذكر ويؤنث، **(فأمر بها)** أى بالأقراص، **(ففتت)** يقال فتته إذا قطعه بأصابعه قطعا صغيرة بمقدار اللقمة، وقد يطلق بمعنى التكسير مطلقا، **(وقال فيها)**: أى فى شأنها بأن دعا ببركتها وذكر أسماء الله عليها، وقيل فى بمعنى على كقوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١].

(ما شاء الله أن يقول) أى ما قدره وعلمه من الذكر الذى لم يطلع عليه، وهو حديث طويل فى الصحيحين، اقتصر المصنف على بعضه؛ اعتمادا على شهرته؛ وفيه أن أبا طلحة، رضى الله تعالى عنه، قال لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع، فهل عندك شيء؟ فقالت: نعم فأخرجت أقراصًا من شعير، وفيه أنه دعا القوم عشرة عشرة، وحكمته أن لا يزدحموا على قصعة واحدة كانت صغيرة، وهذا كان بالمدينة لا بالخندق، كما توهمه القسطلانى.

وقد علمت أن الحديث طويل، والكلام عليه مفصل، وفيه أنهم بعد ما أكلوا دفعه لأهل المنزل فأكلوا وأطعموا جيرانهم.

(وحديث جابر)، رضى الله تعالى عنه، الذى رواه البخارى **(فى إطعامه)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(يوم الخندق)**: أى قصة الخندق المشهورة فى السير، ومعناه معروف وهو معرب كندة بمعنى الحفر.

(ألف رجل) بالنصب مفعول إطعام، ويوم الخندق منصوب على الظرفية، وحديث مبتدأ خبره مقدر أى من ذلك.

وقوله: **(من صاع شعير)** بالإضافة، وفى نسخة من صاع من شعير، وتقدم معنى الصاع.

(وعناق) بفتح العين وهى الأنثى من أولاد المعز لم يتم لها سنة، وقيل: هى التى قاربت الحمل و لم تحمل.

(قال جابر: فأقسم بالله لأكلوا) فى نسخة لقد أكلوا، ولما كان هذا أمر غريبا خارقا للعادة أكده بالقسم؛ لأنه مظنة الإنكار، **(حتى تركوه وانحرفوا)** أى أكلوا كلهم حتى شبعوا وقاموا وانصرفوا.

والانحراف الميل إلى جهة أخرى غير التى كان متوجهًا لها من الحرف وهو الطرف، ومنه قوله تعالى: (﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ﴾ [الحج: ١١]) أى على طرف غير متمكن.

(وإن برمتنا لتغط) البرمة بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة ثم ميم وهاء: القدر مطلقا، أو من حجارة وهو المعروف، وجمعها برام، وتغط بفتح المثناة وفتح أو كسر الغين المعجمة وبعدها طاء مهملة مشددة: أى تغلى غليانا شديدا يسمع لها صوت كهدير النائم والمخنوق.

(كما هى) أى على حالها الأول، لم ينقص منها شىء مع كثرة من أكل منها، وهذا محل الشاهد، **(وإن عجيننا ليخبز)**: أى أنهم استمروا على خبز العجين، وإيصاله شيئًا فشيئا لمن يأكل منه، و لم ينقص ببركة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ لأنه بصق فى البرمة والعجين، وبارك عليه كما ذكره المصنف بقوله: **(وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بصق فى العجين والبرمة وبارك)** فيهما، ومعنى بارك: دعا فيهما بالبركة كما مر، أى الزيادة والنمو.

(رواه) أى روى هذا الحديث **(عن جابر سعيد بن ميناء)** بكسر الميم وسكون المثناة التحتية والنون والمد والقصر، والصرف وعدمه، على أن وزنه فعلاء أو مفعال، وسعيد هذا أخرج له البخارى ومسلم، وميناء علم منقول من الميناء، وهى مرسى السفن وجوهر الزجاج.

(وأيمن) بزنة أفعل من اليمن: وهو أيمن الحبشى المكى، والد عبد الواحد بن أيمن مولى عمرة المخزومى الثقة، وقال ابن حبان: إنه أيمن ابن أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأخو أسامة لأمه، قال البرهان: وفيه نظر لأن ابن أم أيمن هذا قتل بحنين، فقد خلط ترجمته بترجمته وتبعه التلمسانى، **(وعن ثابت مثله)** أى مثل حديث جابر بن عبد الله، رضى الله عنهما، **(عن رجل من الأنصار وامرأته ولم يسمها، قال: وجئ بمثل الكف)** وفى نسخة بملء الكف، **(فجعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم**

يبسطها في الإناء ويقول: ما شاء الله) أن يقول (**فأكل منه من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك**) أي ما ذكر من الثلاثة (**قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله تعالى عليه وسلم، لذلك وبقى بعدما شبعوا مثل ما كان في الإناء**)، وقد علم أن ذلك ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم.

(**وحديث أبي أيوب**) أي ومن ذلك حديث أبي أيوب الأنصارى رضى الله عنه الذى رواه عنه الطبراني والبيهقى، وهو (**أنه صنع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولأبى بكر**) حين قدما المدينة فى الهجرة (**من الطعام زهاء**): أى مقدار (**ما يكفيهما**) أى طعاما يكفى رجلين فقط، وهو بيان لقلته، (**فقال له النبى صلى الله تعالى عليه وسلم :**) لما أخبره بذلك، ودعا له: (**ادع ثلاثين من أشراف الأنصار**) إنما خصهم، قيل: ليتألفهم كى يسلموا، فإن ذلك كان فى أول الهجرة، وسماهم أنصارًا لعلمه صلى الله تعالى عليه وسلم بأنهم سينصرونه وتفاؤلا بذلك.

(**فدعاهم فأكلوا حتى تركوه**) أى شبعوا وتركوا الطعام أو الأكل منه.

(**ثم قال**) صلى الله تعالى عليه وسلم: (**ادع ستين**): أى من أشراف الأنصار، (**فكان مثل ذلك**) أى أكلوا حتى تركوه.

(**ثم قال**) صلى الله تعالى عليه وسلم له: (**ادع سبعين**) فدعاهم (**فأكلوا حتى تركوا**) الطعام والأكل كما مر، (**وما خرج أحد منهم**): أى ممن دعاه وأكل حتى شبع و(**حتى أسلم وبايع**) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الجهاد معه ونصرته، لما رأوا من تلك المعجزة ولطفه بهم، وفى نسخة إلا حتى أسلم، قيل: وصوابه إسقاط إلا، ولا وجه له.

(**قال أبو أيوب**)، رضى الله تعالى عنه، (**فأكل من طعامى مائة وثمانون رجلاً**)، ذكر بعضا منهم، وترك الباقى كأنه لكونهم لم يدعهم بأمره، والمذكور مائة وستون غير أبى بكر والنبى، صلى الله تعالى عليه وسلم.

(**وعن سمرة بن جندب**) تقدمت ترجمته وأنه بضم الدال وفتحها (**أتى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم**) بالبناء للمجهول، إذ لا يتعلق غرض بيان الآتى هنا (**بقصعة**) بفتح القاف ولا تكسر القصعة، (**فيها لحم**) مطبوخ، (**فتعاقبوها**): أى دخل جماعة من الصحابة بعد جماعة لأن كلاًّ منهم أتى على عقب بعض، أى من غير فاصل بينهم؛ لأنه محل الإعجاز.

(**من غدوة حتى الليل**) بالجر ويجوز رفعه ونصبه.

(ويقوم قوم ويقعد آخرون) تفسير لما قبله من تعاقب القوم، وقيل عليه المعروف من حديث سمرة من غدوة إلى الظهر، فيقوم قوم ويقعد قوم آخرون، قال: فقيل لسمرة: هل كان يمد؟ قال: فمن أى شىء تعجب؟ ما كان إلا من هنا، وأشار إلى السماء.

(ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبى بكر) الصديق، رضى الله تعالى عنهما، أى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى تكثير الطعام ببركته.

وهذا الحديث رواه الشيخان فى صحيحيهما **(كنا مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)** ضمير كنا له مع غيره من الصحابة، وخبر كان **(ثلاثين ومائة)** ومع النبى حال من اسم كان، أو هما خبران أى خبر بعد خبر.

(وذكر فى الحديث أنه عجن صاعًا من طعام): روى ببناء عجن للفاعل ونصب صاعًا، وببنائه للمفعول ورفعه، وصنعت بمعنى طبخت فى قوله: **(وصُنِعَتْ شاة فشوى)** ببناء المفعول **(سواد بطنها)**: المراد به الكبد خاصة أو حشوها مطلقا، والأول أظهر.

(قال) أى عبد الرحمن بن أبى بكر، رضى الله تعالى عنهما، **(وايم الله)** قسم كعهد الله، وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره: قسمى فهو مرفوع، وجوز بعضهم جره بواو القسم، وفيه لغات كثيرة؛ وهمزته همزة وصل، وهو اسم، وقيل: حرف، وقيل: إنه فى الأصل جمع يمين، والكلام عليه مفصل فى باب القسم، ولا يجر بالإضافة بعده إلا لفظ الله، وجوز ابن مالك جر غيره.

(ما من الثلاثين ومائة) أحد **(إلا وقد حز له حزة)** بفتح الحاء المهملة والزاء المعجمة المشددة، والحز هو القطع بالسكين، والحزة بالضم: القطعة من اللحم.

(من سواد بطنها) أى كبدها كما مر، والحز بعينه بحسب الظاهر، وهو أنسب بمحل الاستشهاد لكفاية الكبد لهم فى تفريقها عليهم، **(ثم جعل منها)** أى طبخ من الشاة ما جعل ملء **(قصعتين فأكلنا أجمعون)** بالرفع تأكيد لاسم كان من غير أن يكون تابعا لكل، كقوله: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٣٩].

(وفضل فى القصعتين): أى فضل من لحمها مقدار فى القصعتين بعد ما أكلوا حتى شبعوا، وقد صرح به فى الصحيحين، قيل: ولو ذكره المصنف، رحمه الله تعالى، كان أولى؛ لأنه محل الشاهد، وفضل بمعنى: بقى فيه ثلاث لغات، كدخل يدخل وعلم يعلم، وبالكسر فى الماضى وضم عين المضارع، وهى شاذة أو من التداخل، فإن كان من الفضيلة فبالفتح والضم لا غير.

(فحملته على البعير) فيه إشارة لكثرة ما بقى بعد أكلهم كلهم.

(ومن ذلك) أى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى تكثير الطعام ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه ابن سعد والبيهقى وصححاه **(حديث عبد الرحمن بن أبى عمرة)** بفتح العين وسكون الميم وراء مهملة **(الأنصارى عن أبيه)** أبى عمرة بشير بن عمرو بن محصن الأنصارى البخارى الصحابى البدرى، قتل مع على، كرم الله وجهه، بصفين، وفى اسم أبى عمرة اختلاف، وابنه عبد الرحمن أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الدارقطنى فقط، وهو ثقة، وهذا الحديث مروى فى بعض غزواته صلى الله تعالى عليه وسلم.

(ومثله) أى مثل حديث عبد الرحمن **(لسلمة بن الأكوع وأبى هريرة)** فى مسلم **(وعمر بن الخطاب)** ورواه أبو يعلى بسند جيد، **(فذكروا)**: أى هؤلاء **(مخمصة)** بفتح الميمين بينهما خاء معجمة ساكنة ثم صاد مهملة، وهى الجوع من الخمص: وهو خلو البطن من الطعام أى مجاعة.

(أصابت الناس مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض مغازيه) جمع مغزاة: بمعنى موضع الغزو، وهو بمعنى الغزو نفسه، واختلف فى هذه الغزوة، والذى فى مسلم: خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى غزوة، وفى دلائل النبوة أنه فى غزوة غطفان، وفى غيره عن ابن عباس أنه فى مرجعهم من الحديبية كلمه بعض أصحابه، وقالوا: جهدنا، وفى الناس ظهر فانحره لنا... الحديث، فالقصة وقعت مرتين.

(فدعى ببقية الأزواد): أى طلب من كل رجل منهم أن يأتى بما بقى عنده من زاد، **(فجاء الرجل بالحثية)** بفتح الحاء المهملة وسكون الثاء المثلثة والمثناة التحتية، ويقال: حثوة بالواو؛ لأنه يقال حثى يحثى وحثا يحثو، وهى والجفنة بالفاء والنون بمعنى، وهو ما يملأ اليدين معًا، وقيل بالفاء فى اليدين، وبالثانى أحدهما، وروى بالخبنة بخاء معجمة مضمومة وبعدها موحدة تحتية ساكنة ونون، وهى ما يحمل فى الحضن تحت الكشح، والأول أشهر وأظهر، وتعريف الرجل هنا للعهد الذهنى، كادخل السوق، وليس المراد به رجلاً معينًا.

(من الطعام) اليسير الذى بقى عنده، **(وفوق ذلك)**: أى أزيد منه بيسير **(وأعلاهم)**: أى أكثرهم زادًا وبقية **(الذى يأتى بالصاع من التمر فجعله)**: أى وضع ما اجتمع من الأزواد **(على نطع)** بكسر النون، وفتح الطاء المهملة بزنة عتب، بساط من أدم وفيه لغات أربع هذه أفصحها، وبفتح نونه مع فتح الطاء وسكونها وبكسر نونه مع سكون الطاء.

(قال سلمة: فحزرته) بحاء مهملة وزاء معجمة: أى قدرته بطريق الحدس، والتخمين **(كربضة العنز)** براء مهملة مفتوحة، وقيل: إنها مكسورة لا غير؛ لأن المراد بيان الهيئة، وموحدة وضاد معجمة من الربوض: وهو كالجلوس فى الإنسان، والبروك للإبل، والجثوم للطير: أى مقداره مقدار جثة عنز باركة على الأرض، أو هو تقدير لموضع من النطع بموضع ربوضها، **(ثم دعا الناس بأوعيتهم)**: أى طلب مجيئهم ومعهم أوعيتهم، ليأخذوا مما اجتمع عنده فى الحديث حتى ملئوا أزودتهم، قال المصنف فى الإكمال: كذا الرواية عن جميع شيوخنا، والأزودة: بمعنى الأوعية كما سميت الأسقية روايا، وورد أيضًا جاؤوا بأوعيتهم.

(فما بقى فى الجيش وعاء إلا ملئوه) مما اجتمع عنده **(وبقى منه)** أى فضل منه بقية بعد ما أخذ الجميع كفايتهم، والمصنف اقتصر على محل الشاهد من الحديث لطوله، وفيه أنهم أكلوا حتى شبعوا، ثم حثوا فى أوعيتهم، وقبله أنهم لما أصابهم الجوع قال له بعضهم: لو أمرتنا نحرنا نواضحنا: أى إبلنا، فقال: افعلوا فقال: عمر، رضى الله تعالى عنه: إن فعلوه قل الظهر، يعنى ما يركب، ولكن ادع بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجىء بكف ذرة، والآخر بكف تمر، والآخر بكسر، حتى اجتمع على النطع فدعا بالبركة، قال: خذوا فأخذوا كلهم وفضلت فضلة، فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنى رسول الله الحديث.

(وعن أبى هريرة) فى حديث رواه ابن أبى شيبة، والطبرانى بسند جيد **(أمرنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن أدعو له أهل الصفة)** تقدم أن الصفة محل مرتفع فى الدار، والمسجد وغيره، مفرز عن غيره للجلوس فيه، وكان فى مسجده صلى الله تعالى عليه وسلم محل كذلك فيه المنقطعون عنده صلى الله تعالى عليه وسلم من فقراء الصحابة الأغراب وغيرهم، كسلمان وأبى ذر.

قال أبو نعيم فى الحلية: كانوا نيفًا ومائة، وفى عوارف المعارف أنهم كانوا نحو الأربعمائة ونحوه فى الكشاف، ولا ينافيه ما روى أنه رؤى منهم نحو ثلاثين رجلاً يصلون مع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بلا أردية، وهؤلاء هم صفوة خلق الله، هنيئا لهم وإنا نتوسل إلى الله تعالى بهم[1] أن يجعلنا فى بركتهم.

---

(١) التوسل إلى الله بشىء من المخلوقات لا يجوز، وكذلك لا يجوز التوسل بالنبى أى بذاته وجاهه، وإنما كان التوسل به فى حياته بدعائه للمتوسل، والتوسل المشروع إنما يكون بأسماء الله وصفاته، وكذلك بالأعمال الصالحة، كما فى حديث الثلاثة الذين أواهم المبيت إلى الغار، فانسدت عليهم فتحته فتوسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة، كما يجوز طلب الدعاء من الآخرين =

(فتتبعتهم) أى ذهبت لكل واحد منهم فى مكان كان فيه، لأنهم فى النهار يتفرقون فى المدينة، لأن كل أحد لا يخلو من حاجة يذهب لها.

(حتى جمعتهم) عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم **(فوُضِعَتْ)** بالبناء لمجهول **(بين أيدينا صحفة)** بالرفع نائب الفاعل، وهى إناء بين الصغير والكبير يعد للطعام.

(وأكلنا ما شئنا وفرغنا) أى حتى شبعنا، وانتهت إرادتنا للأكل **(وهى مثل ما وضعت)** جملة حالية، أى هى مملوءة بما فيها كما كانت حين وضعت بين أيدينا، **(إلا أن فيها أثر الأصابع)**: أى أصابع من أكل منها، وهذا تشبيه لحالها بعد الأكل بحالها قبله، فليس فيه تشبيه الشىء بنفسه كما لا يخفى، وكان أهل الصفة يسمون أضياف الإسلام؛ لأن أكثرهم أغراب، وقال: أكلنا بضمير المتكلم مع الغير لأن أبا هريرة منهم.

(وعن على بن أبى طالب) فى حديث رواه أحمد، والبيهقى بسند جيد **(جمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بنى عبد المطلب وكانوا أربعين)** رجلاً، وهذا كان بمكة فى ابتداء البعثة، **(منهم قوم)** هو فى الأصل مصدر قام، ثم صار اسم جمع للرجال خاصة لقيامهم بالأمور **(يأكلون الجذعة)** بفتح الجيم والذال المعجمة والعين المهملة: وهى من البقر والغنم ما تم له سنة، وقيل: إنه فى البقر ما دخل فى الثالثة، والمراد هنا الأول أى أقل ما يكفيهم، كما يقال لمن دونهم: أكلة رأس.

(ويشربون الفَرَقَ) بفتح الفاء والراء المهملة ويجوز تسكينها: وهو مكيال يسع ثلاثة آصع، وهو ستة عشر رطلاً كما تقدم، أى يرويهم ما فيه، وفى النسخ هنا اختلاف، ففى بعضها بنى عبد المطلب، منهم من يأكل جذعة بنى عبد المطلب، منهم قوم يأكل الجذعة، وفى بعضها منهم قوم يأكل، وفى بعضها منهم قوم يأكلون، وهذه أقرب، وفى التى قبلها قلق ما، وقال التلمسانى: المراد بالجذعة: جذعة الإبل كما ورد مفسرا فى بعض الروايات، وهى التى تدخل فى الخامسة، **(فصنع لهم مدا من طعام)**: أى طبخه وسواه: **(فأكلوا حتى شبعوا وبقى كما هو)**: ما موصولة، وهو مبتدأ وخبره محذوف: أى قبل الأكل والجملة صلة، والمراد أنه لم ينقص، كأنه ما أكل منه شىء.

(ثم دعا بعُسٍّ) بضم المهملة وتشديد السين المهملة، وهو قدح من خشب يروى الثلاثة والأربعة، والمعنى بعُسٍّ من لبن طلبه من أهله لهم، **(فشربوا)** من العس، **(حتى رووا)** أى تم شربهم منه، **(وبقى كأنه لم يشرب)** منه شىء، وتفصيله كما فى الدلائل للبيهقى وغيره بسند صحيح، أنه لما نزل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم قوله تعالى:

= وهو من التوسل المشروع.

(﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]) الآية، قال صلى الله تعالى عليه وسلم: إن بدأت قومى بها رأيت منهم ما أكره، فصمت فجاءه جبريل، عليه الصلاة والسلام، فقال: يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك، فدعا عليا، رضى الله تعالى عنه، وأخبره بذلك، وبما قاله جبريل له، ثم قال له: فاصنع طعاما وأعد لنا عُسَّ لبن ثم اجمع بنى المطلب، وهم نحو أربعين من أعمامه، فلما اجتمعوا قدم لهم الطعام، وقال: كلوا بسم الله، فأكلوا ثم شربوا فلما أراد أن يكلمهم، قال أبو لهب: سحركم محمد، فتفرقوا ولم يكلمهم، فلما كان فى الغد فعل مثل ذلك، فلما أراد أن يكلمهم تفرقوا، وفى الثالثة قال لهم: يا بنى عبد المطلب إنه لم يجئكم أحد بأفضل مما جئتكم به، إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة... إلى آخر الحديث.

والذى فى البخارى عن ابن عباس، رضى الله تعالى عنهما: أنها لما نزلت صعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الصفا ونادى: «يا بنى فهر يا بنى عدى ويا بطون قريش، حتى اجتمعوا»[1]، إلى آخره، ولعل ذلك تكرر فخصص أولاً ثم عممهم.

(وقال أنس)، رضى الله تعالى عنه، فى حديث رواه الشيخان واللفظ لمسلم: **(إن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لما)** وفى نسخة: حين **(ابتنى بزينب)** بنت جحش أم المؤمنين، رضى الله تعالى عنها، وهو افتعال من البناء، وهو التزوج هنا، ويقال: بنى بها وعليها **(أمره)** أى أمر النبىُّ صلى الله تعالى عليه وسلم أنسًا **(أن يدعو له قوما سماهم)** أى عينهم بأسمائهم، **(وكل من لقيتَ)** بتاء الخطاب، ومن منصوبة محلا بمقدر، أى قال له صلى الله تعالى عليه وسلم: ادعهم وادع كل من لقيته من غيرهم، فهو تعميم بعد تخصيص لمن اعتنى به فدعاهم، أو فقال: فدعوتهم، **(حتى امتلأ البيت)** بالناس، المراد به المنزل كله، وقيل: إنه أراد به الصفة التى فيه كما ورد مصرحا به.

(والحجرة) هى بمعنى البيت والغرفة وكان لكل زوجة من أزواجه صلى الله تعالى عليه وسلم، حجرة تخصها، وأصل معنى الحجرة: بقعة تفرز ببناء الحجر ثم عم.

(وقدم إليهم تورًا) بمثناة فوقية مفتوحة وواو ساكنة وراء مهملة وهو إناء من صفر أو حجارة كالإجانة أو كالقدح الذى يشرب فيه.

(فيه قدر مد من تمر) بيان للمد وقد تقدم تفسيره.

(جُعل) بالبناء للمفعول **(حَيْسا)** مفعوله الثانى، وهو بفتح المهملة وسكون المثناة التحتية والسين المهملة، وهو تمر خلط بسمن وأقط أو دقيق، قال:

---

(١) أخرجه البخارى (٦/١٤٠)، وأبو عوانة (١/٩٢)، والبيهقى (٦/٣٧١).

التمر والسمن يقال الأقط أو الدقيق الحيس لما يختلط

وقال ابن قرقول: إنه قيل: إنه تمر ينزع نواه ويخلط بالسويق، والأول أعرف وأصل معنى الحيس الخلط.

(فوضعه) صلى الله تعالى عليه وسلم والضمير للتور **(قدامه)**: بين يديه **(وغمس ثلاث أصابعه)** أى أدخلها فيه لتحصل البركة، وليطيب قلوبهم بأكله معهم، والسنة أن يأكلا بثلاث أصابع ففيه تعليم لهم.

(وجعل القوم يتغذون) بذال معجمة من الغذاء بمعجمتين، وهو أعم من الغداء بالدال المهملة.

وفى مسلم: أنه دعا الناس بعد ارتفاع النهار، فيصح أن يكون بالمهملة أيضًا كما فى المقتفى.

(ويخرجون) من الحجرة، **(وبقى التور نحوا)**: تمييز أو حال **(مما كان)** قبل الأكل منه، لم ينقص نقصًا كثيرًا.

(وكان القوم أحدًا أو اثنين وسبعين) رجلاً، وهو شك من الرواى، وقيل: إن هذه القصة فى بنائه صلى الله تعالى عليه وسلم بصفية، والرواى أدخل قصة فى قصة، وقيل: يحتمل أنه اتفق الشيئان من الشاة والحيس الذى لأم سليم، وفى قوله: بقى التور تجوُّز: أى بقى ما فيه.

(وفى رواية أخرى فى هذه القصة) أى قصة وليمة زينب، رضى الله تعالى عنها، **(أو مثلها)** فيما ذكر من الطعام **(أن القوم كانوا زهاء ثلاثمائة)**: أى مقدارهم **(وأنهم أكلوا حتى شبعوا، وقال)** لى بعد ما شبعوا: **(ارفع)** التور من مكانه، **(فما أدرى حين وضعت)** بضم التاء للمتكلم: أى حين وضعته أو بتاء التأنيث الساكنة كالتى فى قوله: **(كانت)** بالتأنيث باعتبار أنه آنية **(أكثر أم حين رفعت)** بالوجهين، وروى لترفع بدل ارفع بلام الأمر والخطاب، والأولى أولى وأفصح، وهذا حديث طويل فى مسلم اختصره المصنف، رحمه الله تعالى، اقتصارًا على محل الشاهد منه.

(وفى حديث جعفر) الصادق **(عن أبيه محمد)** الباقر **(عن على)** بن أبى طالب، رضى الله تعالى عنه، جد والد محمد: أعنى زين العابدين بن على بن الحسين بن على، فهو حديث منقطع كما رواه ابن سعد، رضى الله تعالى عنه، فإن كان عليا المذكور: على الأصغر، فالحديث مرسل أو معضل، فهو ضعيف.

(أن فاطمة) الزهراء **(طبخت قدرًا)**: أى طعاما فى قدر، ففيه تجوُّز، أو هو بتقدير

مضاف: أى طعام قدر **(لغذائهما)** بالمعجمة: وهو كل ما يؤكل فى أى وقت، أو بمهملة: وهو ما يؤكل أول النهار: أى لأجل غدائهما، وفى نسخة تتغذى به وفى نسخة لغدائهما.

(ووجهت عليا): أى أرسلته **(إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)**: أى لجهته والمراد بيته **(ليتغدى معها)** وفى نسخة معهما، **(فأمرها)**: أى قال لها: اغرفى من القدر، **(فغرفت)** بالغين المعجمة **(لجميع نسائه)** التسع المعروفة **(صحفة صحفة)** منصوب، كتعلمت النحو بابا بابا، والصحفة إناء صغير معروف، **(ثم له ولعلى)** أى ثم غرفت له صلى الله تعالى عليه وسلم، ولعلى، **(ثم لها)** أى غرفت لنفسها ما تتغدى به، رضى الله عنها.

(ثم رفعت القدر) بعد ما غرفت لجميع من ذكر، **(وإنها لتفيض)** جملة حالية، وتفيض بفاء وضاد معجمة من الفيض: والمراد أنه بعد ما غرف منه وبقى مملوءًا بطعام يسيل من جوانبه ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم، وكأنها بعثت له صلى الله تعالى عليه وسلم ليجيئها ويأكل معها وحده، فلم يأت وأمرها بما ذكر فيه، لما فيه من مكارم الأخلاق والإيثار.

(قالت): فاطمة، رضى الله تعالى عنها: **(فأكلنا منها)**: أى أكلنا كلنا من طعامها، والضمير للقدر؛ لأنها مؤنثة، وقيل: يجوز تذكيرها وتأنيثها، فالمراد أن أهل فاطمة، رضى الله تعالى عنها، وأهل بيتها أكلوا مما بقى فى القدر بعد ما فرقته **(ما شاء الله)**: أى الذى أراده الله لنا أو مدة إرادة الله تعالى ذلك، وهو كناية عن كثرة ذلك.

(وأمر) رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى حديث آخر **(عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، أن يزود أربعمائة راكب)** أى يعطيهم ما يكفيهم من الزاد **(من أحمس)** بزنة أحمر بحاء وسين مهملتين بينهما ميم: اسم قوم من العرب، وهم بطن من ضبيعة، يقال لهم: بنو أحمس وهو من الحماسة: وهى الشدة والصلابة، ويقال لقريش: الحمس لتصلبهم فى دينهم فى الجاهلية.

(فقال) عمر، رضى الله تعالى عنه: **(يا رسول الله ما هى إلا أصْوُع)** بفتح الهمزة وضم الواو، ويجوز أن تبدل همزة كما فى الصحاح، وهو إناء يشرب فيه ومكيال معلوم، وهو جمع صاع، قال ابن قرقول: فيه لغات صاع وصوع وصواع، ويجمع على أصوع وصيعان، وفى كثير من الروايات، أى فى الحديث، آصع بالمد، والصواب أصوع، انتهى.

وقوله: والصواب أصوع غير مسلم، وإذا جاء نهر الله بطل نــهر معقـل، وهـو مبنـى على عدم صحة الاستدلال بالحديث فى العربيـة، وهـو علـى الإطـلاق فاسـد، أى قـال عمر، رضى الله تعالى عنه، ليس التمر الذى عندى يكفى، فإنه أصوع قليلة، فإن الصـاع مكيال يسع أربعة أمداد، والمد رطل وثلث، أو رطلان عراقيان علـى اختـلاف فيـه كمـا تقدم، والضمير أعنى هى راجع للأصوع، وإن تـأخر لا للوديعـة كمـا فـى قولـه تعـالى: (﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾) [الأنعام:٢٩]، قال الزمخشرى: هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا مما يتلوه وأصله إن الحياة إلا حياتنا الدنيا، ثـم وضـع الضمـير موضـع الحيـاة؛ لأن الخبر يدل عليها ويبينها ومنه قوله:

هى النفــس مـا حملتهـا تتحمــل   وهــى العرب تقول مـا شاءت

انتهى.

قال ابن مالك: وهذا من جيد كلامه، وفيه كلام فى شرح التسـهيل لا يسـعه المقـام **(قال)** صلى الله تعالى عليه وسلم لعمر، رضى الله تعالى عنه: **(اذهب)** وافعل مـا أمرتـك به، ولا تبادل بقلة ما عندك، **(فذهب)** عمر **(فزودهم منه)** أى أعطاهم ما يكفى لهم مـن التمر الذى عنده، **(وكان)**: أى التمر **(قدر الفصيل)**، هو ولد الناقة الصغير **(الرابض)** أى البارك على الأرض، وهو بيان لمقداره تخمينًا **(من التمر)** بيان لقدر، **(وبقى بحاله)**: أى لم ينقص شيئًا مع إعطائهم منه، وهو من المعجزات.

(من رواية دُكَيْن) خبر مبتدأ مقدر، أى وهذا الحديث من روايـة دكـين، وهـو بضـم الدال المهملة وكاف مفتوحة، ثـم يـاء تصغير ونـون، ورواه العزفـى بـالراء بـدل الـدال وقال: إنه الصحيح، ودكين هو ابن سُعَيْدٍ بالتصغير، وقيل: سعد، وقيل: مســعد المزنـى، وقيل: الخثعمى، وله صحبة.

وهذا الحديث رواه أبو داود فى الأدب قال: أتينا النبى صلى الله تعـالى عليـه وسـلم، فسُألناه الطعام فقال: يا عمر اذهب فأعطـهم فـارتقى بنـا إلى عليـة، فـأخذ المفتـاح مـن حجرته ففتح، وليس له غير هذا الحديث، ولم يروه غير أبى داود.

(الأحمسى) نسبة لبنى أحمس قبيلة كما تقدم، وهو صفة دكين.

(ومن رواية جرير) أى مثل رواية دكين ولم يخرجه.

(ومثله) أى مثل المروى المذكور ما أخرجه أحمد، والبيهقى بسند صحيح **(مـن روايـة النعمان بن مُقَرِّن)** بضم الميم، وفتح القاف، وكسر الراء المهملة المشددة، وقيـل: القـاف ساكنة والراء مخففة مكسورة، وهو أحمسى أيضًا، وأحمس فخذ من مزينة، وتقـدم أنـهم

من ضبيعة من نسل إد بن طابخة، وللنعمان سبعة إخوة كلهم صحابة هم: النعمان، ومعقل، وعقيل، وسويد، وسنان وعبد الرحمن، ولم يسم السابع.

قال السهيلى: بنو مقرن المزنى هم البكاؤن الذين نزل فيهم: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ [التوبة: ٩٢] الآية.

(الخبر بعينه) بالرفع والنصب والباء مزيدة فى التأكيد يقال هذا عينه وبعينه كما ذكره، وتلطف القائل متغزلا:

فقلت فهذا قاتلى بعينه وحاجبه

وزيادة حاجبه فيه من كلام المولدين؛ لتوهمهم أو لإيهامهم أنها الباصرة **(إلا أنه قال)** فى هذه الرواية: **(أربعمائة راكب من مزينة)** فزاد قوله من مزينة، وكذا رواه أبو داود فى سننه، قيل واختلاف الروايات يدل على تعدد القصة وفيه شيء.

(ومن ذلك) أى من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم فى جعل القليل كثيرًا **(حديث جابر)** بن عبد الله الأنصارى، رضى الله تعالى عنهما.

وهذا الحديث رواه البخارى **(فى دين أبيه بعد موته)**: أى فى قصته لما مات أبوه وعليه دين أراد أداءه لغرمائه، **(وكان قد بذل)** بموحدة وذال معجمة: أى أعطى وهو مجاز: بمعنى أراد بذله **(لغرماء أبيه)** جمع غريم: وهو صاحب الدين الطالب له من الغرام: وهو اللزوم كما قال تعالى: (﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾)[الفرقان: ٦٥].

(أصل ماله) أراد بأصل ماله بستانا ونخلا له كان يتقوت منه، والمال فى لسان العرب لا يختص بالنقود كما فى العرف، وشاع إطلاقه على الإبل قديما كما يشير إليه قوله: **(فلم يقبلوه)**؛ إما لأنه لا يفى بدينهم، أو لعدم احتياجهم؛ أو لأنه لم يكن مرضيا لهم.

(ولم يكن فى ثمرها) أنث الضمير الراجع للمال نظرًا لمعناه؛ لأن المراد بها هنا: النخيل جمع نخل وهى تؤنث، والثمر بالمثلثة واحده ثمرة، ولا حاجة لجعله راجعًا لأمواله المعلومة من قوله مال ولا إلى تفسيره بالفوائد مطلقًا، فيشمل الألبان والنتاج كما قيل، ولا وجه له لما ستسمعه فى الحديث.

وقوله: **(سنتين)** مثنى سنة، وفى نسخة: سنين بصيغة الجمع والأول هو الصحيح.

(كفاف دينهم) بفتح الكاف: بمعنى ما يفى به ويكفيه، ومنه اللهم اجعل رزقى كفافا أى مقدار الكفاية، وبفتحها معناه الخيار وهو غير مناسب هنا، كقراءة تمر بمثناة فوقية، وإن صح معنى، وسنتين ظرف مستقر لا أنه متعلق بثمر بالمعنى المصدرى حال من ثمر.

(فجاءه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن أمره بجذها) بفتح جيمه وذال معجمة،

ويجوز إهمالها وكلاهما بمعنى قطع الثمار وجمعها.

(وجعلها) بصيغة المصدر **(بيادر)** بمثناة تحتية، ودال وراء مهملتين: جمع بيدر بزنة حيدر، وهو الموضع الذى يوضع فيه التمر لينشف، والبر ونحوه ليخلص من تبنه، والكوم من الطعام كالتمر والحنطة، ويصح إرادة كل منهما هنا، والظاهر الثانى.

والبيدر: هو الجرين والجرن، وأهل العراق يسمونه أندر وجمعه أنادر، وفى المغرب يسمونه نادر، وكأنه غلط من الأندر.

(فى أصولها): أى جعلها كومًا كومًا فى أصول الثمار، وهى النخل، والمراد أنه كومه فى حديقة نخله حتى يعلم مقدارها.

(فمشى فيها) النبى صلى الله تعالى عليه وسلم، وفيه مضاف مقدر أى فى أرضها أو المراد ما بينها، وفعل ذلك لتحصل البركة وينمو ما فيها.

(ودعا) الله تبارك وتعالى أن يبارك فيها فنمت وزادت.

(فأوفى منه جابر غرماءه): أى أعطاهم مما فى البيدر مقدار حقهم بتمامه، من قولهم: أوفاه حقه ووفاه فاستوفاه وتوفاه: أخذه بتمامه، وضمير غرماءه لأبيه لعلمه مما تقدم، أو له لقيامه مقامه فى أداء دينه، وفى نسخة غرماء أبيه وهى ظاهرة.

(وَفَضَلَ): أى بقى منه بعد ما أدى كل ذى حق حقه، وهو مثلث الضاد المعجمة والفتح أفصح.

(مثل ما كانوا يجدون) بفتح المثناة التحتية، وضم الجيم، وتشديد الذال معجمة أو مهملة: أى ما كانوا يقطعونه من ثمارها.

(كل سنة): أى فيها **(وفى رواية: مثل ما أعطاهم)**: أى بقى مثل ما أعطى غرماء أبيه، وفيه زيادة كثيرة على ما فى الرواية الأولى من أن ثمرها لا يفى بدينهم فى سنتين أو سنين.

(قال): أى جابر، رضى الله تعالى عنه: **(وكان الغرماء يهود)** بالنصب خبر كان، وهو ممنوع من الصرف؛ لأنه علم لهذه الطائفة، وقد ينكر وينون.

(فعجبوا من ذلك) أى مما رأوه من كفاية ثمرها وزيادته، مع أنه كان لا يكفى فى سنين، وهو من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم العظيمة.

وهذا الحديث قد علمت أنه فى البخارى، وكذا فى غيره، واقتصر المصنف، رحمه الله، على محل الشاهد منه، وكان أبو جابر عبد الله استشهد بأحد وترك عليه دينا كثيرًا،

وله ست بنات، وكان الدين لرجل من اليهود كما علم ثلاثين وسقا، فاستنظره جابر، فلم ينظره فكلم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى ذلك، فكلم اليهودى فلم يرض، فأمره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بما مر فأتاه وطاف ببيدره ثلاث مرات، وأمره بأن يكيل لهم، فكال حتى وفّى لهم ثلاثين، وفَضَلَ سبعة عشر، وفيه: فلما حضر جذاذ النخل أتيته صلى الله تعالى عليه وسلم وفيه تصريح بأن ماله حديقة نخل، وهذا ما وعدناك به فلا تكن من الغافلين.

(**وقال أبو هريرة**)، رضى الله عنه، فى حديث رواه البيهقى مسندًا: (**أصاب الناس مخمصة**): أى جوع كما مر.

(**فقال لى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: هل**) عندك (**من شىء؟**) من جنس الطعام، ومن زائدة هنا لاطراد زيادتها بعد النفى والاستفهام، وشىء مبتدأ خبره مقدر كما ذكرناه.

(**قلت: نعم شىء نصفين من التمر**) قليل (**فى المزود**) بكسر الميم: وهو وعاء الزاد، (**قال: فأتنى به**) فأتاه به أى بالمزود أو التمر، (**فأدخل يده**) الشريفة فى المزود، (**فأخرج**) منه (**قبضة**) بفتح القاف: وهى المرة كالضربة، أريد بها المقبوض من القبض، وهو الأخذ بالكف، وبالضم: اسم المقبوض.

(**فبسطها**): أى وضعها مبسوطة متفرقة، ليعلم قلتها، (**ودعا بالبركة**)، أى بأن يبارك الله فيها حتى تزيد، (**ثم قال**) صلى الله تعالى عليه وسلم بعدما دعا: (**ادع عشرة**) من الناس، فدعاهم، (**فأكلوا حتى شبعوا**) من ذلك التمر، (**ثم**) قال: ادع (**عشرة كذلك**): أى فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا، وهكذا (**حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا**).

وهذا يقتضى أنه كان فى بعض غزواته، وقد صرح به فى بعض الروايات وسيأتى، (**وقال**) لى: (**خذ ما جئت به**)؛ لأنه أطعمهم كلهم، وبقى ما جاء به كما كان، وهو محل الاستشهاد، فإنه أمره برفعه، وأن يأخذ كل ما أراد، وقال له: ولا تكله ليبارك فيه كما مر.

(**وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به**) قال: (**فأكلت منه وأطعمت**) أهلى، ومن أردت إطعامه (**حياة رسول الله**): أى مدة حياته (**صلى الله تعالى عليه وسلم و**) فى مدة حياة (**أبى بكر وعمر إلى أن قتل عثمان**) بن عفان، رضى الله تعالى عنهم، (**فانتهب منى**) بالبناء للمجهول: أى نهبه الناس، وأغاروا عليه، فأخذوه فى زمن الفتنة، (**فذهب**): أى عدم، ولم يبق منه شىء، ولولا ذلك لكفاه مدة حياته لما فيه من البركة.

(وفى رواية) رواها الترمذى فى سننه وحسنها عن أبى هريرة، رضى الله عنه: **(فقد حملت من ذلك التمر)** الذى أعطانيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: أى جعلته محمولا معى فى أسفارى **(كذا وكذا)**: كناية عن مقدار ما حمله **(من وسق)**: بيان لكذا وكذا، والوسق حمل بعير، كما مر.

(فى سبيل الله): أى من أسفارى غازيا، وسبيل الله: الطريق الموصلة إليه، فإذا أطلق، فالمراد به ما ذكر، وفى رواية: فلقد حملت بلام القسم، وكان يعلقه خلف رحله، وكان يقول: أصبت بثلاث مصائب لم أصب بمثلهن: موت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقتل عثمان، وذهاب مزودى.

وروى هذا الحديث بطريق آخر قريبة مما هنا.

(وذكرت مثل هذه الحكاية) بالبناء للمجهول، وأنث لأنه اكتسب التأنيث من المضاف إليه، وفى نسخة وذكر **(فى غزوة تبوك وأن التمر كان بضعة عشر تمرة)** ذكره؛ لأنه أبلغ فى المعجزة لغاية قلته.

(ومنه): أى من تكثير الطعام ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم **(أيضًا حديث أبى هريرة)**، رضى الله تعالى عنه، الذى رواه البخارى **(حين أصابه الجوع)** وأعلمه منه صلى الله تعالى عليه وسلم **(فاستتبعه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)** أى طلب منه أن يتبعه، فقال له: اتبعنى وكن ماشيا معى فتبعه، **(فوجد لبنا فى قدح)** فى بيته **(قد أهدى إليه)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(وأمره أن يدعو أهل الصفة)**؛ ليكونوا تابعين معه، وهم فقراء المهاجرين الذين تقدم بيانهم، **(فقال: فقلت: ما)** موقع **(هذا اللبن فيهم؟)** وما مقداره القليل كاف لهم، **(كنت أحق)** منهم؛ لشدة جوعتى، وما علمه الرسول من حالى **(أن أصيب منه شربة)**: أى من ذلك اللبن **(أتقوى بها)**: أى يكون فيها تقوية لضعفى بجوعى، وليس هذا إنكارًا على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأنه لا يليق بمثله، فهو إما تعجب منه لما استغربه قبل مشاهدة الحقيقة، ومثله من الخواطر لا يؤاخذ بها، وقيل: غايته أنه ارتكب خلاف الأولى، ولا حاجة لمثله، **(فدعوتهم)** إلى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم.

(و) بعد حضورهم **(أمرنى أن أسقيهم)** وفى نسخة: وذكر أمر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يسقيهم، **(فجعلت)**: أى شرعت **(أعطى الرجل)** منهم، **(فيشرب)** بالنصب، **(حتى يروى)** بفتح المثناة: أى يروى عطشه، **(ثم يأخذه الآخر)**: أى فيشرب حتى يروى وهكذا **(حتى روى جميعهم)**: أى جميع أهل الصفة.

(قال) أبو هريرة، رضى الله تعالى عنه، **(فأخذ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم القدح)** الذى فيه اللبن، وهذا القدح يحتمل أن يكون لصاحب اللبن الذى أهداه له، أو هو من أقداحه صلى الله تعالى عليه وسلم صب فيه اللبن الذى جاءه.

(وقال) صلى الله تعالى عليه وسلم لأبى هريرة، رضى الله تعالى عنه: **(بقيت أنا)** تأكيد لضمير الفاعل ليعطف عليه قوله:

(وأنت. اقعد فاشرب) أمره بالقعود؛ لأن الشرب قائما من غير ضرورة مكروه[1].

(فشربت، ثم قال: اشرب) مرة أخرى، **(وما زال يقولها)**: أى كلمة اشرب **(وأشربُ)** بالرفع: أى وأنا أشرب، والجملة حالية **(حتى قلت: لا)** أشرب بعد هذا نفى للشرب المأمور به، واعتذر عن رده بقوله: **(والذى بعثك بالحق لا أجد له)**: أى اللبن **(مسلكا)** أى لم يبق فى جوفى محلاً خاليًا يدخله، وهو جواب القسم إن لم يكن تأكيدًا للنفى قبله، وما بعده استئناف أو تعليل له، **(فأخذ)** صلى الله تعالى عليه وسلم أى تناول من يد أبى هريرة، رضى الله تعالى عنه، **(القدح فحمد الله تعالى)** على ما أنعم به من الزيادة، **(وسمى)** فقال: بسم الله، **(وشرب الفضلة)** أى ما بقى منهم بعد شربهم كلهم.

والحديث بتمامه فى صحيح البخارى، اقتصر المصنف، رحمه الله تعالى، منه على محل الشاهد منه كما هو دأبه **(وفى حديث خالد بن عبد العزى)** الذى رواه البيهقى مسندًا عنه، ولم يذكره أصحاب الكتب الستة، وخالد هذا، كما قاله البرهان، هو ابن سلامة أبو خُناش بخاء معجمة مضمومة ونون وآخره شين معجمة ونونه مخففة، وهو خزاعى وله صحبة، وروى عنه ابن مسعود، رضى الله تعالى عنه.

وقال التلمسانى: إنه خالد بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى، هاجر إلى الحبشة فى المرة الثانية، فمات فى الطريق، وهو ابن أخى خديجة أم المؤمنين، رضى الله تعالى عنها.

(أنه أجزر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم شاة) بالنصب مفعول أجزر بمعنى أعطى، والنبى بالنصب أيضًا مفعول أول وأجزره: أعطاه جزرة، وهى شاة أو نعجة أو كبش أو

---

(١) قال ابن القيم فى «زاد المعاد» فى الكلام عن هدى رسول الله: وكان أكثر شربه قاعدًا، بل زجر عن الشرب قائمًا، وشرب مرة قائمًا، فقيل: هذا نسخ لنهيه، وقيل: بل فعله لبيان جواز الأمرين، والذى يظهر فيه، والله أعلم، أنها واقعة عين شرب فيها قائما لعذر، وسياق القصة يدل عليه، فإنه أتى زمزم وهم يستقون منها، فأخذ الدلو وشرب قائمًا، والصحيح فى هذه المسالة النهى عن الشرب قائمًا وجوازه لعذر يمنع من القعود، وبهذا تجمع أحاديث الباب والله أعلم. زاد المعاد (٣٨/١) دار الفكر.

عنز، تعطى لتجزر: أى تذبح، ولا تكون فى الناقة، فإنه يقال: أجزره أو جزره: إذا أعطاه جزورًا لغير الذبح كالركوب، وهو معنى قول الجوهرى يقال: أجزرت القوم إذا أعطيتهم شاة يذبحونها أو كبشا أو عنزا، ولا تكون الجزرة إلا من الغنم، ولا يقال: أجزرهم ناقة؛ لأنها قد تصلح لغير الذبح، وفى القاموس هنا كلام غير مهذب، وقصة خالد هذه كانت بالجعرانة؛ لما نزل عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأمسى ثم بدت له صلى الله تعالى عليه وسلم العمرة، فأرسله إلى رجل من تهامة كما فى بعض الشروح هنا، **(وكان عيال خالد كثيرًا يذبح الشاة)** لأجلهم وإطعامهم، **(فلا تبد عياله)** بفتح المثناة الفوقية وضمها وضم الموحدة وكسرها وفاعله ضمير الشاة، يقال: بده بموحدة ودال مهملة مشددة يبده إذا فرقه، وقال ابن القطاع: بددت الشىء: فرقته، وأبددتهم العطاء: فرقته فيهم، وفى المحكم أبد الطعام بينهم: إذا أعطى كل واحد منهم نصيبه على حدة، وهو بيان لكثرتهم: يعنى أن الشاة إذا فرقت عليهم لا تكفيهم.

وقوله: **(عظمًا عظمًا)** أى إذا فرقته عليهم قطعة قطعة، وعظمة بعد عظمة لا تكفيهم لكثرتهم، **(وأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم)** بفتح همزة أن بالعطف على قوله أنه أجزر إلى آخره الذى هو مبتدأ مقدم خبره، وهو قوله فى حديث خالد.

(أكل من هذه الشاة) التى أجزرها له خالد، **(وجعل فضلتها)** أى ما بقى منها بعد أكلهم **(فى دلو خالد)** هو وعاء من أدم وجلد يستقى به الماء، فالمراد به هنا جراب يشبه الدلو، ويجوز أن يراد حقيقته؛ لأنه لم يكن معه وعاء غيره.

(ودعا له): أى لخالد ويجوز أن يعود للدلو **(بالبركة)**: أى بالزيادة، ولفظه: اللهم بارك لأبى خُناش، **(فنثر ذلك)** الطعام الذى فى الدلو: أى رماه **(لعياله)** بكسر العين:

قال الصاغانى فى التكملة: إنه جمع عيل كجياد وجيد، وهم من يلزمه الإنفاق عليه، ويكون اسما للواحد كما استعمله الحريرى فى مقاماته، وذكره المطرزى فى شرحه، **(فأكلوا وأفضلوا)** أى أبقوا بقية زادت عن كفايتهم ببركته صلى الله تعالى عليه وسلم وبركة دعائه.

(ذكر خبره): أى خبر خالد، أو خبر ما ذكر من الأكل والزيادة **(الدولابى)** فاعل ذكر وهو بضم الدال المهملة وواو ساكنة ولام، وألف وباء موحدة، وهو اسم بلدة نسب إليها وهو منقول من الدولاب: بضم الدال وفتحها معرب دولب، وهو الحافظ أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصارى الرازى الوراق المحدث الجليل، صاحب التصانيف، روى عنه الكبار كالطبرانى، وأبو حاتم، وتوفى بين مكة

والمدينة بالعرج فى ذى القعدة سنة عشر وثلاث مائة، ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين، وفيه كلام مفصل فى الميزان فى ترجمته، وله ذرية مشهورة، ولهم دولابى آخر وهو أبو جعفر بن الصباح صاحب السنن، والمراد الأول كما ذكره البرهان وغيره.

(وفى حديث الآجرى) بالمد وضم الجيم، وتشديد الراء المهملة منسوب للآجرّ المعروف بالطوب نسب لعمله وهو أبو بكر بن محمد الإمام البغدادى، كما تقدم تفصيله فى ترجمته **(فى إنكاح النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فاطمة لعلى، رضى الله تعالى عنهما)** أى عقده نكاحها واللام مزيدة للتقوية **(أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أمر بلالاً)** أن يأتى **(بقصعة)** مملوءة **(من أربعة أمداد أو خمسة)** من حنطة أو غيرها **(ويذبح جزورًا)** بنصب يذبح بأن مصدرية مقدرة، وجزورًا مفعوله، أى أن يذبح أو معطوف على مقدر كما أشرنا إليه، أو على أمر بتقدير وأمره أن يذبح، والجزور بوزن الشكور رأس من الإبل ناقة أو جملاً، سميت بها؛ لأنها مما يجز: أى وهى مؤنثة سماعية وإن عمت، ففيها شبه تغليب فافهم.

(لوليمتها) الوليمة: هى الدعوة لطعام يصنع فى النكاح خاصة، ويجمع على ولائم وهو مستحب.

(قال) بلال، رضى الله تعالى عنه، **(فأتيته بذلك)** الذى أمرنى به من القصعة والجزور، **(فطعن فى رأسها)** إن كان الضمير للقصعة، فرأسها بمعنى أعلاها، وإن كان للجزور فهو ظاهر، وطعنه فيها إدخال يده فيها أو مسها؛ لتحصل البركة فيها **(ثم أدخل الناس)** أى أمر صلى الله تعالى عليه وسلم بدخولهم ليأكلوا **(رفقة رفقة)** بالنصب: أى حال كون دخولهم جماعة بعد جماعة، والرفقة بضم الراء وكسرها: بمعنى الجماعة المترافقين المتصاحبين.

(يأكلون منها) جملة مستأنفة أو حال مقدرة **(حتى فرغوا)** أى أكلوا جميعا إلى أن شبعوا وفرغوا من أكلهم.

(وبقيت منها فضلة) أى فضل منها ما زاد على أكلهم، **(فبرك فيها)** وفى نسخة بها وبرّك بتشديد الراء المهملة أى دعا بأن يبارك فيها، ويجعل فيها البركة: وهو الزيادة والنمو كما مر.

(وأمر بحملها) أى بحمل القصعة بما فيها أو بحمل الفضلة **(إلى أزواجه)** أى إلى بيوتهن.

(وقال) لأزواجه: **(كلن وأطعمن من غشيكن)** بفتح الغين وكسر الشين المعجمتين:

أى كل من يأتى إليكن من غير أهل البيت، يقال: غشيه غشيا وغشاه: إذا أتاه إتيان ما قد غشيه أى ستره.

(وفى حديث أنس) الذى رواه الشيخان مسندًا **(تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم)** بعض أزواجه وهى صفية بنت حيى، رضى الله تعالى عنها، فى مرجعه من خيبر بمحل يسمى سد الصهباء، قال أنس، رضى الله تعالى عنه، **(فصنعت أمى)** وكنية والدة أنس **(أم سُليم)** بضم السين مصغرًا واسمها سهلة، وهى زوجة أبى طلحة الخزرجية الصحابية الصالحة القانتة، وكان لها منزلة عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم **(حيسا)**، وقد تقدم أنه طعام يصنع من لبن وأقط وتمر وسمن يحاس: أى يخلط بعضه ببعض، **(فجعلته)**: أى وضعته **(فى تور)** بفتح المثناة الفوقية وواو ساكنة وراء مهملة، وهو إناء من صفر أو حجارة واسع رحراح كالصينية القريبة القعر.

(فذهبت) بضم التاء وهو ضمير أنس المتكلم **(به إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال: ضعه)** على الأرض **(وادع لى فلانا وفلانا)** ممن كان معه ثمة من كبار الصحابة، وخصهما تشريفا لهما، ثم عمم فقال: **(ومن لقيت)**: أى وادع كل من صادفته **(فدعوتهم)**: أى دعوت من عينه أولاً ولم يقل دعوتهما؛ إما لأن قوله فلانًا فلانًا مختصر كناية عمن عينه من القوم، أو لأن الاثنين جمع على قول: **(ولم أدع)** أى لم أترك **(أحدًا)** أى دعوته **(لقيته إلا دعوته)** كما أمرنى به.

(وذكر) أنس **(أنهم)** أى من دعاهم **(كانوا زهاء)**: أى مقدار **(ثلاثمائة)** رجل، فاجتمعوا ثمة **(حتى ملئوا الصفة)**: وهى موضع مظلل قدام البيت، أو دكة علية فيه، وليس المراد صفة المسجد المعهودة، **(والحجرة)** وهى البيت الصغير المفرز من الدار.

(فقال لهم صلى الله تعالى عليه وسلم) بعد اجتماعهم: **(تحلقوا)** تفعل أى استديروا حول الطعام كالحلقة، طائفة بعد طائفة من غير ازدحام.

(عشرة عشرة) يسعهم مكان الطعام.

(ووضع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يده على الطعام) الموضوع، وهو الطعام الذى جاءه، **(فدعا فيه)** بالبركة **(وقال ما شاء الله أن يقول)**: أى ما أراد الله من دعائه الذى علمه، وأبهمه؛ لأنه أسره فلم يسمعوه؛ لأنه من الأسرار التى خصه الله تعالى بها، **(فأكلوا حتى شبعوا كلهم فقال)** صلى الله تعالى عليه وسلم **(لى)** أى لأنس: **(ارفع)** التور بما فيه **(فما أدرى حين وضع)** عنده قبل الأكل منه **(كان)** الطعام **(أكثر أم حين رفع؟)** بالبناء للمجهول، وفى بعض النسخ وضعت ورفعت.

واعلم أن هذا الحديث ذكره بعينه عن أنس قبل هذا، فإعادته هنا تقتضى أن القصة صح تكررها، وأنه وقع مرة فى تزوجه صلى الله تعالى عليه وسلم بزينب بنت جحش، وأخرى حين تزوج صفية وقد استشكله المصنف، رحمه الله تعالى، فى شرح مسلم، فقال: ما وقع فى الحديث من أن تكثير الطعام كان فى وليمة زينب، يخالف الروايات المشهورة من أن وليمتها كانت بالخبز واللحم، ولم يذكر فيها تكثير الطعام، وإنما فيه أنهم شبعوا من الخبز واللحم، ففيه وهم من الراوى أدخل فيه قصة فى قصة، فإن التكثير فى قصة صفية، لا فى وليمة زينب التى نزلت فيها آية الحجاب.

وتعقبه القرطبى بأنه لا وهم فيه، وأنه لا مانع من الجمع بين الروايتين بأن الذين دعوا للخبز واللحم أكلوا، وذهب منهم جمع، وبقى آخرون يتحدثون، فجاء أنس بالحيس ودعا الناس كما ذكره المصنف رحمه الله هنا.

وقال ابن حجر أيضًا: لا وجه لإنكاره تكثير الطعام فى حديث الخبز واللحم، فإن أنسا قال: إنه أولم بشاة أشبعت الناس، وما قدرها حتى تشبعهم، وهم نحو الألف، فالظاهر أن المصنف، رحمه الله تعالى، رأى هنا تعدد القصة، ولذا صرح بزينب أولاً، ولم يسمها إشارة إلى أنها صفية إلا أن فيه توقفا عندى من جهة أخرى، فإن وليمة صفية كانت فى السفر، وذكر الصفة والحجرة ينافيه، والحيس فيها صنعه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لأم سليم، وما قيل من أن أم سليم أهدته له صلى الله تعالى عليه وسلم بعد قدومه المدينة فرحًا بتزوجه لا يخفى ما فيه من البعد، وبعد كل كلام، فكلام المصنف، رحمه الله تعالى، فيه اضطراب يحتاج للتحرير.

(وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة): أى نبع الماء من بين أصابعه، وانفجاره بدعوته، وتكثير الطعام ببركته **(فى الصحيح)** من الأحاديث وكتبها المعتمدة، وقوله: أكثر إشارة لضعف بعضها.

(وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة): يعنى توافقوا على ما يفيده المجموع، بقطع النظر عن كل واحدة على حدة، وتقدم أن البضع بكسر الباء من الثلاثة إلى التسعة، مع اختلاف فى استعماله فيما فوق العشرين، والصحيح جوازه لوروده فى الحديث، وقوله ببضع وعشرين درجة فى فضل الصلاة وتفصيله مشهور.

(رواه عنه أضعافهم من التابعين ثم) رواه عن الأضعاف من التابعين وتبع التابعين **(من لا يعد بعدهم)** بصيغة المجهول، وفى بعض النسخ من لا نعد بالنون.

(وأكثرها): أى أكثر أحاديث الفصول الثلاثة **(فى قصص مشهورة)** بحسب الرواية

(**ومجامع مشهودة**): جمع مجمع، وهو محل يجتمع فيه الناس بكثرة، قال الفرزدق[1]:

إذا جمعتنـا يـا جريـر المحافـل

والمشهد من الشهود بمعنى الحضور، وفيه تجنيس وتورية بديعية، وما يقع بين كثير من الناس لا يمكن أن يكون غير واقع أو منتقل، (**ولا يمكن التحدث عنها إلا بالحق**): أى لا ينتقل عن مثلها إلا الأمور الصادقة المحققة، (**ولا**) يمكن أن (**يسكت الحاضر**) فى مجالس وقوعها، والتحدث بها، وضمن الحاضر معنى السامع فعداه باللام فى قوله: (**لها على ما أنكره**) منها، مما خالف الواقع.

* * *

تم بحمد الله الجزء الثالث من كتاب نسيم الرياض لشهاب الدين الخفاجى رحمه الله

فى شرح الشفاء للقاضى عياض

ويليه الجزء الرابع، وأوله:

«(**فصل فى كلام الشجر**)»

* * *

---

(١) عجز بيت وصدره:

أولئـك آبـائـى فجئنـى بمثلـهـم

والبيت من الطويل، وهو فى ديوان الفرزدق (ص٣٦٠)، وفيه: المجامع، بدل: المحافل.

المحتويات